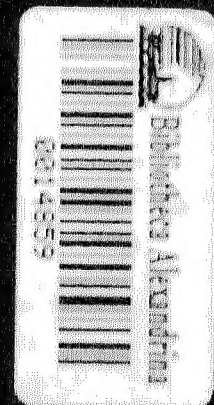


# صِفْوَةُ الْأَعْيَانِ بِمُسْتَوْجِ الْأَضْيَانِ وَالْأَقْطَابِ

تأليف  
محمد بريم الخمارين التونسي

دار صادر  
بيروت











7



# صِفْوَةُ الْأَعْتَابِ

بِمُسْتَوْجِ الْأَمْثَالِ وَالْأَقْطَابِ

٣٠-٢٠٠١

تَأَلَّفَ

مُحَمَّدُ بَيْرَمُ الْخَامِسِيُّ التُّونِسِيُّ

دار صادر  
بيروت



(١)

﴿ فهرست الجزء الأول من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

مصحفة

- ٢ خطبة الكتاب
- ٣ تفصيل موضوع الكتاب
- ٣ المقدمة وأبوابها
- ٣ الباب الاول في السفر من حيث هو وفيه فصول
- ٤ الفصل الاول في الاستدلال بالقرآن الكريم
- ٤ بحث العطف بالقاء وثم
- ٤ بحث الامر للوجوب
- ٥ بحث في ان المعتبر به أشياء وفيه اعتبار بعاقبة المكذبين
- ٥ بحث الاعتبار باختلاف الالسن والالوان
- ٥ بحث الاعتبار بالاجرام العلوية
- ٦ بحث الاعتبار بالاجرام السفلية من الارض وما فيها
- ٦ بحث اعتراف حذاق المتأخرين بإبطال الطبيعة
- ٦ بحث هيئة الارض وتكوينها
- ٧ بحث الاستدلال بكلام المحسكة على تكوين الارض
- ٧ بحث الاستدلال بكلام الفقهاء على تكوين الارض
- ٧ بحث الاستدلال بكلام الصوفية على تكوين الارض
- ٨ بحث الاستدلال بالجمال
- ٨ بحث الاعتبار بالانهر وقرن الانهر بالجمال في القرآن
- ٨ بحث الاعتبار بالثمار وفيه عجيبه
- ٨ بحث تلقيح الثمار بالريح
- ٩ بحث اعتراف المنصفين بأن الحكمة فازت بها العرب
- ٩ بحث طلب العلوم الرياضية
- ٩ بحث الاعتبار بمعاقب الليل والنهار وفيه اثبات دوران الارض
- ١٠ بحث الاختلاف في أسباب وجود الليل والنهار
- ١١ بحث الاستدلال على ان كون الليل والنهار من دوران الارض

(٢)

مقدمة

- ١١ مبحث الرد على منكري السجاء مع ثبوت دوران الارض
- ١٢ مبحث اقرار الحكماء ببعض مسائل شرعية
- ١٣ مبحث في ارتفاع كرة الهواء
- ١٤ الفصل الثاني فيما ورد في السفر من السنة
- ١٥ مبحث ثمرة الهواء للانسان وفيه تصفية الدم
- ١٦ مبحث كراهة المنقبض على الماء
- ١٧ الفصل الثالث فيما ورد في السفر من كلام الحكماء والادباء
- ١٨ مبحث فيما نقله الامام الشافعي في السفر
- ١٩ الباب الثاني في السفر لغير ارض الاسلام وفيه فصلان
- ٢٠ الفصل الاول في النصوص المدالة على الجواز وما يجوز حفظه من العدالة وما لا يجوز

- ٢١ مبحث فيما نقله من حكم السفر
- ٢٢ مبحث ربما الجواز والامن
- ٢٣ الفصل الثاني في تطبيق الحكم على سفر المؤلف

### هو القسم الثاني من الكتاب

- ٢٤ الباب الثالث في تقسيم احوال اهل الارض الاثن وفيه ٨٧ فصلا
- ٢٥ مبحث في تقسيم الارض
- ٢٦ مبحث في القسم الاول آسيا
- ٢٧ مبحث في القسم الثاني آسيا
- ٢٨ الفصل الاول في المملكة العثمانية
- ٢٩ مبحث في اقسام المملكة العثمانية
- ٣٠ مبحث في سكان المملكة العثمانية
- ٣١ مبحث في حكومة المملكة العثمانية
- ٣٢ مبحث في ديانات اهل المملكة العثمانية
- ٣٣ الفصل الثاني في ملكة فارس

(٢)

مصحفة

- ٤ مبحث في سكان مملكة فارس وفيه دياناتهم
- ٥ مبحث في أحكام مملكة فارس
- ٥ الفصل الثالث في مملكة أفغانستان
- ٥ مبحث في عدد سكان مملكة أفغانستان
- ٥ مبحث الديانات والحكم في مملكة أفغانستان
- ٦ مبحث في عوائد مملكة أفغانستان
- ٦ الفصل الرابع في مملكة بلوچستان
- ٦ مبحث في عدد سكان مملكة بلوچستان والديانات الغالية فيها
- ٦ الفصل الخامس في مملكة الهند الانكليزية
- ٦ مبحث عدد السكان في مملكة الهند ودولياتهم
- ٧ مبحث تقسيم مملكة الهند الانكليزية وفيه الكلام على استيلاء الانكليز على الهند بسبب التجارة
- ٧ مبحث الكلام على الممالك التي استولت عليها الانكليز بسبب التجارة
- ٨ مبحث تالقيب مملكة انكلترا بامبراطورية الهند وفيه ما نقله بعض المراسلين في شأن الموكب الذي عقد يومئذ
- ٩ مبحث الكلام على كيفية دخول حكام الهند الى دهلي
- ١٠ مبحث الكلام على صورة الجلسة المنعقدة يوم دخوله وكيف ألقي عليهم خطاب المحكّم
- ١٢ مبحث الكلام على الفوائد التي استفادها الانكليز من الدرّبار
- ١٢ مبحث الكلام على زيارة والي العهد لممالك الهند
- ١٣ مبحث الكلام على أقسام المملكة الهندية وفيه عدد سكان كل قسم
- ١٤ مبحث الكلام على ادارة الهند السياسية والعسكرية
- ١٥ مبحث الكلام على معارف البلاد الهندية
- ١٦ مبحث الكلام على صناعات البلاد الهندية
- ١٦ مبحث الكلام على نباتات البلاد الهندية وهوائها وما فيها من المواصلات
- ١٧ مبحث الكلام على قوة مملكة الهند البحرية والمالية

(٤)

محمية

- ١٧ الفصل السادس في مملكة بورما  
١٧ بحث الكلام على عدد سكان مملكة بورما وديانتهم وسياساتهم وعوائدهم ومعارفهم ومحصلات أراضيهم وتجارتهم وقوتها الحربية والمالية
- ١٨ الفصل السابع في مملكة سيام  
١٨ بحث الكلام على عدد سكان مملكة سيام وديانتهم وأحكامهم ومعارفهم وعوائدهم وتجارتهم وقوتها الحربية والمالية
- ١٨ الفصل الثامن في مملكة كوشين الصين  
١٨ بحث الكلام على عدد سكان مملكة كوشين الصين وكوائدهم وديانتهم ومعارفهم
- ١٩ بحث الكلام على قوة كوشين المالية والحربية وكرياساتهم
- ١٩ الفصل التاسع في مملكة كمبوديا  
١٩ بحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وسياساتهم وقوتهم المالية والحربية
- ١٩ الفصل العاشر في مملكة ملقا وأقسامها  
١٩ بحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وأحكامهم ونتائج أراضيهم وتجارتهم
- ١٩ الفصل الحادي عشر في مملكة الصين  
٢٠ بحث الكلام على عدد سكان مملكة الصين وتجارتها وصناعة أهلها ومعارفهم
- ٢١ بحث الكلام على عوائد أهل مملكة الصين وأقسامها وما وقع بين أهلها وبين الدول الأوروبية
- ٢٢ بحث الكلام على قوة مملكة الصين الحربية وفيه ذكر ديانتهم
- ٢٣ بحث الكلام على عدد المسلمين في مملكة الصين وما ينتج عنه من المذهب وعوائدهم في هذه البلاد
- ٢٤ بحث الكلام على الدولة التي أنشأها السلطان سليمان
- ٢٥ بحث الكلام على سور الصين وسديا جوج وما جوج
- ٣٠ بحث الكلام على مواصلات الصين ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها
- ٣١ بحث الكلام على أحكامها ته المملكة
- ٣١ بحث الكلام على كتابة أهلها



(٥)

صحيفة

- ٣٢ بحث الكلام على قوتها المالية  
٣٢ الفصل الثاني عشر في مملكة الروسيا في آسيا  
٣٢ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وذكركحيواناتها  
٣٣ بحث الكلام على محصولات ونباتات وعوائد هاته المملكة  
٣٣ بحث تاريخ استيلاء الروس وأحكامهم في هاته المملكة  
٣٣ الفصل الثالث عشر في مملكة هرات  
٣٤ بحث الكلام على ديانة وعدد سكان هاته المملكة وأحكامهم  
٣٤ بحث الكلام على تجارة وصناعات هاته المملكة  
٣٤ بحث الكلام على قوة هاته المملكة المحربية والمالية  
٣٤ الفصل الرابع عشر في مملكة النترالمستقلين  
٣٤ بحث الكلام على سكان هاته المملكة وديانتهم  
٣٤ بحث تقسيم هاته المملكة وما في كل قسم من السكان  
٣٥ بحث الكلام على ما حصل مع هاته المملكة والروسيا وعوائد أهلها  
٣٥ الفصل الخامس عشر في مملكة من ممالك جزائر العرب  
٣٦ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وديانتهم وعوائدهم  
٣٦ بحث الكلام على دعوة أتباع محمد بن عبد الوهاب  
٣٧ بحث الكلام على ما ينبغي للدولة العالية أن تفعله في هاته المملكة  
٣٧ الفصل السادس عشر في مملكة تيبول  
٣٧ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وعوائدهم وديانتهم  
٣٨ الفصل السابع عشر في مملكة بوتان  
٣٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وديانتهم وعوائدهم مع ملوكهم  
وتلقيهم لهم  
٣٨ الفصل الثامن عشر في مملكة كشمير  
٣٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وادارتهم  
٣٨ الفصل التاسع عشر في مملكة الجابون  
٣٨ بحث الكلام على عوائد أهل هاته المملكة وصناعاتهم وأشكالهم

(٦)

مقدمة

٣٩ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما أحدثه بعض ملوكها في أواخر هذا القرن

٣٩ بحث الكلام على قوة هاته المملكة الحربية والمالية

٤٠ الفصل العشرون في عمارة تشين

٤٠ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما حصل منهم مع الملوك السابقين من معاهدات وغيرها

٤١ بحث الكلام على قوة هاته المملكة المالية والحربية

٤١ القسم الثاني من الأرض في قارة أوروبا

٤١ بحث مبدء تمدن أوروبا

٤٢ بحث الكلام على ما استفادوه من العلوم

٤٢ بحث الكلام على ترك العوائد التي لا توافق الصحة

٤٣ بحث الكلام العام على قارة أوروبا

٤٣ بحث تقسيم أوروبا إلى أقسامها

٤٣ الفصل الحادي والعشرون في الكلام على الدولة العلية

٤٤ بحث الكلام على ولايتها الممتازة مثل البلغار

٤٤ بحث الكلام على عدد سكان البلغار وديانتهم وأدبارهم ورياستهم والاحكام الجارية فيهم عادة

٤٤ بحث الكلام على الولايات الغير متميزة مثل الرميلي وغيره مما هو تحت تصرف الدولة العلية

٤٥ الفصل الثاني والعشرون في الكلام على دولة الجبل الاسود

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان هاته الدولة

٤٥ الفصل الثالث والعشرون في دولة اليونان

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان دولة اليونان وتقدمهم في المعارف

٤٥ الفصل الرابع والعشرون في دولة ايطاليا

٤٥ بحث الكلام على عدد سكان ايطاليا

٤٦ الفصل الخامس والعشرون في دولة اسبانيا

## (٧)

### محتوى

- ٤٦ بحث تسلط الاسبنيول على هاته المملكة وما حصل من الاهالى معهم
- ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة في اصلها ومستعمراتها
- ٤٧ الفصل السادس والعشرون في مملكة البرتغال
- ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان دولة البرتغال في اصلها ومستعمراتها
- ٤٧ الفصل السابع والعشرون في دولة فرانس
- ٤٧ بحث الكلام على عدد سكان فرانس وتاريخها وحكومتها
- ٤٧ الفصل الثامن والعشرون في الكلام على دولة سويسرا
- ٤٨ بحث الكلام على ما وقع للدولة فيها وعدد سكانها وحكومتها
- ٤٨ الفصل التاسع والعشرون في دولة البليجيك
- ٤٨ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة وما كان لها مع فرانس
- ٤٨ الفصل الثلاثون في دولة النمسا
- ٤٨ بحث الكلام على عدد سكان النمسا واقسامها
- ٤٩ الفصل الحادى والثلاثون في دولة الصرب
- ٤٩ بحث في سكان هاته المملكة مع ما اضيف اليها
- ٤٩ الفصل الثانى والثلاثون في دولة الرومانيا
- ٤٩ بحث الكلام على عدد سكان مملكة الرومانيا واقسامها
- ٤٩ الفصل الثالث والثلاثون في مملكة انكلترا
- ٤٩ بحث الكلام على عدد سكان مملكة انكلترا
- ٥٠ بحث الكلام على عدد سكان مستعمراتها
- ٥٠ الفصل الرابع والثلاثون في مملكة هولندا
- ٥٠ بحث الكلام على ما وقع من الدول فيها
- ٥٠ بحث الكلام على عدد سكانها في المملكة والمستعمرات
- ٥٠ الفصل الخامس والثلاثون في دولة المانيا
- ٥٠ بحث الكلام على عدد السكان في مملكة المانيا
- ٥٠ بحث الكلام على أسماء الدول المتألفة منها العصبية مع عدد السكان واسماء القواعد

## (٨)

- ٥١ الجدول المشتمل على أسماء الممالك وأسماء قواعدها وعلى عدد السكان
- ٥٢ الفصل السادس والثلاثون في دولة السويد والنرويج
- ٥٢ مبحث الكلام على عدد سكان المملكة كتيين وما كان لهما قديما
- ٥٢ الفصل السابع والثلاثون في مملكة الدانمرك
- ٥٢ مبحث الكلام على عدد سكان الدانمرك في المملكة والمستعمرات
- ٥٣ الفصل الثامن والثلاثون في دولة روسيا
- ٥٣ مبحث الكلام على عدد سكان روسيا ومذاهبيهم وعوائدهم وتاريخ تكوينها وما حصل فيها
- ٥٤ مبحث الكلام على ما وقع من القيصر الاسكندر الثاني مع الفلاحين
- ٥٤ مبحث الكلام على ادارة مملكة روسيا وما لها من المجالس وما لاهلها من الاعمال
- ٥٥ مبحث الكلام على اقسام هاته المملكة في الحاضرة والبادية
- ٥٥ مبحث الكلام على مشيخة البادية وما لها من الاعمال
- ٥٦ مبحث الكلام على اسباب انفتاح بصائر اهل تلك المملكة حتى حصل منهم ثوران في بعض السنين
- ٥٦ مبحث الكلام على ما تفعله امراؤها مع كبار الموظفين
- ٥٧ مبحث الكلام على ما حكمه بعض السواحين في شأن مشايخ القرى مع بعض رعاياهم
- ٥٧ مبحث الكلام على ولاية قازان ومذهبيهم
- ٥٧ مبحث الكلام على الاختلاف في وجوب العشاء على اهل مدينة البلغار
- ٥٨ الفصل التاسع والثلاثون في خلاصة الكلام على بقية ممالك اوربا
- ٥٨ مبحث الكلام على اصول الادارة في بقية ممالك اوربا
- ٥٨ مبحث الكلام على ما يحدث سبب على الوزراء من المجالس ومالك مجلس من الاعمال
- ٥٩ مبحث الكلام على اصول الادارة المحكية الشخصية
- ٥٩ مبحث الكلام على اعمال اهل الدولة
- ٥٩ القسم الثالث من اقسام الارض في الكلام على قارة افريقيا
- ٥٩ مبحث الكلام على اقسام قارة افريقيا
- ٦٠ الفصل الاربعون في مملكة مراکش
- ٦٠ مبحث الكلام على عدد سكان مملكة مراکش وديانهم ومذهبيهم واحكامهم

(٩)

مختصه

- ٦٠ بحث الكلام على قضاة فاس وما فعله سلاطانها مع بعضهم
- ٦١ بحث الكلام على ماتر كبت منه دولة مراکش من سلطان ووزير وغيرهما
- ٦٢ بحث الكلام على السلطان
- ٦٣ بحث الكلام على الوزير
- ٦٤ بحث الكلام على ما اختصت به دولة المغرب
- ٦٥ بحث الكلام على ما صدر من جوده باشا أحد أمراء العاقلة الحسينية بتونس
- ٦٦ بحث الكلام على بقية الموظفين في مملكة مراکش
- ٦٧ بحث الكلام على أعمال السلطان في هاته المملكة وكذلك الوزير
- ٦٨ بحث الكلام على سير الالهالي في هاته المملكة
- ٦٩ بحث الكلام على العلوم الدينية والرياضية في هاته المملكة
- ٧٠ بحث الكلام على أخلاق وعوائد أهل تلك المملكة وأحوالهم في التجارة
- ٧١ بحث الكلام على سفراء الدول في هاته المملكة
- ٧٢ بحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة في أمن الطريق وما للبريد من الاعمال
- ٧٣ بحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة مع الأجانب
- ٧٤ بحث الكلام على طاب انكتران السلطان ان يغبر العوائد المجازية في هاته المملكة
- ٧٥ بحث الكلام على معاهدة مدريد في شأن دولة مراکش
- ٧٦ بحث الكلام على قوة هاته المملكة الحربية وما أحدث فيها من التنظيم العسكري
- ٧٧ الفصل الحادي والاربعون في مملكة الجزائر
- ٧٨ بحث الكلام على عدد سكانها وأحكامها السياسية والضبط الواقع فيها
- ٧٩ الفصل الثاني والاربعون في مملكة تونس
- ٨٠ بحث الكلام على عدد سكانها وديانتهم وادارتهم وسياساتهم
- ٨١ الفصل الثالث والاربعون في مملكة طرابلس الغرب
- ٨٢ بحث الكلام على عدد سكان هاته المملكة
- ٨٣ بحث الكلام على تاريخ استيلاء الدولة العلية على هاته المملكة وبيان أسبابه وما وقع فيها من بعض أمرائها السابقين

(١٠)

مصحفة

- ٦٨ مبحث الكلام على عوائد أهل تلك المملكة  
٦٨ الفصل الرابع والاربعون في ملكة مصر  
٦٨ مبحث الكلام على ما يتبع تلك المملكة وعدد سكانها وأحكامها  
٦٨ الفصل الخامس والاربعون في ملكة الحبشة  
٦٨ مبحث الكلام على عدد سكانها وعوائدهم وديانتهم وأحكامهم  
٦٩ الفصل السادس والاربعون في ملكة الزنجبار  
٦٩ مبحث الكلام على ديانة أهل هاته المملكة  
٦٩ مبحث الكلام على سكان هاته المملكة  
٧٠ الفصل السابع والاربعون في ملكة برنو  
٧٠ مبحث الكلام على ديانة أهل هاته المملكة وصفتها وأحوالها  
٧٠ مبحث في لغة أهل هاته المملكة وعدددهم  
٧٠ الفصل الثامن والاربعون في بقية افريقية وفيه أحد عشر قسمًا  
٧٠ مبحث الاقل السودان  
٧٠ تذييل في أخذ بعض أسماء من اللغة الفرنسية بعد أخذها من اللغة الانجليزية  
٧١ مبحث الكلام في ديانة أهل هاته المملكة  
٧١ الفصل التاسع والاربعون في ملكة واداي  
٧١ مبحث في عدد سكان هاته المملكة وعوائدهم وأحكامهم  
٧١ الفصل الخسون في بقية القسم المسمى بالسودان  
٧٢ الفصل الحادي والخسون في الكلام على ملكة فلانا  
٧٢ مبحث في ديانة أهلها وفي صنائعها  
٧٢ الفصل الثاني والخسون في القبائل المتحدة المسماة بركو وما تألفت منه  
٧٢ مبحث الكلام على ديانة أهلها  
٧٣ القسم الثاني في أراضي سانيغال  
٧٣ مبحث في عدد سكانه  
٧٣ الفصل الثالث والخسون في المستقل من سانيغال  
٧٣ الفصل الرابع والخسون في ملكتي تيماني وسوليमानه

- ٧٣ القسم الثالث في مملكة كينيا العليا  
٧٣ الفصل الخامس والخمسون في أن أول أراضي القسم الثالث هو كرومان  
٧٣ مبحث في سكان كينيا العليا وديانتهم  
٧٤ الفصل السادس والخمسون في مستعمرات الإنكليز بالقسم الثالث  
٧٤ الفصل السابع والخمسون في مملكة لبيديريا  
٧٤ مبحث في سكان هاته المملكة وفي لغتهم وفي نهاية مساهمهم  
٧٤ الفصل الثامن والخمسون في أرض شط الفيل  
٧٤ الفصل التاسع والخمسون في عدة ممالك السودان داخل كينيا  
٧٥ الفصل الستون في بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها  
٧٥ مبحث في عوائدهم  
٧٥ مبحث في عدد سكان هاته البلاد  
٧٥ القسم الرابع قسم افريقية الجنوبية  
٧٥ الفصل الحادي والستون في ممالك رأس الرجاء الصالح  
٧٥ مبحث في سكان هاته المملكة  
٧٥ القسم الخامس ببلاد الكفر  
٧٦ الفصل الثاني والستون في مملكة الزلوس  
٧٦ الفصل الثالث والستون في مملكة ناتال  
٧٦ مبحث في بيان سكانها من أي جنس هم وفي بيان عددهم  
٧٦ الفصل الرابع والستون في جمهورية نهر أورانج  
٧٦ الفصل الخامس والستون في جمهورية ترانسفال  
٧٦ مبحث في عدد سكان هاته الجمهورية وفي أقسامها  
٧٧ الفصل السادس والستون في مملكة بادجوانه  
٧٧ مبحث في أخلاقهم وعوائدهم وكل ما مهم  
٧٧ القسم السادس في كينيا السفلى  
٧٧ الفصل السابع والستون في ممالك كينيا السفلى  
٧٧ مبحث في ممالك كتي إنكلاد وبنكلاد

(١٢)

صيفه

- ٧٧ مبحث في سكان هاتين المملكتين
- ٧٨ القسم السابع في قسم موز نبيك وانقسامه الى حكومات
- ٧٨ الفصل الثامن والستون في ممالك هذا القسم
- ٧٨ القسم الثامن قسم سوموليس
- ٧٨ الفصل التاسع والستون في ممالك هذا القسم
- ٧٨ القسم التاسع هو القسم المجهول
- ٧٩ مبحث فيما علم من هذا القسم من العمالات
- ٧٩ القسم العاشر هو الجزائر البحرية
- ٧٩ الفصل السبعون في مملكة ماداغسكار
- ٧٩ مبحث في سكان هاته المملكة وفي ديانتهم
- ٧٩ القسم الحادي عشر قسم الصحراء
- ٧٩ مبحث في انقسام هذا القسم الى ثلاثة اقسام
- ٨٠ الفصل الحادي والسبعون في ممالك الصحراء الغربية
- ٨٠ مبحث في ديانة بعض سكان هاته المملكة
- ٨٠ الفصل الثاني والسبعون في ممالك الصحراء الوسطى
- ٨١ مبحث في ديانة هذا القسم ولغتهم
- ٨١ مبحث في عوائدهم وفي بعض الحيوانات عندهم
- ٨٢ الفصل الثالث والسبعون في مملكة الصحراء الشرقية
- ٨٢ مبحث في انقسام هاته المملكة الى عدة قبائل
- ٨٢ مبحث في تلخيص عدد سكانها بوجه قريب
- ٨٣ مبحث في حكاية من عجائب سحرهم
- ٨٣ مبحث في دياناتهم واعتقاداتهم
- ٨٤ القسم الرابع من الارض في قارة أمريكا
- ٨٤ مبحث فيمن استكشف هاته القارة
- ٨٤ مبحث في أول ما استكشف من هاته القارة
- ٨٥ مبحث فيمن استكشف أمريكا الجنوبية



(١٣)

مصحفة

- ٨٥ بحث في تقسيمها الى قسمين  
٨٦ بحث في سكان هاته القارة  
٨٦ الفصل الرابع والسبعون في دولة أمريكا المتحدة  
٨٦ بحث في عدد سكانها  
٨٦ بحث في قوانين هاته المملكة  
٨٦ بحث في بيان الحكومات المركبة منها هاته المملكة  
٨٧ بحث في تقدم هاته المملكة في المعارف والسياسة والاختراع  
٨٧ الفصل الخامس والسبعون في بقية أمريكا الشمالية  
٨٨ الفصل السادس والسبعون في مملكة مكسيكو  
٨٨ بحث في عدد سكان هاته المملكة  
٨٨ الفصل السابع والسبعون في أمريكا الوسطى  
٨٨ الفصل الثامن والسبعون في الجزائر المتفرقة  
٨٩ الفصل التاسع والسبعون في مملكة كلومبيا  
٨٩ بحث في عدد سكان هاته المملكة  
٨٩ الفصل العشرون في دولة بيرو  
٨٩ بحث في سكان هاته المملكة  
٨٩ الفصل الحادي والثمانون في مملكة البرازيل  
٨٩ بحث في عدد سكان هاته المملكة  
٩٠ الفصل الثاني والثمانون في مملكة بوليفيا  
٩٠ بحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها  
٩٠ الفصل الثالث والثمانون في دولة تشيلي  
٩٠ بحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها  
٩٠ الفصل الرابع والثمانون في مملكة سيونس ايرس أولا بلافا  
٩٠ الفصل الخامس والثمانون في مملكة أوروكواي  
٩٠ بحث في عدد سكان هاته المملكة وأحكامها  
٩٠ الفصل السادس والثمانون في دولة بتاكوني

(١٤)

مصحفة

- ٩٠ مبحث في عدد سكان هاته المملكة
- ٩١ مبحث في المعتبر من دول أمريكا
- ٩١ القسم الخامس أستراليا
- ٩١ مبحث في عدد سكان هذا القسم
- ٩٢ الفصل السابع والثمانون في أسماء الممالك وقواعد بلدانها الخ
- ٩٣ مبحث في جدول احصاءات الممالك
- ٩٤ المقصد
- ٩٤ الباب الاول في بيان سبب سفر المؤلف
- ٩٤ مبحث في عدد سفر المؤلف الى أوروبا
- ٩٤ فصل في نشأة المؤلف
- ٩٥ مبحث في بيان اجداد المؤلف ووظائفهم
- ٩٦ فصل فيما عو لجم به المؤلف في مرضه
- ٩٧ مبحث في بيان أن السفر من أسباب الصحة كما تقدم
- ٩٨ مبحث في صورة العلاج
- ١٠٢ مبحث في أكل الذهب للثقةوى
- ١٠٣ فصل في حكم التداوى شرطا
- ١٠٣ مبحث فيما ورد فيه من القرآن
- ١٠٤ مبحث في شكوى بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم من مرض أخيه
- ١٠٤ مبحث في جواز التداوى بالمحرم
- ١٠٦ مبحث في جواز تلقيح الجذري من الحيوان أو الانسان وجواز الكتابة بالدم
- ١٠٦ مبحث في دعوى جواز الكتابة بالدم
- ١٠٧ مبحث في تقسيم مسائل علم الطب الى قسمين
- ١٠٧ مبحث في أن العمل بالاسباب مع التوكل مشروع
- ١٠٨ حكاية عن سيدى محيى الدين في معرض التوكل
- ١٠٩ الباب الثانى في قطر تونس
- ١٠٩ فصل في التعريف بالقطر التونسى

(١٠)

## محتويات

- ١١٠ بحث في رؤس هذا القطر وأنهره
- ١١١ تفصيل ما في أجزاء الماء من المعادن
- ١١٢ بحث في خواص حمام قريص
- ١١٣ بحث في جبال هذا القطر
- ١١٣ بحث في معادن هذا القطر
- ١١٣ بحث في ذكر خصوبة هذا القطر
- ١١٤ بحث في انقسام هذا القطر الى ثلاثة اقسام
- ١١٥ بحث في نبات هذا القطر
- ١١٨ بحث في هواء هذا القطر
- ١١٩ بحث في حيوانات هذا القطر
- ١٢٠ بحث في طيور هذا القطر
- ١٢٠ بحث في مدن هذا القطر
- ١٢٦ تقسيم آخر لهذا القطر بالنظر لسكانه ومرجع احكامهم
- ١٢٧ بيان اسماء اعمالهم وقبائلهم وأما كتبهم
- ١٢٨ فصل في اجمال تاريخ هذا القطر
- ١٢٨ بحث في انقسامه الى عمالية مطالب
- ١٢٨ بحث المطالب الاول في نبذة من تاريخه القديم
- ١٢٩ بحث في ان العلماء على ثلاثة اقسام
- ١٣٠ بحث في تاريخ فتح افريقية
- ١٣١ جدول الدول التي تولت هذا القطر من حين الفتح
- ١٣٢ المطالب الثاني في علاقة القطر بالدولة العثمانية
- ١٣٦ في أمر الدولة العلية بحرب الفرنسيين عند استيلائه على مصر
- ١٣٨ صورة مكتوب صادر من أحمد باشا في طلب العقوف عن الاداء السنوي الى الدولة العلية
- ١٤٠ صورة مكتوب آخر من أحمد باشا المذكور في تبرئة نفسه عما رمي به من ارادة الخالفة

(١٦)

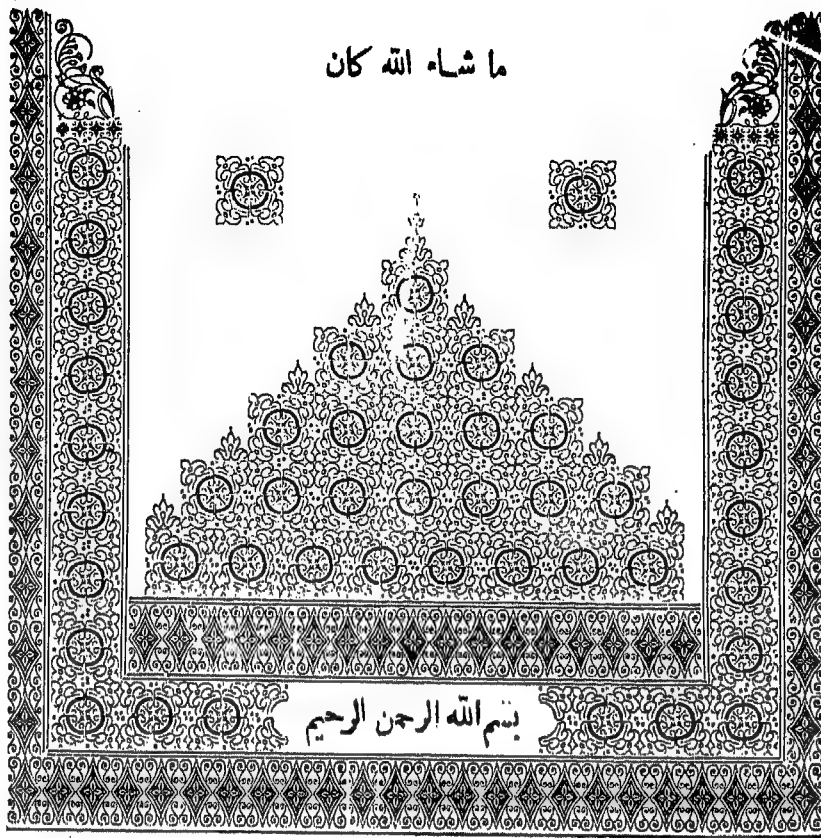
- ١٤٣ صورة مكتوب آنون أحمد باشا أرسله مع العساكر المرسله في حرب القريم مخاطبا  
به الصدر الأعظم
- ١٤٣ صورة مكتوب من محمد باشا عند ولايته على القطر يطلب به التولية والتقرير
- ١٤٥ صورة مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طاب الولاية والتقرير مثل  
السابق
- ١٤٥ صورة مكتوب من محمد الصادق باشا الى الصدر الأعظم
- ١٤٧ المطالب الثالث في سياسة القطر الخارجية
- ١٤٧ بحث في الاسباب الموجبة لخدر فرانس من تدخل الدولة العلية في القطر التونسي
- ١٥٠ صورة مكتوب من مصطفى باشا الى قنصل فرانس عند حلول أسطولها في حلق  
الوادي
- ١٥١ صورة تعريب مكتوب من قنصل فرانس اعجيبابه عن مكتوب مصطفى باشا  
المتقدم
- ١٥٣ صورة مكتوب الى الوزير خير الدين بالتفويض
- ١٥٤ صورة الفرمان الوارد مع الوزير المذكور من الدولة
- ١٥٦ تنبيه في حادثة فرانس الاخيرة مع تونس

تمت الفهرست

لا يجوز طباع هذا الكتاب بدون اذن مؤلفه

ومن تجارى على ذلك بما كم حسب القانون

﴿طبعة أولى﴾  
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



✽ الحمد لله مالك الملك والممالك ✽ خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى اقوم المسالك ✽  
 سبحانه الخالق الحكيم ✽ المبدع للكون وما فيه من حقير وعظيم ✽ رسم عليه  
 دلائل وحدانيته لتدبر المتبصرين ✽ ومن آياته اختلاف السنتكم والوانكم ان  
 في ذلك لايات للعالمين ✽ والصلاة والسلام الاكملان الايمان على تاج العالم  
 المصون ✽ ومظهر الكالات المسمى به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون ✽  
 سيدنا ومولانا محمد رسول الله ✽ المظهر عنصره الجماني ✽ والمنزه جوهره  
 الروحاني ✽ من الكدر والاشتداد ✽ وعلى آله الطاهرين ✽ واصحابه  
 الذين جاوا الارض في هداية الخلقين ✽ (أما بعد) ✽ فان الله جات عظمتها اقتضت  
 حكمة الباهرة ✽ ان ربط في هاته الدار الاسباب بالمسببات خفية كانت أو ظاهرة ✽  
 وأخفى مراده في التكوين ✽ فكان مدارة كالف الشرع هو اعتبار الاسباب  
 رجة بالمؤمنين ✽ وتفويض ما وراء ذلك الى خالق المسبب يجري على مقتضى تقديره  
 في الازل وما يدرك أسرار حكمته الا قليل من الحكاميين ✽ وكان مما عرض للعبد

الحقير

(٣)

الحقير ❦ ان بليت بمرض اعبي علاجه أطباء قطرنا المشهور ❦ وأشير على بالسفر  
 لأجل ذلك الغرض ❦ فاستخرت الله تعالى واستشرت الاصدقاء لتحصيل ذلك الحق  
 المفترض ❦ فثبت بحارا وقمارا ❦ ومدنا وامصارا على حسب ما سهر المقذور ❦  
 وساعتت الوسائل على الوصول الى مشاهدته من المعمور ❦ ورأيت بعيني البصر  
 والبصيرة ❦ أموراً عجيبة خطيرة ❦ أحبيت نظمها في بحالة حفظها من الاهیال ❦  
 ونطقت على منخ العلماء أولى الكمال ❦ كل سر جاوز الانبياء شاع ❦ كل علم  
 ليس في القرطاس ضاع ❦ وهي وان كانت بالنسبة لمعارف الكمالين والفحول ❦  
 ليست مما يلتفت اليه أو يلاحظ بالقول ❦ لكننا على كل حال بضاعة من  
 علم ❦ تلاحظها بالاعضاء أعين أهل الحلم ❦ فاعل الله بفضله يفيد بها أهل وطننا  
 واخواننا المسلمين ❦ ويمدنية الى احبائه عالم ديننا الممتين ❦ (وسميتها) صفوة ❦  
 الاعتبار مستودع الامصار والاقطار ❦ معتمدا على فضل المسامح الجليل ❦ وهو حسي  
 ونعم الوكيل ❦ فنقول ان هاته الرحلة مرتبة على مقدمة ومقصود وخاتمة فالمقدمة  
 فيها (ثلاثة) أبواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة  
 فصول (الباب الثاني) في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان (الباب الثالث)  
 في تقسيم أحوال أهل الارض وفيه خمسة أقسام وستة وثلاثون فصلا والمقصود فيه  
 ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب سفرى (الثاني) في مملكة تونس (الثالث)  
 في مملكة ايطاليا (الرابع) في مملكة فرنسا (الخامس) في قطر البحر - زائر  
 (السادس) في مملكة انكلتره (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر  
 مصر (التاسع) في مجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية  
 (الحادي عشر) في مملكة اسفنيه (الثاني عشر) في مملكة النمسا (الثالث  
 عشر) في مملكة الرومانيا وكل باب يشتمل على فصول حسب ما فيه من الفروع (الخاتمة)  
 فيما يذهب في الامة الاسلامية اتخاذ من زيادة بث المعارف ومائمه من الخيرات

❦

❦ المقدمة وفيها ثلاثة أبواب ❦

❦

## الباب ❦ الاول

❦ في السفر من حيث هو ❦

(٤)

## الفصل \* الاول

﴿ فيما جاء في ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر في كتابه العزيز بالسير في الارض للاعتبار والاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا في الارض في آيات من الكتاب المجيد وفي بعضها قال ثم انظروا في آخر قال فانظروا فسكان العطف تارة بالفاء وتارة بهم إشارة الى ان النظر والاعتبار كما يلزم في حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمل خاليين عن فائدة صحيحة في نظر الشرع فأولا يحصل النظر الاجمالي في حالة السير ثم يحصل النظر التفصيلي بالاعتبار عند الانفصال عنه حتى يستقر في النفس بغاية التروى ولا يخفى ان القاعدة اصولية عندنا هي ان الامر (للو جوب) وهو حقيقة ولا يصرف الى غيره الاعتماد القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير والامر بالنظر فكل واحد واجب غير ان الاول واجب اذ كونه وسيلة للثاني والثاني واجب مقصود لذاته وافادة ترتيبه على سابقه تحصل بكل من (الفاء) و (ثم) بيد انه تحصل بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتيب النظر على السير بغیر مهلة (و ثم) تفيد ترتيبه عليه بعده حتى يكمل رسوخه وبهذا تبين الوجه في العطف بهما ولا يحتاج الى ان الايمان (بهم) لافادة التفاوت بين مراقب الواجبين حيث ان أحدهما مقصود لذاته والاخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقنوي لأن هذا لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا لما ذكره ما عليه المهققون وان سبق قلم الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي الى ان الامر بالسير للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد قال غيرهم ان ذلك ينبوعه المقام اما أولا فلا أنه اخراج الامر عن حقيقته وأما ثانيا فلا وجه لذلك اذ اباحة السير للتجارة وغيرها في سياق الاغرام للجهاديين ثم يعطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا بابقه وأما ثالثا فقد تقرر في الاصول ان ما لا يتم الواجب الا به يـكـون واجبا فكيف يكون النظر في آثار المكذبين واجبا بدون سير فان قيل اننا لم نر في دواوين أصول الدين ان من واجبات الديانة السير كما ذكره الجواب ان معنى الوجوب معاقب بما اذا لم يحصل الاعتبار المغضى للاعتقاد الابالسة فر لانه يؤدى الى روية الآيات بالمشاهدة التي



(٥)

لهامن التأخير ليس لغـيرها أما إذا حصل الاعتقاد فلا داعي حينئذ لجواب  
السـفر وإنما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة في سياق المجاب للعائدين  
وكان ما ذكره هو الذي أدى بعض المفسرين للقول بان الامر لا باحـة وقد ذكر الغزالي  
في الاحياء ان السـفر معتبره الاحـد <sup>من الخمسة</sup> من الوجوب والنـدب والاباحـة  
والكرهية والحرمة لانه من الوسائل في اخذ حكم ما قصده وبأن ذلك ينافيا وإذا  
تقرر ان السـفر واجب لاجل الاعتبار فنقول ان المعتبر به أشياء منها ما دل عليه  
الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسـل ومنها ما دل عليه قوله  
تعالى ومن آياته اختلاف السـنة لكم والوانكم فان المسافر يرى من عجائب قدرة الخالق  
جل وعلا من اختلاف الطباع واختلاف الاشكال والهيئات واللغات والشمرة ما يضي  
بوجوب وجرد صانع ذلك المختار في أفعاله اذ لو كان الامر مستندا للطبيعة لمحات  
الخلق على هيئة واحدة في جميع ما تقدم مع اننا نرى الاختلاف والتباين تارة مع قرب  
المناخ وتارة مع بعده مع ان الارض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد  
السط لهذا في كتب الكلام (ومنها) ما دل عليه قوله تعالى قل انظر وماذا في السموات  
والارض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من الاجرام العلوية وكيفية وضعها  
وحركاتها كما أمر تعالى بالاعتبار بما خلق في الارض من الجمادات والنبات والحيوان وفي  
هاته الآية اجل المنظر وفيه وقد فصله في آيات كثيرة من كتابه العزيز لاستدلال على  
وجوده ووحدة نيته فقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى  
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى (الآية) فذكر ان الاجرام  
العظيمة المسألة قد بقي كل منها في مركز مخصوص من الجواهر حيزا تمايزه عن غيره  
من غير اضطرار ولا تلازم وليس لكل منها ما يعقد عليه من الاجرام المربوطة مع ان  
اجرامها هي في نفسها مربية على خلاف اليهود فلا بد أن يكون جميع ذلك لموجب  
أوجهه فان قيل ان موجهه هو وجود أعيانها وذواتها فهذا امر ذو وجهين (الاول) ان  
الاجسام متساوية في تمام المساهمة ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصول  
كل جسم في ذلك الحيز (الثاني) ان الخلائق لانهاية له كالا حياز المعترضة في ذلك الخلائق  
الصرف غير المتساهية وهي بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم معين في حيز  
لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز متساوية فثبت بهذا ان وجود  
الاجرام الفلكية في احيازها ليس هو لذاتها وإنما هو لدبر حكيم قادر خص كل منها

(٦)

بما شاء (ثم ان) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية اوضاعها  
 واشكالها انما يتم على اكمل وجه بالسير في الارض فما يرى منها في جهة القطبين لا يرى  
 من المناطق المعتدلة وكذلك ما يرى في احدى نصفي الكرة لا يرى من النصف الآخر  
 (ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذي مده الارض وجعل فيها راسي وأنهارا  
 ومن كل النورات جعل فيها زوجين اثنين يمشي الليل النهاران في ذلك لا يات لقوم  
 يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية اردفها بالدلائل الارضية  
 بالاعتبار بذات الارض وما احتوت عليه من عجائب قدرة الخالق الحكيم القاضية  
 بوجوب وجود صانعها فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحليل والآلات  
 الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زيفوا لهم كثير من خرافاتهم وبيدوا خطأهم فهو لا  
 حذاقهم قد أقروا بانه لا بد من خالق لما هو موجود اذا ما علون به كثير من الاشياء  
 قولهم الجاذبية والموائيس والطبيعية وغير ذلك قد صرحوا بانها اعمارات اصطلاحية  
 والافتقار لتقها أمور مجهولة تلتزم متبناها بالاعتراف بالصانع فن هؤلاء الحكيم المتبحر  
 فياكس لا روس وهو من مشاهير فحول علماء هم في القرن التاسع عشر المسيحى  
 حتى ان كتابه في الجغرافية الطبيعية الموسوم بالدراسة الاولية عليه مدار تدعيمهم  
 في المدارس وأختير للتعمير بليعلم ويعمل به في المدارس المصرية وقد صرح بهذا  
 في كتابه المذكور في مبحث الجو وكرة الهواء بقوله واذا فرض زوال الثقاق العمومي من  
 الهواء فانه يثبت في الفضاء الى ان قال لسن الحكمة الالهية اقترضت الاسن حفظ  
 الاشياء وضبطها في مواضعها الشاغلة هي لها بموجب قوة مجهولة ذاتها لانفعالها تسمى  
 بالجذب وهي كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه  
 وتعتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى المتولع بدراسة العلوم ان لا يأخذ بنظواهر  
 مثل هاته الحكامات العلمية التي يوضح بها سبب أو أسباب طبيعية مجهولة لحادث من  
 الحوادث فاذا قيل هناءه لان الاجرام تزن أو تثقل لانها مجذوبة لغيرها وانها جارية على  
 مقتضى قواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب (المخ كلامه) ثم ان الاعتبار باحوال  
 الارض المشار اليها في الآية الكريمة هي من جهات أولها هي مشة الارض وهي كونها  
 جرم عظيم حتى ان مقادير ما يصل اليه بصر الانسان منها ابراه مبسوطا مع انها هي كرة قال  
 العلامة الرازي بما معناه انه لا ينازع في كونها كرة الا من لا قدر له (وقد) ألف الشيخ محمد  
 بيوم الثالث قدس سره رسالة في ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقههاء

واهل

(٧)

وأهل الباطن وهما نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وازيادة فاما كلام الحكماء  
 فمنه ظهورا على الاشباح من بعد رمته ارتفاع الشمس والكواكب في جهات من  
 الارض بخلاف جهات أخرى حسبما حرر ذلك بموازين أخ. هذا الارتفاع وأما كلام  
 الفقهاء فقد ذكرنا في كثير من المسائل انه لا عبرة باختلاف المطالع في الصوم فيجب على  
 أهل المشرق برؤية أهل المغرب للهلال لان الوجوب معاني بشهود الشهر لطائفة  
 من الناس بخلاف الامساك والفطر فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان  
 الوجوب معاني بدحول الوقت للكلف وذكرنا في الصلاة ان بعض الجهات تطول فيها  
 الاوقات وبعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء في بعض الجهات الضاربة الى  
 أقاصي أحد القطبين وذكرنا في المواقيت اذا مات متوارثان في يوم واحد وزمن واحد  
 منه لكن أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فان المغربي يرث المشرقي اما ان وقت  
 المشرقي متقدّم في الوجود على وقت المغربي كلزوال مثلا وأما كلام أهل الباطن فقد  
 نقل عن سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ان ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد  
 فيها الحديث بانهم امن عند جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة قال ان ذلك خاص  
 بوقت صعود امام المدينة المنورة ولما كان ذلك الوقت لا يتحد في جميع البلاد من الله  
 بساعة انبي صلى الله عليه وسلم وجعلها مختلفا باختلاف صعود الائمة على المنابر من  
 ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما يتأني على القول بان الارض كوروية ولو كانت بسيطة  
 لما تاتي شيء من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت تظهر على الجميع في آن واحد ومن كلام  
 القطب سيدي أحمد بن عروس رضي الله عنه الصريح فيما نحن بصددده وهو من  
 أنواع النظم المسمى بالمحون قوله

واديها مثلها دلاعا تتكرب في جلة ادلاعا

ما دلخوها من طماعا ورماتم في بئر ما لوقاع

وهو صريح في تكويرها ودورانها على ما سيأتي وليس في القرآن ما يعارض ذلك اذ  
 مساق الايات لما يشاهد والمشاهد البسط في نظر العين ولما كان خطاب التكليف  
 بهاته الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على أسلوب يتدرج به  
 كل على التوصل الى قدر مدركاته هذا في مسائل التكليف العامة كالاستدلال على  
 وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بدخول اوقات الصلاة والصوم واشباه ذلك أما ما  
 يكمن في فيه بالاستفتاء من الغير فقد خص الله به الفقهاء (فقال تعالى) فاستلوا أهل الذكر

(٨)

ان كنتم لاتعلمون وهذا اصل نافع يجرى في كثير من الاشياء وقد بسطه الشاطبي  
 في موافقته (وثاني) الجهات المشار اليها في الآية الاستدلال بالجبال المعنونة عنها  
 بالرأسي فان عظم خلقها واختلاف أوضاعها واختصاص كل بمحور ودقاص بوجود  
 مدبر خصم ابتلك الحسالات ولو كانت بمجرد الطبيعة التي هي اسم بلا مسمى لتساوت  
 في جميع الحالات مع ان المشاهد هو اختلافها هذا بحسب الظاهر وأما مذاق النظر  
 فيماتحتة انبه مما تشمل عليه من أنواع الخضور والعراب والطين والمعادن فذلك أمر  
 يهرالعقول ويوقف الازهان ومن أراد الاطلاع على أسرار ذلك فليراجع كتب  
 الطبيعيات والكيمياء (وثالث) الجهات المشار اليها في الآية الاعتبار بالانهر واختصاصها  
 بأحوالها التي هي علمها ما يقتضي وجود مخصص لها والاغلب في نظم القرآن قران  
 الانهر بالجبال اشارة الى أن تكون الانهر بسبب الجبال امام النولوج المذابة منها  
 أو من منابع العيون المنفجرة فيها وكأن سبب كثرة هاته المنابع في الجبال هو ان الجبال  
 من أسبب جذب الانخرة والامطار وعلى قدر تشرب سطح الارض للياه يكثر في باطنها  
 اجتمعاها في الاراضي البسيطة تنصاعد تلك المياه انخرة لسهولة نفوذ البخار في اجسام  
 الارض المتخلطة بخلاف الاراضي ذوات الجبال فانها به لايتها تمفع نفوذ المياه بخارا كما  
 تحميمه من تأثير حرارة الشمس فلايزال الماء يجمع في طمعات الجبال الى ان يتكون منه  
 مقلد اعظم فيمنفد بقوة لانهاء على محاوله من الارض فتتكون منه الينابيع  
 والعيون وتسيل جداولا ونهيرات فاذا اجتمعت في حوض تكون منها نهر وعظم  
 ويصغر بحسب مايلتقي فيه من الانهر والينابيع (ورابع) الجهات المشار اليها في الآية  
 الاعتبار بما في الارض من الثمرات وانها كلها مثل الحيوان ذكر وأنثى وهذا التفسير  
 البين المحمول فيه الآية على حقيقة اللفظ من (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها  
 زوجين اثنين انما اطاعنا عليه من ترقى العلوم الطبيعية والفلاحية فقد تدبين بالتجربة  
 والمشاهدة وقرره جميع فلاسهة المتأخرين في كتبهم ان جميع أنواع الثمرات بل حتى  
 الزهور ايضا تشمل على ذكر وأنثى واذا افرد احدهما عن الآخر لا تولد الثمرة غير ان  
 بعض الأنواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على البزرا الذكر وعلى البزرا الانثى  
 وتتلحق مع بعضها بالريح وهو اشارة اليه (بقوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض  
 الأنواع تكون فيه شجرة الذكرفردة عن شجرة الانثى وهذا النوع الاخير كان معلوما  
 منه سابقا لبعض افراد كالفنل والتين لكن الاكن قدتحقق ان جميع الأنواع لا تنفرد الا

بالتلاقح

(٩٠)

بالتلاقي بين الذكرو والانثى حتى اذا تدبّع قطع أحد الصنفين من شجرة نشأ لهم ما وابقى نور  
الاسترجحاله ولم يكن في ذلك الموضع شجرة اخرى مثلها فان ما بقى فيها من النور لا ينمر  
وقد حرر ذلك وعلّمت علامات الذكرو وعلامات الانثى في كل نوع بحسبه فسيبان القادر  
الحكيم الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً بأوضح المعجزات فقد أنبأ بهذا  
منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عندما لم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلاً  
عن الامة الامة وهو أحد هالايقرأ ولا يكتب فلا شك أن هذا اغا هو بوحى من الخالق  
الذى يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولقد قد هذا الامر وغرابته قد اعترف منه قوا اهل هذا  
العصر بأن الحكمة قد فازت بها الامة العربية منذ بعث فيها رسولها واستند والمبا  
اشغل عليه القرآن من يدبّع الحكيم فان معرفة ككون الربح تلقي الاشجار لم تعلم عند  
الحكام الا في آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها ولهذا قال مستراح جنبرى (حرف ج  
ينطق به بين النام والشين) الانكليزى معلم اللغة العربية في مدرسة عاعة الفنون في بلد  
أكسفور واليكائنة جنوى لندرة ان اصحاب الابل قد عرفوا أن الربح تلقي الاشجار  
والثمار قبل أن يعلمها اهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً أقول وكذلك كون الثمار تمل  
على الزوجين وما ذلك الا بتعليم الخالق لا بواسطة ولا تعلّات ولا تجربات وتعليمات  
كيمياوية وبذلك يعلم حقيقة قول من قال ان القرآن لم يفسر على حقيقته وانما كانوا  
يدينونه على قدر ما نصل اليه العقول وعلى قدر الحاجة في الاحكام وبما تقدم يظهر أنه  
لا حاجة الى تأويلات المفسرين في قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين  
حيث جعلوا الزوجية على معان اخر كما ختلاف الطعوم والطبائع مما ينبوع عنه التأكيده  
بأنين فان ما ذكره لا يخصر في اثنين الا بالنظر للقابل وحيث تبين الحقيقة فلا داعى الى  
التأويل ويخالف ما قالوه من التأويل ويؤيد ما حورناه من الحمل على الحقيقة أن ما أولوا  
به لا يستقيم على غلط واحد في آيات القرآن العظيم الواردة في هذا المقصد كقوله تعالى  
في سورة الحج وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل  
زوج بهيج فان ما قالوه من اختلاف الطعوم أو الطبائع لا يطرد في جميع ما تنبته الارض  
بل فيها المتوافق في ذلك وان كان بحسب التشخيص مختلف الانواع بخلاف ما قائله فانه  
مع الحمل على الحقيقة هو مطرد أيضاً (وبما تقدم) يعلم وجه طلب العلوم الرياضية على  
ما سأى في محله ان شاء الله تعالى حيث ان التفسير المتقدم في الجملة الشريفة انما تبين  
بها كان تمام الآية اشغل على اشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الوجهة (الخامسة) من

## (١٠)

\* جهات الاعتبار المشار إليها بقوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدم أنه تعالى بعد أن ذكر في الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعدها الدلائل الأرضية ونسق فيها تعاقب الليل والنهار فجعله من الحوادث الأرضية فقال المفسرون لظهوره فيها وإن كان هو من متعلقات العلويات وهو الشمس وأعلم أن مسألة حركة الأرض أى هل هى التى تدور أو أن الشمس هى التى تدور هى من المسائل الظنية أعنى أن أدلتها ظنية وكثير من مسائل علم الهيئة هو على هذا النحو إلى الآن كمسائل الأبعاد بين الكواكب ومقادير اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتى ويشهد له أنهم كانوا مطمئنين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة فى سنة (١٢٩٣) كان اقتران الشمس بالزهراء يعنى أن الزهراء تمر حائلة بين الأرض والشمس فاعتنوا لذلك من قبل وأرسلوا العارفين إلى الجهات التى يمكن منها رؤية ذلك لتحرير الرصد بالأساليب المقرر وذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فإن البعد الذى حرروه أقل مما كانوا يحسبون وكذلك مقادير اجرام الزهراء ومن الجائز أيضاً ظهور الغلط فى هذا التحرير فى وقت آخر وحيث كانت المسائل فى هذا الفن ظنية اختلف العلماء فى أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والأرض فقد دما الفلاسفة ذهبوا إلى أن الأرض هى التى تدور والذين يذهبون إلى أن الأرض مركز للفلak وبدوران الفلك يحدث الليل والنهار وأن الشمس هى التى تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء واشتهر هذا المذهب وزاد انتشارا عندما انتشر هذا العلم وتهدب فى الأمة الإسلامية لما استعمل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشتهر من أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم أحبب المذهب الأول وأنا كدالات عن علماء العصر بهذا الفن وأنكره المنتسبون للعلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام وأن المذهب الآخر مصادم للنصوص والحق أن ليس شئ من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدارع عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار وأشياء ذلك واثبات جريان للشمس وأما كيفية فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين لأن المتأخرين يثبتون لها حركة رجوعية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضاً ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شئ مجهول كما أن هاته الدورة مجهولة المستقر أيضا وكانها هى المشار إليها بقوله (تعالى) والشمس تجري مسرورة لها

ذلك

( ١١ )

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتى بالقطر منه كالألبهام فيفيد أنه غير معلوم  
للخلاق ولهذا أوتى به مضافا إلى الشمس باللام فكان منه كرا ولم يقل مستقرها بالاضافة  
المفيدة للتعريف لأن ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين  
مقرون بذلك فهو (حيث نذكر) اجماعي يديننا ويدينهم ثم ان كون حدوث الليل والنهار  
هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير إلى عظمة الآيات المتقدمة فانه  
(تعالى) بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الأرضية وخط فيها  
الليل والنهار فيشير بذلك إلى أنهم آمن آثارا لارض لان وجوده ما وان كان يستلزم  
الشمس والارض معا لكن تخصه به بالانخراط في الدلائل الأرضية يدل على تعلق  
خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال  
يغشى الليل النهار فجعل الليل الذي هو ظلمة الارض يغشى به النهار الذي هو ضوء الشمس  
ففيه تلميح إلى أن الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة إلى ذلك  
أيضا (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا  
يغشيها فجعل النهار الذي هو مقابلة وجه الارض للشمس مجليا لها والليل الذي هو الظلمة  
الاصيلة للارض مغشيا لها فأسس مدفاعا على ذلك لغير الشمس بل لتفاعل آخر وهو الليل  
والنهار الذي هو من آثار الارض واذا كان هذا ثابتا فأي دليل من الآيات على طلوع  
الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجارى في اللسان  
(ثم اعلم) أنه لا يلزم من دوران الارض نفي السماء على ما يتوهمه غير المعارف لان  
السموات لا شك في وجودها للنصوص القطعية عليها غير أن جرمها غير معلوم لنا وانما  
نعتقد أنها اجرام شديدة هي بالنسبة لكل من على الارض فوقه كما هو المفهوم اللغوي  
للفظ سماء وانما ماهية اجرامها فإلله أعلم بها ونعتقد أنها سبع طبقات شديدة ثم طبقة أخرى  
تسمى بالكروسي ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شديدة أن لا يفتقرها  
المكوكا كبسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما أنه لا يلزم من سير المكوكا كب انعدامها  
حتى يقولون ان المكوكا كب معلقة في الفضاء لان ذلك متوقف على معرفة كونها وهو  
فوق عقولنا لان العقول انما تتوصل إلى المعهودات للحواس وما لا تعهده الحواس يعسر  
ادراكه على حقيقته ولهذا كان علينا ان نصدق الصادق ونسكل معرفة ذلك إلى خالقها  
فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه عند قراءته (لقوله تعالى) واكواب  
كانت قوارير قوارير من فضة مامعناه ان القوارير الزجاج الذي لا يحجب ما وراءه

(١٢)

والفضة اذا ارتقت ماعساها ان تطرق لانه كون الاكثيفة فهاته الفضة هي نوع آخر  
لانه علمه ونكل علمه الى الله بل الاغرب أن مثل هاته المسائل أقرب بها الحكماء الذين  
لا يعتقدون السريع فقد قال أحد حكماء الفرنساويين المتأثرين ما ترجمته ان للعقل  
حد محدود لا يتجاوزه كما ان للبصر حد محدود لا يتجاوزه فاتعاب العقل في التوصل  
الى معرفة كنه الاجرام العلوية وما هيئتها كانعاب البصر في أن يرى ما فوق السقف  
من أسفله فهو أبأنك أعنته بأعظم المراتب الكبيرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف حتى  
يرى ما فوقه (اه) ويمكن لنا أن نقرب لاولئك المتأثرين للسماء فهم موجودها على  
مقتضى علم الهيئة الذي هم عليه الآن بأنهم مسلمون بوجود ذرة الهواء محيطه بالارض  
وانها عظيمة شديدة حتى قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة وحاملة لا أكثر من  
ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك فان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخترق  
كيفها أراد الخترق لها فلم لا يجوز ان تخترق الكواكب السيارة السموات على هذا النحو  
ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلا عن سطح الارض نحو ستة عشر  
فريضا وهي في ذاتها مختلفة طبقاتها او ما فوقها ليس بخلو لانه لا يوجد في الكون خلو  
مطلق كما هو رأي قدماء الفلاسفة ومتأثرين بهم كما قرره الحكماء لا مروس في كتابه السابق  
ذكره فلم لا يجوز ان يسمى الشيء المجرى محددا ومن الفضاء بالسماء وما فوقه من حد آخر  
بسماء آخر وهكذا وان كنا نحمل حقا نقول انها لا تنع من سائر الكواكب  
في مناطقها ومن ذلك الارض فالارض التي يقع بها الاعتبار بالوجه المتقدم لا يمكن  
من زيادة الاعتبار بما فيها من اختلاف أقطارها حرا وريدا وسمارا وانهارا وجبالا وسكانا  
الاباسفر ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

## الفصل \* الثاني

فيما ورد في السفر من السنة روى السبطي في الجامع الصغير عن ابن السني وأبي نعيم  
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال سافروا  
تصوموا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن في السفر ثمنتين راجعتين الى  
الجسم زيادة على ما تقدم من الثمرات الروحية (الاولى) هي الصحة لما يشتمل عليه السفر  
من الرياضات البدنية اذ لا يخلو غالبه عن مشقة ولهذا رخص فيه من الرخص ما هو معلوم

في



(١٣)

في الفروع بقطع النظر عن العلة الباعثة عليه كما هو المذهب الخفي واتعاب البدن يفر  
صحته وأيضاً لاستنشاق المسافر الهواء السليم الذي هو أنفع للجسم من الأكل والشرب  
لان الإنسان لا غنى له عن التنفس في كل لحظة بخلاف الأكل والشرب لا مكان الصبر  
عليه حامدة ما (و بيان وجه احتياج الإنسان الى الهواء في كل لحظة للتنفس) هو أن الله  
قدّر بمحكمته تركيب الجسم الإنساني على أن يدع وجهه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفي  
من الغلظة فيعده هضم الغلظة في المعدة يتص صغوه في قناتين توص - لانه الى القلب بعد  
اجتماعهما في قناة واحدة وهو اذ ذاك في لون البياض وقيل الوصول الى القلب يصب  
ذلك في قناة دم الدورة الراجع الى القلب أيضاً ولذا قلب شكل صغبر يرى منقسم داخله الى  
قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم الى قسم علوي وقسم سفلي وينتهي ما حاذ فيه من فخذ  
يوصل بينهما الغطاء ينفتح وينطبق فالقناة المتقدمة تصب في الطبقة العليا من القسم  
اليسار ومن هنا ينفتح له الغطاء فيصب نقطة في الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء  
بسرعة ثم نقطة أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء ضربت جميع الانباض التي في البدن  
فكركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعف سرعة وبطء ثم يخرج الدم من القسم اليسار  
السفلي في عروق عظيم هو مجتمع عروق الانباض فيصعد الى أعلا ثم يتفرع منه فروع  
وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخرى أقل منها حجماً وهكذا الى أن يعم جميع لجزاء  
البدن وهي عروق الانباض وكلما انتهى نبض الى حدة يتلقى الدم منه عروق من عروق  
الشرايين التي لا تتحرك وهاتية وظيفة تراجاع الدم الى القلب فتكون عند اتصالها  
بالانباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم الى أن تصبح عرقاً واحداً فيصب في القسم  
اليمين من القلب الذي هو متقسم أيضاً مثل اليسار وحركته مثل حركته غير أن الدم يخرج  
من الطبقة السفلى منه في عرقين يوصلانه الى الرئة ولا يخفى أنه أي الدم اذ ذاك قد دار في  
جميع البدن ونقص من أصل كميته بما ترشحته العروق الى اللحم والعظم وقد تغسرت  
عناصرة فقل منه الاكسوجين وزاد فيه الحامض الفعهي حتى يتغير لونه فيصير مسوداً  
بعد أن كان أحمر فلما بقي على حالته لضرته بقاؤه في البدن لا يمكن حكمة الله تداركت هذا  
الملم باللطيف فجعلت الرئة تجذب الهواء الذي هو مركب في حالته سلامته الاصلية من  
الأزوت وهو أكثر اجزائه ولا يضر ولا ينفع الحيوان ذا الدم اذا كان مخلوطاً مع بقية  
الاجزاء ومن الاكسوجين الذي هو الجزء النافع للحيوان ذي الدم وأقل منه كمية  
الحامض الفعهي الضار للحيوان المذكور ومن شيء يسير من المسامح كونه بخاراً فاذا

(١٤)

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذى فقده ودفع فيه ما عنده من  
الحامض الفحمى المضى ثم أخرجه الرئة بالتنفس وأخذت هواً آخر لما ورد اليها من  
الدم أيضاً وهكذا فى كل لحظة وعندما يصفو الدم فى الرئة يرجوعه الى اعدائه ينبعث  
منه فى عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قدّمناه وهكذا  
(فسبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء  
أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجهه كونه السفر مضر للصحة لان الهواء فى الاماكن  
المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفحمى المدفوع بنفس السكان بخلاف الاماكن  
الغير مسكونة فان هواءها يكون أصفى وأنقى من غيرها والمسافر لا بد له من قطع مغاوير  
وبحار أفستنشق ذلك الهواء الحسن فيصفى دمه ويصح بسدبه بدنه كما قال (عليه الصلاة  
والسلام) وبما قررناه فى التنفس والهواء يعلم وجه كراهة النفخ على الماء والطعام شرعا  
لان الهواء المنفوخ به يكون حاملا لجزء كثير من الحامض الفحمى الذى هو مضر بالصحة  
واعلم أن ما قررناه فى حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر الى الغالب الكثير فلا  
يعترض عليه بأن هناك اماكن خالية عن السكان ومع ذلك هى ونجسة ما يعرض لها  
من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها سليما لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا)  
القول فى الغنمية أى الربح المالى اذ شأن المسافر الامتلاء على أحوال التجارة والسعى  
فيها فربح اذا سعى لها ولا يعرض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لقصده سياسى أو تنزهى  
أو بدنى أو غير ذلك اذ مدار حصول الثنى على السعى فى اسبابه

## الفصل \* الثالث

فيها ورد فى السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم أنه قد ورد فى مدح السفر كثير من كلام  
البلغاء والحكماء فلا نطيل بجوابه هنا ونقتصر على كلام الامام الشافعى رضى الله عنه  
حيث قال

تفرّب عن الاوطان فى طلب الملا \* وسافر فى الاسفار خمس فوائد  
تفرّج همها كتساب معيشة \* وعلم واداب وصحبة ما جد  
فقد جمع من فوائد السفر ما تشوق النفوس الى اكتسابه

الباب

(١٠)

## ال باب \* الثانى

في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان \*

### الفصل \* الاول

في النصوص الدالة على الجواز \*

لا خفاء أن الأعمال بمصايد هذا ما أن يكون السفر لمقصد صحيح شرعا كمن قصد مصلحة عامة أو مصلحة خاصة لا مندوحة عنها أو يكون لمجرد توسع في المال وتنزه على كلال الوجهين فالسفر جائز غير أنه يختلف حكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة أولا تبقى بانعدام المروءة وهاتين نقطتي ما طاعنا عليه في المسئلة في الفتاوى البيرية نقلا عن خط الشيخ محمد بريم الرابع ما نصه سئل جدي رحمه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة أم لا فأجاب بما نصه أما نفس ركوب البحر فإنه لا يمنع قبول الشهادة إلا عند ظن الهلاك وأما الذهاب إلى دار الكفر فيمنظر فيه للسبب الحامل عليه فإن كان مصلحة العامة للمسلمين أو خاصة بالذهاب كما إذا كان به مرض عجوز عن علاجه هنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه وإذا كان لغرض التجارة والاستكثار من من حطام الدنيا فهذا هو الذي تسقط به العدالة لهذا المخلص ما فهم من كلام أصحابنا كما في الوهمانية وشروحه والله تعالى أعلم انتهى وفي الفتاوى الهندية من كتاب السير بعد أن ذكر أن الرجل لا يخرج للجهاد إلا إذا رضى أبواه أو من يقوم مقامهما على التفصيل المقرر هناك قال وإن أراد الخروج للتجارة إلى أرض العدو فكرهه خروج (أي الأبوان) فإذا كان أميرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوما يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله في ذلك منفعة فلا بأس بان يعصاهما ثم ذكر مسائل تحوم على أن المدار في الجواز وعدمه على خامة الظن بالامن فإذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى الوالدين فتلخص مما تقدم أن السفر إلى أرض غير المسلمين جائز كيفما كان المقصد على شرط الامن وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتنزه عن الرذائل وسفاسف الأمور فإذا كان يقتحم الاخطار من السفر المذكور لمجرد تاني زيادة في القهينات كالتنم بالنظر أو بزيادة المال كان ذلك قادحا في العدالة وإن لم يكن محرما وأما إذا كان

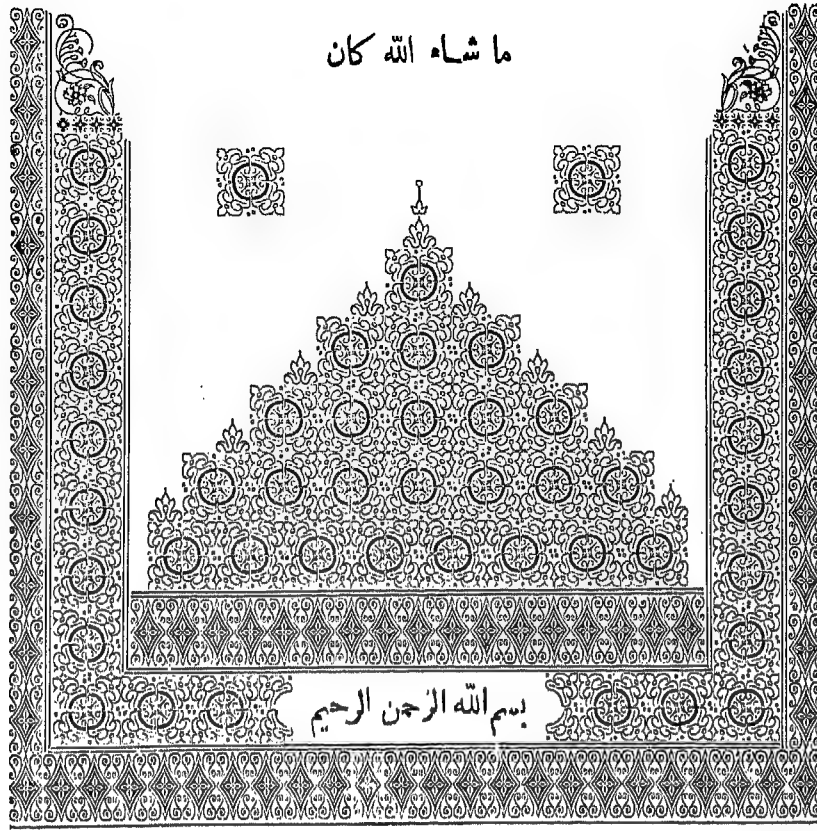
(١٦)

السفر المذكور لغرض صحيح ولولتجارة محتاج اليها له خاصة أوله ولغيره فهو مع كونه  
مباح لا يسهط العدالة أيضا بل له الاجر الاخرى اذا صبح النية وأخلصها التي هي  
أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الامن وهذا الشرط لا يختص بأرض  
غير الاسلام بل هو شرط أيضا في أى أرض كانت كما في حواشي الشيخ مفارقة على لامية  
الزقاق حيث قال أثناء الكلام على الامامة ما يفتاده ان الانسان ان لم يستطع كف الظلم  
والمعاصي تجب عليه الهجرة فاذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الاقدام على  
الدخول اليها والله تعالى يقول ولا تنفوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان الامن يعلم حصوله  
وعدمه من الباب الاآنى اذا اهل الارض الاآنى محتلفوا الصفات والاحوال

## الفصل \* الثانى

فى تطبيق الحكم على سفر العبيد الضعيف الى ممالك أوروبا باسيعلم من المقصد الوجه  
الحامل الى على السفر الى ممالك أوروبا وهو اما التداوى بعد العجز عن  
علاج المرض فى بلادنا أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة  
مما يسوغ السفر بلا سقوط العدالة واذا اعتبرنا ما حصل  
من ثمراته وأقله الحمل على جمع هاته الخلاصة فأنى  
أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتى  
ويعامانى بمحض جوده وفضله سيما  
والبلاد التى قصدناها من  
بلاد الاجانب هى تامة  
الامن كما يعلم  
من الباب  
الاآنى

القسم الثاني من  
الجزء الاول  
من صفوة  
الاعتبار



## ﴿الباب \* الثالث﴾

﴿في تقسيم أحوال أهل الأرض الآن﴾  
﴿وفيه سبعة وثمانون فصلاً﴾

اعلم ان الله جلّت قدرته قد قسم الخلائق في هاته الأرض وخالف بين عوالمهم واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع في أصول الاحتياجات كالطعام والملبس والوازع وقد قرب الجغرافيون سكان كرة الأرض من اثنتي عشرة مائة مليون الى ثلاثة عشرة مائة مليون وقسموا الأرض الى أقسام خمسة وهي (آسيا) و (أوروبا) و (أفريقيا) و (أمريكا) و (استراليا) وهي أقسام اعتبارية اذ الأرض واحدة وما فيها متقارب متماثل

﴿القسم﴾

(٣)

## ﴿ القسم الاول آسيا ﴾

اعلم ان القسم الاقدم عمراناً والاكثر سكاناً والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدراً للذيات الالهية وداراً للرسول (عليهم افضل الصلاة والسلام) ومنبع سطوع النور العظيم المحاوى للذات الشريفة المحمدية (عليها افضل الصلاة وأزكى التحية) هو قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة والقدس وهو يحده شرقاً خليج برنج والمحيط الشرقي وجنوباً المحيط الهندي وخليج فارس والبحر الاحمر وغرباً البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر مرمرا والبحر الاسود ونهر دون وجبال أورال وشمالاً المنجمد الشمالي وهذا القسم يشتمل على عشرين مملكة

## الفصل \* الاول

### ﴿ في المملكة العثمانية ﴾

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية في هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الاسلامية التي كانت تقسم واتحادها تحت ساطنتها ولشتمها على المحرمين الشريفيين ولان ساطنتها هو صاحب الحرمين الشريفين ولامة سداده على ممالك وسبعة اسلامية في أفريقيا كما ان لها في أوروبا ممالك واسعة فتألف من المجموع مملكة عظيمة تحتها القسطنطينية وتسمى فاروقاً لفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا ولفرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فمكان لها بهذا الموقع العظيم الاعتبار وسكانها نه القاعة مدة زهاء مليون ونصف وأقسامها هي المملكة هي الاناضولى وفيه آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والمجاز واليمن ولها في أوزبك قسم الرومى ولها فيه ولايات ممتازة وهي ايلة البلغار والرومى الشرقية وفيه جزائر البحر الابيض التي منها ماله امتياز كجزيرة كريدوس سيواس ولها في أفريقيا ممالك أيضاً وهي طرابلس ومصر وقونس وهاتان الاخيراتان لهما امتيازات خاصة في الادارة وتشتمل المملكة الآن في الاقسام الثلاثة من الارض على نحو اثنين وعشرين مليوناً عدى الممالك التي لها امتيازات فاذا انضم ذلك كان الجميع يناهز الاربعين مليوناً والذي يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليوناً وقد ابتداء تأليفها هي المملكة من سنة ٦٩٩ تحت سلطنة السلطان عثمان في أرمينية ولا

(٤)

زالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتدت الروسيا في حروبها وتدخلت الدول الاوروبوية نارة بالدفاع عنها وأخرى للاربع منها ولا زالت بين الدول لها اعتبار وحرمة كومتها شوروية في الرسم لكنها الآن تحت الحكم العرفي ولم تنزل سلاطينها يحضون على الامن في جميع انحاء المملكة وفي جميع انواع السكان الذين أغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليوناً وبقية أغلبهم نصارى على مذاهب شتى والباقي من ديانات مختلفة ولزادة توطيد الامن واجراء العدل أسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيرية في سنة ١٢٥٧ ثم أكدها ولده السلطان المهدي عبد الحميد بالقانون الاساسي الذي أصدره في سنة ١٢٩٣ ووقعه الله الميرضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتي ان شاء الله تعالى في المقصد وقوتها المالية والحربية تأتي في آخر المقدمة في جدول قوات الدول بحول الله واراذه

## الفصل الثاني

### المملكة الثانية هي مملكة فارس

وهي مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من خمسة ملايين الى سبعة ملايين سنة وشيعية ولها تقدم في الحضارة وبعض رجال دولتها هم الذين لهم معارف كافية في السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الآن الشاه ناصر الدين من آل البيت المطهرو وقد انتقلت الى الاصلاحات التي يقتضيها الحال لما شاهدته في أوروبا وغيرها عند أسفاره لها منذ استدعته الدولة النمساوية (في سنة ١٢٩٠) للحضور للعرض الذي فتحت فاجاب دعوتها كما اجاب السلطان عبد العزيز العثماني دعوة دولة فرانسا المعرضها (في سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار في سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندرة على طريق الروسية والمانيا رجع على طريق فرانسا ثم النمسا المدعو اليها ومن هناك توجه للاستانة واعلم السلطان بقصده لزيارته أرسل له بانحة جلية لسلطانية لركوبه وجندين مدرعين يحفانه وأرسل له فيها وزير البحر فركب الشاه البانحة من إحدى فرض ايطاليا بعد زيارته لمملكها فوصل الى جنات قلعة في يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فطلقت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر واقبله هنالك الصدر رشيد باشا في بانحة سلطانية ومعه سفير الشاه في الاستانة والى جزائر البحر

الابيض



(٥)

الايض وفي يوم الاثنين لاقاه في بحر مرمر اسفراء الدول في بواخرهم الرسمية ووجوه تجار  
الفرس في ستة بواخر آخر ولاقاه هناك أيضا فرقة من الاسطول العثماني فوصل  
في موكبه اليه الى الاستبانة من يومه وأرسي قبالة قصر بكار بيك المعد لنزوله فأطلقت  
له المدافع وتوجه السلطان للقائه في الباخرة ورحب به وآتته ولباسا مليا والمترجم بينهما  
ميرزا حسين خان صددردولة الشاه ثم نزلوا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع  
الاسطول العثماني ثم رجع السلطان الى قصره بباشا كطاش ثم زاره الشاه بعد  
الاستراحة وآتته وكان كل منهما هامة قلدا بنيدشان صاحبه وزيدت له سائر الدواوين  
الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما كدله مزيدا لالفه بين السلطنتين  
ثم عاد الى بلاده وأخذ في فتح الطرق للتقدم لكن السير فيها بطيء ثم عاد الى أوروبا سنة  
(١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمي وزاد اسقبصارا فيميا ينبغي اتخاذه  
وشرع في شئ من التنظيم سنة (١٢٩٦) تداركها بحيط به سياج الحفظ لانه ومما كتبه  
التي أخذت منها الروسية باقسيما عظيمي في أواسط القرن الحالي وهاته المملكة حكمها  
الآن استبدادى مطلق غيران مالا باعث عليه من الجزئيات يجري فيه المحكم الشرعي  
الاسلامي والغرباء لهم الامن من جهة الحكيم اذ ادخلوا المدن العظيمة منها وحلوا فيها  
﴿أما غيرها﴾ فلا طمأنينة فيها الا اذا أخذ المسافر وصيات من رؤساء الحكام أو خفراء  
له ودخل هاته الدولة وخرجها يأتى ان شاء الله تعالى

## الفصل \* الثالث

﴿المملكة الثالثة هي مملكة أفغانستان﴾

وموقعها شرقي فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقر المملكة الغزنوية  
ثم السلجوقية ثم استقلت بولاية أحمد شاه في القرن الثاني عشر ثم دخلت تحت السيادة  
الذكر ثم استقلت في عشرة السبعين بعد الالف والمائتين باعانة الانكليز وسكانها نحو  
الستة ملايين وقيل ثمانية والاول اقرب اكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة  
العامية هي الاسلامية السنية والحكم استبدادى مطلق ولا راحة نستقر فيها لكثرة  
الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستى روسيا والانكليز فيها حتى اغتر  
أميرها وحارب الانكليز فوقت المملكة في قبضتهم وخذلتها روسيا حيث تم لها جل

(٦)

قصدها من حرب سنة ١٢٩٤ بتسليم الانكليز لها ومن عادات هاته المملكة أن يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير منتظمين ولا يتقون في الخدمة العسكرية الا نوبا والاهالي تقوم بهم فان كل مقاطعة أو ولاية عايم مقسمة الى عدد من العساكر بما يلزمهم ثم هم يقسمون للوازم على ما يقتضيه الحال فأصحاب الاله لا يقيمون بالخيالة ونيرهم يقومون بالمشاة \* وأما الطوبجية \* فتم خيالة ومنهم مشاة وكلهم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجري لهم مرتبات وحدث في جندهم بعض تنظيم على النوع الجديد منذ مدة قريبة وتقدير دخلها مجهول

## الفصل \* الرابع

المملكة الرابعة هي مملكة بلوچستان \*

وتسمى سابقا بالسند أى داخله فيه وموقعها جنوبي المملكة السابقة وعدد سكانها نحو المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كبلات والديانة الغالبة هي الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كأنها بالنظر للغالب اسم بلا مسمى حيث كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء يفخر به سيما في الاقوام المشركين الذين بقوا في الجبال فهم لا يتقون ههنا للمسلمين وحيث كانت أراضي هاته المملكة رديئة وهوائها ردي \* وتجارتها قبيلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا باستمالة رؤساء القبائل اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وبما تقدم يعلم حال هاته المملكة

## الفصل \* الخامس

المملكة الخامسة هي مملكة الهند الانكليزية \*

وموقعها على شاطئ البحر المحيط الجنوبي الهندى وتنوغل في داخل القارة الى جبال هملاى وهي محاذة للمملكتين الاخيرتين في الذك من شريقهما وهي مملكة عظيمة جدا تشمل على ما ينوف عن المائة والتمسين مليوناً من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين مليوناً وازدادوا في السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليوناً بدخول الاهالي في دين الاسلام طوعاً عند وقوع المناظرات الا في ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزي غير أن بعضهم لهم استقلال في ادارتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمرأه وعددها الممالك

المتنازعة

(٧)

المتأثرة ثمانية عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الحبيبة على وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت في القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك طوائف يتناصرون على مدى الزمان سيما بعد ضعف المملكة الاسلامية هناك عند انقراض دولة السلطان محمد شاه في اواسط المائة الثامنة هجرية الموافقة للمائة الرابعة عشر مسيحية فن ذلك الوقت تزايدت المناقشات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم الى طوائف صغار مع ان نفس اجسامهم وخلفاتهم ليست بمسعدة للحروب والانتداب لانهم اناس نحاف الاجسام فيميلون الى الراحة والتعم باللباس الرائقة والمأككل الخفيفة والاسمكة كما من المال والمجوهرات لا سيما أهل الاقطار الجنوبية بحارة أقاليمهم يقربهم من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت ساطة الافغانستان متواليه عالمهم من غربيهم وشمالهم فداموا على تلك المحالات التي شعثت منها نفوسهم وصحروا أشد الضجر لما ينهط اطبا عاهم وقد كان أهل البرغال من الاوروبوا بين فتحوا السير على طريق رأس الرجاء الصالح من أوروبا الى الهند ودومكوا بعض مراكز في تلك الجهات سنة (٩٠٣ هـ و ١٤٩٧ م) ثم قلدتهم في التجارة غبرهم من الاوروبوا بين حتى عقدت شركة انكليزية للتجارة في الهند وعينت اولافينتين عظيمين شرعيين ومحتويين على قوات دفاعية للخوف مما عساه يطرأ عليهما من تجرى أهل تلك الاقطار الذين كانوا يجملون تفصيل أحوالهم بعد المسافة وطول الطريق الذي هو رأس الرجاء الصالح وكان هذا في سنة (١٠٥٣ هـ و ١٠٦٤٠ م) فنفقت التجارة الانكليزية هناك وكثرة خلطة الانكليز بالاهالي وتعرفوا أحوالهم بميسهل لهم التدخل في سياستهم وتدخلوا فيها واليه دللتك الجمعية التجارية الى أن وقعت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة (١١٥٩ هـ و ١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسي وأبطال التمركة وتسلط الانكليز على بعض الشطوط الهندية مع النفوذ والوجهة في غيرها حتى ان بنباي أعطيت من الهند مهر السكاترينه زوجة كارلوا الثاني ملك الانكليز في عشرة السنتين وسبع مائة وألف أى حدود سنة ١١٧٥ والممالك التي استولت عليها دولة الانكليز بدون واسطة الشركة التجارية هي الممالك المعروفة بحكومة الخلقان ومنها جزيرة سيلان التي هي في الجنوب الغربي من الهند وسكانها نحو ٢٣٧٥٠٠٠ وكذلك جهات الخلقان فجميع استولت عليها دولة الانكليز بلا واسطة ولهذا كانت ادارتها هناك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة الخلقان ادارة مفردة تحت حاكم عام له

(٨)

محاسن شوري ومحاسن نواب للنظر في مصالحهم وتاليف ما يصلح بهم من القوانين وأعضائه  
هم كل ذى وظيفة في تلك الحكومة من الاهالي وأعضاء آخرين الانكليز بين توظيفهم  
الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لالوزير الهند ويخاطبه بدون  
واسطة الحاكم العام في الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة  
المارذ كرها ولم تنزل سيطرة الانكليز تنقدهم هناك حتى استولوا على بنغال في سنة  
( ١٢٧١ هـ ١٨٥٧ م ) وازدادت حينئذ السطة تقويا ونفوذها وامتدت في تلك  
الممالك حتى دخلت في حوزتها جميعها من غير كبر مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة  
هائلة من الاهالي وأوقعو بالانكليز بين الذين هناك أشبه دوقعة في سنة ( ١٢٧٤ هـ  
و ١٨٥٧ م ) حتى آيس الانكليز من تلك الممالك وأيقنوا بتهافتهم منها لولا اغترار  
الافغانستان ومعارضتهم للانكليز على قهر الهند ودفقهم وقتلوا منهم من خلائق  
لاتحصى ومثلوا بهم من شرملة وعادات السطة الانكليزية سطة تامة ولم يحصل  
للالفغانستان الا التساطع على سياسته وما كانه بماليم يستقرمه قرار الى الآن ثم ان  
الانكليز لقبوا بالملك انكليز بامبراطورية الهند في سنة ( ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م )  
وعقدوا له في الهند دموكا حافل لم يسمع بنظيره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت  
ولاية الانكليز وحيث كان من الجهابث بمكان رأينا أن ثبت هنا ما ذكره أحد مراسلي  
الصحف العربية في شأن ذلك الموكب ونصه يبينها الناس في فترة واذا بالانكليز اخترعوا  
طريقة أن تحت جنلة فوائدهم ولعيتهم وهالك بيانها تفصيلا وهي تلقيب بالملكة  
الانكليز بامبراطورة الهند فالهـ اذا أجمعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن أمراءها  
في بلدة دهلي التي كانت قبل ان تحت ملك ملوك الهند فبعد ان حضر جميع هؤلاء الملوك  
والامراء وأهل الثروة العظمى ونصبوا خيامهم الفاخرة خارج البلدة كرت الناس من  
كل فج عجمي ق الى دهلي ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن  
غصت المدينة بالناس وصار الملح الذي أبحرته عادة في الشهر رخس روبيات مائة روية  
والهجة التي تكرر عادة بربع روية بعشرة روبيات فكان السماء أمطرت والارض  
أنبتت بنى آدم فان شارع دهلي عرضه أربعين مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه  
من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلي بواسطة سكة الحديد فانهم تشعبوا  
في جميع أقطار الهند كمنشعب عروق الجسد وهـ هذه الجمعية الكبرى تسمى بانة أهل  
الهند بلد ربار في جميع ما شاهدته في هذا الدربار يجتلساني عن بيانه وقلبي عن حسابه

وانما

(٩)

وانما أشرع لك فصاين (أحدهما) في كيفية دخول حاكم دار الهند إلى دهلي وكيف  
استقبلته ملوك الهند وأمرأؤها وكيف مشوا في صحبته وانقادوا في موكبه وخلف ركابه  
﴿والفصل الثاني﴾ في صورة الجلوس أي هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم  
خطاب امبراطورهم وكيف تلقوه بالاحتفال والقبول ﴿أما الفصل الأول﴾ فهو أنه  
في السادس من ذي الحجة سنة (١٢٩٣) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر  
الانسكازية البيض وهم في أحسن الملابس وبغاية النظام في الطول والاسطوانة من  
محطة سكة الحديد إلى محل قيام المحاكم دار وهو مسافة ثمانية أميال وارتدوا من طرفي  
السوق الكبير من الجانبين فبعد الساعة الثمانية سمعنا صوت المدافع ايذاناً بوصول  
المحكمة دار وشرع أول الموكب في المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل جربغاية  
الجسماسية على لون واحد وسروج بلون واحد ولأس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو  
الجسماسية ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الجسماسية على خيل بيض جسام كنظام ما قبلها  
ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الجسماسية على خيل شهب في غاية الضخامة كنظام  
ما قبلها ثم أعقبتهما سرية أخرى خيالة نحو الجسماسية على خيل بلق كنظام ما قبلها ثم حابة  
أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم وثم إلى أن مر نحو خمسة آلاف خيال  
جميعهم بغاية الأبهة ثم أقبات الطوبجية ومعههم مائة مدفع خلف بعضها في غاية الضخامة  
وحسن النظام وحسن الآلات والعدد مع كبر الخيل وحسن هيئتها ثم أقبات سرية  
الغيلة وأولها فيل عجيب الشكل أطنه أعلاف في أرض الهند وناباه زان عن شقيقه  
نحو ذراعين وعاميهما أطواق من الذهب حليلة له وعليه تخت جسيم جميعه من الفضة  
الخالصة ورنحت طويل إلى الأرض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ايتون حاكم دار  
الهند وهو رجل ضخيم الجسم أجمر اللحية وكان على يساره زوجته وخلفه فيل مثله  
في الحلية عليه بنمان صغيرتان وخلفهم نحو عشرة أفيال أقل من الفيل الأول في الحلية  
وعاميهم أتباع ذلك المحكمة دار وخدامه ثم أقبات أفيال آخر نحو العشرة وجميعها بالخي  
الفاخر وعاميهم - المحكمة دار مدراس وأتباعه ثم حابة أفيال آخر نحو العشرة وعاميهم  
حكم دار بمباي وأتباعه ثم سرب أفيال آخر نحو العشرة وعاميهم - المحكمة دار لاهور ثم  
أفيال آخر عاميهم - المحكمة دار السند ثم فرقة أفيال آخر نحو العشرين وهي مركوب  
سلطان حيدرآباد وأتباعه ورنحت الفيل الأول منها مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال آخر  
نحو العشرة عاميها واجاجيت برا وزراؤه (وهكذا) ثم أقبات أفيال خلف آخر عليها

## (١٠)

ملوك الهند والراجات وعددهم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحكة دار بعناية  
الوقار والزانة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافال في ذلك الموكب نحو ألف  
ومائتي فيل وليس فيها كلها اعلام من فيل الحكة دار (وهكذا) انتهى الموكب الذي  
لم يسمع بمثله منذ نزل (آدم عليه السلام) على جبل سرنديب ولا اظن أنه سيحصل مثله  
وكان مبدؤ مروره من الساعة الثانية افرنجية الى الساعة الرابعة وانما قلت ان هذا  
الموكب لم يسمع بمثله لانا سمعنا ان ملكا من ملوك الهند المتقدمين اطاعه جميع  
النواب وجميع الراجات بدون توقف ولا مخالفة ولا توان أو أنهم مشوا خلفه في موكبه  
وتحت ركابه وهو جالس بالتمائم على فيل أعلا من جميع افيال الدنيا وجميع الملوك  
ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة واذا أمكن لاحد قيصرة أوروبا والعظام وملوكها  
الفخام أن يحضر اليوم عسكر مثل هذا العسكر ومدافع مثل هاته المدافع فن أين له ألف  
ومائتا فيل لتتقاد خلفه وعلى رأسه عيون ماسكا فوالله لو لم يكن للانكليز في الشرق خفر  
الاهذا الموكب لكانهم (الفصل الثاني) في صورة الجلاسة أي كيفية اجتماع الملوك  
وكيف ألقى عليهم الحكة دار خطاب امبراطورهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان  
ذلك يوم (١٤) ذي الحجة سنة (١٢٩٣) وهيئة نصف دائرة جنوبية ونصف دائرة  
شمالية وجميعه مسقف بالقمش وبين الشطرين طريق فاصل لارور فالنصف الجنوبي  
عليه ملوك الهند أرباب التيجان وهو عبارة عن دكة مرتفعة بدرجتين عرضها نحو أربعة  
أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسي الملوك مصطفة بحسب رتبهم والنصف  
الشمالي هو سيمان بينهم حائط فاصل وارتفاعه أربعين نحو أربعة أذرع وله  
درجات للجلوس وفي وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو أربعة أذرع مساحتها خمسة في خمسة  
ولها مرقاة للصعود عليها فهذه الدكة الوسطى جالس عليها حكة دار الهند ودووجهه الى  
جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذي على يمينه جالس عليه الانكليز المتفرجون  
أرباب المناصب والربع الذي على يساره جالس عليه أعيان أهل الهند وأمرؤها غير  
أرباب التيجان وهم المدعون للحضور وقطر هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة  
أخرى كبيرة خالية عن الناس لها حائز من درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام  
وبين بحاس الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذراع ومن  
حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز نظاما وحيالة مرتصين في ذلك الفضاء وعددهم  
بالقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض ومسافة ما بين المجلس

وما

(١١)

وما بين دهلي ستة أميال في صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل الفتح فالانكليز  
 فتحوا دهلي من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس المتفرجون من كل فج عميق  
 ما بين ماش وراكب حتى ملؤا ذلك الفضاء فصار من يده تذكرة العزيمة يدخل  
 في الدائرة الداخلية ومن ليس يده تذكرة يقف خارج الدواوين الخشب في الساعة  
 الثانية عشرة أقبل حكم دار الهند وهو لباس من فوق السترة والمبتلون حبة واسعة  
 الاكام وطويلة الذيل وهي أشبه بالفرجية التي تلبسها كبار العلماء بتصرف ولونها  
 رمادي وجي مع أطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكماء أزواجته ومن خلفه ابن السلطان  
 ليكنه نوابي سلطان ينال في صورة خادمين فلما سدد على درج التخت رفع  
 الغلام أذبال جبهة عن التراب الى أن اسست فوق التخت فجلسا معاً على كرسيين  
 صغيرين خلفه وجلس هو على كرسي مذهب وزوجته على يساره ثم أخرج الحكماء  
 من جبهة ورقة عين أعطاها محل الانكليزي جهوري الصوت فقرأ الاولى وهي باللغة  
 الانكليزية وتضمنها ان الملكة اقبلت بامبراطورة الهند وان جميع الامم ارتضوا  
 بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهي باللغة الهندية وتضمنها مثل الاولى فعند ختامها قام  
 جميع ملوك الهند وصاحوا ببارك الله لها في هذا اللقب ونحن ايضا جميعا راضون بذلك  
 فأطلقت المدافع من طرف عساكر الانكليز ومن طرف ملوك الهند واشتعلت آلات  
 الموسيقى بأحسن الاطمان وانفض المجلس في الساعة الواحدة فكانت مدة جلوس  
 الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكماء وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم نورت جميع  
 المائدة ليأتين جرى فيهما من ألعاب البارود ما يهز عن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند  
 الى الدرب ان كل ملك قدم بعساكره من أبناء جنسه وبعدها فملا وصلوا الى محل  
 المجلس دعت الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكماء ودارو وقفت عساكرهم  
 وأفياتهم خارج الدائرة وعددهم نحو التسعين مائتا وهم مرتبون بحسب العدد  
 (وهكذا) المدافع التي كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعفى انه عند قدوم ملك  
 حيدرآباد على قلاع الانكليز أطافوا له واحد وعشرين مدفعا وراجا بروده كذلك  
 ومثلها راجا جيتبور وتسعة عشر لاجا كشمير وثلاثة عشر لنواب رامبور غالب على  
 خان لان رتبته بالنسبة لا قرانه هي العدد الثاني والخمسون (وهكذا) يتقهقر العدد  
 في مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجانه اذ لم يطلق له سوى سبعة مدافع فكانت كثرة  
 الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ابرادهم واتساع دائرتهم بالحريفة والتصرف المطلق

(١٢)

\* وأكثروا ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فلم يزدوا منهم خمسة عشر ملكاً ثم إن الانكليز  
 \* استعادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (احداها) انهم جعلوا أهل الهند وملوكها  
 رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وطريق التغلب كما مر في الأزمان السابقة  
 (الفائدة الثانية) انهم جمعوهم ليختبروا حالهم من جهة المال والقوة العسكرية وهل  
 عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولاً فوجدوهم على الحالة الهمجية القديمة  
 في الأسلحة وآلات الحرب حتى ان بعضهم كان لعساكرهم البنادق والفتيل أى المشادلى  
 وبعضهم يحمل القوس والنبش والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخوذ على العادة  
 الجاهلية فاطاعوا على قوتهم وعرفوا انهم ما داموا يجهلون الأسلحة الأوروبية  
 فلا يمكن للخناس الذى وسوس للصرب ان يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) أن تجار  
 الانكليز يجحوا من هذا الدربار عشرة ملايين ليرة لحصل عنه من رواج التجارة  
 ونفاق السلع حتى فاق على معرض باريس في زمن نابليون حيث جلب اليه من كل  
 قرية ونادرة وعجيبة فان عدت ذاك رسكة الحديد التي بيعت الى السفر الى دهلي باغت  
 نحو مليوني تداكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلي مثل أهل كاكوتيه  
 وأهل مدراس وأهل السند وأهل بمباي وأهل بنارود وكان بعضهم يركب في الدرجة  
 (الاولى) وبعضهم (في الثانية) وبعضهم (في الثالثة) فالدرجة (الاولى) أجرة تسفحو  
 (عشرين) جنهما والدرجة (الثانية) أجرة تسفحو (عشرة) جنهما والدرجة (الثالثة)  
 سفحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل في الكثير والقريب في البعيد كان المدفوع من  
 مليوني نفس ثمانية ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضر واذا لك الدربار اتمته الا لا امر  
 الحكمدار ما عدى ملكة تجاور فانها اعتذرت بأنها في حالة الولادة ونواب وأمير  
 وغالب على خان فانه تعال بأنه مريض بداء البرص وأنه لا يمكنه الحضور في مجمع الملوك  
 \* لئلا تفرط باعهم منه (انتهى) ثم زارت تلك الملكة ولي عهد ملكة انكليز واحتفلوا به  
 وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية يأتى الكلام عليها في الكلام على معرض باريس من  
 المقصد ثم ان استيلاء الانكليز كما تقدم كان شديداً فشيئا فشيئا بعض الملوك والأمراء سلموا اليه  
 السيادة وابقاهم على ولايتهم عنه مدقصة لهم بالحرب وأبقى لهم ما يكون من المال  
 والمجوهرات في خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف الحق في بيد الانكليز سواء  
 كان في الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فكل عساكر تحت أمره وكثيرا ما أتى

العساكر



(١٣)

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للارباب  
 لكن للملوك الابهية والاسم بحيث ان التصرفات تنسب اليهم بالاسم كان بعض  
 الملوك والامراء طلب الدخول لاراي العواقب آيلة اليه فلذلك لم تنزل الى الآونة  
 ممالك مستقلة بارادتها تحت ولايته فنهاما يؤدي له نواجا ومنها ما يأخذ الملك وحكومته  
 مقدار ما يكفي للقيام بمصالحهم وما بقي يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو  
 ما سبق وقد قسم الانكليزية تلك الممالك الهندية عدى حكومة الحكان المتقدمة الى  
 (ثلاثة) اقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغال وقاعدتها كالكوت وهي مقر  
 الحاكم العام ويقع هذا القسم من الممالك المتنازعة بالادارة (احدى عشرة مملكة  
 فاولها) مملكة نيزام وهي واقعة في وسط ارض دكين بين مملكة بنباي من غربها وبين  
 مملكة مدراس من شرقها وتحت هاته المملكة مدينة حيدرآباد التي سكانها نحو  
 اربعمائة الف نفس والانكليزية ساكنون في بلدة صغيرة من غربها تسمى سكندرآباد  
 وبهاته المملكة باد تسمى اهور بها معابد عجيبة تحت الارض دالة على مهارة هندسي  
 ذلك العصر عندهم وسكان هاته المملكة نحو عشرة ملايين ومائة الف من الهند وله  
 زيادة استقلال في ادارته على ممالك التابعة للانكليزية ويؤدي لهم نواجا معينا سنويا  
 وهي مملكة اسلامية (وثانيها) بوندليكوندو بهاء عدة خانات كل خان يحكم على  
 قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هاته المملكة الموزعة على الخانات نحو ستة ملايين  
 والكل خان مركزه وتحت حكمه (وثالثها) مملكة بوبول ولها ملك ايضا وسكانها نحو  
 ستمائة الف وسبعين الفا وتحتها بوبول (ورابعها) مملكة شنديا ولها ملك ايضا وسكانها  
 نحو مليونين ونصف وفي هاته المملكة باد او جين التي تعبرها الهندو مبدأ خط الطول  
 وتحتها كوالير (وخامسها) مملكة هلكار ولها ملك ايضا وسكانها نحو ستمائة  
 ألف وتحتها هندو وهاته الممالك الاربعة الاخيرة في الذكرك كانت هي مملكة  
 المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجا بوتان ولها ملك وسكانها نحو سبعة ملايين  
 وتحتها اوديبور (وسابعها) مملكة بهوبال ولها سلطانة اسلامية بالوارثة لثلاث من  
 آياتها وزوجها مباشر للتصرفات بالنيابة عنها وهور جل عالم كاذ كرنا في غيرها هذا  
 المحل وسكانها نحو ستمائة الف وتحتها بهوبال (وثامنها) مملكة لادك ولها أمير  
 وسكانها نحو مائة ألف وسبعين الفا من الانفس وتحتها لادك (وتاسعها) مملكة  
 بدستان ولها ملك له زيادة امتياز في الادارة وسكانها من المسلمين وقاعدتها على نهر

(١٤)

السند تسمى اسكرودو وتسمى هاته المملكة أيضا ببلاد البلتسي (وطاثيرها) مملكة  
 كاوودوهى صغيرة وعدد سكانها قليل ولها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيرمور مثل  
 المتقدمة عليها وتحتها فحمين (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى  
 ويتبعه من الممالك المتنازعة خمس ممالك (وأولها) مملكة كاش وتحتها بوهيج  
 (وثانيها) مملكة كانبي وتحتها كانباى (وثالثها) مملكة اكوى كوا وسكانها  
 نحو مليون وثمانيائة ألف نسمة وتحتها باردوه (واربعها) مملكة ساوندوارى وتحتها  
 ساوندوارى (وخامسها) مملكة كولابور وتحتها مدينة كولابور (والقسم  
 الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدراس ويتبعه من الممالك المتنازعة اثنان  
 (وأولها) ميسور وتحتها ميسورا وسكانها نحو ثلاثة ملايين (وثانيها) مملكة  
 اتراونيكوروع. عدد سكان هاته المملكة مليون وثلاثة مائة ألف نسمة وتحتها بالداثريقان  
 ديمراولكل حاكم مستقل بامتياز فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فالتقدم هى الاقسام  
 الكبرى التى اكمل منها اقسام صغيرة أخرى تحتها وممالك متنازعة ترجع اليها كما انه يوجد  
 أربعة اقسام صغيرة ليست داخلية تحت الاقسام الاولى وثمانيها ادارة منفردة تحت  
 نظرا لحماكم لعام الانكليزى وهى اقسام أربعة داخلية بتا تحت الانكليز وادارتها  
 ييدهم مثل الاقسام الكبرى وهاته الاربعة اقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال  
 الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة  
 بالولاية الوسطى كما تتبع ممالك الهند الانكليزى مملكة كشمير لكن الما  
 كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسبب ائى الكلام عليها والممالك المتنازعة ان كانت  
 اسلامية فرئيسها يلقب بنائب لانهم فى السابق كانوا نوابا لسلطان المسلمين الذى تخضعه  
 بالمدد هلى وان كانت الممالك غير اسلامية فرئيسها يلقب براجا هذا (واما كيفية)  
 الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع الى  
 حاكم عام انكليزى يرتبط مع دولة انكلترا بواسطة وزارة الهند فى لوندون ثم هو فى نفسه  
 قد وظيفته دولته بهذا الاسم فى (سنة ١٢٧٥) هـ و (١٨٥٨ م) ورتبت للهند  
 قانونا خاصا فى مهمات كلياته أن الحاكم العام له النظر العمومى الى اقسام المملكة كلها  
 وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من اعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن  
 أحد كبراء الالهالى وهذا المجلس والرئيس عليه الذى هو الحاكم العام تحت احتساب  
 مجلس الندوة فى لندون ومسؤول له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند

في

(١٥)

في لندره وله في الوزارة مجلس عدد أعضائه خمسة عشر وكان تباين ومن حقوق مجلس الهند  
 المذكور إنشاء القوانين العامة في الهند وتنظيم الادارة السياسية والعسكرية وإنشاء  
 الاحكام العامة وما ينشؤه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الهند في لندره بصيرهم ولا  
 به في مسائل الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس  
 شورى مركب من اعيان الاهالي وأعيان الانكليز تحت رئاسة الحاكم ومن وظائف  
 هاته المجالس إنشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبه  
 نظره هو ومجالسه فيها والنصديق عام يرفعها الى الهند ويندره كما تقدم كما ان للمجالس  
 الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام في قسمهم والنظر على الضابطية  
 المكلفة بالامور السياسية والاحوال العرفية ولهم النظر على الملوك والامراء الراعين  
 الى قسمهم كما ان الحكام هاته الاقسام المقيد تصرفهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة  
 القوة العسكرية ثم لكل قسم ولايات فرعية ومنها المسالك والامارات المستقلة وكل من  
 هاته الولايات لها مجالس ادارة تحت رئاسة الوالي أو الامير أو الملك ويتصرف بمشاركة  
 نظر المجلس في الادارة السياسية والمالية والعسكرية والمتوظفون يكونون بحسب أهالي  
 الولاية امام مسلمين فقط أو هنديين فقط أو مختطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء  
 سواء كانت حكومية أو سياسية أو مالية يمكن رفعها لمجلس القسم الراجعة الولاية اليه وله  
 تحقيق النظر في المنازلة على قواعدهم في ذلك وهكذا الاحكام الشخصية في كل  
 ولاية لها مجلس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهاته القوانين قواعدها الكلية هي  
 قواعداً احكام الانكليز غير ان لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف  
 المتعارف فيها أمّا ما يرجع الى الزواج والارث والملك فان الاهالي تجري عليهم احكام  
 ديانتهم بواسطة مجالس من أهل الديانة ويمكن رفع احكامهم الى مجلس الولاية ومنه  
 الى غيره الى ان ينتهي الى المجلس العام والديانات التي لها متوظفون هناك من الدولة  
 هي الديانة الاسلامية والبرهانية وما أشبهها من الديانات المجوسية والوثنية ولهم  
 نرافات مبسطة في مكتب الكلام والسكان الا ان محتاطون من عسرب وفارس  
 وأوروبا وبين وهنود أصليين والمعارف عندهم الا ان في تقدم سيما العلوم الكيمياء و  
 والحكمة لفتح الانكليز هناك المدارس مشتملة على ما في أوروبا من المعارف واقتدت  
 بهم الاهالي حتى ضعفت تجارة الانكليز بما ينتج من مصنوعات البلاد والعلوم  
 الاسلامية نافقة السوق ولها خول مؤلفون منهم سلطان بهوبال الذي طبع الا ان

(١٦)

من تأليفه في مطبعته ومطابع الممالك العثمانية كثر من تأليفه فخرنا تفسير للقرآن  
 سماه فتح البيان في مقاصد القرآن فحافيه التوسط بين المنقول والمعقول ومنها المحصول  
 في علم الاصول ومنها القطة العجلان فيماتس الى معرفته حاجة الانسان وهو كتاب  
 يديع فيه تحرير كثير من المسائل الاصولية والكلامية والفرعية وله عدة تأليف  
 أخرى وهذا العالم الملك هو من نوادر هذا العصر فانه مع اشتغاله بجهام السياسة التي  
 تقلدها بالنيابة عن زوجته ساطانية تلك الممالك قد تجر في الفنون العلمية سيما الشرعية  
 وآلاتها وفصاحتها في نسخ تأليفه بحمد الله عليها أهل اللغة العربية وعلى الخصوص  
 في هذا الزمن الذي كادت أن تملأ في اللغة والعلوم من الآلة الاسلامية ومن غفل  
 علمائهم في هذا العصر الشيخ العلامة رجسة الله صاحب تأليف اظهار الحق الذي ألفه  
 بسبب محادلات دينية فتح بابها قسيسوا البروتستانت رافضين دعوة أهل الهند المسلمين الى  
 ديانتهم فأفضى الحال الى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال الى مناظرتهم بالتأليف  
 فأفهمهم بتأليفه المذكور مستندا في الرد الى كتبهم وأقوال علمائهم بما ينبي عن  
 اتساع بابه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم الى الفرنسية وغيرها من اللغات وهو  
 يديع في بابه وقد صار الآن عزيز الوجود مع أنه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من  
 النسخ وفي هاته الممالك علماء آخر (ولله الحمد) كما أن آلهامها تقدم في الخلق والصناعات  
 سيما النقش والتصميم في الخشب والعاج من قديم الزمان ومنسوجاتهم وطرازها شائع  
 في أغلب الاقطار كما أن آلهامهم الذين اخترعوا الارقام الحسابية ولذلك تسمى بالارقام  
 الهندية الى الآن وهو اختراع عجيب شمل جميع الاعداد في تسعة أشكال ويكفي  
 لتدلالة على ما كان عندهم من الخلق في الصناعات المعابد التي في جزيرتي الفيلة وساميت  
 السكائن قري ببنماي فان تلك المعابد مخونة في الصخر فتحسب عجيبا في الصناعات  
 والاتقان كما أنه في آيلة بيجابور في جبل فحات مدينة فيز بابورا التي كانت تحت الممالك  
 المسلمين هنالك وفيها بناآت بدية والآن حوت وهاته الممالك لما كانت متسعة جدا  
 فمراؤها مختلفة وليكن تغلب فيها أمراض تقل في غيرها وتشمل على أغلب النباتات  
 المعروفة في غيرها ولها نباتات تختص بها كالتقاري والجوز الطيب وغيرها وقدامت  
 فيها الآن طرق الحديد تختبر فيها في أغلب الجهات كما أن المواصلات في أنهرها العظيمة  
 متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدى اخترق أهم جهاتها ودونك أنهم ما وصل اليه  
 فرع من كوكوته الى دكة ومنها الى ميرزا بول ومنها ايضا الى دهلي ومنه الى أباد الى

بنماي

(١٧)

بنباى ومنها الى كورانشى ومنها ايضا الى مدراس ومن هاته الى يمدول ومنها الى نيفابانام  
ومن مدراس الى كا. كوتة ومن كورانشى الى حيدرآباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى  
يشاور ولا زالوا يمدونها فى أغاب المجاهات حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان  
تصل الى الصين والممالك العثمانية اذ التفتة كرى ذلك مسمة ربحيث ان السفر الاسن  
فى الهند مع الامن فى غاية سهولة الموصلة بالطرق الحديدية والعادية والانهر والترع كما  
ان السلك الكهربائى واصل بعضها ببعض كما وصلها بأوروبا بحيث ان انكلا تراصل لها  
الاتصار من الهند على ثلاثة طرق (فأولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك  
العثمانية الى بقية أوروبا (والثانى) من لندره الى جبل طارق الى مالطة الى السويس  
الى عدن الى الهند (والثالث) من لندره الى فرنسا الى الجزائر الى مالطة الى البقية مما  
تقدم ولا يبعد أنه يصل أيضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندره الى  
هناك ومنه الى زنجبار فلم يبق الا منها الى الهند ومن أخشابها المنفردة بهاءود القمارى  
وأما قوة هاته المملكة الحربية والمالية فستأتى ان شاء الله فى جدول الدول

## \* الفصل \* السادس \*

### ﴿ المملكة السادسة ﴾

هى مملكة بورما وهى الى الشمال الشرقى من المملكة السابقة وعدد أهلها نحو ثلاثة  
ملايين ونصف وديانتهم بوذية مشركون وحكمهم استبدادى مطلق وهم أهل مكر  
ونخدعية ولا يس لهم ولوع الابعلم النجوم والارصاد والسحرو أكثرهم يعلم القراءة  
والكتابة ولا راضهم نفع حسنة وتجارة واسعة مع مجاورهم من الهند والصين وقاعدة  
المملكة مدينة افافى القديم والان مدينة مندللاى والدخل اليهم يكون فى قبضة  
البحر من حكمهم وان كان الانكلايز فى هاته الازمنة مرشدا اليهم بعد أن أخذ  
منهم قسما فى سنة (١٨٢٥) وقد صار يأمرهم بالعدل حتى انكر على ملكهم  
فى سنة (١٢٩٦) قتله لثمانين نفسا من الرجال والنساء والاطفال شرقتة وهم من  
عائلات الملك وكاد ان يقدم معه حربا لاجل استتباب الامن جوار الهند ودخل هاته  
الدولة ونرجها مجهول وقوتها من النوع الهمجى وكانها لا تلبث ان تدخل فى حكم  
الانكلايز

(١٨)

## الفصل \* ال س ا ب ع

### \* المملكة السابعة \*

مملكة س-يام اوصيام وهي جنوبى المملكة السابقة وشرقى بقية المملكة الهندية الانكليزية وعدد أهلها مع ما يذب عنها فى جزيرة ما قواغ-يرها فحوس-نة ملايين ونصف وديانتهم وحكمهم مثل المملكة السابقة ومعارفهم-م أقل من سابقهم-اكنهم يوصفون بالامانة وتجارهم من معادن الارهم الغنية مع الهند والصين والاوروبا وبن وقاعدة المملكة صيام فى القديم والآن مدينة بان جوك والدخل والمخرج والقوة كلها مجهولة وهي فى القوة على غير نظام

## الفصل \* ال ث ا م ن

### \* المملكة الثامنة \*

هى مملكة كوشين الصين أو انام وهي شرقى المملكة السابقة وعدد أهلها قبل استيلاء الفرنسيين على قسم منها ما بين اثنى عشر مليوناً الى ستة عشر مليوناً لكنهم الآن نحو تسعة ملايين وقاعدتهم مدينة اووى و باسان الهند و د فوشواش وقيل وهو الاصل مدينة هو يفو وهي مربعة الشكل يحيط بها نهر هو من جانبين وترعة من الجانبين الاخرين عرض هذه الترعة سبع مائة ذراعاً وكل ذكر عندهم-م ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن العشرين الى الستين ولهم-م خاق بشوش ولبس النساء والرجال سواء وهو سراويل وجبة الى الكعب والرجال لا يلبسون شيئاً من شعورهم وانما يلبسون بطونهم وعاداتهم باحة السكر ولا ديانة عندهم-م وانما يعتقدون خرافات كثيرة والنسوة لا يحبجن ويتعاطين الاشغال مثل الرجال وما يكهم له اعتناء بتعليم الاهالى العلوم الرياضية ويرسل خمسة عشر تلميذاً من أبناء اعيانهم الى فرنسا لتعلم فى مدارسها وعند رجوعهم يعرضهم بغيرهم وهم يبنون علومهم فى الاهالى وبعد استيلاء الفرنسيين على قسم من مملكة صا-محافظا على موالاتهم وحفظ عهودهم-م حتى ارسل سفيراً مخصوصاً بالباريس مدة ولاية الرجل الشهير تيارسر باسطة الجمهورىة الفرنسية ليرتب هذا الملك جيوشه

على

(١٩)

- \* على الطراز الاوروبى وستأتى قوته العسكرية فى جدول الدول وأما المالية فجهولة  
رأما العادات الحكيمة فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

## \* الفصل التاسع

### \* المملكة التاسعة \*

- \* مملكة كمبوديا وهى غربى بعض المملكة السابقة وجنوبى بعض صيام وعدد أهلها نحو مليون وقاعدتهم مدينة سايكون فى القديم والآن مدينة بنوم بنه ويقال فى ديانهم وحكمهم وقوتهم ما هو واقع فى الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيين على قسم من هاته المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هاته المملكة تحت جاية فرنسا منذ سنة ( ١٢٨٠ هـ و ١٨٦٣ م )

## \* الفصل العاشر

### \* المملكة العاشرة \*

- \* هى مملكة ملقا وهى شبه جزيرة الى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع بقية الجهات وعدد أهلها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة والديانة الغالبة فيها هى الاسلام وحكمهم الصورى ملك مستقل مستبد لكنه قليل النفوذ وأغلب القبائل تعيش بحريتها تحت رياسة كبرائها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك بعدها الجغرافيون منقسمة الى أربعة قواعد ( الاولى ) برالك ( والثانية ) سلايكور ( والثالثة ) جوهر ( والرابعة ) باهوك وأراضهم غير مخصبة لكن هاهناهم سامعان غنية وأشجار الافيون كثيرة ف تجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات من هاته المملكة منها مدينة ملقا

## \* الفصل الحادى عشر

### \* المملكة الحادية عشرة \*

- \* هى مملكة الصين وهاته المملكة هى أكثر ممالك العالم سكانا وأغناها لاحتوائها

(٢٠)

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها تسعة مع جميع الاقطار ولا هلهاش هرة قديمة في الصنائع وأهمها صناعة الخزف فانها اشتهرت باقتنائه على جميع النواحي فبتنافس الناس في اقتنائه أو افي الخزف الصيني تنافسا كلياً وبعضهم يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما في أوروبا حتى تجد الواحد منهم يزين بيته بترصيف تلك الاواني التي تتكاف عليه بمائتات الالوف وكذلك ملوك الهند وما والاها يتنافسون في اقتناء الرفيع من اواني ذلك الخزف وقديماً لمع بعض الناس اشترائه من واحد بان فرنك فافرق وعلى وجه العموم كل الناس يرون رفته وحسنه فيران هاته الصناعات الآن انضطت في هاته المملكة مما كانت عليه بكثير اعدم الاتقان السابق فالتنافس والتغالى انما هو في الخزف القديم وله صفات كثيرة تميزه عن غيره فانها هو وان كان كمياً فالركن النور يظهر من ورائه ومنها انه اذا ضرب عليه يكون حسن طمينة كأنه طنين معدن ملقح من المعادن العزيزة ومنها حسن الالوان فيه كما انهم لهم اتقان في صناعة النقش والتصوير في سن العيل وغيره (واما المعارف والعلوم) فالظن انهم كانت لهم في القديم فنون كثيرة وبتيت فيهم الدعوى فقط بحيث يرون انفسهم اهل الارض لكن في الواقع ليس لهم الا شئ من الحكيمات والنجوم مغرمون باستخدام في علم الغيب واشبهه مما لا طائل تحته وحديث فيهم أخذ بعض الطبيعيات عن الاوروبايين واستخدموها في منافعهم كاجار والكهرباء لكن لم يتجاوزوا الى الاذن المقادير الذي أخذوه ولم يخترعوا شئاً فيه وقد كانوا اكتشفوا بيت الابرّة وقد اثبت بعض المؤرخين انهم اخترع العرب كما أن أهل الصين اخترعوا البارود ولم يعرف انهم استعملوه في حرب قبل اسنة مما له فيها عند غيرهم وانما كانوا يستعملونه للاصلاح كذلك النبال وغيره وان وجد من آثار صلاحهم قديماً ما يدل على انهم كانوا يستعملونه فيه وأول ما عرف البارود في جهاتنا من العرب سنة (٧٣٧) هجرية وموقع هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا الى المحيط الشرقى الى ان تتصل باملاك روسيا ومن الجهة الجنوبية تبتدئ من جبال همالاى الى سيبيريا من جهة الشمال فهى حينة تتحد الهند من شماليه وما والاها من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو المائتين من سكان العالم كله وهم على ما تحرر في سنة (١٢٨٦ هـ و ١٨٦٩ م) قرية امان خمسة مائة وسبعة وثلاثين مليوناً من النفوس وهذا المقدار يساوى نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التي

هم



## (٢١)

- هم عليها كانوا في السالف لا تكاد تجد منهم - هم خارج ممالكهم الا النادر القليل لا يحجبهم  
 بأنفسهم ولان اصطلاحات احكامهم تمنع الخروج من الوطن الا باذن خصوصي مع  
 التشدد فيه حتى يتبين وجهه أ كيدلريد السفر ثم مع ذلك اذا غاب المسافر عن وطنه  
 مدة ثلاث سنين يمنع من العود اليه والدخول فيه كما ان من احكامهم منع دخول اجنبي  
 الى ارضهم الا برخصة مخصوصة فاذا نالها كان ابن ماحل مكرما محروسا (وأما) اذا دخل  
 بغير رخصة فلا يأمن على نفسه سيما من الحكم وقد بقوا على هاته العوائد الى واسط  
 هذا القرن ثم اطلق الاذن لمن يريد السفر فصار يخرج منهم الكثير الى الهند و جزائر  
 والى امريكا والخراجون لهم براءة في التجارة وتكاثر الخارجون لضيق الارض بهم حتى  
 انهم في وطنهم يضطرون الى السكنى على الالواح في الشطوط بل انهم يجعلون على الالواح  
 بساكن لان الارض لا تكفيهم ا. كثرتهم واتقنهم لتجربهم بالافلاحة حتى انهم يجعلون من  
 أنواع السرقين ما لا يعلمه غيرهم الى الآن وهذه الممالك تنقسم الى ثمانى عشرة ولاية  
 تسمى كل واحدة منها بلغة تسمى سنفقا (وأولها) المحتوية على تحت السلطنة تسمى باكنغ  
 أوبا أو تاشى أوبى ويبلغ عدد سكانها أربعين مليوناً ثم ان كل ولاية تنقسم الى أوطان  
 يقال للواحد منها بلغة تسمى فو وكل وطن من هاته ينقسم الى أجزاء تسمى كل واحد منها  
 تشيونم كل جزء ينقسم الى أقسام متعددة - غار تسمى هيان وكافونم يعنون اقامة نواب  
 الدول الاجانب في ممالكهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوربا في هاته القرون  
 الاخيرة لهم مزيد الاعتناء با تساع تجارتهم طلبوا من تلك الدولة الاذن لتجارهم بالاستغال  
 في المملكة والاقامة بها كما يقيمون سفراء لهم عندها وبعد مشقات شديدة حصلوا على  
 الرخصة في وفود تجارهم اكن بخصوص مراسى معلومة على البحر وكذلك السفراء على  
 شرط ان لا يبيت أحد منهم في البلد أو في البرواغسا يبيتون في سفن حول الشاطئ ثم  
 في واسط هذا القرن أرادت الدول زيادة اتساع الخاطبة والتقدم في الالتحام بأن يكون  
 لتجارهم الدخول الى دواخل الممالك مع التعهد من الدولة بحمايتهم وأن يكون  
 سفراءهم يقيمون في قاعة المملكة وحيث كان أهل الصين أشد الناس قهظا على  
 صولئدهم امتنعوا من ذلك وجرت من تجاسر الاوربا وبين مهاوش قتل فيها منهم - ثم ثبير  
 ممن وجد في مراسى المملكة مخالفا لاذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتنا انكثرا وفرسا  
 على محاربة الصين وحاربوهم - فما كانت بضع أشهر حتى وصلت عساكر أوروبا الى  
 قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا واربها بتبين للمطالع حالة أهل المملكة في

(٢٢)

الشجاعة والفنون الحربية لانهم مع كثرتهم المفرطة فخرتهم دولة الانكليز والفرنسيين  
بمساكر قليلة لما يخفى من كثرة البعد بين اورو با والصين سيما وقد كان ذلك قبل فتح  
خليج السويس الذى سبأنى المكلام عليه فى المقصد ان شاء الله تعالى فكان طريق  
الوصول انما هو رأس الرجاء الصالح نعم ان لكل من الدولتين مرا كزح بيته فى الهند  
لا سيما دولة الانكليز التى مما كتها فى الهند اعظم من مملكته فى اورو بال لكن هبهم بلغوا  
ما بلغوا فلو كانت دولة الصين على كثرة سكانها لاسعداد الحربى مع الرجولية  
فى السكان لا يمكن لهم القمضان على جميع العالم فضا لاعن المدافعة عن نفسها وكان  
السبب فى عدم اقتدارهم كثرة استعمال الافيون الذى هو مصيبة عامة فيهم وتبلغ  
بعضهم مبالغ نسئ الله تعالى منها اللطف والحماية غير ان هاتيك الخلة لاتعم جميع  
اقسام المملكة وذلك ان هاته المملكة الرحبية تنقسم الى ثلاثة اقسام كبرى (الاول)  
منشورية وهى الوجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثانى) المقاطعات الثمانية عشرة  
وهى الوجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهى الصين الاصلية وتغلب عليه اهل القسم  
الاول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهى الاملاك الاضافية مثل المنغول والتبت  
وغيرها وصار الجميع مملكة واحدة معروفة بالصين فاهالى الصين الاصليون هم الذى  
تغلب فيهم الصفة المتقدمة ذكرها واما المنشورية والمنغول وغيرهم فانهم اقوياء واشد  
لا سيما التتر المنغولى (ولهذا) كانت اساطنة لغير الصينيين الاصليين ولما تقطنوا  
فى السنين الاخيرة لما لحقهم من قهر الاروپا وبينهم مثل ما تقدم من جهة ان كلترا  
وفرنسا ومن جهة اخرى قهر الروسياهم من جهة الغرب الشمالى وجايتهم البعض  
مما نك التتر المنغول منهم مجدوا والآن فى الاستحضارات الحربية حتى روى بعض  
الاوروپا بين عنهم انه ماحد ثواترتيما فى القوات الحربية يمكنهم من احضار خمسة  
ملايين من العساكر تحت السلاح وشروعوا فى الاستيلاء من الاكالات الحربية وجلبها من  
اوروپا الى الطراز الجديد كما فتحوا معامل فى ممالكهم لاجل ذلك وكذلك القوات  
الجهرية استحضروا منها فى ممالكهم معامل لاجل السفن والمسدعات والتروبيد  
واستصنعوا فى اورو با كثيرا منها فان تم استحضارهم على نحو ما تقدم يمكن ان يصيروا  
على حالة الهجوم بقوات متجمعة (واما لداينة) فانهم ليسوا على دين واحد بل على  
(ثلاثة اقسام) كبرى (اولها) واقدماها الدين الذى اسسه حكمهم هم المسمى  
عندهم بوو قبل انه كان اول سلطان فى عائلة هيا وذلك قبل هذا التاريخ بنحو اربعة

آلاف

(٢٢)

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها تاليف يعتبرونها كتابها كتب سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم تلك الديانة حكيمهم المسمى كنفوتسي ومضمون هاته العقائد الاقرار بالحالتي سبحانه وتعالى وبالخشع ومن أخلاقهم السماحة ولا يعضمون على ديانتهم أحدا ولا يحتمقرون ديانة من خالفهم القسم الثاني هو الدين الذي أسسه حكيمهم لاوتسو ومضمون عقائدهم القول بالتناسخ وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون القسم الثالث هو الدين الذي أسسه حكيمهم المسمى فواوصا كيا أوبدهة ويعرف بالذهب البدهي وكان أول ظهوره أواسط القرن السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب تاليف عديدة منقسمة الى مجموعتين (أحدهما) يقال له عندجور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى دندجور وهو مائتان وأربعون مجلدا ويوجد من كل منها نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قيل ان المجمع (الثاني) اشترته دولة الفرنسيين بأربعين ألف فرنك كما أنه يوجد أقسام أخرى من الديانات كالبراهمة وغيرهم من عبادة الأصنام أو النصرى واليهود والديانة الغالبة فيهم هي البوذية وهي نوع من الوثنيين كما أن فيهم تسماعظيمان المسلمين يبلغ الى ما ينيف عن الستمين مليوناً فمن هؤلاء نحو أربعين مليوناً متدينين في الممالك أصلهم من الالهالى ومن العساكر المسلمين الذين جاؤهم ذلك الصين في عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه فاستنجد بالخليفة على ان يؤدى اليه معلوماً اذا انتجده فأرسل له أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه وجازاهم عن ذلك بجواز الاقامة في مملكته مع جواز التزوج ببنات الالهالى ومصاهرة الاعيان واعطاهم ما يحتاجون اليه فأقاموا على شروط وهى استعلاهم في ادارتهم الخصوصية وعبادتهم واشتهارها فأجاز لهم مطالبهم لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مدينة مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقتلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية مشهورين لشعائر الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتدخل فيهم الحكام الصينى الا في عموم السياسة ومنهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفاً ولهم جامع ضخم قديم حسن جداً ويسمونه بالغتيم هوى هوى ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنتان لاهل الشيعة حيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الاخيرة وأغلبهم أهل سنة على مذهب أبى حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القسمين ومن عبادات هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقارير تشتمل على بيان أوقات الصلاة مكتوباً

(٢٤)

بأعلاها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولا يذكرون  
الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم - من علمناهم أسقطوا ذلك لعدم تحصيل مشقة  
الطريق لعدم مسافة الحج عندهم وأظن أن علة منع الخروج من ممالكهم هي الباعث  
على ذلك والا فليست مملكة الصين بأشقى في السفر من أهلها إلى سمطرا وأقصى الغرب  
وداخل السودان فحرت على ذلك عاداتهم - ثم ولو بعد انتفاء المانع ومهولة السفر بحرا  
في البواخر ومن عاداتهم - ثم أيضا أن يكتبوا تسعين جسن سواي معبد الله الحقيقي ويسمونه علماءهم  
الجماعة الاسلامية وأن يكتبوا تسعين جسن سواي معبد الله الحقيقي ويسمونه علماءهم  
لاوجود في أي المذهب الاكبر وأما أهل الصين فيسمونه جوامع المسلمين ليطاسوا على محل  
العبادة الاسبوعية وحيث كان الدين الاسلامي لا يجوز مناهضة المشركون أسلم كثير من  
نسائهم - بل وعاتلات النساء وتزوج بهن المسلمون وتناسلوا الى أن بلغ عددهم - ثم نحو  
الاربعين مليون في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الاداري حتى حكى طرفا منه  
ابن بطوطه وهم عليه الى الآن ومن المسلمين أيضا أقسام في الجهة الغربية والغربية  
الشمالية من المملكة فتم - ثم المجمع والمفترق ونسائط على ممالكهم دولة الصين ولا  
يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يفترون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء  
عليهم مثل مملكة كاشغار في الجهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة  
الآلافين ومائتين وألف وهو الامير يعقوب خان الذي ولد في جوار تشينغ وحصل العلوم  
في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارته في السياسة أهله لان يكون مشيرا  
مطاعا عند امير خوقند وأرسله حاميا لمهاجرات الروس على قاعدة اكتشيت ثم توجه الى  
كاشغار للحرب مع الصينيين وحصل على انتصار عظيم أو رث له شهرة وثقة من المسلمين به  
هناك وطمع في تعويض مملكة سلطنة الصين بمملكة اسلامية وكسر لهم جيشا فيه  
أزيد من مائة ألف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى ارتعدت منه مملكة الصين  
في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروسيا وعقد معها معاهدة  
تجارية ورام احكام وحيدة الاسلام فيما يسع بالخلافة للسلطان العثماني وتلقبه الدولة  
العثمانية بالامير اذ باع الخليفة وجلب هو من قاعدة الخلافة معلمي للفنون الحربية  
والصناعات الهندسية ونظم الجيوش فاخترته المنية قبل رسوخ المملكة وتناحر بنوه  
وقسموا المملكة فانتهزت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع والى الآن أحوالها  
مخضرمة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في أواسط الصين يميل الى الغرب تحت

سلطنة

(٢٥)

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان في حدود السنين المذكورة وجعل قاعدة مملكته مدينة طابغة وأنشاء السلاح في مملكته وطلب التعرف به من الدول وأنه سلطان على نحو الستين مائتيون من مسلمين وغيرهم فلم يكن الاحتمال انتزعت منه السلطنة (ومن عجائب) مملكة الصين السور العظيم الذي يبتدئ من الشطوط الشرقية ويمتد ابسط المملكة الى حيث العرض أربعين درجة شمالية والطول تسعة وتسعين شرقاً فمجموع طوله نحو ألف ومائتين وخمسين ميلاً ومملكته من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدماً ومن أعلاه نحو خمسة عشر قدماً وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدماً وفي أماكن منه حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى أربعين قدماً وهو مبني بالحجارة والآجر والقرميد وبعض أماكن طين فقط بناه بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحي نحو مائتي سنة وعشرين سنة قاصداً به رد المهجمات على المملكة الصينية الاصلية من المنغول والقبائل الشمالية ولم يجده نفعاً اذ هم الذين تسلطوا على المملكة والسور الآن خراب في جهات كثيرة وقد غلط من قومه السد الذي بناه ذو القرنين لمنع فساد بأجوج ومأجوج محتجاً على ما يقول بأن ليس في الارض سد ورد وعظيمة غير ذلك ورد قوله ظاهر لان الصفات المذكورة في القرآن للسد غير الصفات التي عليها ذلك السور ثم ان صفات بأجوج ومأجوج المذكورة في النصوص المروية غير موجودة في أولئك الاقوام ودلت النصوص أيضاً على ان ذلك السد يدك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن فلا يكون حينئذ ذلك السور هو السد ولا يخفى ان بعض الارباب وبين الاثني لهم دعوى مثل بقية البشر الغير متبصرين من العجائب بما هو عليه وادعاء بلوغ النهاية في العلوم حتى انهم انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم يجدوا فيها السد فهاته الدعوى هي في الواقع بما لغة منهم وانما يقال ان اكتشافهم الآن لكثرة اكثر من اكتشاف الامم السابقة الذي وصات اليها مؤلفاتهم وان احتمال اطلاع غيرهم على ما طاع عليه الآن او اكثره لكن لم نجد لذلك أثراً ولا يلزم من عدم وجود الدليل انعدام المدلول أما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لوجوه منها ان جميع علماء الجغرافية نصوا في تأليفهم ان جهة القطبين لم يمكن الاكتشاف عليها الى الآن وان المجهول جهة القطب الجنوبي أكثر من المجهول جهة الشمال لانه أي الجنو في أشد انحرافاً عن وصول الاشعة الشمسية اليه مستقيمة ومنها ان الاكتشافات لازالت تنمو شيئاً فشيئاً فانه نادر بمائة سنة لم تكن أمريكا معروفة وكان علماء ذلك

(٢٦)

العصر يرون أن ما وراء شطوط القارات القديمة إنما هو بحر صرف حتى أن من ضمن  
في وجود عمران وراء ذلك سخر وامنه تارة واصطهده جهلاء علماء الديانة تارة أخرى كما  
يأتى الكلام عليه في أحوال أمريكا ثم تبين باواقع وجود ذلك البحر - ان الذى يحسب  
القسم الثانى من أقسام الارض ثم منذستين سنة اكتشفت اسرارها التى هى  
القسم الخامس من القارات ولا زالت الاكتشافات متتابعة الى الآن في أمريكا وفى  
غيرها ومنذ أربع سنين فقط اكتشف سواح الانكليز جزيرة صغيرة جهة الشمال  
معمورة بخلق صغار الجحش فطس الانوف كبار الاذان بأكلون نوعا من السمك ويلبسون  
جلده ويوقدون عظامه وكذلك اكتشف منذ قريب قوم من البشر على نحو تلك الصفة  
في شمال أمريكا الشمالية ينجحون من جمال الثلج بيوتا ويجعلون لاطواقى المنفعة للضوء  
قطعا من الثلج الصفيق لكي لا تمتنع الضوء وتقيمهم مرور الارياح (وهكذا) لازال  
الاكتشاف يقتابع وما يعلم جنود ربك الا هو ومن تأمل سياق الآية الكريمة في حكاية  
حال ذى القرنين الى بلوغه الى يا جوج وما جوج فهو له من السياق انه - هم جهة أحد  
القطبين (اذ قال تعالى فاتبع سبيما حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تعرب في عين  
جحمة ووجد عندها قوما فأنشأ بها ذا القرنين اما ان تعذب واما ان نتخذ فيهم حسنا قال اما  
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء  
الحسن وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سبيما حتى اذا بلغ مطاع الشمس وجدها تطالع  
على قوم لم تجعل لهم من دنياه سيرا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سبيما حتى  
اذا بلغ بين السدين وجدهم من دنياه ما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين  
ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم  
سدا قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم رمدا مآ توفى زبر الحديدي  
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا  
فما اسطاعوا أن يظهروه وما اسطاعوا له نقبا قال هذا رجة من ربي فاذا جاء وعد ربي  
جعله دكا وكان وعد ربي حقا الآية) فذكر أن ذا القرنين اتخذ أول طريقا الى أن بلغ  
منتهى الارض من جهة الغرب فوجد الشمس هنالك تعرب في ماء أسود كأنها هو  
بالجمجمة أى الطينة السوداء وهو والله أعلم البحر المحيط الغربى لشدة عمقه يترا أنه  
أسود وهى عينا نظرا الى سياق عظمة قدرة الخالق وما طلع عليه ذا القرنين الذى البحر  
المذكور بالنسبة اليه ما هو الا كالعين الى آخر الآية ثم ذكر اتباعه لطريق آخر وصل

(٢٧)

به الى منتهى مطلع الشمس من الارض وقص ما وقع هناك أيضا ثم ذكر اتساعه لطريق  
آخر فظاهر السياق أنه لغير المشرق ولغير المغرب فهو حية ثم ذكر الى أحد القطبين وهو الذي  
ذكر فيه قصة بأجوج ومأجوج وعلى ذلك فذوالقرنين سافر الى أقاصى ثلاث جهات من  
الارض والله أعلم أى القطبين الذى هو الجهة الشمالية ويؤيد هذا الفهم المأخوذ من  
السياق ما روى من أن سيدنا الخضر كان وزيرا لذى القرنين وأنه اجتاز معه ارض الظلمة  
حتى وجد بها عين الحياة المخ وأرض الظلمة لا تكون الا فى أحد القطبين أو ما قاربه لانه هو  
الذى يطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء والفقهاء وبني عابيه هؤلاء  
أحكاما فى الصوم والصلاة مقررة فى دواوين الفقه وليست هى أرضا غير المعروفة وإنما  
أتمت الظلمة مما أشرنا اليه ثم أن قارات الارض ان كانت اذ ذلك على حالتها الا ان  
ربما تقتضى ان القطب الذى وصل اليه هو الشمالى هـ - إذا كانت هيئة الارض  
اذ ذلك هى على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب  
هو الجنوبى أيضا وانما قلنا هـ - لان الارض تتغير برأسها على طول الزمان بما  
يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وارتفاعات فى جهات من  
البحر (وهكذا) فان امريكا على ماسيا فى كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز بن بل  
ان جهة من مكة تونس الشرقية تسمى برج بالشاطر فى عمل بن زرت كانت قديما  
مرسى السفن فى دولة القرطانيين والآن صارت محترقات خصبة والبحر يبعد عنها  
نحو خمسين ميلا وكذلك فى الجهة الجنوبية جنوبى الجريد كان فيها بحر يدعى - ل الى  
دواخل القارة الافريقية والآن صار صحرا وهى المسماة بالصحراء الكبيرة وسيا فى بقية  
الكلام عليه فى الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان بحرا موصلا بين البحر  
الابيض والبحر الاحمر ثم سد ثم فتح الآن على ماسيا فى الكلام عليه أيضا فى محله (ان  
شاء الله تعالى) فقد قال المفسمون فى قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله  
تعالى) حتى أبلغ مجمع البحر - رين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو - ل اتصال بحر  
الروم وبحر فارس وهل ذلك الامن السويس أو من مكان آخر من آسيا اليابسة وهو أيضا  
يفيد المطلوب فقلب حالات الارض لا يتعد أن يكون سدياً بأجوج ومأجوج جهة  
القطب الجنوبى الذى هو وما قاربه أكثر جهة ولية من الشمالى سيما وأنار ساسة الجزائر  
الى استراليا كالاسمار الدالة على الاتصال ويؤيد أنه فى أحد القطبين الصفات التى ذكرت  
لبأجوج ومأجوج فى خلقهم - فى الاحاديث الهجعة كما فى البخارى وغيره من الصحاح

(٢٨)

وهي صفات تقرب كثيرا من الصفات التي وجد عليها أهل الجزيرة التي ذكرناها قريبا  
 جهة الشمال واكتشفها الانسكاب وشاع أمرها وذكرها في صحف الاخبار ورسمت  
 في خارطات الجغرافيين ووصول ذى القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس  
 بغريب أما أول فلائن حرارة الارض اذ ذلك ليست هي التي عليه الآن فجهاث القطبين  
 لم تكن على هاتيك الدرجة من البرودة ولذلك أدلة مسلمة في كتب الجغرافية الطبيعية  
 خلاصتها على مذهب المتأخرين الذي لا يخالف الشرع ان هاتيك الارض كانت  
 كوكبا نائرا ثانيا ثم انطفئت طبقتها العليا ولا تزال تنخن تلك الطبقة وعلى قدر تنخنها تبرد  
 وتختصر الحرارة في جوف الارض ومركزها وموصلات الطبقة الى درجة من الاعتدال  
 الصالح لخلق من مخلوقات الله يخلفه الله فيها (وهكذا) على التدريج الى أن تم ما أوجده  
 الله فيها واضمحلت منها من أنواع الحيوان ما لم يتبق صالحا له كنوع يشبه الفيل وهو  
 أضخم منه وأنباه مرتفعة الى فوق فانه الآن انعدم مما هو معروف من الارض  
 واكتشف على عظامه في طبقات سفلى من الارض بالحفر جهة سيبريا وشبهه بدببة  
 هذا القول الاحاديث الواردة في التكوين وأن (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض  
 بمدة طويلة وأن الخيل خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات  
 الواردة عن الشارع في كيفية التكوين وقد وجد في سيبريا من عظام الحيوانات التي  
 لا تعيش الا في الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على أنه ليس بمحبوب وانما هو  
 حيوان أصلي هناك ما يقتضي بأن تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هي عليه الآن من  
 شدة البرد فيحتمل أن زمن ذى القرنين كانت الحرارة معتدلة هناك حتى يمكن الوصول  
 الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يقال ان الساريح من زمن ذى القرنين الى الآن لا يقتضي  
 هذا التغير الكثير لانا نقول ان ذى القرنين هذا هو عربي كثير ذكره في أشعار العرب واسمه  
 الصعب ملك من ملوك العرب بامعاصر (ابراهيم عليه السلام) أو بقرب منه هذا  
 هو الصحيح وان غلط الرازي وغيره في توهمه انه اسكندر المقدوني ومقدار زمنه لا يمكن  
 الوقوف على تحقيقه وذلك ان ذى القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبا  
 تقدم في كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو الذي عاش وتعلم منه (موسى عليه  
 السلام) وجميع التواريخ القديمة يعتمد فيها المؤرخون على التوراة وهي قد وقع فيها  
 التحريف قطعا في كثير من الآيات لاسيما ما يتعلق بالتاريخ مخبرها حاشا ولا يثبت  
 لغلط ابن خلدون في دعواه عدم التحريف بعد ما ثبت بالعيان رجحان ابنه المشجعة  
 الله



(٢٩)

الله قدس سرته في كتاب اظهرا الحق من الاختلاف الكثير في التاريخ بين نسخ التوراة  
القاضي بعضا باجتماع (نوح و ابراهيم) وبعضهم بالبعد الكثير بينهما وحرره  
مؤرخوهم أنه سنة (٣٥٢) مع ان العبرانية تقضى باجتماعهما لان نوح مات بعد  
ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقضى أن (ابراهيم) ولد بعد موت  
(نوح) ٩٢ سنة واليونانية تقضى انه بعده (٧٢٢) سنة والاولى بخالفها  
الاجماع والآخر بينهما التناقض التام وغاية المحقق أن (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح)  
في عصر (عليهما السلام) والاختلافات على هذا النمط وعدم التواريخ في التواريخ  
كثير جدا فلا اعتماد حديثا على ما هو موجود من التوراة نعم أن متأخرى المؤرخين  
قد اعتمدوا بهذا الفن وحرروه باستدلالات من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة  
ليكن لم نطلع الى الآن على أدلة وجودها تثبت مدة زمن ذى القرنين على فرض تعيينه  
وكم عدد السنين بينهما وبينه وأما ثانيا فلا بد أن يكون لذى القرنين اذ ذلك من آيات  
جلى الانتقال وتيسير السفر ما لا يعلم الآن ويداعبه (قوله تعالى) في حقه (انما مكانه  
في الارض وآتيناها من كل شيء سبعا) مما يقتضى اتساع اقداره ونهيه الاسباب  
لما قصده كعلم جلى الانتقال مثلا الذي شوهدت الآن آثاره مما لم يقدر عليه متأخروا  
هذا العصر وكذلك الخت للقطع المسألة التي لم تعلم كيفية قطعها وافتقارها سبعا وقد  
وجد في مصر من صورة الملك الكهر بائى والرتل ما يقتضى علمه سابقا مع صور آلات  
أخرى غير معلومة كما سبأ في الكلام عليه في أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة  
الارض على هيئتها هاته ولذى القونين وعلمائه وحنوده من المعارف والآلات ما تيسر  
لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم يعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان  
الوانق من بنى العباس أرسل معتمدين الى السند وقاسوا بابيه وقفله الى غير ذلك من  
الصفات التي ذكرت له فاننا لم نكن على ثقة منه ولم نعلم عليه سبعا ولم يعين أولئك  
المؤرخون مكانه وانما يقتضى كلامهم أنه في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا  
فلا بد أن يكون ما وصلوا اليه هو سور الصين واذا فرضنا أنه هو المراد بالهند في  
النصوص الواردة يلزم جل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السور كما كونه  
من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصدفان (حينئذ) طرفان من ذلك السور كما  
تأول صفات بأجوج وأجوج الى ما يصح اطلاقها على التتر والمنشورية ويكون  
وعد الله الذى يدل فيه السد هو قرب الساعة ولا شك أن الساعة قربت كما أعلم به

(٣٠)

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى كناية عن مزيد القرب وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وأنشأ القمر الآشنة فبأبقي من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شئ قليل جدًا والطبيعيون أنفسهم مقرون بذلك لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتباطها بالاجرام العلوية (وحيث أن ذلك يكون الفساد الموعود به في النصوص من أولئك القوم هو ما وقع من التثاقل المغولى من الفساد في الممالك وكفى بوقائع جنكس خان وماعناه هو وأصحابه في الدنيا مصادقا لذلك فإن من له الماس بتاريخه يرى فيه الحب الجهاب وهى مصيبة عظيمة لم تحدث على المسلمين مثلها وانما تطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها هو الذى لم يصير لها اعتبارا الا أن وكل هذا الاخير مستبعد وانما يلزم المسأل اليه اذا فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع أطراف الارض والمحاصل انه مما وجدنا ناصعا الصادق يلزم التسليم اليه والتصديق به فان وجدنا ما يخالف فهمه في الوجود وجب فهمه على مقتضى الوجود ويستحيل مخالفة خبره للواقع وقد نص على هذا العلماء الراغبون ومنهم سعد الدين التفتازانى في النولوج (ثم ان) المملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبحرية ما أغناهم عن تكثير الطرق الصناعية في الارض (وأما الجهات) التى لاتصل اليها الانهر فانهم يصنعون فيها طرقا متصلة بالانهر ميسرة للسير وجل الاثقال حتى ان منها ترعة هى من عجائب الدنيا لو لم تكن وسقانة وخمسين ميلا وصنعت في عدة أجيال من الجيل السابع من تاريخ المسيح أى القرن الثمانى الهجرى الى القرن الثامن من الهجرة ولم تحدث فيها الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن المعروفة ولكنهم اقله مهارتهم في استخراجها وتصفيتها يحتاجون الى جاهد من خارج (وهكذا) نباتات هاته المملكة فيها أغلب نباتات المهور لا تساعها واخوة سلاف أقاليمها وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هى مدينة باكين التى هى من أعظم مدن العالم سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتهم طبقة واحدة مقسمة الى عدة أقسام الاقصو المولك ففهي طبقات والاى لى يتزقون امرأة واحدة شرعية ويتخذون غيرها كالسرارى على أنهن خديمات لها ولهم شارس فى التماخر والدلالة على البهيموتية والغنامتها ان الاغنياء والا كبريخادون الى اراحه حتى لا يكادون يتحركون وتغاب هاته الصفة فى نسايتهم فكان من عجائب عاداتهم فيمن ان بذت الاعيان اذا ولدت يعملون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة وبالسوفه لها فى سن المهد

ونترك

(٣١)

وتترك كذلك الى انتهاء شبابه فتكون أقدامها صغيرة جداً بحيث لا تستطيع المشي وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر أن تشتغل ولا ترفع شيئاً مع الاعتناء بقدميها فتصير ذاتها ضئيلة وكفها وقدمها في غاية الصغر دالة على أنها لا تحتاج لاجل شيء بنفسها وكل الضرريات وغيرها تفعلها لها الخوادم فيصنعون مساطب لمجالها على الاعناق عندما تريد المشي لأي جهة كانت وهكذا جميع الحركات ويستكثرون من الخدم على قدر البسطة في المال والمجاه وعادة الحمل على الاعناق عامة حتى في الرجال الكبراء والاعنياء وهاته الخلعة جارية أيضاً في أهل الهند (وأما حكم) هاته الملكة المتسعة \* فهو يرجع الى عامل واحد ذي حكم استبدادي مطلق وله وزراء يديرون ويجرون أمر الملكة على إرادته ثم في الجهات أمراء مستبدون في التصرف في أماراتهم ثم تحت أوامر السلاطان العام الذي يقاد ويعزل منهم حسب إرادته ومع ذلك الاستبداد فانهم يحتفظهم على العوائد القديمة تجد كأن أحكامهم قانونية لاجرائهم الحوادث شبه بعضها ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة في جميع تصرفاتهم الا في أمراً كيد عظيمة وتما يقع لهم اعتقادات في ملكهم ربحاً أدت بهم الى اعتقاد الوهية ولهم أيضاً دواوين يضبطون بها ادارات التصرف والاموال وأرزاق العساكر فنظر الى مجموع تصرفات الملكة يجدها مشابهة أعظم مشابهة الى الدول القانونية وكان ذلك هو سبب قدم هذه الدولة وعدم تلاشيها الآن السلطان عندهم وان كان له ان يفعل ما يشاء الا أنه لا يفعل شيئاً إلا بمشاوره رجال دولته وأرباب مجالسهم في جميع الامور وكل من أمراته لا يتصرف إلا بمشاوره رجال مجالسهم ولا يتوظف أحد في خطة أبداً الا أن يكون من أصحاب العلوم والمعارف الذين هم وجهاء الامة كما يشترط في كل موظف أن يكون مثلاً وجديراً بالخطة التي يتقلدها ومن عاداتهم الشبيهة بالقانونية ان المتوظف اذا ظلم أحد الرعايا ولو في أقل الاشياء يعاقب أشد العقاب بل انهم مطالبون كل على حسب خطئه بما يطرأ على الاهالي من المصائب السماوية التي يكون في وسع البشر تداركها كفيضان الانهر وسقوط الجدران وما شا كل ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم صحيفة رسمية قديمة قبل أن تعرف الصحف في أوررو يلقون ولها خصوصتين صحيفة تشرها يومياً ولا تحتوى الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتهم وحيث كانت الكتابة عندهم صعبة جداً (لانها فيهم) علامات عوضاً عن الحروف منها أصلية ومنها فروعية تدل على الكلمات فكانت نحو الفين وخمسمائة علامة وهي المستعملة الآن (أما)

(٣٢)

العلامات القديمة التي لم يبق استعمالها الا نادرا فهي نحو أوربعة وأربعين العا وأربعمائة وتسعة وأربعين شكلا فلذلك كانت معرفة الكتابة عندهم قليلة جدا وقد تعارفوا صفاة الطبع قبل معرفتها في أوروبا بكثير وهي على غير الصورة المعروفة الآن فانهم كانوا ينقشون الكتابة في ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذي يريدون طبعه وان شئت قلت ينسخون الكتاب أو الكتابة بالنقش في ألواح ويطبعون بها ما شاؤوا ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (وأما الغنا في الممالك فلهو كثير لكثرة الموارد الثروة وكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك المتقدمة ذات الصنائع المختصرة قليل نظرا لعظم الممالك وما فيها وقد تقدم ما في عزم دواتها وما شرعت فيه من القوة الحربية (وأما القوة المالية) فهي غير معروفة لاختلاف أنواع الاداء وتفرقه على أنواع المتوظفين كل منهم له كيفية في الاستخلاص على وظيفته من الاهالي

## الفصل \* الثاني عشر

### المملكة الثانية عشر مملكة الروم في آسيا

هاته المملكة تبتدئ من الشمال الأقصى من القارة ثم تنعطف مع حدود الصين الغربية وتصل الى مملكة ايران من شمالها والى المملكة العثمانية من شرقها وهي متسعة جدا ولا تزال تتمدد في الممالك الصغيرة بأواسط آسيا حيث تفرقوا شيئا فصار تغطى عليهم بتسلط بعضهم على بعض وانتهى الحال بهم حتى تبتلعهم شيئا فشيئا بحيث لم يبق منهم الا القليل كإسبانيا الكلام عليه بعد وحكمها في هاته المملكة سبعة عشر على هاته الدولة في ممالك أوروبا وكذلك بقية التصرفات السياسية وانما نقول هذا أن فيها قسما يسمى سيبيريا هو شمالي الصين في نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات الا بعض الحيوانات المتجلمدة على البرد كالذب اليبض والذئب الكبير وقد اطاع علماء الطبيعة على ان تلك الجهة كانت عامرة بأنواع من الحيوانات التي تألف الجهات الحارة كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات فقدت الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه في الحلقة وله شعر صاب مستطيل يمتد من مبدأ رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتفعا مفرزا عن بقية شعر بدنه وله أنياب طوال متجاوزة لشفتيه مثل أنياب الفيل غير أنها مرتفعة الى فوق واطلعا على وجود هاته الأنواع هناك بكثرة عندها في طبقات

سفلى

(٣٣)

سفلى من الارض تدل على أن تلك الجهة كانت حارة كما تقدم وهى الآن من شدة بردها اتخذتها الى وسيا منفى لاصحاب الجرائم الشديدة فها يصلون اليها الابد فقدا أن أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللأسكان الاصليين أمراض فى العين من شدة الضوء المنبعث من سطوع الاشعة الشمسية فى بيض الثلج المتكاثر الدائم ويوجد فى هاته المملكة أعنى بقية المملكة الروسية فى آسيا أنواع شتى من الفراء العالى وفيها أنواع النيمات المختلفة الذى يوجد فى أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها ليست بمسعة لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق الكافية الموصلة لشواسع هاته المملكة المتسعة ولأجل انقطاع درجة المعارف والصناعات التى يمكن بها منا كبة الاور وباو بين فى هذا العصر ولا يخفى أن المملكة متسعة مثل هاته تشمل أصنافا من البشر لا بد أن يكون أهاها مختلفا فى الطبائع والعادات فالمسلمون كالجركس والكرج هم أهل شجاعة وتجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم وغيرهم من المسلمين وغيرهم كأهل خيوا والقريم والداغستان هم أيضا فيهم تلك الصفات غير أنها أقل من سابقهم ودونهم أيضا فى التعصب وقد استولت الروسية على هاته الممالك تدريجا فخذت نحو ثلاثمائة سنة وهى تمدنهم شيئا فشيئا ومع كون الروسية استبدادية فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتناسوا العداوة تعاملهم الآن بالرفق وحرية الديانة بحيث يكون الاذان والصلوات فى المساجد وعقد الانكحة كلها قائمة وكذلك تعلم العلوم الدينية ولسانهم هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشئ وتجبر عليهم بقية الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسين حتى فى اتخاذ العساكر منهم لكن أكثر العساكر منهم هم على غير نظام مما يسمى قزاق نوع من المحالة الغير النظامية وأما المسلمون الذين تسلط عليهم من قريش فتجبر فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم العسكرى البحت ما تنفر منه السباع وذلك للتحرس من ثورتهم وتربية الجبل الناشئ على المذلة والخضوع الى حكمها والله الامر من قبل ومن بعد

## الفصل \* الثالث عشر

(المملكة الثالثة عشر مملكة هرات)

هاته المملكة موقعتها شرقى ايران وغربى بعض الصين والهند وجنوب روسيا وشمال

(٣٤)

❖ أفغانستان وكانت تابعة لإيران ثم استقلت عندما استقل الالاتافغانستان وأهلها مسلمون  
 سنيون والظن أنها لا ثابت أن تلتجها بعض الدول المجاورة لها الصغرهابالنسبة اليهم  
 والاقرب رجوعها لإيران باعانة الانكليز في هاته المدة لاتمام مأربه هو في الافغان  
 حيث انهم موافقون لهم في المذهب ويمدوهم بالاعانة على حرب الانكليز فلذلك أغرى  
 ❖ ايران بالحرب لهم والاستيلاء عليهم بيد أن سياسة الروس باعطت ذلك وعدد الاهل الى  
 مجهول الحقيقة وعلى التخمين انهم نحو مليونين تحت ملك مسالم استبدادى مطلق من  
 ذرية احمد شاه الذى أنشأ في أفغانستان وما والاها ملكة ذات شأن والاحكام الشخصية  
 شرعية ولهم أيضا فيها احكام سياسية لكن النفوذ قليل لان أغلب السكان قبائل رحالة  
 فيهم حرية البدأوة هم من أصل التركمان وكانت في المملكة مدن عظيمة في أودية بين  
 الجبال التي على جنوبي صحراء خوارزم هدمت كلها بتخريب جنكس خان القمري  
 وقاعدة المملكة مدينة هرات وهي مدينة عظيمة تسقي بنهر يتشعب في شوارعها  
 ودورها ولها تجارة حسنة في نتائج أراضيها المنصبة مع الممالك المجاورة وفيها من الغلات  
 كل نبات الاراضي المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامتها وكانت مناخا للعلوم ومنبتا  
 للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت في المشرك ان علماءها لا يحصى كثيرهم - الله وهي  
 ❖ الآن دون ذلك وانما فيها من العلماء حسب الحال ولاهلها من الصنائع الجيدة السيوف  
 وآلات القطع لان نيمو رنك نقل اليها ما هرى هاته الصناعة من دمشق فبعثت فيهم  
 الى الآن ولهم مهارة في صناعة البسط والاقشة الحريرية ويقال في قوتها البحرية  
 ❖ والمالية ما قيل في أفغانستان على نسبة عدد سكانها

## ❖ الفصل ❖ الرابع عشر ❖

❖ المملكة الرابعة عشر هي أمارات التتار المستقلين ❖

❖ هاته الامارات موقعة اغربى الصين وشرقي وجنوبي بعض الروس وشمالي وشرقي  
 هرات وبعض ايران وجنوب السكان مسلمون سنيون وحقيقة عددهم مجهول وانما يقال  
 ❖ على التقريب انهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (خسة)  
 أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهي) خيموه وبخاري ونشندوخو قند  
 وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكي (وأما الآن) فان خيوا دخلت في حوزة الروس

❖ وصارت

(٣٤)

وصارت خزانة من ممالكها وان أقيمت لها بعض امتيازات ظاهرة كبقية خانها وألقبه  
غير أنها في الواقع هي من ممتلكاتها الداخلية في حكمها وتحت أمرها (وأما بخارى)  
فهى أيضاً مثل خيوا وغير أن امتيازاتها أكثر منها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال  
أنهما مستقلتان بالادارة الداخلية تحت الامرال روسى وبؤديان له الخراج السنوى ولهما  
عساكر بقدر ما تسع لهما به الروسيا للتحفظ على الراحة في المملكة أو لأغاثة الروسيا فيما  
تأمرهما به (وأما تشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسى فهى حينئذ  
مشمولة بالكلام الذى سبق في أحوال مملكة الروسيا (وأما خوقند) فلزالت مستقلة  
تحت إمارة خانها وحكمها استبدادى وعدد سكانها نحو مائتين (وأما قبائل التركمان)  
فقاعدة مملكتهم هى (مرو) وموقعها جهة الشرق الجفرة من بحر قزوين المستملكة  
جميع شطوطها الروسيا وعدد السكان نحو مائتين ونصف لكنهم ليسوا خاضعين حقيقة  
للخان وإنما هم قبائل لكل منها ريس وكانهم معاً اختاروا تليمان أن تلحقا أخواتهما إذ  
الحرب الآن قائمة على ساق بين الروسيا وقبيلة تيمكى وقد كسر والروسيا فى هذا العام  
وهو سنة (١٢٩٧) مرتين انهكسا رهاً ذلاً ولا زالت تستعد لمحاربتهم وأخوانهم من  
استولت الروسيا عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا هم ينظرون الى حربهم معهم الى  
أن ينفذ حكم الله الذى لا معقب لحكمه وتكون له المحبة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث  
تفرق المسلمون شيعاً للأغراض والاهواء النفسانية ولم يجروا الشرع فى الاحكام  
الكليّة والجزئية وأخذوا الى الجهل والتنهيات الزائلة حتى تمكن العدو منهم  
وصارت بلادان الاسلام ومناخ العلوم لعبة بأيدي الاعداء وأصحاب الاهواء (ولاحول  
ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فوا أسفاه على بخارى وممقند وغيرهما من مدارس  
الدين فى الفنون والعلوم الدينية والرياضية واهل تلك الدقائق والاستنباطات  
والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها واتقانها ورحم الله أولئك الرجال الذين عمروا  
الارض وحموا الدين ولم تزل الأمم تستنفع بعما رفهم الى الآن ولم يعلموا بها بل ولم يتعلموها  
حق علمها حتى كادت أن تصير فى خبر كان والله يرث الارض ومن عليها وهو خير  
الوارثين

## الفصل ❀ الخامس عشر

❀ المملكة الخامسة عشر هى ممالك الأتمة فى جزيرة العرب ❀

(٣٦)

هاته الممالك تحيط بها البحر من جهة - ين فن الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط  
الشرقي ويحدها غربا بحار واليمن من قوابح الممالك العثمانية وعدن التابعة  
للانكليز ومن الشمال العراق العربي للدولة العثمانية وهاته الممالك هي المعروفة  
سابقا بنجد وثمامة واليمامة وأخلاقهم هي أخلاق العرب في هذا العصر من التجرد عن  
أغلب الصفات التي كانت للعرب السابقة - ين وأما الديانة في الجميع فهي الاسلام وأما  
المعارف والعلوم فكاد أن لا يعرف عندهم منها اسم ولا معنى الا قايلا منهم في قليل من  
علوم الدين والحاصل أنهم أمم يقر بهم الجغرافيون بستة ملايين من النفوس على البداوة  
وأغلبهم رحالة يتنصرون في الاحكام الى شيعة كثيرة يلقب كل رئيس منهم بالامام كامام  
مسقط وامام رياض بنجد من الوهابيين أعنى أتباع عبد الوهاب الذين ظهر وافي أوائل  
القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا يحفظ  
السنة وابطال البدعة فتجاوز الحدود حتى منع المباح وقويت شوكرته وكثرت أتباعه حتى  
تسلط على الحرمين الشريفين وقطعة من العراق الى كركلا ومجعد على وخرتبه وهدم  
البنات على القبور وازال الشكايات التي عليها وأراد أن يحمل الناس على الانباع حتى  
في العادات والاحوال الدينية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بذهب خاص بل انه  
يدعي العمل بالحديث على مقتضى ما يفهمه وسيأتى ما يتعاقب بهاته المسئلة في فصل من  
المقصد عند الكلام على رجوعى من السفر الاول الى باريس ومخلص الكلام أن هاته  
الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح في الدين الذي ينبغي التيقظ اليه وان كانت تدعيه كما أن  
بعض الرادين عليها تجاوزوا حد ما ينبغي وخرجوا أعمالها كلها عن حدود الشرع بل  
كادوا أن ينسبوا لها الكفر وقد ألقت تآليف كثيرة في الرد على مذهبهم من علماء مصر  
وتونس وغيرهم لما استفحل أمر هاته القبيلة واستولت على الحرمين الشريفين ونشرت  
دعواها في تآليف خاص وبتيت على ذلك الى ان تجرد لها ابراهيم باشا من أمراء مصر  
وقهرها وأمر رئيسها سعود بن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس حيث كان هذا  
من أعظم أنصار الوهابي والقائمين بدينه وانتشار مذهبهم الى ان مات في ضراعية وتلاشت  
من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا في نجد - دو امامها الآن احمد  
نسل سعود المذكور وهو في التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعبد عن الملك وانه تظاهره وشارته  
وهكذا سائر الائمة المتفاهة من تلك الجهات والحق أن لا يعتبر واما ملكة مستتلة وانما  
يعتبرون كأنهم قبائل في أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين اليها ولو أنها أحسنت

التصرف



(٣٧)

النصر فبالدين والسياسة فانها بارادة الله تضعهم الى اعمالها وتظلم امرهم على  
أحسن ترتيب فينصلح حالهم وتتقوى بهم الدولة الاسلامية لان في اراضهم أودية  
فسحة خصبة وجبال غنية بالاشجار والمعادن لاسيما في نجد مع كرامة خيالها في الدنيا  
والرغبة فيهم من جميع أهل العالم العارفين بالخيال وكذلك عندهم من الحيوانات  
الانسانية والوحشية ما هو مورد للثروة فكما امتدت الدولة العلمية بالولاية على اليمن شيئا  
فشيئا الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تجمع كلمة الاسلام هناك على خليفة واحد  
وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع اراضيهم وكون  
أغلب اصحابهم وقهارا وأكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يتنجون الى  
الدواخل والدولة العلية سهل عليهم لذلك لاتحاد الدين والاستيلاء على أغلب حدودهم  
فلا يصعب عليهم المدد والاستعانة من جاورهم والعلماء في هدايتهم حتى تجري فيهم  
الترتيب الشرعية وتنفذ بهم الامم كما ينفذونهم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك  
ان لاتحادهم اعتبارا عظيما عند ما ينفذون لاسيما راصل الغريزة العربية سلمية ولله  
الحمد أصفى قابلية للتقدم من غيرها وشاهده ما حصل من العرب بعد غرس المحكة فيهم  
بالدين الاسلامي وأهم هؤلاء القبائل وأعقابهم الآن هي قبيلة مسقط ولها امام وقد أدخل  
تحت طوعا وقهرا في هاته السنة وهي (سنة ١٢٩٧) وله نوع احتماء بالانكليز  
كما سيأتى في الكلام على زنجبار من أفرريقية

## \* الفصل \* السادس عشر \*

### \* المملكة السادسة عشر \*

هي مملكة نيمول وموقعها بين جبال هملاي الوسطى وتراى وبين سكنين من شرقها  
وكيما وون من غربها فهي واقعة بين الصين والهند الانكليزي فلها الصين من  
الشمال والشرق الشمال والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو  
مليونين ونصف وعوائلهم مثل أوقريب من الهج من الدول الشرقية مع شجاعة  
وكذلك أحوال ديارتهم

(٣٨)

## الفصل \* ال س ا ب ع عشر

### ﴿الملكمة السابعة عشر﴾

هي مملكة بوتان أو بهتان وهي أرض بين جبال هـ جلاى وأسام وهي شرقي المملكة السابقة وتفضل بينهما قطعة من ممالك الهند الانكليزية فيجدها جنوبا الهند الانكليزية وكذلك شرقا وغربا يوجد بها الصين شمالا وسكانها نحو مليون من النفوس وديانتهم ووثنية ولهم ملكان أحدهما ديني ويعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بودافيه ويلقبون هذا الملك دورمر جا والثاني هو الملك السياسي ويده القوة الحربية والحاكمة ويلقبونه دب رجا ويتصرف في العسكرة بواسطة أميرين أحدهما في مشرق المملكة والثاني في مغربها وهم في الحقيقة همج اذا قبلوا غير خاضعين للحكام

## الفصل \* ال ث ا م ن عشر

### ﴿الملكمة الثامنة عشر﴾

هي مملكة كشمير الشهيرة بمالها من المنسوجات الرفيعة وتحتلها مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ هـ) و (١٨٤٦ م) غير أنها تؤدى خراجا سنويا الى الانكليز وموقعها في الشمال الغربي من ممالك الهند الانكليزية فيجدها جنوبا مازكر وشرقها الصين وشمالا التتر المستقايين وغربا أفغانستان وأهلها نحو سبعة ألاف لكنهم ازدادوا تساعا بالاستولاء عليه من قبائل الجبال التي فوق التتر وأهلهم مسلمون ولها ملك يادارة استبدادية شبه القانونية وعليه نظرا لحاكم العام الانكليزي في الهند ليكن له كثرة امتيازاته ذكناه مستقلا وكذلك يرسم في الخرايط

## الفصل \* ال ت ا س ع عشر

### ﴿الملكمة التاسعة عشر ملكة المجابون﴾

هاته المملكة هي أول ممالك الجزر التابعة لآسيا وهي متكونة من عدة جزر شرقي مملكة الصين وكانت في القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين في الشكل والعادات

(٣٩)

والعادات والحدائق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مائونا واثلاثمائة ألف وستمائة وخمسة وسبعين نفسا ثم استعملوا في أحكامهم وممالكهم وفي أواخر هذا القرن أعنى منذ نحو عشرين سنة استولى ممالكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشمر عن ساعد الجدي في أحداث عصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن يشبه الممالك الشرقية وصارت كأنها دولة ومملكة أوروباوية غربية من أعظم الممالك ذات السطوة والشأن والتمدن والتقدم والمعارف والصنائع وذلك أنه تولى ممالكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان مجتهدا بأحوال الأوروپا وبين القادمين إلى دولته لاسيما حاجة التجارة وكان سمع من أحوال أوروبا وتقدمها ما هو معروف ورأى من تفهق ممالكهم وما جاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالها ولا كنه خشي من تمسك قومه بالعادات القديمة التي يحافظون عليها كاهالي الصين لئلا كنه استعان بالخلعة المخصوصة بها أتمته وهو أعجابهم بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير رزي الموظفين ورؤساء الدولة وجعله على النحوال الأوروپاوية وبقي هو في ذاته على الرزي القديم محتملا لأفكار القوم بذلك فلم يرمهم إلا بالإسراع والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن غير رية في نفسه وأرسل سفرا إلى أور وبالإستقراء ما فيها من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب وحركاته وجلب المبادئ المحتاج إليها في ممالكهم من علماء وآلات وغير ذلك ثم ألزم أتمته بإعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الإشراف بمعنى أن كل عائلة شريفة تملك قسما من الأراضي عن فيها من الناس يكونون تحت هبوديتهم وامتنال أوامرهم فأبطل هاتاه العادات وانتخب من قوانين ممالك أوروبا ما صلح في نظره وصالحه على مقتضيات عادات بلاده وأمر بالعمل به كما ألزم العمل بالطريقة العسكرية في حركات الحرب المعمول بها في أوروبا وألزم كل ذكر يبلغ سن العشرين بالانتظام في سلك العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكاتب والمدارس في العلوم الرياضية وغيرها وكثر منها التكميل للآزم وألزم الأهل بالاعتدال في التمرات للبريد وأنواع التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة عما جلبه من السلاح الأوروپاوية من الطراز الجديد أحدث معامل في ممالكهم وأنشأ السفن حتى كانت عنده إحدى عشرة مدرعة وبالجملة فإن انقياد الأمة الجاوية إلى هذا الملك وتقدم هاته المملكة في أسرع وقت من عجائب هذا القرن التي تخلف في التواريخ وستأتي قوتها البحرية والمالية في جدول الدول وعلى ما تقدم فتمت كاحدى الدول

(٤٠)

الاوروباء والاول المتقدمة وفيها من الثروة والتجدين والغنى ما في مالكا اوروباء ما في  
مملكة الصين وقاعدة هاته المملكة مدينة جد وفي جزيرة نينغون التي بها جبال بالمكان  
كثيرة ولا جبالا يكثر فيها الزلازل ومعادن غنية وأصل ديانتهم كديانة أهل الصين

## الفصل \* العشرون

﴿المملكة العشرون مملكة اتشين﴾

وهي قاعدة جزيرة سومطرى وهاته الجزيرة خصبة جداً وفيها معادن جيدة ومغاص  
على اللؤلؤ ويقسمها خط الاستواء الى قسمين وهو أوها على العموم جيد في الجمال  
ردى في الاودية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها في اتباع لدولة  
العثمانية لكن التغافل من بعض المتوظفين أوجب إهمال الدولة لحقوقها فيها على  
مأساى وأوجب التكم عليهم بالقتال لها وذلك أن هاته المملكة كانت في الزمن  
القديم تحت رؤساء من المجوس الى أن فتحها السلطان (جودشاه) من أمراء الهند في ٤  
رمضان (سنة ٦١١) وأسلم كل أهلها وتذهبوا بذهب الشافعى وفي  
(سنة ٩٢٢) في ولاية سلطانها (فرماه شاه) بايعت بالخلافة للسلطان (سليم خان)  
وحصلت منه على فرمان متضمن لقبول جانيها وابقاء سلاطينها على يد الوزير سنان  
باشا ثم جدد ذلك السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وأرسل الى سلطانها (علاء  
الدين منصور شاه) فرمان النعمية ونشانا مرصعا ونشرت على قلاعها وسفنها الراية  
العثمانية وعدة سلاطين تلك العائلة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطانا  
وبقتضى ما لهم من الرخصة في إدارة المملكة مع تكاثر الأجانب وحجم التسلط في جهات  
الهند وبخره عقد أحد سلاطينهم المسمى علاء الدين محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات  
مع الهلانديين على أحوال التجارة والسياسة ومنها أن لا يقع منهم التعدي على أحد رعايا  
اتشين ولا التعدي على حقوقها ومما السكتهم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١)  
أيام السلطان جوهر العالم شاه وبجرب ذلك سوغ لملك اتشين المتاجرة في مملكة اتشين  
فاما الانكليز فازالوا قائمين بعهدهم الى الآن وأما الهلنديون فأحلوا بالعهد منذ  
سنة (١١٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها نافرين عن  
سلطانهم وبينهم عداوة سكتت دولة اتشين على الاسقلاء عليهم كما هي المصيبة في هذا  
الزمن بالمسلمين من الشبهة ببعضهم بدخول الأجانب فيهم حتى يكتفوا منهم

جميعا

(٤١)

جميعه الاقدار الله ثم لازلت هولانده تقف في أبواب التسايط على المملكة الى ان فقت عليهم حرباً فجأة سنة ١٢٩٣ وكان ساطتها اذالك حديث السن وهو (محمود شاه علاه) وعند غيبة الناظر عليه ومدير امور ملكه الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاسنانة لاستنجاد الدولة العلية أيام السلطان عبدالعزيز فلم يساعد واشتد الحرب بينهم ولم زال الهلنديون يقتحمون في تلك المملكة الى الآن وان وجدوا من الحجة والشجاعة ما عاقهم عن انفاذ غرضهم عن عجل لكن اعانهم من عدلان بعضهم لبعض مع عدم آلات الحرب وعدم معرفة آلاته الحديثة وأما قوة هاته الدولة المسالية والحربية فغير معلومة وكانها لا تلبث ان تصير من أتباع هولاند كما وقع في جزيرة جاوة وجزاير واقواق وغيرها مما استولى عليها الفرنسيين والهلنديون وغيرهم من الدول الاوروباية فان لكل من هاته الدول مستعمرات في هاته القارة في شطوط الهند وفي شرقه وجزره وتجري فيهم أحكام الدول المتغلبين لكنهم ليست كأحكام ملكهم وانما هي أحكام استبدادية عسكرية بمرعاة العوائد للاهالي ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات الانكليز لم يندكرها على حدتها مثل ما ذكرنا الهنـد الانكليزية ولله مبررات السموات والارض

❖ القسم الثاني من الارض ❖  
هو قارة أوروبا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل بقارة آسيا المار ذكرها والمدنيتهما هو جمال ارال ونهر دون الذي مصبه في البحر الاسود ثم يحدها جنوباً البحر الاسود وبحر مرمر والبحر الابيض وبغاز طارق وغرباً المحيط الغربي والمانش وشمالاً المحيط الشمالي والمانش والباتيك والمنجمد القطبي وهاته القارة الآن رمتها السعد بالخطاه وخط لديم اركابه في مكانه سعد افراد الانسان وتمحس كذلك بقاع الارض حاشا البقاع المكرمة بالانوار الالهية وانما نعي البخت الديوني فان هاته القارة كانت قد ابلت مدة وهي في الحضيض الاسفل ما بين خلأ ونواب ودار وتوحش فيما سلف من العصور الى ان حدثت فيها دولة الرومان واليونان وتشعبت فيها المعارف وانتفى فيها التمدن والصناعات لكنهم لم تلبث ان عادت كما كانت عليه من التوحش والبربرية لاقتصار تلك المبادئ المحسنة على افراد وان كانوا كثيرين في مراكز مخصوصة وانحصار السطة القهرية في تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك السطة غير انها حدثت فيها تمدن آخر في مدة الامبراطور شارلمان المعاصر للخليفة هارون

(٤٢)

الرشيذ الذي أكتب على المعارف وملازمة أهلها وبث منها في محال كنه ما وسعه الامكان  
غير انها تفهمت بعده أيضا ونشرع فيها تمتد من ذخيرة سبعة سنة على خلاف المعهود  
سابقا وامتد فيها تدريجا الى أن بلغت في هذا العصر الى الدرجة القصوى من التهذيب  
والتمدّن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والنفوذ على جميع أقسام الارض  
ودونك نموذجا لاخبار ذلك الترقى وحاصله ان أهالي اور وباستفادوا من العلوم التي  
بالاسان اللاتيني واليوناني اللذين تحفظت عامها الكنييسة وكان أهلها في مدة الجهل  
العام يبدلون أقصى الجهد في التحفظ على تعاليم دينك الاسانين وترقى تلامذتهم  
في العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية في المغرب  
بجوارتها في الاندلس فأخذوا عن العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والجغرافيا التي  
علمتها المسلمون بالاسفار للبحر من الاقطار القاصية والفتوحات الممتدة شرقا وغربا  
والاعتناء بالتجارة حتى ان ملك صقلية دعا اليه العلامة الادريسي وألف عنده كتابه  
الغريب المسمى نزهة المشتاق في الجغرافيا واستفادوا ايضا من الاسلام في المشرق في مدة  
حروب الصليبيين الطويلة وانه لما منهم من مسالك الترقى والقوة وفنون المعارف فانبثت  
فيهم في جهات عديدة في وقت واحد فمكنت في القرن الثالث عشر المسيحي الموافق  
للقرن الخامس والسادس الهجري علماء في الفلسفة وغيرها في كل من فرنسا وإيطاليا  
والسنايا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة في ترقية نفسها والتشديد بالوسائل التي  
لا تحوجها الى غيرها وأعظم الوسائل التي أعانتهم على بلوغ المعارف صناعا طبع  
الكتب التي كثرت بها المكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى لا يزدى الثروة  
ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة في عدم انسجام  
الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن  
لهم شريعة تضبطهم وانما الملوك المستبدون هم الذين يتصرفون كما أرادوا وجذبوا  
اليهم العلماء بالترغيب والترهيب فأعانوهم على العاقبة الى ان وصلوا الى درجة  
الاضمحلال فلما انفتحت بصائر الامم تحذروا في جهات الى تقييد التصرف من الملوك  
بمشاورة رؤساء الامم ووجهاتهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لمعاداة الامة  
وما يقتضيه حالها وان يستوى الشريف والمشرؤف في الحقوق الشخصية وان لا يمتاز  
قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالمولم والاراضي والتجارة وغيرها فحصل هذا  
المقصود في بعض تلك الممالك باراقة الدماء الفرية بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفي

(٤٣)

وفي بعض الممالك تفتن عقلاء ملوكها الى وجوب العمل بذلك الوجه اما لخذفهم وايثارهم  
 للمصلحة العامة على الخاصة بهم حيث علموا انها اى الخاصة لا تدوم الا بدوام الامة فاستزوا  
 مصلحة الامة او اتقاء من ايلولة أمر المملكة الى ما آل اليه غيرهما مما لا ثمرة لهم في الاصرار  
 على منعه فسارعوا الى فتح الاهالى بالقوانين والحرية منة منهم وما حصل في احدى  
 الممالك اجراء القوانين على اى وجه من الوجوه المتقدمة الاخذت في الترقى والثروة  
 لان مكافئ الظلم المؤذن بالحرب فتحدثت احوالها ونمت سكانها وعمرت ارضها وكثرت  
 صنائعها واثنت ثمرت فيها المعارف وزادت اتقانها واختراعها وامتدت تلك المملكة بسطوطها  
 على من لم يجاريها فيسا هي عليه وسرى العمل على ذلك النخوة في جميع ممالك أوروبا  
 تدرجها الى ان عم جميعها ولم يبق منها الا أن مخالفا لبقية ممالك الروسة بما بحيث يصح  
 ان يقال ان جميع أوروبا كانت مملكة واحدة على غط واحد وغاية الاختلاف بينها  
 انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة أما أصول هاته الاشياء فهي موجودة في الجميع  
 ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاما عاما ونذكر اسماء ممالكها وقواها اذ هذا كاف  
 في المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الائمة من غير اسمائها  
 ونحن منذ ان شاء الله تعالى في المقصد بتفاصيل ممالك مهمة منها فبقاس عليها  
 غيرها اذ هي متشابهة على التقريب وانما نفرد دولة روسيا لمخالفة سيرتها لبقية وأما  
 الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها في قسم آسيافا حكماها جارية في الجميع على  
 السواء غير انها لم كانت لها في قسم أوروبا ولايات ممتازة ولايات غير ممتازة فنعيد ذكرها  
 هنا ايضا وعلى ذلك فنقول ان أوروبا تنقسم الى دول جنوبية ودول روسية ودول  
 شمالية رجبها ثمانية عشرة مملكة كلها نصراينية الا الدولة العلية كل منها مستقلة  
 عن الآخر وان كان بعضها يتألف من أكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة  
 وهي الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وإيطاليا واسبانيا والبرتغال والوسطى ستة  
 أيضا وهي فرانسوا وسويسرا والبلجيك وأوستريا والصرب والرومانيا والشمالية ستة  
 أيضا وهي روسيا والسويد والدانيمرك وهالاندة والمانيا وانكلتيرة

## الفصل \* الحادى وال عشرون

فاما الدولة الاولى فهي الدولة العلية وتحتها القسطنطينية فالتا العامة تقدم الكلام

(٤٤)

عليها وأما الخصاص منها بهاته القارة فان لها عمالاً كثيرة فتمت ما هو ممتاز ويؤدي  
ادامته - نويا معلوما وادارته في نفسه مستقلة كولاية البلغار التي قاعدتها صوفية قائما  
بعد معاهدة برلين الناتجة من حرب سنة ١٢٩٤ التي سياتي تفصيلها في المقصد ان شاء  
الله تعالى صارت هاته الولاية امانة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الابدالات العامة  
في عمال أوربا ذات القوانين التي يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى  
وأغلب سكانها بلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منها في أشد  
الضئف لا سيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذي صارت له السيادة على الجميع لانهم  
ولان كانوا ظاهرا ادارتهم حرة قانونية لكن الباطن استبدادية تحت اشارة الروسيا  
المستعمدة المادة للامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق في انشاء حصون على  
حدودها والحصون التي كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة  
يكونون من الاهالي وأغلب رؤسائهم الآن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء  
السوى الذي يلزمها اداة للدولة العلية بسبب التراخي عن اجراء جميع فصول معاهدة  
برلين وكذلك للدولة العلية في هاته القارة ولايات أخرى مستقلة في الادارة وما زاد من  
دخلها عن مصارف مصالحها الذاتية يؤدي الى خزنة الدولة الا لا الكرك والدخان  
فيهما راجعان للدولة وهاته الولايات نصرانية وشروطها ان يكون نصرانيا يولي  
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل اتمامه خمس سنين وأما العساكر فليس  
لها ان تنظم جيشا وانما تحدث حرسا أهليا لافاد الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان  
أحوج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالي مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة  
أن تقيم في الحصون والحدود عساكر على حسب ما يظهر لها بشرط أن لا يكون على  
الاهالي منهم أدنى كلفة أو نفاق وهاته الولايات هي الرميلى الشرقية واكريت والسوسام  
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهليين كما ان للدولة ولايات أخرى  
في هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من بقية الممالك وهي ولايات الرميلى كادرنة  
وشقودرة وسلانيك وخزاير البحر الابيض وأما بوسنة وهرسك فكل هاته تحت تصرف  
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان لها فيها العلم بحيث ينشركل من علم أوستريا  
وعلم الدولة معا والمخطبة باسم السلطان العثماني والمتوظفون العثمانيون ان صلحوا  
في نظر الوالى الاوستوري يوي يبقون كما ان أوستريا أخذت عساكرها مشاركة للعساكر  
العثمانية في صنجق نوفي بازار مع بقاء الادارية للدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برلين



(٤٥)

برلين فيجد أملاك الدولة في أوروبا الآن شمالاً والطنونة وغرباً النمسا والصرب  
والجبل الأسود وبحر البنادقة ويحدها جنوباً بونغازا القسطنطينية وبحر مرمرا وبنغاز  
جناباً قلعة وبحر الجزائر والبحر الأبيض واليونان وشرقاً البحر الأسود وبحر الجزائر

## الفصل \* الثاني وال عشرون

وأما الدولة الثانية وهي الجبل الأسود فأنما استقلت بعد الحرب الواقعة سنة ١٢٩٢  
وكانت تابعة للدولة العلية ولا زالت تلحق بالامارة ثم ضم اليها قطـع من ممالك الدولة  
العلية وصار الآن سكانها نحو ثلاثمائة ألف ويحدها المملكة شمالاً في البعض  
أوستريا وغرباً والبحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستمين

## الفصل \* الثالث وال عشرون

وأما الدولة الثالثة وهي اليونان فأنما كانت تابعة للدولة العلية أيضاً واستقلت في سنة  
١٢٤٦ وكان اذ ذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة ألف فتكاثروا إلى ان بلغوا الآن إلى  
ما يزيد على المليون ونصف ولهذا الجنس الشهرة التامة في التقدم وفنون العرفان في  
العصر السابقة لانهم لم يمتنعوا على ما كانوا عليه والى الآن لهم اعتناء زائد بالسفر  
وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة في البحر الأبيض فيحيط بها من جميع الجهات الا  
الجهة الشمالية فتحدها الدولة العلية ولها جزاير أخر بقرتها تابعة لها وقاعدتها اثينا

## الفصل \* الرابع وال عشرون

وأما الدولة الرابعة وهي ايطاليا فقد كانت منقسمة الى عدة أمارات وممالك ثم في أواسط  
هذا القرن أخذت في الاتحاد الى ان تم اتحادها بجعل مدينة فيرونة تحتها في سنة  
١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو مائة وعشرين مليوناً ويحدها  
البحر الأبيض من الغرب في البعض وفي الباقي فرنسا ويحدها جنوباً البحر المذكور  
ويحدها من الشرق بحر البنادقة في الجبل وفي البعض أوستريا ويحدها شمالاً أوستريا  
في البعض وفي الباقي سفيسرة وفرنسا وسويسرا في مزيد الكلام عليها بانفرادها في المقصد  
ان شاء الله تعالى

(٤٦)

## الفصل \* الخامس وال عشرون

وأما الدولة الخامسة فهي دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية في شمال الاندلس ولما اكب المسلمون هناك على شهواتهم وعملوا بالظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا دسما عظيما من فرانسائهم تركوا ما كانوا عليه وانقسموا ملوكا وانفك كما قال شاعرهم

مما يرهدي في أرض أندلس ❀ ألقاب معتضد فيها ومعتدى

ألقاب ساطنة في غير موضعها ❀ كالحريكي انتفاخا صولة الأسد

فحينئذ استعانت دولة الاسبانيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض واستمدت بالغاثة الى أن تسلطت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تفرعن سماعه الاذان حيث ألزمت المسلمين اما تبديل دينهم أو القتل فهرب من قدر منهم على النجاة أفواجا فواجهوا حفاة عراة وتشتتوا في المغرب والجزائر وقوس ايدي سبائهم استفحل أمر تلك الدولة أي الاسبانية وليا إلى أن كانت هي وحدها اذ ذاك ذات التقدم على سائر الدول الاورباوية لما فازت به من ثمرات فنون المسلمين وصنائعهم وكانت وحيدة في القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف أمريكا كان من اسطولها كما سياتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات في أمريكا والبحر الهندي وأفريقية غير انها فيما بعد دأبت نحن فيها الاستبداد جراحه سنة الله في أرضه فتهقرت الى ان كادت أن تملأ من وخرج عنها كثير من مستعمراتها ونزحها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال والثمرات الى أن استنقذت الامة من غفلتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب دولة قانونية وامتد أمرهم في تحصيل مقصودهم بضع سنين وهي من سنة ١٢٨٦ الى سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وما كروا عليهم ابن ما كنهم السابقة التي ثاروا عليها بعد ان سيروا الحكومة الجمهورية ثم عدلوا عنها وادوا أحدا ثلاث ملوك أوروبا فاعادوا عليهم ابن ملكا إيطاليا ثم بدله منهم النفرة فجاج نفسه وأوصلوه الى بلاده محروسا مكرما وعادوا الى الجمهورية فانف منها شرفاؤهم وأغلب الاها الى فاستقر أمرهم على ابن ملكتهم المذكور على ان يكون تحت القوانين المرتبة وخاضعاهلها فاستقام حالهم بذلك وأقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصله من عهد قريب وبعد

حروب

(٤٧)

- \* حروب أهلية لم تتراجع دولتهم الى ان تعد من الدول الاولية وسكان هاته الممالك عدى ما بقى لها من المستعمرات سبعة عشر مليوناً ولها مستعمرات في أمريكا وفي شطوط أفريقيا وآسيا وجنرالاً قبانوس يبلغ عدد سكانها نحو تسعة ملايين وهاته الممالك تحت سيطرتها جنوباً وغرباً طارق والبحر الأبيض شرقاً والبحر الأبيض في البعض وفرانسا في الباقي وشمالاً المحيط الشمالي وغرباً المحيط المذكور وممالك البرتغال وقاعدتها مدريد

## \* الفصل السادس والاربعون

- وأما المملكة السادسة وهي مملكة البرتغال فقد كانت قسم من الاندلس ثم اسبانيا وعند تهجر هاته المستعمرات عليها واجرت القوانين فكانت مستعمرة السيرة على قدر حجمها وسكانها نحو أربع ملايين ونصف ولها مستعمرات في شطوط أفريقيا والصين والهند يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحدها المملكة غرباً بالمحيط الغربي ومن بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها الشبونة بالتسمية العربية وحرورها الآن فصارت لزبون

## \* الفصل السابع والاربعون

- وأما الدول الوسطى فاولها دولة فرانسا ذات النخوة والشأن المتقدمة في التقدم والسطوة والعرفان وسما في تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى وانما نقول ههنا ان هاته المملكة حوت من المحاسن والصفات ما اقر لهابه معاصروها ومن كبرها ولولا تقسيم أهلها لاجاب مع سرعة العمل بينهم لمسا حارتها دولة وهي تشتمل على نحو ستة وثلاثين مليوناً من النفوس ولها مستعمرات في جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين واستقلالها قديم وتحتل مدينة باريس ويحدها جنوباً بالبحر الأبيض وإيطاليا واسبانيا وشرقاً بإيطاليا وسويسرة وجرمانيا والمجر وشمالاً بالبحر الأبيض والمحيط الشمالي وغرباً بالمحيط المذكور وهي من اقدم الدول القانونية وان طرأ عليها في الوسط شيء من الاستبداد لاكنها ازاحتها وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

## \* الفصل الثامن والاربعون

- وثانيها دولة سويسرا ويحدها جنوباً بإيطاليا وشرقاً بأوستريا وشمالاً بالمانيا وغرباً بفرنسا

(٤٨)

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا لمدة قرون وفي خلالها يحصل لها في بعض الاحيان استقلال الى أن تم استقلالها باعتراف جميع الدول الكبيرة وضعهم لاسم استقلالها وذلك (سنة ١٦٤٨) أي أواسط القرن الحادي عشر الهجري ولا زالت على ذلك وسكانها نحو مائتين ونصف وحكومتها جمهورية خالصة بمعنى ان المجالس العليا ينتخب أعضاؤها من أنفسهم - بصفة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون بمثابة الوزراء في إدارة الامور على نحو ما تنفق عليه المجالس وينتخب لهؤلاء السبعة رئيس لمدة عام واحد يكون هو رئيس الدولة العام وتحت المملكة مدينة بارن

## الفصل \* الت اس ع و ا ع ش ر و ن

وثالثها دولة البلجيك فيجدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا بحر المانش والمحيط الشمالي وشرق المحيط الشمالي وهولانده والمانيا وعددها سكانها نحو خمسة ملايين وتحت المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها بهولانده بعد سقوط نابليون الاول ثم استقلت بتا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة (سنة ١٢٤٦) هجرية فسبقت أيضا في العمران والثروة

## الفصل \* ا ل ث ل ا و ن

ورابعها مملكة دولة النمسا المتركة من دولتين مستقلتين وهما أوستريا وهنغاريا وكل منهما لها إدارة خاصة بجميع داخلاتها ووزراها يشرون الإدارة في كل منهما أولها ملك واحد يلقب بامبراطور أوستريا وملك هنغاريا وله قانون معلوم في كيفية الاتحاد والانفراد وحدود كل منهما ومنها أن يكون وزير الخارجية وعلائقه متحدان في كل من المملكتين ودولة أوستريا من أديم دول أوروبا وكانت في مبدئها صغيرة ثم تعاظمت ودخلت في العصبة الألمانية حيث ان من أهلها قسمي عظيم من الجنس الألماني وصارت لها الرئاسة على العصبة مدة الى ان انتزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤) في حرب عاصفتها فيها إيطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الألمانية وصار عدد أهلها ثمانية الدول نحو سبعة وثلاثين مليوناً ويجدها جنوبا بالرومانيا والصرب والدولة العلية وبحر البنادقة وإيطاليا وغربا بسفيصرة والمانيا وشمالا ألمانيا والروسيا وشرقا

الروسيا

(٤٩)

الروسية اورومانيا وقاعد المملكة الاولى هي مدينة فيينا وقاعدة الثمانية هي مدينة  
بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

## \* الفصل الحادي والثلاثون \*

وخامسها دولة الصرب وانما صارت دولة مستقلة بعد الحرب سنة ١٢٩٣ وكانت  
أما دولة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدي لها الخراج وبمقتضى معاهدة برلين  
صارت دولة مستقلة يجدها جنوبا بالدولة العلية بامارة البلغار وغربها وشرقها هي أيضا  
ونهر الطونة وشماليها النهر المذكور والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة  
العليبة وتصرفها بيد النمسا وعدد سكانها في الدولة مع ما أضيف إليها بمقتضى المعاهدة  
المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بانغراد

## \* الفصل الثاني والثلاثون \*

وسادسها دولة الرومانية يجدها جنوبا بالدولة العلية بولاية البلغار في البعض وفي الباقي  
نهر الطونة ويجدها شرقا البحر الاسود والروسية يا وشماليها روسيا والنمسا وغربا النمسا  
وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وبقية أحوالها مثل الدولة المتقدمة  
عليها في الذكر لكنها متقدمة في التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة  
العليبة كانت تسمى بالولاياتين أي الأفلاق والبغدان حيث كانت متقدمة اليها ثم  
اتحدتا في عشرة السبعين والمائتين وألف تحت أمير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة  
برلين بعد ان دخلت في اعادة الروسية على كرم من الاهالي ولا زالوا محبين للترك الى الآن

## \* الفصل الثالث والثلاثون \*

وأما الدول الشمالية فالدولة الاولى منها دولة انكلترا تيرة السابقة في الحرية والثروة وهي  
جزيرتان منفطعتان في المحيط الشمالي يحيط بهما البحر من جميع الجهات وأقرب وجهه  
من القارة اليها هي مملكة فرانساو يفصل بينهما بحر المنش واضيق جهة منه بينهما  
نحو عشرين ميلا وسكانها نحو ثلثي مليون وقاعدتها مدينة لندن ولها مستعمرات  
في جميع أقسام الكرة فتنها الهند وجزره وعدن في آسيا كما تقدم الكلام على ذلك

(٥٠)

\* ومنه رأس الرجا الصالح وغيره في أفريقيا ومنها آيات في أمريكا الشمالية وأخرى في الجنوبية وأعظم جزائر أوسـترااليا وعدد جميع من يتبعها في المستعمرات نحو مائة وتسعين مليوناً وسبأ في الكلام على هاته الممالك مفصلاً في باب خاص من المقصـد ان شاء الله تعالى

## الفصل \* الرابع

والثلاثون

\* والثانية منها دولة هـلاندية ويحدها شمالاً وغر بالمحيط الشمالي ويحدها جنوباً بالبحر الهندي وشرقاً ألمانيا وقد كانت تدولتها دول جرمانيا وفرنسا واسبانيا الى أن استقلت مع البلجيك بعد سنة ١٨٣٠ م وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نفس ولها مستعمرات في جزائر الهند وJava وسمطرا وأمریکا وأفريقيا عدد سكانها نحو عشرين مليوناً من الانفس وقاعدة الممالك مدينة هالك

## الفصل \* الخامس

والثلاثون

\* والثالثة منها دولة ألمانيا المتولفة من ستة وعشرين دولة كل منها مستقلة بإدارته الداخلية ولهم قانون في الوحدة ومجالس يشترك فيها الجميع عدد أعضائه على قدر مناسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع هاته الدول الآن لدولة بروسيا ومالكها يلقب بامبراطور ألمانيا ويحدها جميع الممالك شرقاً روسيا والنمسا وبحر البلطيك وشمالاً البحر المذكور والدانيمرك وغرباً هـلاندية والبلجيك وفرنسا وجنوباً سويسرة وإيطاليا والنمسا وعدد سكان الممالك احدى أربعين مليوناً والقاعدة الكبرى للبحر هي برلين وهذه أمم الدول المائة ألفه منها العصابة مع عدد السكان وأسماء القواعد

(٥١)

عدد سكان الممالك	أسماء القواعد	أسماء الممالك
٢٥٠ و ١٧١ و ٠٠٠	برلين	بروسيا
٠٤٠ و ٨٦٤ و ٠٠٠	مونيخ	باوير
٠١٠ و ٨١٨ و ٠٠٠	استوتغارت	فورتمبيرغ
٠١٠ و ٤٦١ و ٠٠٠	كارلس	بادن الكبرى
٠٢٠ و ٥٦٠ و ٠٠٠	درازد	الساكس
٠٠٠ و ٠٩٧ و ٠٠٠	نيوستراس	مكلنبورغ ستراس
٠٠٠ و ٣١٦ و ٠٠٠	أولدينبورغ	أولدينبورغ
٠٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠٠	ويمبر	الساكس ويمبر
٠٠٠ و ١٨٨ و ٠٠٠	ميمنجن	الساكس ميمنجن
٠٠٠ و ١٧٤ و ٠٠٠	غوتا	الساكس كوبري غوتا
٠٠٠ و ١٤١ و ٠٠٠	التمبورغ	الساكس التين بورغ
٠٠٠ و ٠٧٥ و ٠٠٠	رودولف اسناد	اشفازر بورغ
٠٠٠ و ٠٦٨ و ٠٠٠	سوندرسوزن	شوراشبورغ سوندرسوزن
٠٠٠ و ٠٨٩ و ٠٠٠	شلايز	أدليس شلايز
٠٠٠ و ٠٤٥ و ٠٠٠	غرايز	أوليس غرايز
٠٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠٠	ديسو	أنجات
٠٠٠ و ٣١٢ و ٠٠٠	ابرونزويك	ابرونزويك
٠٠٠ و ١١١ و ٠٠٠	ديتموله	ليبديتموله
٠٠٠ و ٠٣٢ و ٠٠٠	بوكي بورغ	ليبيد شاومبورغ
٠٠٠ و ٠٥٦ و ٠٠٠	ادرسن	فالديك
٠٠٠ و ٨٥٣ و ٠٠٠	دارمستاد	ايس دارمستاد
٠٠٠ و ٥٤٨ و ٠١٠	(كولما)	(استريبورغ) (ميتس) للجاس والاورين
٠٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠٠	هانمبورغ	بلدة هامبورغ
٠٠٠ و ٠٥٢ و ٠٠٠	لونك	بلدة لونك
٠٠٠ و ١٢٣ و ٠٠٠	بريم	بلدة بريم
٤١٠ و ٠٠٣ و ٠٠٠		

(٥٢)

وكلهذا ذات قوانين والسياسة الخارجة من كلفة لها الدولة الرائدة

## الفصل \* السادس

✽ والثلاثون ✽

والرابعة من سادولة السويد المتألفة من دواتي السويد والنورويج وكل منهما مختصة  
بأدارتها الداخلية والوزارة والاسان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك  
واحدا والسياسة الخارجية أيضا لكومة السويد وكانت المملكة قديما ذات عظمة  
فاستقلت عنها الدانمرك وأخذت قسما عظيما منها روسيا واستقرت على الحالة التي هي  
عليها الآن من تسقوط نابليون الاول فجمع مع سكان الممالكين نحو خمسة ملايين  
ونصف يخص السويد نحو أربعين مليون ونصف النرويج نحو مليون ونصف وقاعدة  
الاولى اسكنوا قاعدة الثانية كريستيانية ويحد الممالكين اللاتين هما شبه جزيرة نرويجية تمتد  
الى نهاية القطب الشمالي من الجنوب بحر البلتيك وخليج بوتنيا وشمالا المتجه  
الشمالى في القطب وغربا خليج الصوند والبحر الشمالى وبحر الاسكندنافيا اللذان  
هما من المحيط الشمالى وشرقا الروسية في البعض وفي الباقي الخليج الفاصل بينهما

## الفصل \* السابع

✽ والثلاثون ✽

والخامسة من سادولة الدانمرك وانقردت عن السويد والنورويج في أواسط القرن  
الثالث عشر من الهجرة ثم في أوائل عشرة الثمانين ومائتين والف هجرية حاربتها كل  
من بروسيا والنمسا وملكها ولايتي الشولسويغ وهولستين التي هي أول شرارة  
القيت لانقلاب الموازنة السياسية في هذا القرن كما يأتي تفصيله في المقصد عند ذكر  
ايطاليا ان شاء الله تعالى فاستقرت المملكة شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال  
ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة الماندا البرسيمانية وشرقا خليج الصوند وبحر  
البلتيك الفاصل بينهما وبين السويد وشمالا خليج سكارج راء الفاصل بينهما أيضا  
وغربا البحر المحيط الشمالى وسكانها نحو مليون وسبعمائة ألف ولها مستعمرات في جزائر  
البحر الشمالى من أوروبا ولها في أمريكا أيضا مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها  
نحو مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وقاعدتها كونيهاغ

الفصل



(٥٣)

## الفصل \* التامن

والثلاثون \*

والسادسة منها دولة روسيا ومملكتها بالنظر لسطح الارض هي اكبر الممالك وقد تقدم الكلام على بعضها من آسيا وأما في أوروبا فيجدها شمالا المنجد شمالا وشرقا جبال أورال ونهر دون الفاصلة بين آسيا وأوروبا وجزءا بالبحر الاسود والرومانيا والنمسا وغربا المانيا والسويد وعدد جميع سكان المملكة بين آسيا وأوروبا نحو مئتين وثمانين مليوناً من النشوس منهم نحو مئتين مليوناً من المذهب المسيحي ارتدوكس وهو مذهب اليونان من المسيحيين وكلهم من نوع البشر المسمى بالسلاف وبقية العدد منه نحو ثمانية ملايين مسلمين والباقى من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على المذهب الارتدوكس وهى وان لم تجبر غير أهل ذلك المذهب على تبديل ديانتهم أو مذهبهم فليس لها سلطانة عليهم من حرية المذهب واشهرتعاليمه بل تجبرهم على تعليم أبنائهم في مكاتبها وتجبرهم أيضا على ترك لغاتهم ولا يخفى ان أهل مملكة مثل تلك في الانساع وكثرة الاجناس لابد ان يكون لهم لغات شتى حتى قيل ان اللغات الاصيلة فيهم تتجاوز الخمس عشرة لغة وهاته الدولة تكونت على الصفة المسار ذكرها في مدة قليلة فان هاته المملكة قديما لا يعرف منها الا أهل الجنوب باسم قبائل الى القرن الثالث المسيحي فتألفت في روسية أوروبا بسلطنة عظيمة من أمة الغوت ثم ثلاث بالحروب الاهلية وبعدها من الامم الشرقية على أوروبا وتمادت على ذلك الى ان استولى على أغلبها التتار في مدة باقونان ابن جنس كزيمان ثم ابتداء تأسيس المملكة سنة ١٤٨١ م و٨٨٦ هـ على يد ايفان الملقب بالامير الكبير وخضعت له ولذريته القبايل المتكونة منها روسية الاصيلة ثم انتطعت عائلته وحديث في المملكة تنهت عراشهم بها على الاضطرلال الى أن تولاهاميشال رومانوف وهو الذى أسس الدولة الموجودة الآن وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ هـ فأخذت في الراحة الاهلية وضم ما كان خرج عنها الى أن تولاهام بطرس الاكبر محي تلك الدولة فهو الذى أسس اسمها بين الدول المتبره واجتهد في ترقينها وبن مع مزيد اعتنائه بالسياسة وبمباشرتها بنفسه لئلا يمل انعام السافر الشاق في ذلك الوقت اتعلم الصنائع بنفسه حثلا لثمة على الاقتداء به وبقي مدة في ترخائه فلانده ليعلم صناعات التجارة حتى اتقن تعلمها وجلب للمملكة مئتين من مدة صنائع وأخذت من ذلك الوقت في الترقى والانساع مع خومه هو ومن

(٥٤)

خلفه ومهارتهم في الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان بلغت الاثن الى ما هي عليه من عزيد القوة والاتساع ولوانها كانت في المعارف والحريته مثل بقية ممالك أوروبا لما كادت ان تسلم منها دولة بيدان بقاءها على اصول الاستبداد أوجب فيها قلة الثروة والمعارف فلم تقدر على ان تجاز كل ما تضره وان كان القيصري موجودا الآن وهو الاسكندر الثاني قد حرر الفلاحين من تلك الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان من المملكة من ملك منهم أرضا كما كان فيها من العشر ويستعملهم استعمال العبيد بحيث يتصرف فيهم تصرفه في المتاع كما كانت تلك العادة جارية في أوروبا حتى ان الفلاح اذا أراد التزوج بعد الاذن له من سيده بأق بعروسه ليلة عرسه الى سيده ولا يمكن له أن يدخل بها قبل أن يسار له عالمه سيده وان أراد الاختلاء بها فله حق ذلك وقس على ذلك من أنواع الشناعة ما شئت في سنة ١٨٦٧ م و ١٢٨٤ هـ أبطل القيصر اسكندر الثاني ذلك الحكم وحرر الفلاحين وأما إدارة مملكته فهي من قبيل الاستبداد المطلق بمعنى ان رئيس المملكة ويلقب عندهم بكارار بمعنى قيصر أو امبراطور مع انضمام معنى الرياسة الدينية فهو الذي يتصرف في الكليات والحجريات على حسب ارادته واختياره ومن ينوبه في الوظائف يتصرف مثل ذلك التصرف باسم الكرار ولا كرار رياسته التصرف في الديانة وفي الملك وفي العسكر وفي الشخصيات ومع ذلك لهم تراتت ومجالس لتدبير الملك وإدارة الولايات فأول هاتيه المجالس المجلس المسمى بمجالس السلطنة وهو مجالس تشريع وإدارة وحكم فيستشار في جميع الامور المهمة غير السياسة الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها ولهذا المجالس النظر في احداث القوانين واجرائها وتعين المداخليل والمصاريف وتديق النظر في محاسبات الوزراء وترفع اليه الاحكام الشخصية الثقيلة ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء ينخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على فوعين فالاول لازم الحضور والثاني يحضر بالاستدعاء لدا يعقضي له تقاسيم في الادارة كل قسم مناط به شيء مما يتعلق بالوظيفة المجالس الثاني هو مجالس السمناتو الذي أسسه بطرس الاول ووظيفته حراسة القوانين والمراقبة على سيرة كبار المتوطنين والولاة والحكم النهائي في الجزايات السياسية الا خصوص نوازل يختص بها الامبراطور وهو ينقسم الى أقسام مراكزها في عدة جهات من المملكة في المدن الكبيرة ويجمع في أوقات الاجتماعات العاقمة المجلس الثالث مجالس ينظر في خصوص المعارض المقدمة للامبراطور وهل للشركين

من

(٥٥)

من الحكام عرض نواز لهم على أحد المجالس المذكورين سابقا المجلس الرابع المجلس  
الدينى المركب من اساقفة الايالات الكريمة ووظيفة تسمية كبار الكائنات والنظر  
في ادارتها اذا امضاه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤلف من تسعة وزراء  
فأكثر على ما يقسم الامبراطور ادارة الوزراء اليه والمجلس السادس مجلس الرقيب العام  
أعضائه مثل الوزراء ثم ان المملكة تنقسم الى أقسام وهي أيضا تنقسم الى أصغر منها الى  
آخيه سواء كانت في المدن أو في البوادي فالأقسام الكبار المتصرف فيها هو والى  
العام البلدى وهو المطالب للامبراطور بجميع ما يحدث في ولايته ولذلك كان له  
الاطلاق أيضا في امضاء ما يراه مجلس الولاية أو دحضه وهكذا كل رئيس في قسم أصغر  
منه هو مطالب بان فوقه فلا جدوى في ان كان لكل من مجلس مركب من أعضاء من  
أهل المكان وفي كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان عدد أعضائها على حسب  
الدوائر والمشيخات الراجعة لذلك القسم ورئيسها يلقب بشاريشال الاعيان ووظيفتها  
تعيين غالب المتوظفين في كل ثلاث سنين اذا امضاه والى أو الامبراطور وفي كل مدينة  
أو قرية مجلس بلدى تحت رئاسة أحد اعيانهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس  
هو البلدية من البلدان ومعنى البلدية هو الاعيان والاواسط من الناس وأما اصحاب  
الخدم البلدية فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية ادارة الاشغال العامة  
ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين البلدية في التجارة كما انه يوجد في هاته الاقسام  
مجالس للمحكمة في الجنايات ومجالس للمحكمة في الامور العرفية وامضاء الحكم مناط برئيس  
القسم كما تقدم كما ان لكل مشيخة بالبادية جمعية من كبار ائمتهم لفصل نوازلهم وتقسيم  
الاداء اللازم للدولة وتعين من يدخل للعسكر ورؤساء هاته الجمعيات هم أقدمهم  
في المشيخة ولهم الخيار أيضا في تنفيذ رأى الجمعيات ومن مجالسهم مجالس الصلح وهو الذى  
يوضح المتوظفين عن تجاوز ما مورياتهم والحكم في الجنايات الخفيفة والمسايات التى لا تبلغ  
أربع مائة فرنك ومن قواعدهم ان المحصين اذا حكموا أحدا يمضى حكمه على شرط تقييده  
في دفتر مخصوص لذلك أما أحكام الحكام فمضى شفاهية ويشترط في المتوظفين ان يكون  
أصحاب عرض وان لا ينقص سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفي خصوص  
الولايات التى في حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدنى وله الرئاسة عليه  
وبخصوص ولاية فلاندا وزارة خاصة في قاعدة المملكة ومجلس سناووا يسمى الامبراطور  
في كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هي صان بطرس بوج فادارة هاته المملكة وان

(٥٦)

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من موظفيها انتخبهم الاهالى لـكنها فى الواقع اسبق دأدية حيث ان اجراء كل شئ وتنفيذه منساق بالامباطور ثم بخلفائه ولهم الخيار فى التنفيذ وعدمه من غير تقيد بمرجع ولا يخفى ان ذلك الرئيس وان كانت أغراضه لا تعم جميع الخزيات لـكنه له حواشى وأتباع فيراعى لكل منهم بم بعض الوجوه ولكل منهم علائق وأغراض فيتسع الخرق فى المراعاة والمداواة وتجرى الامور على الشهوات ولهذا لما كثرت الصحف الحبرية فى نفس المملكة وكثرت فيها الصحف الاجنبية وكثرت المدارس التى تعلم اصول التـذيب وكثرت المواصلة ببقية ممالك أوروبا بالطرق الحديثة انفتحت بصائر اهالى المدن الكبيرة فى روسيا وسرى الامر منهم لمدن توافى فى جهات من المملكة فـصل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولا رالت مستمرة الى الآن لـكن تارة تشدد وتارة تخفف فى طلب اجراء الحرية والقوانين مثل بقية أوروبا وزادهم جلاء على ذلك ماراؤهم من دولتهم عند اعلانها الحرب على الدولة العلية سنة ١٢٩٤ الا انى خبرها فى المقصد ان شاء الله تعالى حيث حررت اهل الباغار مع انهم أحسن ادارة منهم وجعلت لهم ولاية ممتازة ادارتها قانونية فقلا لوالنا انتـحكم على جيراننا وننفع غـيرنا ونهرق لاجلهم دماءنا وأموالنا ونخن فى حالة انعس منهم فـكان لسان حالهم يقول

يا أيها الشيخ المعلم غـيره \* هل لـلنفسك كان ذا التعاليم  
فالخاص لـ ان مملكة روسيا انما تقدمت بالسـطوة والقوة لمجرد حذق امرائها فان القيصـر ولان كان له التصرف المطلق لـكنه دائماً يراعى مصلحة المملكة وبقية قدمها على خطوطه الخاصة ولا يصرف من أموال الدولة الا فى مصالحها وهو فى حـمد ذاته فى غاية الاقتصاد ثم انه يستعين بالرجال العارفين المحازمين الصادقين ولا يغير احدا من الكبراء من منصبه الا لمصلحة مهجة أو ذنب ثابت حتى ان وزيره الاكبرالاتـن وهو غرناشكوف له فى الوزارة سبع وعشرون سنة مع كبر سنه الذى يبلغ الثمانين ولم يغيره بل انه مرض مرضا شديدا فى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفه وجعل له نائب عنه لمباشرة الاشغال الى ان يتبرأ له مباشرة لـاحوال وعادة بنفسه فى مرضه كما انه استعفى مرارا ولم يجبه الى ذلك وهو اى القيصـر منفة الدتداير ووزرائه والناسحين العارفين وهكذا اسلافه فان الوزير نسل رود الذى كان قبل غرناشكوف مكث فى الوزارة ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بين ساو بين

مدن

(٥٧)

مدن أوروبا القانونية لافي الادارة الحكيمه ولا السـياسية ولا التحسين التشخيصى اما  
غيرهامن بقية المملكة فكأنما الناس عبيد مستعملون للرعاة حتى حكى لى أحد  
السواح الثقاة ان مشايخ القرى يضربون الرعية بالسـياط وهم مارون بالطريق  
ولا يأمر الشيخ أحد باشئ الا ويتبعه السوط ضربا لاجل ضيافة السائح فتعجب السائح  
من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لازلوم لهذا الاكرام حيث ان الواقعة هى ان السائح لما قدم  
لقرية وبـيده توصيات من الحكومة فى الاتفاقات اليه من الرعاة واكرامه عمل شيخ  
القرية بذلك وأمر فى الحال أحد الاهالى بالاتيان بعلف الدواب من عنده وأمر آخر  
بالاتيان بالاكل الطيب من عنده أيضا وأتبع الامر بالضرب والشم فقال له السائح  
المقالة المار ذكرها فأجابته بدع عنك هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لا يصلح فيهم  
الاهذا العمل فلوانى طابت منهم مما طابت باعلا ما يكون من الثمن عن طيب نفس لما  
أجابوا النئى وكلام هذا الشيخ وان أمكن ان يكون فيه مبالغة لكنه لا يخلو عن الصحة  
لان الاهالى أئى أغابهم تربوا على السداجة الحيوانية ولم تتربأ أخلاقهم مع المشاة على  
الذل والموان والتحكم الشديد فلو طاب منهم الحاكم شيأ اعتادوا على اعطائه مجانا بالوعد  
بالثمن لما صدقوا بذلك ورأوا ان رزقهم يؤخذ منهم قهرا وحب المال مجبولة عليه  
الطباخ فيتم كاسلون عند اعطائه الا بالغضب فيصنع المحكام معهم ذلك الصنيع ولوانهم  
عودوهم من الصغر والمشاة على مكارم الاخلاق واكرام الضيف وراؤا منهم مرارا اعطاه  
الحقوق والثن لما خالفوا طبع سائر البشر واعلم ان فى أقسام هاته المملكة أقواما  
كثيرين من المسلمين منهم أهالى ولاية قازان الذين أسلموا منذ العصر الاول اذ قيل انهم  
أسلموا فى عصر بنى مروان فى كبد القرن الاول من الهجرة وقيل فى خلافة المأمون وقيل  
فى خلافة الواثق ابن أخيه وانتشر فيهم الاسلام باسلام ملك بلغار الماس خان بن سلكى  
خان فى خلافة المقتدر فسمى بالامير جعفر وقاعدة هاته الولاية مدينة بلغار المذكورة  
فى كتب الفقه للاختلاف فى وجوب العشاء على أهلها فى مدة الصيف حيث لا يغرب  
فيها الشفق وانما أفردت بالذ كرمع شمول الحكم لكل ما قرب الى أحد القطبين لانها  
هى التى كانت اذ ذلك معروفة باسلام أهلها ولم يحدث الخلاف فى الوجوب الا فى المائة  
السادسة اذ انص عن المتقدمين وقد أفرد المسئلة بتأليف بديع أحد علماء هاته البلدة  
فى هذا العصر وهو العلامة هارون ابن بهاء الدين المرحانى ابن شهاب الدين الباغارى  
أيد القول بالوجوب وله نفس بديع وقول مصيب اختصره ملك بهو بال السـيد محمد

(٥٨)

صديق خان في لقطة الجبلان فله الحمد على وجود أمثالهم في هذا العصر الذي تغرب فيه الدين فضلا عن العلم وتلك المدينة واقعة على عرض خمس وخمسين درجة شمالا ونحو سبع واربعين درجة طولا شرقا من باريس وهي على نهر الغالكي الشهير

## الفصل \* التأسيس والثلثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروبا هو ان يقال ان جميع الممالك المار ذكرها لا ما استثنى كلها ممالك قانونية يعني ان ادارتها منضبطة في السياسات بأمر محدود مكنوبة يعملها الخاص والعام ولا يجوز لانه تصرف مجاوزتها والمباشر لاجرائها هم الوزراء باذن رئيس الدولة على اختلاف لقبه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد هؤلاء الوزراء يختلف بحسب كبر الممالك وصغرها حتى تحتاج الادارة الى زيادة الفروع أولا وأصول الادارات التي لا بد منها في كل مملكة هي ادارة الداخلية ثم الخارجية ثم المالية ثم البحرية وقد يتفرع عن هاته فروع على حسب الحاجة ولا هميتها تنفرد بوزارة مثل غيرهما من الاحوال فن هاته وزارة الاحكام والبحر والمعارف والشغال العامة والديانة ويجعل هؤلاء رئيس في الاغلب يكون هو احدثهم وتارة يكون منفردا ليرأسهم عند الاجتماع وينفذ ما يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب هذا الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية اقرانه فيموظفهم وليس له بعد ذلك الامضاء تصرفاتهم أو تبدلهم ان وافقه القانون وما يراه من التصرف انما يتصرف فيه بواسطتهم ثم يختص على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الاعيان من الامة واختيار أعضائه بيد صاحب المملكة او بواسطة ورثة تتوارثها بعض العائلات وقد تختار الاهل الى بعض الاعضاء من بعض الممالك والنسب في مجلس النواب أي نواب الامة تختارهم الاهل الى مدة معلومة بغاية الحرية في الاختيار على شروط في المنتخب والمختار تول الى صفات تثبت حق الغيرة على الوطن ومعرفة مصالحه والاهلية له صحوه ومجموع المجلسين يصح ان يسمى مجلس الامة أو المملكة فاذا رأى هذا المجلس فسادا في تصرف أحد الوزراء أو مجموعهم وأصر المعتبر عليه على رأيه لزمه الاستعفاء لانه يتصرف على خلاف ارادة الامة وهنا يكون لصاحب المملكة الحق في قبول اعتراض المجلس وابدال المعتبر عليه أو ابدان الامة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للاول فان وقع انتخاب الامة على أناس

موافقين

(٥٩)

موافقين للمعترض عليه بقي الامر على ما هو وان انتخبوا اهل المجلس الاول انفسهم  
 او غيرهم من يوافقهم في الراى لم يبق لصاحب المملكة حينئذ الا ابدال الوزراء المعترض  
 عليهم وتوظيف غيرهم من يوافق راى الامة هذا زيادة عما لهذا المجلس من حفظ جميع  
 القوانين ومراعات مصالح المملكة في المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من  
 المتوظفين ولومن الوزراء غيران مباشرة العمل ليست يسهل عليه وانما هي لمن تعود اليه من  
 وزير او مجلس حكم او صاحب المملكة فهذا هو اصل ادارتهم السياسية وما اصل  
 الادارة الحكيمة الشخصية فهي منفردة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على الحكم  
 الشخصيين وهم يوظفون لمدة حياتهم او انتقال لدرجة اعلى وتصرفهم منطابقا بحسب  
 متعددة الاعضاء ووراءها مجالس آخر لرفع المحكوم عليه اشكواه من المجلس الحاكم  
 اليها ووراء ذلك احتساب مجالس الامة والاحكام يستندون فيها القوانين مرتبة برضا  
 مجالس الامة وتكون الاحكام عائلية الى غير ذلك من الالوجه المقررة لجهات الانصاف  
 ودفع الظلم فهذه هي الاصول المعمول بها وتختلف فروعها بحسب الممالك وعاداتها فليس  
 قانون الاحكام متحدا في جميع الممالك بل انما يتحد في المجموع على اصل الجناسيات كالقتل  
 مثلا لا هو ممنوع في الجميع ومرتبة عقابه يعاقب في الجميع وان اختلف عقابه بحسب  
 العادات كما ان من الاحوال المتفق عليها ان يكون قسمان من تافه الاهل الى دولتهم  
 بصرف في تعذيب المملكة ووروثها وانما الاحكام الجسور والطرق الحديدية  
 وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤل لتوسيع التجارة والمعارف  
 والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملكة بالتعسين والتخصين

### القسم الثالث من الارض

هو قارة أفريقيا هاته القارة صارت الآن جزيرة عظيمة جدا يحيط بها البحر من جميع  
 جهاتها فيجدها شرقا المحيط الشرقى والبحر الاحمر وخارج السويس والبحر الابيض  
 ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربى ويحدها غربا المحيط الغربى  
 ويحدها جنوبا المحيط الجنوبي وقد عرفت جميع شطوطها ومافارها على التحقيق  
 وبقيت دواخلها غير مسبوورة على التحقيق الى الآن لشدة سرها حيث كان خط  
 الاستواء قاسما لها ولصعوبة السفر من توحش أهلها وقلة الماء والطرق وتشغل هاته  
 القارة على ستة وأربعين مملكة ما بين مستقل وتابع الغيرة فاما الجهة الشمالية من القارة

(٦٠)

فانها لها الشهرة التامة وناكبت بة قدمها غديرها من القارات في العصور السابقة  
ولا زالت الى الآن مرعبة الاعتبار

## الفصل \* الاربعون

فأرلدولها سلطنة مراکش ويحدها غر بالهيط الغربي وجنوبا الصحراء الكبيرة  
وشرقا ولاية الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغار طارق وهي ملكة  
متسعة اختلف الجغرافيون في عدد سكانها من خمسة ملايين الى ثلاثة عشر مليوناً  
والاقرب للحكمة على حسب ما يسمع من أهلها الذين لهم خبرة بأحوالها ان السكان  
المطيعين للحكم نحو خمسة ملايين ومئة ألف الحكم النافذ من الشطوط الشمالية الى بلدة  
رودانة في الجنوب وهي تبعد عن مراکش من جنوبها نحو مائة وستة أيام وموقعها جهة  
السوس الاقصى وهناك أهم تابعون بالاسم وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس فيهم  
من أمارات الخضوع الا الخطبة باسم سلطان المغرب وهم على نوع من الهيمنة وتناصر  
الجاهلية وجميع السكان المسلمون الا نحو ثمانية آلاف من اليهود وبعض الغريباء من  
من الافرنج في المراسي وحكمهم استبدادي في السياسة وأغلب الاحكام الشخصية يحكم  
فيها بالشرع والمباشرة للحكم هو قاض يختار من اعلم الموجودين والمذهب العام هو  
المذهب المالكي ولهم مفتون يوليهم القاضي وبعضهم يوليهم السلطان وهؤلاء المولون  
من السلطان يستشيرهم القاضي عند طلب الخدم للشورى في حكمه أو عند توقف  
القاضي في وجه الحكم وهكذا في كل مدينة أو قرية له قاض وجميع ما يرجع الى تلك  
المدينة من الاية يرجع الى ذلك القاضي وله فواب في القرى الصغيرة وفوق السهل  
قاضي فاس وهو قاضي القضاة وفي فاس قاضيان مهاتة الصفة كل منهما مستمذبة  
من المدينة وما يتبعها لانها تنقسم الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم في هاتين المدينتين  
قاض ثالث دون الآخرين في الرتبة وانما هو بصفة نائب عن قاضي فاس القديمة  
لان هذامع كبر علماء ومزيد فضل له استعفى مراراً معتذراً بكبر السن وضعف البدن فلم  
يساعفه السلطان لذلك ووظف له ذلك النائب وهذا القاضي هو الذي يولى جميع  
القضاة الاقضاة مراکش فلا دخل له فيهم اللهم الا اذا أراد السلطان أن يولى أحد علماء  
فاس قاضياً بغيرا كرش فيمنذ يستشير قاض فاس في تعيين القاضي وكل مكان يشتمل

على



على قاض له وال يسمى في عرفهم قائدا له فصل النوازل العادية والسياسية وبعض  
 الشخصيات والدولة مركبة من السلطان والوزير والحاجب ووزير القضايا وكتابة  
 ورؤساء للجنود والجهات السياسية فأما السلطان فان له عائلة ثم ينفقه ثابته المنسوب برسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل اليها بعض أهل المملكة وأتوا بجدهم من ينبع النخل  
 من المدينة المنورة منذ نحو ستمائة سنة للتبرك بهم في صلاح شمار نخلهم حيث بان  
 بركات آل البيت في جهات أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وانقسام  
 المملكة الى طوائف نادى بجدهم مولاى محمد قسم من المملكة وباعوه في الثلاثين بعد  
 الالف ثم اجتمعت بقية المملكة على ولده من بعده ولم يرز الملك فيهم لكن المتولى لا يعهد  
 الى معين من عائلته وانما له ان يوظف منهم من رآه أهلا في كبار الاعمال وعند فقد  
 السلطان تجتمع أعيان الموظفين والعلماء وأعيان الاهالى وينتخبون أحدا من أعضاء العائلة  
 ويباعونه بالسلطنة وبقيّة أعضاء العائلة يجب عليهم قراءة العلم ومن يوظفه منهم  
 السلطان يشغل بوظيفته ومن لا وظيفة له يشغل بصناعة يتعمش منها وهي لا تكون  
 الا عالية كالتيجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يجعل لهم من بيت المال شي لا يكاد  
 يسد من عوز وأما الوزير فينفقه السلطان ولا يكون الا عالما ذا واجهة من الاهالى وهو  
 وزير القلم على الطريقة القديمة في دول العرب من أن يكون الوزير هو وزير الانشا  
 ولذلك يجب ان يكون ماهرا في فنون الادب مع مشاركة حسنة في غيرها ولعمري ان  
 صناعة الانشاء في الدول بالغة العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة  
 مراکش وأما غيرهما من الدول العربية فقد تذبذبوا وكادت كتابتهم أن تفقد مرجع عن  
 الاسلوب العربي بل صاروا لا يتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب  
 المغرب وهذا يدورهم من قديم ومما يحسن ذكره هنا ان جوده باشارحه الله الرجل الشهير  
 من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولى في أوائل هذا القرن كان وقع في أنسائه ولايته  
 فحط شديد اضطر بسببه لطالب الميرة والحبوب من سلطنة المغرب لان أرضها كانت  
 خصبة في ذلك العام ولم تكن المواصلة في أوروا وغيرهما من الاقطار سهلة في ذلك  
 الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب ان تمنع خروج الحبوب من ممالكها فأرسل جوده  
 باشا العالم المقدس سيدى ابراهيم الرياحى لطالب ذلك المهم ووجهه معه مكتوبا كان من  
 جملة عباراته تبقى تأذن بخروج القمح فتقوله تبقى عبارة بربرية اعتادها كتاب  
 التونسيين في الاوامر الرسمية ولما قرأ ذلك الكتاب تعجب وزير القلم بدولة المغرب من

(٦٢)

تلك العبارة واشتهد حقه منها كيف يخاطب السلطان بها ولولا تجرؤ سيدي ابراهيم في العلوم لمخاطب المسمى في ذلك لم انما عبارة عربية وهي جملة دعاية في صورة الخبر ايدانا بتحقيق الاجابة ببقاء السلطان وما بعدها جملة حالية ايدانا بأن بقاءه يكون دائما مشعولا به لواله الكعب الذي يحتاج اليه المسلمون من الاقطار وهو دأيم الاذن بما ينفعهم ثم قال لهم وعلى فرض نحن العبارة هل يسوع لسلطان من المسلمين ان لا يرحم عصاة اسلامية ويتركهم يهلكون جوعا لسوء عبادة من جهل الكاتب وقرائن الحال حافة بحسن المقصد على انها لم يحل وجبه الخ فنجب سعيه رحمه الله وأما بقية الموظفين فينتخبهم السلطان ايضا على حسب ارادته والسلطان يحاسن يوميا صبا حاضرا لقبول المشتكين كيفما كانت الدعوى ويكون قبل جلوسه قد هيأ له وزير القضاة تقريرا في جميع من ورد ذلك الوقت مع بيان دعوى كل واحد ثم ينتظم محاسن السلطان بوقوف وزيره والحاجب وكبار الاعوان ويمكن وزير القضاة التقرير من السلطان فيقرأه ويأذن بادخال المشتكين على حسب ترتيبهم ثم في كتاب التقرير ويرى ويسمع من المشتكى دعواه ويطلبه على التقرير وعند ذلك لهم طريقان الغالبة هي أن السلطان يحيب المشتكى بما يراه في فصل نازله أو تحويها الى الشرع ثم ينفذ وزير القضاة ما أمر السلطان به والطريقة الثانية هي انه بعد فراغ جميع المشتكين وتطبيق شكواهم على التقرير يوقع السلطان على التقرير في كل نازلة بما يراه ويدفع التقرير الى ذلك الوزير وهو يخرج من بين يديه وينفذ ما أمر به السلطان وسيرة عموم الدولة على السنن القديمة في الامم التي لم يتسع نطاقها في التمدن وفي الاغلب محافظون على الشعائر الدينية وسوق العلوم الدينية رائجة جدا بحيث لا تخلو المملكة من فحول في كل وقت ومن أهم صفات سلاطينهم العلم وأما العلوم الرياضية فاما أن يقال انها منقطعة عندهم بالمرء أو أن بعض فروعها لم يزول فيه رفق على النمط القديم وذلك من علم الاسطرلاب والهندسة كما ان لبعضهم ولوع ودعوى في علم الطبسمات وسر المحرف وكذلك علم الكيمياء بمعنى قلب بعض المعادن الى الذهب الذي ضاعت في البحث عنه رجال وأموال من غير طائل وأغلب السكان غليظوا الطباع على السذاجة البربرية أهالي شجاعة واقحام للمشايق ورضاء بشطف العيش ولاهل المدن اخلاق جيدة وصفات جيدة متمسكين بالديانة وتحاشين عن المعاصي وكل قاذح في العدالة ولهم اليه الطولى في التجارة بحيث ان تجارة اخذ الملكة أعني غير المراسى التي على البحر هي بيد الاهالي

وبرسلون

(٦٣)

ويرسلون منهم إلى أقاصى الممالك لمعاطات الاشغال التجارية ووصلها بمالكهم حتى لا تسكد تجدد مدينة شهيرة للتجارة في إحدى قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا الأوفى بها تجارتهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براءة في إدارة التجارة ينالون بها الأوروا وبها وبين ولا زالوا يحترسون من تدخل الأجانب في أحوال ملكهم حتى أنهم يمنعونهم من السكنى في غير المراسى التي على البحر وسفراء الدول يسكنون في مرسى طابجه ومن أراد منهم مواجهة السلطان يرسل إليه بطلب ذلك فيرسل له السلطان خفراء مخصوصين ويتقدمون به من هناك إلى تحت المراكمة فينزل في إحدى القصور الملكية ويعين له يوما للأجاسة فيخرج فيه ويتف في ساحة أو طريق رحبية معلومة وتتف العساكر والمتونظرون جميعا وشمالا ثم يأتي السلطان راكبا في خاصته وحاشيته وهم مشاة إلى أن يقرب من السنير فيعرض له وعند الوصول إليه يوقف السلطان سير جواده ويسلم على السنير ويلقى إليه السفير الكلام الرسمى المعهود للاقبال فيجيبه السلطان بمثل ذلك ويعلم أنه أذن وزيره بأقباله والتفاوض معه في أموره ويتقرر في سيره وينفصل الموكب وبعد ذلك يقع التفاوض بين الوزير والسنير إلى أن يستقر القرار على شيء فيعود السفير إلى البلد المستقر به محمولا بالهفوف وعوائدهم في أمن الطريق إن كل قبيلة - حول إحدى الطرق تكون كشيلة بن يمر في ذلك الطريق - إلى حدود معلومة ثم يدل المسافرين كغالة غبرها وهكذا على شرط أن لا يسافر ليل ولا نهار على كل دابة أجرة مخصوصة لتلك القبيلة وهذا الأجر لا يجلب بالمسافرين فإذا حصلت منفرة لأحد المسافرين تنمرها القبيلة التي وقع في حدودها ذلك الحادث وإذا دخل وقت الغروب فيجب على المسافرين المبادرة إلى أحد المنازل الواقعة على الطريق لتلك القبائل وهم يرحبون بهم ولهم منازل كثيرة حول الطريق وكذلك البريد له في كل بلد شيخ وله أتباع يجامهم المكاتب ويأخذ عايم الأجر زهيدا ويسافر به الحمل ومعه رفيق لكي لا يتبع التعطيل عرض أو غيره ويمشون راجلين ويمكنون المكاتب في كل بلدة بيد شيخ بريدها وهو يزعمها ما لم يعرض أمر خاص فلصاحبه إرسال بريدها خاص بأمره وأمره على على حسب بعد المكان ولا صاحب البريد سرقة في السير أما بريد الدولة فهو في عهدة القواد يرسلونه من واحد إلى آخر إلى أن يصل لمقره وأصحاب ركاب ولا يسمح لأجنبي مطلقا أن يقيم بداخل المملكة واليهود يسكنون في المدن وغيرها على صفة أهل الذمة غير أن عوائدهم القديمة معهم تجاوزوا فيها حد الشرع في إهانتهم وإذا يتهم حتى فقتلوا

(٦٤)

عليهم بابا المداخله الدول بواسطة الجمعيات اليهودية في ممالك أوروبا وكانت أرسلت في  
أواسط هذا القرن دولة الانكليزية طالبة من السلطان تغيير تلك العوائد فأجابهم  
لطلبهم قائلا ان الحكومة تسالك معهم هذا المسلك وأما الاهالي في حيث كانوا غير متقادين  
جميع الاوامر على الحكومة مراقبتهم بقدر الاسعاعه ولما علم اليهود بذلك امتنعوا من  
قبول تلك المنح وأرسلوا الى أوروبا قائلين دعونا على عادتنا المألوفة ولا نتدخل فيها  
وأعانوا للحكومة ولا الى بذلك طالعين التالف بهم والامان على أنفسهم فأمنوهم  
واستقر وأعلى ما كانوا عليه ووجه سلوكهم ذلك المسلك أمران أحدهما مظاهرى وهو  
ان ديانتهم قاضية عليهم يتحمل الهوان والمشاق الى خروج المسيح الكى ينقذهم على  
دعواهم وثانيهما وهو الباطنى انهم يعلمون تساط الاهالى عليهم وعدم معارضة  
الحكومة لهم أما عجزا أو تعاجزا فيقعون في الهلاك وعلى فرض أخذ الدول لثأرهم فما  
فأنتهم بعد انقراضهم وصرح بذلك بعض رؤساءهم لانهم أحوص الناس على حياة وفى  
هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ أحرق الاهالى يهوديا فعادت الكرة من الجمعيات المذكورة  
آنها ووجدت دوا اسبانيا الفرصة للتدخل تعاميا عما فعلته هى مع اليهود مما هو من  
ذلك القليل أو أشد وما بالعهد من قدم كانت تمنع دخولهم الى مملكتها ولم يزل ذلك الا  
عند اعطاء الحرية العامة في اسبانيا منذ عهد قريب ولكن مريد التدخل يفتش  
على ما يوافق قصده فذلك دعت دولة اسبانيا جميع دول أوروبا لعقد مؤتمر للنظر في  
أحوال اليهود ورعايا الاجانب في مملكة المغرب لان اليهود أكثر رابا الرحيل الى بعض  
الممالك الافرنجية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويسكنون  
بما كنهم الاصلية وعند اجراء الاحكام والعادات عليهم يتحسرون باظهار الحماية  
الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول أما أن تكون اجنبيا فلا تدخل  
للمملكة وأما أن تكون أهليا فتجرب عليك الاحكام هذاعلى تسليم الحماية ودولة  
اسبانيا تريد الانتصار للمتهمين بأن يكون لهم السكنا في دواخل المملكة بدعوة نعيم  
التجارة وبعض الدول يوافقها الكى يتسع باب التدخل في المملكة حتى يسلط عليها  
والدولة المغربية مصرة على الامتناع والتمسك بالمعاهدات والعادات المألوفة فعدوا  
لذلك مؤتمرا في مدريد في شهر جادى الثمانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دوات فرنسا  
وانكليزية مساعدة لدولة المغرب أما فرنسا فاجتازتها لها في الجزائر وهى قدرأت  
من أهالى الجزائر متاعب شديدة فانها استنوت عليهم منذ خمسين سنة وهم لازالوا يجدون

المؤرة

(٦٥)

الثورة عليهم - ما سخط لهم - الفرصة مع قلة الفائدة بالذمة للخسارة فتريد تو كيد  
المودة مع دولة المغرب لكي لا يجدت لها عساحنتها هيجان في الجزائر سيما وهي تعلم ان  
الاستيلاء على المغرب - يريد تدمير اعرضة دول اوربانية قوية في ذلك وأما انكسار  
فتريد استيلاء دولة المغرب وبقاؤها لكي لا يتسلط على خليج طارق دولة قوية يمكن  
أن تمنع الانكليز من المرور به الى البحر الابيض كما تخشى أيضا من انها اذا أظهرت لها  
التشدد عليهم بما تميل الى دولة أخرى ذات اقتدار ونشاطها وبصير الجميع ضدها  
للا نكلين في وقت الحاجة ومثل هاتين دولتي ألمانيا فكم كثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب  
رجاء أن تمكنها بمرسى على أحد شواطئها ولا أقل من أن تكون مجرد حليفة لها حتى  
يخشى الفرنسيون عند عقدهم الحرب مع ألمانيا من هجوم المغرب على الجزائر وبقية  
الدول لأرب لهم - هناك ولذلك يظن ان لا يحصل ضرر على هاته الدولة من ذلك المؤتمر  
لان اسبانيا وحدها لا تقدر على جاب مساعدة الدول التي اوهى بنفسها ولان كانت قادرة  
على التسلط على المغرب لكن الدول السابقيين المذكورين لافئ لها منافع هناك تعارض  
اسبانيا في قصدها ومعها - هذا كله فانهم لا بد ان يظهر واشية تلك المملكة حتى تراعى  
الاتحاد الاروبى وباليتم - تم تجنبوا مانى عنه الشرع ولم يملوا مع أهل الذمة الا  
ما أمر به الشرع لان مجاوزة الحد رد تقضى بالانقلاب والاحول ولا قوة الا بالله ثم صناعة  
النقش في الجص على ظواهر الحيطان المسماة في العرف بـ "نقش حديد" لها اتفاق عظيم  
بها ته المملكة وكذلك دبغ الجلود واما القدرة الحربية فان لهم - قباطيل مخصوصين - فنون  
من جميع الاداء للدولة وهم القائمون بحمايتهم اعطاء الدولة اليهم المعاشات والسلاح  
والخيل وعلى بقية القباطيل زيادة على الزكاة والعشرا ان يدفعوا للدولة مقادير معينة من  
الخيل اما عند حدوث الحرب فيلزم جميع المملكة أداء ما يحتاج اليه من الكراع والذخيرة  
ولا تزال سلاحهم على الطرز القديمة وكذلك حركاتهم العسكرية لكن منذ نحو ثلاثين  
سنة ابتدؤا بتنظيم العسكر على الطرز الجديدة والقوا جيشا يحتوى على ستمائة ألفا  
ومائة من عساكر تونس ولا يمكنه ان يخرم وهو - رب أغلبه وأكن قد أخذ السلطان المتولى  
الآن وهو مولاي حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديدة وأرسل تلامذة الى  
مدارس فرنسا والماسانية ليعلم الفنون الرياضية والله ينجح سعيه ويحرس المملكة

(٦٦)

## الفصل \* الحادى والارب عون

### المملكة المانية

هى ملكة الجزائر وهى شرقى السابقة ويحدها شرقا تونس وجنوبا البحر - راء وغربا المغرب وشمالا البحر الابيض وهى تابعة لفرانسا منذ سنة ١٢٢٧ و - ما فى تفصيل الكلام عليها فى المقصد وانما نقول هنا ان عدد سكانها نحو مليونين ونصف وأكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هى بلاد الجزائر والاحكام السياسية والضبطة مثل فرانسا والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرانسوية

## الفصل \* الثانى والارب عون

### المملكة المانية

هى ملكة تونس وبأنى تفصيل الكلام عليها فى المقصد ان شاء الله تعالى والاحمال انها ملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحكمها استبدادى محض وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا البحر الكبيرة وطرابلس

## الفصل \* الثالث والارب عون

### المملكة الرابعة هى طرابلس الغرب

وهى ملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت فى أيام دولة الرومان والقرطاجين فى غاية العجران والخصب وان كانت المياه بها قليلة لكن الانوار القديمة ذالة على انحراج منابع الماء بها من العيون والآبار وحفظ ماء المطر غير انها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لا يتجاوزون المليون والمعمورة بها اودية خاصة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقة وغدامس وفزان وبنغازى وهاتى الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هاتى المملكة فى المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة المحفزية التى قاعدتها تونس لما ضعف

امرها

(٦٧)

أمرها واستبدعها في الولايات في الأطراف كان من جملة من عصى عليهم أو إلى طرابلس التي كانت تابعة لها وجار في الأهالي فتجهز إليه السلطان الناصر الحفص وغلبه وأولى على طرابلس أباع محمد بن دالواحد بن حفص فقبل الولاية بعده - دامت طويلا على شروط أولها ببقائه واليا إلى أن يعيد البلاد إلى أعزما كانت عليه من الغنا والراحة الثاني أن يستقل بالادارة مدة ولايته بحيث لا يعارض ولا يرد أمره في شيء الثالث أن ينتخب مقدارا من العساكر حسب ارادته لا يقاتلهم في طائفة فأجيز له ذلك وبقي في الولاية إلى أن مات وولى ابنه الذي هو على شاكته فاستقر العادل والغنا في المملكة حتى بلغ النهاية واخذت الأهالي إلى الراحة وترك السلاح لما سجدوا منه سابقا حتى كان ذلك سببا لطمع العدو وفيهم وذلك أنه قدم إلى طرابلس سيفين من مشعوذين فحارة فاشترى جميع ما فيهم مائة رجل واحد ونقد الفين حالا واستدعى من فيهم الولاية أعددها لهم وبعد احضار الطعام أخذوا لؤلؤة فاخرة ذات قيمة عظيمة ودفعها في الهياكل وقرأ منهم وذروا على الطعام قائلاً - هذا لكم مقام الفل فلتم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجدوا سكيناً فسال منهم سكيناً ولماسئل عن سبب عدم السكين عنده قال ان الأهالي كانوا سجدوا من جل السلاح لبلالونها أيام الظلم والعدوان ولماسئلهم الامن والعدل صار السلاح بمنزلة له معيبا ومن جملة أهين بين الأهالي فتعجب المدعوون الذين هم من الاسبيدول القائم في ذلك الوقت كما يرد خبره في تاريخ تونس فأخذ به أصحاب السيفين دولتهم بشاروا فطمعت في طرابلس وكان عنه - دها بن السلطان الحفص مستنجداهم على أبيه فحماة بجيش قائم على طرابلس وامتلكتها باسم أحمد الحفص الابن المذكور وجار في البلاد أشد المجور هو والاسبيدول ولمسأرى ذلك الناباطان الذي هو أحد دمدملك ايظا لبا تدخل بين الأهالي بالافساد ووعدهم بالحماية من الظلم وانهم إذا أطاعوه جاءهم من المظالم ولا يتدخل في أمورهم وانما يستولى على الحصون فقط فكان ما كان واجرى فيهم الامراؤا على نحو ما وعد ثم ابتهد بالمدخل في أمرهم فامتنع بعض أعيان الأهالي وتخصه نوافي (تاجوري) وكانت الحرب بينهم قائمه غيرة انهم علماء ايضا ففهم عن امتداد المقاومة فاسلوا وفدامهم إلى الاستانة مستجدين بالدولة العثمانية في انقاذهم ودعوا للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هي اذ ذاك أقوى دول الاسلام وجمعت تحت رايها أغلب الممالك الاسلامية كمصر والشام والعراقين وما وصل الوفد إلى الاستانة تعجب من شكهم كل من رآهم ولم يجدوا أحدا يفهم لغتهم حتى صادف أحد

(٦٨)

الطواشين في القصر السلطاني اجمع المحتبك لانتزج فيه -م وكان عالما باللغة العربية  
 فعلم القصد وكان هو الواسطة في ابلاغ مطالبهم للدولة فاولته هو على تلك البعثة  
 وأرسلته معهم مع حامية ضعيفة لانهم ساهلوا الامر على الدولة لكنه لما ان وصل ذلك  
 الوالى وعلم حقيقة الامر أرسل بتفصيل الاخبار الى الدولة وكان اذ ذلك اسطولها الموجه  
 الى الاساقية لا على تونس على أهبة السه فرحت رياسة سنان باشا فأمر بالتعريض  
 على طرابلس أولافاته ككها من أيدي الغاباطان وبقيت مستقلة بالادارة وليس  
 للدولة عليها الا امداد واعانت في وقت الحرب الى ان عصي يوسف باشا قومه على وحاربه  
 الدولة في أواسط هذا القرن أي سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء بانا على المملكة  
 وصارت ادارتها مثل ادارة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب  
 وسكانها يميلون للبدوة ولوأهل المدن ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس  
 وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

## الفصل \* الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هي مصر واجال الكلام عليها انها ملكة اسلامية مستقلة بالادارة  
 تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر ويتبعها ملك مثل النوبة ودارفور وكردفان  
 وزيلع وغيرهما من ممالك السودان وجميع سكانها مختلطة في عددهم من الثلاثة عشر  
 مليون الى الستة عشر مليونا والآخر باعتبار الاضافات اللاحقه بها أقرب وحكمها ظاهرا  
 قانوني بين شرعي وسياسي ويحدها شمالا البحر الابيض والصحراء وغربا طرابلس وشرقها  
 الشام وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة  
 وتفصيل الكلام عليها يأتي في المقصد ان شاء الله تعالى

## الفصل \* الخامس والاربعون

المملكة السادسة هي الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصري وعدد أهلها  
 نحو خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم الغالبة نوع بين النصرانية  
 واليهودية والوثنية أعني انها كانت نصرانية ثم امتزجت بفروع من تلك والحكم  
 استبدادي متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولذا لا به -لم كم دخلها

ولا



(٦٩)

ولآخرجهها وهي لاتزال في ضـعف من الحروب الالهية وبين أهلها كثير من المسلمين  
دخلهم الاسلام من عهد البعثة

✽

## الفصل \* السادس والاربعون

المملكة السابعة هي مملكة الزنجبار وموقعها على شطوط افرريقية الشرقية على المحيط  
الشرقي وقاعدتها في جزيرة امام القارة وهاته المملكة هي اسلامية عربية من قديم وتارة  
تكون تابعة لغـيرها من ملوك جزيرة العرب وتارة تستقل وفي أوائل هذا القرن  
استفحل ملك أحد أمته مسقط بجزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من أعيان ملوك  
الاسلام المتأخرين فعبه السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وجعلها مقراً له  
وأشاد فيها الحصون ورتب فيها الادارة الملكية مع انتمثال شعائر الدين الاسلامي وكان  
من اتباع المذهب الوهابي كما أنشأ اسطولاً بحرياً يتألف من أربع سفن بحرية  
ذات طبعتين ومن عمل مداركه السياسية انها علم ازدياد القوات الاورپاوية وطوح  
أنظارهم الى الجهات الشرقية وغيرها كما حصل بالفعل في شطوط افرريقية والهندراكن  
حيث أن الدولة الانكليزية جعل معها عهداً حتى تكون كافلة بحماية مملكة من تسلط  
الغـير لانها أقوى دولة اوروبوية لها شوكة في تلك الاقطار وفي آخر حياته أولى على  
مسقط أحد اولديه وهو المسمى السيد تويني مستقلاً بها كما أولى على الزنجبار ولده  
الآخر المسمى السيد ماجدي وبعد وفاته حصت نفرة بين الاخوين وعزم على الحرب  
فتدخلت بينهم مـادولة الانكليزية وتصلحوا على اداء ملك الزنجبار الى امام مسقط مقداراً  
سنوياً بحيث ان المملكة الأولى أغنى من الثانية والثانية أقوى وكانت مملكة الأولى  
ثم ازداد غناء مملكة الزنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لاعتناء سلطانها السيد  
برغش واجراءه للعدل ولاهاها تمدن وفضانة عربية وقد زار سلطانها السيد برغش ممالك  
أوروبا في أوائل عشرة التسعين بعد المائتين وألف وأخذ ينحوا منى التمدن  
الاوروپاوية في بعض أشـياء سالكها مسالك الاستشارة الذي هو أساس العدل ودخل  
هاته المملكة يأتي ان شاء الله تعالى في جدول دخل الدول وأما عدد السكان فهو نحو  
مليونين تقريباً

(٧٠)

## ال فصل \* ال س اب ع و ال ا رب ع و ن

المملكة النسانية هي مملكة برنوهي في دواخل القارة في الجهة الشمالية الشرقية  
ويحدها شرقا وادى وجنوبا الاراضى المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل  
بنبراهي هي مملكة سودانية اسلامية يقال في صفتها وأحوالها ما يشبه مملكة مراکش  
وملكها من نسل العرب ويقال من الاشراف وتحتة كوكا وكوكو قرب بحيرة انشأت  
أكبر بحيرات دواخل أفريقيا وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيها  
بلدان للتجارة منها ما به معامل للصبيخ واخرى للنسيج الثياب القطنية وساطانها مستقل  
ويلقب في عرفهم بالشيخ ومن دونة يلقبون سلاطين وله اقتدار ويوسم بالعلم بل يقال عنه  
انه يقرأ درسا من تفسير البيضاوى ودرس من صحيح البخارى ولما كتبه قبائل تؤدى  
نواجاله وهي مركي وتحتها دورا ومندرا ولوكون ولهم صنائع في النسيج وغيره ولسلطان  
برنوجيش من السودان على أنواع غير نظامية وله معسكر خاص يقدمه بين يديه على  
أحسن صورة وأكمل خلقة أشدهم رماح وأقواس من الحديد ولكل في ذراعيه  
حاق من حديد مملكة لننديه علامة على القوة واللبس لهم الامايس تر العورة  
وبأصابعهم خواتم من حديد تعين على جذب القوس لصلابته ليعبر منه ولا يلبس  
العمامة الا السلطان وهي عمامة كبرى بيضى ولدولة المانيا معه مواصلة ومهادات  
لإعانة جميعه الجغرافيا دلى الاكتشاف ويقال انه يقدر ان يعسكر من الفرسان أزيد  
من مائة ألف من عموم الاهالى ويستعمل عندهم الاسلحة النارية ولغة الدولة هي العربية  
وفيها العلماء وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو ثمانية ملايين تقريبا

## ال فصل \* ال ث ا م ن و ال ا رب ع و ن

لا يخفى ان بقية أفريقيا لما كانت غير مكتشفة حق الاكتشاف لجميعها وليس لاهلها  
من التقدم ما يعاين بقية الممالك قد قسمها الجغرافيون الى احدى عشرة قسما كبرى  
فأولها سموه بالسودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية مثل دارفور ويحده شمالا  
الصحراء الكبيرة ويحده غربا سانيغال ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد الكافر  
وهذا القسم يشمل عدة ممالك وقبائل مستقلة \* (تنبيه) لما كان غالب أسماء

هاته

(٧١)

هاته الجهات والقبايل منقولة من اسان اعجمي الى الفرائساوي ومنه نقلنا اغلبها  
فربما وتم تحريف في الاسم وليكن على كل حال يفيد تقريرا المقصود بالسادة ومن  
ممالك هذا القسم ساطنة برنو المتقدمة واكثر الممالك التي فيه اهلها مسلمون وفيهم  
علماء اجلة لهم تأليف الى هذا العهد ولكن الاطلاع على تفاصيل احوالهم بالنسبة  
اليها لما كان عصر اكتفينا بالذكر الاجمالي

## \* الف فصل \* التاسع والاربعون \*

مملكة واداي وهي مملكة اسلامية لها ملك مسنقل ولها تجارة واسعة مع مصر  
وطرابلس الغرب ولاهاها وفاء عظيم بالعهد ذكرى ثقة ان احدها الى واداي قضى عليه  
بالاسر فيهم في طرابلس والحال انه حر وبذلك يعلم اصابته منع القتل الذي هو مباح  
للخوف من الوقوع في الحرام حسبما يشهد لذلك ما كتبه عالم افرقية سيدي ابراهيم  
الرياحي من الممالك وشيخ الاسلام بيرم الرابع لاجد باشا عند امره بتعني العبيد في كتب  
الملك كل من العالمين المذكورين كتابة جيدة في اصابته رايه ثم ان ذلك الاسير بعد ان اقام  
مدة وصل فيها الى سن الشيخوخة بطرابلس اعتقه ماله ورجع الى بلده وكان غنيا  
وبعد فخره ثمان سنين قدم على معتقه ومعه هدية ثمينة وفاء بحق الصفة ومعه تجارة  
وقضى امره ورجع الى بلاده واداه الى هاته المملكة فحوار من ملبيين ونصف وتحتها  
مدينة واداي وعادات هاته المملكة واحكامها على نحو مملكة برنو تقريبا

## \* الف فصل \* الخامسون \*

في بقية ممالك القسم المسمى بالسودان فاولها قبيلة كانم ووهي في الجهة الشمالية  
من برنو وقد كانت سابقا مستقلة ثم صارت الان تابعة الى واداي المتقدمة مع امتياز  
وقاعدتها ماوشم قبيلة باكرمي وهم تابعون الى واداي ايضا بامتياز وقاعدتهم ماسنا وهي  
غربي السابقة ومن غريب ما فيها ان عندهم نوع من العمل يحفر بيوتهم كبرفة جدا  
بحيث يكون ارتفاعها نحو عشرين ذراعا واتساعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته  
الممالك والتي قبائلها هي حول اعظم بحيرة في قسم السودان المسماة تشاد فواداي من  
شرقها وكانم من شمالها وباكرمي من جنوبها ويليهما قبيلة موزكو ومن غريب

(٧٢)

عاداتهم - من ان الرجل والمرأة اذا نشاجرا فاذا ابتدا أحدهما بالكلام خبط الآخر فقه  
بالخبط حتى اذا انتهى صاحبه فتح هو فاه وفع - ل صاحبه مثل فعله لكي لا يقطع عنه  
الكلام ولذلك ترى أفواههم مقبوبة من الص - غرلا جعل ذلك ويدعى انه - م يأكلون  
الاسرى بل وان من تقطنوا به منهم - م انه أصابه مرض أكلوه قبل ان ينحف فلا يصح  
أحد بمرض للخوف على نفسه

## الفصل \* الحادى وال خامس و سون

ملككة فلانا و مركز قوتهم - م بلدهوسا التي بهاش - بيان أقوياء من السودان ويسمون باسم  
بلدهم وهم خاضعون الى فلانا وهؤلاء اجاهم مسلمون حسن السيرة على ما هم عليه وتحتهم  
بلدسا كاتو ولهم سلطان مستقل - لم ومسكنه بلدة ورنو وأعظم بلاد للتجارة عندهم  
بلد كاتو وأهلها مسلمون ولهم بعض صنائع جيدة كالدبس والصبيغ والذبيج ولها القبييلة  
السيادة على جميع القبائل المجاورة لها الا نحو ثلاثة قبائل جوار الصحراء وهى كوبر  
ومريادى وكافو ولذلك كنت فلانا ملككة وموقعها غربي الممالك السابقة على نهر  
ينجر الذي هو أعظم أنهر قسم السودان ولهم عليه قوة عظيمة

## الفصل \* الثانى وال خامس و سون

القبائل المتقدمة المسماة بركو المتألفة من تنمكتو وكورما وتبنا كرو وقد كان الجميع تحت  
سلطنة واحدة جمعهم - م عليهم أحد علماء فوت المسمى عمر الفوتى وهو من العلماء الاجلاء  
من كبار تلاميذ سيدى احمد التجانى رضى الله عنه وتوصل باجتماع التلامذة عليه الى ان  
صاروا كوا جمع هاتيك القبائل واتى يأتى ذكرها تحت سلطنة له كن فى أنحر الامرو وقعت  
حروب معه الى ان قتل بالغ يقال انه اثاره على نفسه لما يس من الحرب وكان ذلك فى حدود  
سنة ١٢٨٣ وله عدة تأليف وجميع هاته القبائل مسلمون وفيهم الصالحون ولهم تجارة  
مع المغرب لكنهم الآن حكمهم كأنه حكمهم جهورى تحت عدل رؤساء متعاضدين على  
دفع مهاجمات الفلانا من الجنوب والتوارك من الشمال ثم يلى هاته الملككة من غرب بينها  
قبائل (بنبره) وقاعدتهم سان سان دنك وهاته القبييلة مستقلة تحت رياسة حاكم منهم  
وبقر بها مكان كان يسكن به قبييلة يربا والا ن لا يعلم من به

والقسم

(٧٣)

### ﴿القسم الثاني﴾

هو أراضى سانيغال أوسانيغاني وهو يشتمل على عدة أمم ويحده شمالا الصحراء وشرقا  
قسم السودان وجمهورية مالي كينيا جبال الاسد وكينيا العليا وغربا وبعض الجنوب المحيط  
الغربي وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثني عشر مليوناً  
وقد استولى الفرائسي والانسكاي والبريتال على أكثر شطوطها

## ال فصل \* الثالث

### ﴿والنجسون﴾

في المستقل من سانيغال قد بقيت دواخلها منقسمة إلى عدة حكومات أكبرها ثلاثة  
الأولى بالس الثمانية مائتيك الثالثة كيولوفس ثم البقية صغار متفرقون

## ال فصل \* الرابع

### ﴿والنجسون﴾

ممالك تيماني وسوليماندو وموقعها في جنوب السابقة يدينها وبين كينيا العليا وتحتها  
فالابا وبازاهاته قبائل كورانسكو وتحتها كورا كورنكا

### ﴿القسم الثالث﴾

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم مندمع شاطئ البحر الغربي معرج معه  
إلى الشرق ثم إلى الجنوب إلى مبدأ خط الاستواء القامم للقارة ويحده جنوباً كينيا السفلى  
عند خط الاستواء والمحيط الغربي وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وشمالا القسم السودان  
في الأغلب وفي الأقل سانيغال

## ال فصل \* الخامس

### ﴿والنجسون﴾

أول أراضى هذا القسم هي المسماة كرومان وهي قبيلة من الأصليين هناك ذات أخلاق  
حسان وهم أقوياء تألفهم الغرباء ويوفون بالعهد وهم في شمال كينيا العليا وعلى  
الاجمال بجميع سكان كينيا العليا متوحشون من السودان يدينهم مسلمون ونصارى  
ارتحلوا إلى هناك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

(٧٤)

## الفصل السادس

﴿والنجسون﴾

في مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهي الاراضي المسماة جبال الاسد. وسكانها من السودان وتحتها فريتوفن

## الفصل السابع

﴿والنجسون﴾

في مملكة ليبيريا هي مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبيريا سكانها من السودان المعنوقين من امريكا وعرفت بهادول اورويا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م سكانها نحو خمسمائة الف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتقدمة ولعنتهم الانكليزية ونهاية مساعدتهم تحرير العبيد السود في الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربي المذكور وتحتها مدينة مرنوفيا وتحتها هاته الجمهورية ولاية اخرى انشأتها الجمعية المذكورة المذكورة ومن قانونها ان لا يدخلها الا السودان الذين يقسمون ايماناً على ان لا يشربوا مسكراً ولا هم تحتها هدير

## الفصل الثامن

﴿والنجسون﴾

في أرض شطى الفيل وهي تلى المملكة المتقدمة وهي من أراضي كينيا يحدها المحيط المذكور جنوباً بقرب خط الاستواء ولم يكن للسواح التوغل والاقامة بها الفساد هو انهم اوان اصبح الفرنسيون اما كن اقاموا بها وشرق الارض المذكورة الارض المسماة بشطى الذهب سميت بذلك لغناها به واستعمرها الانكليزيون ببلدان كثيرة

## الفصل التاسع

﴿والنجسون﴾

في دواخل كينيا العليا وفي دواخل كينيا عادة مما لا ك سودانية منها قبائل فاني كاني كانهم عصابة

(٧٥)

- \* عصبية ضد سحب قبائل امهانتى التى هى فى الدواخل المذكورة وهم مثل امة قوية مخوفة اسف. كهم الدماء حتى انهم يصفون الادمين فى جناثر كبرائهم وعنفد انتصارهم وتختتم بسمى كوماسى

## \* الفصل \* الستون

- \* فى بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها ثم شرق الشاطئ الذهب شاطئ الماليك بسمى باسم التجارة الرائجة هناك ثم فى دواخله ممالك داهوميه سكانها نحو ثمانمائة ألف من السودان ولها مائة عشرة الفامن العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويصفون المائت من الادمين فى افراحهم ويختتم (ابومنج) ثم فى شرق ما ذكر ممالك (هاون كالا) وانا كالا) وهوى (وبالى) وشرقها ممالك (يربا) تمتد الى ان تصل الى قرب ممالك برنو وماجاورها وقد تقدم ذكرها وبازائها قبيلة (أكباس) الذين التجؤا من كثرة الحرب معهم الى جبل صخرية وانشؤا هناك بلداً مخصصين بها وعددهم نحو مائة ألف تحت رئاسة رئيس بانقباهم ولهم رئيس حرب واسلم منهم كثير وانتموا سبيل الى مملكة تنيكو وشرق السابقة مملكة بنين وشرق هاته شاطئ كالابار ثم جنوبى هاته محاذ لها على الشاطئ مستعمرو فرنساوى بسمى كابون وهوناية ممالك كينيا العليا

﴿القسم الرابع﴾

﴿من الاقسام الكبرى قسم افريقية الجنوبية﴾

## \* الفصل \* الحادى

﴿والسنون﴾

- \* فى ممالك رأس الرجاء الصالح فى نهاية الجنوب على الشاطئ من المحيط الجنوبى رأس الرجاء الصالح وهو مستعمر لاندنكلير وتحتها بلد الرأس سكانها سبعمائة ألف ويأبوا شمالا فى داخل القارة ولايات صغار وهى تاما كاس وكوراناس وبوشس

﴿القسم الخامس﴾

﴿من الاقسام الكبرى بلاد الكفر﴾

وهو شمالى الرأس وهو اراض واسعة عظيمة تنتهى الى الشاطئ الغربى والشاطئ

(٧٦)

الشرقي وتوغل في القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزلوس وقبائل ناتال  
وجهورية نهر أورنج وجهورية ترانزفال وبلاد البتجوأناس وبلاد أوتانتو

## الفصل \* الثاني

﴿والستون﴾

فاما الزلوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ١٢٩٦ كما هي  
عادتهم معهم ومات في هاته الحرب ابن نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس لرؤسه  
على عسكري انكليزي ثم قهر الانكليز الزلوس وأسر واملأهم الذي يعتق نفسه  
كناييون الاول وخضعوا الى الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

## الفصل \* الثالث

﴿والستون﴾

وأما أراضي ناتال فسكانها انكليز وهولنديون وزلوس وباستوس وبربريس وهنود  
وجميعهم نحو أربع مائة ألف نسمة وتختار مارييس بورك

## الفصل \* الرابع

﴿والستون﴾

وأما جهورية نهر أورنج وهي شمال رأس الرجا وسكانها من الكفر المسمون بوتجوأناس  
وهولنديون وتختار بلويم فنتين ولهم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب وديانتهم  
برستانت وهناك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الأزرق

## الفصل \* الخامس

﴿والستون﴾

وأما جهورية ترانسفال فهي واقعة في بلاد الزلوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف  
وثلاثين ألفا وتسم الحكومة الى أربعة أقسام لكل مجلس ورئيس ومنفذ وكتب  
وتختار



(٧٧)

وتختها بوتش شمس تروم ومن قوانينهم ان رئيس الجمهورية معه اثنا عشر عضوا لادارة  
الحكومة ية ثلث سمين

## \* الفصل السادس \*

﴿والستون﴾

وأما مكة بادي جوائه فتختها كورومان و بجوارها مكة اوتانتو وهم فاسدوا الاخلاق  
حتى يشبهونهم بالمنغول وعقولهم رديئة حتى انهم يدخلون منازلهم يمشون على أبتينهم  
وارجلهم كالحجوات وفي كلامهم ياصقون لسانهم بلهاتهم وفي شمالى نهر أورنج صحراء  
تسمى كالا هارى لاماه فيها ولا نبات الا اذا صب المطر فتنبت عروقا وبطيخا بكثرة  
ويوجد الفيل هناك بكثرة والجواميس والزرافة والنعام والكركدان وهناك  
نوع من البشر وحشى يصطادونه كما تصطاد السباع ثم اراضى الزبير يسكنها نوع  
من السودان يسمى ماتينا وانتفى وكولولو وغيرهم

﴿القسم السادس﴾

من الاقسام الكبرى كينيا السفلى وهى على شاطئ المحيط الغربى يحدها شمالا  
كينيا العليا وغر بالمحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الرأس وهى ارض غنية  
بها نوع من القصب عجيب يسمى بانجيدوم من الاربعة الى الخمسة آلاف سنة وساق  
شجرته محيطه نحو ستمين ذراعا و بها نوع من القردة أكثر شبهة بالانسان لكن بها نوع  
من الذباب قتال لمن يلمسه وأغلب السكان من السودان وحشيون ومنفعة الى عدة  
عمال

## \* الفصل السابع \*

﴿والستون﴾

في عمالك كينيا السفلى فالاولى تسمى لونغو وتختها بوالى ثم عمالة كاونكو وتختها  
كين كللى ثم عمالة نيكويو وتختها كانبدا ثم عمالة كونكو وتختها بنزا كونكا ثم عمالة  
انكلانت تحت اسمهار البرتقال وتختها لواند ثم عمالة بنكلال للبرتقال ايضا تختها  
صان فليب وهذان سكانها نحو مائة ألف من السودان ولكل حاكم فى جنوبها  
صحراء سيم بيازى

(٧٨)

### ﴿القسم السابع﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزنيك وهو شمالي بلاد الكفرة على الشاطئ الشرقي للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبرتنقال ومنقسم الى سبع حكومات

## الفصل \* الثامن

### ﴿والستون﴾

في ممالك هذا القسم وهي مركز وانما بناني وسوقالا وسيدناو كيليماني وموزنيك ودياكاد ويتخذ هذا القسم شمالا مملكة الزنجبار التي تقدم ذكرها

### ﴿القسم الثامن﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوموليس وهو في الشرق الشمالي من زنجبار ويحده شمالا جون عدن وشرقا المحيط وجنوبا المحيط وزنجبار وغربا زنجبار

## الفصل \* التاسع

### ﴿والستون﴾

في ممالك هذا القسم فسكانه من بربر افريقية الشمالية والعرب والسودان وهاته الممالك هي المسماة بزيلع وكنت شطوطها للدولة العلية ثم سلمتها الى مصر بالزيادة في خراجها وفي نهاية شماليها بلاد عدل واغلب سكانها مسلمون ولهم امام من العرب وفي الشمال الغربي منها بلاد هرر وقاعدتهم مدينة هرر سكانها نحو الثمانين ألفا كلهم مسلمون على اوصاف جيدة وبلادهم حصينة ذات اسوار والتجار آمنون ولهم تجارة واسعة مع اليمن وغديره مع خصب الارض وسلامة الهواء في اغلب الجهات وهي داخلة في الممالك التابعة لمصر

### ﴿القسم التاسع﴾

### ﴿من الاقسام الكبرى﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده شرقا زنجبار وما حولها وغربا كينيا والسفلى وما حولها وشمالا البرنو وما والاها وجنوبا بلاد الكفرة ويخترقها خط الاستواء وتمتد منه جنوبا نحو عشرة درجات وكذلك شمالا

ولا

(٧٩)

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث عمالات اولها عمالة كازمب وتختل الوسندنا  
وثانيها اونيام وزى وتختها كرخ وثالثها وجيجى وتختها كاوى

❖ القسم العاشر هو الجزائر البحرية ❖

واما الجزائر التابعة لافريقية وهى فى المحيط كلها لا اعتبار لها الا جزيرة سنقياين المقابلة  
لجون كيمذى فى دواخل المحيط وانما اشتهرت لكونها مات بها نابليون الاول منفيا فى امر  
الانكليز واغاب تلك الجزيرة فى تلك دول اوروبا الاما يتبع الزنجبار وكذلك  
ما يتبع جزيرة ماداغسكار التى هى الجزيرة الوحيدة فى افريقية فى المحيط الشرقى تجاه  
شاطئ موزمبيق كما سياتى

❖ الفصل ❖ السابع ❖ عون

❖ فى مملكة ماداغسكار او كسكار وهى من الجزائر الكبيرة الممتدة برزق فى الدنيا وهى غنية  
رفها انواع من السباع اسمه ما كىروهاى هاى وغيرها من الحيوانات الغير المعروفة  
وسكانها نحو خمسة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هو واس ينطن انهم من نوع  
سكان الهند وعددهم نحو ثمانمائة ألف والدين الغالب هو الكشر من عبادة الاوثان  
والجميع تحت حكم واحد وعليهم مملكة انى اسمها رانا فولو الثانية وقد امرت باحراق  
جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وامرتهم بالديانة البروتستانت فاطاعوها وهم على  
ذلك الا ان اكن اكنهم بالاسم فقط اذ لا يعتقدون شيئا وكان ذلك الامر فى سنة ١٨٦٨  
وتخت المملكة بادية تاناريفو وقد اكتشف هاته الجزيرة العرب قبل البعث وعرفها  
اهل الصين واهل همالاى

❖ القسم الحادى عشر ❖

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء فتنقسم الى ثلاثة اقسام (اولها) صحراء المغرب  
(وثانيها) الوسطى او بلاد النوارك (وثالثها) الشرقية او بلاد اليموس فالاولى  
هى بين مراکش وسانتال على شاطئ المحيط الغربى والشاطئ فى البحر ومملو  
صحرا والريج الغربية متخرج من البحر مما لا تحصى فيه جزر امنة قلة وقد تحق ان  
وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما منتهى الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك  
احداً بسبب عدم النباتات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

(٨٠)

بالنبات على خط واحد اما الوجود ما جار على منحاه تحت الارض أوندى والقوافل  
تزداء على سمها السقى من آبارها والتزود من عشبها

## الفصل \* الحادى

والسبعون \*

في ممالك الصحراء الغربية ويسكن بها اله الجزائر في بعض الاوقات نوع من البشر  
يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هناك ربح تجارة العبيد وكلهم  
يتعشرون من القوافل المارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يسافرون معهم هداة للطريق  
والاصليون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن  
الذين يقال انهم رحلوا من اليمن في القرن الحادى عشر ميلاديا وفيها عمالة تسمى  
تيريس في الشمال الغربى على الشاطئ قاتلها الحيوانات من المغرب وسانىغال  
والرعاة الرعى حيواناتهم زمن الربيع لكثرة الخصب وسكانها اولاد دليم وهم اقوياء  
شدادة ملحون ويخترقون الصحراء بالهبحاش السريعة ويتعشرون بالنهب وفي جنوبها  
بلادها كثيرة يتزود منها الملح جميع اهالى الصحراء الى بلاد تنكب كما ان في صحراء  
المغرب جزائر نباتية تسمى ادرار على نحو ثلاثين ميلا من سانىغال وبها جبال كثيرة  
وبلادان وقرى وتحتها يسمى وادان وسكانها بنى عرب وبربر ثم جزائر تاغانيت كان  
يسكنها قبائل زاغانا وتحتها تديشيت ثم جزائر والاتا في الجنوب الغربى وبلاد الهث  
ضاربة في الجنوب تحتها كسانبرا وبقرب سانىغال بلاد ترازاس وبراكاس وبلاد  
سیدی هاشم الذى كان دخل الى مراکش

## الفصل \* الثانى

والسبعون \*

في ممالك الصحراء الوسطى وأما الصحراء الوسطى فيسكنها العرب المنتقلون الى هناك  
بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان ببلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز  
قوتهم في ربا على شكل مثلث وبها جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى يجعل يسمى  
نمات وخارج المثلث المذكور جهة الجنوب الغربى بلاد ازود وبقية الجهات قفراء  
والتوارك يسمون انفسهم ايموشاك جمع في مستقلين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم

عليهم العرب وهو بمعنى التشاركين انتركهم الحق في الصدر الاول (وأما) الآن فهم  
 مساكين ولغتهم تسمى تاماشك وينقسمون الى عدة قبائل توارك هرة في جبال هكار  
 وتوارك أزتر في جبال غات وتوارك مريد في جبال سكارن وتوارك الفوقاس وفي  
 الجنوب جهة نيكيتو توارك السراج وتوارك أن هو وأولاد أجداد القبائل وتالغوى  
 وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى أربعة أقسام كبرى وهى توارك هكار وتوارك  
 في غات وتوارك كلوى وتوارك والى من يدن في شرق نيكيتو والقسمان الاولان معروفان  
 لكثرة التجارة معهم من الجزائر ويدعون بأنهم أشرف البربر وهم يبيع حسان الحلفة  
 شجعان يحملون الرماح والسيوف والمكحلة أى البندقية والسكين ويركبون الهجن  
 السريع للغاية مع قوته وبالمسوق قصصاً أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشي طول ولثام  
 بحيث لا تظهر إلا أعينهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وريث الملك  
 (هكذا) قانونهم وحكومتهم ليس بتدري مطلق بل لهم نوع من الحرية ومن عاداتهم  
 أن لا يتزوج الرجل الامراة واحدة شرعية وله ذرية هارود يانتم الا أن الاسلام ليسوا  
 بمعتنقين فيها كما هى حالة مجاورهم ولهم غنى أصوافها قصيرة وألبانها كبيرة للغاية ولهم معز  
 وابل لحمل الأثقال وهجائن للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفي جزائر  
 الصحراء لهم نخيل كثير والقبائل ازحانة هم الحارسون للقوافل المارة في بلادهم بين  
 شواطئ أفريقيا الشمالية والسودان باجرة مقبولة معروفة والقادم من فزان يجذب غلات  
 على مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً من لغوات والامه ارنهناك قليلة جداً ومرض الاعين كثير  
 وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر سبتمبر الى غاية شهر نونبر يجتمع  
 في بلادغات أزيد من ثلاثين ألف رجل باجسالمها وفي الجنوب الغربي هضاب على  
 جبال هقر تسكدان تسمى سفيرة افر يقية لانها بها جبال ذات آجام وغابات وهاديات  
 تسقى من عينون غزيرة ويدوم فيها الثلج من جنبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع  
 أعظم أنهر الصحراء المسمى ايفرغر وينذهب جهة الشمال وينقطع قرب تكررت  
 في حدود الجزائر وهى مسكن التوارك الخالصين الخفيفين من جاورهم بقوتهم وشجعانهم  
 واكبر بلادهم تسمى ادلى وفي الشمال الغربي جهة مملكة مراکش عمالة قوات  
 المسكونة من عدة جزائريين متقاربة وبها نوع من الشجر يسمى كركل هو أسن  
 لحف للبارود وأرضهم خصبة بجميع النباتات ولهم حيوانات كثيرة والسكان ناس طيبون  
 مسلمون متصليون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين ومع غات والسودان وأكبر

(٨٢)

مدنها تميموم وادرار وتاغتيت وتجتمع الطرق في بلاد أولف ولذلك كانت موقعا  
مهـمـا للحمـرب وفي الجنوب عمالة اير في طريق السودان وهي متكونة من جبال  
صخرية وفي الاودية ينبت كل نبات وفي ممراسـمـبـر تنزل أمطار غزيرة والسكان  
يسمون كلوى أصلهم ما بين التوارك والسودان وتختصهم يسمى اوكاديس ولهم ملك  
يسكن بها وفي حدود السودان يتوغل في الجنوب باللة دامركو وفي الغرب منها قرب  
نهر دوريبا باللة والى ما بين مدن وبها بلدة مبروك الواقعة على الطريق بين تنجيكـتـو  
وغات

## الفصل \* الثالث

والسبعون

في ملكة الصحراء الشرقية وأما الصحراء الشرقية المحاذية لمصر من غربها فهي ليست  
كبقية الصحراء لانها بها الطفل نوع من الطين بكثرة وبها جبال لونها رصاصي  
أواصفرو بهاربان الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة الغرب وسكانها يسمون  
تيموس من السودان من نوع القانوري التابع لبرنو ومنقسمون الى عدة قبائل وهي  
الرشاد وقران وبركو وباتلين وغيرها والطريق ما بين مرزوق الى كوكامارة على سلسلة  
من الجزر النباتية طويلة جدا واكبرها تسمى كوار وهو حقيقة اسمها وان سموها  
بأقما ويوجد في هذا القسم جزائر أخرى وهي تيبسـتـي وبركو وموقعها بين مرزوق  
ووادى ثم جزيرة كوفارا التي بها بلدة كايو الواقعة في الشمال وجهة الشرق من  
هذا القسم تسمى ليبيا بها بعض جزر تابعة لآسن لمصر وهاته الاماكن التي عبرنا  
عنها بالجزر تسمى في العرف بالواحات (والخلاصة في افريقية) ان جميع سكانها عدى  
الممالك الشمالية والممالك التي على الشواطئ نحو مائة مائون وأهم الشواطئ يد  
ممالك أوروبا ولهم فيها حكم استبدادي بمراعاة العوائد غير أنهم يستعملون القوة  
القاهرة لتوحش السكان وبقية السكان غير الممالك التي مر ذكرها بتفصيل حالتها  
هم أناس متوحشون كالحيوانات الجهم ودأبهم غزو بعضهم بعضا ولبعضهم رؤساء  
يقتبون بالقبائل ويحجرون المحكم القهري ولهم عادات مبنية على خرافات وحلهم  
اشد الناس تعالقا بالصحراء وروعا منة ويعتقدون له من التأثير أمور عجيبة يكاد  
السامع أن لا يفهمها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة في الحرب بل ويعتقدون فيهم

الاحياء

(٨٣)

- الاجسام والامانة ومن هــ هذا القبيل في حكاية ما يعتقدونه ما أخبرني به ثقة عدل راويا \*  
عن والده الذي هو مؤمن له انه رأى من عجائب سحرهـم ان قبيلة ونقـوه من عاداتهم  
التجارة ويرحلون لاجلها الى بلاد جنى من بلاد قسم السودان فيتنها لذلك كل عام  
فخوة مائة أو عشرة من كبارهم أهل السحر ويعلمون بذلك فلا يزال الناس يأتونهم  
بأقربائهم وكلابهم المريدن للسفر ويسـتودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف  
كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه ويسافرون (هكذا) مشاة فاذا مات أحد المستودعين  
اجتمع السحرة والموهباش ياء من نوع شجر عندهم لكي لا يفسد جسمه ثم يأخذون ذنب  
بقة مستودع فيه السحر على زعمهم ويمسكونه بيده ثم يوقفوه ولا يزال سائرهم الى  
الليل فيجدونه (وهكذا) ذهابا وايابا وبضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى  
صاحبه ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك في أنواع سحرهم لما ائتمناهم هذا هنا للعلم بأحوال  
ما يعتقدونه وديانتهم شئ من أنواع الكفر وبعضهم يعتقد الالهية في تعابين \*  
أو تقارب أوجيات أو اصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم في سائح ابيض انه ابن الشمس  
وعبدوه ولما أراد الرجوع خاف على نفسه منهم من غصبه على البقاء بين أظهرهم الى  
أن اختفى ونجا وهكذا يعتقدون الالهية في كثير من الحيوانات وبعضهم له لباس \*  
وبعضهم عراة بالمرء والنساء كائنات الحيوانات المشتركة وبعضهم يسـتر على العورة  
الغليظة وبعضهم يلبس شيئاً من الثياب وبعضهم يسكن تحت السماء ويتقي البرد  
والحر بظل الأشجار وبعضهم يتخذ بيوتا من الهشيم أو أغصان الشجر وبعضهم له قري  
وهم يتفاوتون في هاتيك الخلال شدة وضعفا وفي هؤلاء الاقوام قبائل من المسلمين وهم \*  
على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان  
بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانتساب اليها وبعضهم يعلم الكليات الخمس الواجبة اجمالا  
من غير معرفة تفصيلها واذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع ويسجد من غير عدد  
مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التي هي قيام وركوع وسجود من غير تفصيل  
ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد في افريقية اقوام ينتسبون الى الديانة النصرانية \*  
واليهودية وليست على قواعد المعروفة ولا زال الاور وبايون يرسلون دعاة  
لادخالهم في النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحلا لكشف عنها  
وتحقيق ما فيها وكانها لا تلبث أن تصبح مطمح الانظار ومحما للقدم فقد اعتدوا من كل  
الجهات بالبحث عن ذلك رغبة في ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم في

(٨٤)

الحصول على اكتشافات نافعة من خصب أقطار وكثرة سكان ووفور عبادن وغير ذلك من حيوانات رحشية وأهلية لها فائدة في التجارة واللأوا في صفات البلدان التي شاهدها كتبها مفيدة وعلى الأجل يقال إن قارة أفريقيا لازالت غير معروفة حق المعرفة إلا ما يذاه منها مفردا وقد رأيت أبياتا للشيخ أحمد بابا التوبكتي وهو عالم مشهور من علماء السودان في أوائل هذا القرن قدم من بلاده تنبؤا كانوا قافلا للبحر مارا على المغرب وتونس وهاته الأبيات تهيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديانتهم وهي

كل الذي من صنفه تش ندما \* عليك بالكفر عايه فاحكما  
كذلك كرم كند كل ويربا \* تنبع ويركبس وبوبا كنبا  
فهم يجوز فيهم السباء \* ويبيعهم بيجوز والشراء  
واحكم بالسلا بلاد برنو \* كشنكاغ وكنو وعقنو  
مول وكوبروصفي كذلك \* وحل فلات وبهضركزا

✽ التسم الرابع من الأرض ✽

هي قارة أمريكا يدعى غالب أهل العصر ان هاته القارة كانت مجهولة عند القدماء الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لآوائل القرن العاشر من الهجرة فاكشفها رحل اسمه كريستوف كولومبوس وهو من أهالي جنوة متخذنا صناعة الملاحة وهي اذ ذاك تسلم معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما في شطوط أوروبا وكان الهن في فكره وجود أرض وراء المحيط الغربي والجزائر الخالدات لمعرفة بالبحر فبارسم الخارطيات فسعى الى ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوة وخاب أمه وبعد المحاولات الطويلة مع ايزابلا ملكة اسبانيا في مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن والعهد اليه بأن يكون خليفة الملك عمما يكتشفه ويأخذ العشر من المداخيل لنفسه ثم بعده مقاسات شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله أسهم من النجاح كل سعيه بالنجاح بعد سبعة وعشرين يوما من شطوط اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها سماها سان سالعدوري ولازال يكتشف فيها جزيرة بعد أخرى كلها في غاية النضارة رنداجة الألهالي وسلاصتهم حتى انهم عراه نساء ورجالا ولونهم ذهبي ويبدون بيوتنا من أغصان الشجر وبعض الجزر يبدون القرى من الحجارة والطين واكتشف فيها على البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على

الطماطم



(٨٥)

الطعام لهم التي يقال انها هي السبب في حدوث المواد الطيرية في القارات لانه لم يكن  
معروفيا ذلك المرض من قبل حتى سمي بالحب الافرنجي نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم  
يحبهم للطعام وسأني الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسمية أهل أوروبا بالافرنج  
ثم ان كلبوس رجع الى اسبانيا وعاد باسطول وعساكرا كثيرا كان اثنى به سابقا فلم  
يبق هناك ثم قدم بعد مدة رجل يقال له امييكوس وهو الذي اكتشف على أمريكا  
الجنوبية وبه سميت جميع القارة والمحق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طريقها  
من جهة المحيط الغربي ودليله انهم ائتمنوا ان اهل النرويج كانت لهم تجارة ومعاملة  
مع اهل كرنيلاندا من أمريكا الشمالية منذ القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث  
ذكروا ان رجلا من اهل اسكلانده انتى هي الآن من ممالك انكلترة وكانت اذذاك  
تحت حماية النرويج فذفته الرياح في ذلك الزمان في البحار الشمالية الى ان وصل الى  
كرنيلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يفتوا زيادة اكتشاف عما  
عدى ذلك مع ان العارة كبيرة جدا وكذلك رأيت في جغرافية ابن الوردي انه قال  
ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات وبحر الظلمات جزائر عظيمة جدا وفيها خلق كثير وقد  
وصل اليها احدا النوتية عن غير قصد بطاردة الرياح ثم رجع منها بعد ان ايس من  
الحياة ووصفها بأوصاف جميلة مطابقة لما اكتشف من بعد وانما قال في المحيط الغربي  
بحر الظلمات لانه تكاثف فيه جهة الشمال الابخرة حتى يصير ظلاما ليل والنهار  
كما هو مشاهد الآن لجميع المسافرين بين أوروبا وأمريكا حتى تضطر البواخر مدة سفرها  
ان تصرخ بعد ذلك دقيقة يوق البخار كي لا يقع لها تصادم مع غيرها لان نور الشمس  
محبوب ونور المصابيح لا يخرق تكاثف الابخرة وكذلك نقل لي ثقة انه رأى في بعض كتب  
الشيخ محي الدين ابن العربي ان وراء المحيط أمسا من بنى آدم وعمرانا وهو في القرن  
السادس رضى الله عنه فدل هذا على معرفة تلك القارة من قديم وانما الانشغال التام  
بها لاهالي هاته القارات لم يعرف الا منذ قريب ثم ان هاته القارة العظيمة التي تعد  
تحت نصف الارض المكشوفة هي يحيط بها البحر من جميع جهاتها ويفصلها عن غيرها  
من القارات الالجهة القطب الشمالي ازبد من درجة نيف وثمانين فهي مجهولة كما  
ان القليل من الجهات الشمالية وسط القارة لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من  
الجنوبية وجميع القارة تقسم الى شمالي وجنوبي ويوصل بينهما برزخ من الارض  
ضيق يبلغ في بعض الجهات الى أربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ بناما وقد ارادت في

(٨٦)

هاته المدة جمعية فرنساوية خرقه حتى يتوصل من المحيط الشرق الى المحيط الغربى بقصر فى المسافة وكأنه يتم عن قريب وسكان جميع هاته القارة يبلغون الى نحو الستين مليوناً ولو أضيف اليهم أربع مائة مليون لوسعتهم الارض وقامت بجميع ثروتهم وأكثر أولئك السكان من أهالى أوروبا وآسيا وأفريقيا والاصليون قليلون ثم تمة قسم القارة الى عدة دول

## الفصل الرابع

والسمعون

المملكة الاولى دولة أمريكا المتحدة وموقعها فى أمريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى الغرب على جميع القارة فيحدها شرقا المحيط الغربى ويحدها غربا المحيط الشرقى ويحدها جنوبا خليج مكسيكو ومكسيكو وخليج كاليفورنيا ويحدها شمالا الاملاك الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو اثنين وأربعين مليوناً منقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بإدارتها الداخلية ومجتمعون فى الاحوال العامة مما يعود الى مصلحة الجميع وتحت الجميع بلاد واشنطن يتركب فيها مجلس من جميع الحكومات وينظر فى مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس جميع الدول التى هى جمهورية وهى التى لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية ورياسة العساكر والبحرية وسيرة الدولة وقوانينها مثل سيرة الدول الاوروبية الاكثر حرية وتقدماً ولا زالت تتقدم فى الحضارة والمارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقاً من مستعمرات الانكليز ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجرى وهاته هى أسماء الحكومات المركبة منها العصبة وهى (نيوهامشير) و (مساشوست) و (رد ايسلاند) و (كنيكتيكت) و (نيويورك) و (نيوجيرسى) و (بنسلفانيا) و (دلاوار) و (مريلاىند) و (ورجينيا) و (كولمبيا الشمالية) و (كولمبيا الجنوبية) و (جارجيا) و (ماين) و (فرمونت) و (ميشيغان) و (أوهايو) و (أنديانا) و (الينوى) و (كنتوكى) و (تيسى) و (الاباما) و (فلوريدا) و (مسسى) و (لوسيانا) و (سكوتسون) و (ايوا) و (مسورى) و (اركانساس) و (كانساس) و (نبراسكا) و (ارجون) و (ميدسونا) و (تكساس) و (كاليفورنيا) و (واشنطن) وهاته الاقسام تكونت

شياً

شياً فشيئاً وأول ماتم منها الثلاثة عشر الاولى فاستقلت كما تقدم ثم مهـ بها أتم قدم شروط العمران والدخول في العصبة قبل ولهذا بقيت بعض أقسام الى الآن تنجم في استعدادها لكي تدخل في العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان الاصليين الى شمالى القارة والاصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم في اللون والخلق وقد تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد بالغوا الغاية في التمدن والحريية فمن حو يهتم ان ولي رئيس الجمهورية عندهم رجل صناعة الاحذية حيث كان مستكلاً لشروط الافسانية ووقع عليه الانتخاب وذلك في عشرة الثمانين ومائتين وألف كما تقدموا في فنون المعارف الرياضية والسياسية واخترعوا أشياء عجبية من الكهرباء والبخار فأول ما عرف استعمال البلون أى القبة الهوائية للاطلاع على أحوال العدو في الحرب في هاته المملكة عند ما كانت الحرب مستعرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها التى نشأت بسبب منع العبودية فان الجنوبيين أصروا على ابقاء ملك العبيد وبقيت الحرب بينهم عدة سنين وذلك في عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة فمن الاختراعات في ذلك الحرب ان أصدعوا ركبا في قبة الهواء مستخدمين بأسلاك كهربية ليخبروا مراكز الجيش بأحوال جيوش العدو والمستتروراء جمال أوروبا ومن ثمرات قوة الاجتماع التى ظهرت عندهم الطريق الحديدية التى وصلت بها شطوط المحيط الشرقى بشطوط المحيط الغربى وكان يوم تمامها يوماً مشهوراً فاحتفلت له جميع البلاد وآخر مسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بطرقة من فضة وربطت به عند آخر دقة أسلاك الكهرباء الى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار حصل العلم بجمعهم بذلك في آن واحد ولهم ثروة عظيمة بالمعادن جميعاً سيما معدن الذهب في كاليفورنيا الذى ينحى منه الذهب مخزناً عظيمة وهكذا الصنائع والتجارة مع الامن العظيم والاطمئنان التام وقد امكنك هاته الدولة بالشراء من روسيا أملاً كهاجهة الشطوط الشمالية من جهة غربى القارة

## الفصل \* الخامس

﴿والسبعون﴾

في بقية ممالك أمريكا الشمالية (فأولها) مستعمرات الانكليز في القسم الشمالى

(٨٨)

حادد الاملاك السابقة الاملاك الانكليزية وهي تجزى في الحكيم الانكليزي بنوع  
امتياز (وثانيها) مايلي ماذ كشرقا وهو قسم المتوحشين الاصليين وبقية اقسام  
المريدة للدخول في العصبية السابقة

## الفصل \* السادس

والسمعون \*

(وثالثها) مكسيكو وهي تلي الميلاد المتحدة جنوبا واستقالات اواسط هذا القرن من  
تساق اسبانيا عليهم ولاكنها لم تنزل متأخرة في جميع انواع العمران حتى الآن لاختلاف  
سكانها وحكمها الآن جمهوري وعندما كتشاف الاسميول عاينها وجد فيها انما فيهم  
بقايا التمدن ولهم ملك والموجود فيهم انما المدين يدل على تقدم اهلها وقوتهم  
قديماء وعدد سكانها نحو تسعة ملايين وقاعدتها مكسيكو \*

## الفصل \* السابع

والسمعون \*

(ورابعها) امريكا الوسطى وهي تلي السابقة جنوبا وحكمها جمهوري وهي اقرب الى  
الحرب لاعتظام الفتنة بين اهلها واستقالات ايضا عن اسبانيا في اواسط هذا القرن

## الفصل \* الثامن

والسمعون \*

(وخامسها) الجزائر الكثيرة المتفرقة وهي تابعة اما تماما او تحت الحماية لدول متفرقة  
من اوروبا كانسكترة واسبانيا وفرنسا وهولندا والدانيرك والسويد كما ان لهؤلاء  
الدول املاك في القارة الجنوبية واكثرهم تماك اسبانيا وانسكترة وحقبة عدد  
السكان بجهولة لكثرة التوحش وعدم الفائدة الكبرى للدول بهذيبهم وقد جربوا  
ان كل من تمدن هناك حاز الاستقلال بادارة نفسه مع ان عدد السكان قليل في نفسه  
ثم ان بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى \*

الفصل

(٨٩)

## ال فصل \* الت اسع

﴿والسبعون﴾

فالدولة السابعة كلومبيا المنقسمة الى ثلاثة اقسام كل منها مستقل تحت الحكم  
الجمهورى وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ  
البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية يقسمها خط الاستواء متصلة بالشاطئ  
الغربي والشمالي والشرقي

## ال فصل \* الت م انون

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكمها جمهورى وموقعها على الشاطئ  
الغربي جنوبي المملكة السابقة

## ال فصل \* الح ادى

﴿والثمانون﴾

ثم يليها الشرق ثمند الى الشطوط الشرقية وعلى جميع دواخل القارة الدولة الثامنة وهى  
برازيل وسكانها نحو ستة ملايين ونصف وحكمها املاكي مقيد بالقوانين ويوجد فيها عدة  
آلاف من المسلمين اصلهم من سودان افريقية ولاكنهم لا يعلمون الا كتابات الديانة على  
سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبدالرحمن بن عبد الله البغدادي الذي كان  
اماماً في بعض السفن المدرعة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر الهيمط  
الغربي على بغاز طارق وادفتم زوابع اضطرهم عن غير قصد الى شواطئ برازيل  
ولما خرجوا الى التفرغ في البر أقبل عليهم اقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم  
لتعليم الديانة فبقى هناك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركي المسماة  
مسألة الغرب وكان سفره سنة (١٢٨٢) ولا يبعد أن يكون في جميع أمريكا ثم كثر من  
المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

(٩٠)

## الفصل \* الثاني

﴿والمفانون﴾

وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفيا سكانها لايه اغون نصف مليون وحكمهم  
جمهورى

## الفصل \* الثالث

﴿والمفانون﴾

والدولة العاشرة هى الشيلي سكانها نحو مليون وربيع وحكمها جمهورى وموقعها على  
بقية الشواطئ الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

## الفصل \* الرابع

﴿والمفانون﴾

والدولة الحادية عشرة دولة سيونيس ايرس ويقال لها لابلانا وهى وسط القارة الجنوبية  
تحدّها شيلي من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولوا العدد  
وحكمها جمهورى

## الفصل \* الخامس

﴿والمفانون﴾

الدولة الثانية عشرة أوروكووى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين ألفا  
تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

## الفصل \* السادس

﴿والمفانون﴾

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتناكونفى وأهلها من الاصليين  
هناك طوال شدة متوحشون يقال تقريبا عدد مائة وخمسون ألفا فى تلك الاراضى  
الواسعة

(١١)

- الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقى فى نهاية القارة جنوبا وغربا الشبلى والمحصل ان  
غير الدولة المتحدة لم يكن فى امر يكمن الدول ما يعتبر اذ اغلب الاقسام المذكورة ولان  
كانت تحت احكام منظمة لكنهم لم يتبع فيها نطاق المعارف والتقدم والاهتمام الحروب  
الاهلية عما يصلح شأنهم - م سيجما وأغلبهم - م حديثوا عهد بالعنق من تسلط الدول  
الاوروباوية عليهم الذين كانوا يجرون فيهم الحكم الاستبدادى الظالم وأما قلوبهم فانهم  
من الاهالى الاصليين الذين امانهم - م تناسوا التمدن أو لم يعرف فيه - م ولم يحسن الغرباء  
معاشرتهم وانما تعاملوهم معاملة الوحوش وأطردوهم أو أفنوههم - م من ديارهم فبقوا  
على الجهل والتوحش وفى بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شئ فقد ذكروا  
ان فى الجهات الضاربة لاقاصى الشمال قوم يختمون من الجليد - مديونا ويجهلون لها  
مضايقتهم ويسدون بها طبقات من الجليد الصقيفى ليمنع مرور الهواء ولا يمنع الضوء  
ويبقون فى تلك الداهيات الى الشتاء الطويلة التى هى أغاب أيام السنة عندهم  
ويكتمسون بجناد عجول البحر وبأكلون لحمه ويوفدون دغلهم ومن أغرب ما يحكى عنهم - م  
انهم يطبخون اللحم المذكور فى قدور من الحشب وصورة طبخهم انهم - م يتخذون من  
بعض الاشجار التى تنبت فى الارض الجليدية قدورا يضعون فيها تجوف منها اللحم  
ويصبون عليه الماء ثم يأخذون الحجارة ويحجمونها فى النار الى أن تصير حامية جدا  
فيلقونها فى النار فتنفطأ ويسخن الماء بحرارتها ثم غيرها وغيرها الى أن يصل الطبخ الى  
الاعتدال الذى اعتادوه وربل يخاف ما يشاء ويختار وهو القادر للفعال

#### القسم الخامس من الارض استراليا

- هى مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقى قبالة الهند والطن انها كانت متصلة  
بشبه جزيرة سمطرا قديما وفصاتها زلازلها ثلة قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة  
ويدهى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها سكانا نحو مائتين من  
البشر وفى لونهم السوادى أشكال من جهة التعليل بان سواد اللون من كثرة الحر تحت  
خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هنالك يتعدى من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا  
وذلك العرض من المناطق المعتدلة مع ان الاهالى الاصليين سود وكلهم متوحشون وانما  
يفترقون فى شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات فى التمدن شيئا ما وكل هاته  
الجزائر تحت تسلط دول اوروبا وغلها كما الدولة الانكليزية وقد جعلت أستراليا

(٩٢)

منعاً لأصحاب الجرائم العظيمة فبالثغر والحكم المشدد هناك تم ذبوا وتقدموا شيئاً فشيئاً إلى أن أتت على الدولة الانكليزية في المجرمين اليهم لانهم ليسوا بأهل لمعاشرتهم ثم أخذوا استقلال ادارتهم برضاء الدولة الانكليزية ولا زالوا تحت حمايتها وبقية دواخل الجزر مجهولة إلى الآن وهكذا جهة القطب الجنوبي واكتشف النوتية منذ أربعين سنة على أرض في تلك الجهات واسعة ولم يروا فيها سكاناً وإلى الآن لم يرل البحث على ما فيها وما وراثتها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا أرسلتهم دولتهم للاكتشاف على أحوال القطب الشمالي في باخرة تامة التجهيز فرجعوا بعد طنين بعد ان خاضتهم باخرة روسية عند ما كادوا ان يهلكوا لانكسار بانخوتهم بالجليد ورجوعهم في قوارب صغرية فأخبروا باكتشافهم لأرض واسعة في درجة ثلاثة وثلاثين وانهم لما انتهوا إلى رأس فيها سموه رأس أوستريا وجدوا بحراً جهة الشمال مائعا عليه يسير من الجبل لا يحمل حمل المراكب الجليدية وحدهم بذلك علماء هذا الفن على ان الحرارة من الكهرباء جهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى أزيد من المناطق المنجمدة وهو يؤيد ما قلناه في بحث السد عند الكلام على الصين والله أعلم بما خالق وذرا وهو الحكيم المخير

## الفصل \* ال س ا ب ع

و النمانون \*

وحديث قديمين في هذا الباب اجمال حالات الممالك وما هي عليه من الاحكام والامن ناسب ان نذكر هنا خلاصة في أسماء الممالك وقواعدها بلدانها وعدد سكانها وكمية عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك قيمة الساع الداخلة والخارجة بتجارتها تلك المملكة وكم على حكومتها من الدين وكمية مامد من طرق الحديد فيها النقيب بذلك قوة الممالك ومراتبها في الاعتبار دهاتيك التفاصيل جمعناها من عدة مواد وتقويمات كلها في سنين مقاربة من سنة (١٢٨٨) إلى سنة (١٢٩٧) بحيث لا يتجاوز العشر سنين وانما نهبنا على هذا لان الاعداد المذكورة في الاغلب يتغير بمرور بطول السنين لكنها في الاغلب لا تتغير في أقل من عشر سنين الا بامور جزئية الا ان يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير اعتيادي بحرب هائلة أو غيرها كما انا



(٩٣)

لم نتبر فيما نقلناه الاعداد القليلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة  
لعدم الجدوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده تسمية وكثير من تلك الانواع هو من أصله  
غير محرر بالتدقيق الا في بعض مواد في بعض الممالك

﴿ جدول احصاءات الممالك ﴾

(٩٤)

﴿المتصد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

## الباب \* الاول

﴿في سبب سفرى﴾

﴿فصل﴾

قد عرض العبد الحقير السفر الى أوروبا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧) فاما في مرتين وهما الاولى ثمان فـ كان السفر لاجل التداوى فقط على ما سياتى بيانه وأما المرة الثالثة فكانت لما ذكر أيضا وشغال سياسية أوسز الى بها الوزير ثم عند رجوعى من هاته الثالثة نقض المذكور غزله وحملنى على مفارقة الوطن حفظا لما يوجب الله على حفظه فوجهت القصد الى أداء الحج المفروض والتشرف بزيارة أعظم الرسل (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلائئه الاعلام وأصحابه الغنم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ثم استقررت بالقسطة ضييفة العظمى ثم سافرت الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاسفانة وسنة فرد كل ملكة شاهدها بباب خاص نذكر فيه أحوالها وما شاهده فيها كما فى أبين فى هذا الباب المرض الذى جاني على السفر وما قيل فى التداوى شرطا وماعولجت به وحيث كان لاصـل النشأة والاقليم دخل عظيم فى العلاج كما قرره اطباء المتقدمون والمتأخرون ولم أنذكر طرفا من حال نشأتى ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

## فصل

﴿فى نشأتى﴾

اعلم ان نهاية ما تعلم من نسبى هو ما يذكر وهو ابنتى محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن محمد الثاني ابن محمد الاول ابن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيم وهذا الجد الأعلى قدم الى تونس عند قدوم سـنـان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية لفتح تونس من يد الاسبـيـول سنة ٨٥٠هـ واحدى وثمانين وتسعمائة ثم أقام بها تزوج بابنة ابن الابار أحد وزراء الاندلس وعلمائها صاحب القصيدة التى يستغث بها على لسان

صاحب

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ۞ ان السبيل الى منجاتها درسا  
ثم تناسل نسبه الى حسن بن الاخير مخزطين في سلك الوظائف العسكرية أو الماكبة مع  
التحلي بالآداب العلمية فتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدي  
(حسن الشريف الهندي) الشهير برضى الله عنه وبارك في آل بيته العامر السعيد  
الى قيام الساعة فولدت له محمديم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى  
الآن والمرجو من كرم الله ان يديم ذلك في أعقابنا ما قدر لهم بالوجود واستفحل العلم في  
هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد بن الخوجه يعرف  
سدي محمد الثاني بقوله أبو يوسف الثاني ومؤلفات هذا الجد شهيد شيخنا بصدقه  
وكذلك لمية علماء بيتنا تأليف عديدة عظيمة مفيدة وتقبلوا في الوظائف العلمية الى  
رياسة الفتوى وتلقب منهم أربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدي قدس الله  
روحه) لزوج زوجته أبوه بآية وزير البحر محمود بن محمد خوجه والدته من بيت  
العماد ذي الشرف المعروف وقد ألف محمد محمديم الثاني تأليفا خاصا في التعريف  
بنسبه الجمجمة في والرواحي بلغ فيه الى نفسه والعبد مذل عليه بذكر من لم يحوه ذلك  
التأليف من فروع هذا البيت وما ذكر في هذا الفصل انمؤذج منه وكانت ولادتي  
في سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متفرغا الى ذلك الى أن وابت خطبة  
التدريس سنة (١٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لي هم بشئ من  
أحوال الدنيا الامطالعات الحوادث السياسية الداخلية والخارجية الى أن توفي  
والدي رحمه الله ونجمه سنة (١٢٨٠) فاضطرت الى ادارة مخفاته ولم يكن لي الا محض  
الوداد مع سائر السكان لبعضي عن مواقع الخاسر لديهم وتجنبي للخط حتى ان خطبة  
التدريس والمشيخة المذكورتين انما قبلتها بعد الانحاح عند وفاة عمي شيخ الاسلام  
محمديم الرابع والخلال الخطتين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة  
اليه وانحلت وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها المافوقها وصاحب مافوقها  
ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد بن الخوجه المشار اليه آنفا وبقيت على  
ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى ان ولي الوزارة الكبرى بتونس الناصح الامين خير  
الدين باشا ونحنا مني الحكومة الشورية في اجراء العدل فرأى اجتهادنا منه في انتقاء

(٩٦)

المتأهل للخط ان يستعين بالعبء في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعى الامساعته  
لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى  
كان اول ناشر لما نشرها في قطرنا بناليفها أقوم المسالك مع امتناعي سابقا عن كل وظيفة  
لما أعلم من خول الانصاف وظهور الاعتساف وعند ما غلب على الظن حصول الجدوى  
بولاية الشهم المذكور أجبت استدعائه وقادت رياسته جمعية الاوقاف التي هي من  
مبتكرات الوزير المذكور في تونس اذرتب قافونا لها يحفظ الاوقاف ويقيم بضبط  
ثم يسبق اليه فاستعنت الله وبذلت مقدوري للوفاء بجماعته الى ان تم ضم الى ذلك نظارة  
المظبغة وهكذا بذلت فيها مساعي غير اني في ذاتي تحمات من الاتعاب الفكرية  
والبدنية ما لم تحمله نشأني بل وكذلك الحساثر المالية لان المرتب الذي جعل لي وان  
كان في نفسه نظرا للبلاد وافر لكنه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي  
كنت أحصل على الوفاء بها من دخل أملاكى ومعاطاة تجارى ولما استغرقت الوظيفة  
الاقوات لقيام بها حق القيام تعطل الدخل السابق فعوضا عن الاستعانة بالوظائف صرت  
أبيع من كسبي شيئا بعد شئ للوفاء بحاجات المعاش ولا أعد ذلك شيئا في جنب القيام بحق  
الوطن بل اني أجد الله تعالى على ما أنعم

## فصل

\*

في مرضى وما عولجت به حيث كان نسل بيتنا متوارثا فيه ضعف الابدان وكثرة  
الاسقام حتى قال المجدد الثاني في تأليف نسبه المصار الى آتقائه - دال كلام على  
اقرانه شرح صدر الشريعة على الوفاية والسبب في طول مدة اقرانه له كثرة ما كتب  
على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع الشغل بخطة القضاء والضعف  
البدني الى ان قال فانا اهل بيت باض السقم في بيتنا وفرخ وشوى وطبخ نساله سبحانه  
ان يجعل ما فاتنا من القوة في ابداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعف عنا وجميعنا على  
الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان المجدد المذكور مبتلى بمرض عصبى أعيا علاجه  
أطباء زمانه الى أن حصل له ان يكس في أصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن  
في سنة (١٢٤٧) وهو ابن أربع وثمانين سنة لا يفر عن التحرير والمطالعة  
هدى الله نراه كما ان والذي رجه الله ونعمها كان بها مرض الاعيا به تيرها بكثرة في

ركتبها

(٩٧)

ركبتها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها فلما تقدم بن مزاجي منها لمرض العصبى لانه من الامراض التي يعثر بها التوارث ولما شئت على الاشغال الكريهة والمدينة وكانت طبيعة اقليمى مائلة الى الحرارة واشتد الحر في الصيف كنت استعمل بالماء البارد بعد التعب بالشغل نحو سبع ساعات طويلا لاندشاط والرياح للاستعانة بذلك على الاشغال عشيية فارتكبت ذلك مرتين او ثلاثا وعند آخرها حصل لي وجع شديد يكاد لا يطاق يدته من فم المعدة ثم جئت للجنبيين مع صاحبة الاسهمال وتطول مصته من الساعة الى الساعةين وتكرر ذلك مع شدته ولم ينفع فيه شئ من علاج اطباء بلادنا مع تنوعه وكثرة اجتماع اطباء اليه بحيث لم ابق واسد امانه شاعيرهم لم احضره فرادى ومجتعين وغاية ما ارسل عليه حاله هو استعمال المسكن المسمى بكوراقو مرفينا الذي يستخرج من روح الافيون ويستعملونه محلولا في الماء المتطهر وزن نصف قعة من العلاج المذكور اى عشرة من مائه من غرام واحد في ستة غرامات من الماء المذكور ثم يؤون منه حبة صغيرة تجعل غراما واحدا الاربع من الماء المدبر المذكور ويحكمون ادخال انبه وبها في رأس ابرة خارية الوسط وسنها في اية المدة ثم يسكنون الجسد من المريض بأدب اليد ويجذبونه الى ان يهدئ شيئا ما عن اللطم فيدخلون ابرة هناك ويجذبونها الى خارج الى ان لا يبقى الا آخرها ادخل الجسد ويقي محلولها هناك ثم ادوا حبة صغيرة من الماء المذكور تحت الجسد ثم يزيلون ابرة وقد تم حينئذ عمل العلاج فبعد دنيئة اودقبتين او اقل يسكن الألم بفضل الله وتعالى الحال على ذلك مع كثرة تردد المرض كل يوم مرة او بعد يومين مرة وبعد كل نوبة يتركنى في غاية التعب ويورث ارتقاء وضعه ناسيما وقد كلالنا علم كيفية استعمال ذلك المسكن فيلزم الصبر على شدائد الألم الفادح الى ان يأتى الطبيب فما يأتى الا وقد وجدنى أخذ مني الألم مأخذا عظيما فلذلك فعلت جسمى رصارا بتر يني في بعض الاحيان دوار وتارة يترنح فتضرم في الغضب مع شد ضعفه وامتد ذلك نحو ثمانية أشهر وحينئذ اخرج على الحكيم الماهر النصح منيا يني بالسفر الى أوروبا وقد كان اشار على بذلك من أول الامر بيران غيره من اطباء خائفوه فانهم قالوا لا يلزم السفر ويمكن العلاج في البلاد لكننى لما رايت من طول الامر وزيادة الضعف مارح لي كلام منيا يني أعيد استشارة اطباء فوافقوه وكان قصده من السفر (اولا) ذات السفر فانها من أسباب الهمة طباو وقد علم ان الفصل الثاني من المقدمة ان السفر من أسباب الهمة شرعا أيضا

(٩٨)

(ونانيا) الارتياح إلى من الاشغال الفكرية التي لم يمكن في التجنب عنها في البلد (وثالثا)  
 الملاقاة مشاهير الأطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف في محله وهذا الأخير هو  
 الذي أوجب تعيين الوجهة إلى خصوص أوروايا سافرت حينئذ وكان ذلك في دجنبر  
 واجتمعت بمشاهير بعض أطباء إيطاليا وفرنسا واستقر رأي أغلبهم وأعلمهم على أن المرض  
 عصبي مع ضعف شديد في الدم ومركزه ما بين أعصاب المعدة والقلب وحالوني بالمياه الباردة  
 جدا المنبثقة بقوة وذلك بأن يضرب بها كفي القدمين ثم المعقابين ثم فقرات الظهر ثم فم  
 المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك في دقيقتين أو ثلاث ثم يذشف البدن بخرق من  
 الكتان مع عنف وضرب خفيف واستعمال ثم تلبس الثياب ويدوم المشي الجحول نحو  
 نصف ساعة أو يزيد إلى أن يسخن البدن ويحصل شيء من العرق أو حكة حول فقرات  
 الظهر بخرقه من الشعر الصلب ثم امرار اسفنجية مبتلة بالماء البارد على ذلك المثل عند  
 النوم مع تكديس الأعضاء والظهر بالأيدي وظهر لهذا العلاج بعض النفع غير أن شدة  
 البرد هناك المخارقة المعتادنا في إقليمنا المعتدل أوجبت على الأطباء الإشارة بالعود إلى  
 الأقليم مع التوصية بالتحذير من الأسباب المحيرة للمرض ككثرة الشغل والمساكن  
 العميرة المظلمة ثم تعاهد المعالجة بالماء البارد وشرب أدوية عديدة ثم انتهى قليل من  
 روح الزئبق وأشباهه من أجزاء يسيرة من دقايق قتالة مع التحذير من مقاديرها وخف  
 المرض عند الرجوع إلى الوطن حتى أني لم أضطر إلى استعمال المسكن بالحقنة فحوض غائية  
 أشهر لكن المرض لم يتقطع وإنما كان يأتي خفيفا ومع العود إلى الأسباب التي لم أجد  
 عنها مندوحة عاد إلى ما كان واضطرت للسفر ثانيا لخصوص باريس التي وجدت  
 بها امهر من رأيته من الأطباء وهو المحكيم شاركو وقد ورد المخبر بكتشافه لعلاج  
 جديد من المعادن والمعادن اليه عاجني بالكهرباء التي يسرد الكلام عليها ان شاء  
 الله وصورة العلاج بالآلات على نوعين أحدهما مكنة للهيجان العصبي وهي آلة  
 مركبة من ثمانين اسطوانة منقسمة إلى قسمين كل قسم يشمل أربعين اسطوانة ويوضع  
 كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقات احدها نحاس  
 والاخرى روح النوتية المسماة بالزنك والثالثة طبقة من الجوخ وفي مركز كل اسطوانة  
 عمود من سلك حديد يخرقها وينصل الجميع بطبقة من الكواكشو ويغمس الجميع  
 في ماء مخلوط بالنشادر وهذا الغمس لا يلزم في كل مرة بل اذا حصل ضعف في عمل  
 الكهرباء ثم يحفف من التقاطر ويوضع في صندوق من خشب بداخله صفيحتان من

الفولاذ

(٩٩)

الفولاذم وصلتان للكهرباء بسطح الطبقة العليا وفي هذا السطح بيت ابرة ومسامير من نحاس مسطحة الرأس منقوش عليها أعـدـاد من عشرة إلى أربعين يمينا وهكذا شمالا وعمودان قصـيران مثقوبان ويدان تداران على مركزهما ويوضع طرفهما على العـدد المطلوب من المسامير اليسرى على المسامير اليمين واليسرى على المسامير الشمالية وعلى بيت الابر صلع من خشب وعند ارادة العمل بذلك الصندوق المهيأ يلزم وضعه بحيث يكون الصانع الخشبي المتمد على بيت الابر متوجها جنوبا وشمالا ثم تدار اليدان لتحريرك القوة الكهربية وتوضع احدهما على أحد الأعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة المريض أيضا وهكذا الأخرى بحيث لا يبلغ ملامعها معاً إلى نهاية العدد من الجهتين التي هي درجة التماثل في القوة الكهربية لأن ذلك يخشى منه من الصاعقة على الانسان ثم يؤخذ سلكان من الفولاذم يحكم لهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع كل منهما في أحد اليهودين المثقوبين ويحكم امساكهما هناك بلولاب وفي رأس طرفيهما الآخران شبه ختم من معدن ملفوف في جدار رقيق يمل بالماء لسهولة توصيل الكهرباء وكل من الختمين له يمد من خشب يحسب بمسكه العامل ويسمى أحد السالكين بالموجب والآخر بالسالب تـمـالـنـوع تسمية الكهرباء والموجب هو الذي تكون اليد الدوارة من جهة في درجة أعلى من الجهة الأخرى فإذا التصق الختمان ببعضهما أو اتصلا بجم يوصل بينهما رأيت الابر في بيتها تضطرب يمينا وشمالا ويشـتـد اضطرابها ويضعف على حسب الدرجة المعهولة فيها قوة الكهرباء وإذا حصل هيجان في المرض يوضع الختمان على المريض بقرب مجلس الألفم على هيئة التقابل بين السالكين ففي بضع ثوان يسكن الهيجان بإذن الله من غـيران يحس المريض بأذى حركة أو ألم ويسمى هذا النوع من الكهرباء الكهرباء الساكنة وهاته الآلة من اختراع كستاف طروقية وعندما كان يعتبر في المرض بالدوار وضيق الصدر كان الحكيم يضع الختم الموجب على العنقفة ساكنا والسالب على الجهة التي يديره من أحد طرفيهما إلى الطرف الآخر فـيـكـان إذا قرب من الحاجبين أرى كأن البرق يتطاير من عيني متواليا ويلزم إزالة السالب شيئا فشيئا بأن يرفع بعض أطرافه ثم وثم إلى أن يتفصل جميعه وأما الأسر فيفصل دفعة واحدة والآلة الثمانية الكهربية هي آلة لتقوية البدن والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه اسطوانتان من البـلـور مركزتان على قطع من الكاوتشو (هونوع غروي يحف ويتصلب مستخرج من صمغ الأشجار) غـيران احدهما يحيط بها الكاوتشو إلى نحو

(١٠٠)

الثلاثين منها والثانية الى نحو الربع ويد علمها اسطوانة عظيمة من النحاس خاوية الوسط وفي اواسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس فيه موضع لوضع قطب أحد الدائرتين الا في بيانهما وهذا القطب وسطه فولاذ وظاهره كوتشويتش ويتصل بدائرة مسطحة جديدة من الكاوتشوايضاً وأحد طرفي قطبها خارج للاسطوانة البلورية متصل بدائرة صغيرة من نحاس كما انه في نحو الربع السفل من الاسطوانتين موضع لقطب دائرة مثل تلك الاكثمن البلور وانما مركزها على القطب من الكاوتشو وبقيّة قطبها من النحاس وأحد طرفي قطبها خارج للاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب لها يد تدار بها وعلى خط نهايتها محل لوضع حبل من جلد مكركب يوصل بينهما وبين الدائرة النحاسية التي فوقها المتصلة بقطب دائرة الكاوتشو وبدوران هاتئ الدائرة الخشبية يدور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو اللاتين وضعهما بين الاسطوانتين وتبعد احدهما عن الاخرى نحو اصبغ عرضاً ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم ان المربع الخشبي قاصق به آلة ذات وسادتين لاصقتين في خشبتين وهما جلد محشوتان بالشعر ولهما الوابيتان من بعضهما أو يبعدهما وفائدتهما هي ادخال الدائرة البلورية بينهما بحيث يلتصق بكل من سطحهما احدهما حتى اذا دبرت يحصل حكمها بهما ويدلك كل الوسادتين بشئ من الحجر من الكبريت تقوية لاحتكاك الكهرباء ثم ينصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب الدائرة العليا قوس من نحاس ينفتح وينغلق اذا اذق يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى النحاسية وفي هاتئ الاسطوانة حلقة من جنسها خارجة عن رأس الاسطوانة البلورية ليوضع فيها رأس قضيب من نحاس وذلك الرأس منحني ليتمكن امساكه في الحلقة وهو أي القضيب طويل أزيد من ثلاثة أمتار وجميع تلك الآلة يوضع على مائدة من خشب مرتفعة على الارض نحو ذراعين ونصف بأرجل متينة لا تضطرب عند ادارة الآلة ويكون وضعها في محل خالي عن النداء متجدد الهواء بعيداً عن الاشجار والبحر نحو عشرة أو اثني عشر ذراعاً ووضعها هي في المحل يكون بعيداً عن الحيطان في الأقل ذراعين واذا كانت الكهرباء ضعيفة تربط برجل القوس عند الاسطوانة البلورية باسلسلة من أى معدن حد ويربط طرفها الآخر بالمحائط ثم يوضع كرسى أرجله من البلور الخشن بعيداً عن الآلة قدر ذراعين ويوضع عليه طرف القضيب الماسك في الاسطوانة النحاسية ويجلس على الكرسي المربص وتدار الآلة اما بالبخار أو باليد ويفتح القوس النحاسي

وعند



(١٠١)

وعنه ذلك عتلى الجالس بالكهرباء من غير ان يحس بشئ الا اذا قرب منه جرم ما فإنه يتطاير بينه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واحرا قال الكنهه لاديه فيه ولزيادة الدواء يأخذ الحكيم عصا من نحاس ويدها التي يسكنها من البلور وفيها حلقة تربط بها ساسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مسممها للحكيم يدخلها بحلقة متصلة من النحاس موصولة بيد من البلور يسكنها الحكيم بيده اليسرى ليعاد جرم الساسلة عن نفسه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر في الحلقة الواصلة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط مذهب صوب المريض الجالس على الكرسي على الجهات التي هي محال للالم واذا كانت ترى شعله من النار ازرقاء المبيضة خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصلة اليه وان قرب منه القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متوسطة الانواع من صلبة الخشب ورخاوة لان الصلب أشد كهربائية فيستعمل من ذلك الانواع على حسب قوة المريض ويدام العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجيا مع تأنس المريض ونقاؤه وحصل لي بهذا العلاج مدة أربعة عشر يوما نفع عظيم ولله الحمد كاد ان ينقطع به الالم بالمرة الاقاييا قابلة لا عبرة بها وعند الرجوع الى الوطن أكد على الحكيم الحذر من الاسباب وتفقدا للعلاج المذكور وأشرب قطرات صغيرة من محلول الذهب الذي بان نفعه أيضا من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة تدريجيا قبل الاكل فطورا وحشا وعند النوم فكنت أستعمل آلة الكهرباء الدوائية التي ظهر نفعها غير ان الاطباء أوصوني على عدم ملازمتها خوفا من تأنس البدن ولذلك تركتها مدة مع اني كنت اشتريت آلة واستعملتها هي والفرق بينهما وبين الآلة التي عند المحكيم في باريس ان التي أخذتها تدار باليد والاخرى تدار بالبخار لكثرة استعمالها حيث يعالج بها كثيرين وأما التي عندى فتكفي فيها اليد الادى اذ لا يدوم العمل بها اكثر من عشرين دقيقة في اليوم ثم عند تركي للعلاج بهامدة كنت أخاف من اشتداد الالم الذي نظاهر مخايله من حدوث بعض الدوار والارتجاء والحزن الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من المرض وهو اعتراجه برد شديد في الاطراف وصغرى النبض مع ألم عام لا أقدر اعر عنه ولا أعلم مجالسه أين هو مع ارتعاش في الاعضاء وجفاف في الريق وصعوبة في ابتلاع الريق والطعام وضيق في النفس وهذا الهيجان لا تنفع فيه الآلة المسكنة الا اذا كان

(١٠٢)

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع  
 حتى كنت أسمع الشيء البعيد الذي لا يسمعه الحاضرون معي مع التأذى من شدة  
 صوته عندي فضلا عما اذا كان الصوت قريبا امتي حتى ياتزم من حضرة عندي السكوت  
 بل ربما تأذيت من صوت نفسه وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ملا يدركه  
 أمثالي اسكن وقت الهيجان يصيبني زكام مفرط وربما هاته الحالة لا يسكنها ولا يمكن  
 الحقنة الابعدمدة وهي أشد على من هيجان الوجع ولذلك كنت أستعمل عند تعطيل  
 التعاهد بالآلة العلاجية شرب ماء الذهب المتقدم ذكره وقد فأت للحكيم عند وصفه  
 هذا الدواء وانه من مخترعات هذا العصر ان كل الذهب انقوى معلوم عندنا وقد كان  
 الامام ابن عرفة في المائة الثامنة والناسعة يبرد كل يوم بنديقا (البندقي نوع من سكة  
 الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبيا) على دجاجة ويطحنها جديدا  
 وبالكاه فقال البندقي كثير فقات له حيث ان الذهب غدير محلول فلا يأخذ منه البدن  
 الامقدار ما تهضمه المعدة وما عداه يذهب في الفضلة فقال نعم وعلى كل حال فلهذا  
 العصر فضل في الاقتصاد فلم يسعى الا للتسليم وهذا العلاج بالمعدن كنت أستعمله قبل  
 السفر ثانيا لكان على ظاهر الجسد وذلك بأن يؤخذ شيء من أحد المعادن الخالص  
 ويجعل منه نحو سوار فان ظهر في المريض بالمسه نوع ملاميم عليه والايه يدل معدن  
 آخر وأول من اكتشفه طبيب أساوى ولم يلتفت الى قوله الى ان أصغى اليه الحكيم  
 شاركوا الفرنسيون وجرت به فوجده صادقا وأعلن به من مجلس فن الطبيب بياريس وصار  
 معمولاً به غيراني وجدت فرقابيس الكيفية التي جربها الى الطبيب البارون كستلنفوفو  
 وبين ما فعله الطبيب بياريس فالأول كان يستعمل المعدن ويبقيه ان وافى وكل  
 المعادن التي جربتها لم توافق سيما الفحاس فانه يحدث التحير الا الذهب فلما جربته لبسا  
 خف التحير وسخفت أعضائي وكان العرق الذي يأتي من الألف حار على خلاف ما كان  
 من برده ولما علمت بذلك الحكيم شاركوا أذن الطبيب المباشر وهو فغرو بأن يجرب  
 المعادن فأعطاني ميزان القوة وقبضت عليه بجهدي وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان  
 النبض ثم أول ما بدأ به من المعادن معدن المغناطيس وهو على هيئة قطعة من حديد  
 موضوع على مائدة فالصقة بذراعي الأيمن وجعل فاصلا بينه وبين البدن قطعة من  
 ورق فسالبت نحو دقيقة الا وحصل هيجان عظيم في المرض خشيت منه وكان نابي  
 مجللا باستعمال الحقنة للسكين فنهاه الطبيب واستعمل الآلة السكر بائية الساكنة

المار

(١٠٣)

المسار ذكرها فصل السكون بفضل الله وتبين ان ذلك المعدن غير ملائم وهو نظري  
وواقفي عليه الحكيم شاركو وان كان الطبيب فيغرو يرى انه موافق بمعنى انه لما  
أحدث تأثيرا دل على تأثير المعدن منه لكنني أقول ان المعدن يتأثر منه بالضرر  
لا النفع ولم أعد اليه ولا غيره ذلك اليوم حذرنا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جر بنا  
الخصاس وهو ايضا غير موافق كما تقدم غير انه لم يحدث هيجانا كبيرا ثم جر بنا الفضة  
فلم توافق ولم تضاد دليل موازنة ميزان القوة والنبض ثم جر بنا الذهب فكان ملائما  
بحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأي على عدمه لكن  
لا يكتفى فيه بالاستعمال على ظاهر الجلد فقط بل بالشرب أيضا على نحو ما تقدم وكل  
معدن كان تجربيه في يوم خاص كما عولجت قبل السفر الثاني بماء البرمور وبوتاسيوم  
ياشارة الطبيب كسـ تانوفو وراى في كميته وأوقاته كيفية رآها الطبيب هي انني كثيرة  
فما استعملها مع المواظبة أكثر على النوم حتى كدت ان أكون نائما ثمان  
وأربعين ساعة تمام المقدار هو قدر ساعة كل بعد كل ساعة من الماء المذكور وبعد  
رجوعي من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما مر بقيت على العافية ولله الحمد مدة  
عام الاسبوع أيام حيث تراكمت الاعباب الفكرية والبدنية وحوادث في البلد أوجب  
جميعها السفر ثانيا الى باريس والاشتغال بغير الدوا في هاته المرة مع مصاحبة الاعباب  
الفكرية أوجب عدم نفع العلاج السابق وان خف الالم شيئا ما فلما عدت بعد فراغ  
المساعي وجدت الحال في الوطن غير الحال وأخلاق الحكومة وان شئت قلت الوزير  
يختصه غير ما تكرر منه عليه كما في أتيت شيئا على غير أمره وتحقق لدى ما كنت أتوقعه  
من السوء لكل ناصح أمين غير مما لي على سوء الاعمال كما سيرد شرحه ان شاء الله  
تعالى فعزمت على النوجه لميت الله الحرام ملتجيا الى الرسول عليه الصلاة والسلام  
لكشف الضرر الخاص والعام فذلنا ابجاءه المرام ولا زلنا نؤمل القيام بالتجانا اليه  
فيه ومنه حسن الختام

## فصل

﴿في حكم التداوى شرعا﴾

اعلم ان التداوى قد ورد بالهداية اليه القرآن العظيم كما في (قوله تعالى يخرج من بطونها

## (١٠٤)

شرب محتلف ألوانه فيه شفاء للناس) فدلّت الآية الشريفة على أن العسل دواء  
 لا سلام يستشفى به منها كما بينه الحديث الشريف الوارد في صحيح البخاري وغيره من  
 قصة الصحابي الذي قال (لأنني صلى الله عليه وسلم) أن أخى يشترى بطنه فقال له (صلى  
 الله عليه وسلم) اسقه عسلاً ثم عاد وأعاد الشكر وأعاد (صلى الله عليه وسلم) صفة  
 الدواء ثانياً ثم وقعت الإعادة أيضاً ثالثاً وقال الصحابي قد سقيته ومازاده إلا انطلافاً  
 فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلاً صدق الله وكذب بطن أخيك ففعل الصحابي  
 وشفي المريض فأن الحديث قد بين أن شفاء الناس هو قد أريمهم به من أمراضهم حيث  
 قال صدق الله أى في قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضاً على أن استعمال  
 الدواء لا بد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمر بالتكرار لأنه تعالى كلمة إرادة في جعل  
 الشيء سبباً في البره له إرادة في خصوص مآذره وأوقاته وأنه لا ينبغي أن يسهل الدواء  
 إذا لم يرم منه نفع في المرة الأولى إذ له لم يكن هو المنة دار الكفاي لما يستعمله بدن  
 المريض والله سبحانه وتعالى حكيم في الأشياء لم تزل عقولنا لا اطلاع على تعاصيلها  
 فيلزمنا اتباع ما دلت العادة والتجربة على جعله سبباً للسبب بقضية الحكمة اللازمة  
 ومن ادعى عمل الأشياء بالطبع لا يسهلها إلا الجزع عند ما تجاريه بسؤالك لما إذا كان طبعها  
 كذا وإذا علل تقول له لما إذا كان ذلك التعليل وهكذا بل أنهم كثيراً ما يجهزون من أول  
 الأمر فيقولون إن الشيء القلبي يفعل كذا بالحاءية حيث لم يجدوا شيئاً يمكن لهم به  
 التعليل الأولى والحق أن ذلك جبره بخاق الله وجعل تلك الأشياء أسبباً باعادة  
 يخاق عنه ما أراده بسابق حكمته ومآذره دم أجعت الآلة على جوار استعمال  
 الادوية وانما وقع الخلاف في جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف في الترجيح عند  
 الحنفية ومحل الخلاف هو ما إذا تعين الشفاء في خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شيء آخر  
 حلال يقوم مقامه أما إذا وجد فلا يبيح (حينئذ) والقائل بالإباحة يستدل بالضرورة  
 وانها مبيحة للحدوث فيكون كالمخائف من الهلاك جوعاً في أكل الميتة وقضية تجوزهم  
 للكتابة بالدم على جبهتين صاحب الرعاف لكي ينقطع عنه هو ترجيح للترجيح بالدم  
 لأن الكتابة بالدم النجس اهانة للعروف ولا سيما إذا كان فيها اسم الله وذلك محرم قطعاً  
 وانما جاز بالضرورة فلا يكون اذ ذلك حراماً وبه يحييون من احتج بقوله (صلى الله  
 عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فإن الشيء إذا تعين فيه الشفاء يرفع عنه  
 التحريم وبيان هذا المعنى هو أن يقال إن الأشياء المحترمة أغا حرم لم فيها من الفساد

والانصار

## (١٠٠)

والضار للخلق لانه تعالى منزّه عن الاحتياج لشيء وكل ما ورد به الشرع فانما هو  
له سدائنه لما ينفعنا فهو مره أو لما يضرنا فهو نهي عنه وحيث لم يكن في طوق عقولنا  
الاحاطة به لم جميع ذلك لان بعضها يتوقف على علوم تشيب الغراب وهو تعالى خالقنا  
الرفوف العالم بنا ورسوله هو الأبرار الرحيم بخالق الله ونحن على يقين من ذلك ولله الحمد  
فيما علينا الا أن نتبع ما شرع لنا موقنين ومسلمين أن ذلك هو الصالح بنا كتسليم الابن  
لابيه العاقل وتسليم الجن لربهم الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه  
به يمكن فيه حصول الاعلام بالبعث غير انه ترك حذر من فوات الفرص واطالة  
الامر بخلاف المشبه فقد علمنا بحج عقولنا عن ادراك جميع مصالحنا بمآلها ولذلك  
ما أمكن ادراكه قلنا انه معقول المعنى وما لم ندركه علمنا به وقلنا انه تعالى والكل  
معقول في نفس الامر فالشيء المحرم اذا اضطررنا لئلا نؤذي به ليس المعنى انه يرتفع الضرر  
الذي حرم من أجله بل ان الضرر الخاص الذي يراد دفعه به أعظم من الضرر السابق  
فيه تكب أخف الضررين كما هي القاعدة الشهيرة فالجزم مثلا المحرم لتوقع حرمه الى افساد  
العقل اذا غاض الانسان وخشى الهلاك جازله ثم به لدفع الهلاك الذي هو أعظم ضررا  
من توقع حرمه لافساد العقل ولا يقال انه على هذا يلزم التوقف في كل خربة على علم  
مفسدة المحرم الذي أريد استجماله وحرمه من أجلها ومقايستها بالمفسدة التي يراد دفعها  
به مع انك مصرح بعدم علم الجميع والقائلون بالجواز لم يخصوا ما علمت مراتبه وقيس  
بينها لانا نقول القواعد الكلية في مثل ذلك كافية في حصول المقصود وقد علمنا منها ان  
حفظ النفس هو ثانی مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ  
النفس من الهلاك والهلاك أعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون في الاشياء  
المحرمة من أسباب التحريم الراجعة الى أجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقتضى  
حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب أى الروح التي هي محل  
الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الابدان دخل فيه كما هي العبارة المشهورة ولذلك صرح  
الفقهاء بأنه لا يفتى بالردة استجبالا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعبادة بالله ولو صرح  
في الفتاوى ببعض أشيائهم ككفره فلا يعول عليها نعم ان جميع الشرائع الظاهرة هي  
من الدين أيضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها  
الا لاعتقادها وهذا يجوز اتلافها في القتال على الدين وهكذا على شوائره فانهم صرحوا  
بأن من تركوا جميعا الا أن يقاتلوا حفظا للدين وتقديمه على النفس لكن ذلك

(١٠٦)

إذا كان منبذاً عن الاستخفاف الرجوع للاعتقاد إذا ما اذنب بين التأويل أو العذر المنبذ عن  
 صحة الاعتقاد فلا يقاتلوا (حينئذ) ولهذا لم يؤمر بقول تاركى الجمعة بتأويل وجوب  
 الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وبما تقدم يعلم جواز تلقيج الجدى من الحيوان  
 أو الايمان لانه قد ثبت بالتجربة المديدة للقطع انه حافظ من الهلاك أو مما يقرب منه  
 ومن هذا الباب تجوزهم للكتابة بالدم مع انه فيه استخفاف بالمحروف التى مرجعها  
 الدين وبيانها أن الاستخفاف فعل القاب والاعمال الظاهرية والاعمال عليه وأقيمت مقام  
 الحرمة بسبب دلالتها لالذاتها فهلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم  
 دفع الهلاك للتيقن بسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين  
 فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الآخر مرجعه للدين وهو مقدمة على  
 النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة فى مقابلة  
 النفس التى هى محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فغلب ترجيحها كما صرحوا  
 به فى جواز التيمم لحوف المرض فى أن ذلك ليس تقدماً على النفس على الدين بل من باب  
 تقديم أغاب الدين على بعضه لان الانسان اذا سلم أقام الطهر والصلوات الكثيرة  
 وغـيرها من التكاليف بخلاف ما اذا هلك فتسقط عبوته جميع التكاليف المتعلقة بذاته  
 فلا يسوغ له ان يسمى فى ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ)  
 من باب أخف الضررين كما تقدم واعلم ان لا بعد توقفاً شديداً فى دعوى جواز مسئلة  
 الكتابة بالدم لحفظ النفس من الرعاف (الح) وبيانها ان صاحب الفصول الجهادية  
 وغيره ممن نقل عنهم الشيخ يرمى الثانى فى كتابه حسن النما فى جواز التحصن من الوباة  
 صرحوا بان تعاقب الاسباب بسببها على ثلاث مراتب أحدها التعاقب القطعى وهو  
 ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الاعلى وجهه خرق العادة كالشبع لللال كل والرئى  
 للشرب وثانها الظنى وهو ما يكتر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادراً ومثلوا  
 له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمى وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادراً  
 ومثلوا له بالحي والرقى مجمعين على ذلك وغاية ما اختلفوا فيه هو ان تعاطى القسم الثالث  
 هل هو مخالف للتوكل أم لا واحتج صاحب حسن النبأ بكونه غير مخالف للتوكل  
 راداعلى صاحب الفصول بموت الرقيما من (النبي صلى الله عليه وسلم) وكذلك الحكى  
 فليراجع ما أطال به هناك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقى من الموهوم وما تقدم  
 من الكتابة بالدم للراعى ليست هى الرقى فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

المحرم

## (١٠٧)

- الحرم وهو تبعينه للشفاء وأين التعيين من الوهم - وكيف يقدم على أمر محرم باجتماع لامر  
 موهوم فعلى الاحتياط لحكام الشرعية التثبت وعدم الاعتراض له - هذا صعبت درجة  
 المفتي لكي لا يضل ويضل بغير علم ولا ينفعه مجرد وجود المسائل في كتب بعض المتأخرين  
 اذ كثيرا ما زلت الاقدام من بعضهم في نقلها عنه غيره كأنها المذهب الذي عنه لا يذهب  
 والله يحفظ المسلمين من مزالق الشهوات وكان من شأن ذلك القول هو ما قاله صاحب النهاية  
 في بحث جواز النكاح بالحرم اذا تبين فيه الشك فاه وساق لذلك مثالا وهو جواز كتابة  
 الفاتحة بالدم للراغب على جبينه وأنه لكانه قيد ذلك بحصول العلم الذي هو اليقين  
 وذلك على معرض التخييل بدليل عطفه البول حيث قال وبالبول أيضا أى اذا حصل  
 العلم ومن المعلوم ان الفقهاء يصوّرون المسائل ولو المستحيلة تقرير الحكم المسمى  
 ان يطرأ في زمن لا يقدر فيه على استنباط الاحكام فليس كلامه دليل على الجواز في  
 تلك المسئلة لانه مقيم بدال العلم وقد علمت انها من قبيلة الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يجوز  
 الاستناد الى كلامه مع الغفلة عن قيده الذي هو العلم ولم نرى كلامهم من يسوغ  
 اطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه في المسئلة ان بعضهم جعل كلام حذاق الاطباء  
 مما يحصل به العلم وقال العلامة السيد ابن عابدين في حواشي الدرر انه لعنه من  
 التوسع في اطلاق العلم على الظن أقول بذلك لان مسائل علم الطب على قسمين  
 أحدهما ما يرجع الى علم التشريح وكيفية تركيب الابدان وهي يقينية والثاني  
 ما يرجع الى الدواء ومسائله طنبية كما تقدم ثم اعلم ان تعاطى الاسباب بأقسامها الثلاثة  
 التي تقدمت في صدره هذا المبحث هو من أعمال الحكماء في الدين ولا ينافي التوكل  
 على الله وقد بسط المسئلة ببرم الثاني في كتابه حسن النبأ المشار اليه وحققنا هاهنا  
 كتبناه على باب لا يندغ (المؤمن من حجروا حدمرتين من البخاري) وخلاصة الكلام  
 ان العمل بالاسباب مع التوكل على الله في نجاحها هو المشرع ومخالفة ذلك سوء أدب  
 مع الخالق جل وعلا فيعصى الانسان من حيث يظن انه يطيع وقد صرح بمثل ذلك  
 العارف الشهير في المواثيق والعهود حيث قال ان التوكل لا يشرع الا مع الاسباب  
 أو عند فقد هاهنا ما عاينها فهو كالعاصي وبكلامه (رضي الله عنه) يتبين الوجه  
 في الفرق بين حالى (النبي صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضي الله تعالى  
 عنه) فانه (عليه الصلاة والسلام) لما هاجر الى المدينة عند اجتماع قريش على أذنيه  
 لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الاسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عدوتهم

(١٠٨)

واتفاقهم الا الاعتماد على أمر الله به بالهجرة ووعده له بإبلاغه الى المأمن وانتصار الدين وظهوره فلما سافر واختفى في الغار مع صاحبه (الصادق رضي الله عنه) وخرجت قريش في تطايبهم ووصلوا الى الغار ولم يكن لهم مانع مانع تفتيشه والدخول اليه مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه) خائفا فزعا يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئنا يقول له ما أخبر الله به لا تخزن ان الله معنا وفي غزوة بدر ما أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدد والعدد وهما أسباب القتال والنفي الجمعان للطعان كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بالحق حتى قال لان تلك هاته العصابة فان تعبد بعد هاهنا في الارض أو كما قال وكان (الصادق رضي الله عنه) يقول له لا تخزن ان الله منجز لك ما وعدك من النصر ولا شك ان (النبي صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله في الواقعة مع ان ظاهر الامر فيها مع (صديقه رضي الله عنه) فالوجه يتبين مما قرره الشعراني في القاعدة المأز كرها وهو ان حال الغار ليس فيه مجال للاسباب لفقدانها فليس هناك الا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لانه أكل قولا واما حالة الغزوة فهي حالة الاخذ في الاسباب ثم التوكل معها ولا يسوغ التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا في الدعاء لتكون الاسباب ناجية وليس للامة الاتباع الرسول فالعمل بالاسباب عند وجودها مع التوكل على الله في نجاحها هو الشروع ولا يشك كل على هذا ما ينقل عن كثير من الصالحين من تركهم للاسباب وخرق العادة اليهم لانه من دفع بما قرره أبو اسحاق الشاطبي في الموافقات من ان هؤلاء وان خرق لهم العادة لم يكن لهم لم يخرجوا عن الاسباب لان خرق العادة من الاسباب الخفية واستثنى بذلك بأدلة تشرح الغليل ويبينه ما وقع من العارف الرباني الامام في علم الباطن والظاهر سيدي (عبد العزيز المهدوي) شيخ منظر العلم (سيدي محي الدين ابن العربي) الحائمي الذي ألف لاجله الفتوحات المكية ويخاطبه في رسائله بقوله يا ولي قانه قد ذكر عنه انه أن أحد الصالحين كان مارا بطريق فوقع في جب فتر بعض السابلة على ذلك الطريق ورأوا الحب فقالوا ان هذا الحب يضرب بالسابلة لوقوعه في الطريق فاندفع اذاه بوضع هذا الخنزير العظيم على فيه ونسده ففعلوا ما من غير ان يعلموا بالصالح الواقع فيه وخطره هو بباله ان يعلمهم ثم قال لا تجبني الى مخلوق والله أعلم بما لي وبعد ما مر السابلة جاسم مع وحقر فرجة من فم البئر

وادي



(١٠٩)

وأدلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا اذن من الله بنجاني فتمسك بيدي السبع  
وأخرجه السبع من البئر وذهب الى حال سبيله وسمع مناديا يقول قد نجيت من الهلاك  
بالهلاك وسئل الشيخ سيدي (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل \*  
الصالح والحال انه مخالف للشرعية لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم  
اعلامه هولاء سابلة من باب الالتقاء باليد فأجاب سيدي (عبد العزيز رضي الله عنه)  
بأن التكليف الشرعية اعملية هي ثانيا رتبة من التكليف الاعتقادية وذلك الرجل  
الصالح علم من نفسه ركونها للاسباب وعدم صحة توكلاها فقهرها حتى ثبت صحة  
الاعتقاد الذي هو الدرجة الاولى فلهذا كان الرجل قد عمل بالشرعية بوضع درجات  
التكليف مواضعها هذا يحصل كلامه (رضي الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب  
منهم مخالفة الاسباب لا بد أن يكون له حامل خاص والافهم (رضي الله عنهم) أشد  
مخاطبة على الشرعية فلا يتأخر أحدا بأن أعمالهم مخالفة لشرعية الاسباب بل يحمل  
كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله لهداهم مبداهم

## \* الباب \* الثاني

﴿ في قطر تونس ﴾

لما كان مسقط الرأس في هاته الابلاد وهي منبت الاسباء ومستقر الاجداد ونحن بصدد  
التعريف والكلام على ما شاهدناه في الاقطار على حسب مشاهدتنا في التواريخ لزم  
بالضرورة تقديم الكلام على الوطن النابت حبه في القلب النيمات الحسن

## فصل

﴿ في التعريف بالقطر التونسي ﴾

اعلم ان موقعه على شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويمحده البحر  
المدكور شمالا وشرقا وطراباس الغرب في بعض الحد الشرقي والصحراء الكبيرة جنوبا  
والجزائر غربا ويبتدى شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة  
وعشرين ثانية هـ ذاعند أعظم المراسي هناك وهي مدينة بن زرت ويمتد من هناك  
الى الجنوب الى ان يدخل في الصحراء الكبيرة من غير تعين للحد وانما أشهر المدن جهة

(١١٠)

الحد الجنوبي هي مدينة توارو هي واقعة في عرض أربع وثلاثين درجة واحدة عشرة  
 ثانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب أكثر من عرضه من  
 الشرق الى الغرب ممتد على ساحل البحر فيبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة  
 (١٩) وينتهي مع موره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) وبتدئ في الطول  
 المؤسس على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٢٢) الى نحو درجة (٥)  
 ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو أطول رأس في البحر  
 الأبيض ويتصل ببقية القارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما ان بالقطر رأس أخروهي  
 الرأس الأبيض ورأس الزبيب الاثنان حول بن زرت ورأس سيدي على المكي ورأس  
 جبل المنار ورأس المهدي ورأس كمبودية ورأس الغداسي ويتبع هذا القطر عدة جزر  
 صغيرة أعظمها جزيرة جهة الشمال ودون الجنوبية ثم قرنفه وهي امام صفاقس ثم جزيرة  
 الكلاب والجوامير وخالطه وغريها وبه حصة اجوان كبيرة أحدها جون سيدي أبي  
 سعيد وهو بقرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون المحامات وجون بن زرت  
 وجون رواد وبه ثلاث بحيرات أولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المزوقة عند بن زرت  
 وثالثها بحيرة الكامية بين القروان والساحل (وأما الانهر) فليس به الانهر واحد  
 وهو مجرده ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر ويخدر من هناك ثم قاع زيادة  
 تعاطيه بالجدول التي تصب فيه الى ان يخترق القطر التونسي مارا من الغرب الى الشرق  
 في الجهة الشمالية من القطر وتزداد مياهه أيضا بما يصب فيه من الجداول الى ان  
 يصب في البحر في جون رواد من شماله قرب غار الملح وهذا النهر من لم يكن سواء في هذا  
 القطر فهو لا يحمل الا القوارب الصغيرة في الصيف وأما في الشتاء فيمكن ان يحمل  
 القوارب الكبيرة لا السفن واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض ويطفو على اراضي واسعة  
 وربما حصلت منه بعض اضرار وأما الجدول فهي ليست بكثيرة جدا ولكنها خارقة  
 لاغلب الجهات ومنها ما يجري دوما ومنها ما يجري عند هطول الامطار ومن أشهر هاته  
 الجدول وادملان ومنبعه من جبال برقون الجهة الجنوبية ويخترق وطن رياح ثم  
 يخدر الى ان يصب في البحر في رادس به عدد من الحاضرة شجرة أميال وكثيرا ما تمنع المسارة  
 عن عبوره عند كثرة الامطار وتارة يفيض لكن لا يحصل منه ضرر لان مجاوره غير انه  
 يضرب من يكون فيه من الرعاة والمسارين حيث ان فيضانه يأبى دفعا وجريان مائه سريعا  
 لكثرة انحداره وأما العيون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها أكثر جد في الجهة

الشمالية

( ١١١ )

التي البية في جبال ما طور و جبال طبرقة و جبال باجة وفي الكاف عين عظيمة جدا اكثر مما  
وعذوبة وبرودة حتى تقع المخاطرة في الصيف لمن يقتدر ان يرفع شيا من قعر الماء الجاري  
عند منبهه ثم تنحدر من الجبل وتسبح في البساط مهملة وكذلك في اسبطله عين عظيمة  
وفي زغوان وجقار عيون كثيرة وبعضها هو أكبرها مجلوب الى تونس الآن في قنوات  
من حديد مع آثار القنوات القديمة التي كان جلب فيها الرومان الماء من هناك الى  
فرطاجنة وكذلك في الجريد عيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بالقطر مياه كثيرة \*  
معدينة أشهرها حمام الانف النابيع من جبل أبي قرنين وهو ماء حار عليه عدة حمامات  
والماء نابيع من عدة عيون أحسنها عين حمام العريان ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم  
لعدة امراض قد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها  
ونقحها العلامة بيم الاول قدس ثراه وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة خمسة عشر ميلا  
جهة الجنوب الشرقي مطل على شاطئ البحر - رجامع للنزهة والتمتع والمناخ حيث كان  
على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من أكبر جهات القطر ودرجة حرارة مائه  
من (٤٨) الى (٤٩) من ثور وميتري صانتي غرام الذي هو ميزان للحرارة الذي  
سفره من الجبل والمائة درجة هي درجة غليان الماء وكل ليتر منه مترن ألف غرام وعشرة  
غرامات وسبعة صانتي غرام ومعناد الماء المطاقي المقطر وزن ألف غرام والغرام هو نوع  
من مقادير الموازين كل ثلاثين غراما بأوقية ونقصيل الاجزاء التي في هذا الماء من \*

المعادن هو ما يأتي بيانه

صنعي غرام غرام

ففي كل ألف غرام من الماء المذكور حامض فحم الجير	٠.٢٨	٠٠
حامض الما انزيا	٠.١٢	٠٠
حامض الحديد قليل	٠.٠٠	٠٠
المجسس	٠.٠١	٥٢
ملح ديسود	٠.٠٠	١١
ملح بوتاس	٠.٠٠	١١
مانزيا كلور ديسود يوم	٠.٠٩	٧٥
كلور ديكالسيوم	٠.٠١	٩٠
كلور ديمانزيا يوم	٠.٠٠	٥٥

( ١١٢ )

٠٧ . . . كلوردييد تاسيوم

٠٧ . . . أسيد سيانيدك أى طين البلور

وفي كل كيلو ( ٢٢٠ ) صانتي ميتر ومربع من الحماض الفمهي وفيه ( ٢ )  
مياغرام من برومور ومانيزيا واصطلاح هاته الاعداد معلوم في الحساب وكذلك يوجد  
فيه حام قريص البعيد عن الحمام السابق ثخوار بين ميل في الجهة الشرقية الجنوبية منه  
وهو أكثر عيوننا وأشده حرارة وله نفع عظيم في كثير من الامراض العصبية وامراض  
المواد الطيرية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة في بحري الماء قرب منبعه نحو  
بضع دقائق يزول ريشها تمامه بل ان بعضا من الاهالي يضع قدرة للطعام هناك فيطبخ  
اللحم احسن طبخ وهكذا غيره الابيض الدجاج فع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبخ  
البيض فانه لا يفسد ولو ابقى هناك يوما تاما هكذا يروى عن كثير واجزائه تقرب من اجزاء  
ماء حمام الانف وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بن زرت حمام معدني غير انه  
لا يستعمل الا عند بعض البوادي وأهل القرى هناك ولا شهرة له مع انه كثير المنافع  
وكذلك يوجد في النقيضة مياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهي مجهزة كثيرها  
من منابع الثروة والتقدم واما جبال هذا القطر فتتصل به سلسلة جبال اطلس التي  
تنتهي من عرض ( ٢٨ ) درجة وتنتهي في عرض ( ٣٧ ) في مكة المغرب وأعلى  
رأسها بين فاس ومراكش واتفاعه على سطح البحر ثلاثة عشر ألف قدم ومائة قدم وفي  
اختراقها للقطر التونسي عدة فروع أشهرها جبال مطماطة وجبل طبرقة وجبل الرقبة  
وجبل زغوان وهو اهلها وجبل الرصاص وجبل أبي قرنين ومناخ هاته الجبال هي  
الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنخفض وتضيّق عند توجهها للجنوب  
مارة بقرب سواحل البحر الى ان تنصل بجبال الودارنه من عمال الاعراض وعدى هاته  
لا يوجد جهة الجنوب الا ربلا لا اعتبار لها وليس منها جبل بل كافي الاجبل أبي قرنين فان  
الا تاردالة على انه كان في الاصل بل كان حيث يوجد في قته العليا فوهة مسدومة الاسن  
مع منابع الماء الحار اما دفقة منه ومع الانبجار البليغ السكان في أحد رؤسه التي يقرب  
البحري الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحاد ذلك الانبجار الهائل  
بسبب الزلزال الشديد الذي هو من علايق البليكانية وقد علمنا بما مران في الحد  
الجنوبي ( الصحراء ) الكبيرة وقد قال قوم انها كانت بحرا متصلة بالبحر الابيض بخلج  
من شطوط قابس وما يستدلون به الارض السواخنة التي بين الشاطئ المذكور

والصحراء

(١١٣)

والأصحاء ررام فرد بناند بابس الرحيل الشهيدي بأعمال خليج السويس ان يحفر خراج  
 قابس الكي يصرا آخر في وسط افريقية وحتقوا أن سطح البحر أعلا من سطح الصحراء  
 تجعل السفن الكبيرة وأن البحريه دهنها الى طول نحو ثلاثمائة ميل ورأى قوم  
 امتناع ذلك ولكن المريد أشغل الآسن بخلع بنمافي أمريكافرك الكلام والعمل في  
 بحر الصحراء (وأما) معادن هذا القطر فهي لم تنزل في حجب الترك ولا شك أنها غنية  
 فانهوا المفق منها الآسن المعروف هو الرصاص والفضة في كل من جبل الرصاص  
 ودجبة وأولها كان مستعملا بكثرة وأما خدمة الرومان له العظيمة لازالت الى الآن  
 واستخراج المعدن منه لا يحتاج لكبير معالجة حتى ان الاعراب تأخذ منه ما تريد ولهذا  
 صار اسم المعدن عذوانا على الجبل وقد منح في وراة مصفى في خزندار الى اسد الطليان ثم  
 انتهت نفعته الى لجنة طليانية ولم تنزل بأيديهم الى الآن من غير حصول فائدة لهم ولا البلاد  
 وثانيها الآسن بيد بناند فرناوية هي صاحبة امتياز طريق الحديد والظاهر من اعمالها  
 السريية المجدة أنها تستخدمه عن قرب وان كانت الى الآن لم تحدث فيه شيئا كما  
 يوجد المعدن المذكور ان في جهات أخرى من جبل الرقبة وكذلك قرب اسبيطله كما يوجد  
 قرب هات معدن من الذهب وفي وطن أولاد عون يوجد القزدير والزئبق ويوجد الحديد  
 في الجبل الاحمر قرب باردو وفي دجبة وهو غنى سهل الاستخراج في كلهما كما يوجد  
 السيمان في الجبل الأحمر وهو غنى سهل ويوجد فيه الفحم الحجري أيضا كما يوجد معدن  
 المرمر الزيم الاحمر والاحضر الذي كانت تستعمله الرومان والقرطاجين في هياكلهم  
 الشهيرة وهو قرب لبرية وآثار استخراج الاقدمين موجودة بعد هذا الوادي غير ان  
 بأوى اليها كما يوجد الخام الاسود في جبل أشكل من وطن ماردو يوجد كذلك  
 الرقيم الصلب في جبل أبي قرنين وهو مستعمل الى الآن ويسمى محله منقطع الحجر  
 وكذلك في الجبل الاحمر الجبس كما يوجد الملح في سباح عديدة أشهرها سبخة سكره قرب  
 الحاضرة وفي عشرة الثمانين والمائة الف أرسات دولة فرانسأ أحد علماء  
 الطبليات بطلب من الحكومة التونسية وطاف في جميع القطر بتدقيق وكتب ما يشتمل  
 عليه من المعادن ومقدار درجتها وأما كنهها لکن بعض تلك التقارير لم تصل للحكومة  
 التونسية الى الآن (رأما أراضى) هذا القطر فهي خصبة جدا تهبها المياه السماء  
 وكانت الكثرة خصبها واشدها لسا الى اكل الصفار الحبيدة خصت باسم أفريقية من  
 باب اطلاق الاسم على الخاص ازية فيه حتى صار كأنه هو الجميع وأن أصل الاسم خاص

(١١٤)

بهذا القطر ثم سمى به جميع ما اتصل به من القارة ويؤيدة تسمية الجهة الاكثر خصوبة  
منه بخصوص هذا الاسم وهي الجهة الشمالية الشاملة لسايطرو باجة وما بينهما فقامها  
الى الآن تسمى على لسان العام والخاص بأفريقية غير انهم يريدون القاف كافا فحمة  
وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التي هي أكثر  
جبالا هي الاكثر خصوبة على مرور السنين فالأزادون هناك لا تسجد تجد سنة  
لا يربحون فيها من مزروعاتهم ولا أقل انهم لا يخسرون شيئا وعلى الخصوص في هذا  
جهة جبال ماطر كما ان الخصب في هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة في الربيع  
وأما القسم الثاني فهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على  
قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والاعراض وصفاقس وخصب هذا القسم  
باعتبار السنين وما فيها من المطر قلة وكثرة وحيث كان نزول المطر في تلك الجهات قليلا  
في ذلك الخصب قليل ففي العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين  
لكنه خصب خارق للعادة ويكاد السامع أن لا يصدق به ولا ما شهد به العيان وتواتر  
النقل فيه حتى بانح حد القطع فان رجلا زرع في أراضي الساحل التابعة لبلد سوسة  
ربع قفيز فحاصل الفصول مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلغ هاته الدرجة قليل والكثير أن  
من يزرع قفيزا يأخذ من السبعة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكى الوزير  
أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيراً بتونس الى نائب إحدى الدول ما يحصل بتلك  
الجهة من عظم الخصب وان الأمير أحمد باشا كان أتى في أحد أسفاره بجدة من شعيرة  
واحدة أنبتت ستمائة سنبله وأزيد فظهر على وجه النائب استبعاد الحقيقة وسكت  
الوزير اذ ذلك ثم أرسـل الى عامل القيروان وجلاص بأن يبحث عنه داسة وتـأجير  
على أعظم جذروا أكثرهـنـا بل فأرسل اليه صـندوقين عظيمين بكل واحد منهما  
جذر واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب ومعه طائفة من الاعيان وأراهم الجذور  
فاعتوا بأنفسهم بالبحث عن المنبت ووجدوا أصله شـعيرة واحدة وعدوا كم تفرع  
في أحدها فتجاوزوا في العدد الى ربع مائة والنحسين وبقي نحو ثلاث بلاعد وقالوا يكفي  
الذي تحصل منه هذا العدد فله ان يتجاوز حتى الالف ويعظم طول السنبـل أيضا حتى  
يحبب الفارس بفرسه اذا مر فيه والعادة عنـد فلاحة تلك الجهات ان يزرعوا حبات  
الشعير كزراع الشجر أعني يتركون بين الشعيرة والشعيرة مسافة وسبعة وأما بقية السنين  
فالما ان يخسر وأرأس المسال أو بعضه أو يحصل لهم ريح يسـير وذلك لقلة نزول الامطار

بتلك

(١١٥)

بتلك الجهات نحو لوها عن الجبال المرتفعة والاشجار الطويلة وأراضي هذا القسم يلزمها البذر القليل بالنسبة لقسم الاول فالقمار من الارض الذي يبدؤ فيه قفزي القسم الاول يبدؤ فيه في هذا القسم الربع وأقل وأما القسم الثالث فهو غير صالح لزراع الحبوب بالمرة وهو الجهة الجنوبية المسماة بالمجر يد لانها أراضي متسعة من الرمل وقريبة الى الصحراء الكبيرة ولا تصب فيه المطر الا نادرا واذا صبت أضرت بأهلها لان نباتهم أكثر النخيل والمطر تضر بثمره الجيب (وأما نبات) هذا القطر فأغلب زراعه أهله في القسم الشمالي والوسطى هي الحبوب من القمح والشعير وأقل منها الذرة والبقول والدرع والجملان والحبة المحلوى والكروية والبسباس والتابل والحبة السوداء والكمجان والقطن واللوبياء والبطاطس والمحصول العريس واكثره خصب هاته الاشياء كان هذا القطر يسمى بمخزن حبوب روما ويزرعون من البقول الطماطم والبصل والفاصوليا والكرنب والبروكلي والقناوية أى الباميا والموخيصة والفلفل الاخضر والاجر والمعدنوس والسذاب والكرضون والدياب أنواعها والحماة والشبث والثوم والخس والسكوربا والبراصا والفجل والسماق والكلافس والفراولو والبطيخ والاجر والاخضر والبقيا واللفت والكس براونجش والاسطوخودوس وفيه أفوار برية عجيبه الرائحة والمنظر لا يحيط بها الاخالقها ومنها القيقوان والبابونج والالتاي وهو غير مستعمل وفيه من الازهار المستعملة زهر البنفسج وينبت بنفسه أيضا في زغوان وغيره من أماكن المياه الكثيرة وهكذا الورد والباميين بأنواعها ما والثل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من الزهور الطيبة الزكية بحيث تكون جمال هذا القطر وأوديته وبساتينه أيام الربيع وأواخر الشتاء وأوائل الصيف روضة نظيرة بالوان النباتات المخضرة به الارض وأنواع الزهور والنور المختلف الاشكال والروائح وما ينبت بنفسه القرنين الخارج من الخرشف الذي يقال انه الحجزر والسكرم وينبت فيه جميع الفماتات من الكلا البري ومن أحسنه لغذاء الحيوانات النجم وفي الجهات الشمالية (أجام رغياض) وغابات عظيمة غنية وأشهرها غابة طبرقة يستخرج منها الاخشاب لبناء السفن والخفاف وأعواد السقوف من الطرفا وغيرهما مع المتانة والدوام والحبب انهماع كثرتها فتجارة الاخشاب المولوبة من أوروبا رائجة في أغلب حواضر القطر ولعلك الغابات اشجار عظيمة جدا ذكرى ثقة انه رأى في غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بساقها ستة عشر رجلا كل منهم فاقح يديه للغابة

( ١١٦ )

يسمى صاحبها وأشجار تلك الغابات هي الذرو والصمصاف والبوط والبنشدق  
والقسط والزنان والفرنان ومنه يستخرج الخفاف وقشره لدفع الملوذ وفيه تخارة رائحة  
وشجر النشم والدردار والعراء وغيرها من غير ذات الثمر ( كما يوجد فيها ) ذات الثمر  
فحواجز ولا خشاب سوق نافعة كما لعمروقه أيضا فانهم يأخذون قشورها ويستعملونه  
للصبغ وغيره وأكثر هذا في جبل زغوان وكل تلك الأشجار والغابات نابتة بنفسها من غير  
حراسة الحفظ طبرقة من جهة البحر لان الحكومة مع الموماعلى الخفاف رهى مختصة  
بأخشاب السفن كلها معلوم على نوع من قشر الفرنان المستعمل للادبغ وبقية المنافع  
مكتوزة أرضا ثمة وبستنت في جميع جهات القطر شجرة الزيتون المباركة الا في الجهة  
الضاربة للجنوب وكيفية غراسه على أنواع فمنها ان يؤخذ قطعة من العود الغضة  
بأوراقها وفروعها فتغرس وتبقى الفروع ظاهرة ويسمى الشجرة وهو أردو وهو من ان  
يقطع من فروع الشجرة ما بالغ ولم يحف ويقطع في طول ذراع ثم يحفر اليه عمق ذراعين  
في طولها وعرضها وتلقى تلك القطعة المسماة بالقنوط هناك عمدة مع خلط التراب  
الذي تروم به بالسرقين وهو المسمى عندهم بالغبار ومنها ما يؤخذ من قاعدة الشجرة  
المجافة عند دبدبوا اللقاح منها ويقطع بالآلة من حديد مكر كما يحدث ان أصل خلقة في  
القاعدة كذلك الى ان يبقى ماسكالا لأصل شيء قليل فيجذب باليد الى كي ينسحق من القشر  
سحقا ويغرس على النحو السابق ويسمى السالة ومنها ان يزرع النوى بعد كبر شجرها  
تلقح من شجرة الزيتون لان الغابات من النوى يخرج ثمرة ديا لأزيت فيه وهو المسمى  
بالجوزو ويوجد من هذا النوع غابات كثيرة مهله في الجبال وغيرها وأعضها ما بين  
اسدبلة والقبروان ومنها ما يزرع من القنوط المذكور لكن ليس كل شجرة منفردة من  
أول الامر بل يزرع عدد كثير منها في مكان مخصوص متقارب لبعضه ويسمى بالمستلة  
وبعد ثلاث سنين من نماته تنقل كل شجرة لمحاها وهذا الصنف هو الاكثر استعمالا  
وللاهل الى اعتناء باتقانه ونمته وسقيه والاغلب في هاته الشجرة ان تستنبت من غير  
سقى الا في السنين الاولى فاذا ثبتت عروقها ترك سقيها الا بما يأتيها من ماء المطر والتمر بها  
أنواع كثيرة مختلفة في الطعم والزيت كثرة رقلة والاغلب هو النوع الاسود السغير  
الحجم وهو العام ويختلف ريته بالنظر لأكثرة الحمض على حسب الارض التي يزرع  
بها فما يزرع في الجبال والاراضي الكثيرة الحجارة يكون أكثر زيتا وأحسن زيت  
هذا القطر زيت زيتون بلد قفصة وبادتوزر فانه الذطعم وأنقى لونا كأنه ماء



(١١٧)

لا يكاد يبدو من الزجاجة اذا وضع فيها ومن أنواع الزيتون المحسنة الطعم النوع المسمى بالمرساين وهو اخضر متوسط الحجم مائل الى الطول دقيق النوى ويتقن صنعه أهل زغوان بالنار نج وأهل المحاضرة بذلك أيضا وبالليمون والفلل الأحمر والاخضر ومثله النزع المسمى بالطازل الكبير الحجم جدا الاسود اللون ومن أنواعه الحسان المسمى بالمسكى وهو مركب مائل الى البياض مخضرة وبقية أنواع الاشجار المستنبطة فمن البرد قال أى النار نج الغير المتروفيه أنواع وهى الطرابلسى والمسايطى والمجبلى وأغرب نوع لم أره فى غير هذا القطر مع البحث عنه البرد قال المسكى وهو لا حوضه فيه أصلا بل فيه حلوة رائدة كأنه مخلوط بسكر أو عسل ومنها النار نج والليم الحلو والليمون الحامض وفيه أنواع منها ما يبقى فى جميع الفصول الأربعة والبكمثرى وفيها أنواع لا يكمل زمن من فصول السنة نوع وقد نقل من أوروبا أنواع تعظم كثيرا وعلى تربيته بعضهم فأنجبت فى السنين الأولى ثم أخذت فى التراجع والتفاح مثل ذلك والشمش ومنه نوع يسمى بالشاشى صغير مبيض منقط بجمرة أو سود لم أر مثله فيما رأيت من الأقاليم كلها ونكهة والاجاص بأنواع كثيرة منه الأحمر والأسود والابيض والاخضر والمركب والمستطيل والصغير والكبير ويسمى بالعوبنة وأحسنه المسكى وهو صغير مستطيل واللوز والعنب والتين والخوخ والهندي أى التين الهندي وهو نوع يخرج من شجرة لها شوك كثير ولا ساق لها ورقة مثل أنظلاف الأبل له شوك كثير ويسمى فى المشرق بالصبارة ويستعمل بكثرة سجا على البساتين وهو مرغوب فيه فى هذا القطر لشمس أقوام مثل جلاص وتفاحه الأحمرين ولون أهل المدن لطيب نكهته وطعمه مع قلة ضرره الا اذا كثرا كاه على جوع فانه قابض جدا ربما قتل بذلك ومن طبيعته انه يكثر فى سنين الجذب أى فى العام الذى تقل فيه الامطار ولذلك صار الهندي أهم النماذج النافع للفقراء كما يستنبط فى هذا الاقليم التبغ أى ورق التدخين والمشوق فاما ورق التدخين ففيه الجميد ولا يباع الا الى أعلى نوع منه واما ورق المشوق فانه أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه فى غير هذا القطر سيما ما يزرع منه فى جهة تباجة وتبرسق وقربة وعادة دقه فى هذا القطر انه يدق ناعما للغاية وقد كانت فيه أرباح للقطر بكثرة خروجه منه والآن صار يجلب اليه كثير من الخارج لتهجير الحكومة زراعته باطلاق حيث كان لها عليه آداء وافر ويذبت أيضا الجوز والسفرجل والعناب والزعرور والمان وبوصاع والموز والخبيل غير انه فى غير الجريد لا يقر الا ثلاثة أنواع

(١١٨)

وهى البسر الاخضر والاصفر والرطب وامافى الحريد فله أنواع عذبا بهضم ثمانين  
نوعا واختص على جميع ما علمنا من الاقاليم رطوبة وسمعا بالنوع المسمى بالدقلة الذى  
لانظيره حلالة ولذته طعم ويحمل منه لسائر المعمور رغبة فيه الى غير ذلك من سائر نباتات  
الاقاليم المعتدلة لاسيما الجبال الشمالية الكثيرة المياه فانها يوجد بها حتى بعض  
نباتات الاقاليم الباردة وهى على بحر الايام نضرة حضرة بما كساها الله من جمال النباتات  
والخشب (واما هواء) هذا القطر فهو معتدل الاغلب والجهة الجنوبية يغلب فيها  
الحر واذ هب الريح الجنوبية على أى جهة وفى أى وقت يحصل منه المحر لاسيما فى  
الصيف فأنه يؤذى بضره حتى بعض الثمار والاشجار وفى غير ذلك الاعتدال هو الغالب  
ويشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى انجماد الماء أو نزول الثلج الا نادرا فى جمال  
الشمال المرتفعة يحصل الجمد فى كل سنة بل يبقى الثلج فى بعضها ولو فى الصيف لكنه  
قليل واغلب جهات القطر سليمة الهواء موافقة للصحة وفيه جهات حسنة الهواء جدا  
نافعة للمرضى ولوعرض السل الذى أحسن علاجاه الهواء لان مجاسه الرثة فى ذاته  
الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس الجبل وهو جهة الشمال من القطر  
يقرب شاطئ البحر تبعد القرية التى هى مركزه على البحر نحو أربعة أميال والبحر من  
شمالها وهو دلى سفح جبل منخفض مرملة تفصلها اساتير ناضرة الى البحر تسقى بالباردات  
ماء حلوجيد نقي وعلى شاطئ البحر عين عذبة ضعيفة الجريان لكنها نابعة من الحضر حلوة  
جدا نقية مسرعة للهضم كثير بحيث يصير الشارب منها يابا كل أكثر من عادته وكذلك  
من الاماكن الشهيرة بحسن الماء والهواء بلدنا بل التى هى قاعدة الوطن القبلى وهى  
على مبدئى الرأس الطويل رأس ادارعة دائن اتصاله بالقارة تبعد على البحر نحو ميل وهو  
من شرقها الجنوبي وهى فى وهاد مرملة وراهها جبل وامامها بحر وتحدق بها البساتين  
والجنان بأنواع الليمون والبردقال وغيرهما من الفواكه وأحسن من هذين المكانين  
هواء الجبل المعروف بالانصارين تبعد على الحاضرة نحو ستين ميلا جهة الشمال مع بعده  
عن البحر فان هواءه لارتفاعه يغلب عليه البرد وفى أعاليه مسارح ومزارع متسعة وعيون  
دافقة وأجام وغياض نضرة لا يركد فيها الماء بل ينحدر الى أسفل والشاهد على ان هذا  
المكان أحسن هواء من جميع جهات القطر أن أهله لم يصبهم كثير من الامراض الوبائية  
مع ان كل تلك الامراض عمت القطر التونسى عدة مرار ولم يعلم أن احدها من أهل ذلك  
المكان أصيب بشئ من ذلك بل ان الوافدين اليه يسلم عند الحلول به وسبحان من خص

ما شاء بما شاء غير أن هذا المكان به طاهرة صعباء هي كثرة الحيات المؤذية به والله لطيف  
كما يوجد بالقطر جهات وخجة رديئة الهواء وأولها أنقرة من عمل الجريد وثانيها باجة قاعدة  
البحر المسمى بها أغلب على أهاليها الامراض وتروى وجوههم صفرا والوافدون عليهم في  
أقل زمن يمرضون لاسيما في الصيف وأما غـير ما تقدم فالحواء معتدل سايم  
(وأما حيوانات) هذا القطر ففيه أغلب حيوانات أقاليم الاعتدال أنيسة ووحشية فمن  
الوحشية الاسد وأغلبه في الجهة الغربية ويضرب المثل بحجرة أسد عرار من أقسام تلك  
الجهة والغري في كل الاجام القليلة العمران والضبع والمذئب والغالب والفهد والنمس  
وهو الذئب والناس والخـنزير وبقر الوحش والغزال والارنب والذربال والنقنفذ والوعول  
والورل والجرذ على أنواع والبقر الجاموس كان جلب وسرح في جبال ما طر وجبـل  
أشـكل الذي تحيط به بحيرة أشـكل وهي حلوى فتناسل هناك وتكثر وهو على ملك  
الحكومة وتوحش بحيث صار اذا احتجج الى شئ منه يلزم صيده حيا وقد تأخذ منه  
الحكومة أو بعض رجال الجبال انقال واللبن وقد قل في هاته المدة أكثر صيد الولة  
وعدم حراسته حقيقة ويوجد في القطر (من الحشرات) النعبان ولاسيما في جبال  
الودارنه فانه يعظم جدا لكنه غير مضر هناك بحيث يكون مساكنهم كأنه من الحيوانات  
الاليفة كالقطر رأسباهه وهم لا يؤذونه وهو لا يضر ولا يضر منهم ويبلغ طول الواحد الى  
ثمانية أذرع وغلظه أزيد من شبرين وأما في جهات الجريد والصحراء فهناك أنواع من  
النعبان مضره ومنه نوع يسمى بالزريق رقيق قوى جدا اذا قصد شيأ يطفر عليه فيخزقه  
كالاسم وكذلك الحيات القتالة وتوجد بكثرة في الشبيكا وتامغزان الجريد والعقارب في  
الجهات غيران كثرتها البادحة في الجريد وهي مؤذية ولاسيما في القيروان وفي بعض  
الجهات لأذية منها كما في بارد ومقر الامراء بل لا تكاد توجد هناك وفي جبل المنار توجد  
بكثرة صغيرة الجرم لأذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم الى ان يصير في حجم  
العصفور الصغير وهو قليل الاذية وكذلك يوجد النمل على أنواع شتى وكثيرا ما يضر  
بالزروع من القمح والشـعير وكذلك الجراد يأتي في بعض السنين ويضر بالنبات جميعا اذا  
كان كثيرا والخنافس على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قليل الوجود في  
هذا القطر (وأما الحيوانات) الانيسة فيوجد منها الخيل ومنها الجياد العتيقة العرب  
وأكثر ألوانها الزرق أى الشهب المشوبة بالسواد وبقية الألوان كالحمـر والكميت  
والدهم والشهب موجودة أيضا بكثرة غير انها أقل من الاول ويوجد بقـلة

(١٢٠)

الملك والصفر وهذا الجنس يستعمل للركوب وجوالجـلات بأنواعها  
والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهي موجودة بكثرة لكنها لا تستعمل للركوب أهالي  
المدن وأعيان القبائل بل عادت لهم الاستحياء من ركوبها وانما تركب من طامة الاعراب  
والسوقة وتستعمل للعمل ومثل ذلك الابل فلا تركب الا كما تقدم في الحمير وكذلك  
يوجد البقر والضأن والمعز والكلاب على أنواع ومنها السلوقية والقط (وأما الطيور)  
في هذا القطر فمنها الانيسة وهي الدجاج على أنواع والاوز والبطة والدجاج الهندى  
وهذا النوع اختلفت أسماءه فترى كل اقليم ينسب به الى جهة ففي تونس قد رأيت  
نسبته وفي غيرها بعض يقول رومي وآخرون فارسي وآخرون صيني الخ وكذلك يوجد  
الحمام على أنواع شتى وغير هذه الاجناس يجلب بقله مشغلة للترف وأما الوحشية فمنها  
المقيم ومنها الرحالة فأما المقيم فمنه البرويس أى عصفور البيوت وهذا النوع لا يتكاد  
يخلو منه بلاد وان اختلفت بشدة الحر والبرد فقد رأيت في لندره كما رأيت في مكة اشرفة  
لا فرق بين ذاودا سوى تأثير في اللون ففي البلاد الباردة يميل لونه الى السواد وفي البلاد  
الحارة يميل لونه الى البياض ومنه القنابر والزربص والحمام والحجل والمقمن والشبروس  
ودجاج الحرث والغر والنسر والعقاب والفاس والبرقي والعصفور الكانالوغـسـيرانه يربى  
والزراعة دبور أس والغراب وغراب الزرع والفاخت وخدام الحجل والطوطو والمرل  
وأما الرحالة فمنها الاوز والبطة والنرنوق والكركي والدراج والسمان والبعليل والمنير  
والبييط والزرزور والابايل والمحطاف والهدهد (وأما مدن) هذا القطر فقاعدته  
تونس وهي في عرض ست وثلاثين درجة وست وأربعين دقيقة وثمان وأربعين ثانية  
شمالا وطول تسع درجات شرقا من باريس بقرب من ساحل البحر الابيض على جون  
سيدي إلى سيدي على تسعة أميال منه يفصل بينهما بحيرة ملحمة لها منفذان الى البحر  
تربهما القوارب احدهما يمر في حلق الوادي والثاني بينهما وبين رادس والبحيرة قليلة  
العمق بها خيرة تسمى شكي بها حصن قديم وعلى شاطئها على حافة البلاد مرسى  
للقوارب الخاملة للفضائع والركاب بين القاعد مرسى حلق الوادي ويتصل بهاته  
المرسى أى مرسى البحيرة بالحاضرة فرع من طريق الحديد الغربية ويقال انه عقدت  
مع لجنة فرنساوية تسمى لجنة يون كاله وهي صاحبة امتياز طريق الحديد الغربية شروط  
في جعل تلك المرسى مؤتمنا للسفن ويلزم لذلك حفر البحيرة وغـير ذلك من الاعمال  
وهاته القاعد مرسى اكثر طولاً من الشمال الى الجنوب من العرض ويحيط بهاسور

الامن

(١٢١)

الامن جهة الشرق فان حدها هنالك هو البحيرة المذكورة كما أن السور ابتدئ فيه من جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الف - لة وباب القرجاني وفي السور تسعة أبواب ولها في قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالي ويفتح الباب الى الشمال ويسمى باب الخضر ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب حومة العلو ج ثم باب سيدي عبد الله ثم باب سيدي قاسم ثم باب القرجاني ثم باب الفلة ثم باب عامر وهو في نهاية السور من جهة الجنوب الشرق عند اتصاله بالبحيرة أيضا ولها ستة القواعد حصون على كل باب الاباب حومة العلو ج وفي خلال السور حصون أخرى كحصن القصبة وهو أكبرها وموقعه على أعلا ربوة في الب - لادلان الب - لادجاءت في شخربوتين متصاعدتين فيها أحدهما ربوة القصبة والثانية ربوة القرجاني ومن الحصون حصن درب بن عدال وحصن سيدي يحيى وخارجها أيضا بقرب منها حصون فتم احصن الجلازل على أعلا رأس في جبل الجلازل من جهة الجنوب للعاصرة ومنها حصن الرابط في الجهة الشمالية الغربية في الجبل الاخضر وبقربه حصن فليف وحصن زوارة وامام حصن القصبة داخل المدينة بطبعا عظيمة وفي جهتها الجنوبية بية سمرية المملوكة التي بناها جوده باشا ولا زالت معتنى بها الى الآن وهي مقر الحكومة والوالي عند وفوده للعاصرة وفي جهتي الشرق والشمال من الطبعا سوق ذو حوانيت وامامها مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفي جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنيذة وفوارة لاسم من ماء زغوان ويحيط بالمدينة فاصلا بينها وبين البضين طريق متسع وأشهر الاماكن الرحبية بالحاخرة بطبعا رمضان باي وبقربها مركز الضابطية ويطبعا المجر بر بضع باب الجزيرة وكذلك بطبعا المراكض امام القشلة الحسينية ويطبعا الخفاوين بر بضع باب السويق وبه أيضا بطبعا التبانين وبين البضين بطبعا باب البحر وهي أنزو وأرحب الاماكن وحولها بنايات نيقة وبوسطها جنيذة وفوارة يمر منها طريق عظيم متسع الى مرسى البحر. برة وذلك المكان هو من ترة الاهالي في عشايا المسيف لان حول الطريق العريض أشجار ووقهاوى وملاهي وحول باب البحر وبقربه حارات الافرنج ويتصل بها حارات اليهود وماء زغوان مخترق لأغاب جهات البلد في قنوات من حديد وأغاب الاسواق متسل بعضه ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن الآن وقع بعض تداخل ومناخهاته الاسواق هو الجهة الغربية من المدينة حول جامع الزيتونة الذي هو بقرب القصبة المار ذكرها جامع الزيتونة هو أول جامع بني بالحاخرة

(١٢٢)

وكان تمامه سنة ١٤١٠ حسب ما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة بالقوس  
المواجه لمحل المحصف فنقش عليه تاريخه لفظ ﴿اعلم﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع  
بالحاضرة وهو بركة أهلها ولا يخلو من رجل صالح وهو منساخ المعلوم ونجت فيه قول  
عظام قديما وحديثا وان كان أقدم منه في البناء جامع القصر لانه كان كنيسة قبل  
الفتح فصار جامعاً وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع خطب للحنفية وأعظمها جامع محمد  
باي تبحاه زاوية سيد محرز بن خلف وبقية الجوامع والمساجد البالغة نحو ثلاثمائة كلها  
مالكية وأعظمها جامع الزيتونة وفي الحاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سادات من  
الصالحين كزاوية سيدي محرز بن خلف عماد البلدة رضى الله عنه وزاوية سيدي  
علي بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدي أحمد بن عروس وزاوية  
سيدي منصور وغيرهم رضى الله عنهم وتبلغ أزيد من مائتي زاوية وسكان الحاضرة  
تقريباً عددهم نحو مائة وخمسين ألف نسمة منهم نصارى وآفدون اتباع الدول  
الاجنبية نحو عشرين ألفاً ويهود نحو أربعين ألفاً والمسلمون ما بين أهالي أو جزائريين نحو  
تسعين ألفاً وقرب الحاضرة على نحو ثلاثة أميال من الغرب الشمالى بلدة بارد والى  
هى مقر الحكومة وتشتمل على قصور للدائرة ومساكن الوالى وقرباته وعلى جامع واحد  
وحمام ولها قاض خاص وحول الحاضرة الى مسيرة تسعة أميال وأقل بساتين وعمران  
وأحسنها المكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة فى بساتين أنيقة وبها قرية  
حول زاوية الولية الصالحة السيدة عائشة المنوبية وهى فى الجهة الغربية من الحاضرة  
على مسيرة تسعة أميال وفى الجهة الشمالية بساتين أريانة تضاهى السابقة مع حسن  
هوائها ثم فى الجهة الشرقية بساتين مرسى قرطاجنة التى هى انزه وأبهى مكان حول  
الحاضرة تبعد عنها نحو سبعة عشر ميلاً على شاطئ البحر الذى مجدت محاسنه شعراء القطر  
وقال أبو عبد الله الباجي المسمودي فيه عدة موشحات منها قوله

يا شاطئ المرسى السلام عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكنها العبدلية المشتملة على سوق وقصور أنيقة لولى العهد فى الولاية الأمير على  
باي وفى الجنوب الشرقى من الحاضرة على بعد تسعة أميال مستقيماً مرسى حلق الوادى  
الذى هى أكبر مراسى القطر ويكثر سكانها صيفاً حيث ينزل الوالى والحكومة اليها وكثير  
من اليهود لانتزعه بها ويبلغ سكانها اذ ذل الى نحو ثلاثين ألفاً وقد أحدث خارج سورها  
بناآت كثيرة نحو بلدة جديدة فى شرقها على ترتيب هندسى وبينها وبين مرسى

قرطاجنة

(١٢٣)

قرطاجنة المتقدمة بلدة جبل المنار هي أقرب الى الثانية وهي مقر انتزاه أهل المحاضرة  
في الصيف تشتمل على أزيد من أربع مائة دار أغلبها أبنيق متقن مطلة على البحر بحيث  
يراهما القادم في البحر على أحسن منظر لتساعد هافي الجبل مع تزويق الابنية وان كانت  
طرقها وسنخة وقد التفتوا في المدة الاخيرة الى شئ من نظافتها وتشتمل على ضريح  
الوالي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي وغیره من الاولياء رضى الله عنهم وتذهب  
البلدة الى سيدي أبي سعيد كما أنه بين هاته البلدة وبلدة حلق الوادي عدة قرى  
في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها قائما الا ما وجل المساء  
وقد كانت مسدومة بالتراب ثم في هاته المدة الاخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها  
وطايعا حسن مما يبنى جديدا وهي نحو احدى عشرة مائة متصلة ببعضها بعضا فذولا  
تحتاج لاشئ يسير من الاصلاحي وهي من المباني الجميلة التي تصمد هدها السواح  
لرؤيتها كما ان خرائب قرطاجنة لازال يسخر منها الخجور الضخمة والاسطوانات  
الممر وكثير من الافرنج يهتف بها على الاشياء العتيقة ويستخرج منها تصاوير  
واصنام وصناديق من رخام عليها كتابات عتيقة وهي قبور لقدماءهم وتارة يستخرج  
بعض فصوص منقوش عليها تصاوير في غاية الاتقان فنها فصوص قد راا نظف من نقوش به عجلة  
وأربعة من الخيل ومن الاتقان المنقش أن صفايح الخيل تظهر مساهيرها ولا يستبين بحجبها  
الابلاراة الكبيرة كما يستخرج أحيانا قطع من السكة ذهبيا أو غيره والحاصل ان هاتيك  
الجهات وما حوله الى الجبل المخاوي لازالت تشتمل على عجايب من آثار الاقدمين  
ومن القرى الواقعة هناك الآن أشبه شئ بالخراب المعلمة ودار الشط ثم يذهب  
وبين حلق الوادي بساتين قرطاجنة على الشط وهي جميلة ذات قصور أنيقة وفي الجهة  
الشمالية الشرقية من الحاضر بساتين سكرية ومهيت بذلك لأنها كان يزرع بها قصب  
السكر بكثرة وتسقى من عين عظيمة عذبة مارة تحت الارض لا يعلم منبعها وانما هي  
آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق الجنوبي في قمات من البنايا المتقن والآن عليها  
أبار كثيرة ولكن من المقهة صارت تلك الجهة كأنها خلاص وليس بها قصبة واحدة  
سكرية ادصارها وواهرديما من السبخة التي هي في شمالها الشرقيينها وبين بساتين  
قمرت التي هي قرب شاطئ البحر شمال الجبل المخاوي فيها جبال عظيمة من الرمل المنقل  
أهدكت اسباب بساتين تلك الجهة وهي آتية من الشمال عذبة للشاطئ ذاهبة الى  
الجنوب وكانها من الرمال التي يذفها البحر بعد التصفية مما يأتي به نهر مجردة والمدينة

( ١٢٤ )

الثانية في القطر هي القيروان وهي اختطتها الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح في مكان صالح بعيشة حيواناتهم وقريب من طبيعة أرض الحجاز لما أسسهم بها وبعدة من البحر حذر امن هجمات الهاربين قبل التمكن وهي في الجنوب الغربي من الحاضرة في طول (٤٥) ثانية و (٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و (٣٥) دقيقة وبها الجامع الكبير الذي بنهه الصحابة ثم جدد بنو الاغاب عنه لما كانت تلك البلدة هي قاعدة القطر ولا زال بعض سدوف الجامع مما صنعته الاغالبة الى الآن كما أنها فيها اضرحة السيد الصحافي سيدنا أبي زعنة الانصارى رضى الله عنه وعليه بنايت ضخمة ومدارس للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضمير السيد خارج السور وفي السور منافذ ضخمة معرجة للخروج منه راجلا عند غلق الابواب وعلى السور عدة حصون وهي الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفا كما هم مساكن ولا يدخل البلدة غير مسلم وهم قائلون بجميع ما يحتاجون اليه من صنائع وتجارة ولا زال العلم في أهله او بالجامع الاعظم ومدارس السيد عدة دروس في علوم شتى (ثم ان القطر) المتونى ينقسم الى عدة أعمال بالنظر الى السياسة (١) فالحاضرة وما حولها الى نحو عشرين ميلا من كل جهة هل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل الوطن القبلى وهو ينقسم الى الجزيرة مما يلي الحاضرة وقاعدتها بالديلمان وسكانها نحو أربعة آلاف نسمة والى الوطن وقاعدته بلدنا بل وسكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة وفى الجميع أزيد من ستين قرية فيما يتبعهم الاولى المنزل وبني خلاد والصحبة وأقلية التى هي حصن على رأس ادار وما يتبعه الثانى بنى خبار وقرية والحمامات وهى حصن فى الجون المعروف بها وفى ذلك الرأس الطويل مقر السادات المعاوين الثابتى الشرف رضى الله عنهم ثم يلى ذلك جنزبا (٣) عمل الساحل المنقسم الى وطن سوسة ووطن المنستير ويتبع كل منهما عدة قرى فيما يتبع سوسة بالدمساكن أهلها أشرف والقلعة الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسة التى هى القاعدة ذات سور وحصون وهى مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو تسعة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا من العلوم ومما يتبع المنستير بلد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهى مرسى تجارية أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين استوطنوا تونس بعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بلد جبال وبلد المنارة وغيرها والمنستير هى القاعدة ولها سور وحصون وهى مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو



(١٢٥)

سبعة آلاف نسمة وهي دون سوسة في الحضارة والمعارف ويلى هذا العمل (٤) عمل مناقس وهو جنوبي السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها نحو عشرة آلاف ولاهلها شهرة بالتجارة في دواخل القطر وفي الممالك الاسلامية ولهم مزيد محافضة على الصلوات في المساجد ولهم بقايا من العلوم الدينية والادبية وهاته البلدة لها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وتاوى اليها سفن الحكومة في الشتاء لانها آمن بالمينى للسفن واشاطاها مدوزج ويتبعها جزيرة قرقة التي بها قري ولاهاها صناع الخلفة والحبال ثم يلى هذا العمل على الشاطئ الجنوبي (٥) عمل الاعراض على جون قابس التي هي قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على البداوة ولها مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهى الى غاية الحدود من جهة الجنوب والجنوب الشرقي الى المراسى ثم يلى هذا العمل في الشرق (٦) عمل جربة التي هي جزيرة في البحر وعدد سكانها ازيد من ثلاثين ألفا متفرقين على عدة قري ولهم شهرة تامة بالتجارة في سائر ممالك الاسلام ويلى عمل الاعراض من غربيته (٧) عمل الجريد الواصل الى نهاية الحدود الجنوبية في الصحراء وهو منقسم الى اربعة أقسام الاول في جنوبيه وهو وطن الوديان والشبيكة وتامغزاو يليه شمالا وطن نفطة ويليه شمالا وطن توزر ويليه شمالا وطن قندسة وهاته لها حصن وقعاء مدية جميع الجريد هي توزر وقد كانت من اखा للعلوم ولا زالت فيها بقايا وعدد سكانها نحو ألفي نسمة ثم شمالا يلى هذا العمل (٨) عمل القيروان وقد مر ذكرها لانها لها التقدم على غيرها ويلى عملها شمالا (٩) عمل أولاد سعيد من البوادي سكان الخيام وياليه في الشمال الغربي (١٠) عمل رياح المشغل على بلد زغوان في جبالها الشهيرة وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها وأكبرها تستور وعدد سكانها نحو أربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحضارة (وحيدة من) قد عرفنا جهة الشط الجنوبي الشرقي الى الحدود ثم ما والاها من دواخل القطر ويبقى علينا انقسم جهات الغربية والشمالية فالأغربية فينتصل بعمل الحضارة (١١) عمل طبرية وقاعدته طبرية وهي قرية الآن في غاية التأخر (١٢) ثم عمل تيرسق وهي قاعدة وسكانها نحو ألفي نسمة (١٣) ثم عمل باجة وهي قاء مدية وهو عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر لثائب الوالى الذي يسافر بالسكر كل صيف الى هناك في القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهي قاء مدية ولها حصن وهي في رأس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

(١٢٦)

عنها الى نهاية الحدود الغربية غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فتلك الجهات  
 هي الاعمال الشمالية وتبتدى من جهة الشمال بحبل طبرقة وسكانها (١٥) بوادى  
 وبها حصن ويأيه (١٦) عمل جبال ما طرو هي قاعة مدته وسكانها نحو ألفي نسمة من  
 البوادى ثم يليه (١٧) سهل بن زرت وهي قاعة مدته وهي مرسى آمنة حد الو سهل لها  
 بعض تسهيل في منفذها الى البحر لا يمكن أن تأوى جميع سفن الدنيافي أمان ولموقعها  
 اعتبار عظيم في التمكن من البحر الايض وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولها حصن وسور  
 والماء يجرى اليها في قنوات من البناء من بعد الشرب لاهلها ويخترقها خليج يوصل الى  
 بحيرة المزوقة المنصلة ببحيرة اشكل التي بها حبل كالجزيرة فيه حيوانات كثيرة هو متفرع  
 لمريد الصيد ويتبع هذا السهل بادغار الملح التي هي في نهاية الحد الشمالي من الشرق  
 وسكانها نحو ألف نسمة ويتصل هذا العمل من جنوبيه بهل الحاضرة وعلى ذلك فقد  
 تصور القارى هيئة تقسيم ارض هذا القطر غير أنه بقي له تقسيم آخر حكى ايضا بالنظر  
 الى القبائل الساكنين به ورجع احكامهم فنقول (ان اصل) اهل الى هذا القطر هم  
 من البربر وكافوا قبل الفتح اما نصارى أو وثنيين ثم أسلموا كلهم ولا زال في بعض القبائل  
 شئ من عادات النصارى يفعلونه عن غير قصد وهو الوشم بين أعينهم على جماهم بصورة  
 صليب صغير وكذلك اسـمـوطن به كثير من العرب واختلطت انسابهم بالاصليين ثم  
 استوطن به ايضا من هاجر من الاندلس بعد المائة الثامنة وقد بنوا بلادا بالاطر خاصة  
 بهم وكذلك في ريبض باب سويقة من الحاضرة بنوا حارة خاصة تسمى الى الآن حومة  
 الاندلس ومن بلادهم التي أسسوها ليمان وزغوان وطبرية ومجاز الباب وتصور  
 وكلها مؤسسة بما كن جيدة على شكل حسن متقابلة الطرق واسعة مسطحة يمتد  
 واختلط نسلهم بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط نسلهم ايضا بالقاطنين ولا يكن  
 الاكثرهم النوطان الاؤلان وديانة الجميع هي الاسلام الانحوستين الفانم اليهود  
 أغلبهم في الحاضرة وباقيهم منفرقون في أغاب بلادان القطر كما ان في القطر من النصارى  
 الاو روباوين نحو الاربعين الفانم اجناس شتى أغلبهم مالطيون من الانكليزيو ياليهم  
 الطليبايون ثم الفرنساويون ثم غيرهم قليلا هذا من غير اعتبار المسلمين التابعين للفرنسيين  
 والافراد الفرنساويين بذلك الاعتبار اكثر من غيرهم ثم ان الالهالى الاصليين كانوا في  
 صدر المدة على مذهب أبى حنيفة هم وجميع سكان الجزائر والمغرب الى ولاية المعز بن  
 باديس فعملهم على اتباع مذهب مالك وذلك في حدود سنة (٤٠٦) وبقوا على ذلك

الى

(١٢٧)

الى ان جاء الترك فكانوا هم ونسلهم على مذهب أبي حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالي  
مالكية وهذابيان أسماء الاعمال والقبائل والاشارة الى أما كن اقامتهم \*  
(١) الحاضرة (٢) القيروان (٣) أولاد خليفة من جـ لاص جنوبي  
القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربي القيروان (٥) أولاد بدر منهم  
مثل السابقين (٦) أولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى في الغرب الجنوبي  
منهم (٨) الساحل (٩) المثلث حول صفناقس من غربيها وجنوبيها (١٠)  
صفناقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفات في الاعراض (١٤) تغزوة  
من الجريد في جنوبية الغربية (١٥) الوديان في جنوبية (١٦) الحمامة في جنوبية الشرقية  
(١٧) توزر في شمالية (٨) نقطة في وسطه (١٩) الشبيكة وتامغزاني نهاية الجنوب  
منه (٢٠) قفصة في شماله (٢١) أهل بيت الشريعة من غرب دريد رحالة  
ما بين الجنوب الغربي والغرب الشمالي (٢٢) أولاد سيدي تليل في تلك الجهات  
(٢٣) أولاد سيدي عبيد منهم (٢٤) أولاد عزيز من الحمامة ما بين القيروان  
والجريد والاعراض وهم رحالة في تلك الاراضي الرحبية (٢٥) أولاد ميمر منهم  
مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الغمامة في غربيهم (٢٨) أولاد  
وزاز من القراشيدش في جهة الغرب الجنوبي (٢٩) أولاد ناجي منهم مثلهم (٣٠)  
أولاد علي منهم مثلهم والجميع رحالة في تلك النواحي (٣١) شقعة في الغرب المتوسط  
من القطر (٣٢) النوادر قرب السابقين (٣٣) أولاد مهنة مثلهم (٣٤) أولاد  
بوغانم في الحدود الغربية (٣٥) الزغالة مثلهم (٣٦) شارن مثلهم (٣٧)  
العوامر منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب قربهم (٣٩) التوابيع مثلهم (٤٠)  
ورقة في شمال الشمال (٤١) الحمامة ودوفان في بجاير الكاف (٤٢) الكاف  
سبق ذكره (٤٣) ورتان في الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عمار قربهم (٤٥)  
أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمال الكاف (٤٧) أولاد بوسالم قربهم  
(٤٨) ارقبة شرقي الكاف الجنوبي وغربي جنوبي باجة وفيها جبال وقبائل من  
سكان الخيام (٤٩) باجة سبق ذكرها ويقيم بها جبال تشقل على قبائل شتي غير  
ناضحين حقيقة للحكومة متمنعين بجهالهم الوعرة وكثيرا ما ترسل معسكرات لا تحذ  
الضرائب منهم وكثيرا ما يؤذون اليها مـ دارا عن غير تحقيق لعددهم وكسبهم وهم  
عمدون ونغرة وقعد وخير والشبيبة (٥٠) تبرسق سبق ذكرها (٥١) رباح

(١٢٨)

تقدمت أيضا (٥٢) المحمدية وورادس كل منهما قريّة لها عامل مخصوص والاولى كانت مدينة قاهرة في ولاية أحمد باشا فأخذ في علمها الذي أخذ في علمه في بضع سنين وكانت مستقرة ومستقرّ جندّه (٥٣) ثم المرسى وحاق الوادى وقد تقدّما (٥٤) أريانة وجعفر كذلك (٥٥) بن زرت كذلك (٥٦) ما طرو بجارة بجها لها وقد تقدمت (٥٧) الوطن القبلى كذلك (٥٨) قبطنّة (٥٩) دياش (٦٠) حجرى ليس لهم مقرب بل هم متفرقون في الارطان (٦١) أولاد سعيد في الغنينة في الشمالى الشرقى لقبروان (٦٢) السواسى جنوبهم (٦٣) الطرابلسية متفرقون في الاوطان (٦٤) الغرابية كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك (٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب (٦٨) عرب مجورتا بعون اليهم (٦٩) أولاد حسن حنفى والمذهب من دريد (٧٠) فطناسة اتباع جلاص (٧١) أولاد سيدى عبيد الظاهر في الجهة الغربية الجنوبية (٧٢) طبرية تقدمت (٧٣) السبالة في الشمالى الغربى من الحاضرة على نحو شتى عشر ميلا وعدد جميع السكان نحو مائون ونصف لان تحقيق العدد غير موجود سيما وكثير من اعراب الاعراض مثل ورغمة وكذلك بمالية باجة لا يعرف عدد ذكورهم البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم وانما يعرف عدد الذكور البالغين من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون الهامدى سكان بلدة تونس والقبروان والمسنير وصفافس لاسنة اثم من الاداء المرتب على الرأس

## فصل

في اجمال تاريخ هذا القطر التونسى

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) في نبذة من تاريخه القديم (الثاني) في علاقته بالدولة العثمانية (الثالث) في سياسة الخارجية (الرابع) في سياسة الداخلية من العائلة الحسينية (الخامس) في وزارة مصطفى نخند دار (السادس) في وزارة خير الدين باشا (السابع) في وزارة محمد نخند دار (الثامن) في وزارة مصطفى بن اسماعيل (المطلب الاول) في نبذة من تاريخه القديم اعلم ان هذا القطر تداولته ولاية الرومانيين والقرطاجنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان

افتتح

(١٢٩)

افتتح الخليفة الثاني (سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير جيشه بالفتح إلى برقة بن طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه في فتح أفريقيا يعني بها تونس كما تقدم بيان وجه التسمية في الفصل السابق فأرسل إليه يقول ما مفاده أنها الغدارة المغدور بها ماؤها قاس مفروقة لقلوب أهلها لا تفتح مادمت حيا الخ وكان وجه ذلك سياسة منه (رضي الله عنه) تجربته بالأمور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذي صار طريفة لهم بحيث لا يتقادون لبعضهم ولذلك وهنت شوكتهم وصاروا طوعا لا جانب المستولين عليهم بحيث لا يعهد منهم - هم قيام بشأن أنفسهم بل تسلم أنفسهم الانقياد إلى الغريب بما لا تسلمه إلى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهمما تغلب عليه أجنبي انقاده أهلها إلى أن ينقرض أو يستولى عليه أجنبي آخر وحيث كانوا على تلك الصفة فلا استيلاء عليهم ولأن كان سهلًا لغيره أن لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلأن الجيش إذا استقر هناك رجم سرت إليه طباع أهل الأقليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطباع بالمخالطة والملازمة فيقع بينهم التآفر الواجب التبعاع عنه وأما (ثانيا) فاذا غلب الجيش الإسلامي ولات القطر الذين هم أجانب من الرومان لا يبعد أن يرجعوا إلى بني جلدتهم ويعيدون الكرة على المسلمين وهو لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر في إمدادهم وأعانهم لما تقدم من طبعهم وأنهم ما وع الغالب كيفما كان وذلك لا يحدث معهم رؤيتهم لعبد المسلمين واستقامة أمور دينهم وديارهم في أصل الطباع من النفرة عن التعاون وميل كل نحو بصة نفسه والحامل الديني وحده غير مجد لأنه يلزم له رسوخ وتخلق ومع ذلك قلبي من يكفي له ذلك فقد تور (أبو اسحاق الشاطبي) في موافقته أن العلماء على ثلاثة أقسام الأول من يبلغ به العلم إلى درجة تصير النظرى في حقه ضروريا لاطلاعه على أسرار العلوم وتخلق بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع إليها رجوعه إلى سائر الضرورات ولا يمكن له الجهل على خلاف ذلك كما لا يمكن للإنسان الجهل على خلاف الضرورى وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثاني أطلع على أسرار العلم لكن أطلاعا محتاجا إلى المراجعة والتذكر والتدبر وهو لا يجرون على مقتضى العلم بالكفاءة من خوف الوازع الظاهري غير أنهم يتقادون إليه بالتسليم وهو في حقه خفيف فأدنى درجته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذي لا يطلع على شيء من أسرار العلم وإنما يسمع تكاليفه ويتقاد إليها بالتقليد المجتهد وهذا لا يحمل نفسه على مقتضاها بالوازع الظاهري وهو القسم الأكثر والأغلب في الوجود ولهذا أقيم في الدين

ص

١٧

٩ صفوة الاعتبار

(١٣٠)

وازع الحكم ليجرس الدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدينيوية والاخروية ولا يبال ان  
 أهل القسم الاول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصد منهم الخطيئة  
 على وجه الغفلة كما تغفل الحواس في بعض الاحيان هذا اجمال كلامه وأنى لاهل  
 أفر يقية اذ ذلك وبلوغ درجة القسم الاول هو ما دعا على فرض اسلامهم وأما اذ رضوا  
 بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالأمر أبين مع أن المنعة اذ ذلك للمسلمين وخط التجايم بعيد  
 جدا وهو بخيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذلك في أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس  
 من المعقول الرغبة في الفتوح بالتهور وبعث تقدم يندفع أشكال بين وهو كيف يتوقف  
 سيدنا عمر رضي الله عنه عن بث الاسلام في افر يقية استنادا للمجرد ذلك التعليق وهو  
 تفريق أهلها مع أن الأمر بث الاسلام لا يس بمشروا باثقة قلوب أهل الاقاييم ويؤيد  
 ما قلناه أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما ولي الخلافة واستقر اذ ذلك أمر الاسلام في  
 مصر وكان لجيش المسلمين قرب منعة ومدد أمرهم بفتح افر يقية ففتحت سنة ٢٩ على  
 يد سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وهو بأبشعر بن النعمان الصحابة  
 والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت أسبيطلة هي القاعدة الثانية في القطر وهي  
 مركز الماشورة واجتماع أهل الحل والعقد لكي يكونوا أحرار في مفاوضاتهم لبعدهم  
 عن الملك الذي مقره في قرطاجنة وما يرمى عليه أمرهم يبعثون به اليه وحيث كانت  
 تفاصيل التواريخ لهذا القطر قديما قد تكتفت بهام وثائق مفردة ومن أجلها الحال  
 السندسية فلا يمكن استيعابها في هاته الحالة لأنها خارجة عن المقصود الذي هو معرفة  
 الحالة الراهنة وانما الذي يتوقف عليه المقصود هو بيان ما عليه الحال لكن هذا ما  
 كان له مساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتبيين الاسباب ومساياتها ولذلك  
 نذكر جملة الدول التي تولت هذا القطر من حين الفتح في جدول مع ذكر صفة الدولة  
 اجمالا وتاريخ مذهبها بداية ونهاية واسماء أصحاب الملك الى أحمد باشا من أمراء الدولة  
 العلية العثمانية ومنه نأخذ في ذكر بعض التفاصيل التي يذهب فيها المقصود حتى  
 يكون المقصود مستوفى البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ

(١٣١)

تاريخ الولاية * والاسماء *	* الملاحظات *
٠٠٢٩ عبد الله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالي مصر التابع للخليفة
٠١٥١ عمراهمي أول دولة المهديين	تابع للخليفة المنصور العباسي وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق في التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلم
٠١٨١ ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغلبة	مثل السابق وقوارنها بنوه
٠٢٩٧ دولة العبيديين وأولهم عبد الله المهدي	في نفس الامر مستقلة وفي بعض الاطوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥ دولة صفهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣ دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر والحرمين الشرقيين برهة من الزمن
٠٩٨١ الدايات والبايات المراديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف يلقب بالداي وتارة يلقب بالباي وتارة بالباشا
١١١٧ الحسينيون أولهم حسين باشا ابن تركي	اتباع للدولة العلية بامتياز في التصرف
١١٥٣ ابن أخيه علي باشا	مثله
١١٦٩ محمد بن حسين باشا ابن علي	مثله
١١٧٢ أخوه علي باشا	مثله

(١٣٢)

تاريخ الولاية	الاسماء	الملاحظات
١١٩٦	ابنه محمود باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٤	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمدين حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

### المطلب الثاني في علاقة القطر بالدولة العثمانية

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الحفصية ضعف أمرها أخيراً إلى أن استولى الطليان على طرابلس وجر به ثم افتتحت الدولة العثمانية سنة (٩٥٨) وامتد أمرها إلى القيروان وبطلب من أهلها إذ كانت الدولة العثمانية هي الرافعة لعلم الدول الإسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها الأهلية وكانت قاعدتهم ثم لمسان وخشي الأهالي من استيلاء الأسبغول عليهم أو كان أحد كبار رجال الدولة العلية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان في البحر فاستصرخهم أهل بلجاية للتجسس من رتبة الأسبغول فاستولى خير الدين عليهم وألقاهم له سائر أهل الجزائر وخطب للسلطان سليم العثماني وذلك في حدود عشرة أثمانين والقسمهاته ثم أنفذ تونس أيضاً من جور الحفصية والأسبغول ثم استعان آخر الحفصية بين حسن الحفصية بالأسبغول وها إلى تونس فأنقذها منهم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتبها جنداً من عسكر البنية كشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ومرتجع الجميع إلى الوالي الملقب بالباشا وهو أذالك حيدر باشا ثم وقع تصافر بين الرؤساء آل إلى حرب واستقر قرارهم إلى تسليم الأمر إلى واحد منهم يلقب بالداي وجعل على خلاص بلجاية مولا يلقب بالباي وفي عهده تأمين السبل وهناء القبائل ويسافر لاجل ذلك مرتين في السنة أحداً هاشماً إلى الجهة الجنوبية والثانية صيفاً إلى الجهة الشمالية ويسافر في عسكر مؤلف من العساكر المشاة وهم أذالك البنية كشارية ومن قسم الفرسان الموظفين في المحاكم ولهم جراية

ويشعرون



(١٢٣)

و يسمون بالحواشب والصباحية وعلى كل تسمية رئيس يسمى بالآغا وكل قسم يسمى  
 بوجق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وجق مركز من القطر كما يستحب الباي في سفره  
 قسما من فرسان القبايل يسمون بالمرارقية و يسمى جميع المجيش المسافرين فيه الباي  
 محله وجرى العمل على ذلك غير أن رئاسة التصرف العام تارة تكون بيد الداي  
 وتارة تكون بيد الباي تعلما منه واحيانا يحصل الباي على رتبة الباشا من الدولة  
 العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت المحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على  
 حوزاى باسة العامة ومات الاهالى من ذلك فنادوا بطبيب نفس واختيار منهم بحسين  
 ابن على تركى جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذذاك آغمة ووجق باجة وسلموا له امر  
 الولاية العامة بعد ذلك كل من الباي والداى السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا  
 زالت الولاية متوارثة في عائلته كبيراعن كبير الاماندر من ولاية جوده قبل محمود بعهد  
 من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له في حياته ومنذ ذلك التاريخ  
 استقرت الرئاسة العامة للباى وصار هو الذى يولى الداي الى أن انقطع هذا اللقب  
 وعوض برئيس الضابطية في سنة (١٢٧٧) في ولاية الصادق باشا غير أن استقرار  
 الولاية هكذا على نحو ما لم يكن به عهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاء  
 جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عاداتها في الولايات اطلاق التصرف  
 للوالى بحيث يكون له التفويض المطلق لا تساع أطراف الممالك مع صعوبة المواصلات  
 الا بعد مدة مديدة لا سيما في مثل الاماكن التى طريقها البحر من مقاومة الخلفة كونس  
 وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالواجق ومن كمال الاطلاق الذى  
 اضطر اليه البعده اختيار الوالى لانه اذا مات الوالى أو وقع ما يوجب عزله بغير غيره أو  
 بشورة عامة يسلم أهل المحل والعقد في تلك الجهة لواحد منهم لا جراه مالا بد منه وما يصل  
 الخبر للدولة الا بعد مدة وحيث لم يكن من قصدها الا هناء الممالك الاسلامية واجراء الشريع  
 فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واذا الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من  
 فائدتها مما لفة ما يراه أهل المحل والعقد في الصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها  
 فائدة بل ربما توقع حصول غير فائدتها المار ذكرها (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولى  
 هى من أرضه تحفظ أمورها وحفظ حقوقها والمتقرو في هذا القطر التونسي من  
 الحقوق التى رسمتها الدولة العثمانية فيه عند فتحه هو اعانته بالسفن الحربية وما يلزمها  
 في المحروب وهذا ياترسل من الوالى الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

(١٣٤)

أوعندما توجد مناسبة للاهداء والاغلب في الهدايا سابقا أن تكون من نتائج البلاد كالتخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء والمنسوجات الحريرية والصوفية ومنها راية عظيمة متقنة تصنع عند ولاية السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من البردة وتتركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلاة وسجج المرجان والعنبر والطيب والأسلحة المرسعة بالمرجان ومنها التمر والزيتون والسمن والشمع ثم توسع في هاته الهدية حتى صارت من المال والمجوهرات النفيسة وقد بلغت في بعض الاحيان الى مليونين فرنك كما يساوهم من المجوهرات وكذلك رتب على القطر من الاشياء التي هي علامة على التبعية الخطة باسم السلطان والراية من نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على السكة وأصحاب الهدايا هم الذات السلطانية والصدر الأعظم مع خواص الوكلاء كقبطان باشا والسرعسكر وأمثالهم وأما غير ذلك فلم تكن حالة القطر تقتضيه ولذلك لما رأى وزير الدولة سنان باشا الفاتح حالة القطر أمر رؤسائه أن يجباية يقيمون بها ضرورياتهم وما يلزم لحماية القطر من الاسلحة تعدادات الحربية وما يلزم اليه من المصالح العامة ولم يرسم بشئ آخر ثم قدم قبطان باشا في حدود سنة (١٠١٣) لتفقد حال القطر وما تقتضيه حاله بعد استقرار الامر فأرسل بأسطوله في حلق الوادي وخرج له اذ ذلك عثمان داي في جماعة من كهراء الجند وتفاوضوا معه على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتراد على الاداء أقنع من هناك راجعوا بقي الامر على ذلك الى أن بدى للدولة العلية ابدال عادات الدولة في شأن ولات الاقطار من اطلاق التصرف اليهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم انقيادهم أحيانا لاوامرهم ومنهم حسين باشا والى الجزائر الذي تسبب بأعماله في دخول الجزائر تحت الفرنسيس بحربهم وكان ذلك الانقلاب في دولة السلطان محمود وصدر من ولاية احمد باشا نخشي اليه باشا المذكور من وصول النوبة اليه في التغيير وزاد خوفه بسبب ما كان حصل من ساقته من تعريضه بالامتناع من نزول قبطان باشا في حلق الوادي عند قدومه لارادة التوجه بـ الجزائر لعزل واليهما الذي عقد المحرب مع الفرنسيس وبزواله نزول الارتباك فاعتذر له بأن الكثرة في أي التحفظ من المرض العام لا يتيح نزوله وأكرم مقدمه وهاداه في ذاته وكان السبب المحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرنسيس لما أعلنت بحرب الجزائر بعد التشكيك للدولة العلية كانت حسين باشا والى تونس بالانذار بأنه اذا أعان بشئ يلحق الحصار والحرب به مع اجماع الحلق على ظلم والى الجزائر نخشي والى تونس أن يعد مرور

قبطان

(١٣٠)

قبطان باشا أعانة للجزائر لانه لا يمكن مروره بدون حامية فاذا دخل للجزائر بحماية من  
مسكر تونس يعتد بها الفرنسيس أعانة وأيضا اذا سمعت العربان بمرور باشا تركي في وسط  
الولاية هاجوا الماس في طباعهم من القشكي من المتولى كيمفما كانت سيرته ظنا أن الجديد  
يساعدهم على مرادهم كيمفما طلبوا وقد كان ذلك من الغفلة التي سبق بها القدر لا نفاذ  
الامر في الجزائر فخشي أجد باشا مسبق وأنضاف الى ذلك فتح الباب من الدولة العلية في  
مقدمات ما كان يخشاه وهو طلبها من تونس الاداء السنوي والحاجه افيهمه المربة بعد  
المرة الى أن توجه اليها عالم القطر الافريقي سيدي ابراهيم الرياحي وواجه السلطان  
محمود وقبل اعتماده راسا عن طلب الخراج وأيضا طلب من الباشا القديوم بنفسه  
لدار الخلافة ولم يكن معتادا من هذا النوع الخاقاني الى الآن وطلب منه أيضا أن  
تكون خاطة تونس مع الدول باذن خاص وولاية المناصب بأمر السلطان والاختيار  
لاصحابها من الوالي ويرفع في كل عام حساب دخل الحكومة ونرجها وأيضا دفعات  
الدولة في طرابلس مافعلته في سائر ولاياتها من التغيير وكذلك في مصر لكانها  
بامتياز فقوى خوف الرجل وجعل ليرود كل الابواب للاطمئنان على ابقاء عاقبة  
المالوفة له ولا آليته وللقطر من غير أنه يخاطر بيهاله قط الاستقلال لاهو ولا من ساف من  
آله فضلا عن الدخول في حماية دولة أجنبية وعناية الامر زيادة المواصلة منه مع دولة  
فرانسا والمدارات بما لا يخل بشئ من العادات مع طلب محاسبة عادته لوتريد الدولة  
العلية الحاقه بغيره وعناية ما حصل عليه من دولة فرانسا هو الوعد الشناهي بحمايته وحماية  
امتيازاته الجاري بها العمل والعادة (وبشهاد) لاسا مرسيا بعد ولاية العائلة الحسينية  
المستقرة الآن أن الدولة العلية في سنة (١١٥٣) اعطت جزيرة طبرقة التي هي من  
القطر التونسي الى دولة الجنون وأذنت بذلك والى تونس فسلم الجزيرة بالشروط التي  
عينتها الدولة وهي أن لا يكون لهم بها حصن ولا يتجاوزون في بناء بلادهم ذلك حد محدودا  
ثم خالفوا الشروط ولذلك افكك الجزيرة منهم على باشا والى تونس اذ ذلك في تلك السنة  
وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والى تونس من جهة  
الخلاف في الاسرى الذين أخذتهم تونس من قرقسكا قبل استيلاء الفرنسيس عليها  
وكذلك صيد المارجان الذي أبيع للفرنساويين لسنتين بعد معلوم من القوارب وأداء  
معلوم وتفاقم الخلاف الى أن جاء الاسطول الفرنسي الى شطوط تونس ورمى به من  
المحصون وكان اذ ذلك رسول الدولة في تونس قادمًا لطلب أعانة السفن الحربية على العادة

(١٣٦)

في حرب الدولة اذذاك مع الروسيا فتدخل رسول الدولة في المنازلة وأبرم الصلح على أن  
تدخل كرسكا في عهدة فرنسا وأن ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرنسيين  
عليها وأن يكتنوا من صيد المرجان خمس سنين مستقبلة باثني عشر زورقا لا غير وأن يكتنوا  
من شمرا ثلاثة آلاف قفيز فمعها ويخرجونها من غير اداء سراج عليها وأن يدفعوا ما جرت  
به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت بعد ذلك العلاقة المحسنة المعتادة بين تونس  
وفرانسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجميع لوازمها  
لاعانة الدولة في حرب الروسيا المذكورة سنة (١١٨٥) وفي سنة (١٢١٣) أمرت  
الدولة العلية جوده باشا بحرب الفرنسيين معها عند استيلائه على مصر فامتثل الامر  
وقطع الخاطئة مع القنصل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير أنه تحفظ للغاية على  
أموال التجار الفرنسيين في بلده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرنسيين  
اذذاك نحن بلا قنصل أحسن حالا من وجود القنصل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك  
المعاملة وهو كثرة الخاطئة التجارية المتقدمة الموجهة لاشتراك مال التونسيين مع مال  
الفرنسيين فلم يتعرض لأموالهم لكان تعرض المال التونسيين أيضا وانقمت عليه من  
بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح عرفهالة نابليون الاول وصارت  
بينهما مهاداة واعتراف بالكمال وفي سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا أمرا  
بمحفظ لوحدة وترك الحرب بين تونس والجزائر وعمل بامرهم وفي سنة (١٢٣٧) أرسل محمود  
باشا سبع سفن حربية ثم أوقفها باثنين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفي سنة (١٢٤٣)  
أرسل حسين باشا اسطولاً حربية لاعانة الدولة في حرب اليونان واحترق مع جملة سفن  
الدولة ومصر والجزائر بطل اساطيل الدول كما يأتي تفصيله في بابها وفي سنة (١٢٥١)  
أرسل مصطفى باشا الى تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس انزعها من  
ايدى آل قرمانى ثم طلب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل الى تونس في  
تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعها بدسع سفن تجارية جاءت ثلاثمائة من الخيل وفي  
سنة (١٢٥٥) طاب أحمد باشا والى تونس تقبله رتبة مشير مع هدية فاخرة فأثمت  
الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخري رسم في غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة  
ولم يرز مع ولايه في ولايت تونس وفي سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية والى تونس بالهمل  
بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها في موكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا والى بالامتثال  
غير أنه طلب وقتال الهمل مع مراعات ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم ألح عليه في  
اتمامها

(١٢٧)

اتمامها سنة (١٢٥٨) فارسل هدية فاخرة منها سفينة حربية ومائتين وخمسين ألف فرنك وطالب الامهال في العمل بالتنظيمات وفي سنة (١٢٥٧) لما رتب الوالي المذكور امر تنظيم المولد النبوي قال له يمين حكومته أبو العباس أحمد بن أبي الضياف المناسيب أن تخرج من باردورا بكاء عنه لئلا من العساكر ما يكفي الى الوقوف بين باردو وجامع الزيتونة فقال له يفعل ذلك السلطان العثماني وليس لنا أن نفعل مثله فالتاسيب الادب معه رايت ذلك بخط الوزير المذكور وفي سنة (١٢٥٩) حصلت نفرة بين دولة الصارو ووالي تونس أحمد باشا كادت أن تفضي الى حرب بسبب منع الوالي اخراج الميرة الى سردانيا لمحض حصص بالقطر وكانت الشروط مخالفة لأرسلات الدولة العلية رسولا خاصا ليبحث عن السبب وأمر الوالي بفصل المنازلة بصلح فأخذ تقريراً في المنازلة وفصلت بصلح بيقام ما كان على ما كان ودفع ما خصه من تعارار الصارو وفي شراء الميرة وفي سنة (١٢٦٣) أرسلات الدولة رسولا مخصوصا للوالي المذكور لتأمينه من جميع ما توههم مع اسقاط مطالب المال السمتوى وتأيب الوالي في الولاية مدة حياته فأجاب بالفرح والقبول لكنه طالب ابتداء جميع الامتيازات ومنها التتال الولاية لآله عند موته وفي سنة (١٢٦٥) أرسل عباس باشا والى مصر مكنو باودا ياعلى وجه الاخوة ينصح فيه الوالي المذكور بترك الاوهام الحاملة له وأنه هو قد ذهب للاستمانه ونال رتبة الصدارة مع أن أباه وأخاه قد فعلا ما لم يحكم حوله ولات تونس وابدلو يساعده على اللقاء في باد معين ويصطحبهما معا للاستمانه ليكون له الحظ الاوفر فأجابه بأنه عبد للدولة ولم يختلج بفكره شئ مما يتسم به وقصارى أمره التمسك بالامتيازات السابقة بها العمل والتجارية من القديم في القطر التونسي ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخرون من التجار للتفاهم مع الولى في متصود الدولة فتردد لهم غاية أماله من ازدياد اللعنة الاسلامية والخضوع للدولة العلية على ما جرى من الامتياز للولاية ومنه عدم وجوب قدوم الولى الى الاستمانه وفي سنة ١٢٦٣ وقع خلاف بين والى تونس أحمد باشا ودولته فراسا في شأن قبيلة تهد من جباله باجه حيث أن التتميلة منقصة الى نفذين نفذا تابع لتونس ونفذا تابع للجزائر فاستولى الفرانيسيس على الجميع فسهل الولى أحمد باشا وكتب الى القنصل فأجابه القنصل بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانساةعطى الى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد تعريض المحدود فأجابه الولى بمناص محل الحاجة منه وأما تجديدا التعديد أو ابدال بعض الجمالة بجزء من غيرها فاعلموا اننا نؤلف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية وان كان

(١٣٨)

لنا التصرف العام في الايالة بما يقتضيه اجتهادنا من المصلحة أما التقيص منها أو ابدال بعضها فلا يحسن منا بغير اعلام مولانا السلطان وتقرر بما يشاء لنا من المضرات بسبب ذلك بخلافه العلي اه وفي سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألفاً عسكرياً بجميع لوازمهم الضرورية والمحربية وفرقاطه شرعية وستة سفن منها باخرتان لا طاعة للدولة العلية في حرب القريم وفي سنة ١٢٧١ أرسل ابن عمه محمد باشا عند ولايته ذلك العسكريار أربعة آلاف وخيل ومهمات وفي سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العلية رسولا مخصوصا معه حيدر أفندي لمراقبة حال الثورة العامة في القطر التي سيرد بيانها وأرسلت الى الحكومة مليوناً ونافرين كالاعانتها على ما حصلت فيه من الضيق وفي سنة ١٢٨٨ أبرم فرمان الاقنى ذكره الذي استقر عليه القرار وفي سنة ١٢٩٣ أرسلت الايالة نحو مليون ونصف فرنكا لا طاعة للدولة على حرب الصرب وفي سنة ١٢٩٤ أحضرت الايالة نحو ذلك المقدار لكنه لم يصل منه الى خزنة الدولة العلية الا أقل من الربع والباقي صرف منه على تهينة العساكر التي قدرها نحو أربعة آلاف في كسوتهم وتعمينها والارسل وحصل الصلح قبل سفرهم وهم في انتظار اسفن الدولة العلية لحملهم اذ لم يكن للحكومة قدرة على ماتحملهم عليه وسببان محول الاحوال كما أرسلت الولاية في تلك السنة لا طاعة المذكورة نحو ستمائة بغل وأربعمائة حصان وما زاد على ذلك مما سلمته الالهالى بقى عند الحكومة التونسية وما تقدم كله زيادة على الرسل التي تنوارد في أغلب الاحيان بين التابع والمتبوع الذى هو كثير وهائض نبت هئانص بعض المكاتب التي أرسلت من ولاية هذا القطر في النصف الاخير من هذا القرن حتى يتيقن معها زوال كل شبهة ولم نذكر ما كان قبل هذه المكاتب لان المكاتب كانت ترسل باللسان التركي ولما تقدم عهد الولاية بتونس نشأ جيلهم الاخير على جهل باللغة التركية وكان أحمد باشا صاحب المكنوب الاول ذا احتراز ونقد فكر فلم يرد ان يعضى كلاما لا يفهم اسرار تراكيميه فمكتوب باللغة العربية وقبلة الدولة اذ كثير من عمالها اعربى ولايسعها انكار لغة شريفها التي هي الحامية والذابة عنها وكان ارسال هذا المكنوب مع عالم القطر سيدى (ابراهيم الياحى) في الغرض الذى تقدمت الاشارة اليه وهو طاب الغفوع الاداء السنوى ونص المكنوب (اللهم) بالثناء عليك نتقرب اليك يا فاتح ابواب القبول والاقبال وما غي المنح التي لا تمتد رسواردها على البال تنزهت في العظمة والجلال ولا قول عمادك الالهال بمجى الرحمة والافصال فافت عليهم خليفة

تعرض

(١٣٩)

تعرض عليه الاحوال ويرفع عنهم بآنتك الاختلال ويسوسهم للصالح في الحال  
والمثال صل على سيدنا (محمد) خاتم الارسل والمجاهدين مع عند اشتداد الازمة  
والاهوال وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا في الاقوال والاعمال وسرت مكارهم  
مسرى الامثال ونسبته هب منك عز الاياع حده ونصرا يعضى في الاعداء حده لهذه  
الدولة العلية والاساطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التي رفعت من الملة  
الحقنية أركاننا وشيدت من معالمها بناينا وأقامت للحق قسطا وميزانا وروت  
أحاديث العناية الربانية صحاحا حسنا وورث ملوكها الارض وهم الصالحون سالما  
فساعانا حتى استنار الوجود بخليفة الوقت الموحود وهو مولانا السلطان محمود اللهم  
أعنا على ما أوجب له من فروض الطاعة وأيّد الحق بجهدها الاستطاعة واحفظنا  
برفته وعده من الاصاعة واجعل الملك فيه وفي عقبه الى قيام الساعة وعطف قلبه الى  
سماع هذه الضراعة من اياته ومن بهام الجماعه على لسان أجد المقيم على طاعته  
فيها والبتنى من ثمرتها ما يلزمها ويكفيها وطاعة خلافتك فرض على أهل الارض  
وهي عند الله أغنى قرص فاذا لم تعرض الحال عليك فعلى من العرض تونس موضع  
شعائر الاسلام غريبة ببعدها عن استقطار ايديك الجسم ومساحة معجورها السير  
شوالسته أيام شأن أهلها القعش من الزيت والبر والصوف والوبر بعانوني  
تحصيلها من ألم المحر والقر هذا غالب ما يسد لهم الخلة ويوجد غير هالك على قلة  
ومتداز كذا ذلك لا محالة بحسب اتساع الحاجة فيفضل من خصها فهو للقط  
عدة وبذلك دام عمراتها هذه المدة لأفضل من ذلك اتعرف ولو في سبيل شرق هذا  
معظم دخل القطر ان جادت السهب بالقطر ويلزمه ضرورة لحفظ عمرانه وحماية  
أوطانه وتأمين سكانه واصلاح مراسمه وبلدانه جسة وأجناده في كل جهة  
وبلاد لتأمين الجبال والوهاد وردع أهل الفساد ويلزم العساكر الكسوة والطعام  
والمرتب على الدوام ولا بد لهذه العدد من آلات وعدد وقوام هذا المال وهو  
السبب في عرض الحال بان الدخل على قدر الانفاق وذلك بشهادة الله غاية ما يطاق  
واذا كنا الرعية المشاق ونزعنا الرفق والاشفاق كان ذلك ذريعة للانفاق وسما  
لاشتاق وربما هرعوا للدولة شيئا وخاؤا ولدانا وكهولا وشبابنا يسوقهم العجز  
ويقرودهم الامل الى من في طاعته النيات من اهل فالسلطان طل الله في أرضه  
ياوى اليه كل مظلوم وهذه من الواضح المعلوم وعبدكم حسب تأمين البلاد وحفظها

(١٤٠)

من طوارق الفساد بمن معه من الحماة والاجناد سرورنا لانهما أجفانها وتعبنا لراحة  
 شيوخنا واولادنا واقبحنا المخاوف لامانها وما تنتجها خلاصها تسد به خلاصها وعلى  
 هذه السيرة ولايتها لا يقتنون لانفسهم مالا ولو بسطوا لذلك آمالا الاما يقتضيه  
 الحال من العادات المألوفة والمرامم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم اليسار لازهد  
 الابرار والله المطلع على الاسرار وبساطتنا من الكلام في حال هؤلاء الاسلام يظهر  
 للقائم بمصالح الاسام أن لا قوة لهذه الايالة على أداء المال في كل عام هذه ضراعة  
 رعيته المستسكين بطاعتك المستجيبين بحمايتك المرتجبين لعنايةك واعانتك وقت  
 بتبليغها بين يدي سلطنتك الخاقانية وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في  
 حقى وهو ثمرة طاعتى وصدقى والمأمول من تلك الهمة النظر لهذه القطر بعين  
 الرحمة وهذا المال في خزائن الدولة لا يزيد وثقله على هذا القطر شديد فارحم أيها  
 المولى ضراعتنا ولا تفرق بما لانطبق جعاعتنا فالامر جال وما قررناه بعض من الاسباب  
 والعلل وقد فكرنا وأعيننا الخيل فلم نجد اجابة المطالب الا بتقصيص عمل يفضى الى  
 نقص وخلل أو تقبل يقطع من الرعية الامل ويضعف بسبب ذلك هذا العمران  
 وتشتد الحاجة للاسعاد من كرم مولانا السلطان والله يجيرنا من حوادث الازمان  
 هذه وسيلة من بعدت داره ولم يكن بيده اختياره على لسان محمد كة تونس مع  
 قدوتها المونس صالح مصرها وامام عصرها شيخ الجماعة ومفتيها الذى دانت له البلاد  
 بدينها ونالت به الملة اقصى امانها السارى ذكرنا ليه في النواحي السيد ابراهيم  
 الرياحى وجهته حائنا وانتظرت ومن سحائب رحمتك اسقطت اللهم أنت أعلم باماننا  
 فلا تقهملنا ملاطافة لنا به واعف عنا وارزقنا الرحمة من سلطانتنا والهمة لاعانة اوطانتنا انك  
 على كل شئ قدير وكتب في اواخر اشرف الربيعين سنة (١٢٥٤) وفيها ما كتبه أجد  
 باشا المذكور في تبرئة نفسه مما رمى به من ارادة الخالفة ونصه الجذاب المقصود بالبلوغ  
 الاعمال ونجاح الاعمال جناب ركن الدولة وشمس ضحاها وقطب رحاها صدر صدور  
 الكبرا ومركز دائرة الوزرا المشير الانخم والصدر المعظم السيد مصطفى رشيد  
 باشا الازال محط الرحال وقبلة الوجوه بالغانم الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقديم  
 ما يجب للسلطنة من فروض الطاعة بحسب الاستطاعة فان هذا العبد الذى مات  
 في خدمة الدولة سلفه وعاش في فضلها خلفه روابطه مع الدولة العلية ثابتة بالاساس  
 معلومة في الناس واضحة وضوح الصبح غنية عن الشرح كما أن ما جيل عليه سلطان  
 زماننا



(١٤١)

زماننا من كرم الطباع وطول الباع أمرنا قد علبه الاجاع وماعلى الصبح غطاء  
وماعلى الشمس قناع والامان الذى مهد له لاليمان واضح للبيان لا يختلف  
فيه اثنان ولا يخطر بالبال ما ينافيه لانه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه  
وطماستنى هذا العبد الوفود الى الحضرة العلية ومشاهدة الانوار المجيدية لوساعده  
الزمن وتجرى الرياح بما لا تشتهي السفن وما صدق الله عدم الامان لانه من  
المستحيلات العقلية مع انه لم يصدر منه خلل فى عمل ولا ذنب فاعل النفس بأن التوجه  
انما هو تعرض اعناية الدولة والمقام انما هو لحفظ مالها فى هذا القطر من الصولة  
وتؤثر واجب الخدمة على التعرض ازيد النعمة والنصح فى خدمة السادات مقدم  
على نفع خاصة الذات فاقصرت بالضرورة على السنين المؤلف والمسلوك المعروف  
من تقربى الى الباب المالى بتقديم الهدية طبق الاصول الاعتيادية فى هذا الوجه  
الذى اشهرت عليه الانوار العثمانية وجهته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة  
على اضعاف اغنية فاعراضى الاما فى مكتب الوزارة من انه صدرت المساعدة من  
حضرة صاحب الخلافة بالتفضل بتوقيفها وان هدايا الوكلاء العظام صار فى حيز القبول  
بقتضى الرخصة السلطانية ففهم العبد من التوقيف عدم القبول ومن عدم القبول  
نقصان الرضاء وفى المكتب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما بلغه الرسول من نفسير  
الاشارة بصريح العبارة كما ذاك محرر فى صحيفة فخر لذلك الفواد وماج فى تيار  
الانكار اذ لم يصدر منى ما يقتضى ذلك وما سالك فى غير مسالك اما كون سلامة  
قونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط القديمة مع الدولة العلية فهو من المعلوم  
ضرورة وجاهد منه كبر للديميات وأما التبعة والنوحش الموجب لانواع المحاذير  
فمحله اذا صدر ما خلاف ما انطوى عليه الضمير أو فعلا يقتضى نوعا من التغير (أما)  
والحالة هذه فان العبد لم يجد حقا معتادا ولا ضمير بشهادة الله عزادا ولا وطا لاسباب  
الشبهات مهادا ولم يصدر منه الا المعلوم بالسالف الازمان وأقره السادة القادة من آل  
عثمان والاصل بقاء ما كان على ما كان فلا مخاطرة والحالة هذه بالنفس والبالوطن  
أما النفس بوجود الامان من ظل الله فى أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه  
وعدائه الجريح ونيته الخيرة وشقيقته على البريه بأكثر من هذه الامال حرية  
وأما الوطن فانه فى حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوة ويكافح من  
ناواه بشوكته ولا مغافات بين اذنب على القطر الاسلامى ورجائيه وبين التفضل

(١٤٢)

باسم تمار عاداته وأسستغفر الله ان يخطر بالباب وال حال الحال مالا أقدر ان أفوه به من  
توهم الاستقلال أعوذ بك (اللهم) من هـ. هذا المقال كيف رمت ابر القطرفي كل  
جمعة تنادي بطاعته مع القشـ كره على تسير عاداته ولا رواج للـ درهم والدينار الا  
باسم العالي في سائر الاقطار وأشرف ألقاب هـ. هذا العبد هو ما جلت له السلطنة العلية  
وأهاتنه انيله من المراتب السنية بمحض فضلها وكمال عدلها وعدم امكان الحضور  
لهذا العبد الشـ كور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور  
لا يتوقع منه الحذور واختلاف البشر في مدارك العقول معقول ومنقول وصدق  
الخدمة يقتضى التصديق في المقول هذا وطاب الوزارة شـ دالله زرها وقرن باليمن  
نهيها وأمرها من العبد الفقير ان يودع لامانتهما في الضمير يوجب ان نشرح نيقي  
وما أطوت عليه طويقي فأقول والله شهيد على سري وعلايتي هـ. هذا العبد الذي  
نشأ في طاعة الدولة العلية ورفل في حال مرضاتها الجليلة وتغذى بلبانها وعاش  
باحسانها واسـ تظل بأمانها وتشرف بخدمة ساطانها من بيت هرعاشر آل في  
الخدمة ومظهرها للدولة من النعمة أعظم أمانيه دوام رضى مولانا السلطان وظل  
أهل الايمان وان تبتى خدمته على سني أبيه وجده وزيل هذا هو سعادة جده وان  
هـ. هذه الايالة الطائفة على هـ. هذه الحالة لا يراع لها سرب ولا يتكدر لها سرب  
بحماية القوة السلطانية والشوكة الخاقانية وبهـ. هذا الحال حفظ طاعتها وصلاح  
جساعتها وهو السبب في اجتماع الكلمة لهذه الامة المسلمة والله يقول (واقتصموا  
يحمل الله جميعا ولا تفرقوا) واختـ لاف عوائد الاساق لاية في الطاعة والاتفاق  
ولا يكون ذريعة للافتراق وتـ لك البادان بعاداتها مخـ لوق مع ذواتها والمأمول  
من الحضرة العلية أدام الله نصرها اذارات هـ. هذا العبد في مقعد صدق وحققت  
ان نطق بحق ان يرق لهـ هذه الفئة القليلة ويرحم ضراعتهم ويجمع بابقاء عاداته  
الجميلة جساعتهم حاشا فضله وانصافه ان ينزع حلة تفضل بها أسلافه بل المأمول  
من كرمه الزيادة وهو المحي لسائر أسلافه السادة هـ. هذا ما في الخزان نطق به اللسان  
بلا شبه ولا تمويه ولا عنوا طرئافيه فاذا ساعد القدر بالتبول فهو المظنون المأمول  
وان كانت الانوى فالله مع الصابرين وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم  
والله يعلم انما غيرنا ولا ضميرنا غير الذي أظهرنا ويوم تبلى السرائر نسأل عما  
صررنا وهذا المكتوب يشرف بلوغه الى الباب العالي المستوجب لكل المعالي

الثقة

(١٤٣)

الثقة الفاضل المؤمن نخبة أقرانه لنباهة شأنه ابنا محمد أمير لواء عسكر البحر  
ومعه الكاتب الثقة الخبير العفيف السقيم ابنا علي الدراوى وجناب الوزارة يثق  
بأن ما يلقى إلى الخاملين من المقال يصل للعبد الفقير على أحسن حال والمرجوان  
يعود والينا بخبر يسط النفس ويعيد لها الانس والله يديم للدولة العلية المجيدة  
عز لا يظاول حده ونصر اضفى فيمن فأندها حده والسلام وكتب في ٢٠ ذى  
القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكتوب من أحمد باشا المذكور أحبه مع العساكر  
المرسلة في حرب القريم مخاطباً به الصدد الأعظم (ونصه) أما بعد تقديم القصة  
المناسبة لتلك الوزارة العلية والقائمة الراسخة الجليلة فهذا أمير الامراء وأحد  
أعيان الكبراء الثقة المدة فارس هذا الميدان ابنا رشيد وجهه معظم قدركم بهذه  
الخدمة القليلة السابق تقريرها الجليل وزارتكم ووجهنا معه ابنا محمد أمير اللواء والله يرى  
مما للعبد الفقير من الاستحياء عند عرضها على الباب العالى ويسهل الامر ان ذلك على قدر  
العبد الهزيل على قدر الدولة ذات العظمة والصولة والافتقار على الوزارة العظيمة  
في الانتهاء والتقرير وبهمم الرجال تنال الآمال وتحسن الاعمال والمأمول من  
وزارتكم المحودة الصفات ان تهب لبائع نفسه لله حسن الالتفات فاليد في طاعة الله  
وخدمة الخلافة واحدة والقلوب على ذلك متعاضة والانساف متواردة والمأمول  
ان يرى أمير هذا الجيش من غنايتكم فوق الامل والله يسدده الى مرضى العمل  
وينصر مولانا السلطان ويعلى بسطوته أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنيها  
وكهنا رفيها والسلام وكتب في شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكتوب من  
محمد باشا عند ولايته على القطر يطالب التولية والتقرير ويعلم بارسال نخبة عسكرية  
لحرب القريم وهديته مائة مصاحبة لا يكتب (ونصه) اللهم بالثناء عليك نتقرب  
إليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه المتتاسقين نسئلك سبل المتقين وبشكر  
نعمك نرفع باب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والساكنة المجيدة  
الخاقانية الخدمية بالاعمال والنية المقصودة لبلوغ الامنية الوارفة فضلها  
على الاقطار من كل ناحية والشمس عن مدح المسادح غنية وكفها ان رفعت  
من الملة الحنفية اركاناً وأقامت للحق قسطاً وامتارنا وروت أحاديث العناية  
مصاصاً حسناً وورثت كسبها الارض وهم الصالحون سلطاناً يتبع سلطاناً من  
سمى ذى ورين الى من اختاره المجيد سبحانه لعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

(١٤٤)

جهاده وقولاه باعائته واسعاذه ويسر على يده مصالح أرضه وبلاده لازالت القلوب بطاعته مؤتلفة والسيف والاقلام بخدمة متصوفة والالسن في الاقرار بجهزها عما يحب له منصفة وبماذا أحب تلك الحضرة العلية الشاحنة والقدم التي في كل فضل راسخة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا ملك الاشارة فالرجوع الى السنة وتحية أهل الجنة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عهد نعمته العاكف منذ نشأ على خدمته محمد بن خديم الدولة حسين باشا باي (أما بعد) فالمرحوض على تلك الحضرة وله طاول الهر ونفوذ الامر ان رهين نعمتكم وعبد طاعتكم وعاشرهم هذا البيت في خدمتكم ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير أحمد باشا باي سار الى عفو الله فداء لضرة السلطانية متزودا بجماعات عليه من طاعة الخلافة وخدمتها بالهمل والنية وفي الحين يادر أهل الايالة التونسية عموما وخصوصا وكثوبنا منصوصا الى هذا العهد القنبر والقوال به مقاليد أمورهم والنظر في حفظ مفردهم وجهورهم فقام العبد بساوجب عليه من جمع الحكمة الاسلامية والدعاء على المنابر للسلطنة الجيدة راجيا من رضى الخلافة في تأمين البلاد وزوال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصمنا بحبل الله جميعا ولبي العهد الفقير سلطانكم سامعا مطيعا على عادة اسلافه الخدام مع السالف الصالح السلاطين الكرام ووسيلة هذا العبد انه نشأ في ظل سلطنةكم وتغذى بلبان نعمتكم وتعرف من نعمكم الانواع والاجناس واستضاء من عنايتكم بنور يشي به في الناس والكرام يرى لالف الخدمة تاكدر حمة وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتمادا على فضل ذلك الجناب ولا يمت بغيره من الاسباب وعادات السادات سادات العادات والامل ان تزيد خدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله الرضى والله بعاملني في نييتي فيما عرضت من أمنيتي قبل حلول منيتي وقد ابتدأ العبد خدمته بما كانت اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضده وهو ارسال طائفة من العسكرية لآلة تلك القليلة التي تقدمت وبحسن القبول قوبلت والامل الذي عليه المعول ان يشعلها الفضل الاول ومعها جهد المقل ومنتهى طاقة الضعيف وعلى قدر المهدي الهدية في هذه الاطانة الجهادية وعلم السلطنة بالحال والكنه يقتضى الاغضاء عنه يقدم ذلك عبد السلطنة المكتفى بوثوقه وأمانته وسياسته ونجابتة أحد خواص عبدكم ومحل ابنه محمد أميرالوا وهو النائب عن العبد العاجز في غالب الفضل الذي وسيلته الرجاء والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل اللهم أعنا على

(١٤٥)

ما أوجبت لهذه السلطنة من فروض الغاة وتأدية الحق جهد الاستطاعة واحصينا  
بيدها الطولى من الاضاعة واجلنا من مرضاتها على سنن السنة والجماعة (اللهم)  
انا اليه ناظرون وعن أمره صادررون ولا نجاز وعذك في نصر من ينصر دينك منتظرون  
بما فقد شيأ من وجدك ولا خاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين  
والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب في شوال سنة ١٢٧١  
(ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عن دولايته في طاب الولاية والتقرير من  
السابق (ونسه) المحضرة العلية الخاقانية السلطانية الخدومة بالعمل والنية واثقة  
من عدلها وفنها يابلوغ الامنية والشمس عن مدح السادح غنية خليفة  
(رسول الله) وظل الله في الارض الحامى اشعث الاسلام من سنة وفرض من اختاره  
المجيد سجدته للخلافه وزين بما يرضيه أوصافه ومحى بعدله كل اخافه (اللهم)  
يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والخير المزيدي والعمر الطويل المديد في الزمن  
السعيد والعيش المجيد وأعن العباد على ما أوجبت له من فروض الطاعة واجعل  
السلطنة فيه وفي عقبه الى يوم الشفاعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله  
فان العبد الشاكر على ورائة خدمته النافذة في نعمته السابح في بحارته يعرض  
للاعتاب العينية ومنبع الواضل المتوالي انه تقدم منه انصار للباب العالي بوفاة  
أخيه والمضرة العلية داول العمر ودوام الامر فصر العبد على القضاء ورجونه حيث  
توفي في خدمة الخلافة الرحمة والرضى وحفظ العبد العاجز رتبته على العادة المقررة  
من السلاطين السادة ووجه بسباب الفضل عبد السلطنة العلية نخبة الاعيان  
وصفة الاقران وزير البحر ابن أمير الامراء خير الدين يطالب على لسان العبد الفقير  
الفضل المعتاد من لباب السلاطين الاتحاد وعلى عادة هذه البلاد وقدم العبد على  
قدره ما يستحقه العظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يستحق  
التقدير ويرى الفضل بالقبول أول ما مول فالعبد وجه رساله لباب الفضل وانتظر  
وفاز من وضع الامل موضعه بنيل الوطر والله أسأل أن يصيل بقاء أمير المؤمنين  
ويعزبه الدين ويتوى بشوكته حمل الله المتين ويحيى بعدله سنن الخلفاء الراشدين  
ويديم الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير  
المؤمنين من عبد نعمته الخالص في خدمته الموقل لنعمته القليل الى ربه تعالى المشير  
محمد الصادق باشا بى وفقه الله كتب في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٧٦ وكاتب  
فيما ذكر الصدر الأعظم عا (نسبه) الصدارة العظمى والركن الأعظم الاحي

(١٤٦)

والرتبة الشاخصة اشما صدر إدارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الامال ومصدر  
الاشارة ومن لاتي بمحاسنه العبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا  
لازال كما يختار سعيد الاراء محمود الآثار ومناقبه فخالدها أقلام الاقدار (اما بعد)  
تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من أنوار الخلافة المجيدية فان العبد  
العقير قدم للباب العالى خبر وفاة أخيه نالله وأنا اليه راجعون وان أهل الولاية قدموا  
العبد العقير العاجز لجمع الكرامة من هذه الامة المسلمة فاجبتهم لحفظ مصلحة الوطن  
وقلت مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والآن وجهنا للباب السلطنة العلية  
ومنبع العصا الحلابة عبد السلطنة نخبه الاعيان وصفوة الاقران وزير البحر أمير  
الامراء ابننا خير الدين وفي رفقة أمير اللواء ابننا حسين لطلب الفضل المعناد من  
السادة القادة السلاطين الاجناد ووجهنا معه الهدية على قدر العبد الفقير لاعلى قدر  
السلطنة الكبير كما يرى جنابكم السامى تقييد ذلك وجنا بكم يسر رسولنا فيم ايراه  
من المسالك والتحقيق المأمول ان وزارةكم العظمى تعامل رسل العبد العاجز بحسن  
القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من أخباركم ويرجع الرسول بفضل  
السلطنة قري العين مسرور القواد ودهم ردام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على عمر  
الآماد والسلام من معظم قدركم العالى وشاكر فضاكم المقدم والتالى الفقير الى ربه  
تعالى المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله وكتب فى ١٨ ربيع الثانى سنة  
١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط **كثيرة** وكفى باعلان الولاية فى جميع مكاتيبهم  
الرسمية باقب التشرىف الذى منحتهم به الدولة العلية يقول كل منهم من المشير بلان  
باشا باى وهاته السياسة هى التى يدين بها اهل القطر التونسى كالاتقادات الدينية مع  
التسلك بالامتيازات المحاصلة الآن وأهمها بقاء آل حسين بن على على الولاية لالتحامهم  
بهم ومعرفتهم طبايع اهل القطر ومنازلتهم وطبقاتهم وانما جليبا ما تقدم بيانه وان كان  
الامر غنى عن البرهان لما شاع فى اذهان بعض من لا خبر له بان أحمد باشا شاق عصا  
الاسلام وتبعه من بعده وكادوا ان يلتموا اهل تونس بالكفر لرضاهم باعماله مع انه لم  
يأت شيأ فريا وغاية أمره التحفظ على الامتيازات التى أوجدها العادة ورام ان يحصلها  
رسميا جاء على غير الطريق المناسب ولم يحصل الاسقاط لطلب الاداء السنوى وبقاء  
الولاية فى مدة عمره وان تاب الى الله مما سلكه من عدم الانقياد لما طالب منه الذى ترائى  
للجمهور انه شبهه خلاف ورفع خرقه بزيادة ارسال العساكر على ما كان يعهد الذى هو

(١٤٧)

في أواخر عهد هذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما هو مشهور عند خاتمتهم وقال ان نخوفنا من الدولة العثمانية أراه ان يجربنا الى العدم ومعاذ الله ان أكون سببا في خروج هذا الصقع الاسلامي من يد المسلمين وخروج روجي أهون على من ذلك هب ان الدولة تنزعت من يدى هذا الملك ألتست بسلام ورأيت بخط أمين أسرارهم كتبهم الحاصل الوزير احمد بن أبي الصياف



### المطاب الثالث

في سياسة الخارجة (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارضة للسياسة المتقدمة حتى ان الدولة الانكليزية كانت مراقبة لحركات ولاية القطر معارضة لكل ما يخالف التنمية للدولة العلية مما يظهره بعض الدول والولاة وقد كانت تشدد في ذلك بعد استيلاء النوريس على الجزائر حتى انها لم ترد ان تقبل احمد باشا في سفره الى أوروبا الا بواسطة سفير الدولة العلية وعدل هو عن زيارتها الخالف ذلك للعوائد مع حيث كانت تقبل رساله بلا واسعه غير انها بعد حرب القريم اغضت وقصرت من مساكنها الرضا لعنان مع من يريد زيادة النفوذ من الدول كي يعرضها بعقله في الجهات التي لها فيها منافع مع وجود الاستعداد الرسمى للدولة العلية الذي كانت تحوم حوله فتمتد لذلك عند الحاجة وأما دولة ايطاليا فانها كانت في المدة السابقة متفرقة ولما اتحدت وصار لها اعتبار العديد في السنين الاخيرة فكانت موافقة لسياسات الدول رسميا وعلمنا وفي السر ينزع بعض متوطنين المصاير تنزع اليه دولة فرنسا على غير الطريقة الرسمية وذلك لان بالتحدا ايطاليا اصارت مشاركة للدول العظام في النفوذ في البحر الابيض وتطالب بالمنافع التي تناسبها في جوارها ثم ان وحدة ايطاليا جعل تحتها مدينة رومة احييت رسم خريطة الاستيلاء على قرطاجنة تذكرا للملك الرومانيين غير انها لم تحم حول ذلك الحمى جهارا لما تقدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا ناشرت لواء السطوة وسياستها لا توافق على ذلك فصارت ايطاليا محاذية على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم تخالف تلك السياسة ولم يكن يعنيها أمر تونس وعلاقتها بالدولة العلية الى ان استولت على الجزائر لاسباب التي ستر في الباب الخامس عند الكلام على الجزائر في ذلك التاريخ صارت متقدمة من زيادة تدخل الدولة العلية في القطر التونسي لاسباب (منها) ان الجزائر اسلمها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلائها عليها بحرب مع الدولة العلية وانما اضطر اليه المحال في الانتقام من والي الجزائر لاهانتها نائب فرانسوا (ومنها) ان نفس

(١٤٨)

الاستيلاء على الجزائر انما تم بعد سنين وحروب طويلة مع أهلها وما زال أهلها يدينون في عقيدتهم بالخلافة للسلطان العثماني (ومنها) ان مجاورة دولة قوية مثل الدولة العلية توجب مشاحنات يقتضيها الجوار ولا تذعن احدهما للآخرى بسهولة بخلاف ما اذا كان الجار ضعيفا فهو الا أن يؤمر فيقيم وشاهد ان مجر دما تم اخذ الجزائر سنة ١٢٤٥ قدمت فرقة من الاسطول الذي كان على شطوط الجزائر وطالب رئيسها من والى تونس زيادة في الشروط منها ان لا تختص الحكومة التونسية بمحجر بل ولا تجبر ومنها ابطال التلصص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى وابطال ما لا يتدمن الهدايا وان يكون للفرانساويين التعامل في القطر ممثلا يتعامل أهلهم فبعد الوالى معه ذلك على كره وسجل وأرسل الى دولة فرانساعلم بان الشروط أخذت شبه غضب وكانت اذذاك دولة فرانساقى شغل من الثورة على ما كها فعدلت تلك الشروط بعض التعديل فمثل تلك الاسباب لزم فرانسامراعات مصالحها ومداخلتها في حراسة سياسة تونس والذي استقر عليه القرار من الدولة الفرنسية من ذلك التاريخ الى الآن هو ما يشير اليه مارأيت به بخط أمين أسرار الحكومة أبا العباس الوزير أحمد بن أبي الضياف رنصه لما اجتمع أى أجدب باشا على فرانساهو لوزين فليب في خلوة قال له ان كنت تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذي تعقده منى ان فرانساتحصى بسياستها حالتك التي انت فيها الآن بحيث لا يتعدى عليك أحدهم من جهة البحر وأما البر فدير أمرك فيه من جهة طرابلس وأساس جايته هو التجنب الى الرعية والرفق بهم سمعنا ذلك منه مشافهة رجه الله اه وهاته السياسة التي صرح بها ملك فرانساذذلك هي السياسة المعول عليها عند عقلاء الفرنسيين قديما وحديثا حتى قال أحد كبار جنرالات الفرنسيين وأحد حكام قطر الجزائر بقصد التبليغ الى حكومة تونس والمحال انه عسكري والغالب على الحزب العسكري هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٥ عند ختام مؤتمر برلين في شأن الحرب الاخيرة بين الدولة العلية والروسيا وقد اشتهر اذذاك ان بعض فواب الدول في المؤتمر ساروا ومشاهدة نائب فرانسافى تسليم قبرس الى الانكليز أو عزاليه على غير الطريقة الرسمية تسمى فرانساعلى تونس ارضاء لها ولم تعمل بذلك فرانسافقال الجنرال المذكور ان يبالغ لوزيركم ولأبايها انتم ترون من هي الدولة التي تصدقكم من التي تكذبكم فانهم يقولون لكم اننا نريد الاستيلاء عليكم ليعبدكم وينفروكم منا والآن قد أعطوكم لنا وأبينامن الاستيلاء عليكم فلنعملوا من هو الصادق ولتعملوا أنالم تمنع من

الاستيلاء



(١٤٩)

الاستيلاء عليهم لمجرد حب المال لان مصالح الدول لا تتدخل فيهم والشخصيات  
وانما ممنوعة لعدم فائدتها لان فائدتها في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة  
وخالية وفراستها ليست بممتلئة وان كانت هي تكبير الارض في الجزائر اراضي  
وسية ولا زالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمل لان فالاولى بنا انهم برضا من قبل ان  
نأخذ ارضا اخرى خالية فأي مصلحة لنا في ان نرسل عساكرنا لاطلاق الرصاص  
عليهم في قابس والمحالة ما ذكرنا غايته ما نطلبه منهم هو الهناء والراحة في داخليةكم حتى  
نرتاح نحن براحة جوارنا وأما اذا أحدثتم الاخوة لال في داخليةكم وأخرجتمونا الى  
اطلاق الرصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقوه اذا لاجل انفسنا لان ما كنا نطلبه اعدناه  
توقعونا انتم فيه الخ في كل ما صرح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ما هي عليه  
وكذلك سمعت من اعيانهم في السياسة انهم كما لا يريدون هم الاستيلاء على تونس  
لا يريدون غيرهم ان يتولاهم مصر حين بحقيقة سياستهم التي وفي بها كلام الجنرال  
الذي كور مع الانفة من منة الدول في المؤتمر باعطائهم شيئا لا فائدة فيه من زيادة على ما هم  
حاصلون عليه وهو غاية اربهم في تونس بان يكون لدولة فرانسا المنزلة الاولى فيها  
وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والتجربى بحيث تكون كل مصلحة عامة لا يتقدم على  
عملها الا هي الى الحكومات التي لم الى الفرنسيين ويرغبون في أن تكون الادارة في  
الداخلية حسنة تفي بكثره المهران والثرة ايزداد بذلك متجبرهم وحركتهم ونفوذهم لكن  
على وجه في الادارة لا يمكن ان يتعطل به قصدهم ويرى بعضهم ان من اسباب التعطيل  
ان تكون الحكومة قانونية شورية اذ ربما رأوا ان ذلك يعارض مصلحةهم في بعض  
الاحيان باستناد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم رأى الامم التي  
هي مقيدة به وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم  
وماعدى ما تقدم فلا ارب لهم في الاستيلاء على الاحكام او معارضة الوصاية مع الدولة  
العليا التي لا تنقض هاتيك الاساسات فهاته هي مقاصدهم فلو تجددت الادارة  
في الحكومة فادارة على الانتفاع بها ودفعت غايتها ومنها عدم الاستواء في الحكم لكان مما  
يعين على الراحة ورجال الدولة الفرنسية قابلون لاصلاح الاحكام وانضادها كما  
سيأتى بيانه ومثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا مندوحة عنه ويتعين لرجال  
الدولة الفرنسية ان التقييد بالقانون لا يفوت مصلحةهم المذكورة لان عقلا الامم  
باجتماعهم تكون حالتهم ادهى الى ما يزيد في خير الوطن وما يدركه افراد المستبدن

(١٠٠)

في تونس بالنصرف من وجود مراعات الدولة القوية المجاورة يدركه مجموع العلة  
للأمة على وجه أتم مما هو للأفراد ويراعون مقتضى الأحوال نعم أنهم يفرقون بين  
ما يعود لما ذكر وما يعود لأفراد في خويصة ذاتهم مما لا يرضاه عموم الأمة لو تطاع على  
تفاصيله ولعل ذلك ألحقت دولة فرانس على تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما  
سيتم توضيح وعاصمتها دولة الانكليز حتى ورد اسطول الدولة الاولى وكان في آثاره اسطول  
الدولة الثانية وألح كل من قنسايمها في اجراء الامر محتجين بالشريعة وعمل الدولة  
العثمانية والسياسة المحاضرة وعاصدهما رئيس الاسطول الفرنسي وتحت عنوان  
ذلك غير معارض لمصالحهم الخاصة وان استند بعض متوظفيهم في بعض الاحيان ميلا  
الى موافقة الولاة المتهين الى ان الحكومة الشورية يخشى منها تعطيل مقاصدهم  
وينهون الى دولهم الاحوال على ما يوافق سلوكهم وربما أشاروا الى فوات مقصود  
دولتهم اذا خالفت رأيهم فاضطرب دولتهم الى السلوك على ما يشيرون اليه حيث ان الدول  
العظيمة تراعى الوصول الى مقاصدها في الخارج بأى طريق أمكن وتكسب تلك  
الوسائل بحال تحسنها أيدى السطوة والقوة ولا مقايضة بين سيرتهم في داخلهم وسيرتهم  
في الخارج سيما في الجهات التي لهم فيها مآرب فربما ارتكبوا في ذلك ما لا يمكن تصور  
مثله في داخلهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع اذا ساغ  
ان تعقد لاجله المحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع فيها الاموال من الطرفين فائن  
يرصل اليها بوسائل أخرى أيا كانت فهو أخف وأولى ولهذا لا ترى أثرا لمثل تلك السيرة  
في الجهات التي لا مقاصدهم بها بل تراهم هناك يسبرون على نحو سيرتهم في داخلهم  
وسببنا في هذا مزيج بين في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ القصد ههنا خصوص ما يتعلق  
بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة فرانس ابقاء تونس على حالتها  
وإتيازاتها والامتناع من زيادة الاتهام بالدولة العلية ولذلك لما قدم قبطان باشا الى  
طرابلس لافتكاكها من يد آل قراماني سنة (١٢٥١) أرسلت فرانس اسطولا الى  
حلق الوادي حذرا من قدوم الاسطول العثماني الى تونس فتخوف اذ ذاك والى تونس  
مصطفى باشا من أن يتهم بسعيه في ذلك وكاتب قنصل فرانس بجانسه وبعد فان جناب  
الدولة الفرنسية وجهت أجفانها لمرسى عمالتنا على مقتضى المحبة والمودة وقابلناهم  
بأكرام لان شقوفنا في مراسي الفرائسيس كأنها في مراسي عمالتنا فكذلك شقوف  
الفرائسيس عندنا وأما إقامة الاجفان في هذا الوقت بحلق الوادي ودونامة مولانا

السلطان

(١٠١)

السلطان بقربنا وفيها السيد قبطان بإشارتها نتج لنا مضرة في الحال أوفي المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله لنا وجودها لأنها تظن في جنبنا ظنا يضربنا ومعلوم أنها تحت طاعة مولانا السلطان في أمره ونهييه وباسمه نخطب في جوامعنا وعلى سكتنا فلا يخطر ببالنا أن نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشئ فالمراد أن تعرف الأمور بهذه المضرة التي نتوقعها والاعتماد على كمال عقلكم في حسن التبليغ وشهـ قوف  
الفرانسيس مهماتر بنا أوتأ في مراسلتنا فربما لها ونقبها بالاكرام على مقتضى قوانين المحبة ولا زائد الا لخير والعافية وكتب في (١١) جادى الثانية سنة (١٢٥٢)  
وأجابته الفرسيل بما نص تعريفه أنه باعنا ووصـ انما المكتوب الذى نشره فبانه من عند السيادة وأعلمنا به الامرال للندن وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابنا عليه هو ما سنذكره وهو ان جنبناكم العلى برئى وأجنبى وخارج من الاتفاق الذى اقضاه نظردولةالفرانساوية في ارسال هذا الاسطول لسواحل تونس وانتم لا يمكن لكم ان تمنعوا دولةالفرانسيس من ذلك وهو ارسال شتوفها السواحل تونس ولاجل ذلك لا يوجب عليكم لوم ولا عتاب من جنب الدولة العثمانية لانه لا وجه لذلك والدولة الفرانساوية تعلم تحقيق حالتكم مع الدولة العثمانية وحاشا لجنب دولتنا ان ترضى بما يوجب لكم غيرا مع دولتكم وانما مراد الملك أن تبقى جنب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير تبديل ولا تغيير لكن الدولة العثمانية لا يمكن لها ان تخترع امرا جديدا تضربه مصلحة الفرانسيس في الفاحية التي تحت يده في افريقية ولاجل ان يمنع ما عسى ان يقع من المضرة ارسال الملك اسطوله لتونس ليجتمع به قدوم قبطان باشا لاجل التصرف بما هو مأمور به والامرال لما بلغه ان قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلم ان مراده الاتيان لتونس في ذلك الحين ارسال الامرال جنبنا من الاجفان التي تحت حكمه ههنا ليعلم قبطان باشا ان حبيب السلطان الصافي وهو لك الفرانسيس لا يمكن له ان يفعل هذا التعدي بوجه من الوجوه في المملكة التي تحت يده في افريقية لان قدوم دونالمسلمين الى تونس يفتقرى بها قلب باى قسطنطينة الذى عندنا معه في التاريخ مكالمه وور بما كان بيننا وبينه حرب فلاجل ذلك نعلم قبطان باشا أن لا يقدم ويرجع للحل الذى جاء منه فان صمم وعزم على القدوم فان الامرال واجب عليه أن يصده ويمنعه بالدافعة القهورية بالقوة اهـ فانت ترى كيف صرح بالحالة المطلوبة مع قصر صرح بان الدولة العلية هي دولة تونس لكننا بما تميزها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فهذه هي السياسة

(١٥٢)

الخارجية لهذا القطر واسفر تعليمها الى سنة ١٢٨٠ التي حصلت فيها الثورة العامة  
الا تي بيانها رفاذي الالهالي بالتشكي للدولة العلية وقدمت شكايات شفاهية وكتابة  
لرسولها حيدر افندي عن قدمه بالاسطول العثماني مع اساطيل الدول وطلبوا  
بواسطته تدخّل الدولة العلية في تحسين ادارة القطر بل ان بعض البلدان طلبوا  
الاخضاع للحسي للدولة ورفعوا العلم العثماني وتدخل في هاته الثورة نواب الدول  
كل على حسب ما تقتضيه سياسته فاثرت الحسالة في الوالي ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة  
السياسية السابقة واتيح الرأي أن يرسل بالشكر للدولة العلية عماسفاته ويطالب منها  
تحرير مال وابطوالا امتيازات كتابة بما لم يبق معه مقال لقائل فسا فر بذلك الوزير خير  
الدين مع التفويض التام وقص على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبة  
وحصانت مذاكرات مع رجال الدولة عديدة انتجت الاتفاق على اصول الروابط المعنية  
على العوائد المعروفة الا تي بيانها في نص الفرمان الا تي وتلقى الوزير خير الدين مع  
مزيد الترحاب به من الدولة ما يغنيه للوالي شفاها من مزج - لاواة النساء عليه - بمبراة  
الاعتراض على تصرفاته التي هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك - تي من فم السلطان  
عبد العزيز نفسه - ثم رجع بمكتبه من الصدر فؤاد باشا محتويا على الاصول  
التي وعد بانها سيصدر بها الفرمان الذي صدر الاذن السلطاني به ولم يساعف الوقت  
للجنة له بصدد ورم ثم كتب الوالي يشكر ذلك واستقنض - دور الفرمان مرارا فبرد  
الجواب بالوعد وكان جميع ذلك غير معان به الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسا  
اذ ذاك في شغلها الشاغل من حرب المسابها فاطمأنت ايطاليا من جهتها وظفت  
تأمين التبعاء من الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهي ان وزير الحكومة التونسية  
مصطفى خونه دارا كثرى ارضا وسعة تسمى بالبحر ديدة الى اللجنة ايطالية وارسل  
الوزير احدث اعوانه الى تلك الارض راغما التسبب لفضيح الكراه مع ما في نفس ايطاليا  
من جهة تونس فادعت اللجنة خسائر حصانت لها من تعدى تابع الوزير لو بسطت من  
الذهب على سطح تلك الارض اسوسها وامتنع الوزير من تحمل ذلك فأعلن نفسه ل  
ايطاليا باقطع الخطا وتهدد الوالي وجهزت ايطاليا اسطولها للاستيلاء لولا تعرض  
الدولة العلية الذي حجزها عن ذلك وانفصلت النازلة بالشروط التي ارادتها دولة  
ايطاليا في الخسائر التي ادعت بها اللجنة ولم تختص بالواقعة فقط بل هي عمومية فتبين  
الوالي ان لاجبة الاباحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمر عاني تحصل منه الراحة

في مكتب

(١٥٣)

فيكتب الوالى يستحث اصـدار الفرمان وكتب الوزير خير الدين للباب العالى مكتوباً  
 في بيان الاخطار المحيطة بالايالة اذ لم تنـدارك الدولة العلية بحفظها فورد الجواب  
 من الصـدارة بأن نازلة الفرمان مهما تقتضى ارسال من يعهد من الوالى للتفاهم في  
 النازلة مع تلميح أو تصريح باستقباح السيرة التي عاينها الوالى والصدر اذ ذلك على باشا  
 ففهم رجال الحكومة ان الدولة غير راضية بأن يبنى الفرمان على ما في مكتوب الصدر  
 السابق فوجه الوالى الوزير خير الدين بالتفويض الذى (نصه) من عبد الله سبحانه  
 الموكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي سـدد الله تعالى  
 أعماله وبلغه آماله الى الهجوم المنهزم امير الامراء ابنه ناخير الدين الوزير المباشرة ادام  
 الله حفظه وأجل من السعادة حفظه (أما بعد) فانهما تقتضى ما تقتضيه من صدق  
 وأمانتك وكفايتك وجهتك للابواب العلية السلطانية العثمانية أعز الله نصرها  
 وأدام الله نصرها للكلام فيما يؤكد أصول عاداتنا المألوقة المعروفة الآن وما  
 تنفصل به مع الدولة العلية في ذلك بالحكمة فهو ماض في حقنا فوضنا لك في ذلك  
 التفويض التام بحيث لم تستثن عليك في ذلك فصلاً من فصول التفويض ولا معنى من  
 معانيه وأقنالك فيما ذكر مقام أنفسنا تفويضاً تاماً عرفنا قدره والتزمنا به والله  
 أسـمى لكم التوفيق والامداد وبلوغ الامال والاسـعاد ومع التفويض المتقدم  
 ومعرفة العادات المألوقة فان الوزير المذكور لم يتم شيئاً مع الدولة الا بعد ان عرض  
 على الوالى الشروط التي اسـتقر عليها الرأى للفرمان وقبول الوالى لها مع الاستحسان  
 فقم الفرمان مع الصدر اذ ذلك محمود نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متاعباً من  
 مناضلة رجال الدولة العلية في زيادة شروط الامتياز وفاضل الوزير خير الدين عن  
 حقوق البيت الحسيني بما يشهد له بصدق الوفاء والبراعة في السياسة ولم يرزق الفرمان  
 على ما تضمنه مكتوب الصدارة الا قليلاً ورجع الوزير خير الدين بالفرمان علناً مع اعلام  
 رتبة نيشانه واتيانه بالنيدان الجيدى الموضع للوالى ولعدة من كبار رجال الحكومة  
 بنياشين واما وصل الى مالطة لزمته اقامة مدة الاحتمال بها حيث كان في الاستانة  
 مرض الكوليرا ومن اسـتشار الوالى به وشكره على عمله أرسل له امير لواء العسـاة  
 مصطفى بن اسماعيل وهو اذ ذاك أعز المقربين اليه فواجهه من خارج محل الاحتمال  
 وأبلغ اليه التشيكر وبارات ليله ورجع في البانورة الخاصة التي قدم فيها واما قدم الوزير  
 المذكور بالفرمان المشار اليه عندله موكب كاعلى ما يمكن من المواكب والباس

(١٥٤)

الوالي النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نص) تعريه به بتعريب  
 الباب العالي الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مديراً أمور الجمهورية بالكر  
 الثاقب مقيم مهمات الانام بالرأى الصائب مهيئاً لبيان الدولة والاقبال مشيداً بركان  
 السعادة والاجلال المحفوف بصحة غوف عواطف الملك الاعلى الوالى بنونس الاسن  
 الحائز الحاصل للنيشان الجيدى الشريف من رتبة الاولى مع النيشان الهمايونى  
 العثماني المرصع وزيرى محمد الصادق باشا ادام الله تعالى اجاله آمين ليكن معلوما  
 عنده ما يصالحكم نوقبى الرفيع الهمايونى انه منذ وجهت وأودعت من جانب سلطنتنا  
 السنية ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المحروسة المتوارثة التى  
 عهدت ذات اللياقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن  
 السيرة والخدمة وتنسب الى طرفنا الملوكة الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار  
 ذلك قرينا لعلمنا المضى بالعالم فأمولنا السلطان على مقتضى الشيم المرضيه التى جعلت  
 عليها والدوام فى ذلك المسلك المرضى والجد والاجتهاد فى كل ما يبنى عمران مملكتنا  
 الشاهانية وسعادة أهلها تابعة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تسديم بذلك  
 استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى السلطانى المبذولين فى حقك وان فمتنا وتعرف قدر  
 تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنتنا  
 السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لدولتنا العلية وغواعرانها وتأسيس  
 اذنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البدعيات أن السلطنة العزيرة لا يعزها  
 ولا يؤودها صرف المهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتتمام استحصال هاته  
 المطالب وورد الطلب المذكور بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جانب  
 المخالفة العلية قررت وأبقيت اىالة بنونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بهد تال  
 بضم امتياز الوراثة وبالشروط الاتية وحيث ان مرغوبنا السلطانى على ما تقدم بيانه  
 انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهلها وهى الاسن فى حالة مضايقة  
 وتأخر فى الواردات لكل من الحكومة والاهالى قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال  
 ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعة المقررة  
 المشروعة رجة لأهلها الى تلك الايالة (ولما) كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة  
 للملكية الموكية صمدت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بنونس مرخصا له فى تولية  
 المناصب الشرعية والعسكرية والمملكية والمالية وهما السياسة ان يكون متأهلا لها

وفى

(١٥٥)

وفي العزل عنها بقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومه مع الدول الاجنبية كما كانت سابقا فيماعداد المواد المولى بكية العائدة الى حقوقنا المقدسة الموكية ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنة السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقدّم المعروض بطالب الضمان الشرىف من الوارث الاكبر من عائلته لك لطرف سلطنة السنية يرسل له الفرمان الشرىف مع منشور الوزارة والمشير به الهايوى كما سطر العمل بذلك الى الاكس بشرط أن تستمر الخطبة باسم السلطان وتزين به السكة التى تضرب هناك علامة عانية للارتباط القديم الشرعى لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنة السنية مع أجنبي يرسل العسكر من تلك الولاية الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة فى الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوارثة مخصوصا بعائلته على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الولاية مطابقة لشرع الشرىف وموافقة لقوانين العدل التى يقتضيها الوقت والحال السكافية بتأمين السكان فى النفس والعرض والمال لفاعلا لما ذكر صدر هذا الفرمان الشرىف الجليل القدر من ديواننا الهايوى وأرسل موشحاً اعلام بخطنا الهايوى السلطانى خلاصة نيابتنا الشاهانية انما هى اصلاح حال تلك الولاية المهمة وما لآل بيته كم وتقوية ذلك حالاً وما لا واسن كمال أسباب السعادة والرفاهية والامنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطانى ومأمولنا القطعى الموكى ان يبدل من جهته الجهد فى حصول ما ذكرتم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنة السنية السنية المحققة بتونس من قديم الزمان وعلى أمانة الاهالى القاطنين بتلك الولاية المودعة بعهدتكم مداقكم من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوارثة الاساسية المقررة فيقتضى ان تتأكد محافطتها عن طرق الخلل دائماً سرمداً ومتابعاداً عن وقوع الحال والحركة على خلافها اذا عرفت ذلك فلا بد ان تعرف أنت ومن يقوم مقامك فى أمر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلته ذرته النعم العلية الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك نسعى لتحصيل رضاى السلطانى بالغبيرة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حررى اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفرمان فى صحف الاخبار وحصل اذذاك من عموم

(١٥٦)

الاهالى أفراح خارقة للعادة فى ذات الحاضرة وفى سائر بلدان القطر وفى سائر قبائل  
العربان كل بما يناسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر ومتوالية والسبب  
فى ذلك أماما يعلق بالوالى فلاسته قرار أمره على أساس متين له ولعائلته طامسى فيه  
من كان قبله ولم يحصل عليه كاتقدم مع الارتياح من مقاصد الأجانب المتنوعة وأما  
الاهالى فالحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الإسلامية مع شروط الامن لهم  
وحسن الادارة فيهم من ولاتهم المتحمين بهم والمحبو بين عهدهم وان لم يحرم المطلوب  
فيهم على وجهه مما أبقي الباب مفتوحا في حقهم ولم يحصل من الدول الأجنبية أدنى  
انكار ولا معارضة لما تضمنه فرمان المذكور الادولة فرضا فلم توافق على الاعتراف  
به وبقي الامر على ذلك رسميا الى الآن لاكن المقاصد والسيره الصادرة من الوزير الحالى  
مصطفى بن اسماعيل وما نشأ عنهم من الارتباك يجب ان يجهل ما هو نتاجها والله فيهم علم غيب  
هم صائرون اليه فهذا هو خلاصة السياسة الخارجية لهذا القطر الى هذا العهد وهو  
جمادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبيه قد حدثت حوادث مهمة مما أشرنا اليه بعد الفراغ من هذا الجزء نفرد بها بديل  
وحدوها ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانس الخارجية

---

﴿ قد تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى ﴾  
أوله مطاب فى السياسة الداخلية  
من العمالة الحسينيه



﴿جدول الاحصاءات﴾

[illegible]

(٣)

الدول	التخوت	السكان عدد النفوس مليون	العساكر والتخوت	السفن حرمه	الدخل فرنك
العثمانية	القسطمطية	٢٢٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٨	٣٦٨٠٠٠٠٠
صربيا	مصر	١٦٠٠٠٠٠	٦٠٠٠	١٣	٢١٦٠٠٠٠٠
تونس	تونس	١٥٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠
العرب	فاس	٧٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠	لا	٦٢٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
بلوستان	كبلات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
مقا	براك	٧٥٠٠٠٠	م	٢	م
هرات	هرات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركان	مرو	٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض	رياض	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيرة		٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
اتشين	احسين	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الزنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠	م	٥	١٧٥٠٠٠٠
برنو	كوكوا	٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
وادى وقوايعها	وره	٤٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
فلاتا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
تذيكوتو وقوايعها	سان سان	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وحوارها	هرر	٨٠٠٠٠٠٠	م	م	م
العصراء الغربية	كبنرا وغريها	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م

(٤)

٢	لا	لا	٢	اسلام
٢	لا	لا	٢	اسلام
٢	لا	لا	٢	نصرانيه
٢	لا	لا	٢	مشركون
٢	لا	لا	٢	مشركون
٢	لا	لا	٢	مشركون
٢	لا	لا	٢	مشركون
١٨٠٠٠٠٠٠	لا	٢	٢	مشركون
٢٩ .. ..	٧٠٠٠٠٠٠٠	٢	٢	مشركون
٢	لا	لا	٢	مشركون
٢	لا	لا	٢	مشركون
٢٠٠٠٠٠	لا	لا	٢	نصرانيه
٢٦٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	٠٠١٢	١٦٥٦٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٢٨٤٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	٢٨٢٥٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
٦٢٤٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠	٢	نصرانيه
١٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٠٨٠٠	٢	نصرانيه
٢٦٦٧٠٠٠٠٠٠	٢٢٢٩٢٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
٢٧٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢	نصرانيه
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٠٦٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٥٩٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	لا	٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٢٦٢٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٩٤٨٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه
١٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	مخاطبه
تابع	تابع		تابع	مخاطبه
٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١ ٨	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانيه

(٥)

التورن	ادلى وعه ها	٤٠٠٠٠٠	م	لا	م
مهراته قديموس		١٠٠٠٠٠	م	لا	م
الحبشه	ادواح	٥٠٠٠٠٠	م	م	م
بوربا	ممدلاى	٢٥٠٠٠٠	م	لا	م
سيم	بان جونا	٦٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	م	م
كوشب الصين	فوشواشين	٩٠٠٠٠٠	م	م	م
كيبوديا	بنوم بنه	١٠٠٠٠٠	م	م	م
الصين	با كين	٥٢٧٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٢٧	١٨ ٠٠٠٠٠٠
الجاون	جدو	٢٣٠٠٠٠٠	٥٠٢٣٠	١٢	٢٩٠٠٠٠٠٠
نيبول		٢٥٠٠٠٠	م	لا	م
بوتان		١٠٠٠٠٠	م	لا	م
الجبل الاسود	حينين	٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠	م	١٥٠٠٠٠
ليونان	اقه	٢٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٣٠	٣٦٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	روميه	٢٧٠٠٠٠٠	٨٢٩٨٢٧	٨٧	٢٩٠٠٠٠٠٠
اسبانيا وملحقاتها	مدريد	٢٦٠٠٠٠٠	٢١٦٠٠٠	١٨٢	٥٨٨٠٠٠٠٠٠
البرتغال وملحقاتها	لزون	٨٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٥٠	١٣٠٠٠٠٠٠٠
فرانسا وملحقاتها	باريس	٤١٠٠٠٠٠٠	٢٤٢٢١٦٤	١٥٤	٢٦٦٧٠٠٠٠٠٠
سويسره	بارن	٢٥٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	٣٧٠٠٠٠٠٠
بلجيكا	بروكسل	٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	م	٣٠٠٠٠٠٠٠
النمسا وتابعها	فيينا	٢٨٥٠٠٠٠٠	١٠٩٤٠٠٠	٧٠	١٠٨٧٥٠٠٠٠٠٠
الهرن	بالفراد	٢٠٠٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠٠	لا	١٤٠٠٠٠٠٠٠
الرومانيه	بخارست	٥٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	م	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠
انكلاندير	لوندون	٣٠٠٠٠٠٠٠	٥٤١٢٣٥	٢٨٣	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠
الهند التابيع لها	كالكوته	١٧٥٠٠٠٠٠٠	٤١١٠٠٠٠	لا	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠
بقية مستعمراتها		١٥٠٠٠٠٠٠		لا	تابع
هالانده وتابعها	هالك	٢٢٨٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١١٨	٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠

(٦)

١٢٠٠٠٠٠٠	٢٥ ٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
١٢٢٠٠٠٠٠	٢١٢٠٠٠٠٠	١٧٧٠	١١٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
٦٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	٥٤٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٥٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	نصرانیہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
م	لا	لا	م	مختلطہ
١٧٥٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠	٧٤٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
١٢٥٠٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٧٠	م	نصرانیہ
٨٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	٣٨٧٧٥٠٠٠٠	نصرانیہ
م	م	لا	م	نصرانیہ
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
٢٨١٠٠٠٠٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
م	م	م	م	نصرانیہ
٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠	م	نصرانیہ
م	م	م	م	نصرانیہ
م	م	م	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ
١١٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠	٥٢٥٠٠٠٠٠٠٠	نصرانیہ

(۷)

المانيا	برلين	٤١٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٧٢	١٣٢١٠٠٠٠
السويد والنرويج	استكهولم	٥٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١٢٨	١٣٦٠٠٠٠٠
الدانيمرك	كوبنهاغن	١٨٠٠٠٠٠	٤١٠٠٠٠٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠
الروسيا	سان بطرسبورغ	٨٢٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٢٢٥	٢٠٠٠٠٠٠٠
بالس وماجارها	اسفار	م	م	لا	م
تيماني	كوران كوكا	م	م	لا	م
كرومان		م	م	لا	م
ليبيريا	برنوفيا	٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
فانكسي وماهها		م	م	لا	م
داهومييه	أومنج	٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	لا	م
كباس وماهها		م	م	لا	م
أورنج وماجارها		م	م	لا	م
بادحوان	كومان	م	م	لا	م
الجهول من اوريديها		١٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
ماد اسكار	تدانا ريو	٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
امريكا المقدسة	واشنطن	٤٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	١٧٨	٢٠٠٠٠٠٠٠
الملكسك	الملكسك	٩١٣٤٠٠٠	٢٢٤٠٠٠٠	٩	١٢٥٠٠٠٠٠٠
اماريكا لوسا	الكلون مالا	٢٥٨٠٠٠٠٠	م	لا	٨٠٠٠٠٠٠٠
كوبا	سانتي ديوكونا	٣٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م
بربر	ايجا	١٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٢٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
برازيل	ريبهودو-جرو	٦٥٠٠٠٠٠٠	٦١١٢٤١	٨٧	٢٨١٠٠٠٠٠٠
بوليفيا	شوكيزك	٢٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الشيلي	سانتيا كير	٢٢٥٠٠٠٠٠	م	م	٨٥٠٠٠٠٠٠٠
اروكواي	لنسيبون	٢٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م
تاكونيا	ماتيفيتو	٢٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م
ارجانتيني	وينوناير	١٨٧٧٤٩٠	م	م	١١٥٠٠٠٠٠٠٠

(٨)

ملاحظات

كل ما هنا اعتبارا لسا هو واقع في سنة ١٢٩٧

عدد نفوس المسلمين المستقلين باحكامهم	١١٦٢٥٠٠٠٠
يضم عليهم عدد نفوس المسلمين لداخاين تحت احكام غيرهم	
في الصين ٦٠٠٠٠٠٠	
في الهند ٤٠٠٠٠٠٠	
في روسيا ٨٠٠٠٠٠٠	
في فرنسا ٣٠٠٠٠٠٠	
في بقية الممالك ١٠٠٠٠٠٠	
١٢١٠٠٠٠٠	
	١٢١٠٠٠٠٠
	٢٣٧٢٥٠٠٠٠
عدد نفوس النصارى ٣٩٧٧٤١٤٩٠	
عدد نفوس الباقي من المشتركين وغيرهم ٧٨٩٣٠٠٠٠٠	
	١٤٢٤٢٩١٤٩٠



## ﴿الجزء الثاني﴾

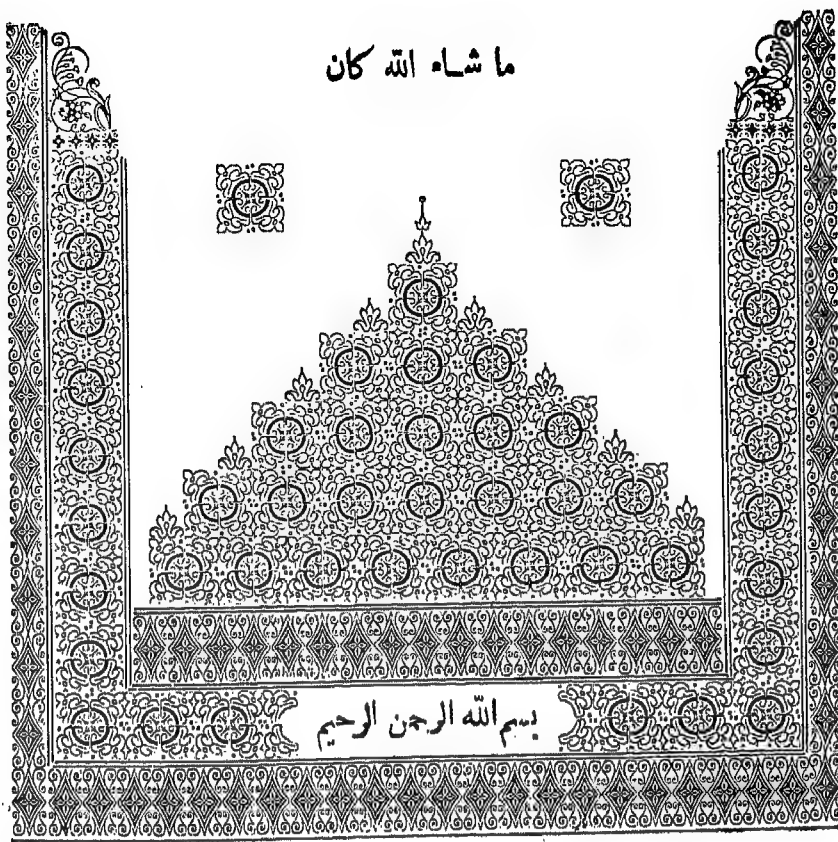
من كتاب

صفوة الاعتبار في استودع الامصار  
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ  
المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء  
وعبد عصره وفريد دهره  
الشيخ محمد بيرم الخامس  
التونسي نفعنا الله  
به وبعلومه  
آمين

﴿لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن  
تجبرئ على ذلك يحاكم حسب القوانين﴾

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمرسنة ١٣٠٢ هجرية﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(المطلب الرابع) في السياسة الداخلية من العائلة الحسينية اعلم انه منذ ولدت العائلة  
 الحسينية هذا القطر التونسي كان مدار أمرهم الرفق بالاهالي والنجول والتباعد عن  
 سمات الملك والرفاهة وغاية الالقب التي تحلى بها اتباعهم وأعاونهم هي (ما يأتى)  
 فأولها صاحب الطابع يعنى حافظ ختم الوالى ومأمور بته ختم المسكتيب ومباشرة  
 المتوظفين فيما لم يباشره الوالى ويكون هو الواسطة بينهما وثانها باش كاتب وله رئاسة  
 السكابة ومحاسبة العمال والرأى فى كل الأحوال وثالثها خزنة داره وحافظ مال  
 الحكومة فى قصر الوالى ورابعها باش أغه وله رئاسة أغوات أو جاق الخيل وخامسها  
 كاهية وله نيابة الوالى فى الأحكام وسادسها أمين الترسخانة ولنظرة ما يرجع الى  
 البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالى والمشتكين اليه مع رئاسة الحوائب  
 وهم الأعوان المخيالة للحكومة وهاته الوظيفة منقسمة الى شخصين أحدهما باش  
 حانبه ترك والآخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الأسر وثامنها باش مملوك وله  
 رئاسة

(٣)

رئاسة ادارة التصرف الاميرى وتاسعها الداي وله الحكم فى الجنائيات مطلق الا القتل فهو خاص بالوالى وله حفظ الراحة فى خصوص الحاضرة وعاشرها شيخ المدينة وله الحكم فى الليل وحفظ المدينة ليلا من السراق وترجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصوصات الاجانب فى الديون كما ان فى كل ريف شيناء لخصوص حفظه ليل واحد عشرها آفة القصبه وله الحكم فى العسكرية كشارى والجنائيات الخفيفة ومئة له آفة الكرى باحطاط درجته عن السابق وثانى عشرها رئيس محاسن التجارة ومعه عشرة أعضاء يسمون العشرة البكار ولا يختصون الا فى مهمهم كما ان لكل ضمانة أمينها فصل الخصومات المتعلقة بالصناعة وثالث عشرها كاهية دارالباشا وله فصل الجنائيات الخفيفة حول الحاضرة فهاتى هى أهم الرتب السياسية والعسكرية وأما العلمية فأولها الباش مفتى الخنفى أى رئيس المفتين ثم المسالكى ثم المفتى الخنفى ثم المسالكى وقد يزداد على واحد فى كل من المذهبين ثم قاضيان لكل مذهب قاض ثم قاضى باردو ثم قاضى المحلة أى العسكرية المسافر مع وارت الولاية ثم قضاة المدن الكبيرة ومفاتيها ثم قضاة المدن الاخرى والجميع مالكية الا ما يحدث أحيانا من ولاية مفتى خنفى فى المهديّة والمستير فهو له أصحاب الاحكام وهنالك وظائف دينية كالمدرس والامام والطبيب وصاحب الولاية أى الامير يجاس يوما بعمل يسمى المحكمة صبا حاتلى المشركين من العمال والمتوظفين ومن الحراية وقطع الطريق وامثال ذلك اما نواز المعاملة بين الناس فهى للعسكر الشرعيين ونوازل التجارة لمحاسبها والجنائيات الخفيفة يباشرها الداي وله الجديس مع الاعمال المشافة المسمى بالكر اكة وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مبلغ حرمه الشرع وهكذا كل نازلة فانها ترجع الى حكامها من مريانهم مع التوقيير التام للبحكام اهل الشرع ونفوذ احكامهم ولوعلى ذوى المناصب العالية ويختص رؤساء المفتين والمفتيون والقاضيان وقاضى باردو يوم الاحد بمحض الوالى وتورد عليهم سائر النوازل المهمة فى الحقوق الشخصية وليس للوالى الا تنفيذ ما يحكون به مسع غاية التعظيم والتوقير ولا زال طارف من هذا العمل الى الآن بحيث ان هبة العلماء وتوقير الشريعة لازالت فى القطر التونسي على بعض ما يجب لها من الاجراء وكذلك سائر الشماثر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكون عنه جهاته العبارة تعظيما وتوقيرا بل يكفى عنه بسب المنكر وترى الكبير والصغير يقول من سب المنكر اذيب الرصاص فى حلقه كانه هو حكمة المعروف وكذلك سائر العبارات القاحشة مما يكفى به

(٤)

عن العورات لاتذكر أبدا ومن يذكرها في خلواته يعد من السفهاء ولقد تغيرت في هذا المعنى الحال والله الامر (وأما) ما يتعاق بالجباية وصرفها فقد كان لا يؤخذ من الاهالي الا اعشار المحبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت واداء مالي حسب مقدار مرتب العساكر اليه كشارية مقسم على بلدان القطر يؤدي على ستة أقساط في السنة وهو نزر يسير ثم العاشر وهو المسمى في العرف بالحقوق ثم مداخيل الاراضي والاملاك الراجعة لميت المال مع ضرائب ضعيفة على القبائل مثل البلدان المار ذكرها عوضا عن زكاة المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاءهم كل قبيلة بحسب حالها ولما امتدت ايدي العمال بما يسمونه الهواة وهو أخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل برسم الضيافة ثم ما يلتقطه منهم باسم وهبة أي هبة ثم العقاب على الجناية بالمال جعل لذلك جوده باشا على العمال أنفسهم اداة يسمي بالاتفاق هو في الواقع قسط مما ينهبونه من الاهالي ثم زيد على ذلك ما يسمي بالافضية وهو ما يجعل رشوة للواسطة بين الوالي والعامل وأخذها ما أن يعطى منها قسطا للحكومة أو يأخذ السكل على حسب قربه من الوالي ثم ان جميع ذلك مشروط فيه أن لا تتشكى منه الاهالي فاذا خجعت قبيلة واشتكت للوالي من عاملها عزله حالا ويقال له لم يؤخذ منك مقدار يحجب بالاهالي فانت تجاوزت الحد ثم يصرف جميع ما تقدم في مصالح الحكومة والقطر من مرتبات العساكر وقواتهم وجرايات المتوظفين بغاية الاقتصاد وهي جرايات ضعيفة والناس اذ ذلك مقتنعون بعيدون عن الترفي يكتفون بصنوعات القطر في اللبس والسكن والمركب يكفهم القليل لاسيما العلماء فقد رأيت بخط بيرم الثاني نعمه الله في حساب خاص بشؤنيه ان مرتباته وجراياته من الاوقاف والمحكومة باغ مجموعها شهر يالي ثلاثين رايالاوسبعة أرباع الريال التونسي وثمنه مع ما هو عليه من جميع وظائفه العلمية وهي رئاسة القنوى ونقابة الاشراف وشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك في أوائل هذا القرن نعم كان له كما لبقية النجاس الشرعية جارية من الطعام وهي اثنا عشر قفزا قمحا ومئهاش عيراوا اثنا عشر مطرا زينا وكان ذلك كافيا له ولعائلته وأبنائه وكانت ولاية القطر من بني حسين بن علي يعتون بالاقتصاد وجل الاهالي عليه بأوجه سياسية لغيفة منها ان جوده باشا رأى كثرة لبس الشال السكتي ميراي الطيلسان في الاهالي فحضر من الشال المصنوع في جربة عددا ولبس هو ومنه وألبس رئيس الكتبة أيضا ونرجا بذلك اللبس يوم العيد لئلا في وفود الهندا وللصلاة وكان في اثناء اقبال الاعيان على هنائه يلفت الى رئيس الكتبة

ويقول

(٥)

ويقول جهره نعم الشال هذا صنع بلادنا فالنا ولا ضاعة أموالنا خارجها والاعيان يسمعون وهم لا يسون للشال الكشميرى فودوا ان لم يكونوا لبسوه من المنجل حتى ان من سمع منهم قبل الدخول عليه ازاله واستعار من غيره الشال الجربى وانكفوا من ذلك التاريخ عن الكشميرى وله وقائع عديدة مثل هاته وهو فى الحقيقة أعقل فروع ذلك البيت الذين استولوا على القطر فقد أنشأ فيه ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن والذخائر حتى ان مبانىه الخاصة به لم تزل منه فعايم الى الآن كبستان منوبه الذى صار قشله للخباله وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملوكه وأحانه مقام وزيره يوسف صاحب الطابع الملقب بأبى الخيرات من كثرة أياديه فى طرق البر مع الانصاف والاقتصاد الذى لم يكن القطر يتحمل سواه حتى ان حسـين باشا لما توسع فى الرفاهية بزيادة عمات قدم توقفت حكومته فى دين قدره خمسة ملايين ريات أى ثلاثة ملايين فرنك باع بهار يما سلبا للتجار الا فرنج ولم يمكنه احضارهم فنشأ عن ذلك ولاية شاكير صاحب الطابع الادارة بشروطه الشديدة على الوالى فى تقصير يريده عن التصرف فى المال وفى العمال وأخذ من دار الوالى اغلب ما فيها من فضة وذهب واحة سب على خاصة مصاريفه الذاتية وتجهيزات الاهالى أول ولاية مظالم مالية الى ان خلاص الدين وعمر خزائن الحكومة وموجبات الاقتصاد الكلى هى ضـعف واردات الحكومة للاقتصار على المحدى المداخيل الشرعية أو ماله شبهة بها كما تقدم فى توزيع جريات العساكر كتحفظا على الديانة وللأسير على ما نساء عنه الديانة أيضا فى غالب الاحوال الامانية سدر كالعقاب بالمال على اراجح من منعه شرعا وأمثاله كما تقدم طرف منه مادامت الرعايا راضية به ثم ان الاقتصار على ذلك لا يجتمع منه مبالغ تقتضى الترف لان طبيعة أرض القطر ولان كانت غنية غير ان كثرة توالى المحروب عليه والامراض والمظالم فى الدول السابقة أفنت من السكان القدر الاوفر فقد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افريقية فى صدر الاسلام و يعنى بها ما يشمل برقه المعروفة الآن ببني غازى وطرابلس وتونس والجزائر هو تسعة عشر مليوناً مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت أعمالهم واقتنعوا بما يسد الحاجة وبقيت الارض معطلة لوجوه منها عموم الجهل بصناعة الفلاحة وتعمير الارض وكثير الاتجار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله ف يرى انه يعمل لغيره فينزعه منه الماعث ومنها الاكتفاء بما خف له سهولة الرحيل فى الفتن ومنها عدم الثمرة اذا سمحت انـزال والمحروب لصعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

(٦)

وصولها لاتجد لها مشربا لمنع انواجهها من القطر لاجل الحروب المستمرة مع أوروبا الالبعض  
 الاجناس أحيانا لوقوع الصلح معه فاذا بقيت النتائج في البلاد رخص سحرها الزبادت  
 على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما مرالى (ولاية أجد) باشا فأخذت الحكومة  
 في طور تجديد بعضها الاها الى على مقتضى قاعة الساس على مذهب أمراهم وذلك ان  
 هذا الوالى كانت له همة عظيمة اكبر من حالة القطر وقد وجد في ولاية أبيه ابتداء  
 تنظيم العسكر النظامى فاعتناهم بهم وبمهماتهم وتعظيم رؤسائهم ثم جد في تفخيم هيئة  
 الحكومة تفخيما لا يخرجها عن المقام الحقيقى فلم يقل في مكاتبه ألقابا تشهر  
 بالاستقلال كاطلاق لفظ الدولة والمملكة ولم يطلق على نفسه لفظ ملك متحاشيا عن ذلك  
 كل القماشى هو وابن عمه محمد بن بعده وانما غير ما ليس المحقوق حتى غير الالقاب  
 المار ذكرها آنفا في الوظائف الشرعية لقب رئيس المفتين المحنفة محمد يرم الرابع  
 بشيخ الاسلام وفى العساكر النظامية صير لها رؤساء على مقتضى أصل اصطلاحهم وأهمها  
 على الترقى بين باشى ثم آلاى أمينى ثم قائم مقام ثم أمير آلاى ثم أمير لوا ثم أمير الامرا  
 أوفريق وأنشاء النباشين المهمة بالافتخار وجل له خمسة رتب ثم العليا وتسمى افتخارا  
 اكبر ومعه شريط من الحرير أخضر يسمى بالقاشه ويلبس على المكثف والصدور  
 والظهر على هيئة جمائليه ثم نشان آل بيته خاص بهم ويعطى للولك وأعيان بعض  
 الكبراء وشكل للوظائف السياسية وزراء ولقب كلا منهم بالوزير فى خطاباتة الرسمية  
 الا اذا عرض ذلك فى مكاتب الدولة العلية فانه يتحاشا عنه وأول من تلقب بذلك الالقاب  
 فى هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم  
 وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق ترينه للوالى لكنه لا تصرف له فى شئ معين ثم  
 الوزير مصطفى خزنة دار وزير العمالة أى الداخلية والمالية ثم مصطفى أغا وزير الحرب  
 ثم محمود كاهيه وزير البحر ثم جوزاف رافو وزير الخارجيه وفى آخر مدته لقب الداى بوزير  
 التنفيذ وهو اذالك كمشك محمد وكان كل من هؤلاء الوزراء يباشره بنفسه فيما يتعلق  
 بوظيفة ولا يتدخل واحد فى وظيفة الآخر شئ ولا نفوذ لأحدهم على الآخرين  
 وسما الا الوزير الاول لكنه لم يزلته وخوله وفهمه منغزى الوالى كان يقتصر على  
 نصح الوالى فيما يراه او يبدى له رأيه عند ما يستشير صاحب النفوذ الحقيقى هو  
 مصطفى خزانة لقرىب الوالى اليه ولان مقتضى وظيفة التعاق بالاهالى والعمال  
 وجميع أصحاب الادارة وحيث كان هذا التفخيم يستدعى زيادة المصاريف والميل  
 الى

(٧)

الى الترف مع ما في نفس الوالى من الكرم على أهل اصطفائه وكبراء العساكر  
دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالى باسماء سموها أنفقات الظهر وأوجبت  
الفقر وزعم ذلك المضمهر هو محمد بن عباد بالتحاد مع الوزير مصطفى خزندار مع  
انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة في يده من قوت العساكر وملازمهم وجميع  
المهمات للحكومة ولذا اتى الوالى ولذلك وظائف باسماء وهى الرابطة وهى قبض  
الاغشار ودفعها والى كوشة وهى محل الخبز والغابة وهى قبض اعشار الزيت وخرجها  
والغرفة وهى اشترا جميع مهمات الحكومة والى وانحصر جميع ذلك وغیره في ابن  
عباد وتغاضى الوالى عن المذکور وكادت ان تنحصر فيه ولايات جميع العمال ووظائف  
سائر جمایات الاموال لشركة سرية يئنه وبين ذى اليد وقدم ابن عباد لاقتداره على  
ارضاء الوالى باحضاره فعلا ووعدا ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة  
انطالم على ما ترسمه الحكومة باضعاف مضاعفة ومن اشكى لايجاب الا بقول الوالى  
اخاص مع عاملك وقوصل الى كتب الاوامر بخطه سرا هو والوزير وعضيه الى الوالى  
من غير علم احد مع تحميم الوزير لذلك عند الوالى بان ما يرسمه ابن عباد يكون خزينة  
حاضرة متى ما طلبها الوالى وجدها بالاسئلة على كسبه وجمع ابن عباد بذلك اموالا  
عريضة قد درهاريشارد وودقتل الانكليز بتونس الذى أقام بها ما ينوف عن  
العشرين سنة في رسالته التى ألفها قد حافى طريقة تلزم مداخيل الحكومة بمائتين  
مليوناً وهو المشهور على السنة العارفين في تونس وأرسل ابن عباد تلك الاموال الى فرانسا  
واحتمل على السراح للسفر الى هناك للتداوى عند ما علم هو وشريكه ان عاقبه وخيمه  
وأخس عباديهما وسرحه الوالى ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر  
الى هناك احتفى بدولة فرانسا وأعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية لشريكه وحصل  
على الاذن فيه اغير ان دولة فرانسا انقطعت لامره ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان  
سببها هو خيانتة له لاداه وهو عندهم من أعظم الذنوب كما هو في نفس الامر لكن ابن  
عباد لما تم الشروع الواجبة في نيل الجندية الفرنساوية وحصل عليها بالفعل قبل  
الاطلاع على أعماله لم يكن في وسع دولة فرانسا انزع ماناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك  
وعند ما علم أحمد باشا بامتناع ابن عباد مع الاموال المذكورة التى نهىها ولم يحاسب على  
تصرفه قبض لخصامه الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم اميراطور  
الغرائسيس نابليون الثالث فامر بعقد مجلس من ثقات المعتمدين في الوزارة المختار لجنة

(٨)

لانتظر في المنازلة وعرض الوزير خير الدين مطالب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه  
وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة في المنازلة وأرسل الأمر فيها بعد عدة سنين  
على صدور الحكم من الامبراطور بما لم يخصه

﴿ريالات﴾

ثبت مال عين قبل ابن عياد للحكومة	٠ ١٤١٧ / ٤٩٥
وثبت عليه أيضا قيمة رسوم بانه كره سراح	٠ ٢٠٩٠ ٢٧٥٠
	<hr/>
	٠ ٣٥٠ ٧٤٢٤٥

وثبت لابن عياد على الحكومة	٧٨٤٥٩٠٧
فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقي	<hr/>
	<u>٠ ٢٧٢٢٨٣٣٧</u>

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليوناً ومائتان وثمانية وعشرون ألفاً وثلاثمائة وسبعة  
وثلاثون ونصف كما صدر الحكم عليه بان يحاسب في تونس على الرابطة وغيرهما مما لم يمكن  
الحساب عليه في باريس وقد أفردت هاته المنازلة بتأليف مخصوص للوزير حسين  
حيث كان له خبرة بالمنازلة لانه كان جمعية الوزير خير الدين عند خصامه فيها وسماعه حسم  
الالداد في نازلة محمد بن عياد وما انفصلت هاته المنازلة الا بعد ما اشتمت في الحكومة نازلة  
مثالها اذ الوالي مرض في تلك الاثناء مرض الفالج وطالت مدته واستبعد الوزير مصطفى  
خزينة دار وعوض ابن عياد بالقائد نسيم الذي وظيفته انه قابض للأموال وكذلك عوض  
ابن عياد فيما يرجع للعمال بسعد بن عبيد وغيره ولم يمكن لبقية الوزراء انهاء الامر  
الى الوالي لمرضه وبقي الحال على ذلك الى ان توفي ذلك الوالي سنة ١٢٧١ في نصف  
رمضان ولم يترك على الحكومة ولاداً نقامن الدين بالربا ولا بغيره الا ما لا يمكن خلو الوجود  
منه كدفع اثمان بعض مهمات مما لم يحل أجله واقداً صان على عدم حصول الدين الوزير  
خير الدين لان الوالي كان أرسله لعقد قرض في فرا نسا عند ارسال العسكر لحرب  
الروس سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستبعد لكنه تشدد في شروط القرض  
وسوف حتى توفي الوالي المذكور وساعد وزيره محمد باشا على عدم الاستعراض ومع  
ما تقدم فاجد باشا مدة صحته لم يستبعد عليه وزير له ما ترحسنة في القطر أهما أحياء  
العلم بعد ان كاد ينذر فرتب في جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا بجارية قدرها ستون ريالاً  
في الشهر وهذا المقدار اذ ذاك له موقع عظيم لما تقدم لك في مقادير مرتبات العلماء ثم  
رتب اثني عشر مدرسا آخر بمرتبة خمسة عشر ريالاً في الشهر وخصص للأوليين موارث



(١)

من لا وراثته الرجوع ذلك لبيت المال وللتأمين احكاما تلاشتها أيدي العدوان كما  
أقام بالجامع خزان كتيب بها نحو سبعة آلاف مجلد وتنتج من ذلك احكام العلم وكثرة  
العلماء بالقطر ومنهم فحول يعز نظيرهم ولا زال ذلك مستمرا ولله الحمد ولما ولي محمد باشا في  
سنة ١٢٧١ لم يغير شيئا من نظام الحكومة لكنه جعل أكبرهم رفع المظالم على  
الرحا يا وجاب ثروتهم لما كان يتيقنه من المضرات التي كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء  
ابن عمه على ما كانوا مع ما في نفسه من حالة مصطفى خزانة دار لكنه غلبه على أمره فيه وزيره  
المستنصع لديه اسماعيل السني صاحب الطابع فكان كالمساح على حقه بظلمه  
عني الله عن الجميع كما يرد خبره (والسبب) في ذلك هو تخوف اسماعيل من تقدم أحد  
أقرانه لا وزارة المعتبرة وهي وزارة الهالة فأنفت نفسه من ذلك وواعد وعاهده  
مصطفى خزانة دار على الاتهام به وتقديمه على غير دأب في الوزارة فسارع للوالى  
وقال له لا غنى لنا عن مصطفى خزانة دار اعلمه بما لم يعلمه غيره من أسرار الحكومة  
وأموالها الى غير ذلك ولم يزل به الى ان أقره وعاهده على الصفاء والنصح وأما الوزير  
مصطفى صاحب الطابع فقد أبقاه شيخ الوزراء من غير مباشرة وأما محمود كاهيه وزير  
البحر فأنه توفي وولى عوضه الوزير خير الدين واقفتم الوالى أمره بثنق بص كبد العساكر  
بعد انفصال الحرب مع الروسية مع مراعات ضباطهم فابقي في الخدمة القادر العارف  
على قدر الحاجة وجعل لغيرهم نصف مرتبة مع ابقاء المقام وكذلك أسقط جميع المظالم  
على الاهالى وعوضه اباداه واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعي وهو ستة وثلاثون  
ريالا في السنة أى ثلاثة ريالات في الشهر وهي قدر فرتين كين الذى لا يجف باحد مع  
امكان ضبطه وضبط أيدي العمال عن التجاوز فيه مع تجبر العقوبة بالمال وعم ذلك  
الاداء على جميع القبائل والبلدان بالسواء ولم يبق عليهم غير الا عشر الجبوب من القمح  
والشعير وعشر الزيت أو عوضه من القانون وقانون النخيل أى الخراج على اعداد النخيل  
ولم يستثن من ذلك أحد الا أهالى المدن الكبيرة وهي تونس والقبروان وسوسة والمستعمر  
وصفاقس فابقي بها أنواع الاداء السابق المختلف الاسماء على أنواع المكاسب وتلفت  
الامة ذلك أهل بالسرور والانقياد الا السادات معاوين الاشراف من أهالى الويلين  
القبلي لعدم سابقية أداء عليهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية  
قدرا معينها هو أقل ما يمكن حصوله فى الغالب الآن يكون قحط بالمرّة واذا مدت القحط  
يسقط على صاحبه وذلك المقدار هو ربع القفيز من كل نوع وان زاد العشر الحقيقي على

(١٠)

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه لمن شاء كل ذلك تحاميا عن أبواب المظالم  
وهكذا رتب اعشار الزيت وجعل لها مكاييل منضبطة ولا ياخذ الا العشر وشيأ يسيرا  
مقدار ما عينه الكراء المعصرة وشدد النسيك على العمال فيما اذا امتدت أيديهم الى  
شيء زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب أعمالهم ياخذونها من الحكومة  
ولم تنفع جنانية العامل قرابته لانه كان صالما في الحق حتى عاقب اصهاره بأخذ ما أخذوه  
من الرعايا وسجن بعضهم بما كثرهم وسجن أتباعهم الذين شاركوهم في الاخذ وقسطوا  
فيه ولذلك انكسب الوزير مصطفى نخنة دار وصار على حذر الا ما ندر وأجرمته لوالى  
المذكور وكان هذا لوالى جريا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من المحفوق واشتهر  
خوف الوزير منه باطنا الى ان حصل من أحد أتباع القائد نسيم اليهودى سببا للدين  
الاسلامي علنا في مجمع عظيم من المسلمين وكان أمر الدين اذ ذلك وشعائره بالمكان الاعلى  
على ما تقدم يمانية فاهتزت البلاد تعظيما للخطر سيما وقد رأوا أن الرجل لئلا له الاحكام  
لانه انما قدم على مثل ذلك اعتقادا على الاحتماء بسيدته الذى هو من خواص الوزير  
و باغ ذلك للوالى وقد كان منذ قرييب قتل عسكر يالقت له يهوديا على مقتضى المذهب  
الحنفى من قتل المسلم بالذمى مع ان احكام قتل النفس فى القطر جارية على  
مقتضى المذهب المالكي لانه يرى القود بغير المحدث وهو الموافق لحالة أهل القطر  
ولمذهب أغلبهم وهذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر فخالف الوالى عادة البلاد  
وأجرى حكم المذهب الحنفى فلم يمه نظرا للهيجان العام توجيهه النازلة الى المجلس الشرعى  
فحكم المالكية بقتل اليهودى ووافقهم أغلب الحنفية وكتب فيها الشيخ بيم الرابع  
بالموافقة مع نقل نصوص مدارها على التمتع بغير المغاظ وقد يمنع به القتل وهو المعين فى  
معروضات أبى السعد وقد تحقق ما ظننته العامة فان الوزير عارض انتصار التابعية  
في انفاذ الحكم وطلب من الوالى ان يحكم هو فى الجاني بغير القتل وألح عليه فامتنع لما تقدم  
واحتال الوزير حتى باغراه قتل الفرا نسيك بالتدخل فى النازلة وأنفذه لوالى الحكم  
فانهزها الوزير فرصة ولاذ بفرا نسا بواسطة قتلها الى أن ألقى الاسطول الفرنساوى  
فى الحرم سنة ١٢٧٤ وألح ريثسه وقنسلهم وعضدهم قتل الانكليز على انشاء عهد  
الامان ومما استبدل به سكل منهم عمل الدولة العثمانية بالتعظيمات المخيرية حتى صرح  
بذلك وزير الخارجية لفرا نسا فى مكتوبة المرسل فى ذلك الشأن الى قنسله المأمور بقراءته  
على الوالى وتفاوض الوالى مع خاصته ووزرائه فى ذلك واستقر الامر على انشاء عهد

الامان

(١١)

الامان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين واعيان البلاد ونواب الدول ورئيس  
الاسطول القرائساوى (ونصه) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى اوضح للحق  
سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا  
ووعده العدل وتوابع الجائرومن اصدق من الله قبيلا والصلاة والسلام على سيدنا  
محمد الذى مدحه في كتابه بالرؤى الرحيم وفضله تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحة  
فبينها تبدينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما امره به اباحة ونديا وتحريمها وتحياتها فلا  
تجدل الله تبديلا وان تجدل الله تبديلا وعلى آله واصحابه الذين اقاموا  
على معالم الهدى علما ان اقتدى ودليلا وفهموا لشرعية نصابها وتواولا وابقوا  
سيرتهم العظيمة واحكامهم العادلة امانا حليلا ونستوهبكم اللهم توفيقا يوصل الى  
الاسعاد برضائك توصيلا وعونا على امور الامارة التى من جملها فقد جعل عبثا ثقيلا  
فقد توكلا عليك والتجسسا اليك وكفى بالله وكيفا (امام بعد) فان هذا الامر الذى  
قلدنا الله منه ما قلده واسنده اليما من امور خلقه بهم هذا القطر فيما اسنده الزمان  
فيه حقوقا واجبه وفروضا لازمة راتبه لا استطاع الاباء عنه التى عليها الاعتقاد  
ولولا ما نحن يقوم بحق الله وحق العباد فمعضنا النصيحة لله في عبادته وارضاه  
وبلاده والامل ان لا نبتغى فيه من بحول الله ظمنا ولا هضمنا ولا نخرم لهم في اقامته  
حقوقهم نظما وافي ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيتته من يعلم ان الله لا يظلم مثقال  
ذرة ولا يحب الظالمين في بريته فقد قال لنبيه المعصوم الاقواب ياد اودانا جملنا لك  
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين  
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والله يرى اننى آثر في  
قبول هذا الامر على خطره ومصالحه لوطن على ذاتي وعمرت بخدمة الفكرة  
والمدنية غالب اوقاتي وقدمت من التحقيقات في المجاميع ما علم خبره وظهر بعون  
الله اثره فانتشرت الامال وتشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال وانقضت عن التعدي  
أيدي الجمل واستقصاء المصالح يقتضى تقديم اجمال ومن رامها جلة فقد عرضها  
بسبب التعذر الى الالهال ورأينا غالب أهل القطر لم يحسن لهم الامنية باجراء  
ماعة دنا عليه النية وجرت عادة الله ان العمران لا يقع من غير الانسان الا اذا علم ان  
برأته هي الامن له والامان وتحقق ان سبيل العدل ينجي عنه خوف العدوان  
وان لا وصول لهبة من حرمانه الا بقوة الدليل ووضع في مكان ولا يكتفى لتحقيقه

(١٢)

الواحد والاثنتان فاذا رأى الجاني تعدد الاقطار غلط ان كان منصفاً حذسه وقال ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقدر أيضاً سلطنة الاسلام والدول العظام الذين على سياستهم الدينية اعمال الاعلام في النقض والابرار يؤكدون الامان من أنفسهم - للربة ويرونه من الحقوق الواجبة - المرعية وهو امر يستحسنه العقل والطبع واذا اعتبرت مصالحة فهو مما يشهد باعتباره الشرع لان الشريعة جاءت لاحراج المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل واقسم عليه فهو اقرب للتقوى وبالا من تطمئن القلوب وتقوى وقبل هذا كاتبة علماء الملة الاركان وبعض الاعيان بعزمنا على ترتيب مجالس ذات اركان للنظر في احوال الجنسيات من نوع الانسان والمتاجر التي بها ثروة البلدان وشرعنا في فصوله السياسية بما لا يصادم القواعد الشرعية - هذا واحكام الشريعة جارية مطاعه والله يديم الجهل بها الى قيام الساعة وهذا القانون السياسي يستدعي زمناً لتحرير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وأرجو الله الذي ينظر الى تلويحنا ان تستقيم به - هذا لترتيب احوال الرياسة ولا يخالفه ما ورد عن السلف الصالح من اعتبار السياسة وانا العبد الفقير لجهل لمصاير في عاظمته ثلث اليه النفوس وتكون منزلته في النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على (١١) قواعد الاولى تأكيدها لاسمان اسائر عتدا وسكان اياتنا على اختلاف الاديان والالسة والالوان في ابدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة لا يحق بوجه نظر المجلس بالشورى ويرفعه الدنيا ولما النظر في الامضاء أو التخفيف ما لم يكن أو الاذن باعادة النظر (الثانية) تساوى الناس في أصل قانون الاداء المرتب أو ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ولا يحط عن الحقير لمحقارته ويأتى بيانه موضحاً (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره من سكان الولاية في استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف والعدل في الارض هو الميزان المستوى يؤخذ به للمحقق من المبهطل وللضعيف من القوى (الرابعة) أن الذي من رعيته لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانتهم ولا تمتن مجامعهم ويكون لهم الايمان من الاذابة والامتهان لان ذمتهم تقتضى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا (الخامسة) لما كان العسكر من اسباب حفظ النسيج ومصالحته نعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا تأخذ العسكر الا بتقريب وقربة ولا يبقى العسكرى في الخدمة اكثر من مدة معلومة كما

(١٣)

نحرمه في قانون العسكر (السادسة) ان مجلس النظر في الجنايات اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم ان يحضره من نعيته من كبارهم تأييداً لغرضهم ودفعاً لما يتوهمونه من الخيف والشر بعة توصى بهم خيرا (السابعة) اننا نجعل مجلسا للتجارات برئاسة كاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا أجبنا الدول لانظر في نوازل التجارات بعد الاتفاق مع أجبنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجلس كما يأتي ايضاح تفصيله قطعا للشعب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا من المسلمين وغيرهم لهم المساوات في الامور العرفية والقوانين الحكيمية لافضل لاحدهم على الآخر في ذلك (التاسعة) نسمح المتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكل أحد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع أسباب تعطيله (العاشر) ان الوافدين على اياتنا لهم ان يحتفوا بسائر الصنائع والخدم بشرط ان يقبلوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب مثل سائر أهل البلاد لافضل لاحد على الآخر بعد الانفصال مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتي بيانه (الحادية عشر) ان الواردين على اياتنا من سائر اتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما ملك من الدور والاجنة والارضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يقبلوا القوانين المرتبة والتي تترتب من غير امتناع ولا فرق في أدنى شئ من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث ان المالك يكون عالما بذلك ودخلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أجبنا الدول فعلى عهد الله وميثاقه ان نجري هذه الاصول التي سطرناها على نحو ما بيناها وراءها اليه ان لعناها وانهد الله وهـذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم في حق نفسه وعلى من يكون من بعدى ان لا يتم له أمر الا باليمين على هذا الامان الذي بذلت فيه جهدى وجعلت سائر الحاضرين من نواب الدول العظام واعيان رعيةنا شهداء على عهدى والله يعلم ان هذا القصد الذى أظهرته وجعلت له هؤلاء الاعيان واشهرته هو ما أودعه الله في نيتي واجراء اصوله وفروعه فورا أعظم أمنيقي والمرء مطلوب بجهده ومن عاهد الله لزمه الوفاء بعهدده والحق هو العروة الوثقى والاخرة خير وأبقى واستحلف من لدى من هؤلاء الثقات والحجاة الكهسة ان يمسكوا معي في اجراء هذه المصلحة يدا واحدة بقلوب سليمة متعاضدة وأقول لهم ولا تنقضوا الايمان بعدوكم كيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون اللهم من أعاننا على مصالح عبادة فكُن له معيننا وأوردته من توفيقك عذبا معيننا اللهم اجعل لنا من عنايتك وعانتك مددا

(١٤)

وهب لنا من لطف رجة وهي لنا من أمرنا شدا من لك الاعانة على ما وليت ولك  
الشكر على ما وليت المهدي من هديت والخير كله فيما قضيت هذه مقدمة أنتجتها  
الاستشارة ورأها العبد الفقير بحاجة صالحة فاعنا اللهم ببركة القرآن وأسرار الفاتحة  
والسلام من الفقير إلى ربه تعالى عبدك المشير محمد باشاي صاحب الملة التونسية  
في ٢٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف صم من كتابه المشير محمد باشا  
بإي والله على ما تقرل وكيل (ثم علقه بالوالي) بحساريدنه الوزير مصطفى خزنة دار  
وزير المالية وأعضاءه مصطفى آغه وزير الحرب وخبر الدين وزير البحر والوزير  
اسماعيل السدي والوزير محمد وكاتب أسرار الوالي أحمد ابن أبي الضياف وأذنهم  
بإستخراج أحكام سياسية قد رعاها أعمال الحكومة واستخراج أحكام فريعة في  
الحقوق الشخصية يجري بها الحكم في القطر وأذن أن يكوز شيخ الاسلام محمد بيرم  
الرابع أحد أعضائه فامتنع من الحضور ودون مشارك من العلماء المخنفية والمالكية  
واستقر الرأي على اضافة الشيخ محمد ابن الخواجه المفتي الحنفي والشيخ أحمد بن حسين  
ريثس الفتوى في المذهب المالكي والشيخ محمد البنا المفتي المالكي وهؤلاء الاعلام  
الاربعة هم اكبر علماء القطر اذ ذلك فحضروا اولاً ثم امتنعوا واكفوا بان كتب كل  
منهم شرحاً منفرداً على الاحدى عشرة قاعدة المارذ كرهاً وبدوا فيها الاحكام الشرعية  
المطابقة لتلك القواعد واقتصر على ذلك متعللين بان لذي بداهم من مغزى الجماعة  
هو الميل البحت للسياسة الساذجة من غير التفات الى عمادة الشرع بل ويرى عارض  
ما يصادم القواعد وحيث كان عمل المجلس على ما يستقر عليه رأى الغالب لم يأمنوا ان  
يسندوا الى المجلس ما يخالف الشرع ويحمل ذلك على عاتقهم والذي تبين لكل من  
الفر يقين فيما بعد ما ولدته اللبالي ان الصواب في غير مسائله على ما يتقرر ان شاء الله  
تعالى في الخاتمة ولم يتم هذا المشروع في مدة الوالي المذكور مع حرص القناصل عليه  
وتأكيدهم بانه لا يحصى مما انهم هداهم عليه بالنيابة عن دولهم ولم يخل الوالي بذلك  
لانه يحب طبعاً العدل وانما عاقبه عن اتمامه الاجل وفي آخر مئذنه أغراه وزيره بتعاضد  
مع روس قنصل فرنسا حيث كان العامل فرانسوا باعلى ما يأتى وحسنه للوالي جاب ماء  
زغوان الذي كان جار يالقرطاجنة في قنوات من البنا وعلى حنايا بان يجلب على يد جمعية  
فرنساوية في قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحاضرة وانما يحصل من ثمنه للديار  
والزراع يوفى بالمصروف عليه في مدة يسيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمري

(١٠)

والمرسى وكان الولى مغرما بحب العمران والفلاحة وبالمرسى أيضا وهى معطشة من قلة الماء الملووف وافق على ذلك واتفقوا على جلبه وعلى بناء دار لقنات فرانساجية خارج باب البحر من الحاضرة بمقدار الجميع قدره اثنا عشر مليوناً تدفع على أقساط أربعة كل قسط فى سنة بثلاثة ملايين وقد عد بعضهم ذلك مبدأ من القطر حيث آل الى دين بالربا ولمحق انه لا لوم على الولى فى ذلك لان الحكم على ما هو موجود وعلى اعتبار بان الامر على الاستقامة ولا يحمل عليه فساد غيره وان بناء على شئ من أعماله هو فى نفسه سليماً اذ المفسد يدبى فساداً على ما يريد والنظر فى الحقيقة للعمل من حيث هو فى نظر نفسه هل فيه مصلحة أم لا وحاجب ذلك الماء على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهوة عطش البلاد فى أغلب السنين لان شربها من المواجل المحبوس فيها ماء المطر ومن يربطها بها ماءها غير خالص العذوبة تسمى بركلاب ويستعمل لغسل الصابون مياه فساقى حول الحاضرة لان ابارها ماءها لم لا يصلح للاستعمال لتنظيف البيوت وكثيراً من السنين تحصل الشدة للاهالى من قلة الماء صيفاً حتى يبلغ ثمن القلة المقادير وافرة مع التعب فى جلبه ثم اعزام الولى بالفلاحة ترغيباً للسكان فى العمران الذى اثر اقبالهم عليهم اعلى ما سيرد يستدعى جلب الماء الملو على ان مالية الحكومة اذ ذلك وافية بذلك المقدار لان الفلاحة التى هى ركن ثروة هذا القطر قد كثرت فى تلك المدة واقبات عليهم الناس اقبالاً عظيماً حتى غلبت اسعار الاراضى ما كوا وكرا او غلات اسعار الحيوانات وعلى قرض الاجير المسمى بالنجاس غلوا فاحشاً حتى بلغ قرض النجاس الى ألف وستمائة ريال وذلك لكثرة استغناء الاهالى سبيل الاعراب وانفتحت من صناعة النجاسة لاقدماء كل على ان يصير فلاحاً مستقلاً بنفسه وتبع من ذلك ثروة الحكومة ثروة زائدة على المعتاد مع نقصان المصاريف على العساكر فكان دخل الحكومة فى الاول نحو مائة وثمانين مليوناً فى السنة وبيان تقريره ما يأتى

ريالات

٩٧٠٠٠٠٠ عدد النفوس التى تؤدى الجبابة ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس

ريالات ٣٦

٠٠٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال فى الحاضرة المسمى فنندق الغلة

٠٠٠٠٠٠٠ دار الجملد أى محل دبغ الجلود

٠٠٠٠٠٠٠ كمرك الدخان

(١٦)

بالات	
كرك الساع الداخلة والخارجة	٠٦.٠٠٠٠
سراج نروج الزيت والقمح والمحجوب	١٠٠.٠٠٠٠
قانون زيتون الساحل وصفافس	١١.٠٠٠٠
قانون نخيل الجريد	٠٩.٠٠٠٠
محصولات المدن وغيرها أى الاداء على ما يساع فى الاسواق	٠٥.٠٠٠٠
لزومات صغيرة فى الحاضرة وغيرها كالمحوت والنخيل وغيرها	٠٥.٠٠٠٠
اعشار القمح والشعير على كل ماشية ربع قفيزها ومثله شعيرا	٦٧٥.٠٠٠٠
وعدد ١٢.٠٠٠٠ الماشى فيجتمع من ذلك اقفرة	
٣.٠٠٠٠ قحوا ومثله شعير سعر ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثانى	
اعشار الزيت متوسطا كل سنة امطار زيتا ١٢.٠٠٠٠ سعر ٢٥	٠٣.٠٠٠٠
المطر	
الجمع	٢٢٩٥.٠٠٠٠

فالبحكومة التى دخلها ما تقدم ومصاريفها الاعتيادية لا تتجاوز الاثنى عشر مليوناً الى  
أحد باسما مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زهده فهو خمسة عشر مليوناً الى  
الثمانية عشر ومصاريفها مثل ذلك لانه لم يتدأ شيئاً ومحمد باشا انقص كثيراً من العساكر  
فلم يكن مصروفه الاعتيادى يجاوز الاثنى عشر مليوناً نعم لمصاريف غير اعتيادية فيها  
يخص ذاته وماذا عساها ان تبلغ فاذا دفع من دخل الحكومة ثلاثة ملايين فى السنة مدة  
أربع سنين لمنفعة عامة لا يكون فيه ضرر ولا عتقاد على مثل ذلك اشترى له الوزير  
المذكور مصطفى خرفه دار مصوغا بقيمة خمسة عشر مليوناً تمسك ثمنه أيضاً لكون ذلك  
ذخراً للحكومة عوضاً عما باعه أحمد باشا من ذخائرها القيمة فى مصاريف حرب روسيا  
لان المال الناض يسهل اليه امتداد الايدى بخلاف الجواهرات مع ما فى طبع الوالى  
من الميل الى طابع الاقدمين ومنها ادخار المصوغ وهو ولان كان مسرفاً فيما يتعلق  
بذاته وجرمه بالنسبة لاسلافه لكنه يؤثر الاقتصاد للعامة واتباع الحكومة يان يستطاف  
لهم اى يقتصدوا فى مصاريفهم فقد تقدم عليه المولى الامام الشريف سيدي محمد  
الشريف فى رمضان وكان محباً للاشراف معظما لهم شذشة أهل تونس الاسلامية  
فأدخله



(٤٧)

فأدخله لقصص حرمه محتلية معه ماسطامو أنسأله فعرض في أثناء الخطاب لومه للشريف  
على التقصير في القدوم إليه فأجابته معتذرا ببعده مسكنه حيث كان مسكن الوالى بالمرسى  
وبتعب الركوب على ظهور مركوب للوصول إليه لانه ليست له كروسة أى محجلة فأجابته  
الوالى بان ملك مثله لا كروسة مضر لما يلزمها من المصاريف السنوية وهو لا يخلع عليه  
بإعطاء كروسة له بلوازمها ولم يكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمنها  
وثن ما يجرها على شرط أن يشتغل به فمأله دخل في مصالحه وأما ركوبه فانه مهمل أراد  
الركوب يرسل إليه ليعت له كروسة ليركبها وأعطاه خمسة آلاف ريال ولعمري انهما من  
نصح الاصدقاء وله في مثل ذلك كثير من المساعي سيما فيما يعود الى تكثير الفلاحة  
وغراسة الزيتون والاشجار من الالهالى حتى رغب أهالى الحاضرة أيضا وأنشأ وفى مدته  
القصيرة ما يذيف على السنتين ألف شجرة من الزيتون فى أرض تعرف بعبى خوجه  
من مرتاق وقوف رحه الله ولم يترك على البلاد ولاداة تقاديرنا بالبالا الاموال المقسطة فى  
مقابله الاشياء المنارذ كرها وبقايا أثمان أشياء مما لا يخلو الامر من مثله مع انه ترك  
خزائن من الحديد ملوأة بسلوكات الذهب التى أنشأ ضربها كما ترك خزائن مملوءة  
ملاكية بالمصوغ والياقوت الالبيض المسمى بالاماس أو الديامنت المتجمع من النباشين التى  
أبطأوا وأخذها من أصحابها وعوضها بنباشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعوض  
أصحاب الرتب العسكرية علامات فى أعناق لبامهم وقد كان كل من أرباب نباشين  
الافتخار ومن أهل الرتب العسكرية له نباشين من الديامنت مختلفة النوع والنفاسة  
على حسب الرتب فمنها نباشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهى كثيرة جدا  
فاجتمع منها مع ما اشتراه مقدار ما يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأتباعهم بل وجميع  
آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا فى (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان  
هذا الوالى يتقى الصعوبات ويأتمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة  
كانت الوقائع تختلف فى مدته اختلافا يمتدنا بحسب الوزير الذى يمدده التصرف مع ان  
الوالى متقيد فلذا لم يذكر كل وزير بانفراده والوقائع التى جرت مدته ولانته ومساعدته  
لان الوالى يأتمنه ويعمل على رايه وهى القاعدة الجارية بها عمل الممالك المتقدمة  
لوقت شروطها وهى جعل محتسب من الامة لمراقبة أعمال الوزير حتى لا تضرب به  
ولابالامة غيرانه ينسب الى الوالى تفخيم أمر الحكومة فاطلق عليها لقب الدولة  
وعلى نفسه لقب الملك وأدجم ذلك فى الفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

(١٨)

نسخنا على سائر الدول ليكونوا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطورنا بايمون الثالث  
نسخة منه عند الاجتماع به في الجزائر وكتب تلقيب وزرائه باسم الوزير في مكاتيبه  
للدولة العلية وقيل له في ذلك من بعض رجال حكومته فقال الدولة لها السيادة علينا  
وطاعتها واجبة وامكن لانهم انفسنا وكذلك اخترع زيادة النباشين وقادتها نفسه  
ورجال حكومته وغيرهم فنهنايشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاجر والاخضر جعل  
للبسه قانونا وعدا ويتبعه شريط ابيض مثل الذي سبق ذكره في اختراع احمد باشا  
ومنهنايشان عهد الامان على شكل آخر وخصصه بأصحاب المباشرة في الوزارة الى غير  
ذلك من الاشياء التي مدارها على الابهة مع رافعة نفسه ورقة قلبه وأول ما افتتح به  
حلفه باليمين اللازمة في قبول بيعته على مقتضى عهد الامان وسرد عند البيعة العامة  
الترامانصه

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك من جعل الامان أقوى أسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله  
وصحبه ومن تبعهم باحسان (أما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق  
باشا باي وفقه الله لمسيره وأمانه على ما أولاه اني قبلت البيعة من الايمان الحاضرين  
على ما وقع الالتزام به في العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس  
أنهنا المشير سيدي محمد باشا باي وهو عهد الامان لسائر السككان على الاعراض  
والاموال والاديان وما حواه من القواعد واللوازم والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده  
وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفة ولا انعاده وهذا الكلام صدر مني ونقله الناطق  
به عنى وخطى وختم في فيه أقوى شاهدا وأوضح اعلان لسكل من حواه هذا الديوان وسائر  
الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة ويد الله مع الجماعة حر يوم  
السبت الخامس من صفر الحير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى الوزراء فوجه الى الوزير  
مصطفى خونه دار هو صاحب الشفوف على السكل لالتفاف أغاب أتباع الحكومة عليه  
وانقيادهم اليه ورغبة ورهبة لماله من اليد وكذلك قنائل الدول فسلم اليه امر الحكومة  
واقبله بالوزير الاكبر وبقي منفذ الراية ملازما للسيرة على نهجه في كل أمر حتى فيما يعود الى  
خاصة ذاته فكم كثيرا ما كان يلبس الوالى ثيابه ويتقلد بمنطقته نهيمنا الى كونه الى الحاضرة  
في كل يوم من رمضان ليكون عادته ذلك ويبقى منتظرا الوزير ليركب معه لانه لا يركب دونه  
فبدر عليه رسول الوزير معتذرا له بأنه غير قادر في ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوى

(١٩)

فيلجى الوالى عزمه ولا يتوجه للحاضرة وحده وكان لا يباشرفها شيأ من الادارة وانما يذهب لجرد التنزه والتفرج على الاسواق من شبائيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

المطلب الخامس في وزارة مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رجل أصله من قرية قرب ساقس جلب الى تونس وسنه دون العشرين وأخذة أحمد باشا ورباه وتعلم القراءة والكتابة وبعض الفروض العينية كالنجويد والوضوء والصلاة ونشأ على مسيرة أخلاق سيده يشوشا غير متفحش غيور على من انفق اليه جالبهاهم الارباح بكل وجه كما انه كان غيور على تقرب أحد من الوالى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد فى الصالحين ومن انفق الى معرفة المحدثان مواظبا على قيام الثالث الاخير من الليل وله فيه ايراد مخصوصة الى ان يصلى الصبح ثم ينام وكان أولا قبل كبريئيه ذا كرم كثير العطاء لمحاشيته ثم صار شحيح النفس حريصا على الامساك والتقتير ولم يعهد انه باشر أحد اشتهم أو كلام منكمر مودة وزارته على طولها وهى خمسة وثلاثون سنة الارحان يقال لاحدهما على زيد وللاخر عثمان هاشم وكان لا يقدم اليه أحد بطاب شيأ منه الا بعد بقاء حاجته كيفما كان حالها مع انه ربما كان الوفاء ببعضها غير ممكن وقبل له فى ذلك فأجاب بأن سابقته تأبى أن يقطع الطاب ويؤثسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى أن تعليق الآمال أولى من الاياس منها ولذلك كثير ما حصل منه الخلف بما يعهد وصاهاه أحمد باشا على أصغر اخواته ثم ولاء خزنه دار ثم لما أحدث أحمد باشا القاب للوزراء ولاء وزارة المالية وهى عبارة عن التصرف فى الداخلية فراكن اليه محمود بن عياد وشار كاسراحتى صار المهتسب والمحتسب عليه شر يكين وحصر دخل الدولة ونخرجها فى محمود كما تقدم وللنجاة بما حصله من سهل خروج محمود الى فرانس من غير حساب وخانه محمود فأظهره عقد الشراكة مع مصطفى خزنه دار وطالب على يد مجلس المحكم الزام الشرىك بدفع نصف قيمة الساع المملوكة لمصالح الحكومة واستولت هى عليه بعد خروجه من تونس وعرض هذا المحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنسل فرانس فى تونس كما أظهر ان شرىكه خزنه دار كافه بطاب جمالية فرانساله كما قرره فى الصفحة الرابعة من الرسالة الاولى التى عرضها على مجلس المحكم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانسا عن ذلك والحال انه لم يبدله من سيده موجب لذلك بدليل بقاءه على منصبه وتصرفه الى ان مات سيده ثم بعد سفر محمود بن عياد استعوضه بسعد بن عياد وجعله سمسارا على بيع

(٢٠)

الوظائف في مكان المتولى يدفع ما اتفق معه عليه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهله  
عمله مع كونه مضطرا اليه لانه ما دفع المال لشراء الوظيفة الا ليربح ما يتعيش به وما  
يدخره للاستقل وعظم بذلك الخطر والفقر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عياران  
كثيرا منهم يساقطون حب الزيتون بالاجرة لاربابه وعند ما يتم عملهم يأقون الى  
الفلاح ليحاسبوه عما تجمع لهم من المال ومعهم أحد اتباع هذا العامل فيحصى لهم جميع  
أجرهم بعد اخراج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم الى دار العامل ليقبضه  
لانه حاجر عليهم في قبضه وأشبهه ذلك كثيرة كما انه استعوض عن ابن عباد فيما يتعاقى بشراء  
مهمات الحكومة ودفع أموالها أناسا منهم عطية الذي وقع منه أمور عجبية منها انه  
ولى على اعشار الزيت ودفعها في مصاريفها المعينة ومنها الابحاف في مؤنة العساكر  
في مكان يدفع اليهم الردي من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل من سوء  
عمله انه كان يدفع للعساكر أو ساخ الزيت الذي يحمل في قفاف الحلفة ولا يسيل منها كما  
كان يصك ما لصق بحيطان مراجل الزيت ودنائه المسماة بالمجرار وما تجمع من ذلك  
الدمع الوسخ يغلى في الماء البسخ ويدفع للعساكر على انه زيت والارباح التي تحصل  
لعطية كان يصرفها المصالح الوزير خزنة دار ومنها انه ابتدأ في بناء جامع قرب باب  
القرجاني ونسبه الى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعض منه على يد ابن عباد  
والبعض الآخر كان صرفه على يد عطية المذكور والدليل على ان ما صرفه لم يكن له أنه  
مات مفاسا ومع ذلك لم يتم الحجاج الى الآسن وقد بنى الوزير خزنة دار سيدي لابطعاه القصبية  
ووقف عليه حوانيت بجواره ولا زال مستمرا الى الآن وقد استعوض عن ابن عباد أيضا  
القائد نسيم شمسمة وجعل وظيفته كونه قابض الاموال وكان يشتري المهمات بسعر  
ويحسبها على الحكومة باضعاف كما انه حصل بواسطة الوزير المذكور بناء لعدة  
زوايا منها تجدين زاوية الولي الصالح القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه  
السكانفة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالي اذ ذاك أحمد باشا  
تلميذا للشاذلي رضي الله عنه وكذلك جدد بناء زاوية الولي الصالح سيدي علي الخطاب  
رضي الله عنه الذي هو أحد تلامذة الشاذلي السكاروهي في الجهة الغربية من تونس  
تبعدها ثمانية عشر وعشرين ميلا في الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا  
ومن ساروا به الحجاج على شيخه السكائنة قرب الحلفاوين من ربض باب سويقة من  
حاضرة تونس وهو منتسب للولي الصالح سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وبنيت

بناء

( ٢١ )

بناه حسنا ومنها تجد يد بناء زاوية الولي الصالح ملاذ أهل تونس وعمدتهم سبذي محرز بن  
خالف رضى الله تعالى عنه وهو رجل كبير فى العلم والصلاح من كبار رجال مذهب  
الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبنيته بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك  
من مال الحكومة كماله استوهب من الوالى محمد الصادق باشا نسخة السيجوى التى  
بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وأنفق على تشييفها عدة مئين من الالوف  
من مال الحكومة وحفر لذلك خندقا يترقى واد بين جبال المحل المعروف بيمر القصة ثم يتر  
على الوهاد المعروف ببجيرة باش حانبه ثم يصل الى الارض المعروفة بدار ابن عروس  
وهناك ينهل الماء المنحد من السبخة ففصل بذلك تاف الاراضى التى على مصب ذلك  
الخندق لانه لم يجعل لها سبيلا الى الوصول الى البحيرة مع كون مائه ملحا اجا و تعلمت  
عند مصبه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ما والا من الجهة الجنوبية  
فى وقت الشتاء لتعطل طريقه الاصلى من الوحل فصار الطريق الشتوى أيضا ماعطلا  
أوصعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البحيرة انما هو نحو  
ميترون ونصف فقط ويلزم لانحدار الماء فى الاقل صانتي ميتر لكل ميتر وطريق الخندق  
لما كانت طويلة لم يكن فيها الا انحدار المطلوب فلم تنشف السبخة وقد أئذر بذلك أحد  
حذاق المهندسين وقال لا يمكن تشييفها الا بنفق تحت جبل المنوية لقرب المسافة  
الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقى الامر على ذلك الى ان سد  
الخندق فى بعض جهاته باذن الحكومة فى وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق  
وعن الاراضى المشار الى جميعها كما شرع فى عمل طريق صناعى بين تونس وحذاق  
الوادى فعمل فيه من جهة حذاق الوادى نحو أربعة أميال ومن جهة تونس نحو خمسة  
أميال ثم ترك فأما الذى من جهة حذاق الوادى فأبطلته جمعية طريق الحديد وأما  
الذى من جهة تونس فلم يزل منتفعا به لكانه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه  
ضرورى فى وقت الشتاء حيث ان الارض التى يمر عليها المسماة بالخضر اصعب المروور  
اكثر الوحل ولما ولى محمد باشا وأقر الوزير المذكور بمعاونة الوزير اسماعيل السنى  
حصل الاغراء للوالى على محمد المرباط أمير امرا عساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى  
صالح شديوب أمير لواء عساكر غار الملح وغيرهم من خاصية أحمد باشا من أبناء البلاد  
فنزعت رتبهم واستوصلت جميع أموالهم وسمع الثقات من وزراء أحمد باشا الحاضرين  
مواطن الاغراء شدة انفعالهم من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بواسطة

(٢٢)

ما تقدم أراد أن يبرهن على صدق ما وصفه به الوزير اسماعيل السني من الصدق  
والنجابة وعلم ما لا يعلمه غيره فطلب من الوالي عمل حسابه عما مضى وبعد اتمامه جاء  
بالدفاتر والتخفيض ما عرضته على الوالي محمد باشا ورأيت في صفة الموطن بخط الوزير  
ابن أبي الضيف ما نصه وقال له بحضور الوزير راور جال الدولة هـ هذا حسابي قبضت  
في مدة خدمتي ما هو مرقوم في هذا التلخيص وصرفت في المدة ما هو مرقوم ايضا وكان  
المصروف أكثر وأناغ يرطال له ولم أدفعه من مالي وليس على دولتك المباركة دين  
فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قاذح في هذا الحساب ومن أين جاءت  
هاته الزيادة فأجابه الوزير بلبين وسياسة لك أن تتطرق في فصول القبض هل نقص منها  
شيء وفي فصول الدفع هل زاد فيها شيء وما وراء ذلك نتيجة أصابعي ولي أن أطلبه لو  
استعملت الخيانة ولهذا أتيت بالدفاتر ليطالع عليها كل من يريد الانتقاد فنجعل القاذح  
المخ والكتاب المذكور عالم بالبلاغة حيث يرى بقوله فنجعل أي نجعل من الجواب  
لأنه قبل أن المسال من الاشياء التي لا تنمو ذاتها فالقسمة العقلية أما أن يكون من فصول  
المقبوض شيء لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطواوي التي لا تنضب كالأخذ من الأعمال  
زيادة على الموظف أو تكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار  
الحقيقي متهاون ما رسم في الدفاتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهـ ذان  
الاحيران قد اقترأ الوزير بعدهما واقرار الانسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد  
الوجوه السابقة ولعلها هي المرادة بقوله بأصابعي ثم انه في مدة محمد باشا لم تقع مظالم  
الرعية من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالي وانما يقال انه جعلت له حصص من المسال  
والمصوغ جعل الامن الجاهل بين الماء زغوان وبأبني المصوغ ليكون العـ قدبة تلك المقادير  
وفي آنزومة الوالي المذكور لما رضخت قدمه حصل الاخذ بالوزير من بعض العمال  
بدعوى انه مع تشديد الوالي في قبض أيديهم لا بد أن يسرقوا وجعل السمسار رجلا يقال  
له خليفة الساس مشاركا لسعد بن عبيد مع التحذير من ان يظهر أدنى تشك من الرطاي  
وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد العلماء قصيدة يستغث بها القبط  
الصالح سيدي أحمد التحاني رضي الله عنه لم سادهي القطر من تلك الاعمال

﴿مطلعها﴾

كادت تنبطر جواهرها بالياس \* ههـ ففتونا يا أبا العباس

(الى ان قال)

(٢٣)

انا اليك نبذ ما قد دنأنا \* من مكرذى شرشـ ديدالباس  
درب على فعل القباثع قائم \* بالجورنا عن مدى القسطاس  
﴿ثم قال﴾

نشبت مخالب كيدته في قطرنا \* وبدت مضرتة على أجناس  
ومراده والله يعمو رسمه \* المحاقه بالاربع الادراس  
خفيت مدارك كيدته فتصيرت \* في غورها النبا من الاكباس  
حار اليبب ولم يفد تخمينه \* مع ضربيه الاخماس في الاسداس  
﴿ثم قال﴾

واستأصل الاموال من أربابها \* ورماهـم بالذل والافلاس  
كل تراه وقد أمض فؤاده \* يشكو القديم وللجد يدبقاسي  
الى آخرها وهي طويلة مع أن التباعد بين وظيفة المشتكى والمشتكى منه مما يؤيدان  
الشكوى عن غير اغراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم لما استولى محمد الصادق باشا  
وكان الوزير يخشاه لما هو مشـهر عنه من الصـلابة جـدد الوزير في اتمام قوانين  
عهد الامان سيما واليد كانت فيها جائلة من قبل للاطمئنان على نفسه بدليل ما جرى  
بعد وأظهر مبله اليها لاهوم العدل لكي يستعين بمجبي الانصاف على انفاذها فقمها  
وشرع في العمل بها في ١٥ شوال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالى على انفاذها وعدم  
مخالفتها وكذلك سائر المتوظفين واستغرقت جميع مداحل الحكومة في المصاريف التي  
عظمت وكثر المتوظفون والكتابة على ما تستدعيه القوانين وزيادة وفرت المرتبات على  
شيوخهم معهود في القطر حتى صار لذات الوزير خزنة دار من المرتبات ما يbane في السنة  
ربالات

١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الهالة
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على نيشان آل بيت الوالى الذى هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجمع

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومة كما تبين من الحسابات في الحكومة

(٢٤)

وجعل القائد نسيم لا يدفع لمن يطلب المال من الحكومة الا باسقاط مقادير رابحة زيادة على الارباح من شراء المهومات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع المال المطلوب للاقادات المارذ كرها من ماء زغوان وغيره ديناً بالبا واستقرض له مبلغاً بالربا من أوروبا قدره نحو تسعة عشر مليوناً فرنسكاً حسب ما هو محرز بالنقرير المصمم بخطه ونخط المجلس الاكبر وقد برح اذذاك الخفا وبان لعقلاء رجال الحكومة سوء تصرفاته فكان أعظم المضادين له من كان أكثرهم قرباً اليه وأنحواعه في الكف عن تلك السيرة فصار لهم بالمرصاد وصار يشتمهم عند الوالى ويقدر فيهم عندما كان يقول فيهم لافه - لم حالة الوالى وانقياده اليه ورام نقض القانون أو باقائه صورة لان مقصده الامن على خصوص ذاته قد حصل بجرى ان الوالى على رأيه وابعاده كل أحد عنه الا الخدمة المخدمة ذاته واشتدت المشاحة بينه وبين الوزير حينئذ الى ان استعفى من وظائفه ثم تبعه الوزير حسين والوزير مصطفى أغه والوزير رستم وخلا الجولان خزنة دار وأخذت السيرة في طوراً أخر جديد ورام ان يضاعف أداء الحماية على الاهالى ويصيرها اثنين وسبعين ريالاً على الرأس عوضاً عن الستة والثلاثين ريالاً التى أسسها محمد باشا وطالب موافقة المجلس الاكبر فامتنعوا واسددها بدهوباً مضاعفاً مع تخذير العقلاء له فلم ياتفت اليهم مع ان الاهالى في ثروة من أثر سيرة محمد باشا تقويهم على الدفاع عن انفسهم مع ما استأمنوا به من تلك السيرة وسعاهم بأن العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام على حقوقهم فامتنعوا قاطبة وأراد غضبهم على ذلك فثار القطار كله ثورة واحدة لم تعهد من قبل على غاية من الرياضة والامن بحيث لم يتعرضوا بالاذية لأحد مع أمن السبل وكثرة الغادى والرائح وضبط كل جهة ببعض أهلها الردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان متولى أكبر الجهة الغربية والملتف عليه أكثر قبائل الاعراب رجلا يسمى على بن غداهم وذلك سنة (١٢٨٠) ولزالت هذه الثورة تسمى ثورة ابن غداهم وكانت الجهات باننا اخوان ومطلبنا واحد وليس المراد منه الا فساد فالواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا نتعرض لأحد بشئ سوى اتباع الحكومة فاذا أرادوا غضبنا على الظلم ندافع عن انفسنا وأنذرت القبائل عمالهم الذين كوفوا بين أظهرهم فن أراد منهم التوجه الى الحاضرة أوصلوه بأمان ومن أراد الإقامة منكم فاعن التدخلى فى أمرهم أبقوه بأمان ولا توجه أمير الامراء فرحات الى الكاف لاجبار قبائل ماجر على ذلك الاداء تعرضوا له وقتلوه فشدد الزكبر عاينهم على بن غداهم وقال لهم أصل اتفاقنا ما هو على الدفاع عن انفسنا وما ضرركم

قدوم



(٢٥)

قدوم الرجل الا اذا حاربكم فدافعوا عن انفسكم وكاتب المذكور رئيس القضاة العلامة الشيخ أحمد بن حسين وطلب منه التوسط في الصلح مع الحكومة وحاصل مطالب الجميع ابطال الاداء المجدي وعزل الوزير مصطفى نخونه دار ومحاكمته فامتنع الوالي أولاً من جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق أمر الوالي نافذا الا في المحاضرة ونحو اثني عشر ميلا حولها واشتد الخوف في المحاضرة وقدمت اساطيل الدول واسطول الدولة العثمانية وفيه رسول سياسي انزل في قصر المملكة بالحاضرة وقد اخذت نواب الدول في المنازلة وفي قبائل القطر وبإدائه كل ما يوافق سياسته وكان من جملة المحام قدس الفرانسييس على الوالي لارجاع الراحة عزول الوزير نخونه دار لكنه خاطبه بذلك شفها كما هو مشهور في البلاد ورأيه بخط الوزير ابن أبي الضياف وأصر الوالي على الامتناع الى ان أحضر الوالي معسكر قليل لوجهه تحت رياسة اسماعيل السني لميل الاعراب له لصدقه ثم خلفه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على اعطاء الوالي الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب وعفا الله عما سلف وكتب الوالي بذلك وأمره وباشر باعطاء الامن كل من وفد عليه من الرؤساء وانتزاع الوزير الفرصة لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لطلب ابطالها وما سمع ذلك من أحد لان أصولها لاتنافي الشريعة وغاية ما تسكمت فيه الناس هو فروع منها وذلك انهم أنكروا كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية في كثير من المسائل ونسبها للجهلاء الى انها كلها مخالفة للشرع لمجهلهم ولزويتهم هيبة الحكم على خلاف ما تعودوه في هيئة الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم ادخال الاحكام الشرعية في الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل في الاحكام لاجدارة له بها حتى خرج عن طوره بما لم تتحمله انفس المعاصرين ولانه أخرجت القوانين دفعة واحدة في جميع الانحاء حتى في القبائل التي لم يوجدان يوظف فيها من يعرف القراءة والكتابة التي هي ضرورة في المتوظف وصاروا يخبطون خبط عشواء وكذلك مل الاهالي من التطويل الزائد في الاحكام على ما هو عادة الاشياء في مبدئها فهو في الحقيقة ارادة لاصلاح نفس القوانين لا كره ذاتها بل يدلي ان المجلس الاكبر لم يتعرض له أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه الا بعد دم اشتماله على افراد من جهة المملكة حذاق لكي يعرفوا بما يليق بأحوال اطراف القطر والحال ان المجلس الاكبر هو روح القوانين لمحافظة على أساسها السكن الذي لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

(٢٦)

وقد وجدوا الى لا يخشى منه أشاع هو ومن كان على شاكلته ان الناس يطلبون  
ابطال القانون وقد اذعن ذلك الاشاعة وابطل القانون والدليل على ان الناس  
لم يطلبوا ذلك المكاتب التي أرسلها قنصل الانكليز تسجيلا على ابطال المجالس  
ومفهومها قاض بعواقبته قدس فرانس على ذلك وان كان سرا لمره والاعراض من قدس  
فرانس اياها لما ذكر في سياسة فرانسيتونس ونص تعريب مكتوب قدس الانكليز  
الاول في فبراير سنة (١٨٦٤ م ١٣٨٠ هـ) المعروف على جنابكم الرفيع ان ترى  
من الواجب على ان نذكر جنابكم في هذا الوقت الذي احواله الزمت جنابكم الرفيع  
توقيف ترايب الجنان المؤسسة على الحرية في بلادكم فان هاته التراتيب وقعت  
الوضاية في شأنها وكان ترتيبها بلا حطة الدولتين الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية  
وجنابكم وعدهما اذ ذلك رسميا بالتساوي وابقاها على جميع قوتها وعدم تغييرها ووكيل  
الدولة الامبراطورية الفرنسية وورد له الاذن من دولته كما ورد لي الاذن من دولتي لانها  
على اتفاق واحد في المنازلة وفي المثل على طلب ترتيب المجالس المختلطة بسرعة لفصل  
قوازل الجنائيات والقوازل المتجربة لما يلزم من الوقت لاجل القانون المتجري ولما كان  
الاذن المذكور الصادر لنا من دولتنا الذي تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبي  
المؤرخ في (١٧) اشد سنة (١٨٥٧) وهو نظير الممكتوب الذي خاطبكم به موسينو  
روش ناصاوه ولم تزل المكاتب موجودة يجب ان تكون سير نواب الدولتين في هذه  
المملكة على مقتضاها ولهذا يجب ان نطلب من جنابكم بشدة حرص امرا زائدا على ابقاء  
المجالس وهو المبادرة الى المجالس المختلطة الموعود بهام منذ زمان طويل وبمقتضى  
ما تقدم من الاذن طلبت مشاركة قدس جنرال دولة فرانس في هذا المطالب كما يطاع  
جنابكم على نسخة مكنوزي اليه وهو موسيودين بوفال هذ او زيادة على الوعد  
الرسمي الذي اعطاه جنابكم الى ملكي انكلا تيره وفرانس بحفظكم التراتيب المبنية  
على الجنان والتمن التي اعطاها جنابكم لبلاده لا ينفى عليكم ان دولة انكلا تيره عقدت  
مع دولتكم شروطا تقتضي دوام التراتيب المذكورة لانها هي المحافظة لحقوق رعايا  
انكلا تيره في هذه المملكة ومع وجود ذلك فتبدل تراتيب الحكومة الآن والرجوع  
الى الكيفية القديمة بدون سببية اعلام للدولتين الانكليزية والفرنساوية بقرصود  
جنابكم يظهر منه في السياسة انه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولا شك في عدم وقوع  
ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وايضا يظهر منه انه غير صواب مع الدولة

الانكليزية

(٢٧)

الانكليزية التي في شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية وعجبة الدولتين الى جنابكم توجب على "عدم الزيادة في المشاق الموجودة في حكومتكم بمطالب تشق في هذا الوقت ولكن واجبات خادمة تلزمي ان اطلب منكم رسمه سادام الاصول المؤسسة عليها ادارة الحكومة وخصوصا اني اترك لجنابكم اقتخاب الكيفية التي تظهر لجنابكم انها لا ثقة ومناسبة لاجراء تلك الاصول والجنوس المتقدمة في التقدم ربما لزمهم في ازمان متعددة بدون ان يتعرضوا للاصول المؤسسة عليهم قوانينها بتبديل كيفية العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروبية الذين لا شك في فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر يظهر لي انه سهل حيث ان التشكي الواقع من زيادة الاداء ومن تطوير المجالس في الحكم يمكن دواؤه بما تنهني به البلاج وترجع الى حالها الاصلى وهذا اعظم دليل على حسن خالق الرعاية المستنتجة من هذه التراتيب لانه لم يوجد في توارخ تونس مثل سيرة القبائل في هذا الزمن لاسلهم من الشكايات وهم مقتنعون على عاداتهم السابقة في سالف الزمن لكن لم يتعرضوا بسلاحيهم الا للاحكام من اداء ثقل فوق طاقتهم اه ثم كاتب الوالي ايضا بما نص تقريره في مايو سنة ١٨٦٤ \*  
الواضح اسمه اسفله يتشرف به تقرير ما ياتي وهو اني لما اعتبرت شأن الحال الغير المترقب الذي عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الوداد ان لا اعطى سيرتها بما لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم يبلغني اعلام رسمي منكم بشرح كيفية مقدار التوقف الوقتي الذي وقع في قيود الهالة علاج الامر ها فقد وجب على الواضح اسمه ان يطلب التعريف في ذلك كما انه يجب عليه المحافظة بمقتضى هذا المكتوب على ابقاء ما حصل لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التي لا نزاع فيها بمقتضى شروطها مع علي جناب الباي محافظة متعلقة بما يساهم بمقتضى التوقيف الوقتي المذكور فالواضح اسمه يقرر للجناب ان تلك الحقوق معقدها لاعتقاد العروحي وقد لزم شرح الاسباب المبنية عليها تثير به وهو ان المرحوم سيدي محمد باي والجناب العلي ادام الله عزه لما اصدرا عهد الايمان فهما ووزراؤهما والمفتون والقضاة وجميع علماء الشريعة البشرية حلفوا علينا واكدوا عليهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول الاجانب بانهم يحافظون على الوفاء بعهد الايمان بجميع شروطه واثابوا ان عهد الايمان جزء من شروط الشريعة البشرية والعهود والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة ائتمنوا الله على صدق نيتهم في ابقائها على الدوام والاستقرار من يوم صدورها فصاعدا وان دولة بريطانيا العظمى اعتدت

(٢٨)

على الوفاء والاعتقاد الذي لا يمكن منه فسخ لعهد الامان بقتضى هذه الايمان وعقدت مع على جناب الباي اتفاقا متعلقا بأمر منصوصة فيه فينتج من ذلك أن الحقوق المسلمة لجمعية الانكليز ولوازمها التابعة لتلك الحقوق بقتضى الاتفاق المذكور يعتمد هاهو عهد الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقان حقوق الدولة الانكليزية بقتضى ان تطاع بسبب ذلك على حقيقة الحال في شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه أم لا وكذلك توقيف القوانين الناشئة منه هل هي معالجة وقنية ثم هل الحكومة التونسية مرادها ان تجري في المستقبل الاصول المقررة به على صورة مناسبة لحفظ مكاسب الانكليز في العمالة التونسية وتأمينها والواضع اسمه يطالب بحرص واجتهاد لا ينافي الادب والتواضع جوابا شافيا شارحا للاستهفامات المذكورة ليجبرها دولة ملكه المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى ويحفظ على اسان دولته في حقها على جميع الحقوق ولوازمها والكفالات التي أعطيت لرعايا الانكليز بقتضى ما هي مبنية بالاتفاق المذكور ويقرر ايضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومي لا يخالف فيه من الجانبين اهـ واطاد الكتبة في يولييه الموافق لاو اخص فرسنة (١٢٨١) ونص تعريب الكتوب

الواضع اسمه أسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة ملكة بريطانيا العظمى قد تشرف بمخاطبة الجناب العالي بكتوب مؤرخ في مايو سنة (١٨٦٤) طالبا منه الشرح في شأن التوقيف الوقفي الذي وقع في رسوم العمالة بسبب أمر غير متوقع وقد أبقى وحافظ على اسان دولته في حقها على الحقوق التي يستحيل النزاع فيها الحاصلة لدولة المعظمة الملكة بموجب اتفاقها المعقود مع على جناب الباي بقتضى عهد الامان والقوانين الناشئة منه وتوقيفها خمس الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لا يمكن ان لا يحصل له في المنازلة شيء من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من الحضرة برد الجواب عن مكتوبه وامراعاة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير ضرورية في سبيل اطلاق عملها وانما الواضع اسمه أنه الاذن بعد ذلك في تقوية عهد الامان بسند مع ان دولة المعظمة الملكة لها اعتماد بان عهد الامان لما كان مبنيا على شروط الشريعة الشريعة لا يمكن نقضه الا بنقض نفس الشريعة ولم تتخيل ولا يخطر ببالها وجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتين والمدرسين للشريعة الذين حالفوا بمنا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع في العالم ما لا يناسبهم من وقوع الشك في وفائهم بما عاهدوا عليه ومع ذلك دولة المعظمة الملكة ترى في الامور المتعلقة باتفاق

عمومي

(٢٩)

عمومي بينهم وبين الحكومة التونسية أعظم اعتمادها دون الاعتقاد العمومي وهو صدق  
البابى ومحبة في اجراء العمل كما يجب بقتضى الاتفاق المذكور فذلك الواضع اسمه  
يرجوان على جناب البابى يتفضل بالجواب عن الاسئلة الميمنة في مكتوبه المؤرخ في ما به  
وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالى في ذلك التاريخ بان عهد الامان باق  
على قوته ومنهوه فلمو كانت الاهالى طالبوا ابطال القانون الماستطاع القنسل  
ان يجعل ضد الارأى العام فيما يرجع اليهم على انه قد صرح رسميا بما هو  
مطلوبهم كما هو بين لمن تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنسل الفرانسيس ولو  
كان امتناع الاهالى من القوانين موجودا لكان للوالى أعظم حجة في العمل بديل انه  
يحتج به في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ تسلطت أيدي العمدوان  
على الاهالى بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدى الى القتل لان الوزير  
اشتهد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا أرضى  
الا بدما ثم طلبوا مالي فلا أرضى الا بأموالهم ولعل مراده بطلب دمه هو طلب عزله وقد  
اعتادوا في بعض الوزراء السابقين قتلهم فظن ان العزل يؤدي للقتل والافنفس قتله  
لم يطلبه أحد أما المال فنه قد طلبوا حاسبه وأوليا كورة بعد ابطال القوانين افتتح بها  
لاهل الحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثير منهم  
السلام في انصاف مطالب الاهالى فإذا أحد أعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير  
فيهم بالوجهة بغير دتمته انه أغري بعض غلمان القصر الاميرى بالهروب فإذا خمسةائة  
سوط مؤلة بفضول أحد خواص الوالى لاقتانهاوا كمال عددها وسجن مع الاعمال  
الشاقة في الكركا وهم منهم محمود بن سالم أحد الاعيان من التجار وأحد أعضاء مجلسهم  
ادعى الوزير انه اشتكى به اليه من جماعة الجماس وبصيته ومن أغرب الامور انه لما لاذ  
أهل المسجون بالوزير طالعين تسريحه أو بيان ما هو مطلوب فيه ارسل الى جماعته يسألهم  
ما هي شكاواكم التي سببنا بها الر جل فأجابوه ان جنابه أعلم بهم منهم لانهم اعتمدوا حتى  
صا قب الر جل بالسجن كما حصل لرجال الحكومة اشياء فنه انه حجر على الوز براسماعيل  
السنى الذى اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذى سافر بالعساكر الى  
الاستانة في حرب القرين وأمير اللوا الشر يف السعيد حسن المقرن الذى له اليد  
البيضاء في حفظ الراحة في الثورة في الحاضرة وحسين ورديان باشا وخسوف وعلى جهان  
ويونس الهزيرى أمير لوا وحسن المدبلى أمير الاى والسيد محمد المقرون ومحمد بن الحاج

(٣٠)

رئيس عساكر زواوة الذي جمعهم له عند عدم وجود غيرهم في الثورة واعانه بما استطاع  
فجبر على جميع هؤلاء في الخروج من بيوتهم وخاطة الناس لانه كان يوحس منهم  
الاعتراض على انصرفات ثم قتل الاولين في بضع دقائق من غير سماعهم لدعوى ولا  
حجة ولا استشارة وارتجت البلاد لذلك وشغعت القناسل سيما العراساوى والانكليزى  
وسجلوا تسجيلا شديدا فمكاتب الاول اى فرنساوى الى الوالى بسانص تعرييه الى اتم  
خدمته التي ساه في اتمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحدث الموجه الذي لو  
قصر باردو بالدم فان الفريق رشيدوزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية في حرب  
القرىم والفريق اسماعيل السني صهر جنابكم وقع قتلهما في القصر بمجردهم فتم  
يقع اعلامهما من صدرت ومن غير ادنى وجه من أوجه المحكم فلم يتيسر لي التمكن في  
مثل هذا الامر وكان همى ان اقرر لجنابكم التأثير الذي لابد ان يقع من ذلك وفي سيرتي  
هذه سمعت اذن جناب دولتي التي استحسنات فعلى المذكور استحضارنا تاما وان كنت  
مأذونا بعلام دولة جنابكم واعلام حضرتكم العلية نفسها بالتأثير الذي وقع لجناب  
دولة الامبراطور من قتل الشفيعين المذكورين ولم تتوقف دولة جنابكم في تحميلها تلك  
المسؤولية العظيمة كما انى مأذون ايضا بان اقرر لجنابكم التشويش الواقع من مشاق هذه  
الاحوال التي لم تزل تعظم من سائر جهاتها (انتهى) وكتب الثانى اى الانكليزى  
للوالى ايضا بسانص تعرييه ان الملاحظات الشفاهية التي تسامح الواضع اسمه أسفل هذا  
المكتوب في عرضها على على جنابكم فيما يتعلق بالامور الموجهة التي وقعت بقصر باردو في  
شهر التاريخ لا بد انما افادت جنابكم بانها صادرة من التأثير القوي الذي عندى في شأن  
همة جنابكم ومصلحتكم وفي شأن التأثير الموجه الذي سيقع بانكثرت من ذلك ودوائى  
لا توافقنى اذا ادعيت التدخل في انصرفات الدولة الداخلية التي يظهر لجنابكم استعمالها  
لمحفظ الراحة العامة من مقاصد بعن الاشعار وبعد الشرح والتفصيل الذي تفضل به  
جنابكم على لا يبقى لي شك في وجود حجج كافية أظهرت لجنابكم توقع مقاصد موجهة نحو  
ذاتكم العلية لا تلافها في قصركم نفسه ولا شك ببناء على كونكم كبير الدولة ان يكون لكم  
الحق في استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التي مؤداها تلاف ذاتكم العلية  
وتحارب المملكة ولاكن بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المترسمة شرعا فمصلحةكم  
تقتضى ضرورة انكم لا تسعوا الاباسم الشرائع وعلى مقتضاها فانها أحسن ضمانة لكم  
ولا يبعد عنها الا المتعدي عليها بفساده وبعد ان راضت نفس جنابكم وتأملت في الاحوال

لا شك

(٣١)

لأنك أنكم تحققت أن الخطر الحال الذي كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية في قتل  
فريقين من دولتكم لأن في تباعدكم عن طريقه سيرتكم المعتادة بعد أن القواعد السالمة  
المرتسمة في القوانين التي منعتهم بها بلادكم وهي وأن توقفت بالضرر وبالموجعة المخارقة  
للعادة فإنهم لم تنزل موجوده مدع أن دولتكم مطالبة بالشرط المنعقدة بينهما وبين  
بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقائق غاية الاعتراف لأنكم لم تنوقفوا في  
أقراركم الرسمى بأنكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك بكتوبكم لسيبوا وود المورخ  
في (١٨) أغسطس واستناظر عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لي سرور لما حقق  
لي جنابكم بأنه لا يقع في المستقبل مثل هذه الامور الموجهة التي وقعت وأعيد القول  
لجنابكم اني لا اتدأخصل في البحث عن جرم الجناية التي يمكن ان الشخصين المذكورين  
ارتكباها لان انسانية جنابكم التي كثير من أدلتها كافل لي بان جنابكم كان متحققا بانهما  
قتلا على حق ومع هذا التحقيق كانوا ان كيفية الحكم تكون على الصورة التي تقتضيها  
القوانين دفعا لمعاسي ان يتهمكم به اعداؤكم فان جنابكم لم تثبت ولا يوجد شك في  
مساعدة ان القوانين هي أقوى الضمانات التي تستند اليها الملوك كأفراد الناس وقد  
رأينا في كل وقت ان كل من بعد عن الاستعمال القوة المادية في تصرفه يكون سببا  
لاعدائه في أن يفعلوا معه كذلك مقتضى آثاره وأرغب من فضلكم المساعدة في هذه  
الملاحظات فانهم لم تقصد الامور والاحوال التي فأت لسوء البخت ولا يتيسر لاحد  
إصلاحها وانما المقصود بها الطلب من فضل جنابكم أن تتذكروا ان بلادكم تبعد كثيرا  
عن أروروا وانها اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدن المتداخلة في كل مكان  
تعملها ولا يتيسر التصرف الا كما كان في زمن الجدد ولان كل عصر له احكامه واحكام  
هذا العصر لا تقتضي ان الحكم الذي سيقع على الاسرى الذين لم يزلوا في العسكر ان الامير  
يتصرف فيهم بعائده من القدرة ويرى ان الحق له في التأمل بذاته في نازلة شخصية بل  
يلزم توفية حق المتهمين لدى محاسن وأنه يسمع مقالهم ويخاضعون على انفسهم ويبرؤون  
انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا أثبتت جنابكم بالقانون بحكم وبهذه الكيفية  
تستخفون على همةكم ولا تأخذون من القانون الا الرفيع العالي في حق الملك وهو العفو  
عن المحكوم عليه (انتهى) ثم جمع الالى جميع رجال الحكومة وأخبرهم وابل في ذلك  
اليوم الوزير خير الدين البلاء الحسن بقوله القرائن التي ذكرت لا تثير لونا فضلا عن القتل  
ثم على فرض صحة التهمة فيعديا قافهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما ومسمع

(٣٢)

جواهرها عليها الى غير ذلك من الاعمال الواجبة وغاية المجبة في قتل الشهيدين هي  
 التهمة باعانة أخ الوالي محمد العادل باي على الهروب مع انه لم يذكر في معرض الاحسان  
 معه الارشيد ولم يعرج على اسماعيل بشي ورشيد نفسه لم يسمع الدعوى ولا قامت  
 عليه حجة وادج في اثر ذلك نفى جميع من تقدم ذكره وكان في اثناء ذلك الوزير حسين  
 خارج المملكة لتوقع من عظم كربها بعد تسليمه في جميع وظائفه فنجب المالحق غيره  
 وتحق به الوزير رستم فلم يبق من يعترض على النصرفات من رجال الحكومة وأما أهالي  
 بنية القطر فقد أحي فيهم ما ترخبره ونسى ذكره من تسليط الحزب الحسيني على الحزب  
 الباشي الى ان خضدت شوكته واصق بالارض ثم كرم على هذا الحزب أيضا وتحق بصاحبه  
 فعاشت أيدي الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع مسكر الوزير أحمد  
 زروق الموصى بالنكال وأحدث فيهم ما تشعرون سماعه الجلود من قتل أربعة من  
 رؤس الساحل حكما هنالك ولما أتى أهل المجلس الشرعي بالمستير رئيس المسكر أحمد  
 زروق قابلهم بعسف وأحكم الاغلال والقيود في أعناقهم وأرجلهم وأمر بزالة عمامة  
 رئيس المفتين بلفظ مستهجن وطامل وفد صفاقس بما يقرب من ذلك وسجن القاضي  
 وحكم أيدي النهب في الجميع وقد رايت بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاية في معرض  
 ما حصل من أجد زروق مانصه وبالمجمله فجميع ما ينسب في هذه الوجهة لاجد زروق  
 انما هي نسبة تنفيذ لانه مقيد النصرف بما يرد اليه في الامر في كل نازلة الخ مما يصدق  
 نسبة ما ذكرناه الى صاحب النصرف وان كان أجد زروق فغاخر بما صنع حتى رآه بعض  
 رجال الحكومة الكارداخلا الى جامع الزيتونة وهو لا لبس لعله وقد جرى العمل باحترام  
 الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له في ذلك فأجابه بما رأى من الناس ومسمع بقوله لولاى  
 لربطت في هذا الجامع خيل أهل الساحل مع ان أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى  
 فرض منعه المسجدين ذلك لا يسوغ له ذلك جوارا هائنه وهذا الرجل أعنى أحمد  
 زروق لم يزل مقر باعد الوزير خزونه دارا الى ان انفصل عن التصرف ومن تصرفاته في تلك  
 الوجهة انه فاس الشيخ محمد الصويطخ رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالي تلك الجهات  
 أموالا كثيرة افنت الطارف والتالدو بقوا في قيد ديونهم المثقلة للاجانب الى هذا الوقت  
 بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قديس ومالا يباع كالوقاف وجميع ما  
 تحصل من كسب أبدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولوا فردت نازلة  
 الساحل وحدها بتأليف لجاه مستعلا لا زيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب



(٣٣)

وضرب السباط الموضع أو القنابل حتى ان الوزير خزنة دار المذكور لم يأتى خروج  
الضرب عن حده في السيد الشريف على بن عمر من أهل مسكن مع من أتى معه الى محل  
حكم الوالى أظهر المشقة وأرسل الى لاعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء  
لا يقتلهم فان القتل آلات تخصه وانما أسند الامر للوالى لان ذلك هو ذنبه كما تقدم من  
عدم مكافئته لاحد بما يوجب ويستدعيه جميع الاعمال للدولة وأما جهات القطر الاسمر  
التي سافر اليها المعسكر تحت أمر الوزير برستم فلم يقع بها من المضرات ما وقع بالوالى لانه  
اقتصروا على مجرد قود الطاعة واستغلاص المال المكن للاهالى وعمل بالمثل القائل ولى  
أذن عن الفعشاء صماء عن الاوامر التي ترد عليه في سلب اللحم العظيم ومن ذلك  
التاريخ حصل تغير الوزير خزنة دار عليه ما ذكر مع تعرضاته لتصرفات العمال على  
غير الوجه المعقول وكذلك المعسكر الذي سافر تحت امره ولى عهد الولاية أمير الاحمال  
أبى الحسن على باى فقد اقتصروا فيه على مثل ما ذكرنا من ضعف أحوالهم في العفون كثير من  
رؤساء تلك الجهات وانما ذكرت عليه تلك السيرة من يريد الخراب حتى أرسل معه ابراهيم  
ابن عباس الرياحي قائد يريده وأمر أمير الاحمال باتباع اشارته وتنفيذ أمره لكي لا يجرد  
الامير سبيلاً للاعتذار عن الناس مع ما هم فيه من الفقر وضيق الخناق بسبب ذلك بين  
جذب ودفع لما في طبع هذا الامير من النفرة عن تلك السيرة وكان ذلك سبباً للوشاية به  
لاخيه واثمهم مستشاره المقرب محمد الطاهر الزوش باذية الاهالى ونسب اليه بعض  
ما صدر من ابراهيم بن عباس المذكور والحال انى رأيت بخط كاتب اسرارهم الوزير  
أحمد بن أبى الضياف المذكور في وصف المستشار المشار اليه مانصه واعتمد باى المهمل  
في الوساطة بينهم وبين الناس وحدث بذلك سيرته الخ وذلك هو المعروف عند السكان  
في المناء على أعمال المستشار وتوصل الوزير خزنة دار بما تقدم الى ابطال سفر الامير  
المذكور بالمعسكر على عادة اسلافهم واستعوض عن ذلك بسفر أحمد زروق المذكور  
ثم ان مارقته كل من الامير على باى والوزير برستم قد خرقته أيدي العمال والبعوث التي  
وجهها الوزير خزنة دار وأبى باعيان من قبائل الجهات الغربية والشمالية يماغون فحو  
المائتين وأغلبهم كان في خدمة الطاعة وابلوا في قود الاهالى وارجاعهم للسكون البلاء  
الحسن ولا ذنب لهم الا كسبهم وأوقفوا في صحن البرج من قصر الحكومة ببارد وخرج  
لهم الوالى وخاطبهم بانه لولا شفاعته الوزير لأمروا بقتلهم وليته لم يشفع لانه أى القتل أهون  
الموتين ثم حكم عليهم بالجلب بالعصا وأرأيت بخط الوزير الكاتب المذكور في قصة هؤلاء

(٣٤)

الرهط الذين منهم الشيخ الهرم المنسوب الى الصلاح الحاج مبارك صاحب زاوية تاله مانصة فتقدمت مرّة العذاب الى ما كرم الله من ابدان بني آدم يكبرون الواحد على وجهه وسحبونه على الارض موثوق اليدين والرجلين ودام الضرب في أولئك المساكين يومين أو ثلاثة بجراى ومسمع وفي خلال أيام الضرب قدم ابن ملكة الانكليز سائحاً فلم يقع الضرب يوم قدومه خشية وقوع الشفاعة منه عنده شاهدته تلك الحالة الفظيعة الشنعاء ولما تم الضرب باعداده واتقانه سجنوا بسلاسلهم وأغللهم ومات منهم بسبب الضرب الذى لا تحمله القوى الحيوانية على بن عباس شيخ تاله ونجحت روحه قبل كمال عهد الضرب فكم لو العمد بضر بشلوه وهو ميت ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ الطريقة بتاله المار ذكره ولم يسمع منه حالة الضرب الا قوله ياربى ياربى الى ان اغمر عليه والحاج صالح بن الغلبلى من بيوت العراشيش وغيرهم وعددهم مات بالضرب فى أقل من عشرة أيام ستة عشر رجلاً اه كلامه باختصار وسجنت خلائق مع الاعمال الشاقة ونهم على بن غداهم بدناً كيد الامان اليه وقدومه مع ابن القطب الصالح سيدى أحمد التجاني رضى الله عنه وبقي فى حبس مظلم ندى الى ان مات وكذلك كثير من سجن ولا يمكن احصاؤهم وفشا الخبز فى الاتفاق واستفطعهم من سنة حتى ان نابليون الثالث امبراطور الفرنسيس اثر رجوعه من الجزائر لثورة وقعت فيها ومعه دها باطوف وتجنب للإهالى بسعيه بنفسه وكان ذلك فى أثناء الهرج بطنوس خطب عنده وجوعه وذكر اسباب ثورتهم من جهلهم بما يراهمهم وعدم سلوك الطريقة المناسبة لوصولهم وأتى على عساكره ثم قال وبعد الحرب واطعام الثورة لم يقع منها انتقام ولا شدة ولا ما ينقص نحر النصر الخ وكون الدولة الاسلامية لم يبلغها المحال الذى لم يزل شبهه الى الآن مع نص القوم المخالف لذلك ومع هذا التمهيد فى الابدان فقد اتى على أموال الاهلى عن آخرها ولم يبق للابدان والقربى وقبائل العرب شئ مما يسد العوز ومن كان له أدنى شئ من القوت كان يخفيه ويرسل نسوانه لالتقاط العشب وعروق الاشجار لقوتهم ولقد ذكرى أحد بنة وثبات دريدانه كان يرسل نسوته اللاتي لم يعهدن النطوف فى البرارى لجلب عروق الترفاس وينشره على ظهر بيته ليراه أعوان العامل ويطلب الى القمح فى الماء من غير طعن ليكن لا يسمع الناس حس الرخافتهم هم بالمسال وذكري أحد الثقات من التجار انه كان يوماً جالساً عند ابراهيم العامل المذكور وهو يوصى نائبه العازم على السفر الى القبيلة ويحرضه على جلاص المسال فاجابه النساب يانه يعمل غاية جهده بحيث يبيع كل ما يجد فى وجده

عنده

(٣٥)

عنده نجة باعها ومن وجد عنده عنزاً باعها ومن ومن الى ان قال وفي اقرب وقت تخالص  
مال الدولة وترجع فحق عليه ابراهيم ووبخه وقال ان مال الدولة لا يضيع وانما القصد  
مال الوزير فقال له الحق معك هو مقدم وذهب على ذلك العزم هذا كله بعدنا كيد  
الامن الذي خدع لرعية بالكتابة والكلام فز يادة عن الظلم هوشين على الخائن وقد  
ذكر الوزير حسين قبل خروجه من القطر الوالى بامانه عند قدوم أهل الساحل طائفتين  
فحق عليه واجابه بما يكره مع وجوب الوفا بالعهد فلا وشرعاً وما كفى الناس ما هم  
عليه من الفقر المدقع والمظالم التي لم تعهد اذ ذرهم الجوع والقحط المتسببان عن  
حبس المطر وكثرة الظلم وعن فناء الاموال التي تعمربهم الارض في الفلاحة واشترك  
في العسر حتى أهل الحاضرة لا تباع مكاسهم لكاسب بقية أهل القطر فاقبلت أفواج  
الاقوام تراهم من كل حـدب ينسلون متوجهين الى الحاضرة والمدن وما وصل اليها الا  
القبيل افسو مرض الحمى الخبيثة فيهم وكان مرضاً مستوبياً أفنى خلائق لا تحصى  
وبقيت أكثر جثثهم في الفلاة للوحوش بعد ان أفنت منهم الكواير اعداداً وافرأى  
ساعده الاجل ووصل الى الحاضرة مات منهم أكثرهم في الطرقات ثم ابتدر أفراد من  
أهل الحاضرة لا غاية أولئك المساكين وعقدت لهم جمعية يرأسها المقدس سيدى حسين  
الشريف نعمة الله وأذن الوالى في عقد هاجموا لجمعهم من المال من الاهالى كل على  
حسب استطاعته على حاله ضدهم الحالى الشديداً التي كادت ان تلحق كثير منهم  
بأولئك الوافدين المساكين وشجرت الجمعية عن ساعداً المجذوخ فحقت بعض الضرب بالقوت  
والمسكن وان كان الممرض يمكن منهم وصاروا الى حالة ضعف لا توصف وفشا فيهم الموت  
الى ان صاروا يرفعون خسة فسادون في نعش واحد رجعهم الله وقد كنت كتبت لصديقي  
وهو غائب بوصف الحالة في القطر عند ما طلب منى أن أرسل اليه نسخة من ضرب مثل الحالة  
الذكورة في القطر التوسنى واصور ذلك بصورة واقعية تاريخية مما ينسب لرواها  
بعض ملوك المانية في القرون المتوسطة ونصهاراى بعض ملوك المانية في القرون المتوسطة  
من تاريخ المسيح عليه السلام رؤى يافها له أمرها فبحث عن معبر يعبرها له وهو عندهم  
المنجم لان أصحاب التنجيم هم الذى كانوا يدعون معرفه علوم الحداث من فخر المعبرين  
يديه وقال له الملك انى رأيت البارحة في المنام ماها الى أمره ولا يبعده شأنه عندي من منام  
فرعون في مصر في أيام يوسف الصديق عليه السلام وذلك انى رأيت ثلاثة جردان مجتمعة  
فانتهت أولاً قبل استمكشاف حالها ثم غمت ثمانية فرأيت جردة من تلك الجردان على غاية

(٣٦)

من الجحف والهزال بحيث ان سائر ضلوعها بادية ولا تستطيع الثبات على رجليها اورايت  
الجرد الثاني على غاية من السمن يتعرع في شبهه تعرع القنفذ ثم تأملت الجرد الثالث  
فرايته أعى من كاتى عينيه لا يصير به شبهه فانتهت ثم غمت الله لثة فرايت الجردان  
الثلثة معا على تلك الحالة فالسمن يقود الاعى والاعى يقود الهزيلة فانتهت وهم يتقارون  
فافتوى في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون فاجابه المعبر بقوله سيدى ان رؤياك أشهر من  
ان تعبر واسكنها تكتب وتسطر أما الجردة الهزيلة فهى مما كتبتك والسمن  
هو وزيرك والاعى هو أنت أيها الملك يقودك وزيرك الى ما فيه صلاح نفسه  
وتقود أنت رعيتك الى ما فيه هلاكك وهلاكهم انتهى وكتبت الى صديق في ذيلها  
ما نصه هذه حال رؤيا القرون المتوسطة أمارؤية حال القرون الاخيرة \* في هاته  
الحضيرة \* مصادهاها من النفوس الشريرة \* فهى سنويوسف عايبه السلام التى  
كنت تعبر تلك الرؤيا \* على ما فيها من البلاء \* فلورايت ما عايبه القرار \* لما كنت  
وعبا ولوليت منه القرار \* من ذئاب تغتال \* وتعالبتحال \* مجتهدة في قلب  
الرجال \* وتشتيت الرجال \* وتعبان شاعر فاه لابتلاع الاموال \* فيما هما من حال  
يرثي لهما من رام النزل \* وتخراشدها شاححات الجبال \* افتضحت فهاربات النجبال  
وهوت الابالة الى الزوال \* وتمكن من القلوب الزوال \* وتعاربت الاسجال وانقطعت  
الآمال \* وعد الصلاح من الخال \* فقد فاز من نهض بنفسه \* واستراح من فتنه  
باطنه وحسه \* اذا الآيات وردت على ذلك ناصه \* فقال تعالى واتقوا فتنة  
لا تصيب الذين ظلموا منهمكم خاصة \* ففاز الخائفون \* وابتهلى المتأهلون ووالله  
العظيم \* ونبيهه الكريم \* طامنا مضت عزائمى الى السرحال \* فانتقم من قيود  
العبال \* مع ما أنا عليه من الوحدة عن أخ شقيق \* أوقرب يخالفني فيهم عند الضيق  
ولم استطع التخلص بكلى \* لما ينفى مما يشغل كلى \* وأقسم بالقرآن \* وصفات  
الرجن \* اننى عرضت للبع أملأكى \* لا تخلص بها من اشراكى \* واستعين منها بالاثمان  
فلم أجده من بصرف هذا الوجه عنان \* ولومن أعيان الاعيان \* فالناس حيارى في  
الاقوات \* تاهين في جالب الضروريات \* يكادون من القحط ان ياكلوا الحديد \*  
ويقولون هـل من مزيد \* وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله  
شديد \* الى غير ذلك من زفرات تصعد \* وجرات تتوقد \* وانين يتوارع الطريق  
\* وصباح على الابواب ونعيق \* وضجيج بالاسواق \* حتى تخالها قد انفتحت الساق

بالساق

(٣٧)

بالساق \* فلا تسأل عن القلوب \* ومادهاها من الخطوب \* تمت فوضنا الامر الى علام الغيوب  
 اه ومع تلك الحسالة في الاهالي فغاية ما رجهم به الوالي من الخزنة خمس عشرة ألف ريال  
 وله العذر لانه كثيرا ما باتت أتباعه بل قيل عائلته طاوله الى بعد نصف الليل حتى يرسل  
 ويريه احد أهوانه الى حيدة بن عيسا المالكف بعمل الخبز ليستقرض ما يمكن ان تتعدي  
 به عائلته الوالي والوزير غاية ما تكرم به على أولئك المساكين سبعة آلاف ريال وان كان  
 سيدي حسن الشريف الخ عليه في اعانة المصابين مرارا فمعه من خزانة الحكومة كما  
 انه في هاته الشدة ابلى البلاء الحسن كثيرا من الاهالي والاجانب مرارعا وقاموا بكثيرين  
 قوتنا وكسوة وسكننا ودواء والحباء بحوى الله الجميع بفضلهم وفي أثناء المدة هرب العادل باي  
 أخوه الوالي الى جبل باجه حيث كان أهله اذ ذلك المأثرين بعد ان نسي مثل ذلك في البيت  
 الحسيني منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته الضيق الخالي الذي حصل له من تعطيل مرتبه ومثله  
 سائر آل بيته واذ ذلك اضطرروا لاجادة سفره الى العهد بالمعسكر فارجع اخاه وقاد الطاعة ثم  
 أعيد ترك سفره هذا وبينما كان القطر على هذا الحال فالاموال المستخلصة لم تكف  
 وجهات الحكومة تستقرض من أوروبا قرضا بعد قرض فاول استقرض كان خمسة  
 وثلاثين مليوناً لاس تملك الدين السابق الذي قدره تسعة عشر مليوناً ولم يزل باقيه لم  
 يستخلص الى أن تشكل الحكومة سيون الا في بيانه وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل  
 ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون بواخر حريية باضعاف قيمتها بلغت  
 أكثر من سبعة سفن منها فقاطه سميت بالصادقية أصلها كرويت فزيدت فيه طبقة  
 وصار شكلاً مضحكاً لارباب ذلك الفن وقد شاع عند الخاصة والعامة ان القصد من شراء  
 تلك السفن وغيره ما قامه الارباح من الوزير مع أصحابها ثم بما يستفاد من القرض وقد  
 بيع بعض ذلك الاسطول بثمن مؤجل واكثرى بعضه باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة  
 عن القيام به بعد شرائه بخمسة أربعمائة سنين فأفاس المشترى والمكترى وذهبت السفن  
 وثمنها المتجاوز خمسة عشر مليوناً فردد كاسدي مع ان أصل شرائها الحاجة اليه سوى تحصيل  
 الربح من ثمنها والربح من الاسمة تقراض لدفع الثمن وشاهد ما وقع في شرائه مائة مدفع  
 مائة مائة بلليون فرنك فلما أرى السمسار ذلك الاتفاق الرسمي للبايع الذي باع تلك  
 المدافع بثلاثمائة ألف فرنك تعجب البائع من خس التماسين بين الثمنين فأجابه  
 السمسار بان وزير تونس أراد ان يربح خمسة مائة ألف في هذا البيع وانما لا تقدر على منعه  
 ولست مكافأ بصلح حكومة تونس فربحت أنا أيضاً ما زاد على ذلك هكذا أفشا الخبر ولما

(٣٨)

قديم ضابط فرانسواوى باستدعاء للتأمل فى سلامة تلك المدافع قومها بدون المائتين ألف فرنك لانها غير سليمة وبقيت معلقة على الارض بلا فائدة وبأمال ذلك ربح السمسار فى الاستقراضات وفى الشراء ما صاروا به أغنيا حتى ان أحدها هالى الشام المسمى برشيد الدحداح الذى انتقل الى فرنسا و صار فرانسواوى توسط بوسائل لان يخدم فى حكومة تونس راضيا بمجرى قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك أى ستة آلاف ريال فى السنة قدر جمع الى باريس بعد ثلاث سنين أو أقل وبني بها قصر بهياشا مخاورياه فى أعز حارات البلدة وهى قرب شانترى لرى وأخبرنى أحد الثقات هناك ان تجارة الرجل التى يخوض فيها بكسبه الخاص نحو خمسة ملايين فرنك حتى تصدق على إحدى معابد الفصارى بستين ألفا فرنكا كل ذلك من تعاطيه السمسرة للوزير المذكور ومثل ذلك القائد نسيم المارذ كره مع زيادة ربح ما يسقطه الطالبون من الحكومة لانه يسوف أصحاب المرتبات وغيرهم ممن يطالب المسال حتى يسقط له مدة دارما يطلبه ويصح فى الحاجة انه قبضها كاملة وتعاقم الامر أو اخر المدة الى ان بلغ الاسقاط أحيانا الى ثلاثة ارباع المطالب و الوزير لا يقبل فيه الشكاية ولا يخشى القائد نسيم فى أثناء الثورة العامة على نفسه سرجه الوزير الى أوروبا من غير أن تعمل معه الحكومة حسابا ومات فى بلده قريه من إيطاليا وأرادت الحكومة التونسية بواسطة الكومسيون الذى ذكره فصل مطالبها من وريثة المذكور بالتراضى من غير خصام وجنحواهم أيضا الى ذلك ويذبحها العمل جار فى ذلك فاذا بالوزير خزنة دار جلب أعيان الوريثة الى بستانه وهم موموشه شمامه وناتان شمامه ويوسف شمامه وعرض على كل منهم كتابين أحدهما يتضمن اعطاء خمسة فى المائة للوزير خزنة دار عما يصح لهم من الارث والثانى يتضمن ابراءا طامال الوزير المذكور عما عساه أن يطالب من جهة نسيم فامتنعوا من الامضاء على ذلك وتحلصوا بطالب مهلة للتروى وهرب موموالى فىلسلات فرانسواوى يوسف وناتان الى فىلسلات إيطاليا وأرسلت الحكومة محمد البكوش مستشار الخارجية والمترجم الاول بها كونتى والقباض ليداه شمامه الى سؤال المذكورين عن سبب هروبهم فاجابوا بما ذكر من مطالب الوزير خزنة دار وكان ذلك بحضور من القنائل وكتب التقارير فى ذلك موجودة بالوزارة والقنائل اول ذلك سافر الوريثة قبل فصل النازلة ووجهت الحكومة لتحرير الحساب والخصام معهم الوزير حسين ودامت الخصومة نحو تسع سنين ولا زالت الى الآن منشورة وما تفاقمت الديون فى أوروبا وعلما ان القنصل يستعرض اضعافه كل مرة لاجل خلاصه امتنعوا من الاقراض حتى جعلت

رسل

(٣٩)

رسل الوزير يزدون كل باب لذلك ولم يحصلوا على شيء حتى ان الياس مصلى المستشار  
الثاني بوزارة الخارجية ذهب لثمل ذلك وأحد المصاريفه تذاكر وسندات على المسألة  
باسم الحامل وطفق يبيع منها المائة بخمسة فرنكات وترتب على الحكومة بذلك  
أزيد من المليونين فرقة كالأجتناب أصحاب الاموال من ضياع أموالهم فالذاك عدل  
الوزير الى الاقتراض من الاجانب المقيمين بالحاضرة على أخذ كل منهم مائة ألف يده  
يتصرف فيه من مداخله لالحكومة وهي المسماة باستقراض الكونغرس يونات  
واستعان في تصرفاته فيما يرجع الى ذاته ولوم وظائف الحكومة بولده الاكبر واستغنى  
به عن السماسرة وخالطه بل واشتهر انه شاركه في اسئلة التزام بعض مداخل الحكومة  
وفي التجارة في رقاع أموالها ورقاع الدول الاجنبية حاي الصباغ أحد التجار الهود كما  
داخله وقيل انه شاركه في عمل الخبز وقبض اعشار الخبوب وصرفها وغير ذلك من موارد  
مصاريف الحكومة أميراً للواجبة بن عياد وولد على عمل ابن زرت وأطلق له التصرف  
بعد ان كان الوالى وأخوه من قبله يتجنبونه في الولاية لما استقر في النفوس من مظالم محمود  
ابن عياد وأغلب عائلته ولان جديدة المذكور محتم بالانكسار فلا تناله الاحكام ومع ذلك  
فان جديدة المذكور لم يضر بالريعية وفيه جهة لارفق وأعان أهالي ابن زرت على مساعدتهم  
باقرضهم المال والحبوب ولم يحجب بدافعي الاعشار ولا بقاوض الخبوب وعامل أهل  
العلم معاملته حسنة واقصر في الارباح الوافرة على مايربحه من الحكومة مثل الرمح من  
معمل الخبز فانه تبين بمقتضى الحساب الذي جعله الحكومة مسيرون أى اللجنة المسالية في  
السنين التالية بعد خروج المجهل من يد المذكور ان أرباحه كانت تقرب من الخمسين في  
المائة ثم لما رأى الوزير عسر حال اصوال الحكومة لفقر الاهالي وتكاثر الطلب من  
الاجانب لاموالهم نقل وزارة المال بالاسم الى الوزير الشيخ محمد العز بنوع توري باش كاتب  
لكي يتحمل المصاعب ويقتضي من اللقضاء بلا كره ولا رضاً والاموال يرسل اليها ابن  
الوزير اعوانه ليخلصها من العمال باسماء مختلفة منها اشراء مطالب من له مطلب على  
الحكومة مالى سواء كان من الطوارى أو المرتبات ومنها الخراج تذاكر باء مداد من المال  
يؤم فيه وزير المال يدفع ذلك القدر الى محمد بن الوزير في مصالحيه على يد من غير بيان  
وكانت ترد تلك التذاكر مكتوبة الى وزير المال ليحكم على حريتها لترسل لاهضاء الوالى  
فلم يكن في وسعه الا الاضاعة من غير أن يعلم شيئاً من تلك المصاريف وذلك معلوم عند الجميع  
ولذلك لم يرجع على طالب وزير المال بشئ الحكومة مسيرون المسالى على ان ما يمكن ان يرسله

(٤٠)

العميل الى الحكومة ليست به الاجانب أصحاب الديون كانت تحفظه أعوان الوزير  
خزينة دار من الطرقات حتى وقعت خصومات شديدة من الاجانب في مثل ذلك ولما كثر  
القبيل والقتال من الاجانب في خراب القطر ووقوف حاله وأنه تلزم مساعدة الحكومة  
للاهل الى رجوع شيء من رفقته كان الوزير خزينة دار يقول لخواصه بحسب الهؤلاء القوم أفأنا  
المطلوب بإبطال العرب للفلاحة أليسوا بعارفين بكيفية الحرث والارض موجودة في  
منعهم من ذلك كأنه لا يعلم السبب لكنه أراد اسكات الاجانب فاعطى الى الكنت  
صانيس الفرانساوى أربع مائة مائة أرضا أى نحو أربعين ألف رسة مائة مائة مائة حساب  
كل مائة مائة وثمانون وتسعون جمل ولا والحبيل خمسون ذراعا ويكون اعطاء المواشى  
مدرجة على أربعة اقسام ومن شرطها أن تكون قابلة للزرع والسقى وان تعفى من  
جميع الاداءات التى بواسطة التى بدون واسطة فى جميع ما يبت فيها وما يربى من  
الحيوانات وتنتجها ولزم بسبب ذلك الحكومة مشاق سيرد تفصيل بعضها كما منح لجنة  
انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حاق الوادى ومنح لجنة طلبة اذنية صيد  
نوع من السمك كبير يسمى التين فى مصيده بالمستير ومنحها أيضا معدن جبل ارضاص  
واكثرى لها أرضه المسماة بالجديدة التى حصصت فيها المخصوصة المشار اليها عددا الكلام  
على سياسة القطر الخارجية ونشأ من كل فئة ما يناسبها من الصعوبات القاضى بها عدم  
الغائدة وعدم اتحاد الحكم وزادت المشا كل بكثرة الديون وعدم المال وروج فى القطر  
سكة من الفحاس كل قطعة منها مائة نصف ريال وكان مائة دارمار وجها فيه يبلغ اثني عشر  
مليون ريال والعظم المخطب لا متاع الاجانب من قبولها فى أثمان سلعةهم وديونهم العامة  
لاهل القطر وبلغ سعر الصرف الى أن المائة ريال فضة تصرف بنحو ثمانمائة ريال وبلغ  
سعر الوبيبة من القمح الى السبعة مائة ريال ابتلاك السكة وبعد اتفاق ما مضى به الحكومة  
منها واشتد الحال أنزل قيمة السكة النحاسية الى أصلها حقيقة وهو الى بيع مما نفقت به  
فصار نصف الريال ثمن الريال وضاعت على الاهالى تسعة ملايين سدى مع ما زاد على ذلك  
مما جلب من نوع تلك السكة خفية وأكثر ما أصيب بالخسارة أهل الحاضرة فكانت  
قسطهم من غرم المال وما بلغ الخزام الطيبين شدة الاجانب فى طلب ديونهم وفأفضها  
وقطع القسطنطين الفرانساوى الخطاطة مع الحكومة ثم اسبترضه واستقر القرار على تشكيل  
لجنة مختلطة من الاهالى والاجانب وسميت بالكومسيون المسالى ونص الامر الصادر فى  
ترتيبه ~~بما~~ فقد اقتضى نظرا لمصلحة مال مما كنتنا والرعية والمتجران ترتيب

كومسيونا



(٤١)

كوميوننا المالية صورة الامر الصادر في الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا  
المؤرخ في التاسع والعشرين من مايو الموالي للشهر المذكور على الكيفية الاتية  
﴿الفصل الاول﴾ الكوميون الذي صدر به امرنا المؤرخ في الرابع من ابريل سنة  
١٨٦٨ يجتمع بحضور ثنائي مدة شهر التاريخ ﴿الفصل الثاني﴾ يقسم الكوميون  
المذكور الى قسمين متميزين قسم للعمل وقسم للنظر والتصحیح ﴿الفصل الثالث﴾  
قسم العمل يركب على الصورة الاتية بيانا وهي عضوان من موظفي دولتنا قسم  
نحن أنفسنا ونأظر مالي فرانكس قسمه نحن أنفسنا أيضا بدعيه من طرف  
دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل  
التي يتيسر للدولة أن تحصل بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يجعل دفتر  
فيه بقيد جميع الديون المنقذة خارج المداخيل ودخلها وهي التذاكر المائية ورقاع  
سابق عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون الغير المحصورة بكنتراتوات فعلى حاملي  
تذاكرها ان ياتوا بها في خلال مدة شهرين وكذلك يسمى قسم العمل في الاعلان عن ذلك  
في جرنالات تونس واوسيا ﴿الفصل السادس﴾ مهم ما ارد قسم العمل الاطلاع على  
جميع المحجج الصحيحة المتعلقة بالمداخيل والمصاريف فان وزارة المسال تحببه الى ذلك حق  
الاجاب ﴿الفصل السابع﴾ بعد ان يقع حصر مداخيل الدولة ومقابلاتها بجميع  
المصاريف مزاد اعلم ابلغ الدين يثبت قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على  
وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يجعل تجريدة المداخيل  
التي يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابق تعيينها لارباب الديون ﴿الفصل  
الثامن﴾ لقسم العمل ان يجعل جميع التأويلات والترانيب المتعلقة بالدين العمومي  
وغذ به بكل ما يلزم من الاعانة لانه اذا ذلك الانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل  
يتولى قبض جميع مداخيل المداخيل من غير استثناء ولا يسوغ اخراج تذاكر مالية من أى  
نوع كان الا بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التفويض اليه في ذلك من قسم للنظر  
والتصحیح واذا اضطرت الدولة لعمل سلف فلا يسوغ لها ذلك الا بموافقة القسمين وجميع  
التذاكر التي تخرج في مقابل المبلغ الذي يعينه الكوميون لمصاريف الدولة تكتب  
باسم الكوميون ويعلم عليها قسم العمل وقد هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ  
المحدد في قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحیح يركب على الكيفية  
الاتية بيانا هي من عضوين فرانساويين ينوبان عن حاملي رقاع سابق عام ٦٣

(٤٢)

وعام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين طليانين ينوبان عن حامل رفاع الدين الداخلي وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حامل رفاع السفين وحامل كونفرسيونات بلجيكتا ويصدر لهم اعلان في ذلك مناصحت نظرقسم العمل الفصل الحادي عشر قسم النظر والتصحح له الحكم في جميع تصرفات قسم العمل وهو المكاف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقة ضرورية حتى ان الذي يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعاقد بالمصلحة العمومية يصير بذلك واجب العمل به الفصل الثاني عشر اذنا وزيرنا الاكبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاعد عشر المذكورة اعلاه ونعين العضوين ونطالب الناظر المالي الفرنسي المذكرين بالفصل الثالث في اقرب وقت ممكن ككتبت الاثنا عشر فصلا اعلاه بسراية حاق الوادى في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين والالف فانهظم هذا الكومسيون واستولى على رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول في قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة في فرانسا فيليب والعضو الثاني الوزير محمد خزنه داروس. يأتى تفصيل ما نشأ عن هذا الكومسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتى

جمله الجوامع فرنكات

الاستقراض من دارالانجلى بباريس لا يفاء	}	٣٥٠٠٠٠٠٠
الدين السابق الذى لم يخص بمقامه وقدره		
مخوطة عشرة مليون كما تقدم		
الاستقراض من بئنا بباريس سنة ١٨٦٣		٠٩٠٠٠٠٠
الاستقراض من دارالانجلى وغيره سنة ١٨٦٥		٢٥٠٠٠٠٠

المجملة تسعة وستون مليوناً ٦٩٠٠٠٠٠٠ ٦٩٠٠٠٠٠٠

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكونفرسيونات

جمله الجوامع فرنكات

الاول	١٣٥٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠
الثانى	٠٩٦٧٠٠٠٠	
الثالث	١٧٨٥٠٠٠٠	

(٤٣)

الربع ٧٨٠٠٠٠٠

٤٨٨٢٠٠٠٠

٤٨٨٢٠٠٠٠

جملة الدين الغير المنضم بالتدراك الرابحة

٣٦٨٠٠٠٠٠

١٥٤٦٢٠٠٠٠

جملة الفوائد المتأخرة تقريبا

٢٠٣٨٠٠٠٠٠

ريالات

١٧٥٠٠٠٠٠٠

جملة صرف تلك الديون  
بالريالات التونسية

٢٨٠٤٣٧٥٠٠

فاذا أضفنا الى ذلك مداخيل  
الحكومة من وقت تعطيل القانون  
الى انتصاب السكوبيون الذي  
هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة  
خمس عشرة مليوناً ريالاً الذي هو  
اقل ما يمكن نظراً الى ما تركها  
عليه الوالي السابق محمد باشا  
ونظر لدخولها فيما بعد فيكون  
المجموع للسنة سنين

٠٩٥٠٠٠٠٠٠

١٠٨٤٥٠٠٠٠٠

٢٧٥٤٣٧٥٠٠

٢٣٣٤٥٠٠٠٠٠

تقريب الغرم الذي دفعه السكان  
على مصاريق الثورة لانه ثبت  
بالحساب ان أهل الساحل وخدمهم  
دفعوا من ذلك عشرين مليوناً  
ما أعطت به الدولة العلية  
الحكومة وقت الهرج  
ما اهداه صاحب القرض الاول  
بأهم المائتين وأخذته الحكومة

٠٦٥٠٠٠٠٠٠٠

٠٤٠٠٠٠٠٠٠٠

٠٠١٦٢٥٠٠٠

٠٠١٠٠٠٠٠٠٠

٠٠١٦٢٥٠٠٠

٠٠١٠٠٠٠٠٠٠

٤٤٣٦٨٧٥٠٠

٢٧٥٤٥٠٠٠٠٠

(٤٤)

فكانت جلة الاموال التي خاضت فيها الحكومة في مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة  
وسبعين مليوناً فرنكاً وصرفها رياتاً ماهور مقوم بآزاشماع مزيداً للتضايقات المسالى  
بتعطيل الجرايات حتى امتدت الايدي الى الاوقاف وعطل ارسال مال المحرمين الشريفين  
من اوقافهم اعادة سنين وكذلك عطل مرتب المدرسين والعلماء من بيت المسال الذي  
اسمه اجدب باشا الاستيلاء الحكومة على ما فيها من المسال ولم يحصل من تلك الاموال في  
القطر ما يمكن ان يذكروا بعد سوى ما تقدم ذكره من السفن والدافع البالغ مجموع ثمنها الى  
ثمانية عشر مليوناً وان اضغت الى ذلك ما خسره القطر والحكومة مما ضاع عند ابن  
عباد ونسيم وكاه بواسطة الوزير المذكور كان مجموع ما بين يدي على خمسة مائة مليون  
ريالاً وحيث كان الحال مما لا يمكن اخفاؤه على الوالى بالمرءة كره وزيره خزنة داره  
تخزن له في بعض بنايات ارباعه عشر بين مليوناً فرنكاً احتياطاً للمساءة ان يقع لان  
الثورة العامة انذرت مما يخشى من مثله فلا بد ان يكون له ذخر خارج المملكة وذلك  
له مرة بمحض احد فتمسك الدول ثم طلب هذا القفسل اسقاط الطالب عنه بتلك الملايين  
عند بدله ومن وقت انتصاب الحكومة سيون المسالى قصرت يد الوزير خزنة داره  
التصرف وكاد ان يكون اسناد الوزارة اليه اسماً بالاسمى وحقن من ذلك اشد الحقن  
ورام ان يغير الحال فلم يوافق الوالى لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة  
لم يبقوا على ما كانوا عليه من الائتلاف على الوزير بوقى على ذلك الى ان ظهرت نازلة  
ارلانجى البنك كبري يطلب مالى وادعى انه ابروسيانى وكان ذلك في خلال محاربة فرانسامع  
المانياتوش - مد القفسل البروسيانى في مطالبه ولم يكن للحكومة مال وظهر للوالى ان  
يستقرض من وزيره المسال المطلوبه فيه الحكومة فاقرضها بالربا ورهن آجام وغازبات  
طريقه بفائدة عشرين في المائة في السنة ثم ظهرت نازلة الاثني رقعة وحاصه لها ان  
الحكومة سيون المسالى لها جميع الديون ووحدها في دين واحد جعل له رقفاً جديدة  
وشمرع في ابدال القديمة بالجديدة فعند ذلك تبين ان الرقاع الجديدة المقدرة على ماضيط  
من مقدار الدين لا تنفي بالرقاع القديمة التي جاء بها اصحابها للتبديل فاستقرى الحكومة سيون  
اسباب ذلك وتبين انه لما انتصب الحكومة سيون المسالى وجهت له الحكومة حساباً رسمياً  
فيه بيان حساب الرقاع الراضجة من ساني سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ بعد طرح الرقاع  
التي رجعت بالخلاص للحكومة في الاقتراعات وبعد طرح التي رقعة اشترت على يد  
البنك كبري ارلانجى للحكومة من ديونها فلم يعتبر الحكومة سيون في ديون الحكومة الا ما بقي

من

(٤٥)

من رفاق السفين بعد طرح القسمين المذكورين لأن كلا منهما هو خلاص لمقداره من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من الرقاع جديد بمقدار ما بقي من الدين ولما شرع في تبديل الرقاع وجد في رقاع سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على مقتضى الحساب الرسمي المشار إليه فظن أول الأمر أن الزائد مزور فتمل في جميعها ولم يجد فيها إلا لوزور خاويل حيث تم ذلك كشف عن منشأهاته الزيادة واستفسر من الوزير خزينة دار عن الألفي رقعة المشتراة على يدار لانجي وما كان فيها فلم يجب وأصر على السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرار السؤال له كما يبين ذلك من تقرير المجلستين المنعقدتين من الكومسيون في ١٥ أغسطس سنة ١٨٧٢ وفي غاية سنة ١٨٧٣ ولما أُلح الكومسيون على الوزير في طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تتصل بالرقاع المذكورة وأن دارار لانجي هي المطالبة بذلك لكن الكومسيون قبل أن يطلب من دارلانجي البيان تحرى فيما يلزم من الاطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى الرسائل الواردة منها لكي يعثروا في الخطأ ما هو الواجب فاذن الوالي في ذلك وأطلع عليه الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من المعلوم لدى الكومسيون أنه كان بين الوزير بخزينة دارو وبين رشيد الدحداح المتقدم ذكره معاملة خصوصية وأن الوزير رهن سبعة آلاف رقعة من سنة ١٨٦٣ فظهر الكومسيون أن يطلب بواسطة نافي الرئيس وهو قنسلات الحائز بة الوزارة من رشيد الدحداح المذكور بريدة أرقام الرقاع المذكورة كما يطلب من دارار لانجي بريدة أرقام الألفين رقعة التي استرجعتها الحكومة فأنصل بالجر يدين وكشف الحال أن الألفي رقعة روجها الوزير بخزينة دار على يد الدحداح بعد دخلاصها فعرض نافي رأس الكومسيون على الكومسيون تقرير مفصلا فيما ثبت لديه في المنازلة وتضمنه تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ في ٤ يونيو سنة ١٨٧٢ ولخص تقرير الجلسة أن الرقاع المذكورة سلمت في ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد شमित النائب عن دارار لانجي وقيدتها في الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة المؤرخ في ١٧ مايو سنة ١٨٦٧ ثم روجها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن في باريس وأن استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضرب بالحكومة وأرباب الديون وأن رأى كل الكومسيون أجمع على طلب التعويض والمخسائر من الوزير مصطفى المذكور اه وعلم الوزير بما وقع ونفذه الوزير بخزينة دار بالدين بفصل المنازلة عن الجمل

(٤٦)

فأبى أنمانه لانتاله الاحكام وبلغ ذلك للوالى سرا بواحدة طقة مصطفى بن اسمعيل اقرب المقر بين لديه لنعصب الوزير خيرا الدين به فى انهاء نظام خزنة داراليمه وافهامه ان الوزير خيرا الدين مضاد حقيقة لذلك الوزير وان كانت له عليه يدائمة والمصاهرة لما ذكر من سيرته فامتلا وطاب الوالى من انكاره أعمال وزيره ولم يزل الوزير مصر على الامتناع من بيان الوجهه فى رواج تلك الرقاع ثانيا الى ان واجبه الوالى ثانيا راس الحكوميين بمحض المذكور وعرض على الوالى ملخص النازلة وطلب منه امضاء المحكم فباشرا الوزير ثانيا راس الحكوميين بكلام شديد الى ان انتهوا الوالى وقال له ان جوابك له امان يكون بالحجة فى تبرئة نفسك أو تدفع المحق الذى عليك وان فصل الموطن وتيقن الوزير تغير الوالى معه لكنه لم يكن يظن انه يعزل فكاتب الوالى بالاقرار باخذ هذه الدلائل فى رقعة وطاب عفوه وادى للحكوميين ما طلبه ولما تيقن الوالى فضاغة النازلة وتيقن عدم الخوف من عزل الوزير بعد ان حصل جميع الجهات أبرم عزله فى فترة رمضان سنة ١٢٩٠ وكان مبدئه تقلده منصب الوزارة فى سنة ١٣٠٥ واراحت البلاد عند سماع عزله فورا وكان لا يصدق بعضهم بذلك لشدة كنهه من الولاة حتى ينقلون عن بعض المصالحين انه يقول له انه يتقدم ثلاثة امراء يكون مع اولهم بمنزلة الابن ومع الثاني بمنزلة الاخ ومع الثالث بمنزلة الوالد سنة من ذلك من آخر مدة أحمد باشا ويزيدت البلاد عند عزله ولم يسمع بئى ذلك فى هذا القطر واتباع عمل الافراح جميع البلدان والقبائل وخون على عزله افراده من خواص حاشيته ومن توفرت اربابهم على يديه وافراد قليلون من الاجانب ورام من له وجهة منهم ان يتدخل فى ارجاعه لمنصبه أو فى الاقل ان يواجه الوالى كأحد الموظفين فامتنع الوالى وجعل اتباعه يروذون كل وجه لا رجاءه حتى سافروا بهم الى اوروبا والى الاستانة واجتمع برجال الدول وبذل فى التوصل أموالا لم يجد من يتدخل فى توليته وزيراً فى حكومة مختارة فى ادارتها وحيث تيقن الوالى كثرة الأموال التى توصل اليها الوزير المذكور من أموال الاهالى والمحكمة سيما الأموال التى أخذها ابنه الا كبر بتذاكر على المال به مكتوب به ما يدفع فلان وزير المال مقدار كذا من المال لاميرالامراء بنما محمد فى مصالح على يده الخ ويقبض الابن المال ويعضى بخطه على القبض مع انه لا وظيفة له رسمية تقتضى صرف تلك الأموال ومع عدم بيان الجهة المصروفة فى المال فاراد محاسبته ومحاسبة ابنه على أموال الحكومة فتغير الوزير خيرا الدين من مباشرة ذلك على ما جرت به العادة من ان صاحب الوزارة يباشر مثل ذلك مع كل الموظفين وعقد

لذلك

(٤٧)

لذلك محاسنا مخصوصا برأسه وعلى عهد الولاية الأمير أبو الحسن على باي واعضاء المفتي  
الحنفى الشيخ أحمد بن الخواجه والقاضى المسالكى الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير  
محمد دورشيد كاهية ووكالت الحكومة على طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ أحمد كبار  
المدرسين بالجامع الاعظم وأرسل المجلس يدعو المظلو بين اسماعيل الدعوى كما أرسل  
الوزير خير الدين مكتوباً الى الوزير السابق يعلمه فيه بعد قد المجلس للأمل فى نازلة  
المطالب المتوجهة عليه وعلى ابنه وجوابه عنها فامتنع من الحضور والى عليه بالحضور  
أرسل الى قنصل فرنسا يطالب حياته وتوجيه أحد اعوانه ليجبه عند ذهابه للمجلس  
فتعجب القنصل من الطالب وأجابه بأنه لا يتدخل فى أحكام البلاد سيما ولم يجز عليه ظلم  
بقضى مثل ذلك ثم أرسل وكيله عنه من أحد رعايا الاجانب فلما دخل الى المجلس سأل  
الرئيس هل هو داخل تحت أحكام البلاد أم لا فاجابه بلا وتفاوض المجلس فى قبوله  
وعدمه على تلك الصفة فظهر لهم انه يجب ان يكون الوكيل داخل تحت أحكام البلاد  
ليؤاخذ بأعماله وأقواله فيما يتعلق بؤكاه وفيما يعود اليه ولما علم الوزير خزنة داد  
بذلك أرسل ابنه الثانى محمد المنجى الذى هو برئى من جميع الاعمال السابقة ووجه له  
وكيله عن والده وأخيه وعلم ما هى مطالب الحكومة منهما وحيث علم ان المحبة قائمة عليهما  
ركن الى طالب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الاعيان ان الصلح كان لا ينبغي  
وقوعه لان المال مال بيت المال فاما ان يتحقق مقدره ويؤخذ بهما وعلى فرض  
لده يجبر بالجدس ولا مقالة لقائل اذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما ان  
تثبت براءته ولا يؤخذ منه شئ وأجاب الوزير خير الدين بان اجباره يحصل منه القيل  
والقال سيما وشيعته يشيعون ان أصل المطالب غير صحيحة لقصد تدخل الاجانب فى امره  
وحيث لم يلب الصلح فالصلح خير ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مايو وناظره كما ومخلص  
صورة الصلح هو ما يأتى بيانه

(٤٨)

فرنك

أصل المبالغ الذي صونج عليه بطرح منه ما اسقطته عنه الحكومة	٢٥٠٠٠٠٠
بيان ما دفع فرنك	٠٥٠٠٠٠٠
٢٠٠٠٠٠٠	
ماسبقه للحكومة في منابها من أرباح دار السكة	٠٠٦٠٠٠٠
ما هو بقية قرضه لم يبرهن طبرقه مادفعه عينا	٠١٢٣٥٩٢٢
٠٠٢٠٠٠٠	
قيمة ما يملك من الربع والعقار والمنقول واستثناءه قصر الخلفاوين والخشب المقطوع من طبرقه	١٠٩٦٤٠٧٨
١٣٠٠٠٠٠	
١٣٠٠٠٠٠	
فبقى قب له سبعة ملايين مقسطة لا قسط كل قسط بنصف مليون في سنة وضمن الولد الا كبر اياه مع خيار الحكومة في الطاب وكتب بشرح ما تقدم يصلك امضى فيه الجميع وختمه شاهدان من عدول الحاضرة يطرح ما اسقط عنه في مقابلة اسقاطه الاتفاق في عمل دار السكة الذي احاله اليه حميد بن عباد	٠٧٠٠٠٠٠
٠١٥٠٠٠٠	
٥٥٠٠٠٠٠	

فكان الباقى على النحو المسار ذكره خمسة ملايين ونصف فرنك ولم يدفع الا قسطا الى  
حات عليه منها الدعوى الافلاس وذكر الاعيان ان المقادير التي دفعها لم يكن فيها شيء  
من الدين الا مائتي ألف فرنك وما بقي من الاملاك كلها الا ما ندر أخذت منهم هبات من  
الولاية كما تقدم يدبر رسومها أو اشتراها من الحكومة بأثمان ضعيفة دفع فيها املاكا  
كانت الحكومة وهبتها له مثل قربانيا التي اشتراها من الحكومة بخمسة آلاف ريال  
تونسية ودفع في ثمنها أرض سبخة امام حمام الانف مع الحمام المذكور الذي كان أخذ

جيد



(٤٩)

جميعه هبة من الوالى المحالى ثم بعد أربع سنين عند الصلح المشار اليه عرض ان تكون  
 فدية قرنبالية المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنكا ومائتا فى دعوى الافلاس أيضا  
 ان كثيرين ممن لهم علاقة بالكروميون المالى وبمجلس ادارة المداخيل علما وان الوزير  
 المذكور كان قبل عزله يرسل من يستخلص له فوائض أربعة وعشرين مليونا فرنكا من  
 خصوص الدين التونسى ثم بعد انبرام الصلح صدر له اذن الوالى بان يخاطب من شاء  
 ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجه والعود اليه متى شاء هو وبناؤه الأزوجه وزوج  
 ابنه الا كبر ليكون معهما من عائلة الوالى ولم تكن عاداتهم تسع بخروج أحد عاداتهم  
 خارج القطر ولم يستثن عليه الا الاجتماع بالوالى وكان يظن ذلك بسى الوزير خير الدين  
 المتولى بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالى لانه دام على الامتناع من مواجهته  
 حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقي الوزير المذكور على حالة انفراد في  
 قصره بالحاضرة يتردد عليه قليل من اتباعه والاجانب الى ان توفي سنة ١٢٩٥ رجه  
 الله (المطلب السادس) في وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير اصابه من ابناء الجراكسة  
 القاطنين في جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم شب في تونس بقصر الوالى أحمد باشا  
 واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العلمية ولحده ذهنه أقبل بها على  
 تحصيل الفنون العسكرية والسياسة والتاريخ ومشاركة في الفنون الشرعية حصلها بامتانة  
 أهله ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنسي وكان فصيحاً في العربية عارفاً بالتركية  
 والفرنساوية شديد التوقير للشرعية والعلماء محافظاً على شعائر الدين على الهمة وقورا  
 حتى يخاله من لم يخاطبه متكبراً فاذا نافه رآه حسن القبول عفيفاً عن الرشاخ الطبع  
 ثابته الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازماً في العمل ترقى في المخطط العسكرية في مدة أجد باشا  
 مع استنجابه اليه وقربه الوزير مصطفى نخونه دار حتى صاهره على ابنته ثم ولده أجد باشا  
 أمير اللواتي الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أجد باشا المذكور الى  
 باريس ليبيع مجوهرات الحكومة يستعين بثمنها في مصر يدفع العسكر بما تقدم شرحه ولم  
 الدولة العثمانية وناضل هذا على التعرض في ارسال العسكر بما تقدم شرحه ولم  
 يبيع المجوهرات الا بعد عرضه لاثمنها على الوالى أجد باشا مع انه فوض اليه وانكر عليه  
 التأخير بسبب الاستشارة وكتب له تقرباً تاماً كما كلفه في تلك الوجهة بعقد قرض مع  
 إحدى ديار المال فباع المجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا  
 وأخذ حجة تامة من محمد باشا في الحساب وبراءة ذمته وما طل في العقد للقرض وكيفية

(٥٠)

شروطه لمسايراه من المضرة على القطر وراجع الوالى مرارا الى ان توفي الوالى المذكور ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب امصار الولاية الوزير أحمد ابن أبي الضياف في هـ هذا الغرض مانصه وشكر أى محمد باشا خير الدين في عدم الاستبجال واتفق ذهاب البلاد من هاوية الخ ثم عرض للوزير المذكور في انشاء سفرة المذكورة هروب ابن عباد وتكليف الوالى أحمد باشا الوزير المذكور بخصامه فدام في خصامه سـ نين مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ ونجح في عمله بما تقدم شرحه عند الكلام على ولاية أحمد باشا ورأيت بخط الوزير أحمد بن أبي الضياف في ذلك مانصه ولو تم مراد ابن عباد ووجد من خير الدين اذنا صاغية لمواظبته لكانت المصلحة في أمره لوقتئها هـ ذلك كثرة ما يـ دمه من الاوامر والرسوم الى ان قال لولا تدارك لطف الله على يد خير الدين الخ ثم في سنة ١٢٧٣ قدم الوزير خير الدين من فرانساً اتهمته الوالى محمد باشا فاكرم مقدمه وعرف له نصحه في النوازل المذكورة ورقاه الى رتبة الفريق وعاد لا تمام المحصومة المذكورة فولا محمد باشا وهو غائب وزارة البحر لموت صاحبها محمد كاهية سنة ١٢٧٣ وعند انبرام الخـ كم على ابن عباد رجع الوزير خير الدين الى تونس واعتنى مباشرة وزارته مع اعتقاد الوالى عليه في الاستشارة فمن حالة حلق الوادى التى هى أعظم مرسى فى القطر بما استطاع ورتب هيئة خدمة الوزارة بتعيين يد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية فى دفتر وكان أول من عرف ذلك فى القطر وكانت الامور تجري بلا ضبط وجعل اتفاقا مع الجانب الذين استولوا على أكثر اراضى تلك البلاد بلا وجه فعل معهم الاتفاق على ثلاثة أو جهة فمن كانت يده حجة من الوالى فى الاذن بالبناء جعل له قيمة كراء الارض خاوية سـ موباعلى حسب الكراء المؤبد ولورثته مـ يرانها من بعده ومن كانت يده حجة فى البناء من خصوص وزير البحر فقط فله ابقاء البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده تـ رجع للحكومة وان امتنع قلـ مع بناءه أو تراضى مع الحكومة فى شراء الارض أو كرائها ومن لم تسكن يده حجة لزمه التوافق مع الحكومة أو قلـ بناءه ووافقه على ذلك فتماسـ ل الدول وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من الكراء المؤبد ما هو وقف الآن على جامع حلق الوادى وقام به أحسن قيام ثم أحدث مملا بخار بالما تحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية والخشبية وأبدل الجسر الذى كان على الخليج بجسر حسن متين وأوسع الطرق ونظمها وبنى مجلا لادارة الوزارة حسنا وجعل امامه بطحا وحسن لباس العساكر البحرية ثم لما أنشأ

(٥١)

أنشأهم - دالامان كان الوزير المذكور فارس ميادين انشا القوانين باسمه للحرية والعدل وكان المجلى في مضمونها رها بتهاد بيده وفصاحته وعدم استحيائه من الحق حتى ان الوالى المذكور لما اراد جاب ما زغوان وجع رجال حكومته واستشارهم وكان أغلبهم - م ذاهبا الى عدم الموافقة فاجابهم - م الوالى بافى أعطيت كلمتى للقنصل بالموافقة على جابه فتنفس الوزير خير الدين وقال أى فائدة تجمعنا حيث أعطيت كلمتك وحسبنا سماع هذا الخبر من سيادتك كم كذا رأيت به بخط كاتب أسرارهم الوزير أحمد بن أبى الضياف ولما ولى على القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور الى الدولة العلمية لطلب فرمان الولاية على العادة واستقبله استقبالا حسنا وقضى مأموريته ولما انجز الوالى المذكور القوانين كالمرولى الوزير خير الدين عصوا فى مجلسه الخاص الذى يرأسه بتغسه كجولاه رئاسة المجلس الأكبر اى مجلس النواب وكان فى مبدئه الامر رئيسا ثانيا للوزير بمصطفى صاحب الطابع وهذا هو الرئيس الاول غير انه اخذ لقب الوظيفة فقط مراعاة لمقامه وسنه ويجوز دسنا ومعارفان الوفاء بتلك الخطة ومن انصافه رحمه الله كان يصرح للوزير خير الدين بذلك ويقدمه حتى ان القانون بعد اتمام تأليفه عين الوالى أعضاء المجلس حسب الانتخاب وأمرهم بقراءة القانون وفهم معناه قبل العمل به فلم يحضر الرئيس الاول وقام مقامه الوزير خير الدين وقال فى شأن ذلك الوزير أحمد بن أبى الضياف ما نصه وأبدى فى تقريره أى القانون وبسطه وثغسه - يرو من حسن البيان وفصاحة اللسان ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه واعترف له بالفضل كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم توفى الرئيس الاول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس بالاسم والرسم والعمل وقد كان على غرضه انما ان القانون مراد لذاته حقيقة فشمع من ساعد المجلس دوطفى يبرهن على المصالح ويفتح البصائر الى مغزاها وتنقاد الاعضاء لسداد أبواب المفاسد الى أن نشبت محالب التضاد بينه وبين الوزير السابق كما تقدم شرحه واضطربت أعضاء المجلس ورأى ان المسأل الى جعل المجلس صورا بالانفاذ الاغراض على عاتقه فاستعفى من الرئاسة وبقي عضوا فى كل من المجلسين وقال فى ذلك الوزير أحمد بن أبى الضياف وانتفع المجلس باعانة أى انتفاع مترديا بحية نبهه وعفافه وانضافه الخ ثم أرسله الوالى سفير اعنه الى دولة السويد والبروسيا والبلجيكا والدانمارك وهولندا مكافأة بارسال نياشين الى ملوكهم عما أرسلوا به اليه من النياشين اكرامه على انشائه القوانين وكذلك فعلت غالب دول أوروبا وفى اثنائها عضوية عرض على المجلس الخاص

(٥٢)

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر ووافقه أحد العلماء المالكية معتدا  
 بالقوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس  
 رضى الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف في طرق البرور أو ان القيام بالعساكر  
 من طرقها خلف الفهم الوزير خيرا الدين محتاج بان القيام بالعساكر له نصيب مع عموم شرعا  
 من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا تصرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك  
 فينبغي ان ينطبق النص ووافق على ما ذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف  
 في غير وجهه الشرعى كما يعلمه الجميع فلا يرى انطبق النص على ما ذكرتم ولعمري  
 انه لموصىم الحق فقرة العلم لم تحقيق المناسط وان ذهبوا الى العمل بما رأوا وكان ذلك  
 من أسباب اغيار صدور الخصاصه والعمامة كما تقدم ولم أر اموا أن يضاعفوا الاداء المسمى  
 بالانئين وسبب من الذى كان سديا في الطامة الكبرى كما مر قال الوزير المذكور للوالى  
 حسمباريته بخط الوزير ابن أبي الضياف المحاضر في الجاسر ياسيدى ان أخفيت  
 ما ظهروا من نصيح سيدى بلادى أكون خائنا لآمانة الاستشارة ترى ان هذه الزيادة في  
 مال الاعانة تؤدى الى زوالها بالمرّة أو تلجئ الى مال أكثر منها التجهيز الجيوش الغصب  
 الناس ولا نجد في السنة التي بعدها ما يقارب الاعانة الاولى هذه ذابغة بار القدرة على  
 الغصب ولعمري أنما ملة الدين وأصبح تجد ثوابهم يوم تجد كل نفس ما عملت الخ كلامه  
 وصرح بمثل ذلك في الجاسر الأكبر أيضا ولمس له بعض أعضائه سرعما أو حسب تسليمه  
 قال انى رأيت السقف يريد أن ينقض ولم استطع استدراكه ولا وجدت اذنا صاغية  
 فخرجت من تحته وعلى بخويصة نفسي ثم لما أبطل القانون بقى الوزير خير الدين في  
 بسطة انه مقبل على شؤون نفسه لا يحتاط بالحكومة الانخويومين في الظهور يتوجه الى  
 الوالى للسلام عليه أو عندما يعود لأمركما وقع عند قتل الشهيدين اسماعيل السدي  
 ورشيد لان الوالى جمع بعد ذلك جميع رجال حكومته وأعلمهم بالقتل ورأيت في صفة  
 المواطن بخط الوزير ابن أبي الضياف الذى كان حاضرا فمه ما نصه وقال له الوزير  
 المنصف أبو محمد خير الدين نرجوا الله أن يكون هذا أحد البأس وان لا تقع ندامة على  
 هذا الاستعمال بعد ووصولهما الى محبسه لان الجمع الزمان ينافى هذا الاستعمال  
 فاعتماظ الوالى وكاد أن يسفه به الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله في أمثال  
 ذلك من النصح والادام كثير وفي أثناء استعفاؤه كان التزاوير بينه وبين الوزير مصطفى  
 نخره دار مستقر القرابة المصاهرة ولا يتداخل معه فى رأى من تصرفاته كما ان الاعيان من  
 المتوظفين

(٥٣)

المتوظفين والاهاالى يزورونه ولا يخوض معهم في شئ من أحوال سياسة البلاد محتجبا القيل والقال مستكفيا في الناس وراحة البال بخواص من أصحابه مقبلا على مطالعة المكتب والتأليف فالف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهو أول كتاب مبدع في السياسة التي يقتضيهما الحال والشرع وكفي بتقاريط العلماء فيه مع أن الرجل اذذاك بعيد عن شائبة التعلق اليه ثم اشددت الاجانب في طلب أمواهم وأنشئ الكومسيون المسالى باتفاق الدول دعاه الوالى الى رئاسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما أُلح عليه الوزير السابق قال له مامعناه ان الحال قد بين التباين بين مهيبى ومهيبك في طريق السياسة وانت رجل مثـل والذى لك النقد دم على فان وافقتك خدمت دينى وأمانتى وان خالفتك صرت الى العداوة معك فالوالى بقاى على ما أنا عليه فاجابه بتركه جميع ماضى وان الحال قد بلغ النهاية وانه لا يريد في المسئلة قبل الاصلاح وموافقة الرأى فاعاد الوزير خير الدين مقالته وأناب مع الوزير مصطفى خزنه دارا لىوافق السيرة التي يراها هو فاكده مزيدا لموافقة في عدة مواطن وقبل اذذاك الوزير خير الدين رئاسة الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات اليه وان رجع الوزير السابق عن وعدده وتجهل الوزير خير الدين بسبب ذلك مشاقصه عابا بالكنه لم ينتج للوزير مصطفى خزنه دار مراده الى ان انفصل عن الوزارة بالمره كما تقدم شرحه فاول ما ابتدأ به الوزير خير الدين من الاعمال انه رأى تدخل الكومسيون المسالى في مالية الحكومة يتسع نطاقه الى التدخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركب ذلك الكومسيون ودليله انه بعيدا عنه تصاه وجهه تقرير الوالى في أمور تفتتها ونظيفته من مباشرة العمل في استخلاص الاموال وغير ذلك وتوقف عن امضاءها الوزير السابق لانها تؤل الى خروج النصرف عنه بل وعن الحكومة أيضا فاشتهى أعضاء الكومسيون الاجانب الى قناساتهم بان اعمال الكومسيون توقفت لان أساسها توقفت الحكومة في امضاءه فكتب القناس للوالى بالتسجيل والحث على اجراء ما التزم به للدول الثلاثة وهى فرنسا وايطاليه وانكتراف مع الوالى جميع رجال الحكومة وعرض عليهم الامر وكان من الحاضرين الوزير أحمد ابن أبى الضيف وكتب جميعا رأيت بخطه فيما وقع في المجلس ما نصه وقد كالم الوزير خير الدين بالمجلس بما يكتب على صفحات الايام الى أن قال انكم دفعتمونى الى هذه الخدمة وأنا عبد لخدمة سيدنا وبلادنا على كل حال ونطلب الاعانة من جمعكم فان أعنتونى فلكم الفضل وان أسلمتمونى لأجمع

(٥٤)

للهرب وانما أقول اخدم برهة من الزمان وأنا خوليقدم غيزى من أمثالى يخدم مثل مدق  
 وهلم جرافضين الجميع له الاطاعة كل على حسبه وانفصل الموطن الخ وأمضى الوالى  
 مطلب الكومسيون وخطب القناسل بذلك وكان ذلك مما يجبر الى ابقاء الحكومة  
 صورية لان استخلاص الاموال يستدعى تحسين الادارة وهو يستدعى العدل فيمداخل  
 الكومسيون في جميع ذلك وتمهرع اليه الاهالى ولا يبقى للحكومة الا النزف لذلك أشار  
 الوزير خير الدين على الوالى بوجه تمضى معه حقوق الكومسيون وتحفظ به حقوق  
 الحكومة وناموسها وهو توافر رئيس الكومسيون بوظيفة وزير للوالى فى رتبة الوزير  
 الا كبر بحيث يشاركه عند حضوره ويفرود عند غيابها ونقل خدمة الكومسيون  
 الى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الاعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك رأى  
 ووظف الوالى الوزير خير الدين وظيفه سمهاها بالوزير المباهر قرب أشغال  
 الوزارة على الصورة الاتية وهى الوزارة الكبرى وتقتصر فيها جميع شعب الادارة  
 الا الوزارتين الاتيتين معنى أن الوزير الاكبر ثم الوزير المباهر هما اللذان  
 يباشران جميع المصالح اما بواسطة او بدونها ثم قسم ادارة هاتى الوزارة الى أربعة اقسام  
 (القسم الاول) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه جميع الامور السياسية العامة  
 واحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة ونزجها دون ما يتعلق بالكومسيون المالى  
 (والقسم الثانى) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بشكايات الرعية من  
 الموظفين والعكس (والقسم الثالث) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق  
 بالحقوق الشخصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثانى (والقسم الرابع) تحت رياسة  
 مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلامن وزارتى الحرب والبحر مستقلا  
 بنفسه كل منهما مالها وزير خاص غير انه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذه اما يتعلق  
 بكيفية الارادة وأما ما يتعلق بما حصل من الادارة فان ديون الحكومة حصرت فكانت  
 مائة مليون وخمسة وسبعين مليوناً فرنسكا كما تقدم تقريره أنفاو كان الفائض الذى يدفع  
 سنوياً نحو العشرين مليوناً فرنسكا فاسقط من الاصل نحو مائتين فرنسكا ثم طرحت العشرون  
 مليوناً التى هى الفائدة التى لم تدفع وجعلت ديناً بالفائض يستهلك من الدخل المضروب  
 جديداً على البضائع الداخلة للقطن وبقى المقدار الذى يؤدى الفائض نحو مائة مليوناً  
 وخمسة وعشرين مليوناً فقط فجعل له فائضاً خمسة فى المائة وصار مقداره الفائض  
 السنوى نحو ستة ملايين فرنسكا وخمسة مائة ألف فرنك الذى هو نحو الثلاث مما كان جارياً

وتخصص

(٥٥)

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لأن نواب أصحاب الديون وهم قسم  
النظر من الحكومة سيئون المال لم يرضوا بأن الحكومة تتعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا  
أن تكون إدارة المال الراع اليهم تحت أيديهم فجعل لذلك مجلسا يسمى مجلس الإدارة  
أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الحكومة سيئون وعددهم خمسة وعضو تونسي  
ينتخبه قسم العمل وفوض اليهم قبض المداخيل الراجعة الى الفائض تحت  
احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) ينولى  
قبضه ذلك المجلس والانواع التي سلمت الى ذلك هي ما يأتي بيانه مع بيان تقرير بدخله  
حسب الميزانية المسطرة من الوزارة السابقة

فرضيات

لزمة فندق الغلة أى الاداء على الخضر اوات والفواكه المباعة في الحاضرة	٠٣٥٠٠٠٠
محصولات سوسه والمستدير أى الاداء المرتب على نحو ما ذكر على بيع الحيوانات وغيره	٠٤١٢٠٠٠
الرحب أى الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه	٠٠٩٧٠٠٠
القمح ورق أى الاداء على الساع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك	٠٥٠٠٠٠٠
نخروبة الاكرية بالحاضرة أى أنه يؤدى على كل ريال المنقسم الى سنة عشر نخروبة نخروبة واحدة أى جزء من ستة عشر على كل مكان يكرى	٠١٠٠٠٠٠
قرق صفاقس	٠٠٤٥٠٠٠
قرق وادى قابس	٠٠٠٨٠٠٠
قرق سوسه والمستير والمهدية	٠٠٣٥٠٠٠
قرق الدخان أى انحصار بيع الورق المدخن به والمستنشق في الحكومة	٠٢٣٠٠٠٠
قرق الخلل أى ما يؤدى على المسكرات	٠٠٥٥٠٠٠
	١٨١٢٠٠٠

(٥٦)

فونكات	
١٨١٢٠٠٠	نقلت
٠٠٤٥٠٠٠	فندق البياض أى ما يؤدى على بيع الفحم
٠٠٦٠٠٠٠	الجبس أى انحصار بيع الجبس فى الحكومة
٠٠١٠٠٠٠	صيد الخوت أى الاداء على صيد السمك وانحصار ما كن البحر
	فى صيد الحكومة
٠١١٠٠٠٠	الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها
٠٠٥٥٠٠٠	الاداء على النشاف والقربط أى الاسفنج ونوع السمك المسمى
	بالقربط
٠٨٥٠٦٠٠	قانون الزيتون فى سوسة والمستير والمهدية وصفاقس أى الخراج
	على شجرة الزيتون عوضا عن العشر
٣٠٣٢٠٠٠	
٠١٥٠٠٠٠	قانون زيتون الوطن القبلى
٠١٠٠٠٠٠	محصولات صفاقس مثل ما يذنا سابقا
٠٠٩٠٠٠٠	محصولات جربة وقرقها
٠٠٨٠٠٠٠	محصولات بن زرت
٠٠٢٠٠٠٠	محصولات حاق الوادى
٠٠٠٨٠٠٠	لزمة صيد المرجان أى المفسد الذى يؤدى على ذلك من
	الفرائس
٠٠٨٥٠٠٠	محصولات الوطن القبلى
٠٣٠٠٠٠٠	التنبراي الاوراق المختوم عليها من الحكومة ليكتب فيها
	الاحتجاجات بحيث لا تقبل حجة فى غير ورقة مختومة
٢٦٤٠٠٠٠	السراحات أى الاداء على ما يخرج من القطر من الجيوب والزيت
	والتمر والصوف والصابون
٢٥٠٠٠٠٠	
	وقد اقيم الحساب على مقتضى هاته الميزانية فلم يوفى فى أغلب السنين للغطا الذى وقع
	فى



(٥٧)

في تقدير فصل السراحت وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما أبانه الواقع وسبب ذلك عدم  
امكان ضبطه في الوزارة السابقة فقرب تقريرا بالقياس على سنة كانت خصبة مع الطلب  
في الثمن الى أروا ولذلك لم يحكم الحكومة ان تكل من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك  
الدخل عن الوفاء بالما ترض حسب ما هو مشروط في اللائحة التي جعلها الكومسيون المالي  
أساسا لعماله فان منها ان فائض الدين الذي هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان  
وفت بها المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فيها ونعمت والا فالحكومة ملزمة بان تكل  
من باقي مداخيلها ما يوفي بذلك المقدار غير انها في السنة الاولى لا تكون ملزمة الا بما  
يكمل خمسة ملايين وما ينقص يذهب مجانا على أرباب الديون وفي السنة الثانية تكون  
ملزمة باكمال خمسة ملايين ونصف وفي السنة الثالثة تكون ملزمة باكمال ستة ملايين  
وفي السنة الرابعة تكون ملزمة باكمال الستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب  
التي تقدم شرحها في ضعف القطرو من الشروط أيضا ان الحكومة لها ان تستقرض  
من خزنة مجلس الادارة مليوناً متى أرادت لسبب قوى على ان ترجعه قبل مضي سنة  
أشهر ولا تؤدي عليه فائدة ومنها أيضا اذا زاد دخل القسم المذكور من المداخيل على  
التقدير اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشتري به رفاع من  
الدين ونسبة تلك وهكذا في كل عام الا اذا زاد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان  
ما زاد يقسم أيضا فالنصف يلحق بما تقدم في استهلاك رأس مال الدين والنصف الآخر  
تصرفه الحكومة على نظير قسم العمل من الكومسيون في المصالح العامة كالطرق  
وغيرها (وأما القسم الثاني) من مداخيل الحكومة وهو ما بقي من أنواع المداخيل  
كعشار المحبوب والزيوت ونجرات النخيل ومداخيل الجلود والاداء على الرقاب المدعى بالجبا  
أو الالعانة الذي هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من  
الكومسيون وهو الذي يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقته للايزان الذي يجعل في  
رأس السنة لمصاريف الحكومة في مصارحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر الموظفين  
وتكون بطاقات الاذن لحفاظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالي غير انه لا يختص بها بمضائه  
ما لم يجدها المضاء أعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان البطاقة موافقة  
لاصول الميزان المالي ولا يكتب من تلك البطاقات في وقت من الاوقات إلا بمقدار ما في  
الخزنة من المال بحيث لا تقع المساطلة لصاحب البطاقة من القابض الذي هو حافظ  
الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى اسقاط شيء مما بها التدفع اليه أو انه يبيعها لغيره

(٥٨)

ما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا هو الرسم الذي جرى عليه العمل في  
الظاهر ور عا رقع ما تخالفه على وجه تصعب مراقبته فهذا ما يتعاقب باحوال الديون وما  
جرى عليه اهل فيها وقد رفعت فوائضها في السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها  
المعينة لها ثم في بعض السنين اكتملت الحكومة من مداخيلها وفي بعضها زاد الدخل  
المعين لها حتى اشترى منه شئ من اصل الدين وفي بعضها رهنف الحكومة دار الجملدى  
مدينته لا كمال الفاضل بحيث ان جميع مدة تصرف الوزير من الدين لم يبق على  
الحكومة شئ من فائض الدين وانتسق دفعه في اوقاته ثم جعل هذا الوزير معاودة  
مقبوضة مع سائر الدول الاجنبية على ان يترافق اداء القموق على السلع الداخلة من  
ممالكهم الى القطر والمقدار المزدخسة في المائة وعين هذا المقدار الى استهلاك الدين  
الذى يبقى بلا فائض واصله فائض الديون السابقة الذى لم يدفع وقدره نحو عشرين  
مايوناعلى نحو ما تقدم ثم بعد خلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القموق  
الى فائض الدين المتحد واستهلاكه وصار اداء القموق على السلع بين المزيديو المزيدي عليه  
ثمانية في المائة واما ما يتعاقب بمحسين الادارة المسالية والحكومية في القطر فاحداث امور  
عديدة نافعة فمنها انه ابطال انواع الخجاني التي اختلفت كيفيتها وكيفيةها في السنين المتقدمة  
ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب اربعين ريالاً ونسبها في السنة مدرجة  
على اربع سنين (في الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالاً (وفي الثانية) يدفع  
ثلاثين ريالاً (وفي الثالثة) خمسة وثلاثين ريالاً (وفي الرابعة) اربعين ريالاً ويجرى بها  
العمل من غير زيادة وشدد في الاخذ على ايدي العمال بحيث لا تمتد يد احد منهم الى شئ  
زائد عما ذكر وجعل لهم اجرهم سنة في المائة ياخذون من ذات الاموال المستخرصة على  
ايديهم الراجعة للحكومة منها اربعة للعامل وريالان للشحج ثم ابطال هذا الاجر وعوض  
بواحد على كل عشرة تستخلص من الدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر  
اربعة واربعون ريالاً في السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل فيأخذ هو النصف  
والنصف الاخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المميين بالخفاوات (ومنها) جعل  
قانون معلوم لسل الحكم في استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة اولاً لاهالى  
اولاً لاجانب بحيث ياخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من الملة هذا اذا  
كان رسولاً من الحكومة أى من أعوان الوالى اما اذا كان من أعوان العامل وغیره من  
الحكام غير اهل الشرع فانه ياخذ ثلث ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب

(٥٩)

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار المحبوب التي اضطرب حالها أيضا فخصر  
 هـ شمر كل ماشية أى ما يجزئه الرجل الواحد في السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة  
 بحسب كل جهة وبذرها مما يطلق عليه اسم الماشية هنالك في خمسة وبيات قمعا  
 ومماها شعيرا الذي هو أقل ما يمكن أن يكون عشر الخارج من النبات في أغاب السنين  
 وما زاد على ذلك من العشر الحقيقي فهو في عهد مدة ديانة صاحب الزرع يدفعه من أراد  
 وإذا ثبت صاحب الزرع ما احتاج زرعه فانه يسقط عنه بمقدار مضاعف له ويؤدي أجرة  
 الكيل والتقييد والتقدير أربعة ريات على كل ماشية هذا كله في الجهات التي تدفع  
 العشر من ذات المحبوب المناسبة وأما الجهات التي تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن  
 محل الدفع فإن الدفع يدفع خمسة ريات على كل ماشية في كل سنة وريالين أجرة  
 المستخلص وهذا المقدار مراعى فيه حاله صاحب الفلاحة لأن ثمن الخمسة وبيات من  
 القمح وحده تبلغ الخمسين ريات بحسب ثمن كل وية عشرة ريات الذي هو السوم في  
 أغاب السنين وروعى فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصارف المحل لعدم  
 الطرق الصناعات ثم إن ذلك المقدار سقط أيضا تدريجا على أربعة سنين يتبدل بثلاثة  
 وبيات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد في كل سنة نصف وية إلى أن يوصل في  
 العام الرابع إلى خمسة وبيات من كل نوع ومثله ما يقابل من المال وقد تجتمع من ذلك  
 عمران الأيالة بدليل أنه عند ولاية المذكور وزير مباشر الم يكن في الأيالة عشرة آلاف  
 ماشية أرضا مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة ترك في المملكة أكثر من مائة ألف  
 ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على نواجذ بتون المسمى بالقانون في الوطن القبلي  
 الذي كان أحف باهـ له في المدة الماضية حتى سلمت أصحاب الأملاك فيما لم يكون ولم  
 يقبل منهم وأغروا البوادي بأحراقه للاستراحة من مطالبه فنزل من رتبة الريال والنصف  
 ريال على كل شجرة إلى الثمانية نواصر على كل شجرة والنواصر هي شجرة من نخزية  
 الريال إلى اثنين وخمسين ناصري ثم اسقط عن أصحاب الزيتون إحدى وثلاثين ألف  
 شجرة زيتونا احترقت واسقط عنها أداها وبه يعلم مقدار ما كانوا يجمعون ومقدار  
 نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك في العدد الثاني من راند سنة ١٢٨٦ الذي هو  
 الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الأداة بالمرور رجوع الأمر إلى الوجه الشرعي وهو  
 العشر على ما يخص من الزيت وفرح بذلك أصحاب الأملاك وأقاربهم وفرحوا شديدا  
 لا ريبا لهم من أعباء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون الخيل ببلد نفزاوه من عمل

(٦٠)

الجري يد حيث كان ملحقا بسائر عمل الجري يد مع انه غير مساو لما فيه من شجرة النخيل خصبا  
وحسنا فاذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالان ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل  
سنة خراب على كل شجرة والخزوبة جزء من ستة عشر جزءا من الريال كما تقدم (ومنها)  
ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتموظفين عما تطوع به بحسب وظيفة منهم ولم يوصلوا الى  
الحكومة وبقيت قبائلهم وبلدانهم مطلوبين للحكومة ببقايا ما عليهم - ثم فحور من ذلك  
مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضهم او بعضهم لم يقبض اما لاعداد من قبضه او لضعفه  
واسقط ذلك من المطالب الباقية على اصحابها من أهل الجري يد ودرجندوبه والساحل  
وأولاد عيار وأولاد مجور ومن ذلك محاسبة أحمد زروق وانباعه وابراهيم بن عباس  
واخوانه وعلى السامى وعبد الرحمن بن عمرو والحاج الحسنى وللخص الحسابات ما يأتي بيانه  
ريالات

من الساحل حسب ما أفاد أحد أعضاء مجلس المحاسبة	٨٠٠٠٠٠
من بقية الاعمال المذكورة حسب ما نشرت المحاسبات	١١٥٨٠٨٥٢
	<hr/> ٩١٥٨٠٨٥٢

منها أيضا غنم	٥٨١
منها بقر	٠٦٤
منها نخيل	٠٢٠
منها ابطال فضة	٠٠٢
منها بابل	٣٤٠
منها اجرة	١٢ ر
منها القفزة جميعا	١٣ ر ٠٧
منها القفزة شعيرة	١٢ ر ١١
منها بغال	٠٤ ر
منها طرحات تبين	٢٦ ر

(ومنها) تنقيح المتوظفين بما لا يوغر الصدور الامن تفاقمت سقطاته فدحض واما غيرهم  
فلم يؤثر من كان من خربه على غيره ولو على اصداده فلم يقد فيهم الاحسان ونقص بذلك  
اعتبار خربه حتى رآه الوالى مفعود الاعوان واتخذها ذريعة ليعزله من الوزارة وصددت  
وصايات الحكماء الاقدمين الحماة على جانب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى  
الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يضمحلون بذلك واما دعوى التجرب بالجمهور  
فذلك أمر لا يتم الا للولاء الذين رخصت قدمهم في الملك بالتوارث وصار انقياد الانفس  
اليهم طيعا اما لولاء فهم أشد الانصاف احتياجا الى معرفة الاصدقا (ومنها) الترغيب  
فى غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شاة ان لا يؤدى عليه شيئا من  
الادآت

(٦١)

الادآت المرتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضرع عن أهل الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المديون مع قيام الرهن بيد المداين ويبيعون غلة الاحباس المشتركة مع المديونين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون الضامن قبل فاس المديون مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من المديونين ويبيعونها على غير يد المحكام واذا افلس المديون لا يترك له ما يستربدنه ولا ما يقات به ويترك كون المديون في السجن بالتحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجر من القطر من الاهالى بالامن لهم والمفوع من سبقت منه جمالية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة وكذلك العساكر الذين فروا من القطر شهلاهم بمثل ذلك (ومنها) ارجاع من تكب من اتباع الحكومة وتأمينهم وتقليد هم بمثل ما كانوا عليه من الوظائف اذ لم يكن من سبب معقول لابعادهم أو نفيهم أو تكبيتهم فرجع للقطر وللوظيفة السيد الشريف أمير اللواء حسن مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد الرباط وأمير اللوايونس الجزيري وأمير اللوا و أمير الاسلاي حسين ورديان باشا وأمير الاسلاي حسن مدجلى والقائم مقام على جهان وغيرهم (ومنها) حصر المديون التي على أهل الساحل من الاجانب وبنائها على أساس لاثق بالجنابين بحيث انقطع تقاعهم الربا ونصاعفت زيوت السلم وجعل لخلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) ان أمير لواء العسة اذ ذلك على ابن فريجة نغم عليه الوالى وأراد ان يأخذوا مقته أهم مصوغه وكسبه باوجهه من الدعاوى بلاينة ولا ترفع كما وقع مع الشهاب بن اسماعيل السني ورشيد فامتنع الوزير خيال الدين واقام له مجلسا لمحاسنته ومكته من مصوغه وما ثبت عليه بعد الحساب دفعه باختياره (ومنها) بذل وسعه في استحصا لفرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه ومن فرح الوالى به واكرامه على ما تيج على يده ان وجهه له وهو مقيم بالطه لمدة الحماية مصطفى بن اسماعيل أقرب المقربين اليه ومستشار الخارجية محمد البكوش لاكرام خاطره وابلاغ الشكر اليه وأراد ان يلبسه نيشان البيت الحسيني فتم عرض له الوزير مصطفى خزنده دار وأبدل له نيشان الصنف الاكبر بيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك بمرتب عمرى قدره خمسة وسبعون ألف ريال تونس في السنة ثم عاوض له هذا المرتب بهذير أى أرض وسبعة تعرف بالنفيسة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالى من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها ما سبق تاريخه سنة ١٢٨٦ الذى هو

(٦٢)

مبدأ مباشرته للوظيفة وانبعثت بذلك آمال الاهالى الى هجر الارض حيث كانوا يرون ان  
ثمرة أفعالهم يستأثر بها غيرهم للوفاء بتلك البقيا بالباهظة التي دفعوا أضعافها  
(ومنها) تركيب المجلس للحكم في نازلة الوزير مصطفى خونه دار عنه دعزله كما تقدم  
شرحه وتجنبيه للعادة في مثل ذلك من كون الوزارة هي التي تباشر بمثل تلك النوازل  
لينفي الشكوك والنهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خير الدين بالوزارة حسابه ومعنى ولقبه  
الوالى بالوزير الا كبيره وبطل لقب الوزير المباشر وقاده بنيشان بيته الحسيني  
مع بقائه على رئاسة الحكومة مسجون المسالى وذلك في غرة رمضان سنة ١٢٩٠  
فزيت البلاد ودعوا الاهالى محافل ليلية مع التنوير وهكذا سائر بلدان المملكة وقبائل  
عربانها بما أذكركم احق فالحكم بفرمانه سنة ١٢٨٨ حسبما سبقت الاشارة اليه  
لتيقنهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأملهم بازدياد اصلاحات المتولى لما عرفوا من  
اياديه مما مر ذكره وفي هاته الايام تم اسقاط خراج الزيتون المسمى بالقسانون في الوطن  
القبلي الذي مر ذكره وجعل عوضه الخزينة الدين نعيم الخرو به على جميع الاهلاك سواء  
اكثرية أو سكان فيها المالك بان يقوم كراهه او يدفع بحسبه نرو به على الريال أى جزأ  
من ستة عشر جزأ وعم ذلك البلد ان والقرى والبساتين لان نواب اصحاب الدين لم يرضوا  
باسقاط القانون الا بعوض عنه في الدخل ومن تصرفاته بعد ذلك انشاء جمعية الاوقاف  
بان جعل نظر الاوقاف مطابقة في جميع انحاء القطر بمساعدة من اعيان الاهالى مركبة من  
رئيس ونائبه وعضوين وكان المحقر متوليا ادارة هاته الوظيفة التي صعبا ينظرون في  
مصالح الاوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البراكن الاهلية فانهم هم فيم ابارشاد  
أهلها الاقامتها وحراستها من الاتلاف والى على أعمال البرية وتولون ادارتها وحفظها اذ  
كانت تلاعبت بها ايدي الاهمال وكانت كانهما مناط التفضلات فما من وقف له شئ من  
الدخل قليل أو كثيرا او يعطى لاحد ذوى التقرب أو الاستعداد ان بيده التصرف فيعطيات  
منافع الاوقاف وأهل الموقوف عليه الى ان خرب أكثره وقد عينت نقابة لتحرير ما يكفي  
لاصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقديرا ما يكفي ٣١٦٦٧٧٥ ريات مع  
تعطيل مرتبات الشمامسة وثورا كم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموقوفات على  
الاوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمرها بذلك الترتيب  
وأقيمت الجوامع والمساجد والمدارس في كل جهات القطر وهكذا الاوقاف على قراة  
القرآن وغيره من أنواع البر وكان دخل الاوقاف عدا أوقاف الحرم بين الشريفين  
ومدا

(٦٣)

وغدا أوقاف جامع الزيتونة لأن ذلك مستثنى من العموم لكل إدارة مخصوصة وهكذا  
أوقاف المدرسة الصادقية إلا في بيانها فاعدا ما ذكره عدا الأوقاف الأهلية  
والزوايا التي لها ذرية كان دخله في السنة الأولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١  
١٢٠٤٠٠٠ وصار دخلها في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشرت الإدارة فيها  
بقسامها وهي سنة ١٢٩٥ ما قدره ٢١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمسة سنين  
٣٣٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص إقامة الشمامسة  
٥٦٧٠٨٢ وما دفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الأوقاف ١٩١٩٣٤ وكان  
المصروف في الأصلا حات ١٦٨٠٧٢ فمجموع ذلك ٩٣٠١٢٣ ثم كان  
المصروف من الداخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٥٦٤٠٩  
الجميع ربالا تونسسية كما نشر جميع ذلك بالراند التونسي الذي هو الهيضة الرسمية  
للحكومة ومن تصرفاته التي باجرائها أجرة مرتب لاهل المجلس الشرعي بالحاضرة  
وقد كان هذا المرتب عي لهم في مبادئ ولاية محمد الصادق باشا على ان يكون من فواضل  
الأوقاف وجمعت اذ ذلك الأوقاف انظر محاسب فلم تقم بنفسها ولا وفدت تلك المرتبات الا  
في بعض أشهر واستخلصت اذ ذلك معاوضات كثيرة وصرفت في ذلك المصروف  
وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انبسطت وكالة بعض الاقاف باهل  
المجلس الشرعي مغرفة عليهم لكي يستنفذوا منها بما يقابل المرتب فجري فيها مثل  
ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم انه كان يمثاله في جميع السنة خمسة مائة  
ريال فأجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الاقاف خمسة مائة ريال في كل شهر على  
مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية  
ثمانية آلاف في السنة عدا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرايات من  
القمع عشرة أفرزة ومثلها شعير واثني عشر مطارزيتا ويزيد لكل من الرئيسين  
المذكورين على ما ذكره قعيزين من كل نوع وثلاثة امطارزيتا وأطرد جريان ذلك ولم  
يتأخر عن أهمها به ولا شهرا واحدا مدة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب  
المدرسين بجامع الزيتونة الذين مرز كرتيهم من أجدد باشا أفراد لكل مدرس من  
الطبقة الأولى ثلاثة ربالا يومية ولاهل الطبقة الثانية ربالا واحدا وكان اجواء ذلك  
أولاً من مال الحكومة ثم أجر يته لهم من فواضل الأوقاف (ومنها) جعل مرتب  
للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي ولم يكن لهم

(٦٤)

ذلك من قبل بل كانوا يقتصرين على مرتبات من دروس وإمامة وخطابة فأجريت لكل قاض ببلد فيها مائة وخمسين ريالاً في الشهر وواحد مائة ومئتي مائة وعشرين ولسكن رئيس قنصل مائة وخمسين ولسكن قاض في بلد لا مفتى بها وهي البلدان الصغيرة تسعين ريالاً في الشهر (ومنها) جعل وكيل الخصام عن الناس العاجزين عن الخصام بأنفسهم والعاجزين عن أجر الوكيل (ومنها) أحداث طريق صناعي بين تونس وجام الأنف طوله نحو اثني عشر ميلاً وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات القطر يتعطل المرو فيه من الشتاء لكثرة الوحل وتموت فيه حيوانات كثيرة للمسارعة ولا يكاد يصل صاحب الجحلة فيه مع قوة مركبته التي تجر الجحلة إلا في نحو نصف يوم وهذا أن سملت محلاته حتى أن الأمراء والوزراء يربطون في محلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو أكثر إن يسوغ له ذلك ولا يصل إلى جام الأنف إلا في أربع ساعات أو يزيد أما الضعفاء فلا يستطيعون المرو فيه وتري المسارة يرودون الطرق البعيدة بأضعاف طول ذلك الطريق الذي هو ضروري لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كاهل الساحل وصفافس والأعراض والجربيد وغيرهم فزال جميع التعطيل بأحداث ذلك الطريق وإن عده بعضهم أنه من التحسينات التي تأخر عن غيرها فهم هذا الجحلة بأسباب العمران وعدم تفرقه بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة الأوقاف بمال من النقود بل لا بد بعد المسوغ الشرعي من أن يعوض مكان الوقف بمكان آخر يدايد حيث كان ضائع على الأوقاف بسبب محالة تلك الطريقة أموال له بالاذن حررت الأموال التي وجدت هامة فبدلتها بالقضاء والمفتين بانها من أوقاف عوضت ولم يشتر بشئ منها شيء فكان مجموع المال ٢٤٠٠٠٠٠٠ هذا ما عارض ولم يرسم في الدفاتر وإنما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضاً كثير ثم ذلك المبلغ أكثره ضائع بالمرارة الجاهل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن تحت يده من يوثق به أو أنه أمن تحت يد أناس قد ظهروا فلا سهم حتى أنه مع غاية الاجتهاد انما أمكن أن يستخلص من المليونين ونيف المذكورة نحو مائتي ألف ريال فقط واشترى بها أملاً كواقفت على مرجعها وزالت أسباب الضياع بسبب ذلك التحجير (ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم يبيعون الأملاك بأنهم معها وجدوا في رسم معاوضة أو أنزلوا أي كرام موبدا أو أخبروا به جمعية الأوقاف لكي يتحور بذلك الوقف فتخرج من ذلك ظهور أموال للأوقاف تبلغ قيمتها ما يات الألف كما ظهر بالبحث أيضاً



(٦٥)

أيضا أملاك أخرى أصلها وقف واسدت عليها أيدي العدوان ورجعت الى أوقافها بالمرافعة والاحكام الشرعية وكان من جملتها نيف وسبعون هذشيرا أى قطعاً من الارض المترعة ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الاملاك التي تتجاوز قيمة المليون (ومنها) ابراه من كانت عليه رسوم في أموال من المعاوضات المذكورة مثبتة في دفاتر القضاة مع ان أصحابها دفعوها أو اشتروها بها أملا كما رجعت الى أوقافها ولم يكتب على المرسوم في الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت جهة الخلاص على المدين لم يقبـت رسوم الدين عليه قائمة والمحال انه خالص وكان الذي تحرر من ذلك القيد ما يبلغ المائتين ألف ريال أو تزيد فأبرئت أصحابها ولم يعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) ان عائلة حاى الصباغ الذي مرز كره انه كانت له علاقة بالوزير السابق قد قال الحماية من دولة المانيا مع انه تولى ولم يجبر عليه ظلم فتكلم الوزير المذكور مع دولة المانيا بواسطة سياسية الى ان صدر مكنوب منها رسمى بان الصباغ المذكور لا تناله حماية المانيا في خصوص القطر التونسى بل تجرى عليه أحكام بلاده وانما يكون المانيا اذا كان في غير ذلك القطر (ومنها) انشاء مجلس مختلط من متوظفي أغلب نفسليات الدول الاجنبية الذين لهم كثرة رعايا في القطر ورئيسه أحد المتوظفين التونسية للحكم في نوازل الديون والمعاملات المالية الواقعة بين أهل القطر والاجانب فيما اذا كان لا يتجاوز المال الالف ريال ولم يختلف عن الدخول فيه الادولة ايطالية بخلاف وقع في المقدار الذي يجوز التحسا كم فيه لدى ذلك المجلس لان قوانينها انما تسوغ الحكم في رعاياها على خلاف قانونهم في مقدار لا يبلغ الالف ريال فقط ودامت المـذاكرات في ذلك المعنى الى ان انفصل الوزير المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع شعبات عظيمة وهرج كثير في الخصام لان الديون القليلة والمعاملات الضعيفة كثيرة الوجود واختلاف الحكم في بلاد واحد من المصائب العظيمة فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شرعه في المذاكرة مع الدول العظام على اقتصاد الاحكام في القطر ولما كان يعلم ان دول أوروبا لا يتقادون الى ادخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الاسلامية في تونس اذا بقيت حالة القضاة على ما هي عليه الا سن حيث انه يوجد لكل من المذهب الحنفى والمذهب المالكي قاض مطابق المذهب في النوازل مع ما يوجد بين المذاهبين من الخلاف في كثير من الفروع بل وفي المذهب الواحد فتختلف الاقوال ويكون للقاضي الاجتهاد في الترجيح والتطبيق باعتبار الاصلح والاعرف فيحكم هذا القاضي في حادثة بما يخالف حكم قاض آخر في

(٦٦)

مثلها والاروباويون يريدون ان تكون الاحكام المدخول عليها معروفة لهم من قبل مضبوطة بما لا يتوهمون معه ميل الحاكم الى غير ما توجهه النجدة فلذلك أحضر الوزير خير الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية المتعاقبة بالاحكام وكذلك القوانين المعمول بها في مصر وكاف أحد المهرة العارفين بالاحكام الاروباوية بان يستخرج من أحكامهم ما يوافق حالة القطر وعرفه وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من شيخ الاسلام من العلماء الخنفية وهو الشيخ أحمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النفير المقي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن أحد الوجهاء العقلاء العارفين باصلاحات البلاد وتجارتها وهو الوجيه حسونه الحداد ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا شرعيا مطابقا للاحكام الشرعية والعرفية التي عليها عمل القطر من غير تخصيص بأحد المذهبين ولكن حاق عن الاستفادة من ثمره هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة فترك المجلس مع ان الاتحاد الحكيم على سكان قطر واحد ضروري (ومنها) انشاء المدرسة الصادقية لتعليم معادى الفنون الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد والفقه الخنفي والمالكي والنحو والصرف والادب والتاريخ والخط والمسابي وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم اللغات التركية والفرانساوية والاطلمانية وتعليم الفنون الرياضية كالساب والهندسة والهيئة والجبر والجغرافيا والفلك ورتب لها معلمين لكل فن وجعلها تقبل مائة وخمسين تلميذا من جميع أبناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من أبناء العاجزين عن القيام بهم وهؤلاء يسكنون بالمدرسة وتقوم بهم زيادة على التعليم بالأكل واللبس والمسكن مجاناً وأما المائة الباقية فالمدرسة تقوم بكلهم نفاراً مرة فقط وبالتعليم مجاناً ويلزم ان تكون جميع التلامذة في البسهم على شكل واحد وأوقف عليها من أملاك الحكومة أوقافاً لها باليزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين ألف ريال وتنج من أبناء البلاد ما شهد لهم به الوافدون من أهل أوروبا والماضرون لامتحانهم ومثل هاته المدرسة ضروري للممالك الاسلامية سيما في العلوم الرياضية التي اضعفت من الامة وانما خاص التلامذة من أبناء المسلمين من خصوص الاهالي لان أبناء الاجانب لا يمكن اجراء الترتيب في حقهم مطابقا الا اذا وافق اولياؤهم والموافقة منهم كانوا غير مأمونة في كل وقت سيما مع اختلاف الاحكام التي مرزكرها وأيضاً من خصوصيات المنخلة للتلامذة عند اسمعيلهم للعارف ان يتقدموا في جميع الوظائف المحتاج اليها في القطر على غيرهم وهذا

(٦٧)

وهذا انما يليق ببناء القطر اما الاجنبى فانما يتقدم به يستخدم بخصوصيات اخرى  
واما تخصيص المسلمين فلان غيرهم بالنسبة اليهم قليل جدا كما مر ذلك فى فصل صفة  
القطر ثم اولئك القليلون لا يرغبون فى اتباع جميع تراتيب المدرسة التى منها تعلم  
العلوم الشرعية التى هى المقصد الاهم لى يحصل التبحر من علماء الديانة بالعلوم  
الرياضية ويوفقون ما بين ما يظهر بحسب ابدى الامرانه مخالف للشرع من بعض العلوم  
الرياضية ثم ان الوزير المذكور عزم على ايجاد مدرسة على ترتيب آخ صالح لدخول  
غير المسلمين فيه (ومنها) تجميع كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق  
تبلغ نحو ألفى مجلد فالحقها بنحو تجميع الكتب من أحمد باشا بالخرائن التى عرّفها  
صدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أنشأته بامر من احدث المكتبة الصادقية حول  
جامع الزيتونة وجعل لها ترتيبا لم يسبق فى البلاد على نحو التراتيب الجارية فى  
الاستانة والممالك المتقدمة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل ويستفيع المريد بما شاء  
من الكتب وأنواع الاستئفاع مع تحسين هيئة المكان واحضار قروش والمسابر  
والاقلام وساعة للاعلام بالوقت والرسم بان كل الاوامر الرسمية العامة العمل يحفظ منها  
بتلك المكتبة استختار لىكل من اراد مراجعة ذلك وانظام وضع الكتب وترتيبها  
على نسق يسهل الاستئفاع بها ومناولتها واقف عاينها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ  
نحو ألفى مجلد كما جمع بها سائر الكتب التى كانت مفرقة فى الجوامع والمدارس  
وتلاشتها ايدى النفاق حتى ضاع أكثرها فان خوانة الكتب المحففة بالمدرسة الحسينية  
وجد بها مكتسبة ولم يوجد بها ولا ورقة مع انها كانت تشتمل على مئات من المجلدات  
وهكذا أغلب الخرائن مع عدم النفع بها الا لمن كانت بيده وهم افراد قليلون يعمر عليهم  
وجدان الكتاب الذى يريدونه لعدم ترتيب وضعها وضبطها بدفتر واعداد فضطت وعم  
النفع بها لىكل مرید من المسلمين حتى قال بعض من كانت بيدهم تلك الخرائن أقسم  
انى الا ان استفيع بها كان تحت يدي من الكتب احسن مما كان عندي (ومنها) انشاء  
محاسن مكافئة بنظافة البلاد كانه شعبة من المحاسن البادى لىكنه يزيد عليه بدخول  
أعضاء من الاجانب لىتم اداء الاجانب ما يلزم للنظافة وحصول به شئ من النظافة  
الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب للعلوم وتدريسها بالجماع الاعظم جامع الزيتونة حتى  
لا يتجرع علوم ولا يزداد على قدر الحاجة من غيرها واضبطا لدروس وتجربى على الوجه  
المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلامذة فى كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلمية

(٦٨)

الامن قدمته نجابته وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب في ادارة المجالس الشرعية لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسجيل المراجعة بينهم وتحديد اجراءات تساعدهم وتعين محل للحكام الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل يحكم في مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية مملوكة مضبوطة اوقات الانتصاب فيها الى الحاكم وان كانت لذلك ساقية في خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا لكن اعتراضها الخال في عدد انظمةها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب لاعمال العدول المنتهين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه في كل جهة بعد عدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر المصروف فيه فاذا نقص منه احد لا يزداد الا بانتخاب اهل الشرع مع ضبط كيفية ادائهم للشهادة وتحملها او كتبها مما يندفع به حصول الزور وتعديبه اثم (ومنها) احياء ارسال محصل اوقاف المحرمين الشرعيين للمستحقين من اهلها ما به من مضت على ابطال ذلك سنوات واكثرت اموال تلك الاوقاف على غير وجهها فخذ ولاية الوزير خير الدين اطراد ارسالها (ومنها) انشاء مجلس عمومي للنساء وآخر للرجال على صفة السجون في الابلاد المتعددة من النظافة وتخلل الهواء والطبيب والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مقسما على عدة اقسام بحسب الجنائيات التي يسجن فيها وبحسب حال المسجون من السن والعرض بحيث صار سجننا لا كما كان مقفلا وان حصر دخوله بن يحكم عليه بالسجن اما الموقوفون فعد بقوا يوقفون في السجن القديم فكانوا اشدد عقوبة ممن تمت عليهم الجنائيات ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور طارعا على احداث محل لا يطاق (ومنها) حصر اجراءات الحكومة واتباعها المرسلين في الاتيان بالجنساء في مقادير معلومة معلنا بها للهمم على حسب الجنائيات وبعدها مكان المجلوب بحيث صار ذلك القدر معيناً بالحكم بتقديره برحمة لا كما كان من تفويضه لارادة الرسل الذي كثيرا ما اضر بالجنساء بل بالذي ثبت براءته اكثر مما يناله من الحكم (ومنها) جعل خزانة يجمع بها اجر اولئك الاعوان المتوجهين من الحكومة ويخرج منها في رأس كل شهر اجر معين للاعوان المسلمين بالبوابة الذين كانوا يأخذون مقادير من يرد الشكاية ويقع بسبب ذلك محاسبة في تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يقدم الباقي على الاعوان الاخر الذين في فوية الخدمة على حسب رتبهم وحصل بذلك تعادل فيما يحصل

يحصل

(٦٩)

يحصل للأعوان وتحسين في هبشتهم وشارتهم لأنه قبل ذلك كان المقرب عن درئيسهم يحصل على مال كثير وغـير يبقى على الأعدام مع اتحاد الوظيفة (ومنها) أن من يجاب من المشتكى بهم وتثبت برائة لا يؤدي أجر جالبه سواء كان في مال أو جنسية فإن كان للمشتكى شبهة راجحة في شكائته لا يؤدي هو أيضا الاجر ويحسب المتوجه في المنازلة كان لم يتوجه فيها ويعاد توجيهه في نازلة أخرى لأن أجره في الواقع يخرج من عموم ما في خزانة الأعوان والأبان ظهر تعدد المشتكى للباطل فهو أحق بالحمل عليه (ومنها) حصر أجر ما يكتب من التسيجيلات في خصوصيات الأهالي على أيدي العمال في مقدار معين وهور بالآت ١٢٢ بحيث لم يبق الأمر على مشيئتهم الذي كثير ما كان سببا لامتداد أيديهم لأموال الأهالي (ومنها) الأمر بعدم التشديد في توثيق السكاف على من يجلبه أعوان الحكومة من الجناة إذ كان وسيلة لهم في التوصل إلى المال (ومنها) ابدال السكة الفضة التي كانت ناقصة في الوزن ومن كانت في يده تبذل له في الحال بسكة الذهب الكاملة يدايد على خلاف ما سبق كما مر ذلك في واقعة الفلوس الخماس (ومنها) ضبط العرف الجاري به العمل في الفلاحة التي هي أهم اشغال أهل القطر ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس في قانون معروف يرجع إليه عند الحاجة وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع الا الاستخبار من افراد اصحاب الفلاحة وكثير ما يقع بينهم الاختلاف في الاخبار عن العادة والعرف حتى يختار الحاكيم فيما يحكم به (ومنها) ترتيب مجالس التحفظ العمومي على النهو الجاري به العمل في المسالك المقدنة وجعل له قانونا خاصا يرجع اليه وأدخل في اعضاء المجالس اعيانا من متوظفي الحكومة مع قضاة الدول الذين هم اعضاء لذلك المجالس (ومنها) انشاء ترتيب لـ كيفية أعمال العمال في مواصاتهم مع الحكومة وضبط مكاتبتهم وأحكامهم في دفاتر لتكون حجة فيما يراد الرجوع اليه ولـ لم الداخل للوظيفة ما هي أعمال السابق عليه هذا وأما ما يرجع إلى تحسين مالية الحكومة والأهالي فقد شددت الكبر على العمال وسائر المتوظفين وجهر أوجه الدخل والمخرج وبنسأه على ميزان سـموى على نظرقهم النظر من الحكومسيون المسالى وضبط كيفية القبض من الرعايا بان كل من يدفع ماعليه من المال انعين الذي استوت في معرفة مقداره الأهالي جميعا يأخذونه حجة من نوع خاص من البطاقات على شكل خاص مخنومة من شيخ القبيلة أو طاملمها مقطوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى نصف الرقعة في الدفتر مرسوما بها نظير ما يد صاحب المال لينضبط الاستخلاص ولا تمتد

(٧٠)

الايدى الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنايته ثم خفف كثير من الاداء على السلع الخارجة من القطر الذى هو الامر المعقول لتكثير الثروة فى القطر بنماق نتائجه واستيعواضها باموال غيره وذلك يحصل بتخصيصها وتسهيل نقلها واخراجها فصدر لذلك مكتوب الوالى للقناصل مع ما ياتى ببيانها (الاداء على المضائع)

ما كان سابقا ما استقر عليه الحال

ريالات ريالات

قنطار الشمع	٢٠	١٠
الصوف المغسولة عدا ما يؤدى للقمق ودار الجلود وهو ٤	٤٠	٢٠
قنطار الجلود القريبقى	١٢	٦٠
قنطار الصوف بونثوف أى المركبة من المغسولة وغيرها	٣٠	١٠
قنطار الصوف غير المغسولة عدا ما للقمق ودار الجلود وهو ٢	٢٠	١٠
قنطار التمر الدقنة	٢٥	١٠
قنطار التمر الحرة	٦٠	٣٠
تمرقابس	٦٠	١٢
البسر	٠٢	٠٢
جلود المعز	٢٠	١٠
بطانة النعم أى جلودها	١٥	٠٨
القطن الغير المصنوع	٣٠	١٠
النيلة	٣٠	١٠
القماصة كاصله نوع من الابزار	٠٥	٠٥
القنطس مئله	٠٤	٠٤
العسل	٢٥	١٠
النشاف أى الاسفنج المغسول	٦٠	٣٠
الغوه نوع من الصبغ	٤٠	١٠
الحمنة	٧٢	٠٣
القرنيط نوع من السمك	٢٥	١٠

(٧١)

ما كان سابقا ما استقر عليه الحال

ريالات ريات

رطل العلقى أى دود المساهيس - يستعمل لامتصاص الدم من الانسان	٠٥	١٠
فى الامراض		
قنطار بيض السمك ونجم الثن	٠٥	١٥
قنطار الذشاف أى الاسفنج غير المنسول كاصله	١٥	١٥
قنطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قنطار الصابون	٠٧	١٥
صابون سوسه مع ان اداء الطيخ داخل فى ذلك	٠٨	١١
الزيت وقد كان من قبل يؤدى بالمطر فسيره وزنا	١٦	٠٠

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن فى جربه التى هى اعز صنائعا على ما مرفصا على ما ياتى

على ما يباع من الغزل	٦	فى المائة
على ما يخرج من جربه الى مراسى المراكمة	٣	فى المائة
اداء للعامل على كل شدة من المصنوعات	٣	ريالات
على ما يباع من المصنوعات	٦	فى المائة
على كل شدة للزمام	١٢	ريال ونصف

(ومنها) انشاء مراكز للقموق فى جهات الحدود لضبط القموق (ومنها) انفساق دفع المرتبات لاصحاب الوظائف سيما الوالى وآل بيته بحيث يقبضون مرتباتهم من اول الشهر الاماندراما الوالى فلم يتخلف مرتبه ولا شهر او احدى عن ميعاده وقد حصل فى بعض السنين زيادة فى الدخل عن المقدار المعين للصروف فاشترى به مقدار من دين الحكومة لذاتها لانه مما يرجع الى مجلس الادارة النائب عن اصحاب الديون واسفادت منه الحكومة فى وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المغرضين سعى فى اسقاط اعتبار ماله الحكومة على ما سبأنى بيانه فلزم لرفع ثمن سهام الدين اقراض الحكومة بعض التجار لتظهر الرغبة فى شراء الرقاع بما يطعمون به التجار فرهنت الرقاع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينفع ذلك فى ارتفاع الثمن بل زاد فى الانحطاط الى ان خسرت الرقاع بالمرة ويبيعت فيمارهنت فيه وافلس التاجر الذى اقترض المال ومما

(٧٢)

حصل من أعمال هذا الوزير مدة ولايته جعل مرا كرم من العربان في الطرق الخيفة  
واعفاء أصحاب المراكم من الاداء الموظف على بقية السكان واجراء شئ من الحبوب اليهم  
على ان يعمر وتلك الجهات ويكونوا مملوئين بما يحصل في أما كنهم من الجناسيات على  
المسار حيث انهم هم الحارسون وبذلك وبانفاذا الاحكام من غير محاباة امننت السبل  
واسستقر الامن حتى صارت القوافل والفرادى في الامن وعدم الخوف سواء (ومنها)  
الاحسان الى المحسن من الاهالي بامنه في ماله وعرضه ونفسه وان كان موقتا بعدة انقباهه  
الوزير واجراء العقاب بلا ضعف على من يجب الراحة ولا يطبع او امر الحكومة حتى انه  
لما ظهر من فرقة من قبيلة الهمامه عسبان وتحرير للامن بانها بهم لغيرهم من القبائل  
والخافة السبل وجه لهم معسكر تحت رياسة وزير الحرب رستم وزجرهم وعاقبهم عند  
ما ظهر واحربه وارجعهم الى الطاعة وامن تلك الجهات وعنده ما رجع للعاضة وعلوا  
باسستقراره صادوا الى ما كانوا عليه غلبا بجهاز الحكومة عن ارسال معسكر امر السابق فلم  
يكن من الوزير خير الدين الا ان وجه عليهم فرقة من العساكر الفرسان المسلمين بالخوانب  
والصبة النخبة مع اوامر ان يعمرون عليهم من قبائل العربان بان يتوجه معهم فرسانهم في  
اقرب وقت لردع البغاة فلم تكن الا بضعة ايام حتى عاقبوا البغاة وخضعت دواشوكتهم  
عباسستقر معه الامن منهم الى الآن وعمل هاته الشدة في ابانها والرفق واللين في ابانها  
خضعت القبائل وبادروا الى دفع اموال الحكومة في ابانها ونفذت اوامر الحكومة فيهم  
وانقادوا لها بطيب نفس لاجرائها العدل فيهم بما لم يبق لهم معه خوف من امتداد  
الايدى الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان في العام الثاني والثالث  
من ولاية هذا الوزير كثر شمراء الاعراب للعلی من الفضة لما سبق من عدمهم منها وتكاثر  
ذلك تكملا فاحشا الى ان صار الصباغ لا يوفون بمحتاجهم وصارت دار السكة كل يوم  
تصنع علامة السلامة والجمعة مع المصوغ المذکور بما يباع وزنه الى عشرات أو مئآت  
القنطير الى ان كتبت اخباره في الصحف العربية والاروباوية (ومنها) جعل صدوق  
مققول له منفذ لوضع المكاتب فيه لمن اراد دفع نازله للوزير وانها مصالحة بان يشرح  
مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل  
مفتاح المحل الذي يمكن وصول كل الناس اليه عنده والتمن ان يفتح هو بنفسه جميع  
المكاتب ويوقع عليهم اعيانهم من الملاحظات فيها ويوجهها لاحد أقسام الوزارة الرجعة  
اليها النازلة بحيث تكون النوازل على ذكر منه لكي لا يقع التعريف في تلخيصها

أو



(٧٢)

أوأهمها ما يمكن ان يحدث في بعض التوازل وان نسب اليه بعض المتوظفين في ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الاشغال وهو يقول انه اغما جعل التعب على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيئا لعدم القدرة على فتح المكاتب الاباذنه (ومنها) تحسب حالة مطبعة الدولة التي هي ضرورية في هذا الزمان لطبع الكتابات الرسمية وغيرهما يجهز عن الوفاء به الكتاب وتيسر النشر المكتب في الضنون ليسهل تناوله بالاجن اليسير ويتوصل للانتفاع بهاذو الجدة وغيره الذي هو من أعظم الاسباب لترقي الامة في المعارف والمعلوم وهكذا تحسب ادارة الرايد التونسي الذي هو الكيفية الرسمية للحكومة وصار صدوره موقتا مثل سائر الصحف بعد ان كان لا يخرج منه الا عدد يسير ربعا بلغ النصف أو اقل مما يلزم خروجه سنويا والحال انه أسبوعي ثم الافادة فيه بأفكار الوزير في المسائل السياسية بما كان ينشر فيه من المقالات المرشدة الذي هو ضروري للحكومة في ايقاظ أهلها والسكان وإرشادهم لما تراه باطاف الى غير ذلك من فوائد الصحف على ماسيأتى في الخاتمة ان شاء الله تعالى زيادة على نشر الاوامر الرسمية ليستوى في معرفتها القريب والبعيد ودليل ما ذكرناه اختلاف معنى الرائد بعد خروج الوزير من الوزارة عما كان من شجنته بالمقالات السياسية كما قاله المدارعلى الرجال غيرها مما هو كثر وازم المتوظفين بقراءته وأخذته اذيقع بالمتوظف ان لا يعلم أحوال حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط في المتوظف في الممالك المستقيمة (ومنها) جعل خزائن المكاتب للحكومة وجمع العميق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل اليها في أقرب وقت وذلك من أهم الامور (ومنها) تعميم أمر تعظيم المولد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بغسل له مواكب في جميع البلدان بالقطر مع اطلاق المدافع عند الوقوف اسماع الايات (وهى قوله)

قليل مدح المصطفى الخط بالذهب \* على ورق من خط أحسن من كتب  
وأن تنهض الاشراف عند سماعه \* قياما صفا أو جثيا على الورك  
إما الله تعظيما له كتب اسمه \* على عرشه يارتبة سميت الرتب  
فقم أيها الراجي لئلا سعادة \* قياما بحب صادق الحب والادب  
ففي الذكرا لاسم الحب احضار ذاته \* بقلب له في الحب وجهه له  
ورب جليل عظم الناس ذكره \* فكيف وهذا سيدا الجهم والعرب  
عليه صلاة الله ثم سلامه \* يكونان للرضوان من أعظم السبب

ص في

(٧٤)

وعمل جميع ما يعمل منه له في الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكاييل والاوزان وتحرير مكال الجبس أى الجص (ومنها) إنشاء مهمل الفاز بيد الخفنة انكليزية في الحاضرة (ومنها) إنشاء بطحاء القصبه وتحسينها وإنشاء قصر لوالى على الوجه المطل على البطحاء المذكورة من قصر المالكه الذى بنى جوده باشا واكمل بنى السوق المحيط بالبطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالى وترغيبهم بالشراء منهم والمجلوس بحوائثهم وقدم الالىهم فى بعض لى الى المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء المذكورة (ومنها) فتح باب الجامع العتيق الكائن بالقصبه على الطريق العام حتى يمر بالمصلين وانتفع به المسلمون وقد كان من قبل لا تسكد تصح فيه جماعة لان له بابا واحدا داخل القصبه وقد خليت من السكان منذ زمان (ومنها) قدرك السور الخارج المحيط بالحاضرة بالأصلاح فأصلحته من الاوقاف وأصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك أغلب حصون البلدان التى بها حصون كصفا قس والقيروان وسوسة وغيرها (ومنها) إنشاء بطحاء عظيمة خارج باب البحر واستقامة الطريق الموصل منها للبحيرة وهكذا إنشاء عدة طرق فى البلاد وأصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقش حديدية أى النقش على الجص المطفى على المحيط والقباب التى هى أغرب صناعات تونس والمغرب فى البناء وقد انعدم صنعها من البلدان فشاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير الدين احو وصاحبه بعدة اناس من الاهالى وأحسن اليهم الى أن تعلموا الصناعة الغربية بعد أن قد ثارها وانما حصل انه أجرى مصالحي عديدة ومن أعظمها قطع مادة الرشاو بيع الوظائف الذى هو أساس العدل حتى غت المكاسب وانكفت أيدى المتوظفين الا ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن التحرز منه ولم يرفع أمره اليه أولم ينتبه بواسطة من الوسائط اليه بحيث يقال فى مدة ولايته فى القطران حكمته استبدادية عادلة تاحية منعى الشورى لان أغلب مامر ذكره من الخصال كان يعقده له لجنات من اعيان الاهالى أو اعيان المتوظفين أو العلماء والأغلب ان تكون تحت رياسته ولا يقيم امر الابد التوافق والتسديد برفيقه وأحيمته الاهالى واعترفوا بفضل سيماء وقد اتاهم بعد شدائد مر ذكرها حتى انه لما تم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية فى السنة الاولى وراى اباؤهم ما لم يعهدوه فى التعليم اظهروا عمنونيتهم وشكرهم بان اتخذوا مصنفين كريمين وجعلوا لهم اسفرين فآخرين وكتبوا على الاول منهم ما باليا قوت الابيض على احمدى الدفتين المحفوظ بالسور والاسمى وعلى الثانية بمحمد الصادق باى وعلى الثانى منهم ما باليا قوت

الابيض

(٧٥)

الايض ايضا على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك  
 اللقب هو الذي جرى التعارف في اطلاقه عليه عند اغلب الاهالي ودفع ثمن ذلك اياه  
 الملازمة من انفسهم كل على قدر ثروته ففهم من دفع رايالا واحدا وهو ما في وسعه وتكدر  
 ان لم يؤخذ منه ومهمهم من دفع عدة آلاف وأهدوا المحضفين للوالي وللوزير مع خطبة  
 مفصصة عن الباعث على ذلك وهو نتائج المعارف لابتائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من  
 التجار البلديين وغيرهم من اعيان العربان وبعض اصحاب الاملاك المثرين وصنعوا في لندره  
 مكتبة اى مائدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وملونة وادواتهم من ذهب وعامها  
 ميزان اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين وأهدوها في رأس العام الى  
 الوزير المذكور مع خطبة مفصصة عن الباعث وهو ما حصل من ثمره اعماله في عوم القطر  
 حتى ازدادت الثروة وغلت اسعار الملك وراجت التجارة وهكذا كانت عاقبة سياسته في  
 الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول أدنى صعوبة ولا ظهر من أحد القنصل  
 تشدد في نازلة ما من متعلقات دولهم ورعاياهم مع أن بعضهم كان يفر من ذاته لهمة  
 أو منفعة له من الوزير السابق ومع ذلك لم يجد شيئا يستند اليه في انشاء صعوبة أو تعكير  
 هناء ولم يعترض على ما حدث مدة ولا يته في الداخل أو الخارج الا ما يأتي بيانه وهو اعطاء  
 منحة لشركة فرانسوية في احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربية  
 فانتقم هذا العمل بان سياسة فرانسافي تونس معروفة وذلك الطريق يؤل الى تسهيل  
 استيلاءها على البلاد وهما العقول على فرقين فبعضهم يرى السهولة من تسهيل نقل  
 العساكر من الجزائر الى تونس في أقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوي وهو  
 زيادة النفوذ والاختصاص بالتجربيل يقول بعض الانكليزيين ان مراسي تونس تصير  
 خالية وتصبح عنابه اى بونة هي مرسى تونس وهي فرانسوية وذلك لان السلع التي توسق  
 من تونس لا تدخل الى فرنسا الا براءة بليغ عليها في مراسي فرانسوا بخلاف ما يوسق من  
 مرسى عنابه فانه اذا دخل الى مراسي فرانسوا لا يؤدى شيئا فيكون سببا في التزام التعار  
 توجيهه البضائع الى عنابه وتبقى مراسي تونس خالية وزاد لاعتراضين قوة في أن المقصد  
 بذلك الطريق أمر سياسي ان الاتفاق فيمة تم في أقرب وقت حتى أشاعوا أنه وقع من غير  
 استشارة بقية الوزراء هذامدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع في الغائلة وأحوال  
 متعلقاتها ونسكل الحكم فيها الى المطالع وهو أنه في سنة ١٢٩١ قدمت شركة  
 انكليزية وطلبت منحة لاعمال طريق حديدية بين تونس ودخلة جنوديه في الجهة

(٧٦)

الغربية من القطر المعنية بأمر يقية التي هي أهم الجهات في الفلاحة على ما تقدم بيانه في  
 الفصل الاول من الباب الثاني من المقصد على ان تمر الطريق حذو بلد باجه وتصل الى  
 معدن دجبه المركب من الرصاص والفضه وتختص بتشغيله على أن يكون للحكومة قسط  
 من دخله بعد طرح المصاريف فقسطها يكون من الربح وحيث كانت مخازن طرق  
 الحديد في الممالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سيرد ان شاء الله في الخاتمة وكانت  
 تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر والترع التي تمكن بها المواصلة بل ولا  
 مجرد الطرق الصناعية وكانت تنامي الزرع في الاماكن الخصبة يتعذر نقلها بل  
 يستعمل زمن الشتاء والوحل وكان نقلها في زمن سهولة الطرق يكلف مصاريفها هائلة  
 وبالأيو في بخلافها ان الحبوب عنديهم حتى كان الشعير لا يجلب من تلك الاماكن  
 لمراعى المالك ولا لبلدان اسواقه لعدم وفائه بأجرة جملة فضلا عن التبن فان كلا  
 منهما يترك في مكانه الى ان يضيغ على أصحابه ولا زال مثل ذلك الى الآن في جبال ماطر  
 وغيرها بل وكان جلب الحبوب من الاماكن الاجنبية في البصرى يسر وأرخص من جلبها  
 من داخل القطر ورايت في رسالة كابيزول القنصل الفرنسي ساوي بقصر حاق الوادى من  
 تونس التي ألفها في التعريف باحوال القطر ما معناه ان هاته البلاد التي كانت تسمى  
 بمخزن حبوب أوروبا في الزمن السالف هاهى الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع  
 بأرخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سببا في تعطيل أكثر أراضيها وفتراهاها  
 (الخ) ولقد صدق في ذلك وكان تأليه لتلك الرسالة في حدود سنة ١٢٨٠ التي مر تفصيل  
 أهوالها فلما ذكر كان احداث الطريق الحديدية ضروريا للقطر فبقى الكلام فيمن  
 يصنعه والامر فخصر في ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علمنا ان امران أغاب  
 ماليتهما راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقى من دنياهما انما يوفى بضرورياتها التي  
 لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لاعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات  
 (والوجه الثاني) ان يتولى عملها الاهالى وهذا ايضا ما تمدرأ وصعب جدا لان ساقية  
 القفر فيهم قد أخذت مأخذها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالمقصود وعلى تسليم  
 اقتدارهم فانهم لا يلبثون الى ذلك (اما أولا) فله عدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل  
 ذلك لا توفى به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح أبصارهم مثل العلوم الرياضية والاقتصادية  
 والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من  
 زمان ليترسخ ويعمل به (واما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم ومآلهم من قدم قد

ساد

(٧٧)

وأما نقض عهد الامانة المتعزم به بعهد الله وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الاجنبية  
وحرص دولة فرانسا في اتصافه وراوا باعينهم كيف جرى قتل النفوس وتعذيب الابدان  
واستئصال الاموال فما هي قدرة الوزير وحده في حفظ حقوقهم وامانهم وهل ذلك  
الام وقت بوقت تصرفه على انه من الضامن لهم في بقاء الوزير على ما هو عليه وهل هو  
الابشر قابل لتغير الافكار وبهذا يعلم ايضا عدم امكان جلي الاهالي غصباء على منفعتهم في  
ذلك الطريق من الوزير خبير الدين ولانه كان لهم فيه نفع لكنه يظلمهم باقلاق أموالهم  
لما اشترنا اليه بل ولر بما سمع ما يتوقع من استيلاء الحكومة على مداخير الطريق  
والتمدخول في ادارته لا يدوم شغله كما حصل بالفعل في معمل المراف الذي كان انشاء اجد  
باشا ويؤيد ذلك ما حصل من الخلل في اشياء أسسها هو ومما مر ذكره وسأني كيفية  
خلقه فمعين حينئذ (الوجه الثالث) في أعمال الطريق الحديدية وهو أعمالها لا يبدلها  
اقتدار على المال وتأمين عليه وليس ذلك الا الجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية  
المار ذكرها وطالبت تلك المنحة عقد الوزير عدة مجالس من بقية الوزراء والمستشارين  
وكان بعضها تحت رئاسة الوالي نفسه وتفاوضوا في مصالحها مما مر ذكره بعضها واستقر  
الرأي على عقد الاتفاق مع تلك الشركة في احداث الطريق المذكورة سيما وقد سبقت  
شركة انكليزية لاحداث طريق بين المحاضرة وحق الوادي وتتم الاتفاق على شروطه  
التي منها ان للشركة ان تمدد فروعا من الخط الاصلي يميناً وشمالاً كل فرع ياوله خمسون  
ألف متر وأى نحو خمسة وأربعين ميلاً أينما أرادت ومنها انه اذا مضت سنة ولم تشرع  
الشركة في العمل يفسخ العقد فشرعت الشركة في جمع المال لذلك غيرانها لم تنجح لان  
الانكليزيين ليس لهم هم في تجارة تونس ولا في سياستها ولا يصرفون المال الابغابة  
الظن في الربح وقد علموا ان الطريق الحديدية غالية في أول أمرها تخسر وشاهدوا في  
طريق حلق الوادي عدم الربح الذي أطمعهم فيه فبعد انقضاء الاجل طالبت الشركة  
أجلاناً نالها لتحويل الرغبة فلم تحصل على شيء وأل أمرها ان طالبت من حكومة تونس  
ان تتمتع لها برص خمسة في المائة على ما تصرفه فان وفي دخل الطريق بذلك أوزاد فهو  
لها وان نقص أو لم يحصل شيء فاللحكومة تلتزم بإبقاء الخمسة في المائة أو ان الحكومة  
تدخل شريكة مع الشركة المذكورة بالربع من رأس المال ولا يخفى ان ذلك لا يتيسر  
لان الوزير خبير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خسارة الطريق في أول أمرها  
ومن الشك في حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الجانب

(٧٨)

مع اختلاف المحكم زيادة على كون مثل ذلك لا يتم إلا بموافقة الحكوميين المسالي الذي هو المحاسب على مالية الحكومة من الجانب فرض مطلب الشركة الانكليزية المذكورة وفسخ الاتفاق معها واشتر ذلك فجاءت في أثره شركة فرانسواوية وهي المسماة الآن بشركة بون كالمه وطاب زعيمها من الوزير خير الدين حالة الاتفاق الذي فسخ مع الشركة الانكليزية ليجزها الى الشركة الفرانسواوية المذكورة بلا اشتراط الضمان المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالاً بعدم تيسر ذلك لجلبه مسائل سياسية لا داعي لفتحها فرجع الزعيم وقال نكتب في المجلد لعمد الشركة الانكليزية التي سمعتم لها وارضيتم بشروط الاتفاق مع هذا الاتفاق يحال اليها فاجابه بأنه يعرض المطلب على الوالي وأخبر الوالي وعة دمجها سار كيم من سائر الوزراء والمستشارين الا الوزير حين كان في بلد قرنه لخصام ورثة القايد الذسيم واستقر رأيهم على نقل المنفعة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص الفرانساويين بعد حصول المنفعة لغيرهم وعدم الفرق في الشروط ربما لا تسوفا المعاهدات والحاج نعم وان كان هناك فرق في سياسة اصل كل من الجنسين لكنه لا يمكن الاستناد اليه في الحجاج سيما وصرح المعاهدات مع الدول قائل ان كل منحة أو امتياز أو اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للعقد معه المعاهدات مثله بل في بعض ايقول انه يكون له مثل الجنس الا كاعتبار (الح) فكيف مع ذلك كله يمكن الامتناع ولذلك أحيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة التحري في شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذي تأخذه من المعدن يكون من ذات الخارج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التي تمد اليها الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل العمل مع الحكومة على المركز المنتهية اليه وعلى محل المرور ومنها ان لا قسط الطريق بطريق الجزائر وعندها هذا الشرط طالبت الشركة المذكورة ان يزداد ايضاً وان ليس للحكومة ان تمنح الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة فريد ذلك بحيث ان المنفعة كانت خاصة بثل منحة الشركة الانكليزية مع زيادة شروط لفائدة الحكومة ولم يقع الايصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على ما يأتي شرحه في المطلب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما في ذلك من المنافع وعدم المضرة المكروب الذي أرسله قسم النظر من الحكوميين المسالي الى الوزير خير الدين أنرا نقاد الاتفاق ونصه سيدي فان اعضاء قسم النظر من الحكوميين المسالي رأوا ان

من

(٧٩)

من واجبات ما موريتهم ابداء سرورهم لجنايتكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على  
احداث طريق جديدة بين الحاضرة ووطن باجة لان ما يلزم لنقل نتاج الوطن من  
المصاريف الباهظة عطل وسق النعمة فكان ان يبطل اهرم فروع متاجر المملكة  
مع الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسير اشتغال  
الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم النظر على جنايتكم صورة احداث  
طريق اعتمادي بين الحاضرة والوطن المذكور حرصا على حصول الثمرات  
الاكيدة فلما وقع الاكس ما توكل به اتمام هذه المصلحة بما لا يثقل مالية الدولة مع  
استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار فرضا علينا  
نظر الى مصالح البلاد التي هي لا محالة مصالح اهل المملكة والاورباوين  
المستوطنين بها على اختلاف اجناسهم كما هي مصالح ارباب الدين ان ينهي جنايتكم باتمام  
هذا المقصد المبارك ولم يبق لخبيركم الا ان يؤملوا المناسحة فيه في اقرب وقت بحيث  
تسهل كل بهرغبة الا الهالي فيرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل وغوا سباب العوان في  
تلك الجهات وينفتح ما بقي مرصدا الى الاكس من ابواب الفلاح وموارد الثروة وهذا اول  
ما ترتبط به فيما بعد سائر جهات المملكة من الطرق المهمة السريعة فلاحاجة  
(حينئذ) الى اللادامة ومساعدة الوقت لتحديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة  
والمالية بما فيتم بذلك ما لم يزل جنايتكم ساعيا فيه حتى انتهى منذ ثلاث سنين من تخير  
هذا القطار والكتب من معظمي السيادة أعضاء قسم النظر من السكوسيون المسالي  
في ٢٠ مايو المسيحي سنة ١٨٧٦ وسمح من الاعضاء الانكليزيين والاطليانيين  
والفرانساويين نلو كان في تلك الطريق ما يخل بالسياسة لما سمح الانكليزيون  
والاطليانيون لان ذلك مبان لسياستهم ولو فرضنا جهلهم بالنهيم اهل سياستهم لكي  
يكون لهم مستند او ما يابل ان اهل سياستهم لم يتعرض منهم احدهم لذلك على ان توهم  
الاستيلاء الحسي بمجرّد الطريق المذكورة من الفرانسييس ليس هو الا وهم لان قوة فرانس  
ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو لوقفها على صعوبة الطريق فان بين مرسي  
عنايه ومرسي حلق الوادي مسيرتي عشر ساعة فقط بالبر والبحر بل ان مرسي ابن زرت  
لا تبعدها عن اكثر من ثمان ساعات وسفن فرانس التي توصلت بهما من فرانس الى  
الجواثر بل ومن فرانس الى سانيغال بافرقيقة الغربية والى كنبوديا بالهند الشرقية  
لا يصعب عليها قطع تلك الساعات (تنبيه) قد ايد هذا الرأي ما حصل بالفعل في خارج

(٨٠)

القطر من هجوم عساكر فرنسا برا وبحرا على القطر سنة ٩٨ ولم تترك ولا فرقة منهم طريق الحديد المذكورة مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوي فان كان المؤاد منه زيادة النفوذ وزيادة المتجر فسيأتي عليه الكلام في المطالب الثامن ان شاء الله وان كان بالمعنى الذي مرقله عن أحد الانكليزيين وبقائه مراسى القطر خالية فهو مدفوع بان السلع التي تؤدي عند دخولها الى فرنسا تصير تؤدي ذلك في حدود الجزائر وغاية الامر ان يتبدل الطريق وعمل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه يتحدد بضائع سواء تمتعت من هاته المراسى أم من هاته وقد اجتمعت في موطن مع الوزير خير الدين بعد الاتفاق المذكور وشيوع ذلك الاعتراض بما تقدم ذكره فذا كرى في دفعه بما يقرب مما شرعنا به وزاد في الجواب وهو متبسم بان قال ان الاعتراف بان ما كل ذلك الطريق هو اخلاص مراسى القطر التونسي وانحصار الشحنة في مراسى الجزائر (الخ) هو مما لا يقوله الا جاهل أو متجاهل بما ينشأ عن الطرق المحيطة من المهران ومهولة المواصلة مما يكفي في البرهان عليه الوجود الخارجي في المسالك المحيطة لتلك الطرق والمحالية عنها فان ازدياد عمران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك في الثانية مما يقضى فيه العيان عن البيان فاما المتجاهل فالكلام معه ضرب في العبث وأما الجاهل فبخوانياله ان المصلحة من نقل البضائع بطريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا لا يتخلو اما ان تحصل للاهالي أولئك الحكومة فان قلنا انها لا اله الا بالنظر اليهم فرادى فالجواب ان الافراد ممدار نفعتهم على زيادة اسعار بضائعهم بقطع النظر عن المحل المشكوك منه وذلك لا يحصل الا بتسليمه الى النقل المنحصر في طريق الحديد نعم اذا خشى من خروج النتائج الغلاء في البلاد فالحكومة تمنع الانحراج من أى طريق كان سواء كان من مراسى أو من الحدود البرية وان قلنا ان المصلحة تحصل للاهالي بالنظر لمجموعهم من حيث نفع الوطن فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة فيكون الجواب شاملا لكلامهم ما هو ان مصلحة الحكومة مدفوعة بما تقدم شرحه من أخذها اداء الشحنة الى خارج القطر سواء خرجت النتائج من المراسى أم من الحدود البرية على سواء بل نقول ان بالطريق الحديدية يحصل النفع ودفع الضرر في خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام الطريق ويبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحدود الغربية للقطر التونسي المتجاوز اربعمائة ميل وأغلب سكانه اعراب رحالة يتكسبون بما يحملونه على ظهورهم فاذا رجعدوا انما النتائج أغلبا في الجزائر لندخولها الى فرنسا

بنون



(٨١)

بدون اداء لاشك انهم ينقلون نتائجهم الى المل الذي نسوى فيه أكثر من غيره ككل هو واقع ويتجهلون غلوا الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعلت الحكومة مراكز لاخذ الاداء عند الانحاج من الحدود لا يخلوا الحساب اما ان تجعل المراكز على طول خط الحدود أو تجعلها في أماكن مخصوصة هي أكثر مرونة وراونا من غيرها (فاما الاول) فهو يمنع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى بموئنتهم - من مدخول ذلك الاداء (واما الثاني) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء فصاحب النتائج يتحمل مسؤولية نصف يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج نتائجه بدون اداء شيء فتلخص من ذلك ان النتائج تخرج الى الجزائر دون اداء للحكومة التوسعية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء على النتائج للحكومة فالاهالي تعدل عن الحمل على ظهور الابل لغلوها. وتؤدي اداء الحكومة في مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يرجعون ما توفروا لهم من الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل حراس عليه لانه متحديا به وهذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وحجته لماذا يحصل علينا وحدنا والحال ان المنحة انما اعطيت بمشاركة جميع الوزراء والمستشارين من تقدم ببيانهم فاذا تشارك جماعة في رأى فلماذا يحمل منه كره على واحد منهم فقط بمجرد مباشرة تنفيذ ما استقر عليه رأى الجميع هذا كلامه على ان هذا كله مفروض عند وصل الطريق وقد علمنا اننا اشترطنا عدم وصله لمجرد الاسباب السياسية التي يأتي بيانها لما تقدم ذكره فلا يأتى الاعتراض الا عند ذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان في موضعه ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير في كون الفائض جعل للدين أكثر من القسط الذي عينت مداخله لذلك حتى لزم الحكومة تكاليف الفائض في بعض السنين من دخلها والاستعراض في بعض السنين برهن مدبغة الجبال لا يفله بالفائض أيضا ومن المعلوم ان خلاص الدين بالدين يؤدي الى تفاقمه وأجيب عن هذا الاعتراض بما تقدم شرحه في كيفية الوجه الذي أعمل في المديون فقرحات ان الفائض قد حط من عشرين ما يونا فرنكا الى ستمائة ملايين ونصف بمشاركة نواب الدائنين ثم تأسيس ذلك المقدر على معدل الميزانية التي ارسلت من الوزارة السابقة التي وقع فيها الخط في تقدير فصل السرحات كما بيناه هناك سيما وقد رأى الحكومة يوفون الوفاء بذلك في بعض السنين ورأى اقتدار الحكومة على الايفاء في بعضها فلا يسلم صاحب المال في

(٨٢)

وبوجه سهولة الابعاد يتقنه العجز ولا يحصل ذلك الا بدخلة قسم المنظر من الحكوميين  
في احوال ميزانية الحكومة الراجعة لمصاريفها الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم  
لسياسة الحكومة لمزيد التصديق عليها والتجبر على تصرفاتها فاختير أخف الضررين  
الى ان يكشف الواقع على ماهو في الاقدار حقيقة بطول المدة والتجربة وتقاد وكلاء  
أصحاب الديون عن يمينه لكن الوزير خير الدين خرج قبل حصول ذلك ككلام الوزير  
المذكور افراد قليلون من الموظفين على عدم احيائه للقوانين لكن على ان تكون على  
غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذي مرفى  
بان تكون موافقة لاحكام الشرع وللباشرين للاحكام الشخصية هم نفس الحكام  
الشرعيين بضبط نفس الاحكام في قول واحد شرعي وجعل محاسن شوري لمصالح القطر  
اعضاؤه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين لما هو معلوم  
من ميله اليها كما مرفى الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذي علمناه منه  
عند ابلاغ الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا يتيسر ذلك فيها  
الابادة الملوك او الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والي تونس اجراها ثم لما  
ابطلت بالنكيفات التي مر ذكرها كان والي المذكور رأسه المنافرين عنها فلا يصح في الى  
انها اوليس في ذات الاهالي من يرغب فيها بالحاج في طائها الا افراد قليلون كما بان  
بالكشف فيما وقع عند ايقافها وكما بان بالاستخبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية  
بالقانون الاسامي فلم يبق الا احدثين وهما ابقاء الوزير خير الدين في الخطة بدون  
القوانين لرفع ما يستعيبه بذاته او انه لا يبق في الخطة الا بوجود القوانين فاختاره هو  
الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهاته الدعوى المستندة لما تقدم ذكره  
ويج عند البعض خلافها لانه لو تيقن والي تونس في اول الامر اصرار الوزير على عدم  
البقاء في الخطة الا بوجود القوانين لمكان يحصل المقصود وتقوم القوانين مع مولاها في  
الاقل مدة بقاءه ولا لوم عليه بعد انفصاله ومن بلغ المجهود حق له العذر وقد كنا اطمعنا على  
تحرير الوزير المذكور بعد انفصاله عن الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض بما ذكر  
فانتمنا خلاصته هنا ليحكم المطالع بين الشقين وحاصله انه باقتناعا اناسا لا موعا على عدم  
تأسيسنا في مدة وزارتنا التنظيمات السياسية المعبر عنها بالكنيسة من التي كنا اوضحنا  
في كتابنا اقوم المسالك لادلة النقلة والعقلية على لزوم تأسيسها واجراء العمل بها ولما  
كان صدور مثل هذا اليوم منبأ عن عدم فهم من صدر منه ما كنا نمرحناه في الكتاب

المذكور

(٨٣)

المذكور من الاحوال التي تنبئ عليها التنظيمات وجب إعادة الكلام على ذلك  
وبذلك يتضح الجواب عما ذكره فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاملة على  
اتباع المصلحة قد شوهدت انشأت في الممالك المستقرة بها باحدى طريقتين احدهما  
ان يكون تأسيسها من الراعي وثانيتهما ان تطالبها الرعية والصورة الاولى هي الممكنة في  
الممالك الاسلامية اذا انتبه الراعي لقوائد التنظيمات فيسعى بجهد واجتهاد في  
تأسيسها وحمل الناس عليها مستعيناً بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة  
منافعها ويتمسكوا بها ويحصل من تسبب فيها خيراً وأجر من اسس ما يدوم به العدل  
الذي فضل الحكماء صاحبهم على فاقح الاقاليم الكثيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير  
الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى النقص والاختلال ومصير الممالك ذات العدل  
الى البسطة والاعتدال والحكيم من لاحظ العاقبة والممالك وعند ذلك تدوم معمولاً  
بها اذا كان في العامة اسس تعدد الى فهمها وقبولها وبدون مائة دم لا يمكن اجراء  
ما ذكره في ممالك فلا يكفي لذلك معرفة الوزير وحده بمصالحه وامهاله اليها ولا نظن  
أحد من رجال السياسة العارفين باصول معنى التنظيمات بخالفنا في هذا فكان  
الواجب على المعترضين ان يمشوا والا عن معرفة حال امير بنونس هل هو من يسعى في  
تأسيس ما ذكره على الوجه المذكور وعن حال الایالة هل فيها من يعتبر لحفظها وقبولها  
وفي ظني ان كلا الامرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفي  
يقيني عدم نجاحه بدون ذلك كما اعطاه التجربة فان التنظيمات التي اسست في هذه  
المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدمة بيان اصولها الكفالة بتأمين السكان ابطات  
تمشيتها مع الخلف على اجرائها بسعى الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد  
رايت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما نشأ عنها من المضار في  
النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض أحد لذلك بادنى انكار (فلما) كان الحال  
ما ذكره رايت من الوالى بنونس في تأسيس التنظيمات سعت في تحسين ادارة  
المملكة وتأمين راحة السكان بقدر الطاقة والامكان مستعيناً بالله وبمن كان من اهل  
المروءة من رجال الحكومة الى ان آل امرى الى الاضطرار الى الخروج وان ترتب عليه  
ما حصل لنا بعده من الصعوبات بمنع الناس من مخالطتنا ولم أقصص على الحقوق  
البشرية الواجبة شرعاً وطبعاً مع ان ذلك وقع في حق رجل تقاب في سائر رياصات  
الحكومة وحصل على يد مصالح حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكاية لواقع انه

(٨٤)

بإحاطة الله بعنايته حتى وحده مدة وفارته جميع السكان من الظلم والتعدي عليهم بدليل أنه بعد خروجه من الخطة رجع الأمر ما كان عليه قبل ذلك لأن الوالي في الحكومة لا يزال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع السيد مصطفى أيضا إلا الرعاة موظفين وهو لا قدس جان عفيف في نفسه غير قادر على منع غيره من الظلم وظلم كان محجوزا بساكن ظاهرا فانطلق بخروجهم من الخطة هذا وإن لازمت أقول أن تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وأنما لا بد لاجرائها من الطريقة المشار ذكرها والافاقية تنظيمات في تونس بدون ما ذكر كالمعقاة اسم بلا اسم في لا تعترن بقول من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشدنا وإياهم إلى ما يرضيه عنه آمين انتهى وبما تقدم من انتقاد بعض التصرفات وجد اضداد الوزير خير الدين السبيل إلى إيقاع الشقاق بينه وبين الوالي الأمسية القوانين فلم يرجعوا عليهم غير أن ذلك لم يقدّمهم لأنه مدفوع بما تقدم شرحه والوالي على علم منه فلذلك نزعوا إلى أوجه أخرى وبيانها استدعى بيان منشاها وأسبابها وحاصله أن الوزير خير الدين لما باشر الوظيفة بلقب وزير مباشر لم يكن له ضد في نقض أعماله إلا الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم ينجح لتبصر الوالي فيه ومعرفته سائر المتوظفين والاهالي بتصرفاته التي نفروها حتى ذات خدمة الوالي في نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما عزل الوزير السابق مصطفى خزندار وولى مكانه الوزير خير الدين واستقر أمره بعد الانفصال معه على ما مر شرحه طمعت نفسه للرجوع إلى المنصب أو في الأقل مواجهة الوالي واسقاط خير الدين عن الوزارة واستعان على ذلك بأفراد من الجانب وبأحد خاصه الوالي وهو الوزير مصطفى بن اسمعيل واعتضد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقعدون في التصرفات العامة وأشاعة ذلك في الصحف الأجنبية ويبلغونها بذاتها أو بتعريضها للوالي بواسطة خاصته المذكور لكن لم يفلحوا وأعدم نجاح المقصود بذلك لأنه لا يروج على الاهالي لمشاهدتهم حسن إدارة الوزير يرجعوا إلى اشهار أراجيف تتعلق بالسياسة الخارجية فمنها ما يرجع إلى تفسير الوالي وطائفة من الوزير خير الدين وأشهره وأن للمذكور اتفاقا سياسيا مع الدولة العلية ومنها ما يعود إلى تفسير الاهالي من الوزير المذكور وخافه وإن مراده تسليم البلاد للأفرانيسين ومنها ما يعود إلى تخويف اصدقاء الوزير خير الدين وجموع الناس فاشهره بأن مراد الوالي إرجاع الوزير السابق مصطفى خزندار لخطة الوزارة حتى أثر كل قول في أصحابه ونشأ عن الأخير التشنؤ بش في عقول العامة

(٨٥)

العامّة وتجار أوربا يوجب انحطاط اسعار الرقاق للدين التونسي. عدّة مرار  
للتخوف من تبديل السيرة في السياسة الموجبة لتعطيل فائدة الدين حتى اعلن الوالى  
بتكذيب تلك الاشاعات فكذب للوزير خـبر الدين مكتوباً وشره في الرائد التونسي  
ونصّه بعد المجدلة والصلاة بما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فانه بانح محضرتنا ان  
بعض اشخاص كادت ان تكون اسماء واهمهم معروفة ممن كان لهم في تصرف امير الامراء  
ابننا مصطفى منافع شخصية تعطيت عنهم بسبب مسا عيكم الجميلة بالادارة المنوطة بعهدكم  
اشاعوا الواجب لاحقية لها جعلهم علم الميسل لما يوافق شهواتهم وهى وان كانت  
مما لا يترتب عليه أثر ولا يكون لها موقع لاولى الاحلام الا انه سار بما وجب ان كان  
خلى الببال شغلها بعينه مع ان الاسباب التى اقتضت عزول المذكور لم تزل بعضها  
انظارها والاسرار التى انتجتها ساعيتكم الجميدة لم تزل تحمدا اخبارها وتظهر للاعيان  
آثارها واعلمنا بما فى شغل الاسماع ولهى الاذان بسماع هذه الاراجيف التى لا توصل  
قائما الى مقصوده من اضاعة الوقت بنقلها والالتفات اليها سحرنا لوزارتكم هذا  
الرقم لنهى من يشغل بذلك وليتحقق السكان ان استحضارنا لادارة المنوطة بعهدكم  
لم يزل والمنه لله تعالى متزايدا بتزايد آثارها وان ما راجف به اولئك الاشخاص لا يجدون  
اليه مستندا وتشهر ذلك للسكان ليزول عنهم الشك الذى قصد ايقاعهم فيه وشغل بالهم  
به لتبراح افكار من يريد مصلحة وطنه ونجح خدمته فالعمل ان تحتجروا بالاستقرار  
على تلك السيرة الحسنة التى ظهرت آثارها للدولتنا والله تعالى يحرسكم ويحفظكم  
واعانته والسلام من الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باى وفقه الله تعالى عنه  
كتب فى الثمانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين واثلاثين  
(التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باى فانت ترى ما صرح به الوالى من حسن  
نتيجة خدمة الوزير خير الدين وهو الذى تشهد به سكان الابل على اختلاف اجناسهم  
ومع ذلك لازالت الاعداء تسمى بالفتن بين الوالى والوزير حتى كان فى خلال تلك المدة  
جميع رجال المحكومة فى كدر من خوف تفاقم النفرة بين الوالى ووزيره الموجبة  
لانفصال الوزير عن الوظيفة ولما يقن الوالى ذلك دعى الوزير خـبر الدين ووعده بقطع  
التعريضات وامر نصره طفى بن اسمعيل بالكف عن سيرته ومقالة الوزير خير الدين  
وكان ذلك اواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضعة اشهر ثم عادت الكثرة فى  
اواسط سنة ١٢٩٣ واثرت الاقوال فى الوالى الى ان صار يستفهم من عمده عن

(٨٦)

رأى في فصل الوزير عن الخطة قرأى منهم استعظام الامر ورجا قال بعضهم ان بلدنا صغيرة وليست بمناخنة بفصل الوزير على التتابع سيما مع رؤية الرعية لسياسة هذا الوزير فرفر بمناخنة من فصله ما يسوء العموم فاجم الوالى عن فصله في انشاء تلك المارة وقال أحد المحبين لا وزير خير الدين ان استناد الاصل دافى اعتراضاتهم يؤل الى الاستبداد من ذلك على الوالى ورؤساء الموظفين وذلك ينقطع بامر من أولئك ان تشارك مع بقية المستشارين والوزراء في اعطائهم رأىهم مع مستشار القسم الاول من الوزارة ومع أعضاء قسم العمل من الكومسيون بحيث يشترك الجميع في الرأى عند تحرير ميزان الحكومة في الخرج في رأس العام وثانياً تقسيم الادارة في الرسم تبعاً لما هو جار في المعنى في أقسام الوزارة حتى يكون مستشار كل قسم يلقب بوزير ويحضى هو على المكاتب ويحتمل مسؤولية ما يعود عليه ولما بلغ ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحظ فيه ما يأتى وهو أن الاول واقع بالفعل لانه بعد تحرير الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهرونهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالى للتروى فيه ويحضى ما يستقر عليه الرأى وأما الثانى فانه حالة ضيق القطر وصغر الادارة لا تقضى تعدل المصادر بل ربما أوجب ذلك التعاوض في الاوامر لأمر واحد في حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف تبعاً لعدد الأمور في كل جهة وكل قبة - له وذلك لا تطيقه مالية الحكومة ولا تقبل الرعايا الزيادة عليهم وهذا خلاصة جوابه الذى لم يقع للناسح حيث أن العرض في الاول انما هو وصورى والتضايق في الثانى مدفوع بالاعتقاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من جميع ما تقدم امتناع الوالى من اجراء المطلب بدليل ما جرى من بعد خروج الوزير خير الدين عن الوزارة واصبح رافع الادارة على ما سبق من انحصارها في شخصية الوزير الأكبر كما نصح الوزير المشار اليه لابعاد التهم عنه بانه ينبغي له أن يسوى بين نواب الدول في المعاملة ولا يزدى في تقريب نائب فرنسا وهو يقول ان معاملته مع ذلك النائب شخصية لا تتعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيه الحال في دفع غائلة فرنسا لما بعد ذلك لان ترجيح كفته بتونس ضرورى وارتكاب اخف الضررين واجب فان لم تر لنفسها رجاء ان تكتالبت الى أن تصل الى قصدها ولو بالغت على ذلك المبالغة أوضحنا خلاصة سياستها باقوالنا تقدم عادت المصافاة بين الوزير خير الدين والوالى حتى كتب الوالى الى قنصل فرنسا يسبب ما أشبع تارة بعزمه على ابدال الوزارة

وتارة

(٨٧)

وتارة بالعلم على التفتيش من مقدار الفاضل مما أو جب عدم الاطمئنان بمالية  
الحكومة وانحطت اثمان رفاع دينها فكتب اليه في جادى سنة ١٢٩٢ بمناصحه  
الحمد لله وحده اما بعد فقد رأينا فى المجلات الفرنساوية ذكر ظنون ابرزت فى صورة  
مقدمات مسلمة واستخراج نتائج منها يريد صاحب التفتيش من ادارة دولتنا ونقص ثقة  
حامى الرفاع بما يديهم من رفاع الدولة مع أن تلك الظنون لاحقيقة لها فى الواقع ولا  
أصل وما استخرج منها ترده الادلة المشاهدة زيادة على كونه مبني على غير الواقع وهذه  
الاراجيف وان كانت باطلة عند المنصف وعند من يعلم حقيقة الواقع ولم يتربط عاينا  
ما قصده من الامور السياسية فانه نشأ عنها الغير من ذكر وان لا اعتداله الا بالتحفظ على  
ماله براعاة كل ما يترق معه خوف ترتب عاياه بعض الخطا في سمر الرفاع مع أن  
كوبونها يدفع فى أوقاته كاملا وادارة مد احييه له جارية على الوجه الكاف لم يقطع وفيه  
خفى على جنابكم ما يلحق كلام الدولة والمتجرب من ضرر هذا الار جاف الذى مع  
كونه لاحقيقة له ومضاد للواقع لا داعى اليه الا اغراض غير خفية ولما كنا على يقين من  
أن جنابكم يود الخير لبلادنا كاتبة لكم بهذا مؤملا منكم السعى الجميل بحسن وساطةكم فى  
ايقاف هذا الضرر والاشك فى أن المتصدى لنشر ذلك والحالة هذه لم يكن له قصدا لا  
ما ذكرناه ومحرمه على ترويح ما أبرزه تكاف ما يظن انه يعينه على مقاصده وهو توزيع  
نسخ من المجلات وتبايعها لمساكن اناس لا معرفة لهم به ولا الله تراك لهم فيه مما انهم غير  
أن يطلب منهم عوضا عنه خلافا للعادة ونشر ما هو من فروع مقصده بغيره وتعين بما  
أشرنا اليه ان ذلك لم يكن للارشاد ولا للنصح الذين ابرز كلامه فى صورتهم ما وانما هو  
للقصد المشار اليه الذى نتحقق ان جنابكم لا يرضاه ويبدل الجهد فى تعطيه له ولو بانتهار  
هذا اعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما املناه من الخبر وتأييد الله تعالى باظهار الواقع كما هو  
المقطوع به من انصافكم ومحبتكم ودمتم فى أمن الله وكتب فى ٢٠ جادى الثانية  
سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين ثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك فى الاسنة ولاية السلطان  
مراد فتوجه الى تهنئته من تونس على لسان الوالى وزير الحرب رسم له مودة اقتضتها  
المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كماله مع مصادره حيث أن الاول زوج بنت  
الثانى وكان ذلك فى جادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت اذ ذلك الحرب بين الدولة العلية  
والصرب فظهر من جهات الاسلام الاعانة للدولة العلية بالمال لضيق ماليتها وبمقتضى  
الحقوق الدينية والارتباط السيامى بين تونس والدولة لزمب الاعانة بالمال ايضا من

(٨٨)

تونس وكان حال الحكومة في ضيق المالية وعدم إمكان القرض ما علمت فاجتمع د. الوزير  
خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة في حصول الاعانة بالمال من الاهالى عن طيب نفس  
وصدرت بذلك مكاتيب الوالى والوزير الى الجهات من المحرص في التجهيل فظهر من  
الاهالى غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مائون وأربعمائة ألف فرنك مع مصاريف  
الصرى والحوالات لارسال المال سكة راتجة في الاستانة وقد مر ما دفعته الاهالى  
ريالات ٢٣٨٤.٠٤٣ ونشر حسابه في الصحيفة الرسمية ووصل بتمامه للباب العالى  
وفي اثناء ذلك رجع وزير الحرب رستم المذكور ثم حصل في الدولة العلية صعود سلطنة  
المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة وأعيد ارسال وزير الحرب المذكور للتفتيش ايضا وأقام  
بالاستانة ثمانية أشهر لتبيطه من الباب لاجتماعه واحضار ما تنفضل به الحضرة  
السلطانية على الوالى مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود  
والبغاير وهرسك وبوسنة وبالموتوالذى عقد في الاستانة وبانجاز القانون الاساسى ثم  
بحرب الروسية وكان وزير الحرب باثناء اقامته بالاستانة في المدة الاخيرة قد مر شهرين  
أو ثلاثة لم يرسل مكاتيب تبين سبب تأخره لان كل أسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت  
غيبه المكاتيب وجماعتها ذوا لاغراض على ماسيتلى (تم طابت) الدولة العلية الاعانة  
العسكرية لمحرب الروسى ولم يكن للحكومة تونس من العساكر التى تحت السلاح الا  
مقدار ما يكفى لحفظ الراحة فى القطر كما أن المال الضرورى لذلك حاله ما علمت فرأى  
الوزير خير الدين المسئلة مهمة جدا ولم يكن يفت برأى الوزراء ورؤساء الحكومة  
وطالب من الوالى بفتح مجلس عام من ولى العهد فى الحكومة وأهل المجلس الشرى  
والوزراء وأعضاء جمعية الاوقاف والمجلس البلدى ورؤساء سائر أقسام الادارات ورؤساء  
الكتابة والمستشارين وضباط العساكر من أمراء الاولوية والفرىقان وأعيان الاهالى  
ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم المعروفين فاستعف الوالى على ذلك وانه قد اجلس تحت  
رياسة الوالى نفسه وأذن وزيره خير الدين بالتقام المراد على المجلس فقال ما معناه ان الدولة  
العلية قد علمت الوالى بان الروسى اعلنت عليها حربا وان لها فى الحدود والمدافعة عن  
المخلاة الاسلامية والوطن فحسب ثمانية ألف وانها مع ذلك لازالت محتاجة الى كثرة العدد  
والعدد وانها تطالب من الولاية ارسال العساكر والعلماء لمرذقات التلغراف الواردة من  
الدولة ثم قرأ ان للدولة حقوقا على تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا يحصى عنها  
وان حالة الحكومة فى العساكر وفى المال معروفة للجميع وان الوالى جمع هذا المجلس

لشهر



(٨٩)

ليشير عليه بما يراه في الطرق الموصلة لئلا تصود نفاض المجلس في الكلام وطالت  
المدركات وحصل التشاحن في الرأي الى ان عانت الاصوات وحاصل آراء المجلس هو ان  
بعضهم يرى ارسال العسكر بالقتال الذي يطبقه القطر من العسكر النظامي المشرح  
أكثره وتقريبه نحو ستة عشر الف الفالكن فيهم من محجز فلا أقل من وجود ستة آلاف  
تقدر الاهالي على القيام بهم بما يلزم من المكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من  
المدافع من الانواع الجديدة تزيد من بطرية كمالها من الميكانيك الحديثة تزيد من  
عشرة آلاف وان كانت تعم من أقواهاها من النوع العتيق فالحكومة حينئذ تقوم  
بالسلاح وتعين يملكون من المال الذي لها ان تستقرضه من خزانة مجلس الادارة لمدة  
سنة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوي المرتبات كل على ما يقتضيه  
حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويجعل  
على الاهالي تقسيط ما يقوم بهم يدفعونه منجما مع جريان الاقتصاد من الحكومة على  
مقوماته دم مع الاعلان بان كل من اراد القتال بنفسه فله ذلك ويعال هذا القسم وأيه  
بان احكام الدين قاضية بذلك مع ان نص فرمان سنة ١٢٨٨ مصرح بشرط ذلك  
وانه على فرض الاعانة بالمال الذي يمكن ان يوازي مصر وف العسكر فـ لا يزال  
التبكيك على القطر ربانه لم يوف بشروطه واصحابه هذا الرأى قليلون وبعضهم يرى ان  
الاعانة انما تجب بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شيء ومن قدر يبدنه وماله  
فعليه ان يذهب وليس على هذا الرأى الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضدهما وسقط  
اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة سيما الوزير خير الدين وبعضهم يرى  
ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد وبدونه العسكر كالعدم والمسال  
لاقامة ذلك غير موجود لان الغصب على أخذ المال من الرعية غير سائغ لما هم عليه ولجمل  
المحال في الملا والفقر فلا ذلك يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع وبهاته  
الصورة لا يعلم مقدار ما يتحصل حتى يمكن الاعتماد عليه وتجهز العساكر على مقداره  
وعلى فرض حصول شيء أولا فلا تتحقق تجربانه في المسـة قبل للقيام بالعسكر في المؤنة  
والذخائر ولذلك يكون اللازم هو احضار المال لاعانة الدولة العالية بالمال واعانتها  
واجبة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل في اعانة  
الحرب مع مصر وهذا هو الرأى الغالب الذي استقر عليه أمرهم وهذا القسم يدفع  
تعاين القسم الاول من شرط فرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه الطبيعي ان

(٩٠)

يكون ذلك في الامكان وقد تبين ان الامكان غير موجود - ل بهذا الرأي لانه رأى  
 الغالب وحكم المسئلة ثم رعا افردها برسالة فيها كتبناه على باب الجهاد من صحيح البخارى  
 جامعة لحكم المذهب الحنفى والمالكى تم جمعت الامانة المالية على فحوصات تقدم وارسل  
 بعضها فى مدة وزارة خير الدين وقدره فرنك ٣٠٠٠٠٠ ولم يعلم حسابها بالتحقيق  
 لان الوزير خير الدين خرج قبل نهايتها وبعده لم ينشر حسابها مثلما انشر حساب السابقة  
 ثم ارسلت الدولة العثمانية بطالب ستمائة بغير لبحر الاثقال البحرية وان كانت خيلا  
 وبغالا فلا بأس به فعمل الوزير خير الدين حومه فى طابها من اعيان المتوظفين وقبائل  
 العربان والبلدان بان عين لكل فرد ما يدفعه من عدد البغال او الخيل وكذلك القبائل  
 والبلدان على ان يسعروا ما يدفعه أهل البلدان والقبائل من الحيوانات بالمال ويقسط  
 ثمنه على جميع الاهالى على حسب الجدة ويدفع الثمن لصاحب الحيوان بحيث لا يناله من  
 المال الا امثال غيره فحسبت الناس الى ذلك وتنا فسوافيه وثمر من أصحاب  
 الحيوانات فى القبائل والبلدان امتنع من أخذ الثمن وجعلها فى سبيل الله واحضرت  
 الحيوانات وبقيت تضرر من الدولة فجعلها فى السفن التجارية غير مأمون  
 عليه خشية تعرض سفن الحنارب الذى اشاعه من يريد اجتناب تونس من الدولة  
 العثمانية وشجعت تلك الحيوانات للاستانة بعد خروج الوزير خير الدين من الوزارة  
 بضعة أيام وفى مبداء الحرب سأل أحد فواب الدول والى والوزير عن قصد الحكومة  
 فى التدخل فى الحرب وحذرهما من عواقب قدوم الاسطول الروسى الى مراسيها  
 وخسارتها من ذلك مع عدم كبر الفائدة من اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان والى  
 لا يستطيع ربط نفسه بالكلام فى عدم التدخل فى الحرب ثم جاء قنصل الروسى وانذر  
 واحتج بان والى صرح بانه لا يتدخل فى الحرب فكذب الوزير بان والى لم يصرح  
 بشئ ينزع حريته كما ان الرائد التونسي نشر من المقالات السياسية المنتصرة للدولة  
 العالية ما هو مشهور وهو لا ينشر الا ما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية  
 لها والوزير هو الذى يشرب بالمقاصد التى تنشر فيه فى جميع ما تقدم اتخذها اضداد  
 الوزير خير الدين سملاته فى والى معه واسقاطه من الوزارة فقوال وان وزير الحرب كان  
 سبب طول مكثه فى الاستانة السعى بما يضر بالوالى وانه يكتب الوزير خير الدين وهو  
 لا يظهر مكاتبه للوالى لانه لا يهاضمه وان زيادة ميله للدولة العثمانية ظاهرة مما تقدم  
 بيناه والوزير يقول ان تأخوزير الحرب لاعلم له بسببه لان واقعه فى نفس الامر هو

(٩١)

مائة - دم شرحه وانه لوتروى القائل فى قوله لوجده - بر صحيح لانه لو كان بينهما شئ  
حقيقة للزم ان يأتى من وزير الحرب مكاتب صورية ليطلع عليها الوالى ولسا سخ  
عدم اظهار ولا مكتوب واحد حتى يتفطن الوالى مما لا يفعله عاقل فذل ذلك على بطلان  
أهل التهمة وقد حققه الخارج كما يقول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب  
بقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو الواجب ديانة ولا قصدا لا حفظها - ما اوله - لم  
يجب لك فى السعاية بل أثرت فى الوالى لانه كان حصل قبيل تلك المدة نازلة ادعاء  
مصطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطارا - حدثت باليهود بنونس انه يطلبه بجمعية  
ملايين أو يزيد من جهة رفاع مالية ومصوغ اعطاه له للتجارة بها وأنكره المدعى عليه  
واستظهر وكيل مصطفى بن اسمعيل بحجة ثبتت فى الوزارة زور رهاعلى ما يسرد تفصيله فى  
المطلب الثامن وأراد الطالب ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلب لوب أمره للوزير  
بهروبه الى قنصل لاخوان - كاترة وحسابتهاله وتدخل القنصل فى النازلة له فرأى الوزير  
ان يعقد لفصلها بحاسا وانف من ذلك الطالب ووافق الوالى وامتنع الوزير من الحكم فى  
النازلة تنجيمان المكلام فيها من الجهتين فازداد حق مصطفى بن اسمعيل من الوزير  
ومن ذلك التاريخ اشتدت الوشاية واشاعوا ان الوالى نفى من الوزير بسبب ما تقدم  
وانه بلغه عدم ارتضاء رؤساء الحكومة بسيرة الوزير مستندين الى ما سبقت الإشارة اليه  
ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم البلاد الى فرانس اسمعيل بن بسكة الحديد المار ذكرها  
والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية وازداد اشاعة هذا بعد انفصال  
الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد تنفير الاهالى منه حيث ان الوجه الاول لم يؤثر فيهم  
والوزير يجيب بنفس الوقائع وأدلتها مما وقع فى الخارج واستوفينا ذكره وكثر الكلام  
فى هذه المنهى الى ان خاطب الوزير الوالى بحكاية مضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما أشبع  
فى شأفه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدر فى نفس المنصب ويعطل  
الادارة وانه يلزم أحدثيه بين اما توثق الوالى به ورفع العوائق أو استعفاؤه وقد كان الوالى  
اذالك صمم على قبول استعفاؤه لاعتقاده ما أشيع بل لان مصطفى بن اسمعيل غير  
متمدخلى فى الادارة بما يرضيه لان الوزير يمانع له لما يراه من تصرفاته - حسب ما يأتى ان  
شاء الله فى المطلب الثامن - ولم ان الحسام لى الوالى هو ما ذكر بما صرح به مصطفى بن  
اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لو ان الوزير خير الدين ساعفنى لما خرج عن الوزارة  
فلما ذكر اجاب الوالى الوزير خير الدين بسؤاله عن رأيه فى النازلة فاجابه بان رأيه

(٩٢)

ما ذكره فقال اعد على الكلام يوم السبت عنه اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان  
أوداه خاتمه بما أوقعه في تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان الوشايات لم يصدقها  
حقيقة وان يريد تغيير الصدور بينه وبين أحبته فاجتمع الوزير خير الدين بالوزير  
والشارين قبل الدخول على والى وقص عليهم الخبر بما كان ذكره لهم فرادى  
ومجتمعين وكان ما كل كلامهم ان الاولى به تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام في  
الاستعفاء وقال الوزير محمد الذي تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو  
الذى يتولى باشاعة المعرض المتقدم ذكره واتباعه بان لهم اتفاقا مع الوزير محمد على ولايته  
واباغوا للوالى رضاه بذلك وكان على بن الزى صاحب مصطفى بن اسمعيل الخاص  
كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليدلظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير  
محمد للوزير خير الدين امانا فاني لا اتولى مكانك ولودت عظامى ولكنى اخدم مع كل  
من يوليه والى كذا اشاع وجرى كلامه ذلك على تكذيب ماشاع عنه ولما دخلوا  
على والى اعاد الوزير خير الدين الكلام في الاستعفاء على فهو ما رفا جابه والى بانه هو  
أبو طائلة وقد حصه له التعب ومحتاج للراجحة فبأمره ببقاء مرتاحا في محله فرجع  
ليستائه بقرطاجنه وكان ذلك في رجب سنة ١٢٩٤ ومنع والى المتوظفين من  
الاجتماع بالوزير خير الدين حتى خواص احبائه بل واتباعه الذين على ايديهم  
منازعات كسبه الى ان خرج من القطر للاثمانه ولم يعمل حسابا معهم وفي عشية يوم  
انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين في زيارة الوزير المذكور وذكر احداهم  
من ابلاغ اليه النهى بواسطة عازم على زيارته تلك العشية متغافلا عما بانته فحذره  
الحاضرون من الزند والمشايرين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم في  
أنفسهم عازمون على مثل ذلك وانما عاقبوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنه  
احالهم على اذن والى ولما استأذنه اعان بالمنع وجعلت عيون على كل من يقدم اليه  
فبقى منفردا وتكاثرت الاقوال في الخوف عليه ونازلة الشهيد بن اسمعيل السيفي ورشيد  
لم تبرح من البسال وكان هو مقبلا متغافلا عما يظهر اليه من الغضب وطالب مواجهة  
الوالى لجرد الزيارة فاضطر في أمره ثم اذن له في وقت خاص ووقع بين والى وقنصل  
الفرانسيس كلام سأل فيه القنصل والى عن سبب خروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب  
ما يشين العرض واما خير الدين فلا سبب لخروجه الا الخلاف السياسي الواقع بينه وبينه  
وأنت

(٩٣)

وأنت تعرفه وهو اشارته الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالى كان تفتق لوم قنصل  
فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية، الا انها هو الخلف السياسى الذى بعلمه  
القنصل دون غيره. وهذا يؤيد الكلام السابق فى حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور  
عن الوزارة ولما تفاقم التناظر طلب الوزير خير الدين السفر لداواة مرض عصبى فاذن  
له بعد التصعب التام ووداع الوالى ولما استقر فى أوروبا حذر من العود خوفا عليه فكتب  
هو الوزير بحججه دسماضيمونه انه كان أرسل اليه مكتوباً بجواباً عن مكتوبه بان الوالى سأل  
عن حاله وعن وقت رجوعه - وانه انما كان سافراً لاجل التدواى أولاً وثانياً لاجل  
التباعد عن القيل والقال وهو المقتضى لتطويل الغيبة فاذا رأى رجوعه لا بأس فيه  
فأمر الوالى به لان غاية مراده هو ان يعيش فى بلاده مع عائلته تحت ظل الوالى مع حريته  
الشخصية من غير ان يتداخل فى شئ من الامور كما هى عادته عند انفصاله من الوظائف  
بدليل سيرته فى التسعة سنين السابقة التى بقي فيها بلاماً موريته وانه كان ينتظر الجواب  
عن ذلك المكتوب الذى تضمن الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر خلافاً لما يشيعه  
المفرضون منه بعد اعدام التداخل فى شئ من الامور السياسية وانه طلب حريته الشخصية  
حيث صدر الاذن للاهالى والمتوظفين باجتنابه ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد  
له الجواب الا بكون رجوعه - لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع  
انه لم يطلب الا ما كان الوالى سمع به للوزير مصطفى خزندار فى صفر سنة ١٢٩٢ من  
الرخصة فى مخالطة من يشاء والسفر الخ مع ان ذلك الوزير كان مطالباً بالاجمال جسيم وليس  
خروجها من الوظيفة سواء لاختلاف الاسباب ومطالبه الوزير صاحب المكتوب هو  
ضرورى فى حقه - كما صدر من الاذن فى المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالى  
امتنع من القدوم اليه - هذا زيادة على الصعوبات التى وقعت هذه اذ ارادته السفر ولم يجب  
عن هذا المكتوب وكان القصد من اضداده اما حمله على عدم العود أو انه اذا طرد  
يقسب له بايقاعه فى محذور وخيم ومع ذلك قدم الوزير خير الدين اتونس عندما شاع ان  
بعض بواخر الى وسياقادة الى تونس وكانت حالته مع الوالى أشد مما سبق فإرسل اليه بان  
يقصر من القروم اليه الا باذن من اللابان الوزير مصطفى خزندار تشيكي من منعه هو من  
زيارة الوالى مع عدم منع الوزير خير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق  
ثم عاد الوزير خير الدين الى السفر وأوسط سنة ١٢٩٥ ورجع الى ان آتاه اذن بسلك  
الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الاس - فانه فاس - تأذن الوالى وامتنع من

(٩٤)

الاذن له حتى دعا القناصل المعبرين واستشارهم في ذلك فـ كما هم اشاروا عليه بان لوجه في منعه والافوق له الاذن بطيب نفس منه فاذن له عن كره ومنعه من وداعه وسافر في رمضان سنة ١٢٩٥ و ترقى في عناية الخليفة به الى ان صار صدرا أعظم في ذى الحجة من تلك السنة وجاءت عائلته في بانو ساطانية ومن ذلك الوقت خرج الكلام على هـذا الوزير عن موضوعنا الذي نحن في صدد دده وقد انحصرت دعوى اعداء خير الدين في أمرين احدهما ارادته تسليم البلاد لفرانيس والثاني ميله الى الدولة العلية فلا شك ان الخلاف السياسي الذي ذكره الوالي لقنصل فرنسا لا يتعاق بالمدعى الاولى وعليه فلا سبب الا الثاني وعلى كل فقد أشهد الوالي فصل الفرانيس بعد خروج الوزير خير الدين من الخطة باستحسان سيرته الا الخلاف المذكور فعلى الواقف المتأمل في ذلك اذ الحق ماشهدت به الاعداء فدأوة الوالي خير الدين بعد دخوجه من الخطة لا يجهلها أحد و الحجة القطعية في ذلك امتناعه من مقابلة عند صدد دور الاذن بالقدم لدار الخلاف وطالب الوداع (المطلب السابع) في وزارة محجـ دخن زندار (اعلم) ان هـذا الوزير يرأسه من اليونان وحضر الى تونس في ولاية حسين باشا وري في الحكومة وتعلم الفروض العينية والقراءة والكتابة ونشأ على صفة التعفف عن الرشاموسوما بحسن الرأي جدى الطبع كثير الصمت صبوراً محباً بالسادة الاشراف صاهره أجد باشا بالمولى الشريف سيدى محمد الشريف على ابنته صاحب صدقات مربية متباعدة عن الشفوف محمد السيرة كان قربه الوالى حسين باشا بما راعاه به صاحب التصرف اذالك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وزادت به عناية الوالى المذكور حتى أولاه خزنندار وكذلك أنعمه من بعده مصطفى باشا في استنجابه الى ان قيل انه حصلت غيرة منه لشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بانه أغرى بعض خواصه به في المعسكر الذى توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور لثورة أهل جبل باجه فاطاق على الوزير محجـ دال رصاص في واقعة حربية هناك فاصيب في رجله وعوفي مع بقائه تأثيرها ثم استجبه أجمـ دباشا وولاه طاملا على الساحل وحسنت فيه سيرته وطالت مدة ولايته عليه من حدود سنة ١٢٥٣ الى سنة ١٢٨٠ ودافع عن أهله ما استطاع من تعدييات محمود بن عياد بتكفله بخلاص كما يطلب منهم ابن عياد على أن لا يباشرهم ابن عياد بتوجيه أعوان الخلاص الملتزمات التي يطلبها منهم وأعان على مصاريف معسكر حرب القرىم بالف قفيزن الشعيرو وجهه أجد

باشا



(٩٦)

لا يمدى فيها أمر الإبالا استشارة ولم يحدث في مدته شيء جديد سوى حرص الدولة العلمية على إرسال العسكر فاعتذر اليها بان غاية ما في الوسع هو الاعانة المالية للأسباب التي مر شرحها فلم تصح لذلك وزادت المحاسن ثم ديدا يلزم العسكر وطالت المراجعات والاعتذارات من تونس الى ان صرحوا للدولة العلمية بان غاية ما في الوسع والقدره هو احضار أربعة آلاف من النفوس بلباسهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وماعدا ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلنت بانها ترسل الى جلهم على عجل سفنها فتجيب المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة حضورهم وانتظارهم للعلم من مما جع من الاعانة المالية من الاهالى التي سبق ذكرها في وزارة خير الدين واعقد الصلح قبل سفرهم فورد الاذن بسراحتهم وكذلك حدثت نازلة انتهت اجل الكنت دى صانسى لكنها لما كان كل من الحرس فيها وانتهت خصامها في مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريقة الحديدية المار ذكرها بطريق الجزائر فانها وان وقعت في وزارة الوزير محمد دكنا في الواقع منسوبة لسمي مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين في مدة وزارة محمد مثل التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولاية هذا وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد وابن اسماعيل لم يظهر فيها جهره التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة مسامحي احد الرجلين الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقا سيما هم المسائل الخارجية فقد كادت ان ينفردها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد فيها الا الاجراء ودام الوزير محمد على ذلك متجنباً لكل صعوبة مقتصر على امتناعه من الرشاوى مع الوظائف في نفسه مشيراً بطرف الى استقباحتها من يريد هادراً بالسائر المتوظفين الى ان أحس بالكلام بارادة استعفاؤه بعد ولايته بسنة أشهر فعرض بذلك للوالى متعللاً بالجهاز والمرضى فاشار عليه الوالى بالتحمل والبقاء في الخطة الى الوقت الذي يشير عليه الوالى بالاستعفاء فعمل بذلك وفي ربيع الاول من سنة ١٢٩٥ كثر الكلام في عود الوزير السابق مصطفى خزندار فكذبته الحكومة ونشرها في صحيفتها الرسمية فصلاطو يلا في ان ذلك الكلام مما يشوش على السكان ويحير الافكار وانه مهتان والوالى لا يعمل به وانه من الافتراء والارجاف وذلك في عدد ١١ من الراشد في ١٦ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ وانما ذكرنا ذلك ليتبين ان نفرة الوالى للوزير المذكور لا عماله حقيقة



(٩٧)

لا كما قيل من أنها بسببى الوزير خـير الدين حيث أنه في ذلك التاريخ بعـد عن الوالى  
 واشغاله ثم ان الوزير محمد باقى منتظرا لاشارة لاسـتـعـفائه كما بقى من جهة طالب المنصب  
 وصاحب الولاية انتظارا عادته هو لاسـتـعـفاءه أو التـعـريض به وبقى هكذا الحال كل شئ  
 ينتظر صاحبـه مدة أشهر الى أن أظهر الوالى كثرة الكلام فى الرغبة فى اسـتـعـفاء الوزير  
 وأحضر نيشان آل بيته الذى صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى وفطن بذلك الوزير  
 عـمـه فدفعه إلى معـرضـه لاسـتـعـفاءه على حذر حيث اعتـمـد الوصاية بان الوالى هو الذى  
 يشـرعه عليه فقبل بالرحب والبشر وأوصاه بان يكتب غدا مكتوب الاسـتـعـفاء فلما حضر  
 التـمـيـن الى قصر المـمـلكة من الغدا مر الوالى قبل أن يصل اليه مكتوب الاسـتـعـفاء الوزير  
 عـمـه دأب ان يستـصـحب معـه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة ويعان الجميع  
 المتوظفين بعد جمعهم بان الوالى أولى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد  
 أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالى الوزير عـمـه دأب وأمره بان يعود  
 اليه بعد ذلك الموكب مصاحبا للوزير الجديد فعمل بذلك على هيئة اسـتـعـفاء  
 اذ لم يعـمـد مثـلـها وبعـد ذلك كـتـبـت مكاتيب الاسـتـعـفاء وقبـولـه ونشـرت فى الزائد وكان  
 ذلك فى شعبان سنة ١٢٩٥ هـ مدة وزارة عـمـه دأب وشهر ولقب فى ذلك الوقت بوزير  
 الاسـتـشارة وجعل له مرتب عـمـرى وقدره سـتـون ألفا فى السنة وأمره الوالى بان يقدم  
 اليه فى كل أسبوع فى يوم السبت مع جملة المتوظفين أو عند ما تدعو حاجة لحضوره  
 وجعل منزله حـضـوره فى موكب الوالى فوق منزلة الوزير الحالى بحيث لم ينزل عن مرتبته  
 ثم اسـتـقال هو من ذلك ونزل تحت الوزير بنى على عضوا فى مجلس الشورى الاسـتـقـر  
 وبقى على ذلك الى الآن (المطاب النامان) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل هذا  
 الوزير من الناشئين فى حاضرة تونس ولما شب ربه أخدمه ووظف فى قصر الحكومة الملقب  
 بزهر حتى نسب اليه فى اللقب ثم أخذ منه الصادق باشا الوالى الحالى وصار من خدمته  
 وقربه ورقاه الى رتبة أمير لواء مع انضمام رتبة أمير لواء ثانيا فى عسـتـه العسـكرية الخاصة  
 وهى وظيفة مقصورة عليه لم تـكـن من قبل ولا بقيت من بعد ومن حدود تلك المدة عرف  
 بالقب ابن اسماعيل نسبة الى والده الذى يقال انه مسمى بذلك وهو متواضع بشوش  
 كتب ير التردد على الصالحين وزيارتهم شديدا لا يقتاد فيمن يذمى الى علوم الحـمـدان شـره  
 هلى الاشياء الجديدة كثيرا لا نفاق على ما يعود الى لذاته يحب للتـجـمل بالملابس المـجـوهرة  
 حتى تنعم دأب الخواص المتكلمة باصـبه وتـرى المـجـوهرات على صدره وسـلـكـه سـاكنـه

(١٨)

طارفا باخلاق سيده ملائمتا في سيرة معه لرضائه حتى تمكن من ميله اليه واشتدت  
 رغبته في استرضائه الى أن قدمه على معاصريه وأبناء مجده فبلغ الى الرتبة المشار  
 اليها ثم رفاه الى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار اليها وفي أوآ خرمدة  
 التناقير بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار انتهزت تلك الفرصة الى التنويه بشأن  
 مصطفى بن اسمعيل ورفق الى رتبة الفريق وأرسل من الوالى كما تقدم الى مالطة لابلأغ  
 العناية بالوزير خير الدين وكان يظهر اليه الميل عن مصطفى خزندار ثم ولى طاملا على  
 الوطن القبللى أوآ خرمدة مصطفى خزندار وأخذ مصطفى بن زمامات العمل المذكور بنقلها  
 اليه بدون انتهام مدة من كانت بيده وامتدت الايدي الى ارزاق أهالى العمل المذكور  
 بالرشاى الاحكام وغيرها حتى قال كثير من أهله لقد زال العناعم من أهالى القطر الا نحن  
 فاننا لم نرشى ما من اثر ذلك لاغضاء الوزير خير الدين النظر عنه لعارضته اياه واستولت  
 بعض حواشيه على الاوقاف ببادسايما الى أن آل أمرها لما كئنا رحنابهضه فان  
 جامع الخنيفة والمدرسة ببادسايما لم يكنف فيهما باخذ دخل لوقف وأهمل الموقوف  
 عليه حتى خرب وتطل جريان الشىء اثر بل نقل منهما مهمات من الرخام وغيرها الى دار  
 المتولى كما أقيمت فى ذلك حجج من أهالى البلد وقدموها الى جمعية الاوقاف وجرى على  
 الاهالى من المتاعب ما بلغ الى قتل النفس كما ذكرنا ذلك فى قتل جده بيايوس أحد أهل  
 الحاضرة الذى انتقل بالسكنى الى هالك وذهب دمه هدرار سودت فى موته رقعة على  
 انه مات حتم أنفه تبرئة عند الحكومة رسمان دمه وشدد على الاهليان من أهلى  
 الحاضرة وغبرهم فى خلاص قانون الزيتون الذى كان مرتبعا على الوطن القبللى الذى  
 مر ذكره وتحملا من مباحثى الخلاص اهانات لم تعهد لهم حتى ان بعضهم كان جالسا  
 بجانب أحد أصحابه فى العطارين فجاءه مستخص والزمنه بالخلاص جالسا مع العسر  
 عموى فضلا عن كون الرجل لم يكن مستعدا ولا مال محولا معه فأهين بما أذرف دموع  
 المشاهدين من ذلك الملاءة ومثل ذلك متعدد ثم ولى الوزير براهيم اسمعيل وظيفة صاحب  
 الطابع أوأوسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة المذكورة ولى  
 الوزير براهيم اسمعيل وزارة الجمرغ بيرانه لم يباشرها له الوظيفة فى محل الوزارة وانما جعل  
 ما يتوقف على امضاءه يحل اليه أين كان ليمضيه حتى يقال انه انفصل عنها وهو  
 لا يعلم مضمون تلك الوظيفة اذ لم يكن التصرف على شؤرا دته ولانه يعتمد من يفيقه من  
 خبرا احتساب عليه ثمه زل من ولاية الوطن القبللى لان الوزير خير الدين قد استقر فى  
 الوزارة

(٩٩)

الوزارة الكبرى وطن انه غنى من معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فاقتم مع الوالى صعوبة  
الامساح بعزله ومن ذلك القاريح برح الخفاء فيما كان كامن من منافرة الوزير ابن  
اسمعيل للوزير خير الدين وان اظهار الميسل اليه لم يكن حقيقة او التفت عليه عصبة الوزير  
الاسبق خزن دار من الاجانب وبعض المأمورين اترويحوا غرضهم مما تقدم شرحه  
وفي اثناء تلك المدة كانت أموال الوالى وذخائر الحكومة من الجواهرات والياقوت  
الايض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور لا  
ما أخرج من ذلك مما أرسله فى هدايا الدولة العلمية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزن دار  
وله قسم طوافرواغ يروى كان القهم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان  
الحاضرة لى له على ابن الزى كانت النساس تقيمه من قبل ثم ازداد وامنه اتقاء لما  
القهم بالمذكور وتفصيل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التأليف على ان مرشاهدا  
لا يباغ ما نذكره لى اسمعيل ومن لى شاهده لا يكاد يدق بوجودها ولذلك لا نذكر  
الامايهاتى به من حوادث سببه فتم انه من اليه معاطاة التجارة فى رقاع يون  
الدول ووراء له تاجر يمد تاجر الى ان استقر امر مع احد تجار الاقمشة المحريرة من يهود  
الحاضرة المسمى بيوسف بن عطار وارسله الى فرنسا للتجارة هناك ثم لمعاد التاجر  
حصات يده وبين على ابن الزى نفرة فاعرى به سببه لارادة استنصاله وسجن  
التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لاتسأله عن يربد سجنه وانما  
حسب التفتية لى ما يراه وادعى على التاجر بحوسبة مائة ملايين فرنكا أو تزيد من مال  
ومصوغ ووجارة كريمة من الياقوت الايض على انها من اهل نوع وانه سافر بذلك  
الى فرنسا ولم يؤخذ منه حجة فى بيانها وانه ارجم اليهم بالارسال من فرنسا ما قد ارا  
واقر من الياقوت الايض من النوع الردى على انه لم يبيع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك  
وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية وأخذت منه حجة على انها به حجة وانكرها  
هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنصلات الانكليزية بمبها  
طالبها الاجراء الانصاف فى نازله وقد اخل القنصل الانكليزى مع الحكومة فى انصاف  
الرجل ولاحت على الامر الزور على الحجة ولم يكن معها من القرائن أو الاسلوب التجارى  
ما يؤيدها سيما فى مبلغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معها من القرائن عكس الدعوى  
اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من اهل نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع  
الذى أرجعه اليهم وقبلوه وارسلوه فيه مكاتب بوصوله من غير انكار لكونه من نوع

(١٠٠)

ما أعطوه ولا تعريض بذلك مع ان ذلك المفعول اذ البليغ يعطى لانسان من غير بيان ولا حجة ولا دفع ولا يؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوعه عدة وهو تحت الغضب زيادة عما كان عند انتهائها فان جميعه يؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت المنازلة الى الوزير خير الدين وارادته تشكيل مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير بن اسمعيل من ذلك حسبها فقد مدت الاشارة اليه وبقي التاجر محتجاً بالقفس لا توصلح معه الوزير بن اسمعيل بمائة ألف فرنك وعشرين ألف فرنك ونهض كل من سمع بالدعوى التي هي محور ثمانية مالاين كيف يصالح عنها بذلك القفس - درلو كانت حقاً والنزلة مقررة في الوزارة وفي القفس لا تقولوا نظرنا الى ما وقع في المنازلة من الكلام على السنة الناس الذي منه ان محاقله على ابن الزى الى الوزير بن اسمعيل ان التاجر المذكور لم يعد من فرانس الرجوع له مصوغاً أو أنه مصوغ بقيمة بليغة من المال وأنه اكتشف عن حالة المصوغ بعد الانفصال بالصالح مع التاجر فاذا هو من البور المقاد على الباقوت فاذنه الوزير بن اسمعيل بدينه حيث لم يكن فيه من فائدة فاجبه بانه يبيع بوضع آلاف وأدخاله في حسابه ولما وقعت الواقعة التي بيناهما مع ابن الزى تبين ان عين ذات المصوغ لم يزل بخزانته وأنه من الباقوت حقيقة وامثال ذلك لطال الكلام في المنازلة لكن لا داعي لنا في ذكر ما يقال على السنة الناس سيما وهو مما يعود الى ما بين الخادم والخادم وانما الداعي الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سبياً في خروج عائلة التاجر المذكور من رعايا تونس وصيرورتها تحت الحجة اية الانكليزية كما أنها كانت سبياً في تمكن النفرة واظهارها بين الوزير خير الدين والوزير بن اسمعيل وميل الوالي الى معاضدة هذا لانه ممكنه من جميع أمواله حتى ان نفقته ونفقة عياله كانت على يده وقد نشرت أخباره الواردة في الصحف الخيرية عربية وغيرها فيما تقتضيه العائلة من تباعد ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا نجله هنا أيضاً وانما أشرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وقبره حصص الاشاعات التي أشرنا اليها في أسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دلت على انه كان القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى بن اسمعيل غير ان معرفة حال المتوظفين والاهالي في التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير مصطفى الى استشارة القسم الثاني من الوزارة الوزير مصطفى بن اسمعيل لكي يباشر العمل والاهالي في شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة فكان لا يتعرض لتصرفات الحاضرين

من

(١٠١)

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الا ان تذكر نازلة لهم باخبرة بواسطة أحد  
علائقه وتقرر له من قبل قدومه الى الوزارة فيمنه نذاذن فيها بما كان وقع عليه  
الانفصال وحصلت في اثناء هاته المدة الرشوة التي كادت تقناسى سيما في توظيف العمال  
ولم يبق من الوزير محمد على دفاعها غير انها لم تنفاحش اذ ذلك كما ولى الوزير مصطفى ابن  
اسماعيل عاجلا على الساحل لاستعفاء الوزير محمد عن جفري أول الامر العمل فيه على  
ما كان ثم ولى على المستير رجلا نابعا عن العامل يجعل ينفق عن المائة ألف وكان ذلك  
الرجل مدينا للاجانب من قبل واشتري الوظيفة خلاص ما اشتراه ونخلص دينه  
وتكسبه وامتهدت يده الى الاهالى والى النواب الذين تحت نظره وتفاقم الامر مع شدة  
الضعف المالى فى الساحل واشتريت رعايا الاجانب الى قناسلهم هناك لان أهمل  
الساحل لم يزل الوافى رقبتهم فما يحصل لهم من المبال عوض ان يدفع لدايتهم صارا  
يدفعونه الى المتولى وبقي أمرهم على ذلك الى نحو مائة يرد خبره وفى أول مدة تداخله فى  
الادارة وجه قصده الى التداخل فى المسائل الخارجية والمداخلة مع نواب الدول  
فاستعطفه أحد نواب الاجانب على أمير اللواء الباس المصلى لعلاقة بينهما ذاتية على  
ارجاع المذكور الى خطته التى كان فيها وهى وظيفة مستشاران فى الوزارة الخارجية  
وقد كان عزل عنها فى آواخر وزارة خزندار النساء ولاية خير الدين وزير امير باشا بسبب  
واقعة وهى ان احدى الجمعيات الاجنبية التى تجمع المال لنوع من أنواع الرحمة  
توسطت اذ ذلك بقدر من راسا لتعنيها الحكومة التونسية بشئ من المال على وجه  
المرجة فارسلت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع  
القنصل بالوزير شكر صرحه وذكر له المقدار الواصل لئلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما  
أعطته الحكومة ووقع التحقق فى النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقي بلا  
وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور فتوسط له لدى الوزير  
خير الدين فى وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فألمح على ان يحصل له نفع ونال  
بواسطة مرتبة سنوية بأف درهم ستة آلاف ريال وقطعة من أرض مقدار ما يبنى به ادار  
للذكور وكبر ذلك على الوزير بن اسمعيل اذ ذلك وجعلها هبة براه فلما تعاطى هو  
الاشغال السياسية وتوسط لديه فى ارجاع المذكور للخطبة السابقة بادر بالاجابة  
بالقبول ولما انتهى الامر للوالى استغنى عن النازلة سيما وقد سمع بعض القناصل بذلك  
وأوغر بالانكار بل ربما قال بعضهم انه بعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط أيضا

(١٠٢)

الثمة - ديد في الاتمام بمقتضى القبول الذي اجاب به الوزير بن اسمعيل وهو وان لم يكن  
اذذاك وزير الخارجية الا انه علم ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية ونكران  
اسم اعيل النعمد بالقبول انما قال في وعدت ببلاغ الوالى المطالب فقط وتفاقم الخلاف  
الى ان اسمعيل اصر على المطالب ووظف المذكور وظيفة مختصة وهى كاتب سر الوالى  
بالفرانساوى وجعل له مرتب اثنا عشر الف مائة واثم ابتدأت نازلة الكنت دى صاوى  
فالح لوزير بن اسمعيل في تعجب فصلها كان فيها ما - يرد خبره ثم جاءت نارلة وصل  
السكة الحديدية التونسية بسكة الجزائر وذلك ان الشركة التى يدها المنحة وشرعت في  
المعمل بها بعد ان قربت ان تصل بها - باح - لزمها وصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها  
ان لم تصلها فتوقع الخسارة ويفوتها ثمن ربح المنحة في المنة لان دولة فرنسا ضامنة  
لشركة المذكور ربح المنحة في المنة على ما تنسبه من الطرق الحديدية بافريقية  
وتصل بالجزائر ودولة فرنسا غماضت ذلك لانه مما يسهل به كثيرا في المسالك  
الاروبية لترغب ارباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من اموالهم وهى  
لا تترك علمها مثل ذلك لقناتها وكثرة وارداتها من الطرق الحديدية فعلى فرض خسران  
جهة من الجهات في الطريق بعدل بازيج المحاصل من الجهات الاخرى وادابقت طويق  
قونس غيرة متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على الضمانة المذكورة فاذلك قدم الى  
قونس زعماءها وطلبوا وصل السكة مستخدمين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذى  
بايديهم في اصل المنحة من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مد فروع معينة وشمالا  
عن الخط الاصلى بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز الواصل له الفرع وعلى  
جهة مورو وان المقدار الذى بين نهاية الخط الاصلى وبين حدود الجزائر لا يبلغ الى  
مقدار طول الفرع الذى لهم الرخصة فيه وهو خمسون كيلومتر وأى نحو خمسة وأربعين  
ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهى اليه وتعيين جهة المروركما  
يطلبون مد فرع الى جهة الكاف بمقتضى الرخصة الاولى ابصافنا لتنازلة في البلاد  
وعند مد رجال الحكومة أهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلاد الكاف لانه خال عن كل شائبة  
وليس فيه الا القليل وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في  
وجود مليون ومائتى الف فرنك لتيسر اسباب الوصول الى المقصود وتولى امر الحرص  
فيها الوزير بن اسمعيل وكان القنصل الفرنساوى معين الى الشركة على غير الطريقة  
الرسمية وانما هو من باب الجمالة والنصح ويود فصل النازلة من غير ان تدعى الى تدخله  
الرسمى

(١٠٣)

الرسمي باستنجاذه من الشمركة على ما يمكن ان تدعيه فيبرال الوزير محمد اذ ذلك من قهمل  
العبثي وعقد دلهما بمجلس تحت رياسته مستشار الخارجية واعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان  
فرنساويان واثنان طليانيان وكاتب انكسكيزي والجميع من متوظفي الحكومة  
فتمفاوضوا في المسئلة لكن مع الاشارات المتواردة بالتعجيل واختلف رأي المجلس هل ان  
الفصل ١٣ المستند اليه من السالب يقتضي ذلك أم لا لانه بالنظر للخرطة يتبين ان  
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو تطويل لاصل الخط حيث يتجاوز منتهاه النقطة الاصلية  
المنتهى اليها الخط لاصلي في الحدود ولكن الذي ترجع ادعاء المجلس انه يصدق عليه  
انه فرع اذ لم يقيد الفرع بعدم تجاوزه نقطة الاصل ومع هذا فان الاستناد الى ذلك الفصل  
لا يفتج المطلوب لانه ولا تضمن امكان امداد أحد الفروع ضمنا بعارضه التصريح  
القطعي بفصل خاص وهو ان الوصل بطريق الجزائر ليس للشمركة عمله ولا رخصة لها فيه  
الابا اتفاق حديد ولهذا خص ايضا بان الحكومة ليس لها اعطاء رخصة للشمركة المذكورة  
وهو رخصة قطعية بان اتصال طريق الحديد لحدود الجزائر لم يعط مدة وزارة خير الدين بل  
انه شرط عدم الاتصال للمحدود وان اعطاء الرخصة للشمركة الفرنسية في اتصال  
الطريق للحدود هو امتياز حديد اعطته الحكومة التونسية بعد خروج الوزير خير  
الدين من خطة الوزارة ولهذا انتقل الكلام الى ان الوصل هل للحكومة عمله أم لا فتذاكر  
الجميع في منافع ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة عنه بما تقدم بيانه عند الكلام  
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم ان قال انه اذ لم يصل تحقق المضرة المالية للحكومة  
بان ما يصل الى المركز انها في يقرب من الحدود مع عدم انحصار جهة الخروج منها  
فتحمل القمة على ظهور الحيوانات وتخرج الى الجزائر من غير اداء اضرار للحكومة  
الى غير ذلك من المصالح دفع المضار ومساواة مع من لا يتبعها كانت السياسة عند  
الامتياز من الوصل ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت على ما ذكره غير اني  
لاحظت شيئين (أولهما) ان الوصل الى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه  
تخلاف وطال لنزع فيه مدة أحمد باشا وليس للحكومة أن تعين الحد وانما ذلك يتوقف  
على اعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) ان وصل الطريق بنشأ عنه  
كثرة القادمين من رعايا الجزائر اسهولة الانتقل وقرب الوقت ورنحس المصروف وذلك  
هو موجب راج التجارة وان الخلق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فاذا كثر لوارد  
من رعايا فرنسا ليس وحدهم كثرة الخالطة استمدح ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

(١٠٤)

وليس لحكام تونس الحكم في نوازلهم بل النوازل ترفع الى القناسل وأين هذا في قبائل  
العربان التي يمر بها الطريق بل وفي نفس البلدان ليس لاتباع الحكم وضع اليد  
على المطلوب في فعل المتعدى ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده قبل ان يصل العلم الى  
حاكمه فيجبر ذلك الى صـمـاع المحقوق سواء كانت للاهالي وهـم الاكثر واغبرهم  
ويضطرون الى اعمال وجوه يتوصـلون بها الى حقوقهم بما وقعت البلاد  
في ارتباك أو خروج الرعية عن حكمها ولا مندوحة عن هذا بالاتحاد الحكم وقد كان  
السـمـي فيه من قبل ودولة فرانساموافقة على أصـله فلم يبق الانجاز له ولذلك  
لا يمكن الموافقة على وصـل الطريق الا بالوجهين المذكورين فقبل الى ان لهاته  
المسئلة المتجاربة من تعليةها بمسئلة الحكم وهل ترضى باتحاد الحكم جميع الدول حتى  
تدخل فرانسامعهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقات ان كانت نازلة الطريق متجربة  
بجثة فلا ضرورة لنا تحملا على اقتحام المسئلتين السياسيتين المشار اليهما بالا بعد التخلص  
منهما ومضرتنا نعدل وتفوق على المنافع المشار اليها أولا وان كانت المنازلة فيها شائبة  
سياسية ففرانساتعيننا فيما يتعلق بها بحاجب موافقة الدولة على اتحاد الحكم وتبدأ  
بنفسها الان الداعي معها وهو اتصال الممـكتـين وسهولة الوصول به الطريق الحديدي على  
ما مر شرحه لا تشاركها فيها بقية الدول فاذا رأوا جريان العمل بذلك مع جلبها الوفاقهم  
يغلب على الظن توافق الجميع وكانت هذه الملاحظات هي مبدؤ رميتي بضدية قوم  
ومعاكسة آخرين وأغلب الاعضاء انصفها وتكررت المذاكرات حسب ما هو طبيعي  
في تعدد الآراء وكاف في اثناء ذلك أحد الاعضاء بصورة الشروط التي يمكن أن يقع  
عليها التعاقد ويبدء المجلس يوم ما في اثناء المذاكرات واذا بالخبير بان الوزيرين اسماعيل  
أخبر بان القنصل قادم على الوالي ذلك اليوم للحرص على النازلة وانها لا تتحمل زيادة  
الطول فن ذلك التاريخ نخرجت النازلة عن كونها اشورية حقيقية وعـدلت الشروط  
المشار اليها في أقرب وقت ودفعت أولى الملاحظات المشار اليها بالنص على أن مركز القهرق  
لا يكون علامة على الحدود وانظر هل يجدي ذلك أم لا كما دفعت الملاحظة الثانية بان تكذب  
بانقرادها في أوراق الوزارة لتـكون اشارت على الحكومة في السـمـي على مقتضاها وأبقيت  
في خزانة مع تقرير كل ما وقع في المجلس وأمضيت المنحة وسمع من ناخرها وسعى فيها انها  
من تصرفات الوزير خير الدين والواقف على كل ما قررناه يحكم بانصافه ثم أرسل هذا الوزير  
من الوالي لتـمنـة ملك ايطاليا اميرتوبالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس  
واحتفل



(١٠٥)

واحتفل به الوالى العام بالجزائر واجتمع في باريس برئيس الجمهورية وزجال السياسة  
وذا كرم بعضهم في فتح البحر بالصغراء الكبيرة من خليج قابس وعدله منافع تنشأ من  
ذلك للبحر يدرك له أوصاف البحر يدالي هو عاينها الا ان فتحها من الوزير بن اسمعيل  
من الخوض في المنازلة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان في سن الصغرى ما  
كان الوالى يسافر الى تلك الجهات ولذا لا يمكن يعرفها وان المذاكرة في المنازلة تجري  
في الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاسمعةانة ببعض  
نواب الدول على قومه الوزارة الكبرى الى الوزير بن اسمعيل وان بعض النعماء صرح  
له بان الوظيفة ما آتاه اليه لتوجهه عنابة الوالى اليه فلا داعي الى الاسمعةانة بالاجاب  
على ذلك لانه يفتح بابا غير مناسب فان الذى يستطاع ان يعين على الولاية يستطاع  
ضدها عند ما يريد فلم يقد ذلك ثم استقرت ولاية الوزير بن اسمعيل الوزارة الكبرى  
في شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التى تقدم ذكرها في اسمعيل الوالى محمد  
واسمعهال الوزير بن اسمعيل بالنصرفات وحصا في البلاد تزيينات تشبهها بما رقع عند  
عزل الوزير بن خنذاروقد علموا ما بعثهم على ذلك اذ ذلك وأما هاته فكانت امتثالاً لما  
أشبه به عليهم بالاعاز من الاتباع فحدث في هاته المدة أمور في الحكومة والقطر  
(فمنها اتفاق) الامر في نازلة دى صانسى وخلاصتها ان هذا الرجل الفرنساوى كان  
يتم في وزارة مصطفي خنذاران تعطى له أرض قدرها ربع مائة ماشية كل ماشية كيل  
مائة واثنين وتسعين حبل لا وكل حبل طوله خمسون ذراعاً على ان تكون الأرض قابلة  
للزرع والسقى ويعطى له ذلك المقتدر على أربعة أقساط مهيما وفي شروطه في سنة  
يعطى له قسط وعلى ان تعفيه الحكومة من جميع الاداآت واشترط عليه ان يربي في  
الأرض المذكورة أنواعاً ثلاثة من الحيوانات وهى الخيل والبقر والغنم في كل مائة  
ماشية عدد خاص من الأنواع المذكورة على ان تكون الأنواع من أحسن الموجود في  
القطر وأخارجه الى غير ذلك من شروطه وهو يبيعها من شاء وليس للحكومة شئ في  
عوض ذلك الانتعاش من الأنواع المذكورة في القطر فمضت آجال منذ قبوله للأرض  
الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها لم توف له أيضاً  
حيث طالب الاعفاء من الاداآت التى بواسطتها أيضاً وكان ذلك في مدة وزارة الوزير خير  
الدين فاشل الامر بعد ان كدت ان تفصل المنازلة بالمروءة بعد ان عقد لها مجلس من  
موظفي الحكومة الى اجراء مطلبه وأخذ القسط الثاني من الأرض واسقطاه كل

(١٠٦)

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه أيضا وادعى ان سبب ذلك تدخل تونس في حرب الروس. يا وان الأرض التي أخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست بكاملة الصفات وانها لم تعف عما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدي عليه من الاهاالى فعد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير بن اسمعيل في مدة وزارة الوزير محمد طالت المراجعات بين الحكومة وبين دى صانمى والقنصل الاتوالى أن ولى الوزير ابن اسمعيل الوزارة للكبرى فحرص في اتمام النزالة وتخابص الارض من يد المذكور وانعد لذلك مجلس من متوظفى الحكومة من الاهاالى والفـرنساويين وتكررت المراجعات الى ان اسـمـتـقرار أى على ان لاحقـلا كنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من متوظفى الحكومة مع مصاحبة قنصل أوستريالخورالارض المذكورة والشهادة على كيفية الخوض وقيل ارسله أعلاه قنصل فرانسايان الاولى الصلح في النزالة بان يضرب اصحاب المنحة أجل ثمان للوفاء بشروطه ويسقط جميع دعواه فان لم يوف تخاض دولة فرانسالارض منه وترجعها الحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض الابعـمـاس تحكيم مختاط وانه لا يسـمـح لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان اتوا للاستيلاء يجدون من يعارضهم من اتباع القنصل لا توفى قبل منه ذلك وعند وصول الرسل منهم اتباع القنصل اتومـن الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا التمسحيل حالا فوردا من قنصل فرانساطالب (أربعة) مطالب (أولها) طاب الترضية من الحكومة (ثانيها) القاء المسؤولية على من تسبب في النزالة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر في اثبات دعاوى دى صانمى أو عدمها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضي يومين والافانه يقطع الخطاة وشاع بالابعاران المراد بالقاء المسؤولية هو عزل الوزير فاضطرب الوالى والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع الخطاة لا يعقبه الحرب فتربصوا حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التدخل فتفصل النزالة بوجه آخر ولم يقع من أحد القنصل جواب مقنع في عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق الوقت ولم يعملوا الدولة العثمانية وسعى أمير اللواء الياس عنده القنصل بالوجه المخصوصى بان يكون الوزير في امان ويحجب نجمـمـع المطالب على ان يعزل الكاتب الذى توجه في النزالة وهو الحسادق الفطن المتفـنـن دايد سـنـطـليمانه الذى على صغر سنه كان يحسن سبع لغات ومطالع على السياسة ونصوح لتونس كاعز الفصحاء ووفى بجميع لوازم وظيفته ويقال ان سبب الرضا به زله هو شخصيات نفـمـانية فارسل الكاتب

استغفاره

(١٠٧)

استعفاء قبل العزل وقبل بوقع الرضا الشفاهي بان يكون ذلك نهاية المسؤولية التي هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعد ان كتب تاغرافا الى وزير خارجية فرانسا بانه يريد ان يرسل له رسولا لخاصة ليشرح له المنازلة فأجيب بواسطة القنصل بان لا فائدة والحالة هاته في ذلك وان القنصل معتمد من قبل دولته فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسمعيل الى القنصل اتوا باللباس الرسمي ترضية عن الواقعة ثم عقد مجلس برأسه موسيو فولون أحد اعيان المحاكم الفرانساويين وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف واعضاء المجلس اثنان تونسيان واثنان فرانساويان وبعد التروى في مجرد دعاوى دى صانسى هل هي واقعة أم لا دعاوى التعطيل بالحرب اس-تقر الراى على ان مقدار الارض بالقديس الهندسى الذى لم يحجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صفتها مطابقة للشروط وان الاعفاء لم يقع لان شرطه لم تقع وان حماية الحقوق موفاة من جهة الحكومة ثم بقيت الارض بيد دى صانسى الى الآن وعند قبول الشروط كوفى أمير اللواه الياس يولايته مستشارا ثانيا بالوزارة الخارجية وعما حصل أيضا انه ورد على تونس أحد الفرانساويين وطالب انشاء مرسى أمنية للسفن على شاطئ قرطاجنة قرب حاق الوادى واطح على ذلك وتخوف من منعه فاعطى خمسة وعشرين ألف فرنك لكي لا يتشددوا على أمير اللواه الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية ان كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنصل فرانسا (ومنها) جعل موكب لاحراق تذاكر الكيكون أى الفائض الذى استخلص من مبيد الكومسيون الى ذلك الوقت وجازى الوالي الوزير بن اسمعيل على ذلك الاحراق بالسيف المرصع الذى أنعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان أحد العمال من اشرف مساكن ولى على قبيلة المثلث فادعى عليه بانه أخذ منهم زائدا عن وظائف الحكومة نيفا ومائتى ألف ريال ولم يحجر بالحساب على مقتضى الانصاف المطالب فطاب تحرير الحساب بمحضراعيان من ثقات الحكومة فلم يجب وقبض به اثنان من اعوان الوزير ومنعوه من الخروج من داره الى ان تخلص منهم ثم بحيلة ورمى بنفسه من احدى طواقي علوه والتجأ جارا الى قنصل اتوانا كاترة فدخل بابها صا تقادمه وأغنى عليه ولما افاق سأله القنصل عن سبب حاله فق-ر رانه عذب بربط يديه واحراق الحطب في وسط بيته والسكر فيه اوصب الخمر والقاذورة على رأسه وغير ذلك من أنواع التعذيب

(١٠٨)

ليؤدي المال وأخذوا منه اجرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب  
القنصل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصأت بيده وبين القنصل نفرة ودامت  
مدة الى ان ابدل القنصل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسكن وهو سرريتشارد وودورقة  
دولته ثم جاء خلفه وصوّلح العامل المذكور باقل من ربع ما ادعى عليه يدفعه على اقساط  
(ومنها) ان أحدا غنياء الساحل الملقب بابن الحفصية ادعى عليه بأنه اشترى زيتا من  
الوزير وكتب عليه حجة بخمسة وثلاثين ألف ريال فتلطف بالخصائص فلم يدفعه ثم طلب ان  
يتوجه الى جهة الافرنج ليستقرض منهم ويدفع فارسل معه أحد الاتباع لمراقبته  
ولما وصل تجاه قنصلا توفرا نسا دخلها مستغيثا فتلقتة أعوان القنصل لالتقوا وقرروا نازله  
واجتهد القنصل في حمايته لما ثبت عنده ظلمه وحماءه من ذلك ولم يخرج من هناك  
الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرنسية وناقم الامر في الساحل على ذلك  
النوع الى ان كتب أحد القناصل الى فوابه بقبول كل من يلتجئ اليهم وكتب تقرير فيهما  
هو واقع فاحس الوزير ابن اسمعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل  
وتلطف للقنصل بان يكون ذلك ختسام النازلة فانفصلت على ذلك (ومنها) ان أحد  
التجار الملقب بالصباغ الذي تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار  
اقترض أهل مساكن في نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ أموالا على اسماعيل  
الزيت وتضاعف أمرها الى ان عجزوا وسجنوا مدة طويلة فلما ولي الوزير ابن اسمعيل  
على الساحل توسط في الصلح مع التاجر على ان يتحمل هو له بما يطالبه منهم وهم يدفعون  
ذلك للوزير على اقساط فسر حوا على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال  
اسقطه هو عن الوزير ابن اسمعيل لتوسطه في ارجاعه - فان الوزير مصطفى خزندار  
بنوبه الذي كان دفعه في الصلح من مطالب الحكومة منه كما سبق ذكره وان لم يرجع  
الديتان اللورثة خزندار عنه دميته وانما فعل التاجر ذلك للعلاقة بيده وبين خزندار  
المذكور وبقي الوزير ابن اسمعيل يستخلص المال من أهل مساكن شيا فشيئا هكذا  
شاع عندهم مع من الصباغ (ومنها) ان أحد اتباع الوزير ولي على قبائل جلاص  
فما لبث فيهم مدة الا وقبل منهم فوج عظيم شاكين الى الوالي بانهم ضربت عليهم غرامة  
بخمسة اثني ألف ريال زياذة على أموال الحكومة ووقع في النازلة مبادى هرج  
الى أن صوّلحو ارفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الجعائل على الوظائف  
من العمال فقامت لذلك بعض القبائل كالهمامه وهادما تتخوف الناس منه من

امتداد

(١٠٩)

امتداد الايدي الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك لوزير في ما يستلمه من أنواع الدخل و بسبب ذلك انقطعت بعض المدا خيل فلم تزل غايبة الزيتون سنة ١٢٩٧ أخذها تابع الوزير ابن اسمعيل بسبعة وعشرين ألف مظهر يتأولهم عن الزيادة عليه سائر الاالهالى ما أعلن التسايع ان أخذ هذه لها شركة مع الوزير وليست هاته مما يتبع دم اليها الا جانب الذين لا يخشونه لانها تحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق لهم عادة باستئجارها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوازين من المنتسبين الى أحد الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثمائة رجل يسكنون في الجهة الجنوبية في حدود الصحراء كانت الحكومة منذ قديم مفعية لهم من الاداء لقاتهم وقلة كسبهم واستعمالهم على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فارتدوا زمامهم بالاداء فامتنعوا من العمل بالعادة والحال فالحايمهم وتهددوا بالغصب فتحملوا باذاعتهم من المال سنوي على انهم يوزعونه على أنفسهم من غير ان يتدخلوا في عدددهم وتوزع المال عليهم مثل ما هو جار في بعض القبائل المتوحشين كورغمه ومطماطه وشبههم او كان الفرق بين ما يمكن ان تحصل عليه وبين ما ارادوا هم اعطاءه بانفسهم لا يتجاوز الالف ريال على ما قرره أحد العارفين بهم فامتنع الوزير من مساعدتهم وأذن بعضهم واستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم صداقة مع بعض العساكر الخيالة الغير المنضمين المعروفين بالجوانب والصبانجية فعانوا فيهم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال بتمزيق جثثهم رحيم الله (ومنها) ان رئيس أطباء ألوا الى طلب ان يكون بالحاضرة مستشفى على النحو الاروباوى فقام ذلك بمال الاوقاف وانتظم أمره وقد وفيت فيه بكل ما يحتاج اليه المرضى وتم به راحتهم حيث كنت أنا المباشرة الى انشائه وجعلت فيه قسمين منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على الداخل من المستشفى يكون من فواضل مال الاوقاف ولا يعطى المريض شيئا ولهذا اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به قسمين منفردا خاصا بالاغنياء ويقوم المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاج وسكناء ويعطون عوض ذلك قدرا زهيدا من المال وجميع أدوية هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل لحالة بيوت الاغنياء المقصدين في مصارفهم وفائدة هذا القسم ان كثير من أهالي الحاضرة اذا مرض لا يجد من يوفى له بواجبات العلاج للجهل من العائلة مع انهم يستكثر من أجره الطبيب فيندفع عنهم ذلك في المستشفى وهناك فائدة أكبر من هاته وهى أن أغلب بلاد القطر خالية عن الأطباء وكثيرا ما يأتى منهم أناس لنداءوى بالحاضرة فلا يجب لدون ماوى سوى

(١١٠)

منازل المسافرين التي تسمى وكائل وهي غير صالحة لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء أهاته المنة  
مع الاشتراك في الفائدة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) أن الوزير ابن اسماعيل استوهب  
من الوالي الاوقاف التي كان حبيبها على باشا الثاني على الاناث من ذريته فسهى في جعل  
ببناات تشبه بملكيتها في مدة وزارة خير الدين وعطالها اذ ذاك الوزير المذكور ثم بعد  
خروجها تمت الهبة وبقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تكاثرت عنده الاراضي المسماة  
بالهناشير المختلفة كبر وضعها باع منها عدد او افر الى لجنة فرانساوية وغيرها (ومنها)  
انه استوهب من الوالي أيضا مصيد السمك ببلد المستبر المسماة بالنارة ثم احاطها الى لجنة  
أخرى كذا اشاع أيضا (ومنها) عمل طريق بين باب البنات وباب سويقة من الحاضرة قرب  
دار الوزير وفيها أكثر مروره الى جهة باب البحر (ومنها) أن أحد الاغنياء من الاهالي  
توظف في الحكومة المسمى بمحمد عرف توفى رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من  
ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايدله وبعد وفاته وضعت زوجه جمالها فكان  
ولد اذكر اتم توفى في أثر ذلك وكان للمتوفى ابن عم فتعاضد مع الزوجة وأراد أن يعطى الاوقف  
المذكور ايصير الخلف ارثا فيرثان أغلبه واستعاننا بتابع الوزير المسمى على ابن الزى على  
مواعيد له وقد كان القاضى جعل وصيا على البنات وحفظ الوقف والمنقول فطالب التابع  
ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم  
الشرع في الموارث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضى مكتوب بان يسلم رسوم الوقف  
الى كاتبين أحدهما من خواص الوزير والثاني من الوزارة مع الوعد في المكتوب بان  
الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم ترجعها وكان المتسلم لها أبو الزوجة وهو وكيلها مع أحد  
الكاتبين فطال الزمن وأبلغ الوصى الى القاضى التخوف على الرسوم اذ اشاع انها سيقع فيها  
تغيير فارسل الى أبى الزوجة وإلى الكاتب اللذين تسلموا الرسوم بطلب ترجيع الرسوم  
فأبى افا حضرهما فامتنع فاستعجن أبى الزوجة حيث انه هو المتسلم وأخبر بان الرسوم بعلى في  
داخل المحكمة الشرعية هو محل اشتغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف  
وذلك العلوه هو مكان اجتماعهم فبعد أن ألح القاضى على الكاتب وامتناعه أمر بان يمنع  
من دخول العلوخشية اخراج الرسوم منه وبقي القاضى يحفل حكمه على الهبة الشرعية  
حسب ما سبق التعريف بذلك من كون أهل الشرع يتوزن لهم من التعظيم والتوقير  
قريباً عما كان عليه الحال في الايام العظمى من لدiane وشعائرها فكان غير بعيد الا  
وعلى ابن الزى المذكور قارم فضر بباب العلوه برجله وكسر قفله وأمر الكاتب بالصعود  
وانخراج

(١١١)

وانحاج الرسوم وانحرج المسجون وامره بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضي وباشره بما لا يناسب ذكره وفشا الخبز وعظم الامر عند العلماء والعامه الى درجة لم تنهه دفأ بطلت الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحاضرة وأبأنح امر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد أن يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى تونس وأرسل معها الى القاضي بانه سجنه فلم ياتفت لذلك العلماء وتقدم الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام وجمع العلماء مرارا واطهر رأسه بالانتصار للشرع وكتب جميع المجلس الشرعي مكتوبا وأرسله الى الوالى قصدا بلا واسطة الوزير على خلاف المعتاد وقدم به رسوله ثم على الوالى فى مجلسه العام فقرأ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع والاشارة الى ان الخطب عظم يوم فاهتموا الى وتوقى عاقبة الامر وأحضروا المجلس وأمر بتزج رتبته وحبسهم ثم فقيه الى حصن جربة وقدم على أهل المجلس باشكاتب وزير الشورى وتأسف لهم على ما وقع وهدأ بهم بما صدر من الحكم فاقته عوافى الجاني بما وقع ولاكنهم طلبوا مواجهة الوالى وقصوا على باشكاتب المذكور ما هو حال بالقطر مما تقدم شئ منه الى أن بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو أعظم وكان شيخ الاسلام يملك على حاله من لا أرب له فى الدنيا وكل تكلم بما بداله من فظاعة الحال فابانح باشكاتب ما سمع وما رأى فاضطربت أفكار الوالى وتكاثر الكلام فى الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة فى اتباع أهل المجلس الشرعي ومما ذكرنا وادتهم انهاء الامر والشكاية الى خليفة المسلمين وطلب اجراء ما تضمنه الفرمان المؤرخ فى شعبان سنة ١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف فى الرعايا وبلغ الوالى قصده العلماء وهو طلب تشكيل مجلس للنظر فى المصالح وفى أعمال المأمورين لئلا يقع مثل ما وقع وخشى مما شاع من تدخل الخلافة الكبرى انظرهم ان السلطان لا يرضى بضياح أهل تونس لخالفه السيرة الادارية لما هو مشروط فى الفرمان السلطاني سيما وقد بلغ الامر الى ما هو راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك أيضا يجرى الى تدخل ببيعة الدول العالمين بقمج السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذلك هو خير الدين باشا الذى يراه عدو له فارسل الوالى الى العلماء ثانيا يقول لهم أهملوني بضع أيام فان جعلت ترضيها سياسيا بئنهكم فاقدموا الى حينئذ شاكرين والافلكم ان تبدوا ما يظهر لكم وكان هذا رأى الشريعة على الوزير بان يعمل كما قبل بيدى لا بيد عمر وخشية تفاقم المطالب على ذلك النحو ووقع اذ ذلك مبادئ الفحلال فى عزم أهل المجلس الشرعية لان رئيسهم تقرب اليه الوزير سرا فانقط

(١١٢)

حوصه ونوجهت أطماع البعض الى المسابقة لارضاء الوزير فاجابوه بنعم ثم جمع الوالى وزراء وأعلمهم متأسفان من مطلب أهل الشريعة بأنه يريد أن يجعل مجالس امرئكم منهم أى من الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالى للنظر فى المصالح وجريان السياسة فاجابوه بأن ما يظهر له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشتتاً على جميعهم حتى ان الوزير حسين كان اذذاك قد قدم من إيطاليا المصالح فى أمور رتبة فصادف الواقعة وكان ممن وافق الوالى على رأيه فى جعل المحاسب والمحاسب عليه واحد اختلافاً للقول ولما يعلم من طبعه من لزوم الاحتساب الحقيقى على تصرف الأمور بنقطة من الاهالى الى غير ذلك من أوجه العدل ومعها ت الموافقة فلم يسلم من القدر ثم ان الوالى أرسل لاهل الشريعة يعلمهم بأنه أنشأ مجلساً ولغسان عشرة أعضاء تحت رئاسة الوزير ابن اسماعيل وأعضاءه هم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء الادارة ولما بلغ لاهل الشريعة ذلك قالوا ليس قصدنا المتوظفين لانهم دائماً تحت الامر ولا حجة لهم بما فى أطراف القطر وإنما المراد أن يكون المجلس من المتوظفين والعلماء واعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين عضواً وانهم لا يقصدون الامتلاء بالبلاد لانهم ليس لهم غرض الا هذه القطر وهذه الوالى وقيل أن قدس فرانس اصرح بأنه لا يعرف بالمجلس وأنه ان أراد الوالى الاستعانة به ساكره ردع الطالبين فهو حاضره حيث أن طريقة الوزير هى التى تباغته الى قصده كما ذكرناه فى محله ثم لما بلغ الوالى جواب العلماء أرسل اليهم بأنه يريد ان يدين من رؤساء المتوظفين وأن هذا المجلس ينظر فيما يرضيه الحال من الكيفية ويجرى العمل به وكان فى اثناء هاته الايام دبت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والتهريب لهم من تدخل الاجنبى بلامستند فرضى عمدتهم بذلك وكان سدياً فى تمكن الفيض على من زى دحيث انتهى رضاه المقترحين عند ذلك وصرح الوالى بما يشف عن ذلك والله المطالع على السر انهم جعل هذا المجلس فى نفس الامر اذا اجتمع بعرض عليه ما يريد الوزير والاغاب أن يكون المعروض هو بعض النوازل التى تعرض بقله ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير لم يظهر لوجوده من امراذ لا يتدخل فى نصب ولا فى عزل ولا سيرة عامل اورشوا وشاهد ذلك الخارج فانه لم يمض عليه شهران حتى وردت الرسل على شيخ الاسلام بان يتشفع فى الجاني على الشرع فلم يوافق جهرة بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سرباطة الى المنفى ليكتب على غطها مكتوب بالاهل المجلس الشرعى ولما ورد مكتوبه على نحوها كتبوا



( ١١٣ )

كتبوا الى الوالى مستشفعين به - ادان امتنع بعضهم وقيل عندهم مع بذلك ليت شعري  
 ما هو وجهه - كتبهم مع علمهم بالحقائق ومنها انه شرع الوزير اثر ما تقدم في بناء دار  
 شيخ الاسلام المذكور بة تونس وكذلك داره بجبل المنار وكثير ترد تابعه الجاني المذكور  
 عليه - حتى نشأ عنه قيل - لوقال يسوء جانب العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض  
 السكان في مطاب له من تابع الوزير المذكور الى القاضي فلما دعي للجواب امتنع وورد  
 الاذن الى القاضي الشرعي بان المذكور لا ترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها  
 وقد دعت سابقا ما هي حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محفل للكرتينة  
 أى الاحتماء للواردين من الاقطار التي يكون بها مرض عام معدى وبني ذلك بحسب  
 رغبة الاجانب وحرص رئيس اطباء الوالى وجعل له طبيب خاص وكان بناءه باحدى  
 المراسم المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج في القبائل بالجبهة الغربية حتى ادعى  
 قبائل الجزائر التمرد من قبيله وشتاته التونسية فأرسل عليهم الوزير بعض اتباع  
 الحكومة وشاع انهم اغتصبوا منهم فحوتمائة رأس من البقر أعطوه - م الى قبائل  
 الجزائر وأخذوا انفسهم وكب - بهم خمسة مائة رأس من البقر ومنها ان تابع الوزير  
 بن اسمعيل - تلزم لزومة الصاغة أى دخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من  
 الفضة فادعى على أحد أهالى القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بأنه أخفى  
 ما يلزم الاداء عليه للزام وسجن وكاد أن يفلس وراد لفسده وجهها للحماية في المستقبل  
 ومنها ان شركة طليانية طلبت مدسلك كهربائى بين تونس وابطاليا ولم يجبه الوزير  
 الى ذلك وكان ذلك سببا في تعكير الخطة مع ايطاليا بدعوى ان شروط اصل انشاء  
 التلغراف لا يقتضى منعهم - ومنها جعل اداء على الجهلات التي في الحاضرة حسما هو  
 جاز في سائر الابدان لاصلاح الطرق ومنها منح لفئة فرنساوية لانشاء مرسى في شاطئ  
 البحيرة بالحاضرة به - ادان طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادى مع انشاء طريق  
 حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فسانعت في ذلك الشركة الطليانية  
 التي اشترت من الشركة الانكليزية الطريق الحديدية الواصلة بين تونس وحلق  
 الوادى المسارة على العوبة مستندة الى شروطها وكاد ان يتفاقم الخلاف الى ان ارصى على  
 مائة قدم ومنها منح للجنة الفرانساوية المذكورة وهى صاحبة طريق الحديد الواصلة  
 الى الجزائر بان قنشى طريقا حديدية الى الساحل واخرى الى ابن زرت وان تستبد  
 بالطرق الحديدية في المستقبل الى أى جهة ومنها ان أحد أقارب - هو الوزير ابن

(١١٤)

اسماعيل قبل حلاقا باطلاق مكه عليه في دكانه لمشاجرة بينهما ولم يقتص منه ومنها  
ان أحد التجار الطليانية كان يدعى بان جده كان أنى له وديارها الذي توفي سنة ١٢٣٩  
بشي من السلع ولم يأخذ ثمنه وهو نحو خمسة عشر ألفا وكانت اشترت النازلة مرارا ولم تقبل  
حتى عند الكومسيون المسالى المختلط وحفيد ذلك التاجر صهر لاميروا الى اس الماتقدم  
ذكره فاعطى حينئذ ما يطلب ولما كانت مالبة الحكومة ضيقة والكومسيون غير  
متعرف بالدعوى اعطى الطالب أرضا قبل ان يفتحها نحو ستين الف الف وورد الاذن من  
الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل املاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة  
للتطالب توقف المتهمسب العام الفرنساوى في وجهه ذلك ولا يكن قد تم لكن الطالب من  
الارض ومنها ان في راس سنة ١٢٩٧ صـ منع بعض أتباع الوزير مصفين على النحو  
الذى تقدم في وزارة خير الدين وقدموه مالوا الى الوزير بن اسماعيل في موكب باسم  
الاهداء من الاهالى وانظر ما هي المحصلة التى كانت سبب ذلك ثم في ربيع الاول من تلك  
السنة قدموا للوزير ايضا مثل ما تقدمت به الجوهرا ثم في شوال من تلك السنة قدموا له  
ايضا دواة مجوهرة بقاها باسم اليهود من الاهالى لكن المحصلة التى استحققت ذلك  
لم تعين ولا فى واحدة من تلك الاشياء ومنها ان أحد المهندسين الفرنساوين كان ادعى  
انه مطالب للحكومة بمال مدة وزارة مصطفى خرنندار وتوالت مطالبه فلم تقبلها  
الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المسالى عرضت عليه تلك المطالب واستقر  
الامر على عدم قبولها ومهما ادعى به لم تقبل ولا وجدت قنصله مستندا لتدعيم  
دعواه وفي وزارة الوزير بن اسماعيل قبل ان يجعل فيها تحكيم وعقد لذلك مجلس مختلط  
من التونسيين والفرنساوين ورئس عليه أولا أحد رؤساء الاحكام فلون الذى تقدم  
ذكره في نازلة دى صانيس غير انه لم يقبل كانه علم غير لائحتها المساهو عليه فقدم للرياسة  
غيره وصدر الحكم على الحكومة بادائها لكورنحو ثلاثمائة ألف وخمسة وخمسين  
ألف فرنك ومنها ان التاجر الصـ باغ الذى تقدم ذكره ايضا كانت له دعوى من نوع  
السابقة ولم تقبل لامن الحكومة ولا من الكومسيون المسالى فكذلك الوزير بن  
اسماعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة فنحو أربع مائة ألف وخمسين ألف  
فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المسالى الذى هو مختلط من تونسيين  
وفرنساوين وطليانيين وانه كليتين وفيه أحد كبراء الموظفين من دولة فرنسا  
وانتمائه باتفاق الدولة المذكورة على التراضى به في جميع النزائل المالية وردها وكلا

(١١٥)

من الطالب المار ذكرها واستمر العمل بذلك أزيد من عشرة سنين مع ما فيه من الحكمة من العسر المالى كما تقدم شرحه وأضيف اليه استيهاب ما بقى على ملك الحكومة من مهم الاملاك للوزيرين اسمعيل حتى تم ما بقى مما سبعة بر من عائد ما تزايد له مولود بل حتى الاحباس التى أوقفها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها هو وبعض من المقررين عنده بوجه الانزال أى الكراء المؤبد وعند امتناع القاضى من ذلك جعلت الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وخو طب بذلك رئيس الفتوى من المسالكىة فانزلوها على يده فالعمال يشتركون الوظائف والاهالى تحمل أعمالهم والمالية والسياسة والشريعة على ما تقدم ذكره وأخر المخرج التى بلغت انما حصلت فى هذا العهد ان وقع الالتزام الى دولة فرانسايان لا يحدث شئ جديد فى القطر من الاعمال العامة النافعة الا بعد عرضه على الفرانسايين فان لم يوجد منهم من يريد عمله فاذا ذلك يسوغ ان يباشروهم بحيث وقع التقيد فى ذلك بارادتهم وهذه خلاصة التارىخ فى القطر التونمى الى هذا العهد وهو مبدؤ سنة ١٢٩٨

تنبه قبل طبع هذه الجزء طرأ المحادث العظيم على القطر وسنفرده بذيل خاص فى الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسى الخارجية  
\* (فصل فى بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم) \*

(مطلب فى الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا ما قل من يهود ونصارى الذين مجموعهم نحو مائة ألف وأما البصرى فى أحوال الديانة فأنما هو فى المدن وبعض القرى وأما فى القبائل الساكنين بالنجيام فلهم معرفة اجالية خاصة خصوصا ذوى الثروة والذين تنشأ فى أوطانهم زوايا ببعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقىهم فيعرفون من عقائد الاسلام الوحيدة لانيه لله ورسله محمد صلى الله عليه وسلم صادقة وربما كان بعضهم لا يعرف عدد أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكان فى بانهم لا يحمل به من يعلم حالهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضى الله عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه والجميع أهل سنة الا بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم علماء ومساجد خاصة وللاهل تعظيم لشعائر الدين ومنها الحياء فان الابن يما من الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه ولا يستنشق التبغ ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام والدته هذا فاضلا عن الكلام الفاحش أو عتاب زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يخالقه أمام

(١١٦)

والديه ويقبلون أيدي والديهم في السلام عليهم ويربوا كل صباح وهي تحبة  
 التلامذة أشباحهم وتحبة السادات الاشراف وجميع الاهالي تعظيم كامل لهم وأما سلام  
 الكفاء فهو التقيي في المكتف الا لعرب فان بعضهم يقبل يده بعض أوراسه ولا  
 تكاد تجمع أحدا من ذوي المروية يغني فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل لهنه  
 الصنعة أناس خاصون وفيهم من النسوة عاهرات وهن يسكن بديار في حارات مخصوصة  
 وماذ كرم الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البهتان بخلاف الاعراب  
 فعندهم ذلك غير معيب كما ان الاكل في الطريق أو في الأماكن المكشوفة للسارة  
 معيب تسقط به العدالة وكذلك دخول القهواي تجنبه أصحاب المروية حتى ان الاعيان  
 ليس لهم محل اجتماع عموما وغاية تفصيحهم بالشي في الطرق النزهة أو أما كنهم  
 الخاصة مع أحبائهم نعم يتساهلون في دخول القهواي في أماكن النزهة خارج  
 الحاضرة ولكن اعيان الاعيان لا يدعوا لونها أيضا والذين بالتبغ لا زال معيها  
 عند ذوي المروية وليس ذلك الا مجرد اتباع للعادة والافلا فرق بينه وبين المنشوق مع  
 كثرة استعمالهم لهذا جهرة وحكم الجميع شرطا على مذهبنا المحن في الجواز وكذلك  
 المعمول به من المذهب المالكي لا يثبته على مسئلة الاصل في الاشياء الاباحية  
 وهي مسئلة خلافية فقالت طائفة الاصل الاباحية حتى يرد المحرم وقالت طائفة  
 بالمنع حتى يأتي المبيح وقالت طائفة بالتوقف والصحيح الاول لقوله تعالى هو الذي خاق  
 لكم ما في الارض جميعا فجميع ما في الارض خاق لمنفعتا فمنع كل شيء في محله الا  
 ما ورد فيه المنع ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لم ان أعظم المسلمين جرما من  
 سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته وقوله عليه الصلاة والسلام دعوني  
 ما تركتكم فاعلموا انكم كنتم مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وكل من  
 الحديثين منقول في الصحيح وكان ورد الحديث عقب السؤال عن أشياء لم ير فيها  
 حكم بالتحريم فدل على الاباحية وهذا التبغ لم يكن معروفا من البعثة وانما عرفت بعد  
 الاكتشاف على أمر يكا كما تقدم فيكون حكمه هو الاباحية الاصابة وكان الاستنباه من  
 استعمال التدخين مطلقا والنشوق أمام الوالد والكبراه مبن على أصل آخر غير التحريم  
 وهو انه لما كان فيه خلاف فالورع تركه اذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذرا مما  
 به الباس ولما كان الاصل في المؤمنين هو السلامة على اكمل الصفات فكان أهل  
 قوام يستعصمون من ترك الورع أمام ذوي المقام كما انه لا يوجب في الحاضرة أما كن

للهي

(١١٧)

للملاهي أى الملاعب الا فى رمضان فتكون فيها أما كن للصبيان ليلا يلعب فيها بتصاوير  
من وراء الستار بخيال من الصور فى نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما  
أحضر فيها نوع من السماع وصورة اللاعب هى تشخيص حكاية بصور من الجملة على  
هيئة الهيكى عنه والملاعب يتكلم على لسانها والمجيع من وراء الستار بحيث يشخص  
للناظرين من خارج الستار كان الواقعة مشاهدة وان كانت الصور صغيرة طوله قدر  
شبر والغالب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لاهى واهله  
من الرطاع لتفضية الاوقات فيها لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان  
والاغاب فى الحكايات أن تكون مضحكة مما يدركه الصبيان وربما تشخصوا المستحيلات  
العادية كالغول والشيطان اذهبهذا لا يرى ولا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان  
تلك الملاهي لاثرة فيها الا مجرد لهو الصبيان وكان الاصل فى اساعتها مانص عليه فقهاؤنا  
فى كتاب الحضر والاباحة من جوائز شراء اللعبة للصبيان فقا سوا عليه اتخاذ ملاهى لهم  
ليسلا فى رمضان لئلا يكى يسهر واو لا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم اذا عاده الناس  
فى رمضان هى السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشغلون  
الا قرب نصف النهار وكان هاته عادة مبهمة على العبادة اذ قيام ليالى رمضان بالعبادة  
معدوب اليه يبدأن الكثير يشغل بالملاهي كسماع آلات الطرب فى القهاوى أو  
لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريسيه  
أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهى الالعب الموجودة فى القطر ويوجد أيضا لعب  
المنقلة والخزبة بقله فى الحاضرة وبكثرة فى غيرها لكن الاعيان اغيايسهرون فى  
رمضان أو غير يديارهم أو ديار اصدقاتهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا  
فى السير أو الحديث ثم يتسامرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعب المذكورة وأما  
فى غير رمضان فيقوم الناس يذكرون الى أشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهور  
للغطور ثم يعودون الى أشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم من يكون ديارهم بعيدة عن  
محل أشغالهم يفترون فى حوائثهم ويوجد فى حارات الافرنج ملاهى على نحو ملاهى  
أوربا كما يوجد فيها قهاوى كثيرة على نحو قهاوى أوربا ومنزل للسافرين مثلها ولكن  
أعيان الاهالى يتحاشون عن الدخول الى الجميع وان كانت مخالطتهم مع الاجانب  
وقبرهم حسنة وقد كان اجموع الاهالى ولوع بالفروسية ولهم فى مسابقة الخيل مواكب  
تسمى ملاعب يقدونها كبراء الحكومة او كبار العمال ومن له نسب الى الاعراب

(١١٨)

خارج الحاضرة في إحدى الجهات الممتدة ويسمى تدعون اليها الفرسان فيأتون بأحسن الملابس والسر وج الزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس على رأسه شياً من ريش النعام يسمى عروج والاصول فيه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا حمزة في إحدى الغزوات بربش كافي عيون التواريق والحاصل ان لبس الفرسان جميل جداً وهم براءة في الحركات المحربية فتتري الفارس في حال السباق يطلق ويهرم كحلمته عدة مرار وتارة يطلق أربعة مكاحل كل بجمعة بين ثم يطلق قرايته ثم أربعة طبانجات ثم يختط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطى له شياً من خفة حركته وتراه اذا اختط السيف يصير بين كروفر وبعضهم في حالة السباق يدلى يده الى الارض فيحمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بمحاذاة ميدان السباق رداء من حريري في نهاية الصفاة ففي حالة الركض النهائي يمد يده ويرفع طرف الرداء ثم يده ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينهما هو في حلة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بيدير الفرس ثم يلتصق بجزام الفرس ثم يقف على رأسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعالمه ما مكحلة ثم يدفع المكحلة ويلتفتها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والمحصان في نهاية ركضه وجميع أعماله في بعض دقائق وهذا أهل الاخير من النادر في الفرسان ومنهم من يارب في دائرة لا يتجاوز قطرها عشرة أذرع والمحصان في حالة الزباع بل رايت من يركب على حصانه ويركض الحصان رجله في الارض ويرفع يديه معا ويلتفت عينا فيطلق فارسه القرايئة ثم يرفع يديه كذلك ويلتفت شمساً لا يطلق فارسه القرايئة أيضاً والحال انه عمرها في حصة رفع الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع فهو نصف ساعة وليس بين الطلقة والطلقة الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا ايضا نادرون من يختط السيف ويصير مع راجل أو فارس مثله في غاية الطعان والكرو والقرو والحاصل انهم يشخصون حالات الحرب بالخيال على أنواع شتى وتكون اذ ذلك طبول الحرب تعزف ومعهما مزمار للعران وذلك أعظم العاب الالهالي التي يقضيتها عليهم او ببادرون في اتقانها وذلك مبنى على أمر ديني وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة الفارس لفروسه وورد ايضا الخث على الفروسية وعلى السباق وأبج فيه الهضطرة اذا كانت مع ثالث فلذلك كانت هاته الخلة هما يقنفس فيها من رجال الحكومة وغيرهم في جميع القطر اسكن في هاته المدة الاخيرة تناقص الامر منذ كثرت السكراريس وربما

(١١٩)

وربما صار الكبراء ينزهون عن اللعب بمخيلهم جهرة نعم بقي ركوب الخيل مرغوب فيه  
 كما ان الصفات الاولى لازالت عامة في البلدان والاعراب وهو الحق لانها من صفات  
 الرجولية والدين ومما يشتملها (قوله تعالى وأعدوا لهم ما لا يظنون من قوة ومن رباط  
 الخيل وهاتاه الخلة تستلزم الرماية التي هي من مشغولات القوة المأمور بها في الآية  
 الكريمة وقد تجرد منها أغلب أهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطلق  
 طباحة كما انه لازال في الحاضرة وبعض البلدان تعاليم الخيل والبغال من نوع الهلجنة  
 وهي ان يرفع الحيوان يداور جلامعا من أحدثه قيه على الاسنة مقامه ثم الشق الاسن  
 ليكون سيرها ايسر لا يتعب الركاب بخلاف الخيل ثم يتقنون ذلك التعليم الى أن يصير  
 الحيوان به يمارى الركض ولهم في ذلك اعتناء بحيث تجد منهم جسات يخرجون  
 كل عشية صيافوخا يغالى حد الاماكن القريبة من الحاضرة الزهرة كسدى فتح الله  
 قرب شوشة رادس أو مونة في قهوة سدى ابن الابيض أو سباله الاحواس وبعد  
 الاستراحة هناك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وربما اعتنى بعض غير الاعيان  
 حتى بالمسابقة على الخيل بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع اناته  
 يمكن ان تجارى الحصان في ركضه اذا لم يكن شديدا مجرى والخيل على حسنها في القطار  
 يعتنون بتربيتها وتدريب اخلاقها حتى تصير مساعدة للفارس في جميع أغراضه ثم  
 ان الالهالى ينقسمون الى ثمانية أقسام فالاول الاصليون من البربر والثاني العرب  
 وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على أجيال عديدة والثالث الاندلسيون  
 وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبانيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا  
 عند الاستيلاء على تونس ثم من ورد منهم بعد ذلك والخامس السودان وهم الذين  
 جلبوا من دواخل أفريقيا لبيعهم والسادس الجزائر يون الذين رحلوا بعد استيلاء  
 الفرنسيين على الجزائر والسابع اليهود وهم قدماء في السككى والثامن الوافدون  
 من أوربا فالاقسام الستة الاول نخساط نسلمهم ولم يبق تمييز بينهم الا قايلا من البربر في  
 جهات الاعراض لاولوايسة يعملون لغتهم وكذلك قليل من السودان متميزون بلونهم  
 وقليل من أهل الجزائر يميزون بمجرد نحلتهم وانتمائهم واللون الغالب على الجميع هو  
 لون البياض المشوب بسمرة ومنظرهم جميل يكثر فيهم الحسن وهم أقوياء يملكون أهل  
 مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشرتة  
 \* (مطلب في التجارة) \* اعلم ان أغاب الالهالى تقاصر والى هذا المبدأ وقصارى

(مطلب في ترتيب الاحكام والادارة) الآن الالى يجلس يوم السبت في كل اسبوع غالباً  
يجل من قصر الادارة الى كاش في بلدياردو يسمى هذا المل بالمحكمة وهو بيت كبير  
مستطيل



(١٢١)

مستطيل - ل و ب صدره كرمي ذو درج مموه بالذهب وعليه تاج معلق والدرج مكسوة بالجبر  
نوع من مذسوج الحرير المثلج العالي يجلس عليه الوالي ويوضع بجانبه زوج طيخة  
ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من اهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من  
اسفل الدرج بحيث يكون مواجهاً الى الجهة اليسرى من الوالي ويأمر بقية الوزراء على  
حسب اسبقيتهم في الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة  
غير النظامية المستعمون بالاغوات ثم العمال والاطبا باشية والكواهي اى الصنف الثانى  
والثالث من رؤساء العساكر الخيالة الغير النظامية وعندئذ يابى المصنف عن اليمين يعمون  
المصنف عن اليسار فان زادوا جعلوا صفائين وراء المصنف الاول ويجلس باشكاتب على  
مسطبة على يسار الوالى مقابل الاول المصنف الايمن ثم يليه مسطبة طويلة يجلس عليها  
كثيرة من اقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالى عن يمين آخر المصنف  
مخوضون رجال يسمون شواش السلام والشطار بالباس اجور مقصب بالفضة وعلى رؤسهم  
شواش حمر وشربانهم فضة وعليهم اعمالي الجبهة قطع من النحاس الاصفر ومغروزيها  
أنواع من ريش اجفحة الطير الطويل وبأيديهم معاول طوال من النحاس الاصفر  
يركزونهم ساوياً يكون عابها وعندها جلوس الوالى في ذلك المجلس يرفع صورته كبرهؤلاء  
الشواش بكلام بالالفة التركمية معناه دعاه بالنصر والتأييد للوالى ثم يرفع صوته بقوله  
سلام ورحمة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء البوابة اى اصحاب الباب وتعرف الموسيقى  
العسكرية عند دخول الوالى لذلك المحل ويأذن اذ ذلك الوالى باذخار اصحاب الشكايات  
فيرفع صوته رئيس البوابة بقوله باش حانماى يارئيس الخواص ادخل وهو الترحان  
بين الوالى والمشتكين لانه يكون الوالى يحتاج الى فهم لغة المشتكين بل يكونهم يمدن  
في الوقوف عنه ورعا يكون بعضهم لا يحسن الالقاء لدعوتهم لهبة أو انخفاض صوته  
فيبلغ باش حانبه للوالى معنى كلام المشتكى وهاته الوظيفة لها كبيران احدهما من  
العرب والاخر من ابناء الترك الاول تقدم على الثانى فالمشتكى ان كان من المالكية  
يسمى به الاول وهو الذى يتولى الوساطة في امره وان كان من الحنفية رجع الى الثانى  
ولكن لهؤلاء همة اخرى في القاء الشكاية فان حانبه لا يسلكه ويقدمه الى قريب  
من الوالى وبعد ذلك تقرر باش حانبة بنوعيه امام الوالى يرفع صوته بقوله باش بواب  
شكاية اى يا كبير اصحاب الباب ادخل المشتكى فيرفع صوته هذا خارج باب المحل  
بقوله ياسعد ثم يدخل المشتكى فتردافردا على حسب المصلحة دفعة وتقدم المشتكى

(١٢٢)

بالازدحام وربما صار التقديم باعطاء شيء من المال لكنه لا يتجاوز عشرة قوالات فادونها وكل مشتكي في حال شكايته في ذلك الموكب المائل زيادة عن باش حانبة المقبض به تكون محقة به الحوانب والالوظا باشية واذا كانت له حجة مكتوبة قدمها وأخذها من يده باش حانبة ومكنها الباش كاتب ويؤخر اذ ذلك المشتكي ويؤتي بغيره وبعد قراءة باش كاتب للعبارة يقول مضمونها للوالى مع الاشارة الى صحتها او فسادها في أمر الوالى بما يراه وتنفصل بذلك الخوصة خصوصيات في نحو ساعة أو ساعتين اذا طال المجلس وربما أنهيت في ساعة واحدة ستون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالى وزيره سرا في النوازل أو يسأله عما يعلم فيها كما ان الوزير كثيرا ما يشير عليه في بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر الوالى بارجاع بعض النوازل الى الشرع أو الوزارة واذا كان هناك بعض من يحكم عليه بالقتل فانه يؤخذ نحوه الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع اما حكم عليه في مجلس الشريعة ورفع للوالى لينفذ الحكم المكتوب به - اما اجراء جميع اللوازم الشرعية وطول مدة المناضلة والمدافعة لدى المجلس الشرعى أو يكون قد حثرت نازلة - في الوزارة وفي النادر ان يؤتى بالمشتكى به من ذلك النوع بدية للمحكمة ويصعد الى المحكم بقتله في الحين فيخرج في اثر المحكوم عليه بالقتل أحد الشطار رأى الجلادين ويقطع رأسه قدام باب بارد وأواب البالد التي فيها الوالى أو يشفق هناك في مشقة من خشب وهو ان يربط عنقه في حبل وتكنف يداه ويلقى من عنقه فيخشق وتارة يلقي كذلك في سور المدينة القديمة قرب باب سويفه وعند انتهاء المشقة يمين أو مال الوالى يقول يا باش حانبة حافيه فيرفع صوته بها باش حانبة فيرفع صوته بها باش بواب ويقوم الوالى وينفصل الوطن فيجبرى اذ ذلك باش حانبة ما أمره الوالى من ارسال الاعوان لحلب المدعى عليهم أو خلاصهم وكذلك باش كاتب يحضر المكاتب التي صدر بها الاذن ولا تحضر الامن عند فتحها الوالى على نحو ما سيأتى وجميع من حضر في ذلك الموكب من المتوظفين يكون بابا له الاعتدادى الامن له رتبة عسكرية فانه يتقلد سيفه في منطقه وقبل دخول الوالى للمحكمة يجلس في بيت أبيض في سرية الحكومة على كرسي أصغر مما سبق ويدخل عليه الوزير بروحه - منه أو أنه يأتي معه من قصر سكناه ثم يجلس الوزير عريضة وأهل بيت الوالى عن شماله وقوفهم يأذن للمتوظفين بالدخول فيدخل أول الوزراء وبعض مشيخة المتوظفين الكبار المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالى قبل يده واخذه بالجلوس فيجلسون يميناً وشمالاً وأعلامهم شمالاً باش كاتب وامحاب اليمين يجلسون دون الوزير ثم يدخل

(١٢٣)

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ويرجع خارجا ثم الذين يلونهم ثم ثم الى ان يصعد الى اصغر المتوظفين كالاعوان الذين يرسلون لحلب المدعى عليهم والهيئة المتقدمة في المحكمة هي الهيئة في سائر الموكب السكار كالاعباد غير ان هاته تكون فيها الناس باللباس الرسمي المزركش بالفضة والنيباشين وتكون ايضا في محل آخر اكبر من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالخلف نوع من المنسوج الصوفي الاحمر والبيت مغروش بالزرايى والسنة بالخربرية الزرعية وكسى الوالى اكبر واضخم من السابق والكتاب لا يجاسون في هذا الموكب والناس كلهم وقوف ومولى ادارته هو امير لواء العساة وعوضا عن دخول المشتكين يدخل المعيدون افواجا افواجا على نحو ما تقدم في تقبيل يد الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك على كل القادمين من جميع المتوظفين واصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها والاهالى والتجار الالاهى المجاس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان الوالى يجاس لهم مجاسا خاصا بعد الموكب العام بحصة يسيرة في بيت اُنْبَقِ اسفل الاول وتدخل عليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها اهل المجاس الشرعى مع الاول فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويتعانقوا ويقبل كل منهم كنف الاخر ثم يجاس ويجاسون الخفية عن اليامين والمالكبة عن الشمال ويؤتى اليهم باطباق من الفضة فيها ثمن من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى لوداعهم ويقبلونه ايضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه البعض من السادة الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل المجاس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كفه كسائر الناس وكذلك لا يجاسون ولا ياكلون وانما بعد فراغ آخرهم من التقبيل اولهم وقوف يميناً وشمالاً يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل فرقة دخلت عليه في الموكب الاول الا المتوظفين فانهم يقفون ويردحهم بهم الموكب لانه يجتمع فيه اغلب المتوظفين ولومن جميع جهات القطر والذين يقفون هم اصحاب الرتب من العسكرية أو السكار من غيرهم وموكب المعايده يدوم يومان اولها ساعظ من الثاني وكلاهما صبا حاو في اليوم الثاني يقدم عليه قنائل الدول ويدخلون عليه على حسب أسبقيتهم في الوظيفة وكل منهم معه متوظفون سلاسه فيجدونه واقفاو يصافح القنائل ويتخاطبون بالترجسان بكلمات في التهنئة والموكب محبته كما سبق ذكره الى أن يتموا فيجاس الوالى على كرسيه ويقف بقية الاهالى على نحو

(١٢٤)

ما سبق ولا يختص هذا الموكب بأعيان الاهالي بل حتى أصحاب الصناعات وفي بقية  
ايام يكون الرالى في قصره لا يجتمع به الا الوزير الاكبر يوميا بل هو الاكبر ساكن معه  
في قصر واحد وفي يوم الاثنين قرب الزوال يقعد عليه الوزير ومن كان في الوزارة  
من الموظفين وإذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الوالى تكون في أحد  
ذلك اليومين أعني يوم السبت والاثنين أو يدعوههم الوزير بالخصوص ليوم معين  
وجميع الولايات انما تكون باذن الوالى وكتبه لرقعة في ذلك تسمى أمرا أما كيفية  
ادارة الوزارة فقد سبق ذكرها في الكلام على وزارة خيرا الدين باشا ولا زالت على تلك  
المهتمة والمتوطنون يأتون في بكرة النهار اليها يوميا الا يومى الخميس والجمعة وينفصلون  
منها عند الزوال وعند ما يأتى الوزير ويجلس في البيت الخاص به يقدم الى السلام عليه  
جميع كبار الاتسام ثم يتوجه كل الى محل مأمور به وكل في بيت خاص بجمعه قصر  
واحد في ناحية من قصر الوالى لادارة الحكومة ولكل من اقسام الوزارة كتاب  
وأعوان وتكتب في النوازل سجلات ويعضى الوزير على الرأى فيها ثم تعرض على الوالى  
وهو يعضى على ما يراه الوزير ونهى تلك السجلات معارض وتجرى على مقتضاها  
الامور وكثيرا ما تجرى بأمر الوزير شفاهيا وترسل تلك المعارض مع بطاقات الامر في  
ظرف محتوم ليعضها الوالى بخطه في المعارض وختمه في الامر ولكل عمل من الاعمال  
التي مر ذكرها عامل خاص الا المحاضرة فكلها يلعب رئيس الضابطية والغالب أن  
يسكن العامل في محل عمله وله نائب يلعب بالخليفة وتحت مشايخ على عدد انفاذ القبائل  
ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع اليه الشكايات فيحكم فيها برأيه  
وكذلك خليفته والشيخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات  
وانما الغالب ان نوازل حكمة التلك في غير المنقول والزواج والاقاف والموارث  
برجعونهم للحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجالس في المحاضرة فيه قاض حنفى ومثله مالكي  
ومقتبان حنفيان وخمسة مالكية ورئيس للحنفية يلعب شيخ الاسلام ومثله لساكية  
يلعب أحيانا أيضا بذلك وقد يزداد أريته من عدد المفتين ولهم محل خاص يسمى دار  
الشرعية يجلس به يوميا صبا حاقا قضيان ومقتبان من المذهبين على التناوب وفي يوم  
الخميس يجتمع جميع المجالس بيت كبير وينضم اليهم رئيس الضابطية للشورى في النوازل التي  
يريد الخصم فيها العرض على المجالس ولا يرضى بحكم القاضى أو المفتى وحده ورئيس  
الضابطية ينفذ ما يلزم فيه قوة الغصب الا القتل فانه يرفع الى الوالى وفي كل من بلدان

القيروان

(١٢٥)

القبروان وسوسة واستعير وصفافس والاعراض وتوزر ونفطة والكاف وباجة مجلس  
شرعى أقل انتمالافه من قاض ومفتى ورئيس فتوى يحرى به العمل مثل ماهوى فى الحاضرة  
لاجراء التحقيق فيها من مجلس الشريعة والمنفذ هو العامل كما أن فى نابل والمهدية وجربة  
وقفصة مفتى مع القاضى وبقية الاعمال ان كانت كبرى ففها قاض فقط وللوالى  
التصرف فى جميع النوازل نقضا وأبراما وكذلك الوزير وأما القصابى لاموال الحكومة  
أوالعمال فهو من اليهود الاقليات من العمال لجر عاده فى ذلك ويتوظف منهم مترجون  
ونظار على الصاغة ودار السكة كما يتوظف من النمارى فى الترجمة وغـيرها الاالعمال  
والوظائف الدينية ثم ان جميع العهود التى تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب المحجج  
وصكوك الالهة لسطا ئفة من العلماء والمنتسبين الى العلم يوليمهم الى والى ويسمون  
الشهود والعدول وهم بالنصوص الذين يباشرون ماذكرو لا غلبهم حوانيت مفتوحة لهاته  
الصناعة فى سائر البلدان وكذلك قبائل الاعراب ويوجد فى خصوص الحاضرة مجلس  
بإدى لمصالح الطرقات والبناء وآت ومجلس مختلط للاحكام بين أغلب الا جانب والاهالى  
فيمادون الالف ريالو جمعية للاروقاف ولها نواب فى سائر القطر ومجلس تجارة ومجلس  
لحفظ الصحة أعضاؤه القناسل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدى وشيخ المدينة  
ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن ليلاداما الضابطية  
فهى موجودة غير منتظمة وأمرور المعاش يقومها القاضى المالىكى ولها أمناء  
يطوفون عليها لحر استهوان الغش وأما بقية المماسكة فليس فيها الاالحكام المارذ كهم  
أو بعض امناء على الصنائع أو المعاش

(مطالب فى المعارف) الموجودة الآن ومما خها جامع الزيتونة من الحاضرة هى العلوم  
الدينية وسائر الهاهوى القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد  
وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفى والمالكية والمنطق والمعارف  
والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والأدب والتاريخ والحساب والهيئة  
والفلك واللغة ولكل كتب معينة للاقراء بها لهما من الحواشى كما هو معين فى قافونهم الذى  
أحدث فى وزارة خـبر الدين باشا ومنه افنون وكتب لايدمن وجود اقراشها كما أن مواد  
المطالعة والتحصيل سهلة بخزائن الكتب المعروفة فى الاسلام الاماندرى ماهوى اللسان  
العربى وقليل جدا بالتركى والفارسى والفرانسارى ومشايخ جامع الزيتونة الموظفون  
ولهم مرتب مائة وخمسون ريالاشهر بأعدادهم ثلاثون مدرسا والمطبعة الثانية مقر بها

(١٢٦)

تسعون ربالاً شهرياً وعدها اثنا عشر مدرسا والذين لا مرتب لهم وأعمالهم  
 امانات سنوية مما يحصل من تخلف المدرسين والخصم عليهم من مرتباتهم عددهم نحو  
 ستمين وهم يزيدون وينقصون وعدة التلامذة بالجامع المذكور نحو الثمانمائة  
 ويزيدون وينقصون أيضا وكيفية الدرس حسنة الالتقاء والسؤال والجواب ولا يطول  
 الدرس أكثر من ساعة كما توجد مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها  
 درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامعها قليل من الدروس وتوجد  
 المدرسة الصادقية تقرئ مبادئ فنون الديانة واللغة معمارية كره وتقرئ الفنون  
 الرياضية واللغات التركية والفرنساوية والطليلية ومن الرياضيات الحساب والجبر  
 والهندسة والهيئة والفلك والجغرافية ومبادئ الطبيعيات وهي تعلم مجانا مائة  
 وخمسين تلميذا وتقوم بكلهم نفارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى في السكنى واللباس  
 وكذلك يوجد مكتب أنشاء قسيس والفرنسيس في صان لويس يعلم العلوم الرياضية  
 واللسان العربي والفرنساوي والاطالاني وتلاميذه لا يبلغون الخمسين الا ان يوجد  
 مكتبان للفرنساويين أيضا بالمحاضرة يسجلان مكتباً للفرير تلاميذها نحواربعمائة  
 وكذلك مكتب للاطالان به نحو مائتي تلميذ وكذلك مكتب جمعية اليهودية نحو تسعمائة  
 تلميذ كلها تعلم مبادئ الرياضيات واللغة الفرنسية والاطالانية والعربية ويعلم بعضها  
 من الصنائع كشي من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم الاغنياء بالمال  
 وبعضها يعلم الفقراء مجانا كما يوجد فيها مكتب للبرستنت من الانكليزية نحو مائتي تلميذ  
 كما يوجد بالمحاضرة نحو مائة واحد عشر مكتباً للقرآن العظيم وللكتابة العربية نحو  
 ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد الا في قليل من البلدان شي  
 من العلوم الدينية كاللغة والعقائد على قلة والنحو وأما من البلدان بذلك القير وان  
 وصفافس والمستبر وسوسة وجربة والاعراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها  
 يزيد بشي من الادب والحديث كما يوجد في بعض زوايا الصالحين بالقبايل شي من  
 القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات انما يقرأ فيها الفقه المالكي الا المدينة  
 والمستبر وفيها أحيانا الفقه الحنفي أما غير ذلك فلا نعم توجد مكاتب للقرآن ومبادئ  
 الكتابة العربية في جميع البلدان والقرى بحيث لا يتخلف لوقرية عن ذلك فضلا عن بلاد  
 ويقرب جميع تلاميذها نحو مائتي عشر ألف تلميذ لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية في  
 هاته المكاتب الابتدائية ولو في المحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشرة سنين  
 ولا

(١٢٧)

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وانما الخيب منه - ثم يخرج حافضا للقرآن المجيد فقط وأما بقية التعاليم المار ذكرها فهي جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة نجت منه فحول تزين المسلمين ولهم براعة في كل الفنون سيما الانشاء بالعربية الذي كاد أن يشبه أساليب الأجسام في عدة جهات فان علماء تونس لهم براعة في ذلك وهم محافظون على الأسلوب العربي ومعتززون عن اللحن وان وجد في الكتابة والشهود من لحن فذلك من تقليد الوظيفة لغير المستحق كما أن أصحاب الأفلام أو الشهود مطاوعا محافظون على الشعار الدينية في كتابتهم بحيث يتحكون كتبهم بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ومن ولده

(مطلب في الصنائع) أهم صنائع الاهالي هي الفلاحة وما زالت الأنواع على الطرز القديم يأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع انما فيها كتب عديدة بخزائن الكتب لا يافت اليها احد ولذلك انقطعت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقت العمران مع انضمام أسباب سياسية كانت - ثم شرحه وصناعة التلقيب في الاتجار لاجلها الا قليل ولذلك حصل الاروبا يون على تقدم عظيم في القطر في هاته الصناعة ولو في زرع الحبوب وكافها أكثر رجحان الاهالي وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر زيت الزيتون فاما جمعه واستخراج زيته فهو بيد الاهالي ثم يبيعهونه اما للاهالي أو للتجار الاجانب واما التجارة فيه لخارج القطر فهي بيد الاجانب الا قدام الاهالي كما انه دخل في جمعه واستخراج زيته قليل من الاجانب عندما استخدمت المعامل بالبضار لاخراج الزيت وهي قليلة بل ليس منها الا واحدة في الحاضرة وهناك قليل من المعاصر على النوع المختص في أوروبا والاكثر على النوع القديم الذي صنعه الأندلس أنواع آخر أقدم منه وكلاهما لا يتقن اخراج الزيت من زيتونه واما صناعة الشاشية فانها كانت هي عبال أكثر أهل الحاضرة ومنذ صنعت الشاشية بالعامر في أوروبا رخصت ولازال صناعتها في تونس مقسكين بالآلات القديمة وهي تكلفها غالبا لسهة فلما زالت في تفاقص الى أن كادت أن تكون مقصورة على أهالي القطر وقليل من غيرهم وبقي من حوانيتها نحو ثلاثين أعني الذين يتخدون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هاته الصناعة تبلغ نحو الالف وبسبب ذلك بقي أكثر الناس في الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع في الحاضرة صناعة البغلة وهي نوع من الاحذية وهي راتجة وصناعة الكنترة نوع مما ذكر وهي راتجة وهي بيد اليهود والافرنج وأصحاب صناعة السباط التي هي نوع مما ذكر وأفسسوا لانهم لازالوا

(١٢٨)

مممكنين بخياطتها على الهيئة القديمة والناس تركوها وانفوا من جعلها على أسلوب  
الكتابة لجرد الاعتقاد الى أن أفلسوا ولم يجدوا لها يد يجمعها - هم على مصطلحهم - وكذلك  
توجد صنعة العطارين أي الطيب والحرارية أي نساجي الحرير وصناعتهم - هم متقنة  
وفيها بعض رواج ويصنون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة - ونوعان من الحرير  
الصرف المسمى بالختم وفي بعض أنواعها رغبة في حواضر أوربا ويوجد لها مروج سميها  
الطيسانات ويوجد أيضا صنعة النوارزية أي الخياطين ولهم براعة في خياطة الابرسيم  
على أشكال من النوار بديعة في سراويل النساء وغيرها وكذلك صنعة الخياطة  
للنسوجات الصوفية وفيها رواج كبير لاوربا وغيرها ولتوجد المروج - كانت من أعظم  
اسباب الرفاهية للقطر وتوجد صنعة الصاغة وصناعة السروج ولاصحابها براعة  
في الطرز في الحرير والفضة والعدس أي قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة الوسط  
ليسكنها خيط الطرز وكذلك صنعة الخدادة وهي قاصرة وإن وفدهم من الأروبا وبين  
التقدم التمام على الآهالي وكذلك صناعة النجارة أي نحت الأخشاب ولاهم براعة فيها  
وكذلك البناية وكذلك النقاشة أي نحت الأحجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف  
والخيط والقطن والفضة والعدس على المنسوجات وهي خاصة في النساء وزدن في هاته  
المدة تقدم ما فيها بما تعلم من الأوربا وبين حتى صارت تقوم به اثلاث وتوجد صناعات  
للإصلاح بأنواعها لكنهما متأخرة ويوجد عمل للدافع وأخو لاسفن وكلاهما معطل  
ويوجد معامل كثيرة لا تكرار يس وكذلك توجد صنعة النسيج للقطن وهي ضعيفة  
رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهي حسنة وصناعة النسيج وهي قليلة وكذلك  
صناعة نقش عديده أي النقش في الجص التي هي من أبداع الصناعات التحسينية  
على الجدران وكذلك صناعة الدهن أي الألوان وصناعة الفخارين أي صنع الاواني  
من الطين وكذلك نوع يسمى بالجلينجما يوصل على الجدران وعلى أراضي البيوت  
ولكن نوعه رديء ولاهم اقتدار على اتصاله مع المصنوع في أوربا إذ كان عندهم  
قديمًا أحسن منه وانما يحتاجون الى الاطاعة وأما الموسيقى فليهم مهرة في معرفة  
الانحسان يأخذونها على قواعد وانما هي بالسماع من بعضهم ويعتنون لاخذها في  
بعض الزوايا التي تعقد فيها جمعات لاجل الذكركم كسر البردة ومدائح قادية وهذا  
العمل يختلف في جواز له لكن الرائج جوازه شرعا ان لم يكن فيه تشويق لحرم فالحریم  
على كل حال ليس لذاته وانما هو لما يتوصل به اليه ثم به - الجواز ليس هو بطاعة كما

يظن



(١٢٩)

يظن العوام وسيأتي للمسئلة بسط في الخاتمة ان شاء الله تعالى كما ان لهم معرفة في فن  
الموسيقى أى دق آلاتها واخذونها عن بعضهم والآلات هى الرباب والعود والجرانة  
وكاهان ذات الاوتار الطار والدق والدربوكة وهى أكبر منه والطبل والجميع من  
نوعه والكرنيطه والنأى والقيطة والشمايه والصقار والفقيل وكاهان آلات النفخ  
ويضربونها بدون أوراق امامهم بل من حفظهم وفيهم المهرة وهاته الصناعات فى الموسيقى  
قد ذكر فى الاغانى انها كانت محفوظه على نمط واحد بحيث لا يخرجون عما كان مسموحا  
من الطرق يأخذها الخلف عن السلف الى أن دخل فيهم ابراهيم بن المهدي عنه لما أراد  
الامن على نفسه بقتله من سمات المخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو  
ثم جعل من اتبعه يسلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصابة وتصادى الامر على  
ذلك الى أن فقد الآن ما يعرف به الالحان التى كانت تستعمل فى تلك الاعصار ولهذا  
لا يمكن فهم ما يشير اليه فى كتابه الاغانى من الطرق والالحان ثم ان حكم سماع آلات  
الله رهوعه نأحرار الا الدف وما كان على شاكلته مما لا تترفيه اذا ضرب فى الافراح  
المجائزة لكن رأيت رسالة لسيدي عبدالغنى النابلسى مال فيها الجواز ان لم نؤد الى محرم  
مقطوع به كما رأيت سؤال الالبوسى فى أيام أشد حرمة الغيبة أو السماع لآلات الله  
أجاب عنه بان لا مقايسة بين الامرين فان الغيبة محرمة باجماع بخلاف سماع آلات  
الطرب فانه مختلف فيه وللا مبدئية بالتمسك بقول أحد المجتهدين ثم توجد بقيمة الصنائع  
الضرورية كالإيقالين والجزارين والقصابين والفخامين والحلاقين وغيرهم بحيث يقال  
ان أغلب الصنائع المحاجية معروفة وليكنها غير موفية بالاستغناء عن جانب المصنوعات  
من خارج القطر بحيث من نظر الى لباس أهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجب ادخالهم من  
مصنوعات الاجانب وذلك موجب لفقرا المأكلة وأما خارج الحاضرة فالأذن يوجد فيها  
ما يقرب مما تقدم بأقل درجات الابعض صنائع فلها فيها التقدم على الحاضرة فمن ذلك  
منسوجات الفرش فى الجريد فان ما يصنع منه فى طوز رهوم من أرفع ما يوجد فى العالم  
وكذلك يصنع فى جربة ولها نوع يسمى بالسوسنى من الصوف والخمر يصنع فىق من أرفع  
المنسوجات وكذلك يصنع فى القبروان والاوانى النحاس وفى نابل أنواع من الطين الرفيع  
المزقوب فى كثير من الجهات وكذلك يصنع فى السكاف نوع من البرنس رفيع وأما أهل  
البوادي فلا يعرفون الاصناعة الفلاحة المتداولة والرعى للحيوان والفروسية والصيد  
ولا هل جبل بأجرة وما طر معرفة بصناعة البارود وسائر القماثل تعرف تساهم صناعات

(١٣٠)

تسج الصوف لفرشهم ولباسهم ونسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والعدل كما ان  
لبعضهم اتقان في صاغة البسط من الصوف كقبائل دريد وخلص ومثلهم القير وان  
والمخصوص أهل الجـ ريد اتقان كل في الارضية التي تعردى بها الرجال من الحـ وير  
والصوف

مطلب في المساكن والطرق الخ الحاضرة ذات بطحاوت وطرق صناعية محصنة  
أو محجرة بحجارة منحوتة لانهب فيها على الماشي ولا الراسكب حسنة المنظر ولتقليل من  
طرقها المسموعة أئجار عينا وشمالا وجميع البنات من حجر ميني بطين الرمل والجير وتارة  
يدنى بالاجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو أيضا أقل  
ثم ان دورها اما ذات طبقة واحدة أو طبقةين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان  
تدخل من الباب الذي على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا يسمى ذريعة أي  
دهليز أو الاسمى سقيفة ثم آخر أصغر منه ثم وسط الدار والاعقاب أن تكون الابواب  
المدخول منها إلى غـ بمقابلة لكي لا يكون مكشوفاً من بالسقيفة وهو محل مربع  
الشكل مكشوف الى السماء وبه ابواب وشبابيك الى البيوت وهو مفروش الارض اما  
بالرخام أي المرمر الأبيض أو الكذال والجميع على شكل مربع متقن الاثبات في الارض  
حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط في المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة  
بالزليز اما الى نهايتها واما الى النصف والنصف الاعلى مطلي بالجص الأبيض وبه نقش  
حديدية ونهاية الحيطان عليها قرميد أخضر والابواب التي به من الاربعة الى الاثني عشر  
يدخل منها الى بيوت ومرافق والبيوت غالباً بعضها أحسن من بعض فأ كبرها على  
شككين فالشـ كل الاول أن يكون اذا دخلت من الباب فتجد البيت طويلا جينا وشمالا  
وقبالة الباب بهودوقوس مرتفع وفي نهاية أرجل القوس تجد مرصفا أي شيامن الخشب  
المتقن النقش المزرق بالالوان دائر مع حيطان البهو وتوضع عليه أو في رفعة من الخرف  
والصيني والبـ لمور وفي نهاية البيت جينا وشمالا تجد اسرة عليها فرش النوم مسواة  
باتقان وأمامها مساطب ومقعدات وجميع الحيطان على نحو ما مر في وسط الدار مع زيادة  
اتقان النقش والابواب كلها ذات زوايا كاملة ليست بمقوسة الابواب الذرية ثم لكل  
باب أو شبلك عوازل من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة في  
قطعة واحدة غالباً وعرض العاضدة من شبر ونصف الا لعوازل السفلى في الابواب  
فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من أصـ بعين وأغاب ارتفاع السقف

(١٣١)

من الستة الى اثني عشر ذراعاً وهي أى السقف ما بين بناء بالآجر أو الحجر المقود أو أعمدة  
من حديد أو آجر أو قرميد أو أنها خشب مما يجلب من السويد المسمى باللوح الطرطوشى  
والبنى يدق من الخشبة على أى نوع كانت قائم إن كانت من الخشب نقشت وزوقت  
والاطليت بالحص ونقشت وزوقت وتارة يطلى النوعان بالفضة الممونة بالذهب على  
الشكال بديعة مع التزيين باللون والاعراب في سقف الخشب ان تكون على هيئة  
خشب ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين أو شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية  
أصابع وكل الابواب ذودفتين وتارة يكون ذا أربع دفتين وهو ذا في خصوص ابواب  
البيوت وأما غير هاتين أكثر من دفتين ثم عن يمين الباب وشماله مقاصير اثنيان في فوق  
أما للنوم أو الجلوس أو المرافق وعلى الابواب جميعاً شارات متعددة على حسب الرفاهية  
ويوضع في البيت أيضاً حرايات كبيرة على المرفع وراء قطع البلور والخزف وكذلك حول  
اسطواناتى الباب وهذا يوضع أمامها خزانة من خشب الجوز المصنعة الصنعة وعلما  
ساعتان وفوانيس بأواني من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفي الشتاء فرش  
أرض البيت بمحصر وعلمها بسط صوفية وأما الشكل الثاني في البيوت فإنه يكون  
براحاً واحداً أمام أربع أبواب استطالة والمبط والسقف والفرش كلها على نوع واحد  
غير أنه يغاب في هذا الشكل أن يكون السقف من خشب وعيدانه مغطاة من أسفل بمنا  
يلي البيت بالواح من خشب مزوقة أيضاً حتى ترى كأنها قطعة واحدة والاعراب محسن  
المنظر وعدم ظهور القطع بين الالواح أن تغطي الالواح من أسفل بمسوح من الكتان  
أو القطن على عكس امتداد الالواح وتندق بمسامير ثم تلون وتزوق كما مر وفي وسطها  
السقف على أى نوع كانت قوضع قطع من خشب مرتفعة ممتدة موشة بالشكال بديعة  
مذهبة وتسمى في السقف بقضيب حديد مناسب ويلقى فيها حرايات من البلور وما  
دون ذلك من البيوت يكون أقل اتقاناً في طلي المحيطان ومفروش الأرض والسقف فقط  
أما أصل الطلي وتبليط الأرض بنوع صلب فلا بد منه وفي قليل من الديار الكبرى  
للأغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث جهات أو أربع ووسطه مربع والجميع في أعلى نوع  
من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة جفائش في الديار وأما كثرت بعد وجود  
ماء زرعان في الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر ومطبخ وبيوت مخزن القوت  
وأدواته ولا بد أن يكون خارجها مخزن للدواب أو بعض الضروريات ولا أقل أن يكون  
أسفل وسط الدار والسعيقة دهليز لذلك ان لم يكن لها مخزن وقليل أن يكون لها علو

(١٣٢)

بابه في السقيفة الخارجية أو الذريعة خاص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والاغاب  
أن يكون ذلك للاعيان ويكون العلو تام المرافق والفروش وأكثر من ذلك أن يكون  
في عوضه بيت واحد يجلس به صاحب الحبل ومن يفد عليه من الرجال وإذا كانت الدار  
ذات طبةتين فإن الهيئة المسارذ كرها هي ولا يزداد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام  
البيوت في صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن  
الجهة الثانية على أقواس مستندة على أسطوانات من الرخام الأبيض المتقن أو من  
حجارة الكذال والأقواس مطابقة بالخص المنقوش بالنقش حديدية وفوق هاته الرواقات  
رواشن للطبقة العليا ولها درابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن  
يدخل للبيوت التي في الطبقة العليا وهي مبنية على البيوت السفلى وهيئة البناء والفروش  
على النحو الأسفل سواء يصعد إلى هاتيك الطبقة بدرج في أحد الأبواب التي توسط الدار  
والاغاب في الدرج القديمة أن تكون على هيئة غبر من أسبحة لبقية بناء الدار لانهم  
لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للأعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة فتعبر  
الصاعد لكن في الابنية الجديدة صارت الدرج متقنة الهيئة من الانساع والارتفاع  
المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها أقدم ونصف وطولها  
سنة أقدام فما فوق وعلى أي هيئة كانت فلا بد لها من التبليط بالزليز أو الرخام وكثيرا  
ما تكون كل درجة من قطعة واحدة من الرخام الأبيض أو الأسود أو الكذال أو  
الصوان وجميع الحيطان إما مكسوة بالجليز أو مطلية بالخص ولا يكون في السفلى ولا شباك  
واحد على الطريق وإن احتيج إلى الضوء ولا بد تجعل له منافذ قرب السقف لكي  
لا يسمع صوت النساء نعم في الطبقات العليا توجد شبابيك على الطرق ولها أبواب غير  
منفكة من المقصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت توسط الدار أو للطريق لابد لها  
من قطع من الحديد على أشكال مربعة وفي القديم كانت جميع الأشكال مربعة هذا  
في أماكن النساء وأما أماكن جلوس الرجال فليس في شبابيكها مقصب الخشب نعم  
لشبابيكها مطلقا أبواب من الخشب وأبوابها طر من خشب وطبقاتها من البخور أو  
الزجاج والحاصل أن الدار من داخلها في غاية الاتقان والنظافة على حسب الرفاهية  
لكن خارجها لا يعتنى باتقانها فوجه الحيط مملأ إلى الطرق كثير ما يكون غير محصص  
واتسايفضونها بالجير والسطوح كلها مستوية وتهدب سنويا بالجير فذلك لم يكن منظر  
البلاد في الطرق جيلا مثل ما هو في الدار هذا كما في غبر حارات الأفرنج أمهي فانها

على

(١٣٣)

على النحو الاروباوى الذى سبأنى شرحه ولذلك كانت أنظر ونظافة الطرقات بواسطة  
بحيث انما ليست بعفنة ولا انها متقنة النظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم  
تباط كثير من الوحل والطين وهذه لم تبقى الا نادرا فى المدينة وأما فى الرنطين فهى لازالت  
كثيرة وبواسطة المجلس البادى لازال يتدارك فى تبليطها وتحصيدها وقد تمت الطرق  
الاكثر مروراً بها للجملات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعة سوى طريق  
بين تونس وحمام الانف وأخرى الى باردو ومنوبة وأخرى الى جهة العونية وطريق  
حديديبة الى حاق الوادى وأخرى الى الجزائر وبرادمد أخرى الى الساحل وأخرى الى ابن  
زرت وأما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مناهج وهى مائة أقلها تفرقه بحلجان  
متحاذيتان وهى قليلة والى طرق وهى لا تفرقها إلا بحلة واحدة وهى أكثر من الاولى  
وكثيرا ما تتعارض فيها الجمالات ويوجد منها بعض جهات منقسمة لرفع ذلك التعارض  
والى زناقي وهى التى لا تفرقها إلا بحلة بل بعضها لا يمر فيها إلا انسان واحد وأغلب هاته فى  
وسط المحارات ولازال المجلس البادى يوسع فى الكل منها حارب حائط على الطريق الأخذ  
من بحلة توسعة للطريق وأغلب أنواع الطرق غير مستقيمة بل فيها تعاريج وانعطافات  
وتحت الطرق خنادق تجري فيها القذورات والمياه الحارجة من الديار تحت الارض  
وأكثرها غير متقن البناء والتسقيف ولذلك يكثُر فى الشتاء خرابها فتعطل الطرق عن  
مرور الحيوانات والجمالات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية  
من الحاضرة هذا وأما قصور الوالى وطائفة الوزراء والاعيان فانها وان كانت بعضها  
على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر  
وحسن الفرش والتزيين والتزيين وكذلك يسائنهاهم وأما الحمامات والأسواق  
فليست بحيلة المنظر لأن أغلب الأسواق ضيق الطريق ومستقفاً بالخشب الغير المنظم  
وبعضها مستقفاً بالاجرو هو أحسن منظر لكن الجميع لا يتأقنون فى نظافة الحمامات  
وحسن هيئتها وأغلبها صخرية غير فخورة أذرع فى مائها وأرضها مرتفعة على أرض  
الطريق فى البناء نحو ذراع وبعضها أبوابه من خشب غير منقوت وهى قطع مفرقة يضع  
صاحبها لوحة حذو أخرى الى ان يمتلئ عرض الباب فيعمل قفلا على الوسطى من تلك  
الالواح يسكنها بالعواضد فى الفرض التى تدخل منها الالواح ويكون المسالك بواسطة  
حاق صغيرة بعضها فى الواح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك  
الحاق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الأغلب على الشكل العتيق وهو قضيب من

(١٣٤)

حذيدتهارغ الوسط به لواب ينجذب ويندفع بواسطه ادارة المفتاح الذى يدخل  
 فى فـ راع ذلك القضيبي وهما فى خارج القضيبي قوس يدخل فى تلك الحلق ويدخل  
 طرفه فى ثقب فى طرف ذلك القضيبي ثم يدار المفتاح الى ان ينجذب اللواب ويدخل  
 فى ثقب فى طرف القوس الذى أدخل فى القضيبي ثم ينزع المفتاح ولم يكن لازال هذا  
 الشكل يفتنقن ويجعل على النحو المتعارف فى أغلب المدن فى الابواب وبسبب ذلك مع  
 وجود الخراب فى عدة جهات وعدم تبيين جميع الحيطان كل عام لم يكن منظور البلاد  
 اجمالا جميلا ان رأى المدن الجميلة والاقواس أغلبيتها نصف دائرة والسقوف البنائية  
 لا يندفها من شئ من الانحسار ثم فى المدة الاخيرة حدثت الاقواس والسقوف المبنية  
 المبسوطة وهذا أمام منازل المسافرين فى حارة الافرنج منازل مثل ما هو فى أوروبا  
 وقبل ان يسكنها أحد المسلمين وانما يسكنون فى خانات وفنادق ومخيمات بيوت لا فرش  
 لها ولا مطابخ فيلقى المسافر العناء من ذلك الا اذا تعود على السفر لبلاد المسلمين  
 فان الجميع فيها متمائل وكان السبب فى هذا ندم كثر أسفار المسلمين هو خصلة دينية  
 وهى ان الكرم والضيافة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلاد المسلمين الا كان  
 حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتقان محلات المسافرين اذ غايتها  
 هو وضع الدواب والساع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود لفظ مفرد عربى  
 دال على نزل المسافر لما اجبت عليه العرب من الكرم والضيافة ولم يكن حيث تغيرت  
 الطباع اليوم فينبغى الاعتناء بمثل تلك المنازل وما ذكره جارى سائر انحاء القطر وعلى  
 نحو ما تقدم فى هيمة الحاضرة بقرية المدين والقرى ليكنها على حسبها فى التمييز والغنى  
 غير ان الطرق الصغرى لا توجد فى غير الحاضرة نعم ان البلاد التى احدها  
 الاندلسيون هى انظم طرقا من غيرها اذ طرقاها مستقيمة متصلة متقابلة بل  
 بعضها يراعى فيها حتى تقابل ابواب الديار وفى غير المدن لا تجد البناء الامن لطيفة واحدة  
 بل وهو الاغلب حتى فى المدن وكثرة الخرابات فى بعض البلاد ان سببها القرى وعدم  
 تبيين وتخصيص الحيطان من خارج تجعل الرائي يحسب الجميع نرايا وكثيرا ما تكون  
 ديار القرى غير مبطنة وانما تهد بالطين والجير المسوى (وأما البطروى) فمساكنهم  
 خيام من شجر الممزول الابل تنسجها الالهالى وتارة تجلب من طراباس ولا غنياء  
 خيام من ذلك النوع فى غاية الاتساع والارتفاع بحيث يقدرون ان يدخلها الراكب  
 على فرسه ويقوم البيت لاقسام بأردية وستارات قسم للنوم وآخر للأؤنة وآخر لاولادهم  
 وآخر

وتحلوا ولد بعض حيوانا ثم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كمان للضيوف وحـ الحوس صاحب المـ كان ينفذها خاصة ويقرشون بيوتهم بنحو ما يقرش أهالي الحاضرة الاعيان من المراتب والساعات والتحف الخزفية والمقرشات الحربية والاسرة المذهبة والقوائيس والشعوع الى غير ذلك من انواع الحضارات لكن العموم يقرشون في أرض البيت حـ صبر او قرشهم اربعة من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء وبيات الرجل وزوجته واولاده كلهم في فراش واحد ويطحنون في فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا ينور في الليل الا بما يوقد من الخطب وبعض القبائل يسكن في خصوص أو بناء شـها

\* (مطلب في اللبس) \* لباس المحكومة والعساكر النظامية هو اللباس  
الافرنجى غير ان للعساكر علامات على الرتب وهى صورة نجم من فضة خالصة  
لرتبة الفرويقي ويجعل سنة نجوم في رتبة سترته ثلاثة من كل جهة وهونها قوتبة  
يعطيها الوالى ثم أمير الولاية أربعة ولا ميرالاسلاى اثنان وللقائم مقام والامين  
آلاى ستة من طرز خيط الفضة المذهبة وللبندامشى أربعة وللقلاى اثنان ثم للرتب  
التي تليه ثلاثة من الفضة لغير المذهبة وهكذا من يليه على النحو السابق وهاته  
الرتب تعطى ايضا لبعضها لغير العساكر من ذوى الوظائف السياسية اذ ليس هناك رتب  
ملكية وفي المواكب يلبسون اللباس الرسمى المطروز بقصب الفضة المذهبة  
الا انسابية فطرزهم من غير المذهبة وتعلق في صدورهم النباشين التي هى من  
الفضة المزوقة بالميناء وللصنف الاكبر منها له شريط أخضر ولنيشان العهد شريط  
أبيض على نحو ما سبق ذكره في الكلام على أجد باشا والصادق باشا والوالى  
يلبس نباشيته ثلاثة نباشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاجد باشا  
عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زادها نيا من ثم زاد الصادق باشا ثلثا من  
وهى نباشتين من ذهب على صورة أوراق من النبات وبسطها ترصيع بالياقوت  
الابيض كما يلبس نيشان المشير المرصع الذى كان أيضا من رسوم الدولة العلية  
ويلبس نيشان آل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والغير المرصع  
وجميع نباشتين الدول التي اهدتها له مع شرطاتها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم  
يلبس ما عنده من النباشين ثم كل من له رتبة أمير آلاى فها دون له علامة تعلق  
نباشيته من فحاش على صورة شارة المحكومة مكتوب بها اسم الوالى الصادق

(١٣٦)

باشا اذ هو محض ترعها واما أهل المجالس الشرعى بالحاضرة فيلبسون قلاانس بيضا  
مكورة غير ان المالكية قلاانسهم مغلطة والخنفية مرتفعة ويلبسون غلبا طيلسانا  
من الكشمير ويلبسون جبائب اكمامها واسعة وهى طويلة الى الركبة أو قربه وهناك  
فرق بين جبائب الخنفية والمالكية فالاول جبائبهم مشقوقة الجيوب الى أسفل  
والاخر مشقوقة الى السرة فقط ويزيد المالكية برنسا واسعة من الجوخ الصوفى  
له حوائش وشرايات من الحرير وفى أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق  
وريشية لونه أصفر وهو ليس لا يتحمل المشى به فى الطين ولو قلابا اذ هو أشبه شئ بالتمل  
ليكن له وجهه على اصابع القدم ويلزم للمشى به تعلم وتعود لى تسلكه أصابع  
الرجل اذ ارفعت الرجل سيم اذا كان مع الريشية فيقع الازدلاق بين الموشة جلد  
البشمق وجلدها نعم ان منظره جميل وأما أهالى الحاضرة فيلبس الرجال قميصا  
وصدرية وأخرى تسمى فرملة غير انها بلا صدر ومثان أى صدرية بلا صدر ولها ايدى  
ضيقة الى الرسغ وتارة يكون فى هاتى الايدى فتخ من أسفل قرب الرسغ وتارة لا تارة  
تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنبرة وسراويل رجالها أسفل الركبة  
بيديرو وسطها غير متدل كثيرا ولا مرتفع كثيرا وهى عريضة بحيث اذا لبست كان فيها  
انكماشات بين الرجلين ولا يبلغ تدليها الى الركبتين واحذيتهم من انواع فمها  
الكنبرة وهو من لباس الافرنج على انواع شتى ومنها البلقلة ولونها أصفر ومنها السباط  
الاجر والاسود لبعضها شرايات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون البشمق والريشية  
وعلى رؤسهم شوائى جملها شرايات من الحرير الاسود وعليها عمامهم ملوية  
اما بيض أو مطرزة بطرزا الهند أو بطرزا بلاد و على الجميع برنس شتاء وصيفا غير ان  
كيفية استعماله كانه حمل للباس اذ يلقونه على اكتافهم يميل لاحد الشقين فقط وهيئة  
البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطربوش وكاه فى قطعة  
واحدة وأسفله مقصوص مخرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاوسط  
يزيدون تحت البرنس حبة مشقوقة الى السرة فقط ويلبس لها اكمام بل انها مشقوقة  
من أعلى الجنبين لانراج اليدين منها فهى عبارة غير مشقوقة لاسفل ويلبسون أيضا  
الجوارب من القطن فقط أو مع الصوف من تحتها وبعض قليل يلبس الجوخة والقفطان  
وهما جبتان ضيقتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما تلبس من أعلى  
اكمامها مدورة قصيرة الى قرب المرفقين وأسفلها ما يتخزم عليها بالخرام الذى لا بد منه لكل



(١٣٧)

أحد كما ان البرنس لا يمكن خروج الانسان في الطريق بدونه غداية الزرق بين لباس  
الاغنياء وغيرهم هورفة المنسوجات وحشها وكلاهما مع مفروشات الديار من الصنائع  
الاجنبيه الا البرانس والشاشيه وبعض انواع حريره كما يحمل الاعيان والاواسط  
سمات بسلاسلها من الذهب أو الفضة أو النحاس واما الختم فقليل جدا وكثيرا ما يعده  
من سمات ذوى الدناة الالبعض اعيان الاعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشا عنه ومثل  
هــ هذا اللباس لباس أغلب المدن واقربى أوقرب منهم وبعضهم يلبس جبة من  
الصوف وسراويل منها كلها من صـ ناعه الالهالى وهو ضاعن البرنس يلبسون  
كبوطا وهوشه البرنس غير ان ضيق وله ايدى وقصـ يراى الخوام فقط وهو أيضا  
لا بد من لبسه اساقى العجلات للاعيان فى الحاضره غير انه من نوع الجوخ المطرز  
بخطوط الفضة وله نظـ رجـيل واما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف  
يسمى بالحـرام وبرنس من الصوف غير انه يلبس لباسا يندخل الرجل رأسه فى  
الطربوشه وتارة يغطيها على رأسه وتارة يلقها الى ورائه على كتفيه وهما من صـ ناعه  
وعلى رؤسهم شواشى وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف الغنم الاسود أو الاحمر  
وفى أرجلهم البلغة والاعيان منهم يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر  
وحامهم يكون من الصوف الجيد الرفيع والمحرير وكذلك عمامتهم مثل الحواضر  
ومثاهم الهالى بعض البلدان كبالدان المحريد والكاف وباجه وتبرسق وأما لباس النساء  
ففى الحاضره يلبسون القميص لـ كنهه قصـ يراى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا  
صـ درويتهن فى اتقانها وتخليتها بالفضه أو المحرير أو العدى وتسمى فرملة وفوقها  
جبة ضيقة بعض الضيق بلا كلام وقصيرة مثل القميص المذكور وسراويل ضيقة جدا  
مثل سراويل رجال الأفـ نـ لـ كنهها مخروطة الرجاين مع اتقان تخليتها والنعالى فيها  
وعلى رؤسهن على الشـ عـ منديل حرير أسود يسمى قمرطة وفوقه قوفية أى نوع من  
العراقية محلاة ولها جبين مرتفع من أصبعين الى الثمانية أصابع صلب بالطر ز المحرير  
الاسود على خيطان من الكتان الصاب وفى مؤنوها ذيل من الحرير مذل الى قرب ذيل  
الجبة ويطرز بانواع جميله من الفضة والمحرير ثم تلف رأسها ورقبتها بلثام من أنواع  
المحرير والقطن ويطرز أيضا كما مر على هيئة مقننه وتغصب على الجميع بتقرطة ملونه  
أو مزودة بالفضه بعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون مافوق القحف من  
غطاء الرأس مكشوفاً من تلك النـ مـ ربطه وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

(١٣٨)

تكون بصورة التاج ممسوكة بمسالك من الفخاس ذققة صغيرة ويكن أذرعهم مكشوفات ويلبسن في أرجلهم أنواع الأحذية الأفريقية والاعيان يلبسن الجوارب والمخادعات يلبسن على نصفهن الأسفل فوق جميع الثياب از ارامن القطن أو مخلوطا بالخبر أو الحرير الصنف ملون أغلب ألوانه مائلة الى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم لم يكن شكل النسوة جيد الامن لبسهن واذا خرجن للطريق فالاعيان يلتحفن برداء أو طيماسان واسع ثم يدخلن في الكروسة وتدخل أى الكروسة الى داخل الدهليز لتركب المرأة في سائمتس دل ستارات الكروسة بحيث لا يرى من ركب فيها ونسوة الاواسط يلبسن عند الخروج رداء عريضا بالغ اقرب القدم ومنعط للرأس على هيئة ساترة بجميع أجزائها وعلى وجهها عجاير من الحرير الاسود وأطرافه مزوقة مغرور وفي غطاء رأسها بمسالك وتمسك طرفيه بيدها مع لفهما في رداءها وعلى رجليها ساقان عريضان من مذسوج مخين مطرز ونوعها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى العجاير فيعوض بلباس أسود ملفوف على الوجه مخين لا تظهر منه البشرة ولا تبان الا عيناه ونسوة اليهودية مثل ذلك الاساتر الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البلدان فهو على ذلك النوع غير انه ساترا أكثر لانه متدلى الى قرب الكعب والجبّة أوسع وبعضهن يمتنطقن بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبّة فعوضها رداء واسع تمسكه المرأة بمسالك كبار من فضة أو ذهب أو فخاس حذوكتن فيها عمامة الى الصدر وتمنطق عليه بحزام ويكون ساترا حتى الى الفخذين مع الاتساع غير انهن لا يلبسن السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فغطاء رؤسهن أجل من نسوة الحواضر وكثير من نسوة القرى مثلهن والجميع يلبسن من الخلى أنواعا شتى من القرطى الا الذين بعد ثقبهما منذ غرا البنت والاساور والخواتم والتهيجان وغير ذلك من المجوهرات القيمة والمساكنة بالماقوت والزمرد والؤلؤ وبعض الحواضر والقرى والاعراب يتخفن في أرجلهم أيضا كل على حسب الثروة واليسار

\* (مطابق في الاكل) \* أما أهل المحاضرة فاكلهم جامع بين أنواع كل أهل المشرق والمغرب والاورباوين بحيث لهم من كل أحسنه مما لا عيان والغالب في البلاد واعراهم واسائر بلادها هو طعام الكسكوس أو العصيدة وتزيد البلدان بالشكشوكة طعام من زيت وقديدو بصل وطماطم وفلفل وأغلب السكان يأكلون الطعام الحريف المسمى عندهم بالحارمن الغافل ويكثر من الأبرار الا البوادي فأغلب طعامهم بسيط

من

(١٢٩)

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة والابن واللحم المشوى وفى ولائم الأعراس بالمحاضر  
يكثرون أنواع الخبزات وهىئة الأكل عموماً هى الجلوس على الأرض اما على منصات  
أو بسط أو حصير ويوضع الطعام جلة وياً كلون من اناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب  
طعام واحد وأهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهى من خشب مدورة  
ارتفاعها عن الأرض نحو شبر وبهضهم يجعل عليها أوعى كرسى مثلها يطبق من الخشاس  
وفى بعض الاعيان ومتموظفى الحكومة صارت هيئة الأكل كما هى عند الافرنج وبعضهم  
صيرها بين وبين بحيث يؤكل من اناء واحد لكن بالشوكات والسكاكين والخبز له أنواع  
ففى العرب انما أن يكون منضجاً فى فرن يسمى الطابونة وهو حسن جداً يسمى المهيذ  
منه واما أن يكون الجبن غير مخزرو يشوى فى اناء من الطين وهو ردىة لقلته نضجه وعدم  
تخميره وكال النوعين موجود فى البلدان الا الحواضر فوجد الاول بقلته عند الاعيان  
على وجه النصف مكه والخبز الغالب فى المدن هو خبز مرتفع صغير قليل النضج مخزرو لذيذ ينضج فى  
الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذى يصنع فى الديار أنضج من الاول والاو لا يأكله  
الامن لاعتائله له أو الفـ قراه ذوو العيال وأما خصوص الحاضرة فقيمها ثمانية عشر نوعاً من  
الخبز كلها جيدة سايمة ناضجة على النحو الذى يعرف فى المشرق بالافرنجى وعادة الجميع  
فى الطبخ ان النسوة هن المكافات بهو يطبخن فى اليوم مرتين فطورا وهو عند الزوال  
وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطابخ فى الاسواق يطبخن بها الرجال لمن لا عائلته  
أو داره بعيدة عن محل ماعته وأغلب طبخها ردىة الا قليلا ومن طعام السوق الجيد  
القليل النظمير بك البيض فيشـ تريحه حتى الاعيان فى ديارهم لاذة أكله والغالب ان  
الاهالى زمن الصيف يدنرون مونة السنة من الكس ونوع مثله يسمى الحمص  
والقديد والابزار وأما الحطب فأنما يخزن فى أواخر الشتاء عند تقية شجر الزيتون لانه  
هو أغلب الحطب والقمح لا يطبخ به الا قليلا وبقية الماء كولات تشتري يومياً كاللحم  
والخضراوات ومنها شهر ياب أو أسبوعياً كالزيت والسكر والقهوة  
\*(مطابخ فى الأعراس والمواكب) أول المواكب فى عيد الاضحى والفطرو قد مر كيفية  
التمهيد على الوالى وأما الالهالى فيتزاررون بعضهم أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب  
كثير سيما اذ المجد الزائر المزارفانه يعود اليه ولومرارا يعطى للزائريه قهوة والاقارب  
يعطى لهم أنواع من الخبزات وفى جميع المواكب التحية بالتقبيل فالعظماء بالتقبيل  
أكفهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المتساويان فى الأكتاف وقاية لافى الأفواه

(١٤٠)

وبعض الأعراب يقبل كل يد صاحبه وتارة رأسه وكذلك يحصل موكب في المولد  
 النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على نحو ما مر تفصيله في الكلام على السياسة  
 وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وإنما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العيال وفي  
 عاشوراء تطلق النيران والبارود اعتقاداً منهم أن نيران الصبيان وكأنها نغزة باقية من  
 آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفي رمضان تتأفق أهل الحواضر سيما القساعدة في  
 الأكل وكل يدعوا أحباءه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو إنسان واحد مع صاحب  
 الدار ويصرفون في ذلك زيادة على العادة وأما المختار فأنهم يجعلون له وليمة مثل  
 العرس وسياً في بيانها وفي هذا زيادة وهي أن الطفل المختون يؤتى به قبل الختان من  
 مكتبته وهو لا يس لأجل لباسه الذي كتبه يرا ما يكون مقصداً بالفضة أو مطر زابط راز  
 السراجين ومعه تلاميذ الكتب بلباس جميلة أو نظيفة ويرفع رجل على رأس المختون  
 لوحاً من قواريط وفوفون في حوالى حارتهم وأمامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون  
 قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتحييهم التلامذة بيوت القصص يدعى الحان  
 جديدة رافعين أصواتهم إلى أن يصلوا إلى دار المختون فيقدم لهم موائد من الحلويات ثم  
 يختن الولد أحد الحلاقين المجاز لهم في ذلك بقص من حديد ثم يوضع في فراشه المروني  
 ثم يمدى إليه من أقارب وأوداء أبيه إماماً أو مصوغاً وأعلى الهدية قدر أربع مائة ريال  
 فسادون وقد كانت هاتاه العادة قصاراً المختار أكثره مخفياً يبدون هدية ولا غيرها  
 ويتناقشون في أخفائهم روايات منها قولهم أعانوا الذكاح وأخفوا المختار ولم توجه في  
 كتب الصحيح ولم نر نصلاً لصحة ما في المسألة سوى أني رأيت في الإحياء للغزالي الذي  
 هو شافعي أنه عد في أنواع السماع إلى أن السماع عند المختار وعنده حفظ القرآن  
 الخ فهو دال على أن اشهار المختار غير منهي عنه كما أنه غير مذنب لقوله وهو أي السماع  
 مباح أن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي  
 وقت الولادة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختان الخ فهو دال على عدم النهي عن  
 اشهاره فقط وأما الأعراس فإن الزوج بعد الخطبة يرسل المهر وأعماله الفار بال الأ  
 الأحرار والزراة فيريدون على ذلك إلى العشرين ألفاً ثم يرسل مع المهر هدية تسمى  
 الملاك وهو صندوق صغير مجلد بصفايح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر  
 مبرور وفيه سدايل من حرير مختلط بالفضة ثم صندوق آخر أصفر من الأول من فضة أو  
 ذهب أحياناً قد سم الوسط به قنينات مملوءة عطاراً وأسفلها أنواع من طيب الخور العنبر  
 والقمارى

(١٤١)

والقمارى ثم حقة من ذهب أو فضة فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب امداد بلون من سكة الاسميول أو قطعة مائة ريال ذهبا التوضع في كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير أو أزيد ملووة بالحناء الورق مخبطة على شكل مدور لكي تحفظ وتلف الحصر في ملاحف من قطن أو حرير ثم يحسن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع في طبق من الزعفران مكوّن من سوج من الحرير أو الفضة مغلى بمزيد مثل ذلك ثم قطعة من مصوغ مكال بالاجار ثم خرم من الشمع الابيض كل معصبة بالنقارط الحورية أو الفضة من ثلاثة خرم الى العشرين ثم شمعان أو أكثر كبريتان نحو الاسطوانة معصبة أيضا مثل ما ذكرتم ختم أى شمعة صورة كف آدمي كبيرة طولها نحو ذراعين غافق وتارة تكون أز يد من واحدة كلها من الشمع معصبة كما ذكرنا كالحناء ثم أطباق كبار من الزعفران قنطار غافق من السكر الابيض ويرسل ذلك الى دار العروس مع أقارب الزوج من النساء عشيّة وفي الليل تسرج دار العروس التي قد ريفت ودعى اليها النسوة من الأقارب والاحبة وترين العروس باجل لباس ويوضع على رأسها داء من مذسوج الفضة الخفيفة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وقوة ذلك الشموع المهداة لها وتجلس في بيت أبيها على مسطبة ومئة كمثات من الحرير أو الفضة ثم يمدى اليها من حضر مال لأز يدفء من مائة ريال ثم تحنى يداها بالحناء المهداة بعد وضع قطعة الذهب في كفها الايمن وينفصل الموكب بعد ان تعشى النسوة الضيوف ويفطرن صباحا و يتنأى أبو العروس الى انفاق الاموال فيجعل لابنته ملبوسات لا تلبس الا يوما كالقمصة الكبرى وما والاها وهى حبة كبرى من نوع من الفضة المذسوجة مخيطة دقيقة تتكاف بنحو ألف ريال ويتبعها سراويل مثلها وهكذا مما لا يلبس الا يوما أو يومين مع البسة أخرى معتادة للتجمل والعمادة مما يكفها سنة أو أز يد مع كسوة لبنت زوجها من فرش الصوف والارضية والساتر للابواب والاميرة والمئة كمثات كلها من نوع القمصة من الفضة والهدس الذى لا تكفى به البيت الأسبوعا واحدا فيصرف أبوها اضعاف الاصل من المهر وبعد أسبوع من عرسها يتباع تلك الاشياء بما يبلغ الربع من ثمنها الاصل وعند العرس يحضر الزوج داره ويقيم بيته فارغا لا أحدهم قاصيره من لا يجعل فيه ما لا تأتى به المرأة كما يجعل الاسرة في البيت والساعات والمرايات والبساط وقيل ليله العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقاة فى أحد المساجد عند صلاة العصر لمن دعا الزوج وأما المدعوون من أب الزوجة فيقدمون الى

(١٤٣)

داره تواقم يقدم أب الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار  
من ينهت وبوسطها جميع الجهار الذي أحضر للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة  
يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعية وتارة لبعض الأعيان  
يخطب أحد أهل المجلس الشرعي أو غيرهم من العلماء ويقع الاحتجاب والقبول ولا يكون  
من الزوج والزوجة بأنفسهما بل إن كان لهما أب فهو أولى أو ولي آخر أو وكيل وبعد  
ذلك تقرأ الفاتحة من المحاضرين الذين يبلغون أحياناً إلى ألف فمادونتها ونصيق بهم  
دار الزوجة ورسمالاتهم الدار لانه كثير ما لا يتفاهم الأصهار على عدد المدعوين  
وان وقع التفاهم وكانت الدار لاتحمله جعل العقد في أحد المساجد ليسع الجميع ثم  
يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكرفيه أنواع الطيب ثم يرشون بعباء الطيب وينصرفون  
الاختصاص من الاحباء فيرفعون الجهار على حيوانات يطاف به في البلاد ليرى به صر  
وبسمع واع وفرش به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات  
الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة في إحدى البيوت حولها كراسي ويديعى اليها مئآت  
من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كما جاء فوج أدخل أعيانه ليرى بيت الزوج  
ثم أدخلوا جميعاً الى المساندة فبدأ كل شياً يسير من الحلوى يشرب قايل من المشروبات  
الملونة الحلوة يقرؤون الفاتحة وينصرفون ثم ترفع المأكولات والمشروبات لتعود  
كصالحها ويدخل اليها فوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعوض عنها بعشاء في النصف  
الثاني من النهار وهو مختوع على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على  
مائدة واحدة وتدخل عليه الناس أيضاً كما مر غير ان الاكل منه أكثر من السابق وان لم  
يكن حقيقة لا شبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد احباء الزوج  
وأقربائه ثم يوثق بالعروس بعد الغروب هي وقرابتها في كراريس برساها الزوج وأوليه  
ويذهب للآتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدي الى العروس في ليلة العرس ما يسمى  
قصان الدلال والمهدية على أقرباء الزوج وكذلك في ليلة الوطئة الكبرى وهي قبل  
العرس بثلاثة أيام للخدمة للعروس والمهدي قرابة العروس كما تهدي العروس للزوج  
وبعض الرجال من قرابته كايه وأخيه شيئاً من الملبوس وبعد خروج العروس من دار  
أبيها تجتمع حنالة النسوة اللائي يرون الذهاب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع  
ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن  
هؤلاء يمشون في مقدم الموكب والآخرين في آخره والنسوة في الوسط ويصرون بولون

(١٤٣)

في الطريق ويدقن الابواب ويصرخن باسمه يامعدي ثم يدخل الزوج على عروسه  
ويعمل الخلوة الصحيحة ويخرج ولايات ولا يعرسون الا ليلة الجمعة والاثنين والخميس  
ولا يعرسون في الحرم تشاؤما وبسبب ما تقدم من كثرة المصاريف عضلت بنات من  
يخشى على عرضه وتفقرت اقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقريب مما يرفع في البلدان  
والقرى يخرج فيه ذلك بمادات العربان وهي ان يعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه  
شيء من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوج - تكسو ابنته وعليه شيء من لباس  
الزوج ثم يأتي باعرس لبيت زوجها في محفل على ظهر حمارين بالثياب الرفيعة  
والحلي وحوله أفواج من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبل يعزف والبارود  
يصرخ وتارة الخيل والفرسان تلعب الى ان تصل لبيت زوجها ويجعل لهم أبو الزوج  
وايعة قسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شخص حبة في يده من رطل أو امرأة  
واللحم موضوع في قفة ثم تقدم قصع الكسكووان أخذ حمة فوجدها غلما أن  
بردها وأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذك يطاق البارود  
وتعان النساء بالولادة ثم يقون بين غناه وسرور والغناء من الغنائين والرجال تدهم  
بالمال شيئا فشيئا لكن يعطون قطعا من الخماس فلا يصرفون كثيرا غالبا والنسوة  
ضاربات خورهن على جيوبهن وهن منصات وتارة يغنين والرجال يسهون كما كان  
اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الوليمة وتحضرهم عاهرات  
مغنيات اذ ملق النسوة لا تغنين أبدا ولو بين ايدي زواجهن والغالب على اصحاب  
الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان كثيرا من المسلمين يتحاشون منهم ما تقدم في مطلب  
الصنائع وذلك كله في غير الموسيقى العسكورية فانها على النحو الاربابوي ومثلها  
موسيقى الاربابو بين في تونس ويصنع مثل ما تقدم ايضا ليلة السابع من العرس وهي  
ختامه وتارة تجعل لولادة وهي حضر احد كبار العلماء اسكنت الموسيقى  
لكن وقع النساء في ذلك الآن واما الممات فاذ مات انسان بكى عليه النسوة برفع  
صوت وتارة يغنين عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنائز يفعلون مثل  
ذلك ثم عند الاتيان بما يعطى به النعش بعد الدفن يفعلون ذلك وعند الموت يفرغ بيت  
الرجل مما به من الاثاث واما المرأة فلا تمحضر قراء القرآن حوله وهو مكره  
شربا للاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم غسله يوثق بخواتم  
يكبرون ويهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يوثق بالقراء والمتمسكين الى زوايا

(١٤٤)

الصالحين بعد التمسكين وكل يقرأ ما القرآن أو أراد للشيخ المتقربين إليه وهو من  
البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع في تابوت من خشب ويحمل على النعش ويصير  
كل من أولئك الفرق يصيحون بالقراءة والتسكيب - ير - وغير ذلك وهو حرام أو مكره  
اذقراءة القرآن في الطريق لا تجوز لما فيه من النجاسة المحقة سيما بعض الطرق  
في الحاضرة ثم يصلى عليه في صحن المسجد أو عند القبر وهو الأفضل ثم يدفن  
وتقف أقر باؤه للعزاء فيتعجبون ويتعجبون من تقبيل كل من قدم للجنازة وقم المحلة يصيح  
بقوله أنا بكم الله كل خطوة بحسنة الخ من البدع ثم في اليوم الثالث والسادس والخامس  
عشر والأربعين والعام يجعل في دار الميت موكب تجمع فيه النسوة للبكاء وسرا وتارة جهورا  
وتجتمع الرجال بالأسنة ندعاء الأفي اليومين الأولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة  
تكون بنفن والحاصل أن جميع ما يفعل في ذلك هو من البدع المحرمة لا بدعها فاضلا  
عنها أشقل عليه من الأفعال المحرمة لئلا تهم الأما كان منها مشروعا كالغسل والكفن  
والصلاة والدفن وإهداء الأكل لاهل الميت أيام موته لافي الأساس وما بعده وما أحق  
ذلك الموطن باتباع الشرع اذهو واجب في كل حال فاضلا عن حال هو أول درجة من  
درجات الاسخرة ومن ملحقات ذلك البناء لذات القبر وبناء القباب والرخام والاسرافات  
في القابر وهي أغلأ خارج البلدان الا قليلا في الحاضرة وهاتيك البدع قليلة في قبائل  
العربان لكن فيهم المثلثات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم  
ومطلب في اللغة لغة جميع أهل القطر هي العربية وهم أفصح من رأيت على العموم  
بالنطق بجميع الحرف العربية الا القاف فيبذلها غير المحواض بكاف أعجمية وقد  
ورد أنها لغة ويستفد بعضهم حتى الى حديث لكنه مروي من مائة من المعلوم أن مثل ذلك  
لا يبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربية فقد أدخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو  
أعجمية فنهاما كان من أصل لغة السكان البربر كلفظ كسطة أى عمامة وقولأ الا أن  
ولأ أى سيده ولأ زلات لغتهم في جهات جبال ورفجة من الاعراض وجربة مستعملة  
فيما بينهم ومنهما ما كان من لغة الطليان كالفاظ فيشواى جيم - دو مركاتى أى تاجر كبير  
وكرته أى ورق اللعب ومنهما ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذا وهم كذا وقولهم في النسبة  
فهواجى وبلغاسجى وجاسجى الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش  
اصلها ما نحب شيئا ولهذا كثر استعمال الشين في لسانهم حتى كاد أن تكون عندهم  
كشكة مع أنهم يبدؤن بالساكن والحاصل أن لسانهم عربى محرف وفي الحواضر



(١٤٥)

لا يذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظه في فيقول سي فلان وكانها من سيدي ثم في  
المكاتبات الناس على ثلاث درجات فيكتب الاكفأ بعضهم سيدي فلان ومن كان دونه  
يسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سي فلان واما اذا كان خادمه أو تابعه  
فيكتب ابنا أو ولدنا فلان وهي اصطلاح خطاب الوالي في جميع مكاتباته الالاعام  
فيكتب الشيخ سي فلان ثم ان اللقب لا بد منه في الكتابة بحيث لا يتبدل انما يدون لقب  
والشهود يذون في كتابته م الكنية لكن بالكنية العامة مثلا كل من اسمه علي  
يكنى أبا الحسن وهكذا (واما) البوادي وغالب القرى فخطاباتهم وكتابتهم من دون  
تسديد ولا لقب وانما يذنبون الى الاباء فيقال فلان بن فلان وأغلب البلدان لم تحلة  
في لغتهم م يكاد المساهران يعلم بها المتكلم من أي بلدة والغريب أزدلك كائن ولو مع  
تقارب البلدان فان اربانة التي لا تبعه عن الحاضرة اربعة أميال لغة أهلها فيها  
تحلة بعيدة عن لغة أهل الحاضرة بل الاغرب أن اليهود الساكنين في الحاضرة مع  
أهل الحاضرة جنب الحارة ترى لغتهم م فيم يتميز كبير عن لغة المسلمين في كلمات كثيرة  
كقولهم الم حين يفتح النون أي الا<sup>ن</sup> و بلغة أهل تونس نو وكقالبهم الشيء سينا وغير  
ذلك وأظن أن العلة في ذلك هي التريسة من الصغر في الدار فيجري عليهم بالاسان  
ولو بهدالكبر والمخاطبة وهذا واقع في اللغات الاخرى أيضا فاصل اللغة وان كان  
واحد الاكن التحلة مختلفة كما في أهل مرسيليا وباريس في اللغة افرانساوية وكما في  
لغة أهل الاسنانية وبقية الاناطولي في اللغة التركية بل هذا موجود حتى في أصل اللغة  
العربية فان قبائلها كل منهم له تحلة ولغة لا تفهم عندهم م وقد عدم من مجزات  
نينا سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقبل حتى في غبر اللغات العربية  
وليس ذلك بغريب ومما ثبت في الصحيح في اللغات العربية ما رواه القاضي عياض في  
الشفاء حيث قال فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلي الله عليه وسلم  
من ذلك بالهل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع وبراهة منزع وإيجاز  
مقطع وفصاحة لفظ وبجالة قول وصحة معان وقلة تكاف أوتى جوامع الكلام  
وخص به دائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بالاسانها ويحاورها  
بالانها وباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يستلونه في غير موطن  
عن شرح كلامه ونفسه برفله من تأمل حديثه وسيره ع لم ذلك وتحققه وليس  
كلامه مع قريبش والانصار وأهل المجاز ونجد ككلامه مع ذي المشاعر الممداني

(١٤٦)

وطهفة الهندى وقطان بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من قبائل ضمر موت وملوك اليمن وانظر كتابه الى هـ - دان انكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علفها وترعون عفاها النامن دفعهـم وصرامهـم ماسلوا بالميناق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعامهم فيها الضالع والقارح وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللههم بآؤك لهم في محضها ومحضها أومذقها وابعث راعيها في الدثر واجفر له النجد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آقى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان محصلا لكم يابني هـ - ودائع الشرك ووضائع الملك لا تاطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تنأقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة واكم الفارض والفريش وذوالعنان الركوب والفلق الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعصد طلعكم ولا يجس دركم مالم تضرروا الا ما قوتوا كلوا الزباقي من أقرقه الوفا بالعهد والمذمة ومن أنى فعله الربوة وفي كتابه لوائيل بن حجر الى الاقبال العبايلة والارواح المشاييد وفيه في التبعة شاة لا مقورة الا لياط ولا ضناك وانظروا النجعة وفي السيوب الخمس ومن زناهم بكر فاصفعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زناهم نيب فضر جوهه بالااضاميم ولا توصيم في الدين ولا غنة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقبال ابن هذامن كتابه صلى الله عليه وسلم لانس في الصدقة المشهورا كان كلامه هو لا على هذا المحدث وبلاغتهم هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعمالها منهم لبيب الناس ما نزل اليهم ولا يحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدى فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة فكما نارسول الله صلى الله عليه وسلم باغتنا وقوله عليه السلام في حديث العامى حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك أى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد صلى الله عليه وسلم وفصاحته المنة واللوعة وجوامع كله وحكمه الماثورة فقد ألف الناس فيها المداوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يسارى بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تنكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كسنان المشط والمر مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس مادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار مالم يتكلم ورحم الله عبدا قال خبير افغم أو سكت فسلم وقوله عليه

عليه



(١٤٨)

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثاني  
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف  
في المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ  
محمد بيرم أفندي الخامس ونحضره هجده  
على يد الفقير إليه تعالى  
مصطفى محمد  
قشيشه  
ويليه الجزء الثالث افتتحه الباب الثالث في إيطاليا

\*(الطبعة الاولى)\*

(بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣)

(١)

\* (تنبيه) \*

يوجد في جدول الاحصاءات بالجزء الاول ميم مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معدوم أى لا وجود له وقد غفلنا عن اتياءات ذلك في عمله فأتيناها هنا للتنبيه القارئ

\* (فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار) \*

جميعه

- ٢ المطلب الرابع في السياسة الداخلية من العائلة المحمدية بنونس
- ٢ الوظائف السياسية والعسكرية
- ٢ بيان الانقلاب التي تحلى بها أتباعهم وأعوانهم
- ٣ بيان الوظائف العلمية
- ٤ بيان ما يتعلق بالجباية وصرفها
- ٤ بيان مرتبات شيوخ الاسلام على وظائفه العلمية
- ٦ بيان ولاية أجد باشا وأعماله في القطر
- ٧ بيان ما صنعه الوزير مصطفى خردار ومحمد بن عياد من تحميل القطر ما لا يطبق وذهاب ابن عياد الى فرانسا وأخذ الحجابة منها
- ٨ ما تولى أجد باشا
- ٩ ولاية محمد باشا في سنة ١٢٧١ وكان أكبرهم رفع المظالم عن الرعايا وجلب نروتم
- ١١ بيان انشاء عهد الامان وقراءته في موكب شامل بجميع الموظفين والاعيان
- ١٤ كيفية المجلس الذي عقده الوالى مع الوزراء
- ١٤ جلب ما زرعوا
- ١٥ بيان دخل الحكومة حين حصص لها الثروة
- ١٦ ما تولى محمد باشا
- ١٧ ولاية المصادق باشا
- ١٨ صورة اليمين التي حلف بها المشير محمد المصادق باشا
- ١٩ المطلب الخامس في وزارة مصطفى خردار

(٢)

مكتبة

- ٢٢ بعض آيات من قصيدة يستغاث بها القطب الصالح سيدى أحمد التيجاني  
٢٣ مبدؤ الدين على الحكومة  
٢٤ ابتداء الثورة ومبدأ أبطال القانون  
٢٦ تسجيل الفضائل على توقيف القوانين  
٣٠ تسجيلهم على قتل الوزراء  
٣٢ صورة مارآه المؤلف بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاية في معرض ما حصل من  
أحمد زروق  
٣٥ صورة ما كتبه المؤلف لصدیق له طالب منه نسخة من ضرب مثل للعالم المذکور  
في القطر التونسي  
٤٠ كيفية تشكيل اللجنة المختلطة من الاهالي والاجانب المسماة بالكومسيون المسالى  
٤٩ المطالب السادس في وزارة الوزير خير الدين باشا  
٥٤ ولايته وزير امثرا وترتيب الوزارة  
٥٤ أنواع مساعيه  
٥٥ بيان مداخيل الحكومة وتقسيمها الى قسمين  
٦٢ ولاية الوزارة الكبرى  
٧٣ الابيات التي تنشد في المولد النبوى مع غاية التعظيم  
٧٥ أول اعتراض على الوزير المذکور في سكة الحديد المغربية  
٨١ عدم تنقيص فايز الدين  
٨٢ عدم انشائه القوانين  
٨٥ صورة ما كتبه الوالى للوزير خير الدين  
٨٦ أسباب استعفاؤه  
٨٨ بيان نائب الدولة العائمة الاعانة العسكرية من حكومة تونس  
٩٤ المطالب السابع في وزارة محمد خرندار  
٩٧ المطالب الثامن في وزارة مصطفى بن اسمعيل  
٩٩ نازلة يوسف بن عطار  
١٠٢ وصل سكة الحديد بالجزائر

(٣)

مجموعه

- ١٠٥ مسئلة صاندى
- ١٠٧ بقية الامور الحاصلة فى وزارته
- ١١٥ فصل فى بعض عوائد اهل القطر وصفاتهم
- ١١٥ اقسام الاهالى
- ١١٩ مطلب فى التجارة
- ١٢٠ السفن التجارية الواردة
- ١٣٠ حمل السلع برا
- ١٢٠ مطلب فى ترتيب الاحكام
- ١٢١ ادارة الوزارة
- ١٢١ ادارة الاعمال
- ١٢٣ المحكام الشرعيون
- ١٢٥ قابض المال
- ١٢٥ العدول والسجلات
- ١٢٥ بقية الوظائف
- ١٢٥ الضابطيه
- ١٢٥ مطالب فى المعارف الموجودة الآن ومناخها جامع الزيتونه من الحاضرة
- ١٢٦ المدارس وتلاميذها
- ١٢٦ المعارف فى جهات القطر
- ١٢٧ مطلب فى الصنائع
- ١٣٠ مطلب فى المساكن والطرق
- ١٣٥ مطلب فى ملابس اهلها
- ١٣٨ مطلب فى الاكل
- ١٣٩ مطلب فى الاعراس والمواكب
- ١٤٤ مطلب فى اللغة
- ١٤٦ فصل فى قوة الحكومة الخيرية والمالية



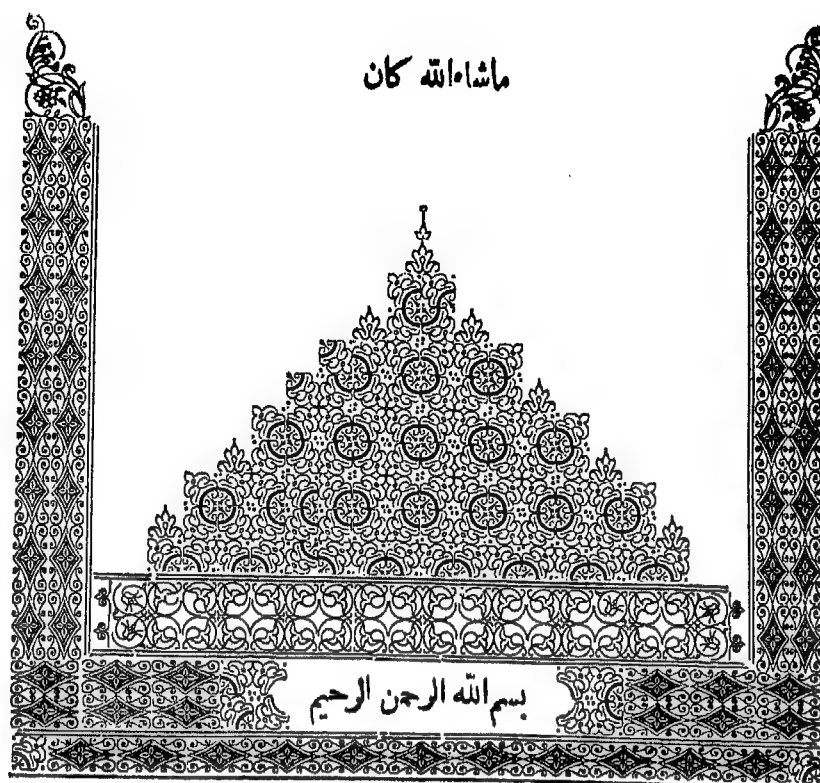


الجزء الثالث من كتاب صورة الاعتبار بمسند وفتح الامصار  
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ  
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء  
وحيه مدعصره وفريدهه  
الشيخ محمد دبيرم الخامس  
التونسي نفعنا الله  
به وبعلومه  
آمين

﴿ لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾  
﴿ تجارى على ذلك بما حكم حسب القوانين ﴾

﴿ طبعة أولى ﴾

﴿ بالطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية ﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## ال باب الثالث فى اى طالى

فصل فى سفرى اليها وما رأيت به الماسا كثر في المرض العصبى فى صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره فى الباب الاول من المقصد وأشارت على الاطباء بالسفر الى أوروبا هزمت على ذلك فى شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى وانرنبر الا بجمعى واسـ تاذنت الحكومة فنيكتب لى على عادة المسافر بن بطاقة الجواز بالاذن فى السفر من مرسى حاق الوادى وهى بطاقة علم اشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرا نساوى وتارة بالعربى وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان بلدة أفريقية كتبت بالفرا نساوى وان كانت اسلامية كتبت بالعربى وهذه العادة بثـ اذا كرا الجواز معمول به فى أكـ كثر المسالك وبعض المسالك يتركونها فلا يحتاج الدخـ ل ولا الخـ راج لاذن وركبت من المرسى المذكورة فى التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٢ وكان معى خادمان أحدهما بـ تكام باللسان الطليانى والفرا نساوى والامـ انى والعربى وصاحبى فى هاته الجهة العالم النعمر بر المنبحر فى علمى المعقول والمنقول الشيخ سالم أبو حاجب أحد أفاضل مدرسى

جامع

(٣)

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية في إيطاليا مع وزير الاشارة أمير الامراء حسين في  
 خصومة تتعلق باحد اتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمسانة الذي كان مكلفا  
 بقبض أموال الحكومة وشراء المهنجات اليها وخروج من القطر بدون تصريح للحساب معه  
 كما في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين  
 فرائسها وإيطاليا الى ان مات في بلده ففروا من إيطاليا وطلبت الحكومة من وراثته تحرير  
 الحساب وكذا أن يقع صلح بينهما ثم خرج الوريثة كما مر ذكر ذلك في ترجمة الوزير  
 المذكور ولذلك لزم الحكومة أن عينت أحدهم وزيراً لها وهو أمير الامراء حسين ومعه  
 العالم الشيخ سالم لطالب الحساب وتوقيف التركة فذهبوا الى هناك وباشروا النازلة وطالت  
 المدة فراجع الشيخ المشار اليه الى تونس لبعض مصالح ثم عاد الى مأموريته وكان من  
 المنفعة الالهية التصاحب معه فركبنا باخرة البريد الطليانية المسماة بغور يا ونزلنا في  
 الطبقة الاولى وكان كراه الواحد فيهما من تونس الى نابلي مائة وعشرين فرساً وكاوأما في  
 الطبقة الثانية فثمانون فرساً وكاوأما في الثالثة فعشرون فرساً كالان الاولى والثانية  
 كلاهما يعطى الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها العمل فقط مع الاختلاف في المكان  
 والفرش والاكل فكل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بنحو خمس  
 ساعات وكان في البخرة شيء من الاضطراب فحصل لي شيء من الدوار واشتد الامر لما جاؤنا  
 رأس غار الملح فاضطجعت في فراشي وأوقى الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا  
 الدوار البهري من أشد الامراض بان يصاب به وبعض من الناس لا يعثر به شيء منه  
 وان لم يكن متعباً وقد كنت قبل الركوب استعجيت بإشارة الطبيب ثلاثة حقنات في  
 الجأء من العلاج المسكن لكي لا يزيد على ألم البحر الالم العصبي ومن فضل الله عليه ترصني  
 ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردينيا قرب  
 مرسى كالاري فدخات الباخرة في جون محاط بالجمال عن بعد فوسكن البحر ونشطت وهو  
 من غرائب مرض البحر اذ شدته تقضي ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك  
 لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الاقلا ولا تنشط صعدت الى سطح الباخرة  
 فرأيت الجمال محبطة بنا وهي جمال أكثرها صلباً لا غابات بها ونظرها اليك بحسن  
 وأقامها خال عن العمران لان التمدن لم ينسب في تلك الجزيرة ولم تنزل سائرين في ذلك  
 الجون فهو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسدنا في  
 مرسى كالاري التي هي تابعة لإيطاليا وكان ذلك صبح يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

(٤)

بالمرسى مبنية بالرصيف لا من السفن بحيث تستطیع أعظم سفينة ان تلمس فی البر مع  
الامن من اضطراب البحر والاصقة بالبر ينزل سلمها على ذات البر وفي المرسى كثير من  
السفن والبواخر لان موقعها متوسط فيا تيمها البر يمدن جهات و يفرق على بواخر كل  
تذهب الى جهة من الممالك الشرقية والغربية ثم يحمل من الجزيرة في السفن الملح  
والغلال والاعمال الى كثير من الجهات ثم نزلنا من الباخرة في زورق كراؤه فرنك واحد  
والزوارق كثيرة تحيط بالبحر وأصحابها سيوا لالاخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب  
قبل المساومة في الاجراف اذا نزل طلبوا منه أضعاف القيمة و ربحا سر قواما وجدوه معه ان  
امكنهم وذلك ديدنهم في كل المراسى لئلا يناسوا ومنافق لالركوب و دخلنا البلد فاذا هي  
بلد غير متحصنة وأغاب طرقها ضيق وأبديتها على النحوالا وروباوى الا تقي بيانه ولا  
تزيد طبقات دورها على أربعة وهى بلدة متصاعدة في الجبل وطرقها جميعا مبلطة  
فالذى ترفيه البهلات يكون محصنا وغيره محجر بحجارة غير مسواة ولذلك كان منظرها  
والمشى بها متعبا وترى الجبال ممتدة بين شيايك الديار من احدى الجهات الى ما  
يقابلها من الجهات الا انفسه ولة عليهم ساو فرش الديار مثل الفرش الارو باو وية و باعلى  
البلد بسنجان عجمي منزه للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية لاسلط العامة عشيية  
الاحد والاعباد وفيه ما نابح حلوه به أشجار صنوبرية هيأت للبيع في أوقاتها وفي البلد  
منازل للمسافرين منها الحسن ومنها ما هو دونه و بها حوانيت و بضاآت غير متسعة جدا  
و بها قه اوى و يباع بحوانيتها جميع ما يوجدها بالامن الضروريات والمخارجيات  
والتسقيفيات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم في مبادئ الفنون و بها مطابع أيضا وفيها  
صحف يومية نحو الاربعة وهوا الالدردي تكثر فيها المجليات في الصبيف للجسا ورثها  
لسخنة وهاته السخنة يستخدم فيها اصحاب الجرائم القليلة المحكوم عليهم من محاكم  
الاطالبا وفيها معمل كبير من البناء لذلك محلوله الماء في قنارة من البناء مجتازة  
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناس طر وبسبب تلك السخنة فسددهوا كالارى حتى يقال ان  
عدد اهلها كل عام في نقصان وقد شرع في مدطريق جديدة من هاته البلدة التي  
موقعها في الجنوب الغربي من الجزيرة التي هي مسطيلة من الجنوب الى الشمال  
وينتمى الطريق في الشمال الى الشرق من الجزيرة غير انه لم يتم الى الآن ولا زال العمل  
فيه ثم اهل البلدة على قسمين (الاول) الاعيان والوافدون وكلاهما بالاسهم مثل لباس  
الاروباوين (والثاني) بقية الاهالى ومنهم بقية سكان البوادي والقرى في الجزيرة  
يلبسون

(٥)

يلبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلي البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هي صدرية وممتدان وسراويل ونحو السراويل التونسية لكي يمكن يجعلون على الساق ألبسة مربوطة والنعال خشبة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عرايق من الصوف أو قلائس من الصوف المنسوج طوال مدلاة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريبات من نسوة أوروبا لكن على شكل غير نضروفي أرجل أغلبهن قباقيب من خشب ولغتهم طليانية والغالب هو عدم التمدن والاكل رخيص هناك فالقهوة ثلاثة مناطب صاحبها مناسبة تصولدى والفرنك به عشرون صولدى كل صولدى خمسة سنانيم ثم ركنها بالبحر أخرى وهي التي توصلنا إلى نابلي بعد أن أحسننا إلى خدمة الطهي التي كنا فيها وذلك من اللوازم في البواخر وكذلك الأحسان لحادى المطاعم والقهى ومقدار الأحسان نحو خمسة في المائة مما يدفعه المدافع فان كان أقل نوزع في ذلك وان زاد شكره ونقلنا رحلتنا إلى الثانية فقلعت قرب الغروب وتوجهنا إلى نابلي فلم نزل البواخر سائرة والبحر ساكن إلى أن نخر جنان البحر والسمك الباخرة متوجهة إلى الشرق وأرخبى الظلام سدوله فقمنا في مضاجعنا إلى الصبح فاستيقظنا بكرة وحيث كان البحر في سكون كان يستطيع الإنسان أداء جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس أول ما كنا نشهنا قرب نابلي جزيرة اسكوبا بها جبل مرتفع وهي تحتوى على قرى كثيرة ولها منظر جميل من بعد دلارتها مع مبانيها وترويقها من خارج ثم ظهر روبركان نابلي وهو جبل مرتفع متصاعدا من قمته دخان ثم وصلنا إلى مرسى نابلي والبلد في سفح الجبل وهي أكبر مدن إيطاليا وكانت تحت الملك الناباغان وسكانها نحو أربع مائة ألف نسمة وهي محيطة بحجون في البحر على شكل هلال والمرسى في الوسط وهي مرسى صناعية أكبر من مرسى كالارى غير أن السفن في وقت وصولنا إليها أقل من الأولى فتعرض لنا عند انسياء البواخر أحد المعارف في زورق لانه باعها خبر قدومنا بملك الإشارة من كالارى فاصطحبنا جميعا ومررنا بوسط الكرك ونظرنا كيفون بهرحانا فلم يجدوا به شيئا يؤدى الكرك سوى شئ من النشوق وما الزهر فاخذوا ما علموا من الضريبة ثم ركننا بكر وسنتين من الكرك ريس الموج ودة في بطحاء الكرك مهيأتان يربدا الركوب وهي كرايس نظيفة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذى يتخففه إلى خاف ومثلها موجود في أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجربها الخيل وأما عجلات جبل الأتقال فتجربها الخيل والبالغ واليقروها كذا في غيرها من البلدان غير أن البحر

(٦)

لا تستعمل في الجرح في أعلى إيطاليا وفرنسا ثم نزلنا بأحد منازل المسافرين بعد أن ردنا فيه  
 بيوتنا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبعات له شباميك تفتح على تفتح واسع  
 يسمى طريق البوسطة وله شباميك على بطحاء واسعة بها فوارتان للماء العذب المجلوب  
 من الجبل الموزع على البلاد وعلى ديارها وسائر مساكنها وكان الكرواء لا يرتفع في اليوم  
 للسكنى والأكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه  
 الإنسان يوثق به إليه لكنه يحسب عليه ثمنه كالورق للكتابة والشمع وغير ذلك بحيث  
 أنه كلما يطلبه يجده وإنما ينبغي للإنسان أن يساوم مدير المنزل قبل الايمان بالشيء  
 المطلوب والأفانه يحمل عليه بأسعار باهظة وأما الأشياء الضرورية فهي داخله في  
 اجرة السكن والأكل وهي ان يجد الإنسان بيتا ذا فراش للنوم بغطائه ولوازمه وكراسي  
 مكسوة بالخرير وخزنة وعليها امرأة وساعة وسائر الضروريات ومصباح وشعاع  
 ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من المساء عند الغسل وهكذا  
 سائر الضروريات الأبريق للمستراح فيمنه في حمله الى جميع جهات أوربا بالذلا يوجد  
 عندهم وليسوا بعمودين عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية والنظافة كما  
 انهم في أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الأكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الإنسان يديه  
 وجهه في بيته ويأتي بيت الطعام بشباب نظيفة غير أن من أراد غسل وجهه وأصابه بعد  
 الأكل فله أن يطلب من الخادم في بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بخصن فيه  
 قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كأس به ماء حار قليل لا مخلوط بشيء من رائحة الطيب  
 فيتمضمض به ويحجم الماء في القدح ويدخل أصابعه في الكأس ويمسح بها شفته ثم يمسح  
 في منديل ثم ان بيت السكنى مقروش بالزرابي وعلى أبوابه أردية رفيعة وهو في غاية  
 النظافة وله خادم لتنظيف المبيت وتميئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعوا الساكن الخادم  
 فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الأكل صبا حاثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل  
 واردة الفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهيئ  
 للكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة أخرى بحضور الساكنين من  
 بيوتهم الى بيت الطعام وهو بيت مقدس فيه مائدة كبيرة أو أواني يجلس عليها  
 الحاضرون فوق كرسي ويفرق عليهم الأكل سواء الاغاب أن يكون أربعة أنواع أو  
 خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الحب بن ثفا كهيئة ثمينه صنفون ومن أراد  
 الأكل في بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه بزيادة في الثمن أو يعطى أقل من ألوان  
 المائدة

(٧)

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو في الأغلب بعد الفطور بسمع ساعات ولما كان  
المسافر يريد التفرج فالأولى أن لا يكثرى المنزل إلا للسكنى وأما الأكل فيصعب له رسوم  
خاصة لكل أكلة إن حضراً كل والأفلاحيسب عليه شيء لكي لا يلزمه الحضور والاكل  
في محل واحد وأنه يخسر عنده من لال كل باعطاء عن الاكل في منزل السكنى ثم في المكان  
الذي يأكل به وإذا خرج المسافر يقفل بيته ويعطى مفتاحه لصاحب الباب لكي  
يكون رحله في أمن اذ يعتري السرقة في البيوت أحياناً سيما في نابلي ولا يطالب صاحب  
المنزل بما يسرق الا اذا كانت الاشياء المسرقة ضرورياً وضعها في البيت كالصندوق  
وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولذلك ينبغي أن له شيء من ذلك أن يحمله معه أو يضعه  
في أحد البنوك لأن وضعه عند صاحب المنزل محطرون وأن أخذته حجة في ذلك اذ يحفل  
أفلاسه فتذهب الامانة سدى ولذلك يكون الاوفى للمسافر أن يحمل معه من المال  
العين شيئاً قليلاً وبقية ماله يصرفه بتذاكر بانكسات معتبرة كبنك فرانسا أو بنك كاتر  
ويحمله معه أينما ذهب تحفظها ويسير معهما أراد عين المال يصرف تذكرة من  
تلك التذاكر عن أى صرف أراد بل ربما يصح فيها اذ خصوص تذكرة البنك  
الفرانساوى والاكتيزى يرغب فيها أزيد من المال العين ولذلك يؤخذ علمانصف  
في المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذكرة بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف في غيرها  
لكنها وفي ذات علمانكتما تعطى الصرف أقل من قيمتها مثلاً التذكرة المسمى بمائة فرنك  
من بنوك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطى مائة فرنك عينا وتأخذ  
مائة وثلاثة عشر ورقاوهاته الأوراق هي التي بها الرواج في ايطاليا بحيث انها هي المعنية  
عند الاطلاق وفي ايطاليا عدة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذاكر بنك الدولة  
فانها تروج في جميع ايطاليا سواء أمانتاً كبنوك صيارفة أو فلا تروج الا في خصوص  
البلدان التي فيها البنك فمثلاً تذاكر بنك نابلي لا تصرف في رومة أو غيرها من مدن  
ايطاليا فضلاً عن غيرها فينبغي لمن سافر أن يتنبه لهذا وقد أقنعنا بنابلي ثمانية أيام  
وتفرجنا على أغلب جهاتها وغراها وأشهر طرقها المحسنة البهجة هو طريق توليد وهو  
متسع عامر بميناً وشمالاً بالقصور الشهية وبأسفلها الحوانيت للبضائع والتحف الانيقة  
ويقرب منه في المنظر طريق البوسطة وطريق الدومو ثم طريق جديد يسمى فوريدو  
وهو أوسع من غيره وأبرزه وعلى حافته الاشجار لكن القصور التي حوله لم يكن انتظامها  
اذذاك وهو في الجهة العليا من البلاد ومجاورة بطحات أشهرها وأكبرها التي أمام قصر

(٨)

الملك ويحيط بها قهاوى ومحلات لالا كل ومن المباني الشهيرة التي رأيته فيها قصر الملك الذى فى البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار وفوايع مياه تطل عليه شبايك القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها سكن الملك هى الطبقة الثمانية وهو قصر ضخم متقن البناء والتحصين والتزويق يشتمل على كنيسة وعلى ملهى خصوصى للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها فى السكنى من فرش وأواني طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منظم كان الملك ساكن فيه والحال انه لا يأتبه إلا أحيانا فى بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لان مقر الحكومة مدينة قروية لكن لما كانت نابلى سابقا قاعدة مملكة الناباطين وكانت ملوكها مستبدين أشادوا وماشاءوا فى قصورهم وبقي التحفظ عليهم على ما كانت عليه وهما خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هناك لا يستحق تجلبب شئ معه سوى ما يوسه ويمكن له عقد الولائم لحافله هناك كاحسن ما تصنعه الملوك وهكذا فى كل بلد كانت قاعدة الملك فى إيطاليا وياصق هذا القصر الملهى الكبير المسمى بصان كارلو وله منفذ من القصر الملوكى وهو من أكبر ملاهى أوروبا وأتقنها ضخامة وتزويقا ويحتمل من المتفرجين نحو ألف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فمنازل أربع طبقات كل واحدة تشتمل على احدى ولاثين بيتا ومنازل طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية وعشرين بيتا وكل بيت تجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التى فى صدر الطبقة الثمانية مواجهة للماء هذاعندالحل العمومى فى الوسط الذى به مساعد مددها ستمائة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتخ اذذاك منذ سنتين اقتصادا من الحكومة لانه يلزمها فى كل ليلة لفحصه ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك لاندخل المتمرجين لا يكفى مصاريفه ومما شاهده أيضا قصر الملك الذى خارج البلاد فى رأس الجبل ويسمى كابودى منتانى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان أتيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوت به فرش عتيقة جدا ملوكهم من الاقدمين موضوعه هناك للمتفرج غايها وبقيت البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته حتى كان منها بيت ملوك بصور أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب اختلاف الزمان ومنها صور فرسان بخيلهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم من الدروع كانت حقيقة ممتعة حيلة حقيقة فى الحروب وبعضها به آثار الضرب والظعن حتى



(٩)

حتى بالرصاص من المكاحل وبقيّة بيوت القصر خاوية والمجمع بناؤه أنيق ثمّين  
وشاهدت أيضاً كبيركائناتها وهي كنيسة صان جينارو وهي ضخمة ذات أعمدة من  
المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صديق بحيث  
يبدو ماتخذه والحال انه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضاً كبير مارستان لهم وهو  
ذوي بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراشين  
وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربيع وهو على سرير من  
خشب يحتوي على فراش وعليه أزار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص  
وعلى رأسه قاذسوة من نوع القميص والسكل من منسوج الكتان الأبيض وكل بيت  
يحتوي على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع ولكل بيت خدمة بالاجرة  
يوفون للمرضى بجميع لوازمهم واعطاء الدواء في أوقاته حسب إشارة الطبيب وزيادة على  
ذلك كثيراً ما تأتي نسوة من الأعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرأفة بهم خائفاً منهم ورغبة  
في عمل الخير وللمارستان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر عايش ومنهم من  
يداوى مجاناً ما رغبة في الخير ولا تمام تعلمه لفن الطب حتى يأخذ الأسماء فمن له الاجازة  
على قوانين لهم في ذلك وللمارستان أيضاً بيت أدوية ومواعين الجراحة والدواء وفيه  
قسم للرجال وآخر للنساء المرضى وهكذا كل مارستان غير أن بعضهم يداوى مجاناً  
وبعضها له أما كن لمن يريد التطبيب من ذوي اليدسار فيعطى مقداراً معيناً يومياً  
والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون الدواى في المستشفيات لانها أتقن من  
مسأكتهم سيما في التحفظ على ما يتعلق بالدواء وإدائه لخدمة حقها مع مباشرة مشاهير  
الاطباء الذين يلزم لا تيانهم لمساكن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين  
في المستشفيات أنفي وأنظف وأبهى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يبيت في  
بيت خاص به صغيره موافق في ألوهه بحيث ان جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على  
مقتضى الحكمة الطبية ثم ان مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها  
ما يقوم به المجلس البلدى ومنها ما يقوم به لجان من الاهالى وهذا في كل جهات أوروبا  
سواء يقبلون الصدقة ممن يريد هاولون السواح وشاهدت فيها أيضاً الدار التي بها  
الانثار العتيقة ومنها الاشياء التي استخرجت من بلدة بونيه التي تأتي خبرها وهاته  
الانثار لو أراد الكاتب استيعابها لالزم لها جهد ضخم اذهى مشقة على أنواع وأشكال  
شئى من أقطار مختلفة فبما جالب من مصر المومى وهي ذات انسان ميت مصبرة على

(١٠)

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شيء سوى أن اللون اسود وجوفه متعوبة لانراج جميع احشائه وبقية طاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو اربعة اجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تفتخرف عن ذوات البشر الموجود الا ان اسكن ليس فيهم ذوجسامة ولعل ذلك بسبب ان الميت المصبر انما يكون عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالباً بالامراض والامراض تعف الاجسام فلذلك كانت اجسام الموميات نحافاً والافان التصبير يحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطالع عليه فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من ثياب مذسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانتو وهو الآن معروف وموجود لكن كيفية تلميده حتى يصير مغز ولا ينبغي منحه بجهولة الآن وقد كان في العصر السالفة معلوماً ومن فوائد تلك الثياب انها لا تحترق واذا توسخت فغسلها بالنار وهي ثياب لينة تنطوي غير انها تخينة ومن غرائبها ايضا ما وجد من آثار يونباى وهى اشياء كثيرة من الماء كولات وغيرها فرأيت فيها التمر والقمح والزيتون وغير ذلك مما مضى عليه القاسنة أو ازيد لم يتغير منه شيء سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير وسمعت انهم زرعوا حبوا بامسا وجده كالقمح ونبت وأثمر مثل الجديدي مما يدل على أن النوع واحد لم يتغير طاله مع طول الزمن وكل هاته المحبوب موضوعة على ترتيب حسن الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنضعة في أماكن محفوظة نظيفة وعلمها قيون وتفتح يومياً لمن يريد التفرج بأجر زهيد وتسمى هاته الدار موزاى ناسيونال ومما شاهدته في نابلى دار الفنون المسماة أنه فرسينادى نابلى وهى يعلم بها فنون الطب والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والغلك والجبر والمقابلة والهندسة والابساد وجر الاثقال والسكل فن قسمه ودرسون وهما يحمل لاجسام الحيوانات فيه أعقاب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات البصرية لكنها كلها ممتدة بجمولة نواى منزوعة اللحم وغيره مع الحفاظ على هيئة الجلود ويحش الجلودها بوادناتية ويرسم على هيئة اصل الحيوان حياً وتجعل عيناه من زجاج فيراه الناظر كأنه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها وأغرب ما رأيت من حيواناتها ولم اراه في غيرها عصفوري حجم النحلة لونه ابيض وذيله ذور شتى فقط طويلتين كل منهما

في

(١١)

في طول ما يقرب من الشبر لها ألوان جميلة وكذلك رأيت فيها اثنين البحر أعظم حجم من  
الفيل لكنه أقصر منه لأن جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من  
رأس الفيل وعينه واسعة جدا وفمه مفتوح وجذبه منكش وبجملته له منظر يشع  
منفرد ويوجد في هذا المخل جسم الإنسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة إلى أن  
يصير شيخا فانيا ثم يوجد تشريح أعضائه منفردة سواء كانت ظاهرة أو باطنية ذكورية  
أو أنثوية وجملة جسمه من الجوامع الأصلية كل منها منفردة عن الآخر فتجد جسمها ليس  
فيه إلا العظم فقط على نحو خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير أن بعض  
هاته الأجسام هو حقيقي وبعضها صوري من الشمع لكنه متقن التصوير والألوان حتى  
كانه هو الأصل لأن اللحم بدون جلد لم يكن لهم قصبه في الهواء وكذلك توجد أجسام  
المولودين على خلاف المعتاد ككون وجهه في بطنه وأخر ذنبا في رأسه إلى غير ذلك  
وكذا ما صبره في زجاجات كبيرة مملوءة بغيره روحية لكي تبقى الجسم من التعفن وفي هذا  
المخل يتعلم فن التشريح الذي هو جزء من الطب وفي هذا المخل أيضا خزنة كتب عظيمة  
بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع بالاندلس بخط اليد وما كتب بالعربية  
كثيرة فمما رأيت فيه فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجري ثم كتاب يسمى السجل  
المسيحي للراهب الفونس رودريغوس موضوعه تعالىم ديانتهم وهو في مجلدين  
ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على قوراتهم واناجيلهم مكتوب بلغات سبعة  
وبخطوطها واللغات هي العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجارتيانوفو السريانية  
بنوعها ويوجد بهاته الخزنة المكتبية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة مئتين  
احداهما صورة الفلك وأخرى صورة الارض مرسومهما من خارج بطات متقنة مكتوب  
عليهما بالخط العربي الثماني الجميل قبل انهما من مصانع علماء الاندلس وبقراب نابلي  
على مسير نحو عشرين دقيقة في الزمان بلدة بنفياى رهاته البادية كانت منذ الفين سنة مصرية  
متصرة وكان أهلها مولعون بالانكسار على الشهوات وقساوة القلب حتى أن من  
العالم في الملائكة والمراحم أن يخرجوا الحيوانات المفترسة ويلاقون اليها بالناس الذين  
يريدون عقابهم فتخطفهم الحيوانات وتغرق أجسامهم ثم تزيق والمفترسون محدقون  
في البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم  
يكن ذلك مقصودا على رجالهم بل حتى النساء اللاتي هن أرق طبعا كن يتهورن  
وينبسطن من مثل تلك المناظر وتنادى بتمرد أهل تلك البادية على جورهم وقهرهم فأرسل

(١٢)

الله عليهم هيبان جبل القفر وفيه الذي هو بركاني وهو بقرهم - م صلى نحو ثلاثة أميال  
فزلات بهم الأرض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار إلى الفضاء خارج  
البلد فأدركهم سيل العرم من النار التي قذفها الجبل فاحترقوا بعد أن أظلم وأحلولك  
وظاف عليهم طائف من بحر النار فأهلكها وكل من فيها في بضعة دقائق وتراكت عليهم  
المسادة السائلة النارية حتى صار مكان البلد وما حوله ساجلا وامتد إلى البحر وسبحان  
الملك القهار وتصادى عليهم اذلك الحال وتنوسى أمرها لأن الواقعة وقعت عليهم ساقبل  
التاريخ المسيحي بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزراعة والنبات ففي عشرة  
الثمانين والمائتين وألف هجرية كان أحد الزراعيين هنالك يحرق فذهب بحراثة في  
بروة إحدى الأواني التي كانت في البلاد فبحث عليها ففراى له ما ظن أنه كنز  
رفيع وهو البلد الغابرة فعينت دولة إيطاليا مقدارا من المال سنويا وكلفت مهندسين  
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل  
مستمرا إلى الآن وأنما كان السير بطيئا في العمل لأن المسادة النارية تتحجرت وصارت  
صلابة مع الاحتراس من افساد الموجود وتفسد الفرق أولا بين ما كان من البناء وبين  
ما التصق به من تلك المسادة فأخرجوا من البلاد كلها وجد بها اذا ما كشف عليه وجد  
كأنه على حالة أصله فأرباب الصناعات والمهلات على الهيئة التي أدركهم - م عليهم الفرق  
والحرق والردم معا وكل الأجسام التي وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء اليها سوى  
الأجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء اليها تضعف بفعل الماء بلون حيلة لبقاء صور  
الأجسام بأن جعلوا كلها تغطى بنوع من آلة الحفر بحسب حيوان أو ثوب بالخص وحاولوا في الماء  
ورفعوا ذلك آلة الحفر عن المحل الذي لمسته وأبقوا الهواء مماسا للجسم الحيواني من ثقب  
آلة الحفر فيمتدش الجسم في الهواء ويبقى محله في المسادة النارية خاويا فيصب فيه الجص  
وهذا جفافه وانعاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه  
ورأيت في بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبيل وبما يدل على جراحة أو تلك  
الاقوام في ذلك العصر وتجنّبهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوفاة حتى كان منها  
جنازة رجل وامرأة متداخلى الرجل لكن الرجل لما أدركه الموت انزعج - لى قفاه وهو  
ناعط وبقيت المرأة على حالتها منكبة - لى وجهها ومقعبة على ركبتيها فانظر الى ذلك  
التعبير مع ساقية الزلزال ولم يؤثر في شهورهم حتى أدركهم الهلاك على شهورهم وأما بقية  
تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها تهدم بالزلزال وما بقى منها فأنما منه المتصدع والمنشق

ومنها

(١٣)

ومنها القاتم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون الحائط ضيقاً نحو ذراع فسادون والسفوف  
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تسكوراً وينظّمون تقابل الابواب فإذا  
دخلت باباً الى دار من الطريق تجد سقفية مربعة ثم باباً الى وسط الدار وفيه أربعة ابواب  
الى كل بيت واحد من البيوت وراءها حنية وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالدكاكين  
وجهة الوسادة بناء مرتفع يسير على سطح الممر ولا تختلف دوراً لا غنياء عن غـيرهم الا  
بالكبر والصـغر ولا كل بيت طوافي الى وسط الدار وكل الطوافي والابواب متقابلة  
والحمام الذي رأيت في البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن في البلاد الاسلامية  
وفيه تصاور على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب رأيت محل الحكومة  
وتحت السجون وعند مجاس الحكم عند درج عليه طاقية يطل منها على مسجونين أسفله  
والسجون مظلم لا يتخلله الهواء ولا الضوء الا من تلك الطاقية ورأيت الملهى فاذا هو على نحو  
الملاهي الاروباية غير ان مريح اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين  
والطرق كلها مبلغة بالحجارة الصلبة المنصوتة ومنقصة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق  
منخفض عن جانبيه مروراً بالعجلات ومفروض لها على جانبيه سكة مرور ذات العجلة فيها  
وعن اليمين والشمال محل مرور المشاة وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة مeters وفي محل  
مرور العجلات يسمي وسط الطريق بحجارة منحوتة مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها  
ناطقة على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها وتلاقى على زوايا حادة  
غير ان كل طريق لما كانت لا تمر فيها الا عجلة واحدة حسب ما هو مفروض للعجلات فيلزم  
بالضرورة ان تكون كل طريق لائمه رفيفاً العجلة الالجهة واحدة لكي لا تتلاقى  
وفي محل الادارة لكشف تلك البلاد محل لوضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى  
نابلي وتوضع في محل النار القديمة كما هو الماده النارية المتصلبة يصنع منها خفف كثيرة  
في نابلي وفيها سوق نافقة وجميع الاماكن المعـدة للنفـرج اما أن يدخلها الانسان  
بأجرة قليل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليه اسهل بواسطة أحد  
الاعيان أو نواب الدول وقد أعطانا تذكرة الدخول قدسلى الترك وقد اجتمعت في نابلي  
بأكبر حكمائها وهما توماسى وكنتانى وكان الثنائى يعظم الاول جداً لكبر سنه حيث  
أنه بلغ نحو الثمانين ولم يخف عليه وكانت أجرة كل منتهى ما في كل زيارة ستون فرينكاً  
وبقيت في نابلي ثمانية أيام وكان المسافر فيها يـقـدر أن يقيم كل يوم متوسط المعيشة  
بأربعة فرنك يومياً الا كل ويقدر أن يأكل في المحلات الساقطة بنصف فرنك ماياً كله

(١١)

في التحلات العالية بعمرة فرنك في الأكاكة الواحدة وقد دعاني هناك أحد أعيان البلدة  
 لساخرة في داره حيث كان حبيبه الى مصاحبه من أهل البلد فرأيت كيفية مسامرتهم  
 ورقصهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة اضطربت  
 علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلاد رومة وكان ذلك صبحا حاولنا وصلنا الى قرية  
 كرتا التي هي قرب نابلي مسير نحو ساعتين في الرتل نزلنا هناك وتغدينا في احدى منازل  
 المسافرين وأما صبح ناديق حواشجة فانها ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وتنتظرنا في  
 الكمرلك في محطة الرتل الى ان نقدم الى هناك ثم ذهبنا الى قصر الملك في بستانه المسمى  
 بقصر كازرتا فاذا انظرنا نظمها فنرى قصر رايته من جهة التائق في مواد بنائه المنخفضة  
 من الاشياء الخفيفة كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المنحوتة وان كان غير اشبه بانفسا  
 من جهة صناعات النقش والتذهيب والتزيين وهو مريع الشكل كل جهة منه في  
 طول ما تبين ميتروا امام الباب بطمس عظيمة على جانبيه اما كرتا فاذ دخلت  
 من الباب فتجد القصر منقسم الى اربعة اقسام وكل قسم في زاوية يشتمل على بطساء  
 وله مظالم الى القصر والمطامع الكبير المجد للوقت المسمى يشتمل على مائة واخدي عشرة  
 درجة من الممر الموردا اللون كل واحدة في قطعة واحدة الا قليلا منها في قطعة من طول  
 كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدمان وارتفاعها ستة ااصابع ومبعد والدرج من فرد  
 فاذا انتهت الى نصفها رجعت الى قسمين يمشيانا وشمالا فينتهيان الى ايوان عظيم مرفوع  
 يتقدم على ستة عشرة اسطوانة من الممر المزركل في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو  
 عشرة اذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان السكامل الاخطا به بذراعيه ومنه يدنل الى  
 البيوت الضخمة المختلفة انواع السقوف وكسوة الخيطان الارض بانواع من الممر او  
 الظلي او الموزايكواي القطع الصغيرة من الممر كل قطعة نحو الاغلة من لون مرصعة على  
 أشكال بدبعة او من المنسوجات الصوفية او الخيرية من المصانع الشهيرة في العالم  
 ويحتوي القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طابق وقد تم منته بالبناف والادوات داخلا  
 وخارجا ثلثه والثلثان لم يتم منها ما لا بناء الخيطان والسقوف وبقي ثلثها في الادوات  
 وليس في القصر شيء من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة اميال وعرضه قريب منها وفي  
 منتهاه جبل منحدرة منه عين ماء عظيمة مجعولة على نحو سلاله لا تجد اراماها ادوى واذا  
 قابلته الداحل من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كانه منارة متصاعدة في الجوف  
 الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك المساتهر ويحيرت بها كثير من الطيور المائية وأنواع  
 السمك.

(١٥)

السمك ويحتوى البستان على عشاى وغياض منققة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على  
آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركننا قرب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو إحدى  
عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما أتى خبره بل أكثر الأراضى معطلة والجبال  
لا منظر جميل بها وإنما تجد القرى وما حولها معمورة نسيبنا وكانت القرى فيه مدع  
بعضها فى أكثر الأحوال سير نصف ساعة فى الرتل فوصلنا بلدر ومرة التى هى تختب  
الملككة بعد نصف الليل وفتشوا فى الكرك رجلا أيضا مع انا قادمون من إحدى بلادهم  
وذلك لأن لكل بلاد اده على ما يدخل اليها المصالح الخاصة زيادة على ما تأخذ الدولة  
من الكرك العجمى ونزلنا فى إحدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التى  
وجدناها فى الكرك غير أن وجدناها مرق منها برنس ووقع الخلاف بين مستخدمى  
المطبات فمن سرقه فجاءه بركة يتهمون بجماعة نابلى وهم يتهمون الاتحريين والحاصل  
أن البرنس ضاع وسببه هو خروج طرف منه من غطاء الصندوق فامكن للشارق جذبه  
ثم أقامنا بركة ستة أيام واجتمعت بأشهر أطباؤها وهو الجكيم باشلى الذى هو أحد  
اعضاء مجلس النواب واجمال صفته هاته الدلة أنها بلدة وسبعة سكانها نحو ثلاثمائة  
ألف نسمة ولهم حضارة على أهالى نابلى وطرقها كلها مبلطة نظيفة أما الطرق  
التي خارجة عن البلدة فهى وإن كانت صناعية غير أنها الطين بكثرة وإن لم يعطى  
الطيات وأحسن ما يقصد بالنفراج عليه فى بركة هو كنيستها الكبرى المسماة بسان بارلو  
التي هى أشهر مبانى العالم فى ارتفاع قبتها وضخامة بنائها وهى مستطيلة الشكل  
ذات قباب كثيرة وسطها هى أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر منه الخلقى  
ومنه الصناعات كل قطعة فى طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الحيطان  
مكسوة بقطع من الموزايك ومقنة التصوير والقباب كلها مكسوة بذلك أيضا والقباب  
مرفوعة على أسطوانات من المرمر الخلقى وبعضها صناعى وليست مستوية السطح  
وبعضها فى قاعاتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الخاقية أربعة عشر شبرا وقواعد  
القباب مبنية ببناء ضخما جدا بحيث أن هاته الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من  
أحد حذاقهم لما شتمت عليه من اتقان البناء وضخامة وباصه فها قصر البابا  
ويسمى الفاتيكان وهوا كبر القصور الملكية تحتوى على اثني عشر ألف بيت وبه  
خزانة كتب رفيعة هى أحسن خزائن إيطاليا وبها كتب كثيرة بالخط منسالة العتيق ومنها  
نسخة من الانجيل باللغة الحبشية العربية العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

(١٦)

نص الامة القراية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشر ابر رسول  
يا أي من بعدى اسمه احمد وقد اطالع على تلك النسخة أحد الانكليزيين في هذا القصر  
ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة  
شيء كثير حيث كانت تنجي الى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من ممالكهم  
تقر باليه المالكه الروماني زيادة عن الملك المحمدي الذي كان له في مملكته رومة وقد  
زال ذلك بانحدار ايطاليا وآخر بابا كان جامعاً بين المالكين هو بيوس التاسع وهو موجود  
حين مرنا على رومة لكنه منذ افتتحت منه الملك الحسي بقي هناك في قصره وله التصرف  
في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك سواء أبقته دولة ايطاليا جميع  
ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عدا ذلك وبعد أن تفرجنا في  
الكنيسة الكبرى سألناهم هل يمكن التفرج في قصر البابا فاجابنا بان ذلك اليوم لا يتيسر  
بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد استئذان البابا ومن غدا جتمعنا بالمطران درعوف الذي  
هو من نصارى الشام وله دير في أعلى رومة وجمعه كثير من نصارى الشام المتقسين  
وهو ذو اخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به انه ساكن  
هنا كنيسة معتمة الشكل والبناء مما يقصد بالتفرج عليه فحصلت المعرفة معه من  
هناك وكان مما ذكرنا ان البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول الى قصره وانه كافه  
بالمحض ووليكون ترجائنا منه فاعتذرنا اليه بأننا على سفر ولا يتيسر لنا ذلك فلم  
ندخل القصر ولا جتمعنا بصاحبه اذ لا ملجأ الى تعظيمه مع ان الدخول عليه يلزمه  
تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون اليه مزيد التعظيم كأنه هو ملكهم ولا  
داعي لذلك الا امر ديني وديانتنا الاسلامية تمنع التعظيم الذي يكون مسبباً عن ذلك  
واعلم انه منذ استولت دولة الصار ود على جميع ممالك ايطاليا واجرت الحرية حتى في  
الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يفعل  
شيء يخالف ديانتهم فكأنه يتفرج في قصر من القصور كما انه ليس له أن يفعل شيئاً من  
الاهانات وحيث ان المسلم يدخل اليهم بآمان فليس له التعرض لآدابهم كما انه ليس له  
سخياهم ثم ان امام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطحا عظيمة وسبعة جدران بها  
عدة قوارب واشجار وفوانيس وهكذا كل بلاد تشمل بالفوانيس ليلا ويشق بالدراسة  
نهر يجرهم الى القوارب واذا طمى ربحاً أضر بالجوارين وهوأت من جهة الشمال  
ذهب جهة الجنوب وخارج البلدة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب وانما

يوجد



(١٧)

وجود منها أساسها وإطلال من جدرانها وقد عات الأرض عابها كثيرا فاكشف عنها  
وبقيت عبوة للناظرين وهي أوسع من الكنيسة المورجودة الآن الكبرى كما يوجد  
بقربها مالهى قديم مثلها في الخراب على نحو ما سبق في صفة مالهى بونباى وقيل أنه دار  
الندوة اذ ذلك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا منزهة عموى في الجبل ذو عمارتى وحدائق  
وفورات في أعلى الجبل وهو منزهة أما غير ما ذكر فليس في رومة معاملة أو أما كن نقص  
للتفرج سوى ما هو خارجها من آثار بنا آت الرومان في القديم وفيها مالهى كثيرة متقنة  
الذهب المشهورة الطليانية من ذلك على غيرهم ودور الالهة إلى غالب البيت بمنقصة النظافة  
وأسعارها في السكنى والمأكل وغيره ما غالية بالمقابلة بقية إيطاليا وهو رومة وخم  
بسبب أن المرح التي قربها ركدها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر كما أن  
الكنائس بها كثيرة ولا بكل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس  
من جميع الجهات وصار لها دوى يفاق الساكنين ويقرب من ذلك نابلى أيضا ثم انا  
قدمنا إلى مجلس النواب الذي كان اذ ذلك مفتوحا وهو يشتمل على خمسة مائة عضو  
فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادقنا في حضورنا  
البحث في نازلة مالية وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن يدخل الدولة غيرة واف  
بمصاريفها ولتعدّل ذلك تلزم الزيادة في الدخل وقد رأت الدولة أن الانسب في الزيادة  
هو زيادة الضريبة على السلاح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب  
بخير سيدسيليما إلى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا في الزيادة في الدخل  
بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرت قوتهم لكي تأخذ أنت المرتبات الوفيرة من دماننا  
وكدنا اذ لم نقل بصرفك الاموال في شهواتك ومخفياتك فمنه ورئيس المجلس وألزمه  
الادب في الكلام فعاد إلى كلامه وقال نعم يا أخى ذنون خفية ويحملوننا ما لا يطيق في  
اغراضهم وشهواتهم فاسكنه الرئيس وأطال عليه اللوم والكبر بعبازات شديدة حتى  
وسمه بالوحشية وأنه يضطر إلى اسكاته أو أخرجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج  
حوب المتعرض وقالوا ليس لكم منة من الدافع عن حقنا وما أتينا إلى هنا الا لحفظ  
حقوق الامّة من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بان الحقوقي يتوصل اليها مع سلوك الادب  
فانقادوا اليه وطال النزاع في النازلة وأبقيت للمفاوضة يوما آخر وكان مكاتبو الصحف  
جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا نفاة حضورنا لانا كذا بلباسنا  
التونسي وذلك أوجب النفقات الانتظارا لينا في أى مكان قصدنا حتى ان بعض البلدان

(١٨)

التي ليس لأهلها تم - تذيب تام كان يزدحم علينا في الطريق بقى العوام الى أن يوقفونا  
بازدحامهم - وأكثرت ذلك في أهالي نابلي الى أن التزمت فيها أن لا يخرج في الطريق  
الاراكيب في محلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا وصفة هيئة مجاس النواب  
هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التربع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مؤنق في  
جدرانها وسقفها وأرضها وفي وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو مائة متر وعلى الأرض  
وفوقها كرسى وامامه مائدة ويصعد الى ذلك المجل يدرج عينا وشمالا وهذا محل جلوس  
الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الأرض وبقرتهم في سط البيت كراسي  
الوزراء وفي وسط البيت كراسي أربعة كنان مخصوصين بعرفة كتابة سبعة يتناوبون  
اثنين بعد اثنين في كتابة كل ما يلفظ به منكم في المجلس وبقرت الرئيس منبر مرتفع قليلا  
يصعد منه خطبائهم على المنابر بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون في مصالحهم ثم  
كراسي منصوبة صغرفا صغافا ورافصاف على نحو دائرة مستطيلة ينتهي طرفها حول  
الرئيس فالصف الاول كراسيه على الأرض والصف الذي وراءه كراسيه على سدة من  
خشب أعلى من الذي امامه بدرجة من خشب ثم الذي وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية  
الصفوف والدرج التي يصعد منها الى الكراسي مقسمة لتلك الدائرة وكل قسم من  
الكراسي امامه مائدة مستطيلة وفيها كل كرسى جفرد واة وأقلام لياحتياجه صاحب  
الكرسى وكل كرسى عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف لاون الكرسي وفي  
أعلى البيت محيطه من جهاته الالجهة التي بها الرئيس رافات يجلس بها المتفرجون  
ولصاحب الملك بيت بازاء محل المتفرجين يأتيه اذا أراد كماله كرسى في المجلس واما وظيفة  
المجلس فسيأتي الكلام عليها ثم رحلتنا من رومة وقصدنا ليلفورنورا كبريين الرتل فاذا  
يقرب رومة آجراما كدة فيها الميساء وفيها من البقرشي كثيره سرح هنالك للالهالي  
بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على الميسكان قيعون يؤتى اليهم بالبقروية يستودع  
هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه مالا مال له فيتمناسل هنالك وتبيع منه الدولة  
لمن أراد الشراء ومررنا في سبرنا على مرسى يدشى تافيكيا التي هي أقرب مرسى طليمانية الى  
رومة قاعدة المراكبة وفي آمال مهندسيهم ان يفتحوا خبايا من تلك الجهات من البحر  
ليصل الى حدود رومة لان الأرض هنالك منخفضة وبه ينصلح الهواء من تعفن  
المروج التي يركد فيها الماء واستقر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو  
في الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد مسير احدى عشرة ساعة وقد وقف الرتل في

المسير

(١٩)

المسير عند ما وصلنا الى جسر على أحد الأنهر حيث أن فيضان النهر هدم الجسر فتنزلنا من  
الرتل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر  
نازل ثم ركبنا رتلًا آخر مهيا في الناحية الأخرى من النهر - رآني أن وصلنا الى ليفورنوف إذا  
هي بلدة واسعة الطرق نظيفة هامة قنطرة التخصيب والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها  
قليل من البطحات الواسعة أشهرها ما تسمى بياس دي كافوروكافور - هذا وزير  
إيطاليا الذي جدد في وحدتها الأخيرة فرسم تمثاله بتلك البطحاء وسميت به وكذلك  
البطحاء الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسور - هذا الخندق كاد أن  
يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الأولى هي أن البلاد أرضها مسجحة ندية  
فذلك الخندق تجذب اليه المياه مما حوله ويحصل جفاف الأرض وما أخرج من ترابه  
الكثير عات به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مرامي التجارة لاعفائها من  
الاداء ترغيبا في عمرانها فكثر فيها الساع وتعمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من  
السفن الى الخزائن اذ ماء البحر بالخندق عميق وبخارجها على الشاطئ منزه عمومي ممتد  
تقوميلين به حدائق الاشجار والانوار ومغاطس من البناء أو الخشب على البحر وقهاوى  
وملاهي تنفذ بها الناس زمن الصيف من أهالي البلاد وغيرهم والطريق للسارية وسيع  
جدوا على حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن  
ورائها القهاوى والملاعب والمغاطس ومن ورائها البحر وهي في الصيف لا يلاونها سارا  
منزه مرجح ويسمى ذلك المكان البساتنا ويرت ماري وفي البلد خزانة للساعة مسقوفة  
ببناء ضخيم شديدة النظافة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع حقه كتابه على الحجر يندى  
والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزانة وحل استقرار الماء منتهى على عدة أقسام  
فيدخل الماء المجلوب من عين غزيرة الى أحدها الاقسام الى أن يعتلى ثم يخرج منه من  
أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث أن كل قسم يكون مملوا  
ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لتصفية الماء وتروقه حتى لا يخرج الى عموم البلاد الا  
بعد انتهائه وترويقه وهاته البلدة موقعا على البحر وهو غريبها وهي من المراسى الشهيرة  
للبحارة والتجارب وقد بنى بها ميناء مأمنا للسفن ذات حوضين قبل أنفق عليها مائه وعشرون  
مليون فرنكا وبها مرعى للسفن ولا نشأها وما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي  
قصدا الى المد لاجله غائبا في فيرنيسا فيمتد ابدار سكناه حيث كان تابعه هناك ثم وادعت  
صديقي الشيخ سالم أبو حجاب حيث كانت مأمو ريته هناك وركبت بكري ليله وصلنا

(٢٠)

قاصدا الوزير المذكور في بلاد فيرنيسا وأقيمت غالب رحلي وأحد تابعي هنالك لاحتفال  
العود فسرنا في الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليفورنو بعض غياض ليست حسنة جدا  
ومررنا على بلدة بيرة منماخ علم الطب سابقا فاذا هي من مدن إيطاليا الشهيرة ويخترقها  
نهر وحوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شيء من مبانى العالم  
وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كليا الى جهة  
الجنوب حتى يخالها انها ساقطة لاحتالة وهي ليست بمرتفعة جدا وبنائها من حجارة  
منقوشة ومرمر ودرجها كل في قطعة واحدة من المرمر وهي في وسط بطحاء قرب كنيسة  
واسعة فل قاعدتها ما نل أيضا غائر في الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابلها وقد  
اختلاف النقل في سبب ميلانها يقول انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها  
ومعرفتهم بفن الاتقان وقيل انها بعد ما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها  
فيما نل وعلى كل فبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز  
قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيلا ان ميلان أعلاها عن مساواة أسفلها  
أربع مائة واثلاثون ومثلها في الميلان صومعة أخرى خارج البلدة جهة الشرق لكنها  
ليست في اتقان الاولى ولا في ارتفاعها وقد بنى حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها  
وبقي أثر الميلان ظاهر اوثان في الشيشين الغربيين الكنيسة وهي ليست بكبيرة ولكنها  
كثيرة النائق والرونق سيما من ظاهرها وازيادة غرابتها في الصدى الذي يحصل فيها من  
الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعتلى على وجه خارق للمعاد والسبب فيه شكل البناء  
وطول الخيطان وبعد أن جاوزنا بيزة بدلت الارض غير الارض التي عهدنا مناظرها في  
بلادنا وما مرنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفى الوصف والقلم  
بتصوره وقرينه وبالجمل فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهد لها بل عهدنا لها  
ولنا قطع تضاهي أفراد تلك القطع سواء كانت في البساتين أو في القصور والتي بها أو  
في اثار الارض وتعجيبها لكان الذي لم يعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده  
وتمايله الى ما لا يحيط به البصر مع تحسين جهات الاتصال العامة فانها تحدث من  
ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من  
الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرنيسا فاذام وقف الرتل في ساجيل انيق واذا بالبلد  
وسعة لكن طرقها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتمتد في  
أحلام السكان والحضارة ويخترقها نهر على جانبيه رصيف مخفوت وفي مجرى الماء  
عرضا

(٢١)

عرضا عوارض مبنية محصر الماء لكي يكون عمقه حدا محددا وانشأ من ذلك خرير  
عظيم له دوى وعلى جانب النهر منزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه فوارات وحدائق  
وأفوار وفي نهاية المنزه عند ملتقى النهر المذکور بجداول صغير بطحائها بقية من رخام صغيرة  
بلاحيطان مرفوعة على اسطوانات جديدة رخامية عالية على الارض ويوسطها صخرة  
مخسمة من الرخام لاحد امراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك  
الامير سائحا في ارضه يارته لما كلة الانكليزية تداءى بالمالا حل بغير يدسات وكان  
محبوسا في ارسات عائلته مكلفا انكليز بالرسم صورته في ذلك الهل الذي أحرق ختمه  
فيه على عادة الجوس ودفن رماده تحتها وكان من عادته ان مكان الاحراق يكون  
في ملتقى نهرين فذلك فعل به ذلك هناك وجعل على ذلك المحل قيم ووقف وكان ذلك في  
عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منزه آخر في جبل مرتفع  
نزه جدا ذو بساتين وقصور وطرق وسعة سملة لصعود بالكراريس وفي منتهى  
ارتفاعه بطحان وسعة ذات مصاطب ومنازه وبقرى بها كنيسة قديمة مرصفة الجيطان  
من خارج بالرخام الابيض والاسود تقصدا بالتفريج وجملة ذلك الجبل منزه ولما صعدت  
الى هناك أحسست ببرد شديد لا ارتفاعه وبرد الزمن ومن أحسن ما بالبلد قصر القارية  
الذي به بيت أغاب حيطان من البلور وهو قصر ضخم وبه من التصاوير المرسومة  
في الخرق المنسوجة مع الذبج وفي الورق شيء كثير وكذلك الجسد من الحجر والنحاس  
وقال بعضهم ان مجموعها مليون من التصاوير كلها في غاية الاتقان تعني لها المصورون  
من الآفاق لتقليدها ومما بها من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في اعصار  
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الأول والى تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى  
الملك عند استقاراه الحكومة هناك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لاحد السكان  
فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشغلا على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر  
نابلي ومن غرائب البلدا ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الابيض  
والاسود على اتقان صناعة وبها من الاسطوانات الجديدة اللاصقة بذلك الرخام ومن  
المنشآت الغريبة فيه ما جعلها من اتقان البناءات وارتفاع القبة مائة وستة عشر  
ميتر ووبازائها صومعة جديدة ارتفاعها سبعة وستة وعشرون ميتر وهي في البناء على نحو  
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضا وبالبلدة عدة  
ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما اعتدناه وقد أقسمت بها ضيفا

(٢٢)

عند صديقي الوز برحسين النونسي وترجته هذا الوزير باختم صار هو رجل من  
 الجراكسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فربى في سرية الوالي حسين باشا وأدخل  
 الى مكتب المهندسين العسكرية فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه  
 ومهارة في الفنون العسكرية واجادة للغة الفرنسية ووظف في عساكر الخيالة  
 بجمعية أميرها ائها اذ ذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرنسا في خصام محمد بن عباد في  
 ولاية أحمد باشا ثم ولي رئاسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة  
 اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عنه دولاية الصادق باشا وكراسة مجلس  
 الجنايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم  
 استعفى من الجميع عند ايقاف القوانين ورجل الى أوروبا وساح سياحات وسبعة اذ كان  
 قبله يعرف أكثر من ذلك أوروبا كالسانيا والدنمرك والسويد وهولندا والبلجيك وإيطاليا  
 وفرنسا واذ كان له الجزائر والاسنانة في سفارته منفردا ومع خير الدين باشا سفيراً عن  
 الوالي المذكور وعند استعفائه المذكور دخل الى المغرب واسبانيا والجزائر والوسما  
 وأمريكا ومصر والمجاز ثم استدعته الحكومة عنه دولاية خير الدين وزيراً مباشراً  
 هو وغيره من ابناءه فولى مستشاراً في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى إيطاليا  
 لخصام ورثة نعيم في حساب مورثهم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليفورنو  
 حيث مات المورث ولا زال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار  
 المعارف وهو ذو أخلاق كريهة وصفات عظيمة ومعارف وسبعة وفصاحة مربعة له عدة  
 رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في فيردينا في إحدى منازل المسافرين  
 الضخمة قرييما من النهر واجتمعت بأشهر حكام البلاد المسمى شيف وبعد ان استقرأ  
 تقرير المرض واستخبر الجسم أشار الى في مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه  
 من الامراض المزمنة وأنه يدافع بترتيب المعيشة في الاكل والمسكن وارتياح الفكر  
 والبدن والابتعاد عن هواء البحر وحسن سكنى الجمال وان كثرة الادوية مضر قليل  
 الجدوى ولقد صدق ثم طلبت تلغرافياً ببقية رحلي وتابعي وسافرت قاصداً باريس ماراً  
 على تورين للاستراحة بها فركبنا القطار صباحاً وصرنا في الوهاذ نحو الساعة على  
 ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للزل حيلة ثم خرجت بنا ومهما ازددنا  
 تقدماً في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقاً الى ان انتهينا في الصعود فكان  
 منظر اترتاح له النفوس ويحلى عن القلوب كل بوس ياله من جمال وبالله من  
 بدائع

(٢٣)

بدائع صنع بتكوينه وبخلقها بعمل الرجال فالقري البهيجة منشرة على مدا البصار  
والاشجار تدمد أغصانها لتناول الدراري من الافلاك تخالها بقايا قد انثرت  
منها من الثمار اذ قد استعوضت عن خضرتها الزبرجدية بالبلوج البياض والبنفسج  
والارض والجبال قد بسط عليهما بساط الفضة الزلال مع الاتقان في تضييد الاشجار  
وانارة الارض بالحرف وقد وفق المياه من ينابيع العمون وسيل أمياه الملوحة المذابة  
المختلطة في جداول ثم نهرات ثم أنهر متجمعة ولا يسير الرتل نصف ساعة الا ويقف على قرية  
نضرة وتارة يمر حذور واشن القصير وأخرى حول سطوح الديار وطور ترى البادان  
تحتك في أسفل سافلين وهكذا ناطق بديعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات في  
الجبال وعلى الاجمال أن السفر في جبال أوروبا بالمائة ساعة ذات العمران ليس له من لذة  
عندى توازيه سيمامع الركوب في الرتل في الطبقة الاولى في محدد مع مفرد للشخص  
وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله في سائر المقاصد فان ذلك من نعم  
الدينا الكبرى ومن هناك حجت عن الشمس بكثرة البحيرة المتصاعدة من الجبال  
والميلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعد ان جئنا الى الجبال صودا ونزلنا خمسة وأربعين نفقا فوجدنا  
ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقة وكل نفق مظلم وبشد غلامه ويخف  
حسب طوله وبعد ان سمرنا في الوهاد نحو ساعة وتكاثرت الاليج وصعدنا الى بلد بولونيا  
وهي بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بحسنة سيما القديمة منها وأغلبها على ذلك  
العموم بها تزهات نزهة وأغلب الطرق يحفها بمساوئح الارواقات لشدة حرها صيفا  
وشدة بردها وكثرة تلجها شتاء فتتقى المسارة بتلك الارواقات وفيها موقف للرتل عظيم  
جدد الانها مناخ للتجارة لتوسطها بين بقية ممالك إيطاليا وسفيرة وفرنسا والتمسا  
والمانيا فترد اليها الارتال من الجميع ونزلنا في الموقف وتعدنا في محل الاكل هناك  
وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سمرنا الى تورين في ذلك المنظر البهيج المنبسط على الوهاد  
لكثرة اتقان الزراعة وانارة الارض ومجربها وكثرة الابنية في الاراضى الزراعية كل  
ذى أرض له فيها بناء مع تحسب شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجبال في الجبال  
ابهيح وعندما أراد الليل أن يسدل حجابيه تبدى وجه الغزالة المحرمان برقع السحاب على وجه  
الافق فياله من منظر بديع يشهد للبارى تعالى بحسن الصنيع وموارد عنان نور الشمس  
الا بعد ما استخلف ضياء البدر المنير ذكنا ذلك أواسط شهر ذى القعدة فتفضل الافق  
والنواحي بهريق البدر وكان جمال الليل مزهرا في تلك المناسط الجميلة لعمرة الى أن

(٢٤)

وصلنا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم  
من جميع ما رأينا مسابقا واستمر سبر الرتل من مبادئ متعلقات الموقف الى ان استقر فيه  
أزيد من عشرة دقائق في كنت ترى فيها المزجيات والمركبات منبثة في جميع الجهات  
مائة لا ركنها والرتل وارد وصاد من كل أوب ومحل نزول الركب هو ساحة عظيمة  
مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرفص فيها  
الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضئ كالنهار فاسترخنا في بيت الجلوس الى ان نزل  
رحلتنا في الكرك وفعلموا في تقنيته ما فعل في البلدان السابقة ثم ركبنا أحد الكراريس  
الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كرايس كبيرة  
تسع الواحدة ثمانية من الركاب فافوق تحملهم من المواقف الى المنزل والعكس  
وذهبنا الى المنزل فلم نجد لائقا فنقلنا الى منزل آخر حسن وأقمت بهاته البلدة  
يومين وهي مصر عظيمة ذات تقان في الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها  
أن طرقها تكاد أن تكون كلها متقابلة تتقاطع على التريبع بزوايا مستوية كما أن من  
سماتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها محفوفة بمرافات يمينها وشمالها قائمة  
سقفها على أعمدة من البناء أو بحجارة المنحوتة ولا يمشى الزاجل الا تحتها وفوقها ابنية  
القصور والمسكن واليها تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأواسط الطرق  
لاركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحتها البطحاء التي امام قصر الملك وهي  
متسعة جدا في صدرها القصر الملكي وعلى جانبيها مساكن للعساكر والجهة الرابعة  
قبالة القصر في وسطها طريق كبير يروعن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين  
الذي نزلنا فيه وفي وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت لترموي في هاته البلدة وهو  
مركبة ذات عجلات صغيرة من حديد تجري في صفحات من الحديد غائرة في الارض عمدة  
مع الطريق الى نهاية ما يريدون اتصال السيراليه ويجرها انسان من الخيل ولهم في  
كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كي ترجع الى المكان الذي ابتدأت منه  
كيفية فاحسبها ان في محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب  
تدور عليه بسهولة فساد الدائرة تدور المركبة وثانيتها ان المركبة لا يكون مقدمها  
ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل الجسارة من تلك الجهة ثم  
تربط من الجهة التي كانت مؤخرها وتسير المركبة راجعة الى المكان الذي ابتدأت منه  
وثالثها ان تكون الصفائح التي تجري فيها العجلات في نهاية الطريق مرسومة على نحو  
دائرة



(٢٥)

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذي جاءت منه وكل كعبة من هاته في طريق خاصة وبلد خاص وسبب اعمار هذا الطريق هو لتسهيل جالركبة على كبرها اذ يركب بها نحو العشر من نسمة في داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجرها سوى فرس من وهي وسيلة كبرى لترخيص اجرة الكوب وسهولة الانتقال فيقفي مراكز معلومة كما تفاء كل من يطالب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدي الاجرة زهيدة نحو ثلاثين سائيم أى ثلاثين من تجزئة الفرنك الى مائة هـ. هذا اذا كان المكان يساو أما اذا كان قريباً من نصف ذلك المقدار والقرب والبعد على حسب اتساع البلد وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر عظيم ومنظره خارج البلد يجمع وبقره في احدى تلك الجهات منزعه عوى كبير ونزوح جبل به أما كن لال كل والقهاوى وقصر الملك حسن جداً وكب برمتع موزن في تزويقه بالذهب والالوان وبه جميع فرشته وحواليه وقد كانت هاته البلدة هي قاعدة ملكة السارد والذى استولى على جميع ايطاليا واتحدت أخيراً تحت ملكها وبها خزنة لا يمكن عظيمة جداً وعندما دخلت كبرى الفرق بين أهالى هاته البلدة وأهالى نابلى فإن الثانية لم تداخ خزنة كتبهم المأجد إلا أفراداً لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لم تداخ الى خزنة كتبها وجدتهما مفعمة بمئات من الرجال وقليل من النساء كل منهم من كتب على المطالعة في كتاب ولا تجد حساً الواحد الا همسالكى لا يشوشوا على بعضهم فمن مطالع ومن مقابل ومن ناصح ومن مفسر والكتاب بين يديه فعملت اهلها الى هاته البلدة معارفهم أوسع وسوقها لديهم أروع وذات الخزنة كتبها أكثر مما رأيت سابقاً وبها مصاحف كريمة ذات خطوط أحجية أنيقة مذهبة ومونقة للغاية القصوى ولها صناديق ورجلها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحلها الا القيم عند التأكد فتحها الى وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس في مرحلة واحدة ولما كانت المرحلة بعيدة آثرت كراه مخدع فى الرتل ذى فرش ومسترأح ولزم لذلك اعلام مدير الرتل من قبل وقت الركوب لى يحضره على الصفة التى يريد هاوا لى يعلم موقف الرتل فى حدود فرنسا باحضار مثله فى رتلهم حيث ان الركاب ينتقلون هنالك من الرتل الطليانى الى الرتل الفرنساوى فركبنا فى الساعة الثامنة بعد الظهيرة لى مركبة ذات مخدع له ثلاث مساطب فرشها حبرية وكل مسطبة تنفتح فتستطيل الى أن تصير فراشاله وسادة وقد اخترت ما بحيث يكون الركاب فيها مواجها الى جهة السير لان عكسه يورث لى

(٢٦)

دوارا وفي وسط الخندق باب يدخل منه الى محل ذي مستراح في أحد جهتيه ومقابله محل  
ذو أنبوب للماء ينفتح وينفلق بجري منه الماء وذوانا ينزل منه الماء المغسول به وبه  
مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضي هناك واصلاح لبس ثيابه وفي الخندق أيضا امرأة  
ومائدة تنفتح من جهة الحائط الموالي لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضى هناك جميع  
حاجاته بغاية الراحة وانما رفعة المعاملة ساديل الوضوء ويدت ابرة لمعرفه القبلة في  
صندوق صغير من الخلف فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا كان وقت الصلاة نصلي  
بلا تعب سوى ان الابع ينزولون الى جهة غير القبلة ومثل هذا الاطلاق يتجرى الانسان  
في الركوب مع الرفقاء لكي لا يكون عليه حرج فيه ما يريد كما انه اذا كان وقت الاكل  
ووقف الرتل في إحدى المواقف على البلدان ينزل الى محل الاكل فيجده فيه ألوان الطعام  
والفواكه فاشترى ما يريد ونحوه الى الخندق الى كل بالاستراحة اذا لا كل في المواقف  
يلزم أن يكون عاجلا خوف سفر الرتل والرتل ولان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة  
أو ساعة على البلدان غير ان وقوفه لا يطول الا بة درما ينزل الركاب القاصدين تلك  
البلدة ويركب منها غيرهم أو أخذ المرحية الماء أو الفهم أو ابد لها غير هذا اذ تمت ساعات  
نوبتها بحيث ان الحصة أطول لها عشر دقائق (أما في وقتي العشاء والغطو وفي وقت الرتل  
نصف ساعة أو يزيد بقليل ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادى الذي ينادى عند  
وقوف الرتل واقفا صوته بقوله بالكذا وكذا ويسمى البلد الذي وقف عليه وكذلك دقائق أي  
يقف كذا دقائق ويفتح الابواب للركبات فيه ينزل من يريد النزول ولولو قضاء ضرورة  
ويرجعون على محل واستقر بنا السير الى أن وصلنا الجبل المسمى في الشاهقة وطفق  
الرتل يجري بين صعود ونفوذ في انفاق واحد بعد آخر الى أن جاز في نفق اسفل في الجري  
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير الممتد وهو أطول نفق في أوروبا وصنعته من  
بحايب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع في الحد بين فرنسا وإيطاليا فاحتمت الشريعة  
الجنوبية الى إيطاليا والشمالية الغربية الى فرنسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديدية  
اتفقوا على حرق الجبل فجعلت عملة كل من المجهزين تشغل من جهتهم وبعد الاشتغال  
بضع سنين اتصل العاملون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال  
تقرى باوتور وفيه فوانيس لئلا تهازلوا يقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن  
منهوية وأما كن وسبعة لوضع الضروريات التي يحتاج اليها الصالح الطريق ومراكز  
لك الكهرو بارالرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة التحارس بالاذن بالدخول وبينها ما

كنا

(٢٧)

كناساثرين فيه واذا برتل آخر مقبل الامن فرانس اذهب الى ايطاليا باهرا متعاكسين  
مقحاذين مع اشتداد دوى العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير في مكان منظر اهاثلا  
واشتد البرد هناك اشتدادا خارقا لالعادة حتى أن بخارا النفس كان يجده على شاربى  
وزجاج طواقى الخدع كان يجده مدعاه به بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكسر بالتكسير  
قطعا كالجليد وأيقظتني شدة البرد من النوم مع التردى بالثياب الثقيلة الصوفية وأحدها  
مستطبان بجلباء الفراء العالى وفي الخدع قنوات من الخساس ملائمة بالماء الخارج جدا  
ملغوفة في نرق من الصوف وعند ما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الزل من جهة  
فرانسا نزلنا لالة نقل الارتل الفرنساوى وابتهدا الامر فيها شاهدته بفرانسا فلهذا  
الاكن لبقية السكلام على ايطاليا فاني عدت اليها ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م  
وزدت معرفتي بالبلدان التي سئذ كروهي ابرندزى التي هي أكبر المراسى جهة  
شرقى ايطاليا ولها ما من حسن وحضون وبقية البلد ليست الا قرية مهنوية على  
لوازم اهلها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بارى وهي مرسى أيضا دون الاولى  
واكنها أكبر منها بلادا وأحسن حضارة سيما بالبنية الجديدة التي لها اتقان في  
انتظام الطرق وسعتها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقدمت كرها وجميع  
ما مرنا عليه كان في غاية العمران والانتظام في الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المهر  
مجميع تلك الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بادارة  
الدواب جيرا وحيل لا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة متشجرة وحيث كان مرونا وقت  
الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشغلا اهلها فبعضهم يحصد الذرع حتى الذي  
تحت أشجار الزيتون وأخرون يجمعونهم بسقى الارض وفي أثرهم آخرون يشيرون  
بالحرث ما جف من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة بوارا ويزرعون في بعض  
الجهات اذ ذلك بقولا بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا أعمر من  
الغربية وبعد اقامتي ليلة في بولونيا توجهت الى قرية منتهكا تبنى التي بها مياه  
معدنية عظيمها جسامات تهرع اليها الاها الى صيفا لنفع المياه وفيها ثنى من النخسين  
غير أنها شديدة الحرارة كثافة الجبال المغورة بالقرى والأشجار ذات الغلال الصيفية  
والمحاصل ان الجهات البعيدة عن البحرية في أوروبا هي مساوية أو أشد حرارة من  
شمال أفريقيا ويستند تعب الركب في الرتل من الحرارة انه ان فتح الطواقى اسودلونه  
وربما أوديت عيناه من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها جبت عليه نار لظى

(٢٨)

وحالة البلدان في المركب كما مر ولذلك لم نطل الإقامة هناك وتوجهت إلى ليفورنو التي هي على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها إلى فيسيرة ثم عدت إليها مارا على مدينة ميلانو التي أعيد فيها اذذاك معرض عام لمصنوعات إيطاليا ومخلفاتها فاذا هي أي ميلانو أجل بلاد إيطاليا أو أكثر حضارية وانفردت بالسوق المسمى الغلارية الذي هو في غاية الجمال والبهجة ومن غرائبها أنه توجد قبته الوسطى مزججة تفر على طريق حديدية لسرعة الابتعاد للبضائع الغازية وهي مزججة صغيرة نحو ذراع طولها وأما المعرض فهو واثق وجم من معرض باريس الآتي ذكره وانما هذا أصغر بكثير وواحد من متعلقات إيطاليا وشاهدت فيه تجربة جوارز بالقوة الكهربائية السارية في قضبان طريق الحديد لكن التجربة افادت أنهم لم ياتوا المراد لمحصل الوقوف احيانا عن غير اختيار لكن بلغني فيما بعد انه تم أمره في ألمانيا وصار مشغلا به

## فصل

﴿في تعريف إيطاليا﴾

(اعلم) ان إيطاليا مقيم من أوروبا الجنوبية وهي شبه جزيرة في البحر الأبيض متصل من جهتها الشمالية بالقارة فيجدها شمالا إلى فيسيرة وفي الشمال الشرقي النمسا وفي الشمال الغربي فرنسا وفي الغرب والجنوب البحر الأبيض وفي الشرق بحر البندقية وهي على شكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب يميل إلى الشرق على هيئة شبه جزيرة ذات عقب ومهـماز وقبالة منتهى أصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن بسيسيليا يفصل بينهما ما خليج ضيق يعرف بخليج ميسينا وتبتدي من الشمال من عرض سبعة وأربعين درجة وأربعين دقيقة وتمتد إلى الجنوب إلى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسة عشر دقيقة من العرض الشمالي وتبتدي جهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة إلى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو ألف ميل وذلك من جهة الشمال إلى رأس سباريقية ثم واما عرضها فيختلف جدا من جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسة وستين ميلا وفي بعض الجهات الوسطى نحو أربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر أشهرها أو أكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردينيا ولها قرب تونس جزيرة بنت ليريا فهي ذات شطوط وسبعة جدا وبها كانت دولتها ودولة بحرية وأما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها جبال البايوجبال البنين وجبل

(٢٩)

وجبل كورنوفو هو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٩٥٢٠ قدما وجبل فيلينيوف فيها  
 عدة جبال بالكثافة منها ما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة رسيين  
 وبرسيانو وبلينا كلها في الجبال وأما الباقي منها بالكثافة وجبل الغوزوف وقرب نابلي  
 الذي ارتفاعه ١٢٠٠ ميتر وجبل اتينا في سبيسيلييا وارتفاعه ٣٣١٣ ميتر  
 والتلج دائم عليه وجبل الترنبل في جزائر ليبري ويطن أن بين هاته الثلاثة منافع تحت  
 الأرض وقرب نابلي عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلفقار وقرب ليفورنو  
 جبل يقذف بخارا مائيا وتسمى سوفيو في وأما نهرها فيسي كثيرة لكنها لا تعظم جدا  
 لقربها من البحر وأعظمها نهر بو الفاصل بينهما وبين النمسا ونهر تير الذي يجري إلى رومة  
 ونهر رافنو المار على فيرينسا وبيزة واديح جهة ولاية الترو لوالناجمة إلى النمسا وغربها  
 وكلها لا تحمل السفن إلا القوارب الصغيرة سوى الأولى فإنه يحمل القوارب الكبيرة وإن  
 كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رملية به نعم أن نهر اديج يحمل السفن من بلد ترينتو  
 إلى البحر وبها أيضا ترعة صغيرة أشهرها التربة التي بين بيزة وليفورنو تحمل القوارب  
 الصغيرة وكذلك التربة الموصلة بين نهرى التيفر وارنو وبها أيضا طابعا عدة بحيرات  
 منها المسماة لاغوما جوري أى الكبرى وكومو وغاردا وليكو ولوغانو وايزو وأما  
 هوأوهافو جيمد في كل الجهات إلا في الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات الماء  
 المسماة بوتيي فإنها يحدث منها أمراض عامة في الصيف لاهالي البلاد ومنها رومية  
 كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فينسيا وقرب نهر بو في ولاية كالابريا الجنوبية  
 ولا زالوا يحتمل دين في إزالة تلك العوارض فإن بلاد ليفورنو كانت من أشد الأماكن  
 وخامة لذلك السبب وكان أهلها قديما ينجسها فاجتمعت في تفتت الماء ورغبوا في  
 هجرانها حتى أعفوا الناس عنها عن كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بها وأنها  
 كثيرة العمران بتمتعها الناس صيفا من كثير الجهات العليا من شمال إيطاليا فأنها متميزة  
 جيدو كذلك جهات نابلي وجزيرة صقلية والهواء فيها على الأجبال مائل إلى الحرارة المعتدلة  
 والصيف في جنوبها يطول واذ هبت ريح السموم فعلمت بها من المضرة بالجفاف ما تفعله  
 بتونس وأما شمالها فهو إلى البرد اميل وأما نباتها فينبعث بها المحبوب من القمح والشعير  
 والذرة في جهاتها كلها والبساتين ونبات التكروري الذي يصنع منه الخبال  
 والكمجان والقطن والقوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبردقان والموز والخيل  
 والهندى أى التين الشوكي والتبغ وقصب السكر وإن كان النخل لا يثمر القمح والتمر وتنفرد

(٣٠)

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقسط والحبة الحلواء والجوز كما يعم بها الزيتون  
والنخاع والكثيرى والاجاص والتوت والتين واللوز والفندق وعروق رب السوس وبها  
عدة آجام وغابات غير انما في الجهة الجنوبية منها - حلة وغنم منة نظامه واشجارها متفرقة  
وانواع هاته الانهجار هي الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره في غابات تونس  
(واما حيواناتها) ففيها الخيل لكنها قليلة واحدها في فينيسيا وماحولها ومنها نوع قصير  
جد او حشى يوجد في جزائر سردينيا ومنها البغال واكثرها في الجهات الجنوبية وكذلك  
الحمير ومنها البقر والمعز والضأن بقلة والجواموس والخنزير وود الحورير والنمل  
والسمك بأنواع شتى في الانهر والابحار ومن الحليوانات الوحشية الضبع والثعلب  
والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والذئب (واما الطيور) ففيها اغلب ما في القطر  
التونسي وتزيد بالبنان بأنواعه واكثره ابقى اللون بين السود واليباض وهو اكثر  
ما رايناه في البراري وهو قمل الطيران وحجمه اكبر من النجل واصغر من الدجاج وفيه  
أنواع حصرية كبيرة ولها ألوان جميلة مفضضة ومنه حبة كما توجد به الحشرات التي توجد  
في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انما ليست بشديدة النجس بالنسبة للحشرات  
اكثر بقياسا ومن غريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربى عند قديدس بن في جبال صان  
برنات وفي الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد  
البرد وحدث زوايع فالقديدسون يسرحون كلابهم وفي عناق كل واحد اناصه غير معاق  
مملوء بشئ من الارواح المسكرة المحادة وله انبوب ينفخ فنذهب تلك الكلاب وتروى  
الجهات لعلها تنجس انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتكنه مما يوقتها لكي  
يسخن به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معه اذ له على محل اصحابها وان رآته لم يتبعها  
ذهبت لاصحابها واعلمتهم بهيمة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة  
البرد فتفرق الكلاب على ذلك النحر وتكون سببا النجاة من تظفر ربه وهؤلاء  
القديدسون لا يبيعون من اناس هذا النوع ليكون خاصا بهم (واما ما عداها) فليس  
فيها ما عدا ذلك كثيرة ولا غنية سوى شئ من النعم المحرى في التوسكانه وقرب مسينة من  
سبيلها ونوع من الطين يشعل بعد التعفيف مثل الفخم المحرى وفيها زيت البترول  
اى النفط وفيها الحديد بكثرة في عدة جهات منها المبارديه وسردينيا وسبيلها وكلا بريا  
وجزيرة الباس وفيها الفاس في جبل المبارديه وفي فينيسيا والباوتوسكانا وفيها الرصاص  
ايضا في عدة جهات والزوايق والزئبق و معدن انتونيو ومعدن منغنيز والكبريت  
واعظمه

(٣١)

وأعظمه في سيدسبيليا قرب بالدقلساني سيدنا وهو الذي تشتغل منه جميع أوربا وفيها من معادن الحجارة كثير وغنى هذه الرخام الأبيض الشفاف الذي تصنع منه التحف والمرمر الأحمر والرخام الأسود والبرسلان والطين الملون والمرمر الرقيق والرخام الأبيض المعتاد وفيها سبائح عديدة للحلج ومعادن الحبة ومعادن التمسك الذي يشغله الصاغة وفيها مياه معدنية كثيرة أهمها في ولاية البجمنت وولاية فينيديا وولاية التوسسكانا وفي نابلي وأشهر الجميع منديكاتيني في التوسكانة (وأمامدن) هاته الممالك فقاعدتها رومية التي أخذت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحي وموقعها كانها متوسسة بين الجنوب والشمال في المملكة وتقرّب إلى الشاطئ الغربي وقد تقدمت صفتها وقد انقسمت هاته المملكة الآن باعتبار الادارة إلى اثنتي عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة أوطان فينقسم جميعها إلى تسعة وستين وطنا كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه فاما الولايات الكبرى فنذكرها باسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر لاسماء بلدان الايمان الثانوية لطول الكلام وقلة الجدوى فالاولى من الولايات البجمنت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانيها لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثها فينيديا وقاعدتها مدينة فينيديا التي أعذب طرقة الخلعان بصريه بمرور فيها بالقوارب وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعها ليفوريا وقاعدتها جنوة وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها وطانان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠ ولها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فيرنا وسكانها ١٧٦٠٠٠ ولها سبعة أوطان وماتقدم كل جهة الشمال ثم في الوسط وسابعها ماركى وقاعدتها انكونة وسكانها ٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنها لومبريا وتختها برونز وسكانها ٥٠٠٠٠ ولها وطان واحد وتاسعها لانسيمو وقاعدتها رومية قاعدة الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠ ولها وطان واحد ثم في الجنوب عاشرها نابلي وقاعدتها نابلي وسكانها ٤٠٠٠٠٠ ولها خمسة عشر وطنا وحادي عشرها سيدسبيليا وقاعدتها باليرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠ ولها سبعة أوطان وثاني عشرها سردانيا وتختها كالاري وسكانها ٣٣٠٠٠ ولها وطانان (وأما مراسني) هاته المملكة فهي كثيرة فثنا جنوة في الشاطئ الغربي ثم إلى ثم ما بقي إليها جنوبا على الترتيب الآتي وهي اسبانيا ثم ليفوريا ثم شيفي نافيكيثا ثم نابلي ثم كستالا ماري التي هي أعظم الكل لاشتهالها على عمل كبير للسفن ولو

(٣٢)

المدرعة ثم ميسينا وهي في الجنوب وهي حرية تجارية ثم تارقمو في شاطئها الشرقي على بحر اليونان ثم مرسى البرنديزي ثم انكونة ثم فينيسيا وها على بحر البنادقة فهاته هي المراسى الكبيرة وهناك غيرها كثير (وأما الاهالي) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مائة وناوهم في الاصل من أبناء الاصليين وهم من الامم الذين ارتقوا الى هناك من المشرق والشمال في اوقات مختلفة ولكن صاروا بالاسكوة جنسا واحدا يضا مع عمرة قليلة حسان تسمى الخاقنة أهل جند في السخيل وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب إذا أهل الجنوب والوسط لازال فيهم أناس على سذاجة تترب من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي الخمسة وثلاثين ألفا فهم على مذهب البريسته ثمت وثلاثة وعشرون ألفا من اليهود ومن الاهالي ستون ألفا من جنس الارناؤوط

## فصل

\*(في اجمال تاريخ ايطاليا)\*

## مطلب

\*(في تاريخها القديم)\*

(اعلم) ان أول ما سميت ايطاليا بهذا الاسم حسب ما وجد بتواريخ الرومان الاقدمين في أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحي نسبة الى ملكها أحد العائلة التي أتت من الموريه واسمها ايطالياوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساتورينا وكانت مسكونة بأهم أصليين اسمهم أبوريجان ثم وفدت عليهم أمم في أزمان مختلفة من اليونان وأهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان العظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه في ملكة رومانية التي هي قطعة من ايطاليا وامتد شيا فشيا وتكاملت أوصاف الفخر في الرومان تدريجا في المائة الثانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعسر وفي اذ ذلك تحت تسلط الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التي يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع التقلبات والحروب الى أن انقضت في سنة ٣٩٥ مسجبة الى سلطنة غربية وهي الاصلية وسلطنة شرقية مقرها

في



(٣٣)

في سورية وآسيا الصغرى وما والاها وأصحاب هاته هم المذكورون في سورة الروم وهم  
المعنيون بذلك اللقب أى الروم والسلطنة الغربية التي مقرها إيطاليا تخربت وتسلط  
عليها أهم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افتتكتها منهم أمة لومبارد لكن  
بقي للمشرقية بين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الأثرية أو  
الرومانية ثم انحزمت أيضا وتأسست تسلط البابا في رومية من ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م  
لكنها ما سلمت حتى ودعت فاس وتولى الفرانكيس على قسم من إيطاليا وقوم الزباردى  
اسم تولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور  
شالمان ملك فرانسا وعبرها ثم استقلت إيطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات  
وانقسامات الى أن جدد ملك البابا ٤٦٦ هـ سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ هـ  
سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليين واضمحلت بقية السلطنة اليونانية  
وفي برها وصار ملكها جيرا والاول تابع للبابا ثم ثارت الثورات في عدة جهات وانقسمت  
إيطاليا إلى أقسام بعضها جمهورى وبعضها ملكى وتعاقبوا على رومية مقر سلطنة البابا  
وتفوق منها وحده في الجنوب مملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير  
منها عبر ورهم البحر من تونس واستولى فتح قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد  
كان جامع عابدين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هناك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب  
النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انتشأ بها مملكة نابلى ثم رجع البابوات الى  
إيطاليا من نفهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينفع الاها في إبعاد الاجانب من الاستيلاء  
عليهم مع الجهد فيه وتعاطفت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على إيطاليا الى أن تم  
الامر الى اسبانيا ٩١١ هـ سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عليها الا البندقية ثم تفهت  
اسبانيا هناك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور فرانكيس وأوائل  
القرن الحالى هجرى وأولى الامبراطور على إيطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها  
الاصيلة تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة ساقويا  
ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٤ م انقسمت  
إيطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهي مملكة رومية تحت حكم البابا الرومى  
والملى ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة ساقويا ويتبع الجزيرة قسم من القارة  
الشامية الغربية ومملكة اللابارية تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بامرية تحت  
ولاية النمسا لأمرة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

(٣٤)

النمسا وملكته توسكانا تحت ولاية دولة من تلك العائلة أيضا وملكته نابلي وبتبعها  
صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

## مطلب

﴿ في تاريخها الجديد ﴾

اعلم ان دولة الساردواحدى الملك المذكورة قد أسست القوانين والحريّة  
الشخصية ومشاركة الأمة في السياسة الحكاية من عهد شارل البرت المتوفى ١٢٤٧ هـ  
سنة ١٨٣١ م وكان من همهم استئصال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه  
لم يصادف رجالا ذوي همم تعين على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فيكتور امانويل  
١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته لها التقدير من جهة القوة  
الاعتوية لانها ذات قوانين وحريّة عادلة وان كانت ملكته نابلي أعظم قوة صورية  
وأما بقية الأقسام فكان منها تحت النمسا وحسب أو معنى فالاهالى نافرون منه وان كان  
بعضهم له الحريّة والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجرى فيه الظلم بحسب  
الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت  
الحرب بين الدولة العثمانية والروس باوتعضدت فرانسوا وكاترة على احانة الدولة  
العثمانية وكان ملك دولة الساردوا لملك كورماكا عاقلا واسنوزوزير اذا دماء  
وفطنة وهو كافر وروك بأتعنه ويطاعة الى نصائحه كما ان الالهالى لهم اعتماده على صدقه  
وفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الالهية ما أعانه على اتحاد ايطاليا بتدبيره وسعيه كما  
سيتلى عليك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانساء على احانة الدولة العثمانية في الحرب  
المذكورة وأرسل رسالته البالغة اثني عشرة ألفاوس ففنه مع قوات الدولة الكبيرة  
وكان ذلك أول خطوة لاطاليا في الدخول في زمرة الدول العظام في العصر الاخيرة ثم بعد  
وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة الساردودولة فرانساء على اخراج ما بيد النمسا من  
اطاليا وضمه الى دولة الساردو على أن تعطى هاته الى فرانسوا طنى ساقوى ونيس  
الاذان هـ ما في حدود فرانساء جهة ايطاليا حول الشاطئ بدعوى أن أصاها من جنس  
الفرانسييس وأسس نابليون الثالث ملك فرانساء من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أى  
ان كل جنس من البشر له حق الوحدة في انشاء دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك  
وساعده على هذا المقصد كون ملكه فرانساء كاهن اجنسهامتحذفرانسواوى فلا يخشى على  
ملكته

(٢٥)

ملكته من تلك القاعدة كما ان مسعرا تها يدعي ان ليس لاهلها اهلية لدعوى  
الوحدة وعند حصولها لم لا يجتمعهم من ذلك وعند اشهاره لاهلها القاعدة وارادته  
الاعانة على انفاذها في العالم كان عقلاء الفرانسييس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين  
له تيرس ذو الشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرخ في مجلس الندوة ان هاتيك القاعدة  
تؤل بالوبال على فرانسالامن حيث الخوف من تفرق اهلها لانهم من جنس واحد ولكن  
من جهة تقوى جيرانها كإيطاليا والمانيما فان الجار اذا كان ضامفا لجاره القوي يكون  
آمنامنه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوي فانه رأي الضيم ويقع معه  
التشاحن المؤدى الى الحرب التي تجهل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة في  
الدما والاموال غير ان صراخه لم يشر شيئا لان دولة فرانسافى مدة امبراطورية نابليون  
الثالث ولان كانت قانونية شورية ظاهرة فانهم في الباطن استبدادية في السياسة  
العامة وكلما يريد الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعلنت دولة فرانساباطال انسا  
أن تسل في الولايات الطليانية لدولة الساردو وأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرانسافى  
والساردو على حرب انسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية  
وحدة إيطاليا تحت رئاسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاري بالدى  
وتعسكر تحتهم كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات إيطاليا وأطافوا بالساردو  
والفرانسييس واستعرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث في معسكراتهم وان كان قسم  
وحدة إيطاليا كله تحت رئاسة امبراطور الفرانسييس والتخذات انسا ووقع الصلح  
المسمى بصلح زوريك نسبة للبلد التي امضيت فيها الاشرطوط بمقتضاها سلم امبراطور  
انسا في ملكة لمباردية الى امبراطور الفرانسييس وهو احواله الى ملك ساردانيا كما سلم له هذا  
في ولايتي نيس وساقو باوذلك ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٥٩ م وبها كانت الحرب مستعرة  
في ميادين لمباردية واذا ببقية إيطاليا تاربت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت راية  
كارينالدى الى ملك الساردو فاما الملك الشمالية فعقدوا مجامع في عدة مدن للتدبير  
في أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فانخلع ملوكهم طوعا وسمت  
ممالكهم الى ملك الساردو (وأما) الجهة الوسطى وهى مملكة رومية فخرج منها ولايتان  
اتحدتا مع بقية إيطاليا وبقيت مدينة رومية وما تبعها للبابا لان الفرانسييس أبى على الساردو  
اذاية البابا بحيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية في فرانسافى الامبراطور يتقى  
جانهم فالزم السارد والحياة عن البابا وأرسل الفرانسييس الى رومية لمجاية البابا من

(٢٦)

ثورة رعاباه قسمان العساكر الفرائس اوية واسطولا على مرسى شينى تايبكيا (وأما الجهة)  
 الجنوبية فمزارعها أيضا وناو بالوحدة تحت راية كاريبالدى ثم وردت لهم عساكر  
 البارود واشتدت الحرب مع ملك نابلى الى أن قهر وفريهار باومت وحدة ايطاليابذلك  
 ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وقبل فيكتور امانويل الثانى الملقب بملك ايطاليابغيرانه بقى  
 خارجا عنها بقية مملكة رومانية وولاية فينيسا التى تحت النصارى الان امبراطور الفرائس  
 فى الحرب البارذ كرها استعمر بان الروسا تريد الاعلان بالحرب ضده اذ طالبت المدة فجعل  
 بايقاع شروط الصلح معتبرا بهرجة النصر بما أمكن وبذلك وحالة البلبا لم تتم منه  
 الفرائس على ايطاليابا ثم ابتغت على قاعدة الوحدة الجنسية البارذ كرها دعوى المانيا  
 التى كانت اذ ذلك تحت رئاسة النمسا الحق فى الاستيلاء على ولايتى هولستين  
 والشولسويغ اللتين هما من جنس الالمان ولايتهما كانت بالورائة راجعة الى  
 ملك الدانيمرك وأجرى فيها قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجها  
 ونحوها بالمانيا واعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الى رئاسة ومعهادولة  
 البروسيا التى هى أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستعانت هاته بكل  
 دول أوربا وكانت دولة انكلترا مع مصاهرة عائلتى الملكين هما وبين الدنمرك مسلمة  
 بالحق للدانيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معهما مضر بالانحراف بالموازنة الارو باروية  
 حتى قال اللورد بالمشة - وزير كبير وزراء انكلترا اذ ذلك ان هاته شرارة القيت فى أوربا  
 لا تلبث أن تشتعل منها نار اغيرانه أججم عن العمل لان فرائسا كانت مخالفة له وبمضية  
 لقاعدة الوحدة فاشتد كبت الحرب بين المانيا والدانيمرك وغابت هاته فى أقرب وقت  
 وأخذت الولاياتين منها غيرانه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا  
 كما تقدم فى المقدمة منسجمة الى عدة مع ملك وقد كانت الى رئاسة عليهم امتهادولة بين دولتين  
 النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقدار واستقرت منذ مدة الى رئاسة بيد النمسا غير أن  
 الدولة البروسيا بانية حانقة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للغرض وقد كان ولي عليها  
 ملك عاقل ذو خبرة وبصر بالعواقب وهو افريدريك الكبير فاعطى الحرية للاهالى  
 من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا فى التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها  
 ان الاهالى كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم فى وقت الحرب يكونون كلهم  
 عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انهم مع ذلك لم تساعفها الظروف الحالية  
 لانها مقصدها فى الاستيلاء على الرئاسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالى  
 فاستوزر

(٣٧)

فاسـ. وفزر جلاذا تبحر في السياسة وجد في العمل وهو الامير بيزمرك وكان الملك هامـ. لا  
 بافكاره حتى حصلت له ضـ. مدينة من بطانة الملك وأهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة  
 أيضا عند ما رسم بوجوب الزيادة في القوة العسكرية اذ علم انها الوسيلة لاتمام الامل  
 مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لسيره  
 لا فكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب أمر بحمله وانتداب الامة الى  
 انتخاب غيره فخطا على سياسة وزيره وبقي الوزير في خطته وعمل بما رسمه ثم وقعت  
 الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة البروسـ. يا أو عزت الى فرنسا استحسن  
 قاءـ. دة الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد لتوساعها  
 ولومعنى فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما أن بيزمرك أو عزت الى بقية ممالك  
 المانيا للتمتع من رئاسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هي  
 مركبة من أعضاء متعدـ. دة وليس الالمان فيها الاجزاء من الاجزاء ودام اغـ. راء  
 صـ. د و رهم الى أن أثر فيهمـ. م أشـ. د التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على  
 الاستيلاء على الولاياتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي أثناء النزاع أغرت البروسيا دولة  
 ايطاليا بالماضدة معها لاجراء بقية ايطاليا من تحت النمسا فاعلمت الحرب بين البروسيا  
 ومعهما ايطاليا وبين النمسا فكانت النمسا غالبـ. ة لايطاليا لكنهما لمـ. لوبة غلبة اظمية  
 لبروسـ. يا وذلك لان البروسيا كانت اخترعت نوعا من المكاحل مـ. دس يستحيى من أسـ. فله  
 ويثور باروده بان دفاع ابرة من أسفل المكحلة ويسمى هذا النوع المكحلة ذات الابر  
 وكان أبـ. د رمى وأسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم  
 رمىـ. د وهم المتوالى كالمطر الدافق من قبران يصيب رءسهم عدوهم ولو لو واحدة وكان  
 صف العساكر يخرميتادفة من قبل أن يتمكن من رمى عدوه الى أن ضجت عساكر النمسا  
 ولم يكن لهم من وجه للتخلص الا عقد الصلح بما طلبته ابروسـ. يا ومن العجب أن ذلك  
 السلاح كانت عساكر ابروسيا بقيادة ومحاربة به للدانيمرك عند تعاضدهمـ. م مع النمسا  
 ولم يلتفت اليه أحد اذ ذلك ولا تهيات النمسا لمقابله فوق الصلح ١٢٨٣ هـ سنة  
 ١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولاياتين وتدخل فيها أيضا ملكة الهانوفر  
 والهاس ودر كاوناسو وبلد فركفورث الحرة وان تخرج النمسا عن رئاسة العصبة  
 الجرمانية بالمرّة وتبقى ممالك جرمانيا فالتشالى منها داخل تحت رئاسة ابروسيا مستقلة  
 بادارته والجنـ. ر في منها له معاضدة مع البروسيا لكن ليس داخل تحت رياستها كما الى

(٣٨)

أن وقعت الحرب مع فرنسا كالمسألة التي في محله كما تضمنت شروط الصلح أيضا تنازل  
النمسا عن ولاية فينيسيا إلى امبراطور النمسا وهو ملكه الاطلياني وذلك لأنه هو الذي  
تدخل بالصلح عندما رأى فظاعة تفهم النمسا ثم لما انهزمت فرنسا في حربها مع ألمانيا  
١٨٧١ سنة ١٨٧٠ م واضطرت إلى انواج جيشها من رومة ثم اتحاد ايطاليا بجمهورية  
مدينة رومة تحت الملائكة فدخلت سا جيوش الملك فيكتور امانويل والثالثون بعد محاربة  
ضعيفة من عساكر البابا وبقي البابا حاكما وجميعا على السكوت ليك واتحدوا لحكم السيامي  
للملكة ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى صان مريون التي أهلها نحو سبعة آلاف نسمة  
فانها مستقلة بنفسها وكذلك صان بيتر وهي كنيسة رومية الكبرى والفاتيكان وهو  
محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا المحاذية لمرسى ترست  
تحت يد النمسا وفي نفوس الطليانيين الدعوى باستحقاقها ثم ان المزبنة في ذلك الاتحاد  
ولئن كانت إلى الملك فيكتور امانويل لأجرائه للقوانين في ممالكه حتى أحبه سائر ايطاليا  
وفاز بالاشهرة بذلك وزيره كافور لمهارته وحزمه في إدارة السياسة العامة وجلب المساعدة  
من الخارج وتقديم الأهم فالأهم لكن للأمة الطليانية أيضا الخط الاوفر من ذلك الفخر  
حيث هيأت نفسها واستعدت لافاد ذلك المراد بفخ بصائر ها وتبميزها بالسقيم من المستقيم  
ومعرفتها ببول مخيرها حتى كانت تعقد لذلك الجمعيات السرية في أقطار المملكة  
وتواصل المخبرات بينهم في الاستعداد وغرس حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك  
الجمعيات الجمعية المسماة بالفرمسيون التي نهاية سعيها نشر الحرية من غير اذابة لاحد على  
شروط عندهم وتحت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة في عدة جهات ومع ذلك لم يفتروا  
عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية إلى أن وجدوا يد المساعدة من دولة  
الاردو المستعدة لمساير ومونه فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاري بالدي  
مظهر وجود تلك الجمعيات التي كانت تنفق على متطوعيه كاتفاق دولة على عساكرها وذلك  
الزعيم لما تم مقصد ايطاليا بارات الدولة مكافأته بترقيته في الرتب العالية فاحتسب عمله  
لفخر بلاده وأبى قبول شيء مامع احتياجه ومن أهم مساعدات البخت وجود قاعدة  
نابليون الثالث المار ذكرها ويقال انها مؤسسة منه قصد الانه يدعي بأنه كان من أعضاء  
الفرمسيون وانه لما كان منفيا بايطاليا وعده جسامته بالمساعدة اذا تولى ملك فرنسا  
واعانتها لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة الفسادات الشان فلم تقع مساعدة فرنسا  
لما كانت النمسا أول مخضه دلس وكية الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لا جـل ذلك مع غيرها  
( كناية )

(٣٩)

(كتابي مثلاً) لأنها تعلم ان المشاكل بالضرورة لها حسم بما قبل أسمهم فتم حكم فتمه فرانسا لا تنكر في ذلك لان احياء الاممة بعد الانذار وتقلب الدول العظيمة عايمها لا يمكن بدون مساعدة دولة ذات شأن واقترار كبايتمه الاستقرار ومن غرائب ماسمعة من جهة عدلوم الحدثان هو ان نابليون الثالث زار ايطاليا لاثبات اماناته لها وفي مسامرة الولاية التي أعدت له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاختت بالامبراطور مع بعض الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قاتله لك صديقاً فقال نعم فقال له لكن ما أدري كيف الحال في الباقي ففسطها وفض المجاس فسلها أحد المحاضرين عن معنى كلامها فقالت انها تعلم نوعان الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا قبل ولايته على فرانسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد كان وقتها اولد اقطع الحكام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانسا وبروسيا ١٨٧٠ سنة ١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها بما ذكر فان بعض أنواع الفن لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كانها هو صناعته وفي مقدمة ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (وأما أسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ما كان فقط (الاول) فيكون ورامانويل الثاني ابنه اميرقو (وذلك) لتقرب العهد بالاتحاد نعم ان الملك الاول كان ملكاً على الساردو وهو من عائلة ساقويا التي لها رسوخ في الملك والامارة من قديم

## مطلب

### في الادارة الداخلية

(أعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كائنين (الاولى) هي ما يتعلق بالادارة العامة (والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الانوى ولا تدخل لها فيما وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا دولة ملكية والملكها ادارة السياسة العامة داخية وخارجية ورئاسة القوات الحربية برية كانت أو بحرية وقد الما هدايات والحرب والصالح ورئاسة الاحكام الشخصية وتنفيذها لكنه لا يتصرف في كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب عدلوم ومخلص كلياته ان الملك يتصرف في جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول اصحاب رئاسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء من قوتهم فيم شرط

(٤٠)

الالهية وبمداختبارهم بمعرضهم على الملك وهو يوظفهم في وزاراتهم وهي وزارة الداخلية والخارجية والمسال والاحكام والتجارة والمعارف والمناصرة والديانة والحرب والبحر وقد تقرر رئيس الوزراء احدى تلك الوزارات مع الرئاسة وقد يجمع بين صغرها كالتجارة والمناصرة والمعارف وكل وزير له حدر في ادارته يكون هو المسؤول عنها (وهناك) مسائل تخرج فيها المسؤولية على الجميع وما يستقر عليه رأى الوزراء منفردين أو مجتمعين بمضيه الملك وان لم يره يعرضه على المجلس الاساس الا ان يراه فان وافقوا الوزراء امضى الملك وان خالفهم وأصر الوزراء على رأيهم لمهمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم كما انه اذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجلس فللملك الخيار ان شاء انتخب وزرا آخرين وان شاء حل المجلس واذن العامة بالتخابير به زمن حقوق الوزراء الحضور في مجلس النواب والاعيان للمناضلة عن أعمالهم ثم وراء أعمال الوزراء مجلسان (أحدهما) يسمى مجلس الاعيان ووظيفة أعضائه مراقبة وتفتيشهم الملك من عموم أهل المملكة الاعيان وأعيان المتوظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية اذا بلغ الرجل منهم احدى وعشرين سنة وليكن ليس له رأى وصوت يقبل الا اذا بلغ خبا وعشرين سنة ولذلك لم يكن عدد أعضاء المجلس محصورا وكان مقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء الديانة لكنه لما كان الباطل باضاد الملك الباطل حيث نزع منه السلطة الملكية كان جميع رؤساء الديانة مضادين للحكومة الطالانية ويرونها طامعية فلا يتدخلون في أمرها بل هم في إبطائها واعادة سلطة البابا لكن العقلاء منهم الذين يؤثرون نفع الأمة عموما على حفظ نفوسهم هم الذين ما ذكرناهم لفظا قيا ما يؤثرون نفع الأمة وأما باطنهم فهو مع الدولة (وظيفة) هذا المجلس هو الرأى في الاحتساب على أعمال سائر المتوظفين وفصل النوازل التي يقع فيها الخصام بين المتوظفين مما يرجع الى الوظيف واستحسان أو استعفاء ما يرد من مجلس النواب بحيث لا يعضى شيء من ترائده الا بعد مصادقة مجلس الاعيان عليه وهو المحاكم في الجنايات السياسية (والجنايات الثاني) هو مجلس النواب وأعضاؤه ينتخبهم الأهالي من عموم المملكة في كل قسم من المملكة ينتخب عدد اقل قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف نسمة عضوا واحدا بشرط في الذين ينتخبون بأن يكون كل منهم مذكرا طالانيا بلغ من العمر خمسا وعشرين سنة وأن يكون غير محجور عليه وأن يعرف القراءة والكتابة وأن يكون مؤدبا بالدولة أربعين فرس كافي السنة من أى طريق كان من أنواع الاداء ويستثنى من هذا أقسام لهم امتياز



(٤١)

امتياز بالعلم والتجارة فلهـم الانتخاب مطلقا كما يشترط فحين ينتخب لان يكون عضواً أن يكون طليانياً وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفاً له مرتب من الدولة نعم يقتصر في الشرط الأخير إذا لم يبلغ عدد أهله في المجلس قدر المجلس ووظيفة هذا المجلس هي المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتخفيف ميزان الدخل والخارج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الأهالي والاحتساب على جميع أعمال الدولة ويوجد مجلس آخر هو مجلس الشورى ينتخب أعضاؤه الملك من أعيان الموظفين ووظيفة هذا المجلس هي اعطاء الرأي فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل وتهذيب القوانين لتعرض على من له قبولها من المجلس ثم ان تنفيذ جميع الأعمال مناط بالوزراء وهـم المسؤولون عما يقع من الخلل بسبب أمرتهم أو بواسطة من يعينونه للباشرة في الوظائف ومسؤوليتهم لمجلس النواب والمجلس الاعيان فهذا هو ترتيب تصرفات الدولة (وأما) الإدارة في الولايات فقد تقدمت ان المماثلة منقسمة الى اثنتي عشرة ولاية كبرى وكل منها لها أقسام حتى صار مجموعها تسعة وستين ولاية ثم الولايات في ذاتها لها (أقسام) صغرى وهاته تحتها أقسام أصغر منها فلكل ولاية وال معين من الدولة وله مجلس يسجبه الملك ومدة وظيفتهم ليست محدودة وأموريتهم هي تنفيذ أوامر الدولة وتنفيذ ما يستقر عليه رأي مجلس الولاية الا في ذكره ولهم التدبير فيما يصلح بولاياتهم وامضاءه بعد موافقة المجلس المذكور عليه وفي كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه ينتخبهم الأهالي لمدة خمس سنين ويبدل خمسهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية ليكنهم لا يتجاوزون الستمائة ألفا فيقال إذا كان عدد السكان أزيد من ستمائة ألف فيقتصرون ان كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعه مرة في السنة تدوم على قدر الحاجة وأما ورئيتهم هي تعيين المقادير اللازمة لمصاريف مصالح الولاية كتهديد الطرقات وبناء الجسور والميكاتب والمستشفيات وتحسين البلدان وغير ذلك وأول ما يعترف بمقدار الدخل المقدر الذي يحصل من الاوقاف المعتبرة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف يوزع على الأهالي على نسبة ما يدفعونه لمدخيل الدولة ومن وظائفه أيضا تعيين حدود الولايات وتغييرها فيما بيننا على حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) في كل ولاية (أيضا) مجلس مركب من الأعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام وأموريتهم مستمرة ماداموا أعضاء لمجلس النواب وادارتهم هي قبض وصرف المبالغ المعينة من المجلس السابق بواسطة الوالي ومجلسه ولهـم الاطلاع على سائر أعمال المجالس

(٤٢)

والمصالح المدارة في ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالي مأمور بتمثيله  
 الاحتمساب على أعمال المجالس البلدية الاتي ذكرها وايضا في ما يراه من أعمالهم  
 مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الوالي ثم في كل جهة وبلد مأمور من الدولة وله أعوان مكلف  
 بحفظ راحة السكان وحراستهم من الخنسابات والمشاكرات بهم المعروفون بالضابطية كما  
 (يوجد) في الاوطان أقسام من العساكر ومكلف بكيفية أخذ العساكر من الأهالي على  
 مقتضى القانون (وكذلك) يوجد في كل بلدة قرية أو مدينة مجلس بالمدلات تجاوز أعضاؤه  
 الستين نفسا في البلدان الكبيرة وينقصون في غيرها على حسب كبرها فتختارهم أهالي  
 البلدة خمسة سنين كما تقدم في غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجالس النواب بنقصان  
 في شرط مقدار الأداء للحكومة ومأمور بتمثيل ما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتمساب على  
 الضابطية ومدة اجتماعهم مرتان في السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة لا تزيد  
 أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رئاسة شيخ  
 البلد لاجراء المصالح المتفق عليها في بقية السنة ومن حقوق صاحب الملك أن يعاقب  
 جميع المجالس المتقدمة ذكرها إذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم هو وفيما  
 يرجع الى انتخابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها في مدة لا تتجاوز  
 الثلاثة أشهر وفي مدة التعطيل يكلف الملك من يجرى المصالح التي ترجع الى المجالس  
 المعطل وتكون عليه مسؤولية ما يجريه ولا يزل صاحب وظيفة الاعن ذنب أو نقل لغيرها  
 \* فهذا كله في القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثاني  
 وهو الادارة المحكمية فان في كل بلد مجلسا يحكم في الحقوق الشخصية ثم في كل قاعة  
 من قواعد الاوطان مجالس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة  
 لذلك القاعدة عند ما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة  
 ثم وراء ذلك مجالس آخر تختار من مجالس التحقيق اذا طالب الخصم ذلك أيضا في  
 نوازل معينة ثم في كل بلد مجالس للجنسيات الخفيفة ومجالس للصالح يدعون الخصوم اليه  
 وأحكام هاته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقابية مستخرجة من  
 عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة الحقوق الى مستحقها على ما يرونه  
 وزاجرة عن الجنابات ومراع فيها حالة البلد وأخلاق الأهالي وعوائدهم وأسلابهم  
 ومجالس النواب يقررون قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان  
 \* والعرف وقوانين الحكم معان بها يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وما عليه وأذا تغير

عندهم

(٤٣)

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكي يكون الناس عالمين به واحكام  
مجالس المحاكم وسماعهم للدعوى والجواب يكون علنيا واجل من اراد الحضور في  
تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس في مكان معـ لذلك لا يسمع ويرى لكنه ليس له  
التدخل في الشيء من اعمال المجالس نعم اذا رأى شيئا مخالفا للقوانين فانه يرفعه لمن له النظر  
في حفظ القوانين أو يكتبه في الصحف الخبرية ويعان به وليس في قوانينهم العقاب بالجلد  
واغايه عاقبون بالقصاص في النفس وفي غيرها بالغرم المالي والسجن على حسب الجناية  
في درجة عذاب السجن ومدة واحكام المجالس تدرج في الصحف الخبرية المأهولة لذلك  
لكي يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة اعضاء مجالس الاحكام عمريه لا يعزل صاحبها  
عزل عقاب ولا تأخير ليكون في اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون  
فانه يعزل ويعاقب نعم يترقى العضو من مجالس الى غيره ومن بلد الى غيره وذلك بيد وزير  
الاحكام على قانون لهم في ذلك ولعموم الاهالي والواردين أيضا الحضور في مجالس النواب  
ومجالس الاعيان اسماع مقارضااتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتبون بحضورهم في تلك  
المجالس لينشر واجميع المفاوضات وكذلك فيها يثبت معـ ذلك اذا اراد الحضور الغـير  
الرسمي وفيها يثبت معـ لمن اراد الحضور من اعيان الاهالي والسـ فراه والوافدين تعطى  
لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة اغايد يملكون بورقة الاذن  
من الرئيس والمحصل عليها هل واغاييلزم الاذن لكي لا يزدحم الحاضرون في مكان  
الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسـ مهـ المل ولان في المجالس جلسات سرية  
يضر افشائهم بها فلا يجمع عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعتدى ذلك في وسط  
الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

## مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هي دولة ملكية قانونية شورية ولا الهالي الحرية  
الشخصية والسـ ياسية فاما كونها ملكية فلان الرئاسة والنصرف العام هو بيد ملك  
ورائى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الا كبر في عائلة مخصوصة ومن هـ ذالى  
ابنه الا كبروهكذا وبقية العائلة الملكية تستخدم في الوظائف كسائر اعيان الاهالي على  
حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان النصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها  
منضبطة بقواعد عقلية مدونة معروفة (وأما) كونها شورية فلان تطبيق تلك

(٤٤)

القوانين على الحوادث منطابقاً بآراءه مددة ووراءها أنظاراً غير مددة بحيث لا يعضى  
شئ إلا ما يسهل تقر عليه غالب آراء أهل المحل والعقد (وأما) ككون الحرية الشخصية  
للأهالي فلان كلامهم له الاطلاق في التصرف في نفسه وكسبه داخل في دائرة حذر  
القوانين لا يخشى من مجاوزتها عليه وهي كافلة له بالامن في دينه ونفسه وماله وعرضه  
(وأما) كوالاهالي لهم الحرية السياسية فلان كلامهم اذا توافقت فيه الشروط المؤهلة  
من صفاته الذاتية فله التدخل في تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نفس  
أفكاره على العموم بواسطة المجامع أو الكتب والأهف الخيرية على شرط عدم الخروج  
عن حدود القوانين المراقب لها في جمهوريتي جنسه

## م طلب

في السياسة الخارجية لإيطاليا

(اعلم) أن دولة إيطاليا الآن هي سادسة الدول الأوروبية الكبار وهي المساندة وفرنسا  
والبحارة والنساء الروسيا وإيطاليا في صفات الدول بحالهم من القوة واتساع نطاق  
التدخل صار لهم المداخلات في كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة  
بعضهم لبعض لا تترك أحديها تدخل في شئ يمكن منه لمس حقوق الآخر ولو في  
الوجاهة والنفوذ ولكنهم عموماً يتجنبون المداخلات في أحوال الدول ذات الانتظام  
لا يجرّد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يشهد حصوناً على أبواب المداخلات باستئساد  
أصحابها إلى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم في  
أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الأجنبية ومع ذلك فالقوة في الدول الكبيرة تغري  
بال تدخل في أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين الكبار  
يوجب ردع بعضهم بعضاً فاذا كان المصوب اليه مهام التدخل مستقيماً في نفسه وجد  
بقية الدول الكبار مستند الردع الجاني منهم على الضعيف اذا خلاص منافعهم ومباينة  
مقاصدهم موجهة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار  
به لا يمكن أن يوفى بأغراض جميعهم فلا يسمع أحدهم برحان كفة غيره على كفة نفسه  
ولذلك يجد الضعيف راحة من اختلافهم الذي كانت أعماله باستقامته سبباً فيه (أما)  
اذا كان في نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التي تعلق بجميع الدول الكبيرة  
فبفتحهم وتحمّل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب القساحن من قبيل ارتكاب أخف  
الضررين

(٤٥)

الضررين وذلك لا ينفش إلا في الجهات التي تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التي  
تخص بعضهم فإن المشاهدة انما تقع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة  
إيطاليا مراقبة لأحوال شواطئ البحر الأبيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنينا  
ما يقع في غربي أوروبا ولا ما يحصل في الصين والهند وأمثال ذلك نعم ليست درجة غربي  
أوروبا عندها كدرجة الصين والمحاصل أن تدخلها هي أو غيرها على حسب منافعها  
السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التي لها معها علاقة في السياسة  
أو التجارة وهاته الدول هي جميع دول أوروبا والدول التي على شواطئ البحور من آسيا  
وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء نواب عنها في ثغور تلك الممالك وهم على طبقات  
في المقام فلها سفراء من الدرجة العليا في الدول العظيمة التي لها معها علاقة سياسية  
معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية في غيرها من الدول المستقلة التي لها معها  
معاهدات ولها قنصل وهي رتبة أقل من السفيرة في المكرومات الغير المستقلة أو التي  
هي صغيرة وقارة تكاف بمصالحها نواب لمراد الأمر في بالرتبة من غير مرتبة أو تكاف  
نواب بعض الدول الأخرى كل ذلك في الممالك التي تقل خلطتها معها ولا كل سفيرا أو مكلف  
نواب وأعوان ومحل إدارة يسمى بالسفارة كانه وزارة تنفق عليها الأموال في المرتبات  
وغيرها وكل دولة فيها سفير من إيطاليا يلزم أن يكون لها هي أيضا سفير فيها على قدر  
معالم تلك الدولة وهي قاعدة مطردة في سائر الدول بالنسبة لسفرتهم في الخارجية  
ومنذ سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت إيطاليا في عقد المعاهدات العامة بين  
الدول الكبيرة وإن كانت اذذاك دخلت بصفة دولة صغيرة دانيا حيث انعقد الصلح بين  
الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التي اجتمع لها نواب الدول  
الكبار الست الأورباوية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب  
مردانية لدخول دولتهم في الحرب كما سبقت الإشارة إليه

## فصل

(في بعض عواثد أهل إيطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم أن سكان إيطاليا من أبناء أجناس من الأمم الذين وفدوا عليها قديما وهذه الجميع  
بصفة الطليانيين منذ قديم وديانتهم عموما مسيحية على المذهب الكاثوليكي وهو مذهب  
الدولة وكثير من تفننوا في العلوم الرياضية قادتهم الطبعيات فصاروا لا يفتقدون شيئا من

(٤٦)

الديانان ظننا منهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصرى والميود  
 لكن عقلاؤهم يقررون بانها التي جل وعلا ولولم تعلموا حقيقة على حقا ثنى الديانة لاسلامية  
 لما وسعهم من الانصاف الاتباعها المطابقة لها - قل وسطوع برهانها والمسؤل عن  
 عدم ابلاغ الشريعة اليهم - م على حقيقة انهاهم من اناط الله بهم ذلك على ماسية الى ايضا حه  
 في الخاتمة ان شاء الله تعالى وسكان ايطالياتهم بيض اقوياء مدنهم أكثر أهلها هم مذنبون  
 \* (وأما القرى) والبدوادى فزم على الخسرة والاعتقاد التقليدى البحت للقبوس وهـم  
 أصحاب جدى العمل والاشغال وأصحاب الاعمال البدنية يذكرون الى أشغالهم (وأما)  
 ذوو الترف والاحكام فانهم يطلبون السهر وبقية ثون من نومهم - م مؤخر ولا يفتقدون  
 الاشغال الا قبل الزوال بساعة أو ساعتين أو عند الزوال وكثيرا ما يدعوا الاحياء بعضهم  
 بعضا للسهر والرقص فى منازلهم وتارة يستدعونهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصررون  
 على تقديم فواكه وحلويات وخجور وليس من عاداتهم الحياء مثل ما هو عندنا فترى  
 البنات تخاطبن وجها وتفاكهه أمام والديهن ابل وتعمل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع  
 الرجال أمامهم هـ ذى البنات فكيف بالبنات وعندهم ان الغناء ليس بمعيب من  
 النساء فترى أكبر الاعيان يحتفل فى داره بدعوة عامة وتصير بناته أو زوجته أو إحدى  
 النسوة الاعيان المدعوات تغنى فى ذلك الملاء وترقص مع الرجال على اشكال شتى من  
 معانقة ومخاصرة وغـيرها ولا تأثم من ذلك بل يرونها كراما بحيث أن المسلم الغيور يكاد  
 \* ينفطر مما يرى (وأما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولوى المواكب غير  
 معيب لكن الغناء منهم معيب والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويتعاطين من الاشغال  
 مثل الرجال الا الاشغال الشاقة والتعاليم للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قرباتهن  
 مثل الرجال ويقول رجاها م ان الذى جل المسلمين على حجب النساء ما فى طباعهم م من  
 الخيانة وشدة المحب فوجب شدة الشوق وحيث أنا على خلاف ذلك فالامن على نساءنا  
 محقق والتي لا يحجبها عرضها لا يحجبها حاد طدارها هذا ما دار كلامهم وهو خطأ فاحش  
 اذ موجب المحب أمر ما يبيى فى سائر البشر بل فى سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ  
 سببا فروية الذات والوجه مكشوفاتكم المكاملة ثم المداعبة ثم الرقص فى حالة شرب الخمر  
 والطرب ثم الخاصرة كلها أسباب تدعو الى الاتفاق طبعيا الى ما وراءها بلا شك واثبات  
 ذلك بالوجود أقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هى التى لم تنزوج صاحبها  
 من غير نظر الى حقيقة انها الاصالية والزبادة على هذا فى الاسمة دلالات خارج عن موضوعنا  
 ومنصفهم

(٤٧)

ومنصفهم يقر بذلك لاحتماله وقد غلط من ادعى ان ديانة ساتبج النظر لوجه المرأة وهو  
 جهل بعمد الفرق بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاه او قدماها حتى يجوز  
 لغير محرما النظر الى تلك الاعضاء وكذلك للنسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره  
 عن الرجال الاجانب مطلقا لخوف الفتنة بنص الكتاب في قوله تعالى وليضربن بخمرهن  
 على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت  
 على ذلك قالت فيها الفاحشة حتى كادت أن لاتقع وكل بلاد تساهلت في خروج النساء  
 ككشوفات الوجوه بالبراقع الصفيقة وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة  
 في الاسواق والمجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها هجرا من مسارتهم التكلم بوقائعهم  
 مع النساء سواء كانت بادية اسلامية أو افرنجية وقب الحقائق واخفاء الجهر وعكس  
 الطباع ليس في الوسع ولا يحاوله ذواسانية وأهالي ايطاليا ليس يتعلمون الموسيقى في ذات  
 آلات النغم وذات الاوتار وهم يبرعوا فيها والحنان الاروبايين وهى الحسان  
 مخالفة للحنان المعروفة عند المشرقين والعرب وأهالي افرريقية الشمالية حتى ان  
 هاته الحسان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لهؤلاء وبالنعرد تصير موزعة في النفس  
 ولها عالم مخصوصة معتنى بها ولا يدقونها الا على تطبيق لمساهم مرسوم في أوراق خاصة  
 على اشكال يتبعها صوت النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون امامه تلك الاوراق  
 ينظر فيها ويدق على نغورها لا يدقون من محفوظاتهم الا قلبا وأهل البادية وبعض  
 القبلى لم يأت من مزامير بلبل لودينة فغونها بالأوراق وفي كل بلدة مراصع للعب  
 واللهى على حسب كبر البلدة تفخ ليلالاسهم ورتش كل فيها ألعاب على صورنايخية  
 مرثية أو للغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة في ذلك على سائر أهالي أوروبا والاهالي عموما  
 ذوى رجولية في التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير  
 الخفيف مخفيا ويركبون الخيل رجالا زناغا بر أن المرأة تركب السرج بلا فخر لرجلها  
 بل انها تثنى رجلها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى تضبعها في الركاب وعادة  
 الاهالي في السلام عند الملاقاة هي المصافحة مع هذا اليد ويقول احدهم الا تسريوم  
 حسن أوليل حسن واذا قدم مسافرا على حبيبه أو قريبه قبله في فقه ولو الولد مع والده أو  
 امرأة مع قريبه السكن النسوة يزدن ان الحبيبات متى اجتمعن قبلن بعضهن في الافواه  
 والرجال لا بد في سلامهم من كشف رؤس بعضهم لبعض والرفيع بالنسبة لا وضيع  
 يضع يده على قلنسوته كأنه يريد رفعها فلو واذا دخل وارد على آخر في بيته لا يجلس

(٤٨)

الاوله - ما مكشوف الرأس وهي عادة جارية في جلوسهم في بيوتهم مكشوف الرأس الامن  
كان به اذى من رأسه ومن عاداتهم أن لا يلبسوا المشى لنا في القدام لكنهم يبدون  
التشجيع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق فيتم في حالة  
الوداع ويتصافون ابتداء من ذلك

## م طلب

❖ (في التجارة) ❖

الطالمانيون لهم مهارة في التجارة كغيرهم من أهالي أوربا فرادى ومجتمعين والذي وسع  
تجارهم هو علة الشراكات فأموال الواحد دلانكفي لمزيد الانساع في التجارة ولذلك  
قد دون شركات ذات أسهم عديدة ويقضون للباشرة بعضهم من يأتمنونه وتكون  
اشركاتهم فروع في الاقطار التي يواصلون معهم التجارة ويعانون كيفية التجارة  
والإبضاع وأسعارها وكيفية إبصالها بواسطة الخف الخبيرة وبأوراق وكتب يودعونها  
محائروا يرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والاقطار وان بعدت ويشهرون بها  
تجارهم ودولتهم تحميهم في أنفسهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على نتائج  
بلادهم ثم اذا لم توف أموال الافراد والشركات للأغراض من التجارة تراهم يقترضون من  
ديار الصيرافة وهؤلاء الصيرافة هم ذوو الأموال امان تكون لواحد أو لثلاثة أو لعدد  
بان يكون كل من له شيء من المال ولا يريد التعب في ترويجه والرجع منه الجوز وغيره فانه  
يدفع ماله لاحدى ديار الصرافين المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منها حصة في مقداره ما دفع  
وتاريخه ويأخذ من ذلك ربا في كل سنة وهو لا يتجاوز سنة على المائة في السنة وهم ما أراد  
رأس ماله فانه يحاسب على مقداره ما بقي عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا  
وكذلك اذا أراد أخذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك اذا أراد ارجاع ما أخذ أو  
أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد فسهل بذلك إدارة  
أموال المعاجزين مع أربابهم ثم ان البنك الذي يأخذ الارباح على النحو المذكور يدفع لمن  
يريد الاسس تقراض بزيادة في مقداره الربا على ما يعطى هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز  
العشرة على المائة في السنة وكل من مقداره المدفوع والمأخوذ تحتاف بحسب البنوك  
والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحد المذكور المذكور بالاقوانين حتى ان من  
تجاوزها يجرى ما راقم اعطاء البنوك المسال للقرضين انما يكون برهن أولي له اعتبار

بأتمنه



(٤٩)

يأتمنه به صاحب البنك ثم إن بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بأن  
يخرجوا أوراقا تبتدأ ولها الماس عوضا عن القدين بشرط أن لا تتجاوز الضعف مثلا من  
مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضها طاق وبعثا تقدم تجدد  
التجارة رائج بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي بيدها  
الحالات المسالية وهي أن التاجر يشتري شيئا أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حواله بقبض  
ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه على نفسه في يوم أو هو لا كثر دورانا  
وتارة يكون أقل أجل وتارة يكون أكثر وعنده بلوغ تلك الحواله الحال عليه يوقع  
عليها بالقبول ليدفع في الاجل وقيل حلول الاجل يرسل المحيل المال اما بمبايعه أو بعا  
قبضه من حواله أخرى بحيث أن الحال عليه يدفع المال في أجله من غير أن يخرج من  
ماله شيئا مع ربحه تجزئه من المال لأنه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والحال عليه في  
قبول الاحالة وفي مقدار ما يربحه ولا يتجاوز النصف في المسألة وتارة يكون بالربح بارة  
لمصادقة أو معاوضة بما لها ايدها كما كان الحال عليه يربح بقبضه ماله نسبة أيضا جزا يسيرا  
والحيل يربح لأنه يتجر بحال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعثر  
الافلاس تجارهم وبنوكهم لأن من أحكامهم أنه اذا حان الاجل ولم يدفع المؤجل ماعليه  
ففي الحال يفسد ولذلك كانت أكثر البنوك بإيطاليا التي لها أوراق ماله لا تصرف  
الابحس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج الاماكن بل ولا خارج  
بلداتها الا بنك الدولة فإنه رائج في جميع ممالكه فقط وفي كل مدينة محل ضخم للناداة  
على المتاجر العالمية يسمى بورسي يفتح بضع ساعات عند الزوال اذا دخله الانسان يجده  
محتبكا بالحق والضحج بأصوات السهمرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق  
الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديدي وخارج السويس واشباهها  
وكثير من التجار يفاسون في تلك المتاجرة لأن بعضهم لا يشتري ولا يبيع الا يدايه  
وهؤلاء لا يهتمهم الافلاس الا نادرا لأنه اذا انحطت أسعار ما اشتري لا يظلمه أحد  
بشيء وانما يصبر على خسره نفسه الى أن ترتفع الاسعار ويذهبهم يكون ليس له رأس  
مال لما يشتريه وما يشتريه أيضا ليس بحاضر بل هو مؤجل لرأس الشهور ويعتمد على أن  
ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحيل المشتري على  
البائع في ما اشتري ويخرج من البير بالربح كثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا  
ما يفاسون في أول جسيمة بأن يخط السهمر عما اشتري به ويحل الاجل فيلزمه دفع الثمن

(٥٠)

وأخذ المبيع أو دفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عن كرات  
وهذا النوع لا يحكم به المحاكم فذهبم لأنه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمقدس  
يفلس نفسه بغير حكم لكي لا يسقط اعتباره رجاء أن يرجع مرة أخرى بمعاملة التجار إليه فسا  
تقدم كلهم من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في الخاتمة أن شاء الله تعالى ما يجوز لنا  
شرط عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل  
البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أنفع وسهلة لذلك حسبما تقدم  
في الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لأنها انما تركز  
الاماكن الاكثر عرايا فليزملها طرق فرعية صناعية لجلب البضاعة بسهولة لمراكز  
الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في إيطاليا لها طرق صناعية ومن أنفع  
وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تجعل أماكن في سائر البلدان  
لوضع المكاتب في محل منها ويرد صاحب المكتب أجره على حمله أجرة زهيدة بالمرة بان  
يشترى بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة وتظهرها عليه صمغ قليل الصمغ ويصق  
البطاقة على المكتب بحسب ثقل المكتب في زيادة الاجرة ويكتب عنوان المكتب  
باسم المرسل إليه وبلده وحاربه وعدده منزله فتحمل المكاتب من كل بلد في الرتل ولها  
مركبة خاصة بها مرفوعة ذات أقسام ومستخدمون فعند ما تأتي المكاتب الى المركبة في وءاء  
يسير الرتل ويشغل المستخدمون في توزيع المكاتب على أسماء البلدان ويميزون كل  
على حدة ومهما وصل الرتل الى بلاد أقبالت أتباع البريد عن محل الى تلك المركبة ودفعوا  
لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت  
المكاتب من الرتل يوتي بها محل البريد وتعطى لموزعين يوزعونها على أصحابها ما هو  
معنون عليها وإذا وجدوا مكتباً غير خالص الاجرة يوصلونه للبريد في مدة ثلاثة  
وهي اذذاك مضاعفة سلم اليه المكتب والأرجح الى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة  
أشهر فان جاء صاحبه باخذها منه أدى أجرته وأخذها والافتح فانه وجد به اسم مرسله ومحل  
أرجع اليه وأخذ منه الاجرة مضاعفاً الا أحرق وهكذا فيما اذا لم يوجد المرسل اليه بالمرة  
وكان خالص الاجرة فانه يرجع من غير أجره واذا كان المكتب ذات أهمية فمضاعفته تضمينه  
أي يجعل صاحب البريد ضامناً لايصاله بان يجعل عليه خواتم بالشمع خمسة أو علامة أخرى  
ويأخذ من صاحب البريد حجة في ايصاله الى صاحبه ويؤدي عليه اجرة مرفوعة على  
الاعتاد واذا ذلك لا يسله البريد الى صاحبه الا بأخذ حجة منه في الوصول اليه فاذا فرض  
ضياعه

(٥١)

ضياحه من صاحب البريد فانه يؤدي للرسول سنين أو خمسين فرنكا وهكذا سائر الأوراق  
المكتوبة على الفهرات المتقدمة غير ان الخلف المخبرية أجرة أيضا لها زهيدة بالمرّة وكذلك  
الكتب وقدمج بوائنه مهـ حارخصوا في الاجرة الا زداد الدخـل للبريد وما تقدم في  
كيفية الحمل للبريد في الاماكن المتصلة في البر اما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا  
فان الدولة تنفق مع احدى الشركات التي لها بواخر سيارة للتجارة على ان تحمل البريد  
باجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على ان تفلح البواخر في اوقات معينة  
وتوصل الى اماكنها في اوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت الباخرة عن  
ميعادها فلا بد ان تبين بحجة السبب الاضطراري الذي جعلها على التأخير وهو الاقتصار  
شركتها او الابلية في ضمانها عن التأخير وكذلك الرتل اذا كان له يرالدولة اعنى في  
الاتفاق معه على حمل البريد اما في تعيين الاوقات وانضباطها فاما كل سواء بر او بحرا  
ولذلك تجد السفر مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يتخلف عن مواعيد فاما سفر معه  
بكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا ان يعرض عارض  
سماوي ثم ان السفر في بواخر البريد هو احسن من غيره هاهنا البواخر التجارية لان تلك  
اتقن نظافة واول ازديادها وارفق خدمة بالركاب حتى اذا كان البحر راكدا كان  
السفر نزهة ولكن قاجايصة والحال بسبب اضطراب البحر اما السـفر في الرتل فهو على  
نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاهلا للبريد أم لا ولكل رتل رفاه مكتوب بها  
الاعلام بوقت سفره من كل بلد ووقت وصوله وكيفية سـم من الدقائق ويتخذون  
على تلك الاوقات للغاية وعند ما يصل بالدة ترى خدمته يصيحون باسمها وعدد الدقائق  
التي يقف بها اعلاما للاسافر بن وقوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الاكل وأما غيرها  
فأكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقة بين وبلدان الوقوف للكل يجدها في المواقف  
بيوتاضمة بها واندالا كل والمأكولات المطبوخة والفواكه كلها مهينة فـهم من  
يأكل هناك ومنهم من يشتري ويحمل أكله معه والائتمان في تلك الاماكن أغلى من  
غيرها كما ان البلدان الاخرى يوجد في محلاتها الاكل لـكنه دون ذلك وفي كل محطة  
بعد المستراحات فالركوب في الرتل منتهز على كل حال سـم ما أحدث فيه من الخداع  
المفردة حتى يستطيع الانسان ان يسام ويقضى جميع ضرورياته بغاية الراحة وفي أيام  
البرد تسخن الخداع بأواني نحاسية مملوءة ماء حارا ويريد أجهزته الخداع على الاعتمادية  
نحو عشرة في المائة وقد أحدث نوع من المركبات ذو مقاصير لا نفراد بيت للاجتماع

(٥٢)

فيكون الانسان كانه في دار مع جيران وهو مسافر ولا يزيد الاجر في هاته المراكبات على المراكبات من الطبقة العليا الا نحو الثالث ومن وسائل رواج التجارة دور الاخبار بالاسلاك الكهربية فاصحاب الشركات يخبرون اصحابهم كل حين بما يروج عندهم في الاقطار المختلفة وما يكسدهم من البضائع فيكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك في مناجر محلات البورصة فتتبع الاخبار وتتساقط عليها كالمطر وبذلك ترفع أسعار أوراق الديون وغريها أو تنخفض وأعظم ما يؤثر في ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من قواعده الممالك السبع العظمى وهي الاسبانية وباريس ولوندر وبرلين وفيينا ورومة وصان بطرس بورغ اذهاته الدول هي التي تهيئ امدار السياسة العامة وقد اتخذت التجارة الاخبار السياسية لعبة للارباح حتى صاروا يخشون أحياناً أراجيف سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتختلف هاهناهم صحف الاخبار في شأنها أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار وتقل البضائع مضرب بارباح التجارة وان الارباح انخفضت عما كانت عليه في القديم وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن في نفس الامر قد ازدادت كسبة التجارة وذلك ان الناجز البضاعة من الصوف مثلاً كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها ألف فقط ارم من الصوف والمكاتب المعطاة بالاسعار الابدعة أشهر فيمين عليها عمل تجارته ويشتهر خبرها ولا يبيع تلك الالف فنطار الابدعة أشهر فيربح فيها في السنة عشرين في المائة ان ساعده البحث والا نصارياً فيه في كل اسبوع نحو ذلك القدر من لواتيه الاخبار كما تأتي غيره فيبيع صوفه بربح عشرة في المائة فقط في شهر ثم الشهر الذي بعده كذلك وهكذا فموضع كونه كان يدير رأس ماله مرة في السنة ويربح فيه عشرين في المائة صار يديره اثنتي عشرة مرة بربح فيها أزيد من الضعف فبالنظر الى كمية الربح كل مرة تجد الارباح القديمة أو قل كسبة في الحقيقة الناتجة في السنة من الارباح الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلناه بالغته يدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلاً في القطر المحلولة اليه لم تزد فيما يأتي زائد الا يباع ويبيح فساد ذلك ان الادارات والحركات كلها مرتبطة بعضها ببعض فكسبات المواصلة سمات آلات النسيج بالمعامل البخارية والبلد التي كانت تنسج ألف فنطار صوف في الشهر بالآلات اليد صارت تنسج اضعاف اضعافها بالآلات البخارية وتلك المنسوجة تنفق معها ازيدات بالخطاط اسعارها فبكثر اغنياء من لم يكن قديماً قادر على لبس الملف وهو الجوخ لغيره صار

الآن

(٥٣)

الآن يتوصل اليه لخصه برخص من الصوف بما نقص من أجرة جملها رقبلة ربح  
تجارها وبرخص آلات النسيج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت  
سكان الممالك المدة وكثرت المدون وكثرت اتساع التجارة وايصال البضائع الى الاقطار  
الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتفعت الاشياء بعضها ببعض وانسدت  
التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه وأضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل  
ليست متينة مثل عمل الابدى فصار أغلبها يبيع على ويترق بمرعة بالنسبة للمنسوجات  
المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها بيد أهاليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت  
سابقا تجارها أغنى مما رجعت اليه ثم انحطت بتقديم الممالك المجاورة لها وأخرها عند  
انقسامها وظلم ولائها. لكن الآن تراجمت للفنى وأغلب ما يخرج منها الحرير الغدير  
المصنوع والدقيق وأنواع الجبين المصنوع والحبوب والمحيوانات المأكولة والجلود  
وزيت الزيتون والكبريت وهي كما سبق لها انفراد به وقد خرج منه في عام واحد  
مائة اثنان ألفا ونحوه من الفا تونولاته أى قطار ٠٠٠ ر ٠٠٠ ره وكذلك يخرج  
منها المرمر والرخام الأبيض والكتان والمحشيشة المعروفة بالسكرورى والمنسوجات  
الحريرية والاعطار والنبات المصنوع منه كراسى وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر  
سيليما الذى هو لبن خفيف وبعض المعادن المشار اليها فى التعريف بايطاليا وقيمة  
تجارها فى سنة واحدة وهى سنة ١٨٧٦ ملياردان وسنة ألف فرنك والمليارد  
ألف مليون وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة. لكن أكثرها مع النمسا وفرنسا ثم  
بقية الممالك ويخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

## م طلب

\*

### في الصنائع الفلاحية فى ايطاليا

(اعلم) ان هاته الصناعة لها طرق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ونوع ذلك لم تبلغ الى درجه  
النهاية نعم هى فى الجهة الشمالية منا كبة ما جاورها من فرائس وغيرها فلا هاهنا اعتناء  
واتقان للزراعة وتربية الاشجار وتتميتها حتى ترى الارض كأنها حديقة ممتعة ولا تجد  
أرضا خالية من الاشجار ولولا الاراضى الزراعية بحيث تجدها ممتعة بصرف من  
الاشجار وبيدها ابراحات للزروعات فصاحب الارض ينفع بغلال الاشجار والمحطب  
والزرع معا وترى الارض ممتعة بتقسيم لها منظر مريح ونفع عظيم هذا زيادة عما

(٥٤)

يحصل من الأشجار من السبب في المطر وذلك لأن الله بحكمته البالغة جعل عروق الأشجار تمتص الماء من عوامق الأرض ثم تنفثه بخاراً من أغصانها وأوراقها وينشأ من البخار السحاب وإذا كانت الأشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطش السبر حتى يطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه في الأرض فيكثر نحبها وقد باتت سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم إن صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليد في العمليات بل إنهم المعلم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة ويعتد كدرا من الكيمياء بات وحول المدارس أراضى للبيان بالعيان والتجربة والتأمل وأراضى الرعى مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة الحشوك لا يتجاسر أحد بالرعى ولا غيره في أرض ليست له أما بالملك أو بالكرام حتى أنه ليس لبعائينهم طوابق تمنع الدخول ولا تقع عندهم سرقة الغلال إلا نادراً وأما بقية الصناعات فلهم كفاية في كل الصناعات الضرورية والتجارية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التي هي من أعظم أساليب الثروة والترقي وإن كانوا لا زالوا محتاجين دين في ترقياتها إلى بلوغها المثل درجة الأمم البالغة للنهاية في المعارف والتقدم والتجاولون عليه الآن هو أن لهم معامل للسلع بأنواعها ومعامل لإنشاء السفن والموانئ المدرعة ومعامل للتخليدات الكيمائية وللإعطار وللشمع المتخذ من الشحم وللدباغة للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والساشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع الفاخر المسمى بالأمبر والقطيفة ومعامل للطرز كما أنه يصنع بالأيدي أيضاً وله معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية وآلات المرايا الكبيرة وآلات الموسيقى ونحو ذلك وأما بلداً بلداً لها صيد كبير في جميع الجهات وفي نابلي وميلانو معامل متينة للكراسي أي عجلات الركوب كما أن في إيطاليا إتقان لصناعة الأحذية وسائر الأتعة وخياطة الملابس وهم فائزون في صناعة نحت المرمر ونقشه وكذلك صناعة المرحاض والصباغة والكهربان والمادة المنجدة النارية المتقدمة من أفواه البلاكين والموزاييك وإي القطع المرمر التي الواحدة منها قدر الثمن ترصف على أشكال بديعة ويلصق بعضها ببعض بتوقيع من الطين والجير وقد شاهدت في معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم إيطاليا في سائر الصناعات ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها في سائر الحاجات والتحسينات فضلاً عن الضروريات حتى أن ملكها المداخل المعروض مع رجال الأمة تهب ما احتوت عليه الملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا

المعرض

(٥٥)

المعرض تشخيص سائر أصناف الطلياب بين بصور على ألوانهم وهبته لبهم - ثم قرأيت  
أكثر من ثلاثين صنفًا كل منها - ثم له نسخة وشارة خاصة وأعظم تزيينهم في مصنوعات  
المجلد والطين والمجملات ولهم مشاركة في سائر المصنوعات

## م طلب

﴿ في المعارف ﴾

المعارف الدينية المسيحية لماسوق رابحة من القسوس ولهم صوامع ومدارس - أكثرهم  
قدمه عاونو القسوس الجزويت من التجمع في المدارس لأنهم - يتخلطون بالعالم  
الديني بالعوالم السياسية ويتخذون المدارس كالثقل للتعسكر كرهنوعامن ذلك الخوف  
الدولة من تشويش سياستها المخالفة مشرب الجزويت لمشرب الدولة في أصول السياسة  
(وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا في التقدم فيها وعلى الأجل فاهالي الشمال متقدمون  
على غيرهم في سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلومهم الأصول ثلاثة (أحدها) علم جبر  
الانقال (وثانيها) علم الكيمياء أي تحليل الأجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطببيات ولكل  
منها فروع كثيرة ومن فروع الثنائي والثالث علم الطب الذي كانت أشتهرت به بلاد  
بيزة قديمًا والآن ليهق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففي إيطاليا الآن - مدارس  
ومكتاب على ثلاث طبقات والمكتاب العليا فيها إلى الآن لم تنسأ كتب مكتاب فوانسا  
والمانياف وفي إيطاليا اليان أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف  
البرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزانة كتب تحتوي على ٢٨١ ٣٤٩ ر  
مجلدات من الكتب المطبوعة و ٥٧٠ ٣٣٠ من كتب المخطوط في خصوص مكتبة  
قصر القاتيكان ٣٠٠ ٣٠٠ كتاب وهي أحسن المكتاب من جهة حسن كتب المخطوط

## م طلب

﴿ في هيئة المساكن والطرق ﴾

(اعلم) ان إيطاليا - كما دان لا تتجدد بين بلدتين فيها طريقة غير صناعية بل كاهامة صناعية  
بعضها بالطرق المصنوعة المصنوعة غيران الطرق في البرية لا تتطوّر وانما لها  
قيمون لا صلاح ما يغد منها كان يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوي إليه  
وفي من آلات الإصلاح المحفوف ما فيه كفاية ويكون هو طوّل يومه متفقد المساكن في

(٥٦)

عهده ومما وجدته مكانا متغيرا بادرا لا صلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق  
واحتاج للتجديد يداشره بذلك المكاف من المجالس البلدية وعلى أولئك القيمين متفقدون  
في كل الاوقات كما ان سائر اطراف المملكة متصلة ببعضها البعض بالطرق الحديدية  
وكذلك متصل بسائر المجالس المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك المجالس متصلة ببعضها  
بذلك أيضا فكانت أروبا كلها كأنها بلد واحد في سهولة الانتقال والسرعة من مكانة  
الى أخرى ومن بلاد الى أخرى ومع ذلك فلم تنزل إيطاليا بمجتمعاتها في زيادة الفروع للطرق  
الحديدية (أما الطرق) في داخل البلدان فزيادة على كونها صناعية لها خدمة  
يتظفونها سائر ان في اليوم ولا تجد في البلد من يله لان خدمة التنظيف يرفعون الازبال  
المقاة من الدور في آخر الليل ومن طرح الاوساخ من دارة في غير الاوقات المعينة  
هوقب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفي الليل متوفرة بالبحار  
الناسزي والفوانيس نظيفة وغاية ما هنالك هو الفرق بين البلدان في شدة النظافة  
والتنوير واتساع الطرقات فقط (أما الاصل) فهو موجود في الكل ولو في القرى  
والطرقات أغلبها يمر فيها بحلتان ومنها ما هو أوسع وفي البلدان القديمة لم تنزل طرق ضيقة  
لا يمر فيها الا الماشي وأما هيئة المساكن فان المدن لا تكاد تجد فيها الديار ذات طبعتين  
فقط بل تنزل الى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتصقة ببعضها البعض  
قريب المشاكلة في الصورة مع الشمس من الظاهري والتنظيف وطول الطرق واتساعها  
وجعل البساتين فيها والاشجار على أوسعها فكانت مدنهم بذلك ذات منظر بهيج حتى  
ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب ما يشير به المهندسون من  
الجلسات البلدية وأما داخل الديار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة  
ثم درجاً متصلاً ببعضها البعض متصاعدة اما على شكل دائرة أو مربعة الى أن تنتهي الى أعلى  
طبقة ومهم ما واصلت الدرج الى طبقة تجد فيها فسحة ذات أبواب بقدر ما في الطبقة من  
المساكن فاذا دخلت مسكناً تجد دياراً ناسقاً به أبواب للبيوت وباب الى ممر به  
بيوت ومطبخ وممر وتارة يكون في إحدى البيوت الأخرى ممر تراح آخر وجسيم  
الحيط مملوءة والسقوف اما خشب أو بناء مطلي بماء مدهونة وكل البيوت لها طواقي  
كبار ويعتون بقبالة الابواب والطواقي والابواب وعواضد هامة خشب متقن الصنعة  
وسائر الاماكن مباحة اما الجليز أي نوع من الاجر المطلي المتقن أو المرمر وكذلك الدرج  
ومن اقتصادهم ان كل بلد تقصر على ماء دها من مواد البنيان ولا تاكل من بلاد  
أخرى



(٥٧)

أخرى شبيهة إلا ما لا يمكن الاستغناء عنه به بما فيها ولو كان الشيء من باد في نفس المملكتين  
البيوت التي بكل داراً كثرها ما تلي إلى شكل الترتيب مع واحد دها بيت للجلاس وآخر  
للأكل وهما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضعه  
وفرشها مخمصة متقنة مرونقة من كراسي كبار وصغار وساعات ومرايا وزراي وأهنة  
يعتنون بنظافتها ويعتقون باتساع الأرجح وراحتهم وكل مكان أعائلة فيخمد الدار  
الواحدة يسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة في إحدى المساكن على قدر كبيرها  
وطبقاتها وأما دور الأعيان والأغنياء المنفردة في بيوتهم فهي على ذلك النحو أيضاً لكنها  
كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزيد على الثلاث أو الأربع وكنزهم من  
أغنيائهم يسكنون في الدار المشتركة من النوع الأول لكنهم يختارونها وسيرة وكل  
مسكن يكون نابه مغلقاً وعند الباب الخارجي للدار بيت يسكنه بواب بالجرة من جميع  
أصحاب المساكن للحراسة وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات  
فيها أو لها دها البرز والجميع مغطى ولا يفتح للأصلاح أو التنظيف إلا بلا وسطوح الديار  
في جميع الجهات الشمالية سبعة أملا لا يقل عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض  
من السطوح مبدسطة

## م طلب

﴿ في اللبس ﴾

الرجال يلبسون قميصاً وسراويل وصدرية تسمى جبلي وسترة أي جبة مفتوحة الطوق  
إلى أسفل قصيرة إلى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقة وسراويل أعرض إلى أسفل  
القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جداً كأنها لاصقة بالعضو وفي بعض المواكب يلبسون  
سترة مقطوعة الذيل من أمام وفي الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الأولى  
وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم ينزلون قميصاً ضيقاً من  
الصوف وفي أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها  
أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤسهم فلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو  
من الجوخ ومنها ما هو سفوف أو تبين ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يجلسون إلا على  
الكراسي وما شاكلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها مائتة لذلك نعم لهم جبايب  
وسبعة ذات ألوان يلبسونها في الأوقات التي لا يخرجون فيها ولا يأتون فيها أحسد وكل

(٥٨)

اللبسهم غير القمصان والجوارب لونها أسود أو ما قارب به وأغلبهم من الصوف ولا يلبسون  
 الحرير إلا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا أما أسود أو ما قارب به وكذلك  
 في رقابهم - يلبسون روابط ولقمصانهم - مرقعات بيض يطلونها بالذشاو وكذلك أطراف  
 أكمامها الضيقة وصددورها ويحفظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لئلا  
 لا يتجاوز شحمة الأذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة لا يديهم - ثم تارة  
 يملقون الكحل وتارة البعض دون البعض وتارة يملقون الكحل فتجد الوجه على أشكال  
 شتى وليس من يخلق تراه يخلق يوميا لأن أبقامه أثار الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس  
 النسوة فقميص وسراويل وسبعة من كتمان وصدرية مضبوطة على الصدر لها عيذان  
 من شعر سمك البان لتصغر البطن والمخصر وترفع النهود وتعلو الردف وفوقها جبة طويلة  
 إلى الأرض ضيقة النصف الأعلى ولها أكمام ضيقة إلى الرسغ وسبعة الأسفل من المخصر  
 إلى الأرض ذات تكاميش ويتنوعن في هيمتها وقد يطان ذيلها من وراء حتى يصير يجبر  
 على الأرض نحو ذراعين أو يزيد من وراءها ويلبسون جوارب في أرجاهن وأحذية ذات  
 أعقاب عالية وصرن بجعل العقب قرب نصف القدم ليتراعى للمناظران قدمها صفة - ويرمع  
 أنه لا يرى لطول ذيولهن واضرارهم كما يذكروا الأطباء من أنه يؤذى الرحم انزول ثقل  
 البدن على وسط القدم أى الأخص وتارة يزدن فوق اللباس أردية أو مانتات عند الخروج  
 في الطريق ويسدلن على وجوههن خمارا شفافا صفيقا مجرد التزين ويطوين  
 شعورهن الحقيقية أو التقليديتين بحسب منتهى أنفوخهن ويلبسن قلانس طرافا  
 ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الخمي اقراطا وسوارا  
 ونحوها ويمسك من أنواع المجوهرات على حسب الرفاهية وأكثرا لوان  
 لابس من مائل إلى السواد ثم الأبيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف من  
 الرجال فهو على الشكل الذي تقدم غير أن الساترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو  
 الفضة على صدرها وعنقها ويديها وظهورها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل  
 شرطان من القصب وعلى القلانس علامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك  
 النياشين أى علامات الفخر والباس العساكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل - يران  
 سترتهم مقفولة الصدر وتباغ في الطول إلى المخصر فقط الاضباط لهم فهي طويلة كغيرهم  
 مقفولة الصدر

مطلب

(٥٩)

## م طلب

﴿في الاكل﴾

هيئة الاكل عندهم هي مواعيد مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطي برداء أبيض وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأتي الخادم بأناء الطعام فيأخذ منه الاكل في صحنه مقدار ما يريد ومن اصطلاحاتهم ان تجد داء الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها ألوان الطعام الحاضر لتلك الاكلة حتى تأخذ منها تشبع به وهاته العادة هي من المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الاحياء يمكن لا بخصوص الكمية وانما هي باي اعلام للضيف بأنواع الطعام ثم كل صحن حوله معلقة وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يمدل الصحن والسكين والمعلقة بغيرها نظيفة وكذلك يوجد داء الصحن كيسان على قدر أنواع المأكولات التي تكون لتلك المائدة من أنواع الخمر وفي وسط المائدة أو في بالزهور بحيث انها في غاية المنظر الحسن والنظافة ويحفظ الاكل كاون على النظافة والعادة ان لا يزيدون غالباً على خمسة ألوان الا في الضيافات والمواكب ثم بعد دها يوثق بنوع من الخلويات ثم يجبن ثم يفاكهة من احدى غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوى وأغلب أنواع الطعام مائل الى التحري يدعن كثرة الاختلاط والابزرة حتى يضعون على الموائد أو في لطيفة بالمخ والغفل الاسود والمخل والزيت الساخن له يطلب منه الاكل اذا وجد الطعام غير لائق به في الملح كما انه يجعل على المائدة أو ان ظريفة بالخردل المسحوق المخلوط بالمخل وقتينات بالماء وأخر بالخمر المعتاد عندهم لئلا كل ثم في أنشاء الطعام يوثق بأنواع أخر من الخمر أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يوثق بنوع منه يسمى شبنم اذا صب في الكاس على وارفع واذ ذلك يخطب خطباً وهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع اما قائماً أو جالسا ثم في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم الى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربونها وليكن هذا الايقع في منازل المسافرين في الموائد العامة للاجتماع عن غير قصد وانما يقع في الضيافات والمحافل وقارة بصرى الخ الحاضر وينبعش كذا ما فلان أو مقصد سبباً من لا يريد الشرب من الخمر لا يعيرون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل تعريضا خفيفا بحد فوع الخمر فان امتنع فلا تثر يب عليه ويوجد فيهم افراد لا يشربون كما ان غالب متبصر بهم يعلم ان الخمر حرام عند المسلمين والنسوة في الديار هن المأكولات

(٦٠)

بأحوال الأكل واللباس ونحو ذلك من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة في تركيب الأكل والطبخ

## م طلب

في المواكب

أما المواكب الرسمية فإن الملك له بيت كبير في القصر يسمى وبصخرة عرش على نحو ما تقدم في عرش والى تونس ويرى يدبان يكون على يسار محل جلوس الملك كرسى لوجهه وقبل حضور الملك يحضر المأذونون بالحضور رجال يسهم الرسمية ويقفون عينا وشمالا على حسب رتبهم ولما يحفل الموكب يخرج عليهم الملك لابس الباسه الرسمية الذي هو على نحو ما تقدمت صفة غير أن بعض الملوك يزيد على ذلك لباس رداء طويل الأذيل وأوسع جدا ليس له أكمام وإنما يوضع على ظهره وكتفيه ويعلق حول العنق بأزرار مميّزة ويرفع أطراف ذيله من وراءه بعض أبناء الكبراء من العائلة المالكية أو من أقاربهم - ثم إلى أن يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمي المقصب ويخرج في المواكب من حجرته ومعه زوجته وأهل بيته ويصعد على كرسية ويكشف رأسه مسلما بالأيام إلى يمينته - ثم إلى ميسرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة لمقتضى الحال موميا لأحوال السياسة الزاهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزراء وتارة يقيمها الملك بنفسه وتارة يقيمها رئيس كتبته ويكون الحاضرون كاهن - ثم مكشوف الرأس فيحيونه بالدعاء له بطول العمر وينفض الموكب وهاته المواكب هي في رأس السنة وهو شهر يناير الأعجمي وفي عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح محاسن النواب والاعيان من كل سنة ويكون ذلك في محل الجلوس وكذلك تعقد مواكب أخرى على حسب الحوادث (وأما) المواكب الأهلية فهي رأس العام ولا يجتمع فلون لغبر من الأعياد وإنما يكثر من استدعاء بعضهم إلى بعض للسامرة ليلا فيما بين المعارف زيادة على الاجتماعات في أماكن العموم كالمساجد والمناسبات وبسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المردين لتزوج فتكثر المخالطة بينهم في حالات مختلفة فاذا احسن عند كل طبع الآخر - يترتب خطبة أب الزوج أبالزوجة في بنته لابنه فاذا احسن لديه أيضا أجابه وإذا ذلك في الغالب يجمعون خواص أحباب كل من الفريقين في بيت الزوجة لوجبة من طعام من الحلويات والمخزوروان لم تكن الدلالة للاجتماع تجمع ل الوجبة

(٦١)

الوليعة في إحدى مساكن المسافرين فيموصى صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد  
ويعين له الوقت وعدد الأشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين  
يجدون المحل على أحسن انتظام وكذلك يصنعون في الولائم في الديار إذا كان صاحب  
لدار ليس له عدة الضيافة مع أن داره قابلة فإن صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل  
ما يكفي من أوان وأطعمة وخدمة وغيره وليس على صاحب الدار الادفع الثمن مع  
الراحة وحسن الانتظام في سائر أنواع الولائم ثم إذا حان زمن العرس يحضر أبوا الزوج  
ويدفع للزوج مهرا بنته من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة  
في يده ثم بعد ذلك يتوجهون إلى الكنيسة فيجدون المدعوين هناك ويحضرون القسيس  
ويبارك على كل من الزوجين يأخذ خاتما من ذهب من أصبع الزوج ويدخله في  
أصبع الزوجة ويرش عليهم ماء وتكون العروس اذذاك لابسة لاحسن لباسها في  
لون البياض ومثلية بساتنها من الخمل ثم يحاق الزوج بيده اليمنى على صدره وتدخل  
الزوجة يدها اليسرى في ذراعه وينصرفون ويقف آباؤهم معهم في محل عند باب  
الكنيسة لقبول الهناء من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا إلى أي بلد أرادوا مدة ما  
على حسب الرفاهية والجدة وذلك لأميرين أو لهما عدم الحياء من معارفهم بالاستراحة  
من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما تنقضي مدة في الانكباب على لذاتهم ما من غير  
تعب بأدنى كلفة مع الاقتصاد في المصاريف للوليعة لأجل المعارف وينفقون ما ينفقون  
في لذاتهم اهذه في الاغنياء (أما الفقراء) فيستعوضون عن السفر بالخروج لأحدى  
المنتزهات ثم إن الزوجة لا تكسوف العرس لأنفسها والزواج هو الذي يكسوبيته  
وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة في أكلها ولبسها وسكنها على زوجها وذلك المال  
الذي أعطته مهر الزوج باق على ذمتها وانما يصرفون دخله على كل منهما ومن  
ولا تهم أيضا وليمة بلوغ البنت فيلبسونها لباسا كله أبيض وبرقا أبيض صفيقا وتذهب  
إلى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها يصنع لذلك وليمة (واعلم) أن ما ذكرناه من الذهاب إلى  
الكنائس ليس أمرا حتميا بل هو عادي لمجرد العود عليه عندما كانوا يجرون الأحكام  
الديانية في الأحوال المدنية وموكب المساتم عندهم لا يجهرن فيه بالبكاء وبعد قدوم  
القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الأيام لتحقيق الموت حيث أنهم هم وجميع  
الذوات يظهر عليها الموت وهي في الحقيقة لم تمت مع تعمير الاطلاع ولهم من حذاق الحكاء  
ويكون هذا بالخصوص في موت الفجأة وأما الهلاك هذا المانع في ديانة نامة اذ استجاب

(٦٢)

التجصيل بالدفن المما هو عند تحقق الموت يتبين (أما قبله) فيحرم لانه يصير قدا وقد شهد ذلك في كثير من نيشت قبرهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غيرة التي يوضع عليهم الميت ويجدون الا كفان ممزقة وحيوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لذلك وقد قالوا ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستعوية وقد سمعت بذلك في بلادى مرات متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استوى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز ذاهبين بها فاطلم المسارة على حركات في الميت وأوقفوا الجنازة ووجدوه حيا وتارة ينادى هو من نفسه متفعلا من الحالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفون الميت في لباسه النظيف ويصبغونه في صندوق من خشب ملغوف في رداء اسود عليه شريطان من قصب الفضة وتعمل الجنازة في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنازة في كرايس معدة للعزن كاهاسود وأغنياؤه هم يربطون في كروستهم خيلا سودا أيضا وعدتها سودا ويذهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عتيق ويحكم سد التراب والبناء عليه ويصبغونه على القبر وورهما كل من الرخام ويتأقون فيها (وأما) الفقراء فتجعل جنائزهم في سرايب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تسمى في هاته الجهات ولم يبق الا عند بعض الهنود وهو اراق الميت فانهم يصبغونه في فرن من حديد يحكم السد لكيلا تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان حتر يرق دارأهله وبعض الأغنياء العزيز على أهله تصبر جثته بعد اخراج امعائه ويلبس ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزانة وجهها زجاج

## م طلب

❖ (في اللغة) ❖

لغة عموم الاهالي تسمى طلبانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة ساعدة في النشر والنظم على محور عندهم معلومة ولذلك تجد اشعارهم بها جيدة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فنهاما يستحسن عند أهل العربية ومنهما ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة العامة والرسومية في الكتابة والعلوم وغبرها لكان توجد في اطراف ايطاليا بالغات شتى حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضها انما اطاب اما اذا رجعوا الى الكتابة فيرجع السكل الى لغة واحدة واصطلاح واحد

م طلب

(٦٣)

## مطلب

✽ (في القوة المسالمة والحربية) ✽

فوزك

دخل الدولة سنة ١٨٨١	٠ ١٥٨٣ ٥٨٣ ٥٨٣ ٥٨٣
نرجها	٠ ١٥٨٣ ٥٨٣ ٥٨٣ ٥٨٣
دينها	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
قوة التجارة في المملكة بين الداخل والخارج من السلع	٠ ٢٦٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

عساكر

فحت السلاح ٣٩٥ ٩٥١

رديف ٤٣٣ ٨٧٦

٨٢٩ ٨٢٧

بحرية ١٠ ٠٥٠٠

٨٠ سفن حربية مدرعة وخشب امنها مدرعة تسليحها الدويو هي اكبر

مدرعة في البحر

مدافع ٦٥٥

امتداد سكاك الحديد ايام الاسنة ٨٨١ ٥١ ٩٨

## الباب الرابع

✽ (في ملكة فرانسوا وما رأيت فيها) ✽

## الفصل الاول

✽ (في سفرى اليها) ✽

قد تم انما وصلنا الى بلد مودان التي ينقل فيها المسافرين الى الرتل الفرانساوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة مضاءة والخدمة متدربين باللباس النخين لانتدثر من الثلج والبرد بأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

(٦٤)

الركوب في الرتل الفرنساوى وجدنا المخدع الذى اوصينا عليه بذلك الاشارة حاضرا  
في الرتل وسألنا المالكفون عن ورقة الجوار فلما أخبرناهم أنامن تونس وأردنا احضار  
الورقة ورأوا الباسنا رجبوا وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فزع الصناديق لنظر ما بها  
فركبنا حالا في غاية الراحة وقف على الرتل ساجدا على الارض بسمرة أزيد من الرتل  
الطالباني غير أن المخدع كان أقل انتظاما من المخدع السابق فأردنا النوم ببقية الليل لكن  
شدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يرزل الرتل ساجدا ولما بدأ الفجر وظهور منظر  
الارض والحاصل انه على نوع متشابه مع أعالي ايطاليا غير أن الفرق الذى يرى هو  
كثرة البلدان والقري بأرض فرانساعلى ايطاليا وكثرة الديار المنفرة في الحقول  
والاراضى بايطاليا على فرانساعلى فرانساعلى باري في الساعة السادسة قبل نصف الليل  
فكانت مدة السير من تورين الى باري احدى وعشرين ساعة وكانت باري تظهر من  
بعد في الليل كأنها سماوية زينت بالكواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ علائق المحطة  
الى أن وقف فحواس عشر دقيقة فاذهى محطة أضخم وأوسع من جميع ما رأينا  
فنزلنا ودخلنا الى الكرك ولما نظرنا المالكفون قالوا لا زوم لنفيس رحلكم وأنتم  
مصدقون هل عندكم من سلعة تؤدى الكرك فقالنا ليس الا نسوق وما زهر وورد فقالوا  
هو بمقدار حاجتكم لكم ألتجارة قلنا بقة مدرجائنا فاذا نوابسراح الرجل بدون تقشيش رلا  
أدأفركبنا كروسية كبيرة منزل المسافرين المسهي أوتيل دى كابوسين الذى هو  
من المنازل المحسنة الواقعة بأعز طرق باري وأكثرتلنوسين نزولابه فاستقر السير خيما  
من الخيل نحو من ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالفوانيس  
نورا زائدا على غيرها وهى طويلة وسبعة أزيد من غيرها بحيث ينتهى النظر في طول  
الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وتعيشنا وفي الصباح أفطرنافطورا خفيفا وطابت  
الحساب حينئذ لم أساوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمن العشاء والغطور الصباحي  
لثلاثة أنفس نفوسا معون فرنكا فخرجنا من هناك وتلاقينا مع المعارف واكثر الى  
منزلا خاصا ذا أربع بيوت بجميع لوازم فرسها وخدمائها ثلاثمائة فرنك في الشهر غير  
أن الاكل خارج عن ذلك بل يأتون به من احدى أما كن الاكل القريية هناك وهى  
كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم في باري المسهي بغار دى كابوسين وهو من  
الاماكن الشهيرة بالعمارة في باري ثم أن كثرة قرعة العجلات التى تفوق عن الرعد  
في تلك الطريق ليلنا هارا كدرت الى الاستقرار هناك حيث انما لا ينفذ دويها الا بعد

نصف



نصف الليل بساعة وما بضع، النهار الا ونعود لما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر ووسع  
من الاول ويحتوى على مطبخ وبيت جلوس وبيت كل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم  
ذلك كله مع تسيير الفرش والمناويل بالنظيفة والكرام قدره ثلاثمائة فرنك في الشهر  
وأحضرت طباطبا أربعين فرنكا في الشهر وخادمين اثنين فرنكا وكان المصروف  
اليومي على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا في اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من  
الضيوف والارتياح من الاحتراس في الاكل وكان هذا المحل ايضا باحدى الاماكن  
الشهيرة الغزاة المسمى بشانزلى لم يكن له مكان طريقه شديد الاتساع ومحل مرور  
المجلات فيه يبعد عن حيطان الديار نحو العشرين مترو وكان تخصيص الطريق بالحصص  
المساوية بالرميل بخلاف الاول لانه مبطا بالمجارية الصلبة التي في قطع الشارع فكانت اذية  
للدوى مفقودة في الثاني مع حصول المنظر الجميل واجتمعت في باريس بأشهر أطبائهم  
في المرض العصبي اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير مختصون به والحكيم  
الشهير في هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو وأحضروه الى في بعض الايام اثنين  
من مشاهير أطبائهم وكانت اجرة زيارة الواحد في المرة الواحدة ستين فرنكا واذا زار  
الحكيم في داره يعطى اربعين فرنكا وعما يدل على شهرة هذا الحكيم وغناه بعلمه انه دعى  
يوما لريض في باديرين قاعدة مماكة المسانية فاذهب عشية الجمعة ورجع عشية الاحد  
في الرتل وأعطى خمسة عشر ألفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس وهو انما  
يقبل المرضى في يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يقرئ فيها دروسا عالية في الطب  
العصبي وله مستشفى في خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يمتد على نحو عمانية  
آلاف مريض ذكرني يوما الطبيب فيفر والذي هو جمعية الحكيم المشار اليه ومباشر للعلاج  
باليكهريان ان ذلك اليوم كان في المستشفى مرضى أخذوا الاكل سبعة آلاف وستمائة  
ونيف عدا من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا عنه وذكر ان المستشفى في حوسب على  
الاطباء الزاجية الموضوعة في ابواب الطواق فاذا هي ثمانون ألف طابق وذلك الحكيم  
مع سبعة معارفه هو بشوش مؤنس حتى صار ودودا الى وله ولزوجه ولوع كبير بالثياب  
والفروشات والاواني وغيرها الصيفية والشمسية والعنقية من صنائع أوروبا كانت  
بيوت داره مكسوة بأشياء بديعة ذات قيمة عالية جدا تتجأ وزمئات آلاف فرنك ومن  
مصائب الجهل بالاسن ما حصل لي يوما وهو ان الطبيب أخبرني بان المسكن الذي تعودت  
عليه بالاحتقان تحت الجلد ربما يتأمن به البدن فلا يبقى مؤثرا ولا لك يريد أن يعمل

(٦٦)

وجها في ذلك وان الاول في ان نقص من مقدار الاستعمال منه بان اصنع ربع المحقة فقط هكذا افهمنى المترجم ثم اتى بالعلاج المسكن من الصيدلانى فتخير على الالم بين العشائين كما هو عادة طرود في الاغلب فعلت المقة دارم مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فزدت نصف محقة فلم البث قد رثلاث دقائق الا وقعت بالموت ووجدت المالم اعهد به ولا اقدر على التعبير عنه وانما اقول اظلم الجوفى نظرى واحسست بنفسي ساقطاني جب لاقه وله وغاية ما أدركت ان طابت المحصف الكريم وضممته على صدرى واستشعرت انى اتلو آية لق- د جاءكم سبع ما ولسانى لا يكاد يصح الحروف ولم ادر ما راء ذلك فلم يبدئ شعورى بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت اتباعى ومعارفى حولى يهكون وجيع ما اراه اجر ثم رجع الانجاء ثم الاسست بقاط ولازال الامر يتدرج فى الخففة الى الصبح وانافى غاية الضعف وسألت الطبيب عن السبب فأخبرنى ان العلاج قد خيره بمسكن آخر يسمى الاثرو بينا مضاد لمسكن المرفينا وأقوى منها بأضعاف كثيرة وانه كان شدد الوصاية فى التحذير منه للترجى ان اذك المقة دار الذى عماته يكفى اقتتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان فى مرأى من المرفينا مقة داروا فر من اسستعمالها سابقا حتى كانت مضادة لذلك السم القتل ولله الحمد على لطفه وعفوه وما اذك الامن جهل اللسان واضرار المترجين وقد اقامت بباريس فى هاته السنة فخره نحو شهر ثم عدت اليها سنة ١٢٩٥ واقامت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ واقامت بها شهر وها أنا أفرد لصفتهافصلا خاصا

## الفصل الثانى

❦ فى باريس وصفاتها ❦

باريس وما أدراك ما باريس هى نزهة الدنيا وبيتان العالم الارضى وأعجوبة الزمان ولعمري انها احق باسم ملكة من اسم مصر وهى النموذج لغ- را ئب مصنفات البشر وحق للفنرسان وبين التفاحر بها ومباهاة الامم بمجاسدتها وجمالها وغناها ومارفها ومصانعها فها مكرت فى احدى هاته الاوقات ان القوم قد انحدرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا وكنها فافت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليهم المثل كل الصيد فى جوف الفراء لو اراد الكاتب الاسستقصا فى كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة فالواقف

(٦٧)

فالواقف عليها يزداد يقيناً في العلم بقدرته الخالق وإن أحوال الاسخرة فوق عقلنا كما أخبر  
به الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وإن فيها ما لا يخطر على قلب بشر  
فاذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر تشخيص صورتها إلا بعد رؤيتها مع انهم آمن  
مواد معهوداتنا فكيف يسلم نهده مادته ولا نتصور طبيعته وربك بخالق ما يشاء ويختار  
وهو على كل شيء قدير فاجال وصف هاته مصر المتصورة انما بالذي سهل به سارى قليلة  
الارتفاع يخرقها نهر السين الذي يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه في البلد  
عشرون جسراً مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء  
وتحتته البواخر ومنها واحدة في طرف البلد جهة قرية تسمى عليه جسر آخر مرتفع  
جداً على حنايا يمر عليها الرتل في طريق الحديد فترى البواخر جارية في النهر وعلى الجسر  
المشاة والفرسان والبعجلات ومن فوقهم الرتل كأنه سايح في الهواء وكل جسر مقسوم على  
ثلاثة طرق فاليمينى والشمالى للمشاة والوسط للركاب والبعجلات وفي وسط النهر بحيرة كثيرة  
بها ما بقى وديار ويخرج من هذا النهر تركة تذهب جهة الشمال الغربي من المملكة  
الى أن تصل بنهر المارن وهي في أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعقد وعليها الابنية  
ويحيط بالبلد سور منخفض شديد العرض عليه حصون في جميع انحاءة وخارجة  
تحتق عريض جداً عميق عملاً بالماء من النهر عند الحاجة للسور أبواب أنيقة من  
الحديد ومحيط دائرة السور أربعة وثلاثون الف متر وتم تقسم مصر الى عشرين قسماً  
كل قسم منفرد بإدارته كأنه بلد مستقل ثم يتحد الجميع في الادارة العامة في المجلس البلدى  
الذى هو أحق باسم دولة أذ دخله مليون ٢٦١ منها من إيرادات الغاز ١٨٠ مليون  
ومصاريفه فتحو ذلك منها ٩٩ مليون لقائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والنفاعة  
و ١٦ للمحتاجين وما بقى لمصالح المدينة كاه يصرف في مصالح البلاد وتحسينها وعلى  
المجلس من الدون أزيد من ألف مليون صرفت في التحسين اذ انه لم يرزل يشترى طارات  
ويهدمها ويفتح فيها طرقاً وبطحا آت وما فضل يبيعه أو يبنى فيه مساكن وحوادث على  
حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت في سفرى الثانية لمحاته المصر أن المجلس البلدى  
فتح طريقاً مسطحة مسطحة عامين بطحاء الاوبرة الكبيرة الى بطحاء بالى اروايل وباع  
ما فضل من الارض فيبلغ ثمن الميتر الواحد من الارض على الترتيب أربعة آلاف  
وخمسائة فرنك وبلغ سعر الميتر وحول النهر الموصل الى ابواى بولوفيا الى ثلاثة  
آلاف فرنك وهكذا ثم إن طرق البلاد عددها أزيد من ثلاثة آلاف طريق وهي

(٦٨)

تقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آفمور وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار جميلة  
 وشمالا ووراها قصور (والثاني) يسمى بلغار وهو ما كان أضيئ من الاول ويزيد عليه  
 بان يكون تحت القصور حوانيت بهيجة (والثالث) يسمى روهو وهو بقية الطرقات ومن  
 محاسن طرقها أنه يوجد فيها غالبا سيماء الطرق العامة محلات للبول مستورة بشكل  
 ظريف على هيئة قباب في وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء في غاية  
 النظافة وهي أيضا كثيرة وذلك من واجبات البلدان الكبيرة لبعدها المشاي عن محله  
 وذلك أمر ضروري وأجل الطرق منظرها والبغار الذي يشق البلاد تنقربا من الجنوب  
 الى الشمال وينتهي في جهة الشمال الى البطحاء المسماة بلاس لاكن كنعورة  
 فتصل بها حديقة الشانزلي وتنتهي الى البطحاء التي بوسطها قوس النصر المسمى  
 ارك دي ترينوف ويتفرع منها اثنا عشر نهجا وقد كنت في سفر في الثانية سنة ١٢٩٥  
 نزلت بأحدها هاته النوج المسمى قديما افنولا مبرتريس والآن افنوا بواي بولونيا  
 وكان الوقت صيفا فركبت احدى اللبالي مع أحد أصدقائي من منزلي في كروسة يجرها  
 فرسان وتوجهنا الى جهة البلغار وكان ركوبنا في الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا خيما  
 ساهمة ونصفا ولم نصل لمنتهى البلغار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السهر في  
 الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل والبهجة بنور المصابيح وكثرة ازدحام المشايين  
 والعواجل وبالجملة فهذا البلغار هو ما انفردت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة  
 وهو في الليل أبهى منه في النهار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها  
 وتزيين ظاهرها وتجميل ما يوضع بها من البضائع وجمال ذاتها وتنضيد ترصيفها وهذا  
 البلغار له عدة أسماء بجهة أربحات منه وقد كان إنشاء أصل هذا البلغار سنة ١٥٣٦  
 وكما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نصارته بالنسبة لنفسه في الجهات الاخرى والبلاد  
 وان كانت تشمل بلغارات أخرى بلغار هسمان وغیره لذكر ولا كالبلغار السابق والذي  
 زاد باريس بهجة ضخمة أبينها وارتفاعها وتناسقها وتنشائها في الظاهر ثم في باريس  
 أما كن آخر أنيقة فنها بالاروابال جوار قصر ملكي سمي به وهو عبارة عن مربعين  
 يتصل أحدهما بالآخر محيط بهما حوانيت تحت سمرات وفوقها قصور ومطاعم  
 وحمامات ومنازل وفي وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات  
 وحولها قهاوى ومقاعد والحوانيت تشبه كل جمیع ما يحتاج اليه فترى حافوا منضدة  
 بترصيف البوابات والجواهر وبازاتها حانوت أخرى منضدة بالعلوم والخضراوات  
 وتلاصقها

(٦٩)

وتلاصقها قهوة ذات منكمشات وهكذا ولا يمل نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع ثياب من  
أنواع المبيعات تجد هافى غاية التناسب للجمال من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هنافى  
غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور ساعهم لأن مترقى الأهالى يشترىون الشيء لباذعة ومحل بيعه  
فيماقة الزهر مثلاً تشتري من هنا أو من البلاء بخمسة مائة فرنك يهديهم المترف لعزيزته باسم  
صانع ربطها مع أنها تشمل زهرة من أمريكا وأخرى من الجابون وورقة من أواسط أفريقيا  
وهلم جرا وقد رأيت حائناً تبع الزهور في البلاء كراؤها خمسة عشر ألف فرنك في السنة  
وباع صاحبها باقة في رأس السنة بخمسة مائة فرنك وهكذا حوانيت بالى اروايل وكان  
أكثر بيعها البواقيت مركزهم هو هذا المحل فالدك كان له زيادة في حسن المنظر إذ كل  
اللائى والبواقيت ترى مرصعة وراء أطباق الزجاج مكشوفة لكل ناظر وقد كان إنشاء  
هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلى وهى غيضة فى طول ميل تقريبا وفى  
مقهاها قرب البطحاء تصير كأنها سبتان أبيض ذو عشاى وقهاوى ومقاعد وملاهى منها  
ما يسمى كافى شانتان فان الانسان يقدر أن يتعشى فيها منفرداً بأطبب ما يشتهى والموسيقى  
تعزف واللاعبون فى الملهى يشجعون ويعنون بالمضحكات وكذلك بها كافى لياشاد  
على نحو ذلك وفى أعلى الشانزلى بطحاء واسعة يتصل بها اثنا عشر طريقاً وبسطها  
قوس النصر المسمى ارك دى ترينوف الذى بناه نابليون الاول ورسم على حيطانه صورة  
جميع حروبها التى انتصر فيها وهو بناء ضخم جدا شاق للغاية ذو أربعة أفواس متقابلة  
متصلة ببعضها يصل عدل إلى أعلاه بدرج داخل احدى زواياه وعدد درجه مائتان وحدى  
وسبعون درجة ومنها جردان مايل الذى يفتح ليلاً وتخلل أوراق أشجاره وزهوره بها  
يبدعون من الفوار حتى يكون فى أرضه وقصونه ما يبلغ عدة آلاف من المصابيح الملونة  
الزيت كالوان الزهور غير أن من له عرض يتحاشا الدخول اليه لكثرته من يدخله من  
المومسات ويصرن برقصن هناك ويعيشن مع الرجال فقدهن من أخبار صحيفة الديما  
الانكار على الحكيم فى اطلاق تلك العاهرات حتى عبقوا بالصيدين الذين قدموا للعرض  
باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا اليه لالذلك البستان لا تفرج وسبب كثرتهن هناك  
اعفاؤهن من الاداء على الدخول بخلاف الرجال فيكل من دخل دفع جس فرنكات مع  
حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات فى مقاعد ذلك البستان المنشأ سنة ١٦٧٠  
ومنها بالاس لا كنه كورد المتصلة بغيضة الشانزلى السابقة المذكورة وبسطها  
حوضان كبيران وفوارات محيطها فوانيس وبين الحوضين الجود المسمى بالسلطة

(٧٠)

الذى جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصر بين القديم وحروفه - م التى هى أشكال  
حيوانات ونصب هنالك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما فى قطعة واحدة من  
حجرون القاعدة المنفصلة التى ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكلف جلبه -  
مصاريف عدة ملاين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور  
الكهربائى الذى هو كذا القهرلونا وطول هاته البطحاء مئتين ٢٤٨ وعرضه - هامترو  
١٦٩ وتصل بالنهر وبالبنغار ومنها حديقة - التولى المتصلة بالبطحاء المذكورة  
أيضا ذات المقاعد والمساطب وهى امام قصر الملك ومنها ابلا س فندوم التى بها عمود  
تأبيلون الاول صنع ه - هذا العمود من ألف ومائتى مدفع من النحاس غنمها الامم - براطور  
المذكور فى حروبه ورسم عليه صور المعامع التى انتصر فيها المذكور ووسط اليهود به  
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفى قمته تمثال نابليون وقد أسقطه  
السيكون أى جماعة الاشتراكيين الذين يريدون أن تكون الناس كلها - م شركاء فى  
جميع الموجودات وذلك فى ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجبه - ورية الى مكانه فى يوم  
مشهود وكونت حاضرا سنة ١٢٩٢ ومنها افندوى لوبرة الواصل بين بطحاء الملهى  
الجبب المسمى بلوبرو وبين بالى اربال وقد نورت بطحاآته وحفاته بالكهرباء ومنها  
الباساج أى الاسواق المسقفة بالزجاج التى لا يعرفها الا الماشى وهى ذات حوانيت  
يمينها وشمالا من أبداع الاشكال والتخمين ومنها غيضة أبواى بولونيا أى غابة بولونيا  
من أبداع الاجسام والغنائم المشتبكة بالصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور  
كلها صناعية وبها سماءش للمواجل وأخرى للفرسان وأخرى للمشاة ومقاعد وشلالات  
تنحدر منها المياه آجام وور ياض وقهاوى ومطاعم بأحسن تنظيم وفى البحيرة طيور مائية  
وجزوق وار يركبها الناس الى الجزر والناس يفتابون هاته الغيضة التى هى خارج  
باريس فى الجهة الغربية الشمايلة لبلانوار وهى عشى أهل الترف سيما أيام الاحاد  
والاعيداد وقد شهدت يوم عرض الجديش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق  
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالجملات على كثرة وسعها فان طريق الشانزى لوى  
عزف فيه أز يد من عشر كراريس متخاذيات ومع ذلك لم تستطع العواجل ان تتحرك فيه  
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب فخور ميلين فى  
منها ما فى جهته الغربية ثلاثة أراوين منفصلة عن بعضها ومتلاصقة مستقبلة برواشينها  
ومقاعد هاجحة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الملك وجميعها هيئة جه - استقباله

هى

(٧١)

هي ان بعضه أعلى من بعض متدزجاو يدخل البية من ظهره وامام كل منها فمكة بها كراسي ويفصل بينها وبين المبدان درابز بن ولا يدخل الى تلك الاواوين الامن كان يده تذكرة الاستدعاء من الدولة وقد حضر موكب السباق سنة ١٢٩٥ من خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع المحيطين بالمبدان بين راكب وراجل فهو ينوف عن نصف ما يورث من الخلائق وحول الغيضة أيضا ميادين أخر لغير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا وعساكر فرنسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرسحا للحرب ولكن لما رايتهم سنة ١٢٩٢ كانت كان لم يكن بها شيء وكانت أشجارها ثابته فيها منذ قرن حيث انهم لما أصلوها تفلوا اليها الأشجار العظيمة من الغابات ولهم في كيفية نقلها براعة أعان عليها علم جبالهم وآلات البخار حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النسابة بها من غير ان تمس عروقها ويبقى محلها كأنه بئر ومن غيضة ابواى قنسن وهي خارج البلد من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهي على فحواها وأشجارها أكبر غير انها لا رونق عليها وكان ذلك لعدم انساب الأغصان اليها وانما ينسحق فيها الاواسط والغرقاء لعمدها عن حارات الأغصان ولكن نقها ويها ساحتا لالساب رياضية بدينية بالآلات كثيرة تستعملها الاهالى وهاته الغيضة توصل اليها بالبحر والحوافل المسماة بالامنيديوس وبالتراموى الذى تجره مزجبة بخارية وكل هذين النوعين لا يستعمل في الغيضة السابقة لكثرة وارد هاهنا الغنى والترف ومنها غيضة تباروك مونسوقرب الشائرى لى لها أبواب من حديد مذهب أخرج من أبواب سرايات الملوك المسرفين وهي ليست بكبيرة جدا وفي باريس عدة غيصات على نحوها في كل قسم منها فغير انها ادون منها ثابته ومنها جردان دى كليماتسيون الذى أنشأته جمعية أهلية للنباتات والحيوانات وقد جمع فيه من كلال الامرين كلاما بقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم وكل نوع من الحيوانات والنباتات هبته وهو اصناعت على نحو ما هو متباديه في قطره وقد تيسر بذلك التحفظ على حياة جميعها غير ان الأشجار المعالجه هو أوها اذا أثرت لم تكن ثمرتها كاصها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن تراثم الحيوانات التى يصعب جلبها اذ مات منها شيء فانه يصبر جسمه لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته اماما رايته فيها من الحيوانات البرية والبحرية قبل زمره كتاب حياة الحيوان ليستوفى الكلام عليها واول باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تترى على المنشآت فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

(٧٢)

\* البيضا من الطيور بألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من  
 الضأن الكبش منه كالحيوان المسبع غيره لانيه لا يأكل اللحم وانما هو جوف وحشى  
 \* قوى جدا ومن حيوانات البحر أسد البحر وله صوت عال ويخرج الى البر أحيانا ليأكل  
 \* ما يلقى اليه وهو سريع الحركة قويها جدا ومن حسن تربية الاشجار ان شجرة ترى  
 قاعدتها على اصل واحد ثم تنفرع وتصير كالذكرورة ثم تجتمع وتصير أصلا واحدا ثم  
 تختلف على أشكال عديدة وفي هذا البستان عجالات تجرها خيل صفار جدا لمن يريد  
 \* المجولان راكبوا فيه محلة يجرها أربعة من المعزير كرها الصبيان وأخرى تجرها نعام  
 يركبها الصبيان أيضا وهنالك أفيال برخونها يركبها كل من يريد ذلك وفيه أيضا  
 محلات للقهوة وأنرى للجلوس وتنمأ به الموسيقى فى أيام من الأسبوع وعلى كل داخل  
 للبستان أن يؤدى فرنكا واحدا أما اذا أراد شيئا آخر غير التمنى والجلوس فيؤدى أجره  
 \* وله أن يشتري من كل ما فى البستان من الحيوان والنبات غير انهم اذا كان لهم من النوع  
 فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت فيه سنة ١٢٩٦ م لهى مركبة من سودان أفريقية  
 "وهو بالزئوس لوقوع الحرب بينهم" و بين الانكسار فى ذلك التاريخ انكسارهم فى الواقع  
 من سودان مصر كما صرحوا الى أنفسهم بذلك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا  
 \* وغيرها ومنها جردان دى بلانت وهو مثل السابق غيره ان بينهم عموما وجهيا فالاول  
 أبهى من نظراوا كثر حيوانات والثانى شتم على الحيوانات المسببة التى يمنع  
 وجودها فى الاول لان الثمانى للدولة وفيه كل السباع الا الذكر كدان فقد كان لهم منه  
 \* واحد لكنهم كانوا عند محاصرة باريس ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م ومن أعجب  
 ما رأته من الثمانين ثعبان اسود فى غلط عقدتين وعينه جروان جدا ويظهر عليه  
 خيم شديدة والزجاج المحيط به ممدود وراه اسلاك غليظة من الحديد مشبكة تشبه  
 ضيقا ويقال ان سبب ترميمه الزجاج كون شعاع بصر الثعبان ممدوما رأيت فيه  
 الحيات على أنواع ويلقون اليها اولاد الغار الصغار قبل نبات الشعر بجلادها فتشبه الحية  
 وتعرض عنه فيأق مغشيا عليه يضطرب ثم تعود اليه الى أن يموت فتأكل منه ولعل ذلك  
 لانها ممدودة على كل مثل ذلك وانظر من هذا المقدار اعتداهم بتربية كل حيوان  
 على طبيعته كما ينفردها البستان بكونه فيه دار للتشريح والتاريخ الطبيعى  
 مجسما فكانت جميع الاجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشرفة والانسان  
 على جميع أطواره من النطفة الى الشيخ القانى كما يوجد فيه خزانة للكتب فى الفن  
 المذكور



(٧٣)

- المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ الذي جعل فيه الأسن أنواع الصور والاصنام
- ومنها قصر اللوفر الضخم المتقن البناء والتأنيق الملوكي وكان مسكنة للملك والأسن معرضا
- للظرف والأسن نار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم ومجوهراتهم
- ومعافيه مائدة من المرمر الأبيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بالوان المرمر الأخضر
- والاحمر وغيرهم بحيث أن كل جهة من الأرض بلون خاص وفيه بيت للأسن الصبيين
- وأخر لدواخل أفر بقبعة وأخر لأعمال فردينا لددي لاسديس مسمى باسمه وفيه صورة
- خليج السويس محسنة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصورتشتمل على
- عشرات الأسن لاف من الصور وأخرى لبلدان محسنة وبحاروسفن ومراسي وجميع
- غرائب الاقطار يقضى فيه الانسان عدة أيام ولا يستوفى حصرا ما فيه وقد أخذ من هذا
- القصر قسم لإدارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر النورلى الذى وصله نابليون الثالث
- بالقصر السابق وخربه لاشتراكه بالحرق فى ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م
- وعينت الدولة قسما من أصوله والعمل جار فيه غير أن ما كان داخله
- من الفرش والظرف لا يمكن استعماله حيث كان مقر الامبراطور ويحتوى على
- أنفس بدائع الملوك وأمام هذا القصر حديقة بدعة نظيرة بها مالهى ينتمى لها اسن نهارا
- وليلأورايتهم ليله محبين من أحد العازفين باللة كل باب كبيرة جدا فى طول الانسان
- حيث أنه أتقن دقها بدون أن تكون أمامه وزينة التعليلات ومنها مالهى كران لوبره
- الذى هو أبهى وأظن من سائر القصور والملاهى واحتوى على الضخامة والتزيين
- والتأنيق والاسراف فدرجة المرمرية وشكلها ودرازينها توقف الابصار وهو ذو تسع
- طابقات لاتهرج بين وايوانين للستريحين ويحمل خمسة آلاف من النفوس وينور
- بالكهربا وأخبرت أنه صرف على انشاءه وأتميقه مائة مليون وأربعة عشر مليون نافذ نكا ومنها
- قصر اكسنبورغ وهو وإن لم يلحق نفاسة ماسبق ذكره من القصور ولكنه عجيب
- وبجانبه دار الرصد الجيحية التى هى فى أرفع ربوة بباريس وفيها من المرايا الميكبرة أنواع
- شتى منها ما عوفى حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكي تدور الآلة الى
- أى جهة من السماء من غير مانع وترى منه الكواكب ليلانهارا فقد شاهدت نهارا
- بالمرآة نجم الرى فولوس الذى لا يرى لبالالا بالمرآة قال المدير ان بعده عن الأرض
- أربعة وعشرون مليوناميل والحاصل ان فى هذا المرصد جميع آلات علم الفلك وبه علماء
- متابعون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول اليه ومنها قصر معرض سنة

(٧٤)

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي جمعت به باريس دارمأدية لسكان الارض واحتفلات بهم احتفال الكرام هو أبديع من جميع المعارض التي سبقته في جميع البلاد ولا يفهم من قولي احتفال الكرام ان القادمين تقوم بشؤونهم فرانسابل كل منهم يصرف على نفسه واغلا المراد هو التهيئ لاحضار ما يشتهيه أنفسهم وتلبية أعيانهم من كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمسالك التي يضيئها كبراء الدولة أحيانا ويدعون اليها أعيان المسافرين والاهالي فان دولة فرانساقدمت ملوك أوروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم فانه يأتي لمشاهدة ما لم يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى النموذج جميع ما في الارض كله بمجمل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب التواريخ ما قلته في رحلته تلك وهو قولي مؤرخا (قد زار أوروبا بالشاه ناصر الدين) ١٢٩٥ له كنه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد منازل المسافرين وذكرت الصحف انه أفطر يوما بمبادفونتين البواقي حولها غاية ومن تزهات فكانت نفقته في ذلك الفطور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية الغلاء بباريس لاسيما المكولات والمثروبات بداخل المعرض لكثرة الواردين من الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم أربع مائة ألف ومثلهم من الرثمون فضلا عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من العرب وغيرهم فن أعزة أبناء وطني الحازم التصريح محمد الطاهر الزاوش الذي هو من خيار الاهالي وترقى بنصحه لدى الامير ولي العهد بتونس الى ان ولي مسة شارده وأبدى من النصيح والنجابة في اسفاره مع محذومه لسياسة القباطل والعربان ما أقر له به المنصفون وله دراية جيدة بأخلاق الاهالي وله نصيح ووفاء عظيم مع الامم وسائر النحاه وكذلك قدم من أبناء الوطن الوزير حسين والعلامة سالم أبو حجاب وقد قدمت ترجمتهما واجتمعت بوجيد دهره النصيح للامة الباذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيدا الا وهو مدحت باشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وأنفذ بسايعه القانون الاساسي الذي لوجرى به العمل حقيقة لتنجت الدولة مما ألم بها لكان الحق صعب الاجراء الاعلى من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون ثم نفى الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي واليا على الشام ثم نقل واليا على أزمير ثم قض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتركه في خلع السلطان

(٧٥)

السلطان عبد العزيز وقتله لم يكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكيم مما العدم جريانه بالحق  
 المصراح فعرض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من المجازم شيعت وفاته شهيدا  
 للحق رحمه الله ونعم. وكذلك اجتمعت بذى الاصله داود باشا المصري حفيد محمد علي  
 باشا البنت وصهر الخديوى الحالى وكذلك بسفير فرنسا بباريس نازاراغا وغيرهم من  
 أعيان الاقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المآدب التى  
 أشرنا اليها من دولة فرانسافق مدد دعيت مدة اقامتى هناك تلك السمة لأدبته في وزارة  
 البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل  
 ودخله على غاية من التنوير والتزيين وجمائفه ملونة الانوار الارضية والفوقية كالوان  
 أزهاره وموائد المآكل والمشروبات والمخيمات مصفوفة والموسيقى عازفة والاعيان من  
 الذسوة والرجال يرقصون أو يتفرجون فى الملهى الشخص للطربات وصاحب الوزارة  
 المدعو اليها الضيوف يقف فى البيت الثانى من المدخل هو وامراته ويسلمون على  
 المدخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب ارادته ولا يلزمه الوداع عند الوداع  
 ويرى الانسان آلافا من المدعوين بالخبر باسمهم وذوى النياشين منقادين بهما ورئيس  
 الجمهورية يؤانس البعض ونساءهم يتن بدلاهن ولباسهن وحامين فان منهم من تلبس  
 الشفوف المطرز بالؤلؤ النفيس من صدورهما الى ذيلها عدا حليم المكاله بالياقوت الملون  
 ولا يكلم بعضهم بعضا فى هاته المواقب الامن كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف  
 نعم انهم يتهمشون الى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويؤانسونه وربما اضطرت المرأة  
 زوجها أو قريبها الى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما اذا كان لباسه على خلاف  
 معتادهم وقد عرفت الدولة لمصاريف تلك المواقف عدة ملايين فضلا عن مصاريف  
 الليلة الحافلة التى أعدوها تذكارا للجمهورية وقد روى أن مصروف الاهالى والمجاس  
 البادى في التنوير والتحصين والالعب النارية تجاوزت ستة عشر مليونا فرنكا وان  
 الرايات التى نشرت على طيقان الديار والطرق تجاوزت الاربعة ملايين وكان مركز  
 العاب تلك الليلة هو بركة ابواى بولونيا وقد اكثري بعضهم طاقة فى الطبقة التى فوق  
 من الدارات التى نسكنها للفرجة تلك الليلة بسبع مائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير  
 الموصل الى محل الالعب وكان المهندسون والهيئة متهمين لها منذ نصف شهر وعالقت  
 الثريات والفوانيس على الطرق قائمة على عيدان ومشبكة بالشجار وما قرب غروب  
 تلك الليلة الا وانتشرت العساكروا الحيلة فى جميع المراكز حففا للراحة وخشية من

(٧٦)

الاحزاب المضادين للجمهورية وما غربت الشمس الا وناب عنها نور المصابيح ومنعت  
الجهلات من السير في الطرق مظلمة وما بدت النجوم الا وتساعدت لها شمساريج البارود  
ترعى لها يافات ازهار ألوانها المختلفة الاشكال وتراكم ازدحام خالق الله بما يذكر يوم  
الحشر الاكبر ودام الحال على ذلك وأصوات الموسيقى والمارود تتهادى من كل طرف  
الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فرجعت العساكر الواقفون على البركة  
بخیلهم ورجلهم وبأيديهم فوانيس على عيذان والموسيقى تصدح لجن الموسيقيين  
وهي قصيدة في اشارة الحمية لاهل الوطن كانوا أعلنوها في الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠  
لطالب الحرية وقد كان ترجمته القصة ببدء العلامة رفاعة باشا راجع الله ونظامها  
ودونكها بنصها

فهيا يا بني الاوطان هيا \* فوقت نفاكم انكم تمها  
أتمموا الراية العظمى سويا \* وشنوا غارة الهيبة مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالي \* ونظم صفوفكم من الالاح  
وخوضوا في دماء أولى الوبال \* فهم أعداؤكم في كل حال  
وجودهم غدا فيكم جليا \* بنساختوضوا دماء أولى الوبال  
أما تصنعون أصوات العساكر \* كوحش قاطع البية داء كمر  
ونجت طوية الفسرق الفواجر \* ذبيح بذيةكم بظبي البواتر  
ولا يبقون فيكم قط حيا

﴿عليكم الى آخر الايات الثلاث﴾

فإذا تبت في من الجند \* وهم مع واحد لا طبع به  
كذا أهل الخيانة والوعد \* كذلك ملوك بني انيس ودوا  
تعصمهم لنا لم يجدشيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لمن جعلوا السلاسل والقيود \* وأغلا وأطوقا حديد  
لاهل فرانس البروا عيدا \* وليس مرامهم هذا جديدا  
أما هذا عجيب يا أخيا  
﴿عليكم الى آخره﴾

وكيف

(٧٧)

وكيف يسوغ ان نرضى رعايا \* من الاغـراب يبعون ارتفاعا  
ويجري شرعهم فينا شعرا \* وانذالا لديهم--م لاتراعى  
رعايا بل تكب على المحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فسلم يا سلام من المذلة \* فما نرضى بان نبقى أذلة  
ويا سمرنا وفتيتنا أجله \* فربق بالدراهم قد قوله  
فكيف وقد رنا أضهى علينا

﴿عليكم الى آخره﴾

الهي كيف يقهـرنا دلوك \* بسبل العدل ليس لهم سلوك  
وانذال للاستعباد حيكوا \* وما في الفخريشركنا شريك  
ولا أحديه أبدا حريا

﴿عليكم الى آخره﴾

فقل لهم أيا أهل انظالم \* وأرباب الجرائم والماسـثم  
اما تخشون من تلك المحارم \* كذا أهل الخيانة للمكارم  
وظلمهم لقد بلغ الثريا

﴿عليكم الى آخره﴾

أهلوا الخوف نخوكم أماما \* واخلوا العدل عندكم أماما  
ونقضكم لموطنكم ذماما \* بهتجـزون ذلا وانهتـقاما  
وتكتسبون عند القوم خزيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فهاكم قد تسكرت الاهالي \* وسارت كلها نحو القتال  
لقد تخـم المهالك لا تمالي \* اذا امامات ليث في المنزل  
تولد أرضنا شبلا صديا

﴿عليكم الى آخره﴾

صغير القوم منا والكبير \* يحب قتالكم فرحنا يطير  
نحاربكم وليس لكم نصير \* وليس بحربة أصلا نظير  
وحاشا لولنا يلقون عيا

(٧٨)

﴿عليكم الى آخره﴾

لناوطن بههـ مناعهـ راما \* به تقوى عزائمنا دوما  
غمانه ونخشى أن يضامنا \* ونأخذ ذنارهم من تعامى  
وجاروان يكن ملء كاعتبا

﴿عليكم الى آخره﴾

لناحرية في الكون سمو \* تزيذاذالمحـ روب بدت وتغمو  
تساع من بغير ساميمـ م \* بهائمـ رات نصرتـ مـ تتم  
على نغم المائى والمجيا  
﴿عليكم الى آخره﴾

تموتـ داتهم موتا شديعا \* اذا ما أبصروا عـ زامنيعا  
يحوز جساتها بحـ دار فيعا \* فويل للذى يبغى الرجوصا  
لرق يكذسى خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

سـ ندخل سلك أرباب الجهاد \* كسلاف لهم طول الايادى  
ونفـ ونفـ ونفـ في كل ناد \* ونفـ ونفـ فضاءهم في كل واد  
ونبلغ في العلى شأواقصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء \* وكل فقى بفخر انصرباء  
وان لا بعدهم نبقى مساء \* اذالم ننتقم لهم العـ داء  
وياخذنا رهم من كان حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوها لنا خاصا وكانوا يرغبونهم في ليلة تذكار الجمهورية ولم ينظم  
في تلك الليلة عزنان مع أن بعض اعضاء الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينوز  
فانوسا وبعضهم رحل عن البلد بالمرّة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لضيوف  
المعرض الاحتفال الذى صنع بعرض الجيش حول ابوابى بولونيا كما مر ذكره  
فبعد احتياك الموكب بالمنفرجـ بين الذين يجاوزون النصف مليون ومنهم شاه ايران  
والعسا كوترى من بعد حول تلك النـلال والهضاب واذا بالمارشال مكماهون رئيس  
الجمهورية

(٧٩)

الجمهورية اذ ذاك قادم را كباء على حصان أشهب عربي يقدّمه ثمانية فرسان من العرب سكان الجزائر بلباس العرب و برانيسهم حروسهم وجهم عربية و وراءه وزير الحرب ثم نحو عشر من فارسا من ضباط العساكر والمعينين وكلهم باللباس الرسمية فلما دخل الميدان وسامت وسط الموكب أو ما بالسلام بحجة المتفرجين الجلوس في الايوان الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر ومعهما واصل الى راية الاو وكشف رأسه موهبا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله المكاف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس فخبره كذا وسلم على رئيس الجمهورية ثم اتجه الى جهة الاو وابن وأصدر أوامر الحركات العسكرية فاذا بالجيوش من كل حدب بنفسه لمون وجاء الاسلحة الاولى وموسيقته تعزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وفت ومرا الاسلحة ماشيا من الجيوب الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى فناء غيره ووقفت موسيقته وهكذا الى ان مرت خمسة واربعون الفا من العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا سربا بمشون خيول وكل سرب متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت الطليعية أي عساكر المدافع بعدافعهم شجرها الخيول ذاهبة بن خيما الى ان مرت مائة مدافع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدّمها رئيسها را كبا ووقف بين يدي الرئيس الى أن تفرقت في فضاء فبعدها ومعهما راية كبيرة أو ما بالسلام للرئيس وكشف هولاء رأسه ومنذ سلم هو عنه دخوله الموكب الى ان انقض الموكب كانت المدافع تطلق من الحصون وعند ما مرت العساكر الاهلية أبناء باريس ضج الموكب بالتصفيق والتحيات استحسننا اسفحتهم ونشاطهم حتى صارت كصوات الرعد ووقع لغيرهم قابل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلامظلة وقد سقط عسكرى من حواله الشمس في الحال حمل في نعش مصابي العساكر وطالبه الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقدًا وعنده خروج الناس لارجوع احتبكت الطرق واشتدّت الكراراريس على أحكامها وكان يوما مشهودا واشتد الكراراريس انما كان مستغفرا بالانه من عاداتهم في هاته المواقب اذا حضرت كروسة بتلفها أحد من غار المكلفين ولما ينزل الركب يعطيه بطاقة بهاء مدد خاص ومثلها السابق الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج الركب أعلم أحد أو اثنين المكلفين بغيرته فيرفع صوته بها فتأني الله له بمجرد سماع

(٨٠)

سائقها بعد مغرته من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكن في ذلك اليوم حيث خرجت الناس  
دفعته مع كثير منهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم التمييز لكثير الموكب  
ومثل ذلك احتفال يوم السباق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق تهيأت خيل  
السباق وكان الجمل من الدولة للحجلى مائة ألف فرنك وللصلى عشرة آلاف ثم ألفان ثم  
عاقى في عهود أسماء الخيول المدفوعة أولا وكانت ستة عشر فرسا من عناق الخيل الجياد  
العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركابها متساوون في الوزن حتى اذا كان  
أحدهم أخف جل شيئا يستوى به مع أصحابه وكل منهم لا يلبس لباسا لاصقا بالبدن وعليه  
فحويجة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الألوان لكل لون خاص وكل منها يسكنه رجل ثم  
يتصافون سواء من مبدأ الميدان فيضرب جرس اذنا بالركض فاندفعوا راكضين وكان  
الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من  
الخيول حدة فأعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو تسعة أميال وأدناها  
ما يقطع الاولى فقط فالسرب الاول كان من المتوسط وحاز القصة حصان أحمر وعاق  
اسمه واهم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا وانما خرجت الفرقة العليا تهيأت الناس  
وكثير اللفظ في المخاطرة كل يدعى ان الفرس الفلاني يغلب وكثيرا ما تريح عشرات  
الملايين في مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتفرجين ثم انضمت الخيل راكضة وكانت  
سنة فقط وكانوا أول المختارون على أيهم يجوز الخط الداخلي من الدائرة ولا يطلعون عنان  
الخيول وعدا ما توسطوا الدائرة النهائية أرسلوا الخيل على غايتها فتخلف من تخلف ولم  
يبق الا ثلاث وعندها بقي الربيع من الدائرة تتخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل  
منهما تارة يكون مصليا وتارة مجليا لكن لما قربت قصبة السبق فاز الاجر السكيت  
وصار ينظما لسايراه من شدة سباط راكبه وكنت تخيلات سبعة من أول الامر لما  
تفرست فيه من حدة نفسه وتقارب وسرعة حركته مع ان الكل مسنون في صفات  
الجودة غير ان هذا أحدوا أخف وقد أعطى صاحبه لاراكب عشرة آلاف فرنك من  
الجزارة لان عادتهم ان يكون المضممار السباق فرسان خاصون أو سائس الفرس أما  
صاحبها فلا يسابق بنفسه الا ما ندر مع أمثاله وليس ذلك لزهدهم في الفروسية بل انفة  
لانهم كثر والركوب للخيول نساء ورجال لا يصرفون على تربيتها وتوليدها أموالا  
جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعمائة ألفا أو يزيدو يكتبون أنسابها مسجلة  
وأصنافها من العرب وذكري ان جدا أقدم نسل من خيل انكلا تيره هو حصان تونسي

اشترى



(٨١)

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذي نحن بصدد ذكره موقعه في الجهة الغربية  
الشمالية من باريس يقسمه نهر السين الى شطرين فالأول كان عن يمين النهر مدار السين  
يسمى التوكادرو وبني به قصر على شكل بديع وبنائه متقن ليدل على عظمة  
المشار اليه أولاً وأما ه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على جهاتها صورة أسد ونور  
وفرس ونخيل وكل صورة ضخمة جدا كلها مذهبة والمساءة مدقق مهيبة عجيبه ويحيط  
بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بنا آت اصـورة بنا آت الممالك التي أجابت  
الدعوة فنهادر أراسها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة ديار فاس وبها النقش  
حـديدية وغيرها مما هو عادة لهم وكذلك فرشها ومناقص مظهر يشاهد ايران على نحو  
قصر بيلا ده ومن عجيب ما به سقف بيت كله من البلور المضاع على هيئة عناقيد ودهكنا  
كل مما ذكره أجابت الدعوى تبني مكانا على هيئة أبنيتها في بلادها وحول تلك الابنية  
مخادع ومتاعد وحوانيت وقبة في تلك الحدائق والسطر الثاني من المعرض يسمى  
شان دي مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من  
المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو ميلين في ذلك العرض كله بناء من قضبان حديد  
ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل مما ذكره تأتي بالتأليف ما عندها من الجمادات  
والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أو جل حقرا وعظم فـكان ذلك المحل حاو بالجميع  
أنواع ما يعـلم في الدنيا لانه أجابت دعوة فرانسا الى ذلك جميع الممالك ذات الشأن  
الا لدولة العلية لاشتغالها بحرب روسيا اذ ذاك فالتعرض حيث تذلما فيه عث اذ يهز  
عنه الواصف وانما ذكر أفرادا من المستعربات التي لم تزل عالقة بذهنه فنهاساعة ذات  
أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أزيد من ستة أذرع ورفاقها صورة  
كورة أرضية معلقة في القبة التي فوق الساعة ويحيط بالساعة صورة الشمس والقمر  
وبقية السكواكب السيارة والغريبة من جهة كون الساعة ليس لها آلة تدور بها سوى  
تلك المذكورة وذلك بان اعتمدت برتقلاها وربعـدها عن مركز تعليقها ومنعت من الاسـتقرار  
بمركزها باعراض قائم في رأس الساعة متصل بالاسـهل الدوار فكانت السكورة  
تطلب المركز وتدفع العارض بثقلها وهوي دور وهي تدور معه وهكذا وهي من مصنوعات  
الفرانسيس وقيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها تقدم من البلور الرفيع ذو ثلاث درج  
وثنى عشر ضلعاً مرفوعة قبة على أسطوانة من البلور يجلس به اثنا عشر انسا كل  
قطعة واحدة من البلور المضاع وهو من صناعة النسا ومنها مطبعة تطبع بلونين في آلة

(٨٢)

واحدة وتخرج عددا وافرا في كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة في قنوات من  
 حديد مفرغة من الهواء فتصل بسرعة كالسلك الكهربي وقد صار الآن في عدة جهات  
 من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها المجوهرات والتحف الغريبة التي اهداها  
 ملوك الهند الى ولي عهدنا ككلا تيرة وهي كثيرة عجيبه جدا ومن أغربها معولان من العاج  
 في طول الذراع ورأساهما على صورة رأس أسد ودعيناها ياقوتتان جردا وان لم أرأجل  
 وأضوأ وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الوصف من بدائع الصنائع  
 والمخلوقات وأما بقية اما كن وبناءات باريس الشهيرة فهي كثيرة جدا ومن أهمها  
 ليزان فاليد وهو محل العاجين من العساكرو به آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح  
 في الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التي غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت  
 فوقه ينشأه وسيفه ادخل في اليه واروي جميع خثبات غرائبه تكبرمة منهم وحوله  
 قشلة كبيرة للعاجين من العساكر بالسن أو المحروب الذين يريدون الإقامة هناك  
 فزيادة على القيام بجميع ضرورياتهم لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشي تجعل له  
 محلة صغيرة يحركها بنفسه ان قدروا لاجرها خادم للتروح في المنزه الذي حول ذلك  
 المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبته أمير آلاي ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما  
 ملاهي باريس فهي كثيرة ومختلفة المقاصد اذ لا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي بل  
 ظاهرها التلهي وباطنها فائدة من الفوائد كالاعلام بتاريخ غريب لتحتفي محاسنها  
 وتجتذب قباها لان الرائي يشاهد النتائج عما نافته يكون أوقع في النفس وكلا فائدة بفائدة  
 عليه منما يحصل في أحد الملهي من ذكر كورية الارض وان من يقطعها ذاهبا الى جهة  
 الغرب في نيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذي خرج منه يجده انه نقص له يوم  
 من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل في يوم الاحد والحال ان اليوم عند اهلها في ذلك  
 المكان هو يوم الاثنين وبالعكس ذلك من يقطعها ذاهبا الى الشرق فانه يزاد عنده يوم  
 فيرى انه وصل يوم الثلاثاء والحال ان اليوم عند الاهل في ذلك لان السائر  
 الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم بيلامته عنده أزيد من أربع وعشرين  
 ساعة فيجتمع في تلك الايام يوم كامل يضيء على المسافر ويزيد عنده مقابلة مثله لان  
 اليوم بيلامته عنده أقل من أربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافي  
 على هاته المسئلة وما هو الحق حكم الشرعي فيها اما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة  
 فان المقيم يعمد يوم الجمعة والمسافر الى الغرب يعمده الخميس والمسافر الى الشرق يعمده

السبت

(٨٣)

السبت وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقنة وان المحكم هو الاعتراف بما  
عند اهل المكان فأوامك اللاعبون يصورون هاته المسئلة العملية بتشخيصها وصوروة  
السفر برا وبحرا وما يعترض من العوائق وثمره الخصال للتوصل به الى الاغراض الى غير  
ذلك وهنالك ملاهى لافادة العراة والبالغة في الكلام وأخرافادة علم الموسيقى الى غير  
ذلك من الفوائد ولوالسياسية فقد كانوا مدرة رياسة المسار يشال مكهاون على الجمهورية \*  
طلب مجلس الامة ان تعزل ولاية البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية  
فامتنعت الوزرا من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما  
انتظم المجلس الجديد أصدر على مطالب سلفه فاراد الرئيس حله أيضا فامتنعوا من ذلك  
اذ لا حق له الا في حله مرة واحدة في نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضى الى شعب فكان  
أحد الملاهى لاعبا واذا باحد اللاعبين يقول ما ترجته به فظاها

المسار يشال مكهاون يخضع \* وان أي من الخسوع يخضع  
كذا للولاة من صياصى تدفع \* لان ذلك للبلاد أنجح

فدخل الحرس وفتشوا على القائل فلم يقر لهم أحد ولا وجدوا الكلام في كتاب الحكاية  
وآل أمر النزاع الى استعفاء المسار يشال واعلم ان تلك الملاهى يوجد منها ما هو مضية \*  
ومشغلة لكنه قابل والمحصل ان ملاهيهم لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم خافلون  
عما فيها من مفسدة مهمة وهى تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومبانيه ووسائله  
اذ قل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتدرون عن ذلك بأنه يعلم أيضا صناعة ثمرات العشق  
وشناعة الفضيحة واثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات  
وكان ذلك لا يفيد اذ البواعث النفسانية غالبة على عقول الكثير من الناس فتأخذ  
ما يلائمها وتغفل عما سواه ويؤيدها ان الكثير من يحضر تلك الملاهى انما يجعلها  
وسيلة لانه يمكن من امة ان بصره في الالعاب والمتفرجات التماثيل بدل لمن وجع لمن  
ولباسه من وترى كلام من الحاضرين به ممرآة مقربة وهو لا يشعر له الا اشخاص  
من واحدة الى أخرى ثم يلتمسون الوسائل الى الخلطة بن يعلقون بها بل وكذلك تفعل  
الابكار والشابات مع الرجال الالهيقات وأعظم هان الملاهى هو كران لوبره الذى تقدم \*  
ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية يناير سنة ١٨٨١ الذى هو  
عام وأربعة أشهر ٧١٠٠٠ ر ٤ فرنك ومعه مرفوفه في تلك ٥٠٠ ر ٧٤٩ ر ٤  
المدة فكانت الخسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسة مائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

(٨٤)

أما قوله لانها تعين من دخلها في كل سنة اعانة للملاهي مبالغ وافرة فكان معين للملاهي  
 \* المذكور وملاهي أو بيرة كوميك وملاهي تياتر فرانكس وملاهي لوديو في سنة ١٨٨١  
 ١٠٠٠ ر ٣٢٤ ر فرنك عدا بقية الملاهي للفوائد التي مر ذكرها ركز البيت الواحد  
 \* في هذا الملاهي سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون فرنك في الليلة الواحدة وبه يدت لرئيس  
 الدولة يتنوي على مرافق وقد أذن لي بالدخول اليه تكملة من رئيس الجمهورية  
 اذ ذاك المسار شال مكاهون ومن أهم الملاهي البديوم الذي يلعب فيه بالتخمول العاها  
 بحمية وكذلك الملاهي السمك فترى الخيل تدرك من قبل الانسان الخادق وكذلك غيرها  
 من الحيوانات ولوا السبعية فان الاسود والقبيلة وغيرها للملاهي خاصة وتطبيع امرها  
 \* كالأدعي حتى رأيت الشاة تسطو على الاسد وتركب على ظهره وتدخل رأسها كله في  
 فيه وهو منقاد خاضع وحوله في الحجرة التي هو بها أربعة اسود آخر واربعة غورية ومثلها  
 ضباع ثم ذئاب ثم أربعة من الدب كله واقوف حول حيطان الحجرة كما صاحب موكب  
 محتمل وذلك الاسد الكبير في وسط الحجرة والنهضة تلاعبه وتركب عليه وصاحبها واقف  
 معها لكي لا يسطو واحد على آخر وتلك النهضة لا تخشى بأس جميع تلك السباع بل كأنهم  
 هم الخائفون منها غير اني شاهدت هاته السباع في تلك الحالة والضبيع واقف يرتعد من  
 الاسود وبوله جار على رجله ومع ذلك لا يخجل بامر صاحبه ومثله الدب فان صاحبه اذا امره  
 بالقرب من الاسد الكبير تراه يرتعدو يصيح ولا يملكه يفعل ما أمر به وكذلك ذلك الاسد  
 يكفهر ويكره قرب الدب منه ولا يملكه لا يضربه بشئ فالنقرة بين النوعين شديدة بخلاف  
 \* الاسد مع النمر فالنمر لا يفر من اقرب ويب ومن غريب ما شاهدته هناك شعبان في غلظ شبرين  
 وطوله نحو خمسة عشر مترو بجعله عدة رجال ويحسه كل أحد ولا يضربشأ وهو من النوع  
 الذي ذكرناه بجبال الودارنة بقطر تونس وقلنا انه بن الالهالي مثل ألقط الالهالي كالملاهي  
 \* للشعوذة يعملون بها اعمالا غريبة وأمام معامل باريس للصنائع فهي كثيرة جدا ومما اختصت  
 به عن غيرها عمل كبلان الذي يصنع به المنسوجات المنجنية كالزراقي التي يضرب بها المثل  
 وكذلك عمل السيفر الذي يصنع به الاواني الخزف التي يفضلونها على الخزف الصيني  
 وقد رأيت به مائدة على ساق واحدة أرفع ما رأيته من ذلك المشكل بالوان وصفاء بديع  
 ذكروا ان قيمتها ستون ألف فرنك وكذلك عمل التتويه بالفضة والذهب بالجاذب  
 الكهر بائي فترى الفناطير المقتطعة من النحاس مصممة بآلات وشوكات وملاعق  
 وغيرها يدخلونها في برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كأنها من ذلك المعدن وأما  
 \* منازل المسافرين فتعكاد ان لا تخصي وأهمها المنزل الأكبر في بافار الطليان فانه من  
 عجائب المباني والتنظيم وترى فيه ايوان الاكل العام متسعاجد بقبة واحدة يحيط بها

رواشن

(٨٥)

رواشن و يوقد به نحو سبع مائة مصباح وقمة و محيطاته كلها موهبة بالذهب على اشكال  
جميلة و به سبع مائة كل مائدة يجلس عليها خمسة و نفاستى ثلاثمائة و خمسين نفسا  
فى بيت واحد ياكلون جميعا على غاية الراحة و النزهة و الابهة و لا تسمع فيها الاغنية و الكل  
ياكلون سواء و الفطوره خمسة ألوان و العشاء له سبعة ألوان عدد الحلويات و الفواكه  
وزينة المائدة البديعة و ثمن الاكل فيها للواحد ستة فرنك عشاء و اربعة فطوره و يحتوى  
المنزل على ستائة حجره للسكنى و ستين بيتا متصلة للجلوس و يصعد الى طبقاته العليا بالجلوس  
على كراسى تصعد بها آلة بخارية و اما حماماتها فهى على نحو ما سيأتى فى الصفات العامة  
غير انها اختلفت بحمام عربى قرب البلغار و هو فى نهاية التانى و التزيق و الزخرفة  
شبيهة بالحمامات العربية فى كونه له بيت كبير حار للاثسال و العرق و بيت كبير لترع  
التياب و الراحة للغتسل مستلقى بعد الاغتسال و بين البيتين حوض كبير مملوء بالماء البارد  
يتزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه الى بيت الارتياح و عند وصوله الى  
الحائط الفاصل بين البيتين يضطر الى ادخال رأسه ايضا فى الماء لان الماء واصل الى  
اسفل الحائط و فى الحمام خدمة يكبسون المغتسل و ينظفونه على النحو المعتاد فى البلاد  
العربية و بعضهم من الجزائر و بعضهم من السودان اما احوال المعارف و ترقى العلوم  
فالمراتب فيها واسع جدا و نقول اختصارا ان فى باريس مكاتب للعلوم العالية و اولىها مجمع  
كبار العلماء ثم مكتبة فرانسا و هولندية للمعلمين و مكتبة اركان الحرب و مكتبة المعلمين  
و مكتبة الصبيان و مكتبة اتقان علوم الطرق و الجسور و مكتبة علوم المعادن  
و مكتبة تعلم التجارة و مكتبة الصنائع النظرية و مكتبة علم الموسيقى و علوم تشييد  
الملاهى و انشائها و مكتبة اللغات الشرقية و الاسماء القديمة و مكتبة الصنائع و خمسة  
مكاتب ابتدائية للدولة و اما الابتدائية للالهى فغير محصورة و هى كثيرة جدا و مكتبة  
للقسيسين عال و مكتبة لهم دون و مكتبة للعمى و آخر للصم اليكم يعلمونهم باللسن و الاحرف  
الجسدية و انوار الجسدية فيصلون الى سنائر المدرجات كما ان فى باريس ثمانية خزائن  
كتب عظيمة للعلماء تحوى من الجملات نحو ثلاثة ملايين مجلدات و كبرها خزنة المكتبة  
العمومية التى فيها أول ما عرف من آلة طباع الكتب و فيها بعض مخنف عتيقة مثل قطع  
من الشطرنج الذى كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان و جملته ما فيها من  
الكتب ازيد من مليون مجلد منها ازيد من ثمانين ألف مجلد بخط اليد و من تلك  
المكتبة المكتبة التى أخذها نابليون الاول من مصر ثم المكتبة المأخوذة من الجزائر

(٨٦)

وقد رأيت فيها كتباً نفيسة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسفار تقطع من الذهب ونحوظ جميلة وكان فيهما من المطالعين والناسخين نحو خمسة مائة نفس نساء ورجالاً لكن الرجال أكثر على غاية من الأدب والاهتمام وهاته الخزنة مثل قصر عظيم ذي طبقات ومحل المطالعة واحد أيوان واسع ثم وراءها تيمك المكتب والكتب واعتمناه الدولة بواعث أنحرل الاجتهاد والنقد في العلوم وذلك بانعقاد جمعيات للتحرير والاعانة بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود في خصوص باريس فنهى جمعية اللغة القرائنساوية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الطريفة وجمعية العلوم العقابية وجمعية علوم الطب وجمعية التحرير على الاختراعات وجمعية علم النباتات وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاءات الديونية وجمعية الجغرافيا وجمعية علم التاريخ وجمعية المرحلة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النباتات والحيوان وجمعية الصنائع القرائنساوية وجمعية لتخمية سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع فن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت فيها من أنواع أحرف اللغات التي يطبع بها سبع أنواع منها الاحرف العربية وعدد المستخدمين بها يقرب من ألف نسمة وفيها كتب قيمة وحديثة في كثير من اللغات ومنها كتب غريبة عتيقة بالخط الكوفي وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المختصة بطرق الحديد لطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من سبعة مائة نسمة وتطبع بالحروف وعدلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخرى كثيرة للصحف وغيرها فان الصحف لها تأمير كبير في المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين يومية وشهرية وأسبوعية في السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يومياً أزيد من خمسمائة ألف نسخة وفي بعض الاحيان لاتخدمه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائق الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلاً عن غيره وأما ما كن المرحلة كالاستشفيات وديار الاقليات فهي كثيرة ويكفي أعظمها ما ذكرناه في المستشفي الذي نظارته الى المحكيم شاركوا والقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجاناً الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة الزنى والزانيات المتحسوز عدددهم عشرات الآلاف منهم من هن في ديار مخصوصة لذلك جهرة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكي يمنعون المريضة بالامراض المعدية ويدخلونها للمستشفى ومنهن من هن في ديارهن أوفى الملاهي أو خدمات الى غير ذلك ومن أما كن المرحلة الدار الرحبية المتخذة للفقراء الذين لا يجدون ماوى وهم قادرون على التكسب

(٨٧)

التمسك بـ فان هاته الدار تأويهم ليلا وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشا بشرط ان يغسلوا ارجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا في الساعة الثانية بعد الظهر وفي السهر يسرد عليهم قارئ كتابا في تهذيب الاخلاق والحل على العمل ولا يقبل الواحد ازيد من ثلاثة أيام ومع كثرة المراحم فكثير ما يموت الناس في الطرق جوعا أو بردا سيما في سوق الخضر لان من لا يجد مأوى يبقى به من الزمهرير فيجهد بـ (وأما طرق المواصلات) والانتقال من محل الى آخر في وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر في نهر السين تقف على الشواطئ بينما وشمالا من طرف البلد الى طرفها الا سخر الكوب في هاته البواخر اذا لم تكن مزججة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والمصيف ومنها ما يعر على القرى المجاورة للبلد ومن الوسائل التي تسمى وتجر الخيل في أغلب الاماكن وفي الطرق القليلة المروور تجر من جبة البخار ومنها الا نديوس وهو مثل ساقه غير ان طريقه ليس حديديا ومنها التي تلجج بالبلد مارا حذو السور كنه تارة تجرى في نفق تحت البلد ومنها الكراريس ولها ترتيب منضبط في باريس ازيد من غيرها لان التسعير المرسوم لا يزداد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فان سائقي الجملات اظن انهم في كل بلد هم اسوأ أهلها أخلاقا الا ما ندر وفي عام الممصر اكدت عليهم الحكومة التاكيد الزائد وشددت في الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع ذلك كانوا كثيرا ما يستولون السيرة ومن الوسائل أيضا الكوب على الخيل لكنه خاص بالبحر وأما الماكرون فهم أقل استعمالا من الكراريس وسائر الجملات وبالجملة فان في باريس مائة ألف محملة ومائة وثمانين ألفا من الخيل وهذا كاف في بيان مقدار الحركة وأما رواج التجارة والسلع فلنكتفي بذكر شي منها وهو قصر البورس الذي تروج فيه كل يوم تجارة تتجاوز آلاف ملايين وفي أحوال السلع نقضه على ذكر مخزن اللوفر الذي هو قصر قد وحرارة كبيرة ذو أربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس والخيل التي تجرها واذا دخل اليه المشتري تنلقفه الخدمة بالبشاشة واللين ويطاعونه على كل ما يريد فيختار ما شاء ويذكرهم اسم محله ويذهب وهم يأتون بما اختاره مع صحيفة مبين بها الأثمان مضاة بالخلاص فاذا وجد شيئا غير الذي اختاره أو سعره أغبر الذي سمع به رد ما لا يهجه وأخذ الباقي وأخذ صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير ما كسبه في السعر ولا يخذل المشتري من الغرر لان السلع هناك أرخص مما يمكن ان توجد لان صاحب

(٨٨)

الخزن يأخذها من العامل وين يدعيها نصف في العشرة بجأوكل من دخل الخزن الذي هو حقيق باسم قصره أن يدخل إلى ابوان الجلس ويشترأ فيه ما يشاء من الخصف ويكتب ما يريدو يشرب شيأ من المشروب وبات كل هذا مجانا ولصاحب الخزن دفاتر عديدة مقيمة بها أسماء الساع بأعداد مع أسعارها يعظمها كل من أراد ومن يريد بعد ذلك شيء آمن الساع ولومن الاقطار البعيدة فليس عليه إلا أن يكتب للدائرة جريدة بها أسماء ما يريد بأعداد فيأتي به مع البريد ويدفع اذ ذلك الثمن ويأخذ المطلوب أما اذا تعترف بتجار وجعل معهم حسابا متصلا فان دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا الخزن مخزن بومرشي وهما لك مخازن أخرى عديدة **✽** كما تدون هذين ومن غرائب ما رأيت به بباريس القبة الهوائية الكبرى التي تسمى بالبالون وقد سماها علامة اللغة أجد فارس بالخطاف قد صنعوا واحدة كبيرة جدا ونصبوها في بطحاء التوري وبطوها بحبل من النمل تجذبه آلة بخارية وعاقوا بها مركبة تسع أربعة وعشرين نسمة وكل من ركب يدفع أجرة الركوب عشرين فرنكا ثم يطلقونها تصعد إلى ارتفاع ثلاثمائة متر وتوفري الصاعد جميع باريس وما حولها كما تتجه وكان أول اختراع هاته القبة سنة ١٧٨٣ في فرنسا وهي قبة متخذة من منسوج الحرير مدهون بنوع صمغي كالمسمى بالفرنيز تلي البخار الغازي الذي هو أخف من الهواء العادي بأربعة وعشرين ضعفا فتصعد ضرورة فوق الهواء لانها أخف منه وتحمّل ما يتصل بها مما لا يعادل ثقله خفة هوائها ومن محاسن باريس الماء المجلوب اليها من عيون غزيرة وجعلت له خزنة هائلة تقصد للتفريج عليها زيادة على الماء الذي يرفع من النهر بالآلات بخارية فالأول للشرب والثاني للاستعمال ومن أما كن التفريج الدها ليز الكبيرة التي تحت الأرض ويقال انها كانت لقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة لعظام الموتى مرصعة مرتبة وكذلك الخديقية الوسيعة التي تجرى فيها الفضلات والمياه فانها تسير فيها آلات بخارية نحو الرتل لتظيفها وتقصدها بالتفريج ومن صفات باريس ان أغلب دورها يصله الماء في قنوات صغيرة كل دار على قدر استحقاقها وكذلك كل دار لها قنوات للبخار الغازي للتسوير ليس الا ولعوض الديار ساعات تحركها قوة الكهر با في مكان متجه في المباحث تكون جميع الساعات متساوية الوقت على التحرير الصحيح في المرصد من غير مشقة لاصحاب الديار ولعوض الديار أيضا قنوات لآليات الحرارة للتسخين الديار عن حسب ارادة صاحبها وما يدقسه على بيوتها من غير كلفة لا يتبادر اليها ولا خوف من احراقها لان الحرارة لا تسيء هي حرارة هوائية



(٨٩)

هو رئيس لـسب الدار الادفع من هاتيك المرافق شهر يا اوسنو باغيران عمل  
التسجين والساعات لم يتكاثر كغيره ولا يلبث أن يعم واتحاد ساعات البلد احرهم جدافى  
كثير من الامور ولهذا كانت اوقات طرق الحديد فى كل مكان ممتدة على قاعه تلك  
للملكة فتجد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

## الفصل الثالث

✱

✱ فى بقية البلدان التى شاهدتها بفرانس

هاولسا بالدفرسال هي غربي باريس تبعه مدعتها مسير نصف ساعة فى التروهي منتزه  
الملوك ويهاقصوراينة و بدائع من تحف الملوك وما أثرهم منها الكراريس الرسمية  
التى تباع قيمتها الملايين لسافهم من المذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور  
البساتين والمحدائق الجميلة ذات المياه المدافقة والبرك الواسعة قد جعل فيها سنة ١٢٩٥  
وهي سنة المعرض عدة لعمال للزينة واندفاع المياه فرأيت هاتيك الحدائق ملونة  
بقناديل الانوار الحماكية كثرة النجوم وشماريج البارود بألوان وأشكال صاعدة  
وقائضة ودائرة ومنايع المياه طائرة فى الهواء كل يحوم منها فى غائط فحوض ذراع مرتفع  
عن منبعه فحوار بعين مبروفة كأنها متأثر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عليها  
وكذلك أنواع أخرى من المنايع ترمى الى أمامها على استقامة الى أمدها يدور كل تلك المياه  
منبعة من نهر السين بالآلات قوية بخارية والمنفرجون عدة مثبات الالوف وحول البلاد  
غابات ومماشى جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة نظيفة والقصور الملكية ليس بها  
من المفروشات الا قلائد من آثار الملوك متحفظين عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها  
كل من مجلس الاعيان والنواب اذا كانوا نقلا الى هناك بعد حوب المانيا سنة ١٢٨٧  
هـ ١٨٧٠ م وكان جلوسى فى بيت رئيس الجمهورية اكرام منه لى على عادتهم فى  
الاكرام بمثل ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شئ من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو  
يوم تصحيح قانون استقراءه رأيهم فى استقراءات واصلاحات الاوليات حتى رأيت  
الاعضاء كل مشغول بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ فى القانون ولما كثرت اللفظ بينهم  
الرئيس مرارا للاستماع فكانه لم يخاطب أحدا واضطر لـلكون وذلك لان ذلك  
القانون قد تبنا حموافيه مرارا واستقر الرأى فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه  
تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية ليقع الامضاء عليه فقط واما مجلس

✱

(٩٠)

النواب فتذا كروافيه على مسة اثنين أولا هم اطاب وزير المال للخصصة في صرف خمسة  
آلاف فرنك على جنازة امير آلاى باغ السبعين سنة من العمر ومات تحت السلاح فقير بعد  
ان ذكر تاريخ حياته وما آثره وطلب اجراء مسة آلاف فرنك سنويا لثلاثة وان ذلك  
المطاب استقر عليه رأى الوزراء فاختتم كلامه الاوارتفعت الاصوات من جهات اليمين  
منهكرين لذلك وردت عليهم هم أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين الى أن  
التزم الرئيس باسكاتهم ورام اتباع القرعة فخرجت الاكثرية بموافقة الوزراء فقالت  
لرفقائى هـ ل رأيتم ما وقع قالوا نعم لكن ما قصه ذلك قالت ان دخل دولة فرانس نحو ثلاثة  
آلاف مليون وقد اتفق وزراؤها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل  
بذل في خدمة دولته والدفاع عن أمته مجموع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ  
أمرها في مال الامه الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقهم وبذل ذلك لاصرف المال  
الافى وجهه لاعلى اختيار فرد دوله على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا في تحديد  
معاهدة تجار ية مع ايطاليا وان شرح المنازلة توفى به أخوه الذى هو أيضا عضو وفى  
المجلس فقام هـ هذا العضو خطيبا نحو ساعة ذكر ملخص تاريخ التجارة بين المملكتين وان  
ايطاليا أخرج تجارة من فرانس وطلب تعديل فصول في المعاهدة السابقة فوافقوه على  
ذلك (وثانيها) بادالسيغروهى قرية على نهر السين قريبة من باريس فنحو نصف ساعة فى  
الجهلة وبها عمل السيفر للغرف وبستان أنيق وقصر ملوكى (وثالثها) بادة صان اكلوا  
بقرب السابقة قريبة من هياستها والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة  
الى فرسال فانك ترى ككأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض ويتقل من  
واحدة الى أخرى بالترتل وبالكروسة وبالتراموى وبالامنيروس وبالباب وانوالنهرية  
سوى فرسال فان النهر لايجعل السفن الى قربها (ورابعها) بادة فونتين ابوالواقي  
هى اصغر من فرسال وعلى نحوها لككأن ايسر بها الا قصر واحد ما لكى وبه اثاث  
لناس يليون الاول ومنها مائدة كانت أمامه وقت اعلامه بانكسار جيوشه عند تعصب  
أوروباعليه وكان يبهده موسى فضر به المائدة غيظا ولازال أثره فيها لكن هاته  
البلد تفضل غير هاجبا حولها من الغابة ذات الاشجار الفاخرة ومحيط الغابة نحو  
أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعدم ما يفرح النفوس وفى وسط الغابة قهاوى  
ومعامل لحرق تحف من اخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كبة قروالحشى وغيره والغابة  
متساعدة فى جبال جبيلة بما كساها الله من النبات وفيها صخرة يعتنى بالنفراج عليها  
سقطات

(٩١)

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلها حركتها مع عظم جرمها وفي الجبال عيون كثيرة ويجري حول البلاد نهرو فهي من منازة فرانس المقصودة (وخامسها) بلدة البون وهي بلدة كبيرة ذات بساتين وبساتين كثيرة ويخترقها نهريان أحدهما يسمى هالرون منحدرا بسرعة وتساو فرسه البواخر بقلة وثانيهما نهري السون ثم يجتمع نهريان خارجها ويذهبان إلى البحر وهي ممتدة بين مارييليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها جميل سيما جهة منتهزها المائل على النهر الأول ويصنع في مطاعم ذلك المنزه طعام من سمك النهر الأحمر ويتغنون في منزه وعلى النهر عدة جسور في البلاد أحدها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المدامق وسطحه في أطرافه بسلاسل وأحسن أما كن هاته البلدة هو بطماؤها الكبري التي بها قصر البورس وقصر الحاكم وأهلها يظهر عليهم الجدل في الصناعة لأن هاته البلدة هي أشهر البلاد الفرنسية بنسوجات الحرير فكانت السكان قائلوا لجولات في الطرقات إذا غلبهم معتكف في المعامل وتجارة أهلها شهيرة في المعمور ورأيت فيها النفق في الجبل الذي يصعد فيه الرتل صعودا ينفذ حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفله فجعلوا طريقا حديديا ولتقريب الطريق واستقامته ثقب له الجبل حتى يصعد مستقيما وجعلت فيه حافلة وسبعة تحمل نحو خمسين نسمة ويجذبها لآلة ماد حبل من سلوك من الحديد بالآلة بخارية إلى أن تصل إلى أعلى الطريق فينزل الركب منها ويسمى ذلك بالتونيل واقترب هاته البلدة وما لبيلة وهي ليست الا شغلا للتجارة (وسادسها) بلدة مارييليا التي هي أعظم مرسى تجارة لفرنسا وفي البحر الأبيض وهي بلدة كبيرة ذات جبال ونزهة وفيها حركة عظيمة للتجارة إلى سائر الاقطار وفيها الخلط من السكان من سائر الاقطار وأحسن طرقها طريق كانوبيا رفيه قهاوى ومقاعد ريفها فاقت بها الماعلى قهاوى باريس وفيها منزهة يسمى اشاتودوفي أعلى مكان بها ومنه يفجر الماء المجلوب اليه على حنايا ذات مياه متين ومحل انقسام المياه منظر بديع من حسن البناء وتأنيقه وحوله حديقة نزهة وبها حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الأناقة القديمة قرب شاطئ البحر وقرب محل السباق وأنزهة قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دودونزيرفي المختلطة مطعما على ربوة من الجبل المحذق بالبلد يحيط بالقصر من جميع جهاته روافد على اسطوانات بشكل جميل مع تنسيق للبناء وحسن الفرش والأكل يحيط به حديقة نظيفة فهو نزهة للخواطر ولولان منظره للبحر عشيبة تكدره الشمس لأنه غربي. كان أجل

(٩٢)

مارأيت من نوعه أما قوة حركة التجارة بهاته البلدة فهي - برة للبحر من وذلك انك تشاهد من حركة الجملات والسفن والقوارب والارقال وكثرة البضائع من أنواع شتى داخلية وخارجية الى الصين وأمريكا وسائر الاقاليم وترى من المخازن التي هي حقبية باسم قري لكبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما ان قصر بورس بهما يكاد يناكب بورس باريس والمحاصل انما هي ثافي بالمدلباريس فيمارأيت به بفرازا وأما مرساه فهي ذات حوضين عظيمين لامن السفن وترى فيها من البواخر وغيرها ما يشبه الغابات المنجبة وقد وردت على هاته البلدة ثلاث مرات في سفراتي وأقمت بها عدة أيام ذهابا وائابا (وسابها) بلدة طبلون التي هي أول مرسى حربي على البحر الابيض وهي بلدة حربية اذ لا نضارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والادواض لانشاء السفن والمدرجات والمعامل لانشاء المدافع والكل والالغام البحرية وغير ذلك من قوات الحرب شئ كثير ورايت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشتعلة بانشاءها منها ما هو على تمام ومنها ما هو في البدأة والخلاتق منه يكون على الاجتهاد كالنمل في المصيف وقد كان سفرى اليها سنة ١٢٩٥ وكان مصاحبا لي في الرتل صغير الصين القادم بالاستدعاء للعرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف على عادة أهل الصين وكل محبته وشواربه بيض فحيف الجسم ومعه غلمان لا دري أهم ابناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا في حافلة منفردة هو واتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومروافق بحيث لم يغزل منها مدة السير الى ان وصلنا الى طبلون فنزل هناك حيث أعدت له دولة فرانسباخرة حربية ذات طبعتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده في الصين وكانت البانخرة مباحة ذلك اليوم للتفرجين والمحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها سمات القوة والشارات العسكرية وأقمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلدة نيس التي هي على شاطئ البحر وهي مأوى الاغنياء وذوى الترف من الفرانديس وغيرهم من أهالى الاقطار الباردة في الشتاء وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى في الشتاء حسنا وكثرت بها القصور والمباني الجميلة ومنازل المسافرين الرحبة وجميع ديارها صغيرة لاترى يد على أربع طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الانكاز في بناء انهم على ذلك النحو وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا لما يقدم منهم ذوا الترف المتعودين

على

(٩٣)

على سكنى الانفراد فلذلك كانت مبانيتها جميلة نظيفة وسياج حدائقها من الاجر  
أو الحجر مصروف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجرى فيه المياه عند نزول الامطار  
فقط وعليه عدة قنطرة ولها عدة ملاهى لكن لما قدمت لها صيفا وجدت البلاد كأنه  
خال عن السكان لثقلته من به بالنسبة لكثرة البسائين والديار المنفردة وليس بها ملاهى  
مشتتة الا سوى الملاهى الصيفى على شاطئ البحر ويقرب من هاته البلدة عدة بلدان هكذا  
على نحوها ظرافة ونزاهة وأقمت بها ليلة ويوما (وتاسعها) بلدة أباتشو وهى قاعدة جزيرة  
كرسكا وهى مرسى امنية صناعية ومن عاداتهم فى المراسى ان البواخرهم ما وصلت تقوم  
اشغالها لليل والنهار سواء فحمل السلع وتنزل غيرها وكذلك ان كان بحيث ان ساعاتها  
المعينة لا تتأخر عنها ويجد المسافر فى المرسى وحولها ضروريات ما يحتاج اليه وهى  
منورة وهاته البلدة نظيفة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارج والليمون فكانت  
رائحة الزهر عند دخولى اليها فى الربيع عابقة وفيها بطحاء وسبعة بوسطها صورة نابليون  
الاول والدار التى ولد بها لازالت على هيئتها وفرشها للتحفظ عليها كالمصالح العامة  
لانه من رجال السياسة المعدودين فى الدنيا ورقى اسم فرانسوا الى درجة عظيمة وهوى  
الاصل من عموم أهلى هاته البلدة واقمت فيها بضع ساعات ولما أردت المصايب ليلا  
عند الغروب ثم طالع البدر نقصوا النصف منها اقتصادا فهاته هى البلدان التى دخلتها  
واقمت فيها بقرا ناسا فى السفرات الثلاث وعند رجوعى الى الوطن فى السفرة الاولى  
را كبا من مرسى ليما وكان ذلك فى يناير الموافق لحررم سنة ١٢٩٣ لىلا صادفت هيجانا  
عظيما فى البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة بن فيها وانكسر منها عمودان من حديد  
معلق فيها قارب ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو  
من القوة ان يتحرك من محله وجاء فى السفن صياح بعدد والبحر مهيئ بالسلافة  
وأخبرنى انه لم يرمثل تلك الليلة وانه ر بطنفسه بجعل مع عمود الباخرة ليمتدح الثبات  
فى مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة كرسكا الا بعد ميعادها بانى عشر ساعة ومن غرائب  
المرامى انى رايت فى الليلة الثامنة فى البحر ان سنة من اسنان سقطت وكان احباءى  
سألونى عنها وكنت أسلى نفسى بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد المسمى  
نزعها فاما افقت انقبضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر  
لى فى أوجه الاحباب الملايين غبارا وفى انشاء الطريق سر على الفاضل محمد السعدونى  
هاته الايات قال

(٩٤)

فاشكر الهك واذكر النعم التي \* ردتك بعد تلاحم الاهوال  
فاتبت ارضك سالما وأعزما \* تلقاه فيها فوزكم بالآل  
فترى بذك من السلامة في حل \* موصوفة منكم بكل كمال  
وجميع أهلاك والاختبة كاهم \* يلقونكم بتساحب الاذيال  
هذى هي النعم التي لم نوفها \* حق الثناء على الرئي المفضل  
وهو الذي أبقي اليك الاختكى \* تسمو بهرك في حل الاجلال  
اذ لم تصب في غير ليلة أمسنا \* والآن ترقب منك خير هلال  
فاشكر الهك صابرا متيقنا \* بجزيل فضل الواحد المتعالى

فاعلمنى بوفاة أخى الوحيد رحمة الله ونعمها وكنتم تركتها مريضة بالسل فتوفيت ليلة  
قدومى بعد تلك الرؤيا بليلتين وحضرت جنازتها ولم أعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت  
الاقارب الا بعد ان حلت فى الاسنان سنة ١٢٩٧ فذكرتمنى فى الوصول الى المقصود  
بالملاطمة وهوان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأنى بمعرفة فقال له سموت  
جميع أهلاك فبطش به ثم أنى بمعرفة آخر فقال له ان الملك أطول عمرا من جميع عائلته  
فأجازه فتبهرت بذلك الرؤيا الى ان قال لى المتحدث ان امر هذا مشهور فى علم الرؤيا فقلت  
نعم ها أنا قد شاهدته فى نقيى لى لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد  
يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا فى الاحاطة باحوال الرأى ووقت الرؤيا والاحاطة  
بالمرى الى غير ذلك وربما قل عن شئ منها فيغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك فى ثبوته  
وما أوتيت من العلم الا قليلا ويكفى فى ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية فى صحيح البخارى  
ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزءا من النبوة وأما سفرى الثانية الى فرنسا  
سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا توأجرور الباسخرة البريدية على بلاد بونة  
من اعمال الجزائر وكان البحر فى غاية الهدوء حتى رأيت على سطح المساء قطعة من نبات  
بحرى مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهى قليلة الظهور وانما ترى عندما يكون الماء  
فى غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر متباعدة بقوة مثل أعظم الفوالق فاخبرنى انها  
من نوع سهل يفصل ذلك وان منها العظيم الذى اذا صادف عمله ذلك احدى السفن  
الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المراتب وكذلك عند رجوعى من هاته السفرة  
كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بلاد الجزائر وكان الوصول اليها صابحا بعد الشروق  
لكننا لم نر البر وكان السفن أخبرنا بالوصول لكنه لم يبر البر مع يقينه بالحساب للوصول

التعزم

(٩٥)

التزم الوقوف وذلك لكثرة الضباب المتكاثف ذلك الصباح فما انقشع الضباب بصر الشمس الا ووجدنا البركان في مقدم الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من اطف الله التدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقري الى ان تيسر لها الدوران ودعوات المرسى وسأني الكلام على مملكة الجزائر في باب مخصوص (وأما السفرة الثالثة فكانت على طريق إيطاليا ومنها الى فرنسا ومنها الى انكلا تيرة وهكذا الرجوع ولم يكن البحر اذذاك الاعلى ما هو متادوم ما حدث في الوطن في سفرى الاولى وبأغنى خبره وأنافى باريس ظهور دعوى وقت لها طائفة من الشيخ المسن التقى أحمد بن المهدي في العمل بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ بأقوال الاثمة المجتهدين واختافت الروايات في الواقعة ومدارها تصميجه على رأيه وتغصب العلماء عليه الى ان حكموا به فيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها ربه الله وتحرير الكلام على المسئلة باختصار حسب ما وعدنا به في الكلام على اثمة جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسى ذى السبط الشهير علما وعلا غير ان هذا التلميذ هو دون شيخه عبر اهل في العلم فالرسالة اراد ان يذكر فيها سطر بقة شيخه فلم يوف بها وتغير المبنى المقصود لشيخه اذ مدارها ته الرسالة ان لا يقلد أحد الا المعصوم ولذلك يجب على الامه ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى ان ظاهر ذلك يوقع في افساد الشرع حيث انه لا يخفى ان لا تباع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في الكتاب والسنة لكن أين أهل الفهم منهم ما وأين ادوات ذلك التي كانت في صدر الاسلام سابقة وصارت على التدريج صناعة وعلوما تتعلم وتبدل الامر حتى لم يبق من بوفها حقها فاذا سوفنا لكل أحد ان يعمل بما يفهم مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كانت المجتهدون كثيرين في الصدر الاول ففهم من كثرت أتباعه وتأسل النقل لأقواله الى الآن وهم الاثمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم من انقطع النقل عنه فلا يجوز الا أن تقلده لعدم صحة السنة في مذهبه بالنسبة لاهل العصر والافكا هم سواء بالنسبة للقلد وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الأدلة ومناطاتها وترجيحها فهو طامى وله ان يقلد من شاء من الاثمة المجتهدين لقوله تعالى فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سنة الاجماع هو نص من الشارع وسنة القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فجميع الامرالى

(٩٦)

ان لا عمل الا بالكتاب والسنة والشيخ السـنوسى رحمه الله مقرر لذلك فى رسالته له الفها فى  
المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اخمصا راجلا وذلك ان الشيخ السنوسى قور فى رسالته  
وجوب اتباع الشارح والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اخراج  
المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والى كمال حتى يقدر ان يفهم  
كلام الشارح ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير فى تنفيذ ما يلحقه الى تقليد  
ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت فى السـنـنـد لى لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما  
يقع كثيرا فى تفرعات بعض المتأخرين فيخطئون فى التخرج ومع ذلك ينسبون القول  
لاحد الائمة فيها لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ما هو عليه من العلم واتساع الباع انى  
اذا استغنا فى مستفت من ملتمى مذهب مالك فانى لا أفتيه الاجماع قل عن ذلك الامام ولو  
كنت مرجحا لغير قوله حسبها الطامات عليه من الادلة وذلك لان المسـنـنـتفى انما سألنى  
عن قول مالك لا على قولى والحاصل انه فى نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل  
مكلف ابلاغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت فى تأليف كثير  
من أهل العصر فى الهند النحو الى هذا المنحى وان من له اطلاع على الادلة ومنه انما سألته يجب  
عليه اتباع الدليل وكان هؤلاء العلماء يرون من هو من طلبة أهل الترجيح  
المنصوص عليها فى كتب الفقه

## الفصل الرابع

﴿فى التعريف بفرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا من ممالك أوروبا الغربية وتبتدى من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠  
شمالا الى درجة ٥١ ودقيقة ٥٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة  
٥٠ شرقا الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربى لان مبدأ الطول عند كثير من  
التأخرين هو باريس التى هى قاعدة هاته المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا  
وشرقا إيطاليا وسفيسره والمانيا والبلجيك وشمالا ببحر المانش وخليج كالى الفاصل بينها  
وبين اندلانية وغربا البحر المحيط الغربى فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ برا  
وبحرانى ثلاثة ببحر محيطها وبقية ببحرها عدة جزر منها كرسىكا وجزر يارس فى البحر الابيض  
وجزر رى واويلرون وويسان فى المحيط وفيها جبال كثيرة واعظمها جهة الشرق  
كالجورا والاب وتتصل اساسا له مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربى فتتصل

بجبال



(٩٧)

بحسب الـبيرني الفاصلة بين فرنسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرنسا هو جبل أوروفان  
ارتفاعه على سطح البحر قدما ٩٣٣٠ وليس بها جبل بالـكافية وأما أنهرها فهي  
كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وإنما البعض منها يحمل الصخرة وأشهر  
أنهرها نهر الـسين الذي يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب في المذش ثم نهر  
السوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب في المحيط الغربي ونهر ررون وطوله ميلا ٤٤٠ وهو عميق  
مع السير ويصب في البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب في البحر الغربي إلى غير ذلك  
من الأنهر وبها من الترع فحوم تسعين ترعة ولا زالوا يجتهدون في تكبيرها ووسيلة  
الأنهر والبلدان بعضها ببعض لنقل الركاب والبضائع زيادة على سقي الأراضي ويبلغ  
طوله هاته الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتهم فلم أعلم فيها إلا ثلاثة (أولاهها)  
بحيرة ديورجي حذو جبل المونسني حلوة مالح بها منظر جميل ويمر على شاطئها  
طريق الحديد (وثانياتها) بحيرة دنسي قرب جبل آلاب وكلاهما جاري يصب في نهر الزون  
(وثالثتها) بحيرة آن قان قرب باريس وأما هواؤها فالجبهة الشمالية منها باردة والجهة  
الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعا شتاء ومع ذلك فهي وأرضها سليم لا تقي بالصحوة ولا يقع فيها  
الضباب الا بقله وهو متعب جدا فدفد صافته في سنة ١٢٩٣ وذلك اني ذهبت زائرا  
أحد معارف في قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت في الساعة السادسة  
بعد مضي الغروب بنحو الساعتين فوجدت الطرقات في غاية الظلمة ولم ادرك إلى أي جهة  
الطريق فتجهيت من ذلك وسألت صاحب الباب ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة  
فقال كلا ولكن الضباب منع نور الفوانيس من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة  
التنوير فارتاسات ليوقى لي بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت إلى تتبع الناس  
للحائط مع التحذر من المصادمة وكنا نعلم قرب موقف الكراريس فذهبنا إلى جهتنا ولم  
نر نور فوانيس الا عند الوصول اليها فلما أردنا ركوب أحدها امتنع صاحبها وكثر اللفظ  
بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية وألزمه بركابنا وأبصرنا إلى منزلنا فاجابه بأنه غير  
ممتنع لكن الخيل لا تمشي لأنها لا ترى فقال أركبوا إلى أن تفهم وجه الطريق يكن غير بعيد حتى  
ظهرت المشاعل على وجه الأرض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من حبال غليظة تحرق  
وتدار باليد في الهواء على وجه الأرض على نحو ما تفعله البوادى فاحدنا ثقي الكروسة  
رجلا منهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراه إلى أن أروا لنا  
واعطينا لهم رجل أحسنه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة في تلك الليلة مع قلّة صهيلها هناك

(٩٨)

على كثرتهم وكذلك كثرت باح الكلاب وزاد جسمها وضوحها وحمس العجالات ولما وصلنا  
 الى البلغار على كثرة توير حوائثه وقهاويه لم يظهر منها شيء الا اذا صدق الانسان بالغافوس  
 فانه يرى ثوره مصورا عليه وقد ذكرت تلك اللبلة صحف الاخيه اوشيدت بشأنها وان مثلها  
 \* كثير بانك تراها بلا ثور اما البرد فهم مستعدون له ابسا وسكنا ولهم حيلة لازالة الثلج من  
 الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول  
 \* مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعاً من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فينبت  
 بها جميع نباتات أراضى الاعتدال والاراضى الباردة بالنظر لجنوبها وشمالها وعلى  
 الاجبال فالجهة الشمالية منها أجل منظر الان في الجنوب جبالا صخرية وحر اشاغير  
 صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب سيما جهة بلد برد ووشمبانيا السكن في هاته السنين  
 الاخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بالغة وفيها من الكثرة أنواع فاخرة لذينة سيما  
 في الشتاء ويطبخها وخنوخها حسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الا خضر المعروف بالذراع  
 أو الحب وعندهم أكله معروضة بقية فواكهها وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات  
 \* لا خشاب السفن وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والذئب  
 وخيلها على ثلاثة أنواع (فاولها) العرب العتيقة وهى مخصوصة للركوب (وثانيها)  
 البراذين وهى لجر الاثقال والخوافل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلط من نسل المذكورات  
 ويستعمل لكل القسمين لكن أكثره لجر الكراريس ومنه الجبل للقيام بالقصوى  
 والبغال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الجربوريات في باريس ان الحمبر  
 الاناث والوالدات يطاف بها بكري الصباح على الازقة لمحاب من يشتري لبنها وهى نظيفة  
 حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسميته للاداء كل ولهم على من يفوز بأكثرية التسمين  
 جوائز حتى بالغ مرة وزن ثوره منها ثمانية وأربعين قنطارا وتستعمل للحراث أيضا ولجر الاثقال  
 بقلة والذئب من النوع الذى له ذيل وذوات الالبه قليلة وأما أنواع الحيوانات المسببة  
 فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقليلة انقطع من  
 \* هنالك للاعتناء بقطعها مع كثرة العمران نعم يوجد منها حربي في الامصار كالاسود والذئب  
 \* ويتوالد الاسد ويرضع بفيه كلاب كبار لتقليل جرته ولهدم ضعف والدته وأما الثعلبين  
 والحيات فهى قليلة ولا يزالون يجتهدون في قطعها فان غابت فتدبى بالوجه حول السكل من  
 أى جهة منها مقدار من المال أما في باريس فلم أجمع بوجود عقوب ولا غيرها من الحشرات  
 ولا خنفسه وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الدبار والطرقات حتى لا تسكن وتجذب في حائطها

(٩٩)

مغرزة معاروكها مئة مئة الطلي ظاهرا وباطنا بالخص أو الرمل والجبر سواء الظاهر والباطن مع عدم وجود الخراب في أي جهة نعم في الجنوب من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما من الحشرات وهي أيضا قليلة في المدن بالنسبة لما نعرفه في البلاد التي تشبه تلك البلاد في الحروب وبورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها إلا في أوقات معلومة كما أنه ليس لأحد أن يصطاد إلا برخصة من الحكومة يؤدي علمه معلوما وليس له أن يصطاد في غير أرضه المعدة لذلك أو أرضه العامة المعدة لذلك برخصة فيما من الحكومة أو يدخله غيره أرضه برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة ونوع الفيزان كثير (وأما مدن) \* فرانسا فمنازلها عديدا ريس وقد تقدم ذكرها وهي ماثلة إلى الشمال من المملكة وبقيّة المملكة تنقسم إلى ستة ومائتين ولاية كل ولاية لها مدينة هي مركزها وبتبعها عدة أوطان لكل وطن مركزه وبتبعه عدة أوطان صغار وهاته أيضا إلى أصغر منها مجموع النوع الأول من الأوطان عدده ٣٧٠ والثاني عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠ وللكل منها مدينة أو قرية هي مركزه فهي حبيثة وكثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم ذكره منها (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها الغني للغاية فالذهب لا يكاد يخرج من محله وان وجد لانه لا يوفى بصاريه والفضة موجودة بقله ومثلها النحاس والقصدير والمجرى كثير غني وكذلك قطران الأرض وأنواع من الحجر والرخام الأبيض ومنه الشفاف وأنواع عديدة من المجارة كحجر الطبع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد والرصاص كثيرة وبها سحر الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيدشي وحمام برني (وأما مراسيها) فكثيرة بحرية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها ويقاس عابضها \* وحصانة باقيها (وأما سكانها) فإصاهاهم القديم من قبائل مختلفة وردت إلى هناك من المشرق في أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكيتسيين وقسم منهم عبر المحيط إلى انكا كثيرة وانضاف معهم في قرانسا قبائل أنت من جنوب أفريقيا يسعون بالاسلح ولا زال إلى الآن سكان جبال برني يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجعت عليهم قبيلة الافرنج الا تبة من المشرق واستوطنت قبل ذلك في البلجيك ثم تغلبت على قبائل فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد بهم الافرنج ثم حول إلى الفرانديس وصاروا الآن جنسا واحدا وهو الفرانساوي الأهل ندس وساقويا وقرسكانه هم طليانيون وعدد الجميع ستة وثلاثون مليون ونصف عدما في مجتمعهم اثنان والدانة الغالبة هي النصرانية على المذهب الكاثوليكي وقد كان هو مذهب الدولة الرسمية لكن الآن لم يبق من الدولة

(١٠٠)

اعتبار ديانة أو مذهب خاص حتى انها أزلت سنة ١٨٨٠ علامات المذهب  
الغلبية عن الاماكن الرسمية والمكاتب كما وجد فيهم المذهب البرتسي-تاني وديانة  
اليهود وتوجد المذهبية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام  
و يتبع فرانساستهرات في افر يقية قهرت الجزائر وادعت بالحماية على تونس  
واسنولات على سانيغال وجزائر غوري وسانت ماري وبورون وعدد سكان هاته  
المستهرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربع ملايين والباقى على مذاهب  
وديانا شتى ويتبعها في قسم آسيا أرض بونديشيري وكال و ماهي ويناون  
وشاندز نفوركاها في شطوط الهند كالها سايغون في كوشين الصين وعدد سكان الجميع  
نحو الثلاثمائة ألف ولها في أمريكا جزائر صان يي وروميكاون وماريتي-ك وغوادلوب  
والفيان الفرنسية وية وسكان جميعها نحو الثلاثمائة ألف أيضا ولها في الاقيا نوس جزر  
مركيز ونايتي وسكانها نحو المائة والخمسة وسبعين ألفا جميع السكان والملاقات نحو  
اثنين وأربعين مليوناً

## الفصل الخامس

(في اجمال تاريخ فرانساج)

### مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديماً غاليا أو غالة ويجهل الحال في تاريخها القديم أعنى  
ما قبل تاريخ الميلاد بألف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها  
شجعاناً حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان إلا بعد مشاق ثم استعادت فرانساج  
عندهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدو رؤساء متحدين ثم  
خضع الجميع للملك سنة ٤٢٠ مسيحية وأول عائلة معروفة من ملوكها تسمى المير وفنجيين  
وفي مبادى القرن السادس تعاقب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاقاليم لانه تصارها على  
جميعهم ثم قامت الكفاف سيدنا وصارت فرانساج ذلك لقب أطلق عليهم مأخوذ من  
فرانسكس أى شجعان ثم انقسمت الى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة  
الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جميعات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين  
الصيرة

(١٠١)

السيرة في الإدارة حتى كان لا هالي حرية قامة بل قد تخرج عن الاعتدال إلى التهور فقد ذكر وانهم كانوا يقدمون الغنائم ويعطون الملك حصصاً كأحد الجيش فلما انتهروا في إحدى الوقائع وقد انتهوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها اناء من ذهب طلبه الملك من الجيش برضاهم فيمنعاهم بصد داجابه واذا باحدهم تقدم وضرب الاناء بيده وقال له بأعلى صوته ليس لك أدنى شيء سوى ما يخصك بالقرعة ولا تفر لك بامتياز وأول تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائة الخامسة مـهـجـبة وفي أواخرهاته الدولة أعني سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير من جنوب فرنسا حتى وصلوا إلى اليبون وخرجت تلك المستعصيات واتحدت مع فرنسا وبقيت فرنسا على نحو ما ذكرنا إلى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضاً بشارلمان المعاصر للرشيد العباسي وقد ضم إلى فرنسا عدة ممالك من أوروبا حتى تسمى باسمه براطور المغرب وانتقل تاجه إلى فرعون العائلة إلى ان بقي الآن في المسانية التي كانت إحدى ممالكه واستقل بها أحد أحفاده عندهما قسم ابنه ممالكه على أولاده فخلق بكره على جرمانا والثاني على فرنسا والثالث على إيطاليا وضعف ملوكهم باستنادهم الأمور إلى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم إلى أعلى المناصب والانتخاب بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وماتتهم الأمم وتناسروا إلى ان خربت العائلة واستولت على فرنسا العائلة الكايتانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب أوغسطس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة بحرب الصليب الثالثة لكنهم الماس وصلوا إلى صقلية تنسافروا وافترقا ثم بهد رجوعه من الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واستخلص منهم بعض ما كانوا ملوكوه من فرنسا ومن هاته العائلة صان لوي الذي أسرى مصر ومات بتونس وله تذكار معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي حشد للايمان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضطر ذلك بسبب فليب الخامس إلى الاعيان وأشرفت فرنسا على السقوط وتدخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتهى بالانكليز في كثير من الوقائع وتماكبوا كثيراً من الجهات حتى ذات باريس مع التناصر الداخلي في فرنسا ثم ظهرت بنت لأحد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد الإلهي لانقاذ فرنسا وساعدها الملك بتأييدها على الجيش وأظهرت فيها جادة غريبة

(١٠٢)

وافتيكت من الانكليز عدة جهات وفي حصارها المدينة كمينان أخذت أسيرة وحكم  
عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا  
الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب ولم تخلص فرانس الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك اذ ذاك  
كارلوس السابع الجيش المستمتر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان  
المساكين للملكة بأهلها هم الذين يقدمون العساكر للملك فكمسر كارلوس شوكتهم  
واعتنى بترقية الملكة في المعارف حيث كان مطالعاعا لم او قد نقلت صناعة الطب  
الى باريس في أيامه وأنشأ مدرسة خاصة للطب واستقامت سيرته نال من القنوجات  
والترقي بالمدينة غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب  
به الكاثوليك وأغروا أمه به وقتلوا كل من ظفروا به في فرانس من أهل مذهب  
البروتستانت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين ألفا وقتل الملك بيده  
عددا كثيرا وهو واقف متمللا في أحد رواشين قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانس الصعود  
والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جد في أيام لويس الرابع عشر  
الملقب بالكبيرة المتولى سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة  
بحروب الثلاثين سنة وانهت على فرانس النفوذ الذي كان للفرانس في أوروبا وظهر فيها عدة  
مشاهير بالمعارف وهو الذي أنشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ليزان فاليد ليكنه في  
آخر أمره فقدت فرانس ما نالته في الداخل والخارج بسبب التبعدي على الرعايا وضعفهم  
وبعد فقدت فرانس المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا والاورين وكان  
ذلك باتباع لويس الخامس عشر اشتهر واته وتحتكم النسا فيه والعائلة لا شوى مع  
محاسن نواب الامه وأخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم  
من ان كلالته باعانة أميريك على استغلالها وحدثت في أيامه الزوارة العارمة التي  
قلبت حال التاريخ حيث كان يرجي منه اصلاح ما افسده أبوه وجدة لكنه كان  
ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

## م طلب

﴿في تاريخ فرانس الجديد﴾

اعلم ان فرنسا وبيننا انتشرت فيهم المعارف وعلومها لهم وما علمهم ونالوا من بعض  
ملوكهم أحيانا انه افهم واشتهرت بينهم العصف الخيرة بالمعانة بالهامد والامام وحدثت

فيهم

(١٠٣)

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم ان عقدت فيهم جمعيات سرية للنداء والعمل فيساعون لهم  
 به حفظ حقوقهم ومساكنتهم وتنفذ لذلك لويس السادس عشر فكان مرة ثانية الى  
 معاضدة الامة فيسائر يده ومرة يجمع الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشى  
 على نفسه وفر مع عائلته لئلا يترك الالهة الى ارجعه وغيضا وخضعت شوكته تخاف بعض  
 ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح ابصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذلك مستعدين  
 فتعاضدوا على اركاس الفرنسيين لاسيما امبراطور النمسا فيلرلوفيس المذكور  
 فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنسيين دافعوا عن حقوقهم بجهد وانظم اليهم ملكهم  
 المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ  
 ١٧٩٢ م ثم بدلتهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطار دوا ابنه الى جده امبراطور النمسا  
 وذلك بحكم الحكومة الاجراية التي حكمت بالغاء الملكية واقتضت ان الجمهوريات أعلنت  
 لسان الامم انها تساعد على فحوصها وتسمت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان  
 من أكبر زعمائها بولنير الذي لا دين له وهو أحد الذين ثاروا غيظ الامة بما ينشره  
 من الاقايل والكلمات ولما استتب أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعمال المعتدلة بمضادة الاديان  
 وقتل رؤساء الكنائس وابدال أغلب العادات حتى الايام والشهور فخلعوا الاسبوع  
 عشرة ايام ومبدأ التسريح هو عام انتصاب الجمهوريات وكذلك أشهر وألحظ على جميع  
 الدول وانتصر الفرنسيون سيمانت تحت راية نابليون الاول بونابارتي الذي كان أحد  
 أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده الفدر بالانتصار الذي نال به أعظم  
 الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركتوار  
 أي الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت في ايامها المحروب العظيمة  
 مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها  
 حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء  
 على الهند انتقاما من الانكليز ثم عاصدت انكلترا تيرة الدولة العثمانية واسترجعوا مصر  
 وما أخذ من الشام وهيجت انكلترا دول أوروبا على الاتحاد على فرنسا فاستعدوا اليها  
 وطار بوها وكانت الحرب صعبة الا لئلا يترك نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد  
 أن يكون أسيرا في رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأروا بانتصرة في  
 أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القذلات مؤلفة  
 من ثلاثة أشخاص يسمون قنابل وتبوأ هورياس ثم وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

(١٠٤)

ثم تمهي قذسلا لمدينته وتسلم رياسة الجيش ورجع الانتصار المفقود وانفت عنه ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فسمها مجلس الاعيان امرا طور سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيته عظيم في الدنيا بانتصاراته على اغلب اوروبا فدخل فيينا وبرلين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمسك ايطاليا وكنتمير من جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على روسيا ايضا وعقد معها صلحا ومعاهدة سرية من شروطها اقتسام جميع اوروبا بين فرانسا والروسيا عدد الممالك العثمانية وان بلغها انهما ايضا في القسمة حتى اغتاز الساطن لذلك كما سيأتي في عمله ومن المستثنى من القسمة ايضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم تأليف قانون الاحكام الشهير المعروف بكودنابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وهو عمدة احكامهم ونسجت اورو بافيهما بدعي منواله وهو كتاب مقسم على أبواب المعاملات والجنايات وكل مسألة من الباب يعقد لها فصل يبين حكمها بامارات ينفذ من غير بيان لدليل المحكم ولا لمل استخراج اسهولة التناول وكان حين تأليفه جمعية علمية عولت في تنظيمه على ما يلقى بالعبادات من احكام الشرع الاسلامي واحكام الرومان سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لمحرب الروسيا ما انكسرت شروط الصلح المارذكرها وانتصر عليها الى أن وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد أعدوا له كيدا باحق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفصفا وكان الوقت شديدا البرد فهلك عسكره بردا وجوعا واد هومت تذكر الى فرانسا وجهاز نفسه لمحرب الروسيا والماساينا وروسيا والتمس الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغاب اخيرا ودخلت العساكر المتحدة الى باريس وما كوا على فرانسا لويس الثامن عشر وأسسكنونا بليون جزيرة الاب على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى فرانسا وتلقته الالهالي بالرحب لما نالوه من العظمة في أيامه فهو رب لويس الثامن عشر الى مقره أولابا بكتلة ثم اتخذت الدول ثمانية معهم انكسرت وقهر وانا بليون فتنازل عن الملك لابنه بلقب بابليون الثاني سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه الدول وأعادت لويس الثامن عشر وأمانا بليون فطلب الإقامة بانه بكتلة مدة ثمانية أشهر احكامها فقبضته وعنفاد ارادة نزوله من السفينة الحربية الانكليزية الى البراعلمته بانه أسير للدول فحبس على ذلك ولم ينفعه ونفى الى جزيرة هيلانة في الاقيا نوس الثلاثة تكي الى أن مات وتخلت جنته فيمات بها الى ليزان فاليد بباريس وانحصرت اذذاك فرانسا في



(١٠٥)

في حدودها القديمة ثم تنوأم اليها كالوس العاشر أخوها الذي أجلسه الدول  
وفي مدينته استولى على الجزائر وأراد أن يحجز من حرية المطابع والقنواين فثاروا  
عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فاطاق الحرية وأحوه لكنهم  
أسقطوه أخيرا الامتناع منه من اصطلاح قوانين الانتخاب وكانوا يجلبون الى الجمهورية  
والى عائلة بونا بارتى فاعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها  
لويس نابليون ابن أخى نابليون الاول وورثه اليه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن  
أخيه مرسوما في ولاية العهد وذلك بعد أن نفى مرة الى أمريكا وأخرى الى انجلترا وإيطاليا  
وسجن مرة في حصن وفرمه بترية بيزى أحد عملة البناء بعد حاق شاربه وأشهره عدة  
تأليف تموه بالحرية والفخر فعملوا له زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستماله  
رؤساء الجيش اليه ما أقدر به على الاعلان بامبراطورية سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م  
وتلقب بـ نابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وانكثرت على حرب الروسية سنة ١٢٧١ هـ  
١٨٥٤ م انتهوا بها باعترافه امبراطورا في مبداه امره وولادها هي السياسية من الخوف من  
استيلاء الروس على المسالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ  
١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التي أسسها وهي اتحاد الجفنية  
كما تقدم في تاريخ ايطاليا المجدي حتى اتحدت ايطاليا الياسنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب  
الصين مع انجلترا سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصر عليه وافتتح المكسيك من أمريكا  
سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملك عليها مكسيك بلان اخا امبراطورا النمسا وكانت اذ  
ذلك دول أمريكا المتحدة في حرب شديدة داخلية قوامها فصات حربهم حتى قوا على فرانسا  
من تدخلها في قارتهم فتمسك نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ماله  
عليهم وذهب سعى نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده  
باطنا وتصرفه طبق شهواته في السياسة بعد ان كان أوصل فرانسا الى ذرى المجد حتى  
تم طمئ اسائر الدول بعين الوفاق وهرعت ملوك الدنيا الى باريس في دعوانه للمرض وكانوا  
يفتخرون باستمالة نفوذهم حتى فضله كثير من عقلائهم على حمله لكنه لما غره زيادة  
البخت استبد برأيه باطنا وأمرع الى التدخل في أمر غيره ففأقت الاهالي من عمله ولما  
أحس بذلك أعلن به حل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص باصوات  
الاعالي بل حتى العامة لانهم لم يحق في ذلك من حيث ان التملك اغناهوعلى  
الفرانسا وبين مطاوعها كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على مخفياته أو عدم

(١٠٦)

تبعهم مع أنه محسن اليهم بحيث يؤمن نفقهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند المحل ثم ان خربه يغريهم - م بالمال عند الانتخاب اذ كان ينفق في مثل ذلك من أموال الدولة مقادير ذرية مع تراكم في ميزانية الدولة باسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك الوجه حصل أغلبية عظيمة في ارتضاء الفرنسيين به ما يكاملهم - م وان شئ اذ ذلك قانون الامبراطورية المؤرخ في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبيه (المحكم الاول) مجلس الاعيان مزبة وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب وله أيضا البسداء في وضع المعروضات واللوائح الأا الامور المتعلقة بالمالية ينبغي أن تقرر أولاً في مجلس النواب (المحكم الثاني) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته حتى يبلغ ثلثي عدد مجلس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس للامبراطور أن يعين فيه في كل سنة أكثر من عشرين (المحكم الثالث) قد تعين الغاء المزية التي خص بها المجلس من جهة التشريع المذكور في المحكم الحسادى والثلثين من القانون الذي تقر في ١٤ كانون الثاني أي من سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م (المحكم الرابع) الترتيب التي ألحق بها هذا القانون وهي المشمولة في الاصول العمومية التي استقرت في ١٤ وفي ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢١ وفي ٢٢ من الشهر المذكور في السنة التي بعدها هي اصول المملكة وقوانينها الاساسية (المحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما يغيرها سكان المملكة بطاب الامبراطور (المحكم السادس) تعين الغاء الفقرة الثانية من حكم ١٧٢٥ و٢٦٧ و٢٨٩ و٢٩٠ و٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣ و٣٠٤ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٧ و٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠ من تلك القوانين وكذا الاحكام المخالفة له هذا القانون (المحكم السابع) يبقى ما تقر في قوانين ١٤ من كانون الثاني ديسمبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفيما به - م ذلك مع مولا به اه ثم الحق بهذا القانون علالة أخرى هذا نص تعريبيه

## الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتكمل بالاصول المعظمة التي شهت في سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهي أساس شرع الفرنسيين العمومي

## الفصل الثاني

وفي حزبا الامبراطور ومملكة الثاني

المرتبة

(١٠٧)

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهونابليون الثالث  
فوضت اليه بحسب قرار رأى جمهور المملكة وفى ٢١ تشرين الثانى (نمبر) سنة  
١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهى مزية متوارثة فى ساسلة ذريته الذى كور الاول فالاول  
وبانى منها الاناث وذريتهن الغاء دائما (الثالث) اذ لم يكن للامبراطور اشار اليه  
وارث فله أن يتخذ وارثا من سلالته اخوة نابليون الاول الذى كور وهذا لا يتخذ لا يباح  
لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذ لم يوجد له وارث حقيقى أو يتخذ خلفه فى الملك البرنس  
نابليون وورثته الحقيقيون من سلالته الذى كور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث  
وذريتهن استثناء دائما (الخامس) اذ لم يوجد وارث شرعى أو يتخذ لما يوليون الثالث  
ولمخلفائه فليسا كان المملكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعينوا من أهله الوارث من الذى كور دون  
الاناث وفى مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب  
أكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك  
سلالتهم ذكور واناثا منهم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا بالاذنه وإذا  
تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا فى حرمانهم من حقوقهم فى الخلافة وفى حرمان ذريتهم  
أيضا ولا يمكن إذا كان زواجهم عقيما فلبرنس الذى تزوج حق فى الخلافة وللامبراطور  
أن يعين القاب الباقي من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة  
(السابع) النيابة فى الملك مقررة فى القوانين التى نظمت فى ١٧ تموز (يوليه) من سنة  
١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وفى الاحوال المنصوصة فى الفقرة الثالثة من المحكم الخامس ينعقد  
كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقرأهم على اقامة من ينوب فى الملك (الثامن)  
كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحقق لهم الخلافة يسمى برنساوا كبرأبناء  
الامبراطور بقا له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون  
من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثمانى عشرة سنة تامة ولا يمكن  
جلوسه فى المجلس من متوقف على رضى الامبراطور

## الفصل الثالث

فى نوع حكومة الامبراطور

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب  
ومجلس شورى الدولة (الحادى عشر) وضع الاحكام والقوانين يجرى بالاتفاق مع

(١٠٨)

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثاني عشر) البداة في القوانين  
منسوبة للامبراطور والمجلسين المذكورين ولا يمكن كل تقرير يرسم فيه بوضع  
الضرائب يذهب في الاقتراع عليه في مجلس النواب

## الفصل الرابع

﴿في احوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسئول لامة الفرانسييس وله الحق في كل وقت لان يبالغها  
استدعاه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر  
البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب ويجري معاهدات السلم والتجارة والاتفاق  
والمحالفات ويعين جميع الوظائف ويثبت التراتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ النمرع  
(الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق  
في منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفي ان يقر الاحكام ويشهرها (الثامن  
عشر) ما يراد به الا أن من تعدل الاحكام وتعرفان الحكرك وجعل البوسطة  
على حسب الموافقة مع ام أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقرر اى المجلس عليه  
(التاسع عشر) الوزراء مرتبون بالامبراطور وحده وهم يتنذا كرون في مجلس يكون  
الامبراطور رئيسه وهم مسئولون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس  
الاعيان أو مجلس النواب ون يحضروا في أحد هــ ما ايان شاؤوا وان ينصت اليهـم حين  
يتكلمون (الحادى والعشرون) يجب على الوزراء وأهل مجلس الاعيان ومجلس النواب  
وضـباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذى المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهى انى  
أحلف بان أكون خاضعا للقوانين الملزمة وامينا للامبراطور (الثانى والعشرون) الحكم  
الذى صدر فى ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ ١٨٥٢ هـ م وفى ٢٣ من  
نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ ١٨٥٦ هـ م مما يتعلق بالمرتبة لمصرف الامبراطور يبقى  
معه ولا به أمانى المستقبل فيكون مرتبة صاحب الناج مدة مائة مة مقورا برسم من لهـم  
مزية وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

## الفصل الخامس

﴿في مجلس الاعيان﴾

(الثالث)

(١٠٩)

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف من هم في مرتبة الكريدينال والماريشال والاميرال ومن الالهين الذين يرقهم الامبراطور الى رتبة سيدنا تور (الرابع والعشرون) لا يتغيرون ووظيفة منهم باقية ماداموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عدد هم مقدار ثلثي أهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه أكثر من عشرين في العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهم من قبل الامبراطور وهو الذي يعقد المجلس ويبطل مدة انعقاده ويكون الجلوس فيه علانية ولا يمكن عند طاب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلي الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان ينذرك على التقارير المروضة ويقترح على الضرائب

## الفصل السادس

في مجلس النواب

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لاتتقص على ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان ينذروا على القوانين ويقترحوا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان يعقد المجلس ويؤخره أو يبطل مدة انعقاده وان يحله لكنه عند حله يعين عايبه ان يعقد آخر في مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولا يمكن عند طاب خمسة اعضاء يصح ان يكون خفيا

## الفصل السابع

في مجلس الدولة

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المشاكل الناشئة من معاملة الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة في المعروضات واللوائح في كلا المجالسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق في حضور المجلس والاقتراع فيه اه فمكان الامبراطور يرى ان هاته القواعد ترضى عنه جميع الالهالى سيما بعد

(١١٠)

رجحان انتخبه من الجمهور ووقد كانت اذذاك المشاحنة بين فرنسا وبروسية في ازدياد كما تقدمت لاشارة اليه في اخبار ايطاليا باخيرة من فرنسا على ما ناله بروسية من الشهرة والانتصار على النمسا مع وعد بروسياسرالفرانسابانها اذا تم قصدها فانها ستساعددها على تعديل حدودها جهة نهرالساين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر في لوكزنبورغ وادخالها عضوا في العصبة الجرمانية مع انها تحت تلك ملك هلاندة ولما حصلت بروسية قصدها ما طالت تلك اوعود السرية التلويحية فهاجرت لذلك فرنسا وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها النمسا عليها انتقاما مما حصل لها في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م ويذم الامر على ذلك واذا بانها الى اسبانيا خلعوا الملكهم وطالبوا ابولي عليم الاميردوهوهزولن أحدقرباة ملك بروسيا فاعادت فرنسا لذلك وأبرقت وقد اخلت انكلا تيرة في طاب ابقاء السلم لكن الامبراطور نابليون أفي الحرب والافان الاميرالمطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طابهم ولم يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره في برلين الى ملك بروسيا في غيرة وقت وغير محل معتاد واغاط عليه الكلام بان يتعهده هو بان لا يقبل الاميرالمذكور في المستقبل الولاية فألان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهده وهاجرت المانيا جميعا على ما تحق الملك من الاهانة كما ان فرنسا غلبت بطاب اعلان الحرب ولم يخالف الا قليل من عقلائهم مثل تيرس فانتزها نابليون فرصة لاشغال فرنسا بالحرب عن الهيجان عليه اذانه وان حصل على أكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب النفوذ كاره له ومقتد عليه وكان وزير الحرب بفرانسا اعلان للمجلس بان العساكر مستعدة كلها وانها تتجهز للمليون وان الحرب ولودامت سنين فلا يحتمل اجون الى زرة لباس وابعدأت فرنسا باعلان الحرب وتقلد نابليون رئاسة العسكر بنفسه واناب زوجه في الملك فالتحقت المانيا على الدفاع وبقيت الروسية معاضدة لالمانيا معنى لاتفاقها معها سراف كانت بالمرداد من النمسا لكي لاتعين بروسيا مع ما في نفسها أي النمسا على فرنسا من اعانتها الايطاليا ومساعدتها من قبل الجرمانيا فلم تنداخل بشئ وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا يدعدوه اذ في نفس الامر لم تكن فرنسا مستعدة وكانت الاموال المعينة لمصاريف الحرب تصرف فيمسايراه الامبراطور حيث كانت الوزراء مسؤلون له للمجلس الامة فيتصرف بهم كما يشاء اراو كان يظن انه بسرعة الهجوم يحصل على بهرجة الانتصار ويهمل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس

(١١١)

جواسيس من اعيانها في جميع دواوين فرنسا وفي قصور رجالها على صورة خدمة  
وغـبرهم مع كمال استعدادها وقرن اهلها على الحرب اذهى دولة عـكرية من قديم  
واها الى فرنسا غلب عليهم الميل الى التثـم فالتقى مركز الجيـش في سيدان من عمل فرنسا  
وحى الوطنى الى ان تيقن نـايمون بالغلب وقوة قرنهـ مدة وعدة فكتب الى مالـك بروسيا  
ما تـمريهـ يا اخى حيث انى لم يتيسر لى ان اموت فى مقدمة جيشى فيها انا اضع سـبى لـدى  
قدميك اهـ ورفع من هنالك اسير اوسـجـان الدائم عزه وما لكـه وهربـت زوجـنا بـليون  
واستقرت مع زوجـها بـاندرة الى ان ماتـها واما العـساكر التى معه فطـلبت الاسـتـسلام  
على وجـهـه لا يـحـط بشـرفـها وحيث كانت المخاطبات الواقعة فى هـذا الشـأن واقعة بين  
الرؤساء بالسـلك البرقى ولها اهمية رأينا اثباتها هنا تـقـالـعـن كتاب ألف وطـبع فى  
باريس وهى (من الجنرال) دووميسين الفرنساوى الى الجنرال مـاتـكـ ريدس عـساكر  
جرمانيا اريدان اعرى (ماهى) شروط التسليم التى يريد مالـك بـروسـة ان يوجـهـها عـلـينا  
(جواب) الجنرال مـاتـكـ شروطنا سـهـلة فان جـيـع جـيـشـكـم اسـرى مع كل ما عندهم من  
الاسـلـحة والذخائر وليكن نـتـرك لـلضـباط سـيـوفهم علامة على اعتبارنا لهم وعلى بسـالـتهم  
وليكن يكونون اسـرى أيضا كبقية الجيـش (الجنرال) دووميسين هذه الشروط شديدة  
يا جنرال اذ الظاهر ان بسـالـة عـساكر فرنسا تـسـتـوجب مراعاة أكثر من هـذه الـدس من  
الـمـمـكـن الجيـش ان يستحصل على شروط على هذه الصورة الـاتـية وهى ان اسـلمـكـم  
سيدان عـساكرهم من المدافع (واما) العـسـكر فـتـركـوه يخرج عـساكرهم من الاسـلـحة والاكـمال  
والزيات بشـرط ان لا يعود لـهـاربـة بـروسـية فى هذه الحرب والامـبـراطـور يتعهد بـنـفسـه  
بـهـذه الشـروط بالمـكـاتبة وكذا اعيان ضـباطه العـسـكرية ثم ينقل هـذا الجيـش الى  
احدى جهات فرنسا التى تعينها بـروسـية او ان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بـدنتنا  
الصـلـح (جواب) الجنرال دووميسين طلبكم هذا لا يـقـارن القبول (الجنرال) دووميسين انى  
وصـلت الى هـنا من صـحـراء افريقية منذ يومين فقط وكان لى الى الاكـشـن شهرة عـسـكرية مرضية  
والا سـن فوض الى رئاسة جيـش فى ميدان القتـال فاصـبـحت مضطرا الى ان اقـبـد اسـمى فى  
الاذعان لصدية مثل هذه حتى اضطررت أيضا الى شـحـل جـيـع المسـؤـلية بدون ان اكون  
قد احدثت هذه الوقائع الحربية التى هى سبب فى هـذا التـسـليم وحيث انك جنـرـل مـلـى  
يلزمك ان تشـمـر بحـالى المـؤـنة وليكن يـمـكـنك تخفيفها باشتراطكـ على شروط اهلون  
وايسر والا فلا يـمـكـننى قبول شروطكـم وحينئذ نادى جـيـشـى الى شـرفـهم واخـتـرق بهم

(١١٢)

صفوفكم والا فابقى في سيدان متوقعا (جواب) المجتهد ما لك اعتبارى لكم عظيم وشرح حالكم في محله ولكن أناسد على أنه لا يمكننى فعل شئ مما طلبة وروا ما خرق الصفوف ونورجكم من سيدان فن المحال وكذلك تحفظكم فيها نعم ان عندكم عسا كره عظمة ولا سيما المشاة فانهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيةكم وقد أوقعوا بناسد را كبريا فبران جل عسا كره قد فسدت اطوارهم وعندنا اليوم من اسراهم ازيد من ٢٠٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندكم الا من ازيد من ٨٠٠٠٠ نفر فلا يمكنكم اذا خرق صفوف جيشى فيلزم ان تعلم ان من جيشى حولكم ٢٤٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار على سيدان والباقى اعنى ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد في فجر الغد فان شئت تحققيق ذلك فارسل احدا من ضباطكم الى والى الأرسد له الى المواقع المذكورة حتى يشاهد بنفسه ما قاته لكم أما تحفظكم داخل سيدان فن المستحيل لان المؤنة التى عندكم لاتكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندكم شئ من الذخائر (جواب) المجتهد انفراساوى الظاهر ان من مصلحةكم حتى من المصلحة السباسبية ايضا ان شروط التسليم لاتكون مخلة بشرفنا لان جيشى يستوجب ذلك ومرادكم عسا الصلح وما أظن الا انكم تريدون عهده بسرعة وأمة فرانس كريمة أكثر من غيرها ومستعدة للقداء وعلى هذا فهى تقدر مكارهكم التى تصونها بها وتراعى الجبل فان امكنكم ان تشرطوا علينا شروطا من شأنها مداراة خاطر الجيش فان الامة تقسبه ايضا فلهذا فيخفف عنها حرارة الانزام وبث شروط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (أما) اذا طامعونا بالقساوة فلا شأن انكم تثيرون المكراة لكم والبعض فى قلب كل عسكري وعزة نفس جميع الامة تعود وقد استاءت وبذلك توفظون الاحساس المذمى الذى انامه التمدن وتخططرون بايقاد حرب لانهاية لها بين فرانس وبروسية فاجلبه البرنس بسمارك قائلا لبرهانك يظهر بادى بدء انه على الجهد وهو فى الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغي ان يعتق مداعة قادرا سخا بعمونية الانفراد فكذلك لا ينبغي ان توقع عمونية أمة كماله أو تركز الى عمونية ملك ومراعاة الجبل معه وان شئت فقل مع أهله ايضا نعم انه فى بعض الاحيان يمكن الركون الى عهد ملك ولكن اكر لكم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجبل من أمة ولو كانت أمة فرانس امثل بقية الامم ولو كان عند ههنا تلميحات ومبادئ راسخة ولو كانت من أمى تحترم احكامها وتطيع امتهادلو كان عند ههنا ملك جالس على سرير الملك على اصول راسخة

ثابتة



(١١٣)

ثابتة لكوننا نعتقد بمنووبة الامبراطور وابنه أما فرانسافقد مضى ثمانون سنة وحكمومتها  
قد تغيرت فواعا وحسب بصورة غير ثابتة فساعدنا من الممكن ان يعتمد مدعائنا فباءا ما لنا على  
مودع ملك فرانسواى يكون من قبيل بناء فى الهواء فاذا صدقنا ان فرانسافساعدنا من  
ظفرنا بهما مع كونكم آمنة سريرة الهياج ومحبولة على الحسد والكبر الى النهاية فذلك  
جنون فانها أعلنت بحرب بروسيه منذ مائتى سنة ثلاثين مرة وهذه المرة أعلنت الحرب معنا  
حسدا كعادتكم اذ لم يمكنكم ان تساعدونا عن ظفرنا فى واقعة سددوه فهل يمكنكم ان  
تساعدونا اليوم فى ظفرنا فى سبب ان كلانتم كلافان عقدنا معكم الصلح الا ان قبيل بضعة سنين  
تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهى المكافاة على الجيمل التى ترقبناها (أما)  
نحن فاخلاقنا مخالفة لاخلأكم فاننا لمة صادقة ساكنة لا تحصر على الفتوحات وانما  
تحرص على ان تعيش بالسلم وقد كفى اليوم فيلزم ان تتأدب فرانساء على تجبرها ويلزمنا  
ان نطمئن على سلامة اولادنا ولذا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانساء حدود معينة فلا بد  
لنا من ارض وحصون وحدود لئلا نكون دغما آمنين من هجومها (جواب) الجنرال  
الفرانسواى قد غلطت يا أيها الذات الموقر فى حكمك على أمة فرانسافانك انما تتصور  
فرانسافى سنة ١٨١٠ وتصور حالها من ايسات بعض الشهور ومن كلام بعض  
الجنرالات وهى اليوم على غير حال فان مهمة الامبراطور صارت افكارا هاهنا مشغولة  
بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسهر فى تكثير مكاسبه وينظر الى منافعه  
وكلهم يحبون الاخاء انظر الى انك اكثر مثلافين اليوم تلك الكراهة التى طالما أبعدتنا  
عننا اليس ان الانك ابكر اليوم اعزأ حبا بنا وكذلك يكون أهل المانيا اذا أظهرتم  
المحارم معنا (البرنس) بسمارك فبهنا يا جنرال ان فرانسالم تغير فائنا هى التى  
اكرهنا على الحرب ولا جمل خداع الاممة حرصا على تقع آل الامبراطور نابليون  
الثالث أعلن بحربنا نعم ان ندرى ان كثير من أهل فرانساء هم العلة لعلهم  
يريدوا الحرب ولكن تلقوا فكريا الامبراطور بالقبول والباقي هم الذين يطمسوا للعرب  
حتى اصحاب الجنرالات أيضا فهو لاء القوم يلزم تأديهم ولذلك يلزمنا ان نسبرالى  
باريس ومن ذا الذى يدري ماذا يقع بعده اذ من المحتمل انه ينشأ عندكم دولة من الذين  
لا يعفون عن شئ بل يحسدون احكاما على حسب هواهم ولا يعترفون بشروط تسليم  
جيشكم فربما الزوا الضباط نقض عهودهم نعم ان انزوم الصلح ولكن الصلح الذى  
يكون على أساس الثبات والدوام وشروط صارت معلومة لكم فيلزمنا ان نجعل فرانساء

(١١٤)

بصورة بحيث لا يعود ممكن لها ان تقاومنا فيما بعد وقد نذر الله ان تكون زهرة  
عسا كرم أسرى عنه مدافعن الهوس ان نعيددهم اليكم ليعودوا الى محاربتنا وشأن ذلك  
دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه أيها الجنرال مهـ ما يكن من المصالح المختصة بذلك  
ومهما يكن من أوفكارك عن جيشكم فلا يمكنني الاجابة الى مطلبو بك أو تغية برئى من  
الشروط التى أبغتك اياها (الجنرال) الفرائساوى فلا يمكنني اذا ان أوقع شروط التسليم  
على هذا المنوال بل يلزمنا اعادة القتال (جواب) الجنرال كستلان من أعيان الامراء  
الفرائساوى الى البرنس المشار اليه عندهى ان الوقت قد حان لا بلاغ ما ذكرتم الى  
الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك اناسا معون لكم (الجنرال) كستلان قد كلفني جناب  
الامبراطور ان ابلاغ مسامع جناب ملك بروسية انه كان بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم  
نفسه له بلا شرط وانما فعل هكذا أملا في ان الملك يشعر بما يوجب هذه التسليم فبقع  
لديه وقع الاعتبار فيمتسأهل مع جيش فرائسا بسلامة أشرف لهم كما تسحقه بسلامتهم  
(البرنس) بسمارك أهذا كلاً لكم كله (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ما هو  
السيف الذى سلمه الامبراطور هل هو سيف فرائسا أو سيفه الخاص به فاذا كان سيف  
فرائسا أمكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير ذبال (الجنرال) كستلان  
السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) ملكك فعلى هذا لا يمكن تبديل  
شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دوو ميسين اذا تستألف  
الحرب (الجنرال) ملكك المهلة تنقضى في فجر الغد وفي الساعة الرابعة أشرع في اطلاق  
النيران عليكم (البرنس) بسمارك نعم أيها الجنرال ان عندكم عسا كرشجعا نانا فلا أشك انهم  
يظهرون غدا بسالة غريسية ويرزؤن منا و يوقعون بنا الضرر ولكن ما الفائدة من  
ذلك لانك في مساء الغد تجد نفسك متقدما أكثر مما تقدمت اليوم ويبقى في أعناقكم  
دم عسا كرم بل عسا كونا أيضا الذين سيف يكون دماغهم غير فائدة فقد أخبركم الجنرال  
ملك ان مقاومة بكم لسا هوس (الجنرال) ملك انى أو كذلك مرة أخرى ان حق صفوف  
عسا كونا لا يمكن ولو كان عسا كرم على أحسن أهبة لانه فضلا عن كون عسا كونا أكثر  
عددا من عسا كرم فافى مستولى على مواقع تمكنني من احراق سيدان في بعض ساعات  
وهذه المواقع متسلطة على جميع الجهات التى يمكنكم المرور منها وهى منبهة فلا يمكنكم  
حوزها (الجنرال) الفرائساوى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) ملك أنت  
لا تدرى المواقع حول سيدان وانى أفيدك فائدة تبلغ من أمتكم المتكبرة وهى انكم عند

افتتاح

( ١١٥ )

افتتاح الحرب بيننا ووزعتم على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها في المانيا فلم يمكن  
لكم حينئذ ان تطلعوا على مواقع بلادكم فلم يكن عندكم خرائط لها فاقول لكم الان ان  
هذه المواقع فضلا عن كونها منبوعة فلاستيلة عليها ضرب من المحال (الجنرال)  
الفرانساوى انى اغتيم الفرصة لارسال احدهم من ضباطى كما عرضتم على فى مبادئ الامر  
حتى يرى مواقعكم المنبوعة وعند رجوعه اجابكم (الجنرال) ملته لا ترسل احدا فان ذلك  
عبث اذ ليس لكم وقت طويل حتى تنسداركوا ما يلزم فعله فالوقت الان نصف الليل  
وبعد اربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى ان امهلكم بعدها ولو دقيقة واحدة  
(الجنرال) الفرانساوى ولكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكننى بت الزأى على شئ رحى  
فيلزم ان اشاء ورسائرفقائى الضباط ولست ادرى أين أجدهم فى سيدان فى هذه  
الساعة فلا يمكننى ان اعطيكم جوابا فى الساعة الرابعة من الضرورة والحالة هذه اطالة  
المهلة فعمد ذلك أسرار البرنس بسمارك الى الجنرال ملته فى اذنه وأشار اليه بتطويل  
المهلة الى الساعة العاشرة أعنى قبل الظهر بثلاث ساعات فلما حانت سلم الجنرال  
الفرانساوى جميع عساكر فرانسالى الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال ملته  
وبذلك يقمى حالة قوة فرانسالى اذ ذاك واستعدادها فلذلك انقلب رأى الامة الفرانساوية  
وجعلوا الذنب على نابليون وخلعوه وأعادوا الدولة الجمهورية ثالثة واندوا المانيا الى  
ان حاصرت باريس وأخذت مئآت آلاف من عساكر فرانسالى أسرى منهم مائة وخمسون  
ألفا وأربى دون سلو من غير دفاع فى قلعة متس تحت رياسة المارشال بارين ثم عقدوا  
الصلح على نحو ما طلبت المانيا بأخذها ولاية الانجاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة  
خمسة آلاف مليون فرنك مقسطة على خمس سنين وتزوج الملك بروسيا امبراطورا على  
المانيا فى قصر فرساى وحضر له ملوك المانيا ودخات عساكرهم الى باريس على وجه  
الانتصار بلا حرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الاروباوية وصارت المانيا هى  
معدلة الميزان ليكن فرانسالى تولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير بترس ولم شعبها بعد  
حصول حرب أهلية هائلة من جمعية تعرف باليكومون أى الاشتراكيين الذين يريدون  
ان تكون الناس كلهم شركاء فى جميع ما يمكن ان يذهب الى انسان واخر وايباريس  
أكثر من اضرار المانيا بما أوقد أظهور فرانسالى الغنى ما لم يكن فى الحسبان ورفعت  
الغرامة عما قبل اثنى بأز يد من سنتين ولم يؤثر ذلك فى مايتها أدنى خلل فان المقدرم  
خسائرهما وغرامتهما فى ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها عند اذنتها

(١١٦)

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقيمة الغرامة هدرت لها أبواب المال من كل فج حتى من المانيا وأحضر والها ما ينف عن الخمسين ألف مليون وأقبلت على اصلاح داخلتها وعساكرها عبا أرجعها لاعتبارها وأوحس غالبها منهم خيفة وقد أحدث الفرنسيون في حديقة الشانزلي محلاحيطانه مرايا مكبرة بحيث يحس به الداخل بالاحيطان ويرى منه صورة حالة باريس من المحرق والهدم وقت الحرب تذكارا منهم لاحياء أخذ النار وقد رأيت ذلك المكان وله منظر هائل واستقرت الحكومة الى الآن جمهورية

## م طلب



﴿في السياسة الداخلية في فرنسا﴾

قد تقررت الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون الأول يناير الا ان يكون جمعهما قبل لا رئيس الجمهورية فالجلسان ينفى أن يعقد جاساتهما أقله في مدة خمسة أشهر كل سنة وجاستا كليهما يجتمعان وتنتهيان معا وتقام الادعية الجمهورية لله سبحانه في الكنائس والمعابد لاساس المعونة منه تعالى في اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يختتم الجاسسة وله حق أن يستدعي المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي أن يستدعيها اذا ماصار الطالب في انتهاء الجاسسة من أكثرية الاعضاء المولفة لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية أنه أن يوجب اجتماع المجالس انما لا يمكن أن يطول هذا التأجيل أكثر من شهر ولا يحدث أكثر من دفعتين في جاسسة واحدة بعينها (البند الثالث) وقبل ما ينتهي الاجل القانوني لسلطان رئيس الجمهورية أقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس الامة ليعاينوا وانتخاب الرئيس الجديد واذا لم يصرا استدعاء المجالس للاجتماع فعلى المجالس أن تجتمع من تلقاء ذاتها قبل نهائية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا مات في رئيس الجمهورية أو تنازل عن وظيفته يجتمع المجالس حالا بساطتها الخاصة واذا ما وقف مجلس النواب حين ما يفرغ مسند الرئاسة الجمهورية تنبهها للبند الخامس من قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعي المجالس الانتخابية حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بمطابق ساطتها (البند الرابع) ان كلام من

مجلس

(١١٧)

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع في غير الوقت المعين للجلسة العمومية يكون باطلا ولغوا مطلقا ما عدا الحادث المنبه عليه في البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت الاعيان للقضاء في الدعاوى والعديدية وفي هذا الحادث لا يحق لها الا مباشرة المظالم القضائية (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون شترة على ان كل مجلس له ان يقيم جمعية سرية في طاب عدده معلوم من أعضائه معين بالقوانين ثم تقضى بموجب رأى الاكثرية المطلقة اذما اقتضى اعادة الجلسة جهازا على نفس المشرع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخبر مع المجلس بواسطة رسائل يقرؤها أحد الوزراء ويحق للوزراء الدخول في المجلسين والتمسك فيما اذا ما طلبوا الا صغاه لا قولهم ولهم ان يستعين بجمعية معينين معلومين للبحث في انشاء قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية يثبت السنة في الشهر الذي يلي تسليم السنة المقررة ثم ثوبا للحكومة وعليه ان يثبت في ثلاثة أيام السن التي حكم كل المجلسين بوجود السرعة في بثها على ان رئيس الجمهورية له في المهلة المعنية لاذاعة السن ان يطلب بواسطة رسالة محقة ولا يرفض طلبه اعادة المناخبة في تقرير القانون والسنة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية ان يتخبر في المعاهدات ويقررها ويوقعها للمجلس طالما تسمح له ذلك صلاحيات الدولة وأمنيتها اما المعاهدات المتعلقة بالصالح والتجارة والمعاهدات المرتبطة بعالية الدولة والمنوطة بحالة الأشخاص وبحق الملكية لتيه الدولة الفرنسية او في الخارج فلا يحزم بمرئياتها الا بتقرير المجلسين ولا يعطى ولا يبدل شيء من الاراضى الفرنسية ولا يضاف اليها شيء الا بتقرير قانوني من المجلس (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية ان يشهر الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) ان كلا من المجلسين قاض في انتخابية أعضائه وفي أحكام قانونية انتخابية وله وحده أن يقبل اعتفاء من يعفى من وظيفته (البند الحادى عشر) ان رؤساء كل من المجلسين ينتخبون كل عام لمدة الجلسة بتمامها ولا يكل جلسة فوق العادة تصير قبل الجلسة المألوفة في السنة التالية ومتى اجتمع كلا المجلسين بجملة مجلس الامة تتألف رؤساؤه من الرئيس ونائب الرئيس وكلمة أسرار الاعيان (البند الثانى عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحكم عليه الا الاعيان وتقبل الشكوى على الوزراء من مجلس النواب بجمالية ارتكبتها مباشرة وطبقتهم في تنفيذ تقام محاكمتهم في الاعيان ولرئيس الجمهورية ان يقيم على الاعيان مجلس محامى بحكم يصدر في مجلس الوزراء لكمة كل من تقدم عليه بشكوى بذب

(١١٨)

يخل بأمنية الدولة واذا ما شرع بالاستعلام في محكمة العدلية المألوفة فيمكن أن يصدر  
الحكم باستدعاء الاعيان للاجتماع الى حين استئناف الدعوى اليها او بتمام قانونا يعين  
كيفية سماع الدعوى والاستئناف والحكم (البند الثالث عشر) لا تقام دعوى  
على أحد الأعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى في شأن رأيه واقترائه حال  
كونه في مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تقام دعوى على عضو من كلا  
المجلسين بمادة جنائية أو قناينة ولا يلقى القبض عليه في مدة الجلسة الا باذن المجلس  
الذي هو عضو منه ما لم يؤخذ في حال فعله ويتوقف ضبط أحد الأعضاء من كلا المجلسين  
ومحاكمته في الجلسة وفي كامل مدتها بطلب المجلس اهـ فهذه القانون يبين لنا اصول  
الادارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت له مدة الرئاسة خمس سنين وهو الآن البرت  
اقرني وأما بقية تفصيل الادارة فهي على نحو ما تقدم في الكلام على سياسة ايطاليا  
من انفراد الادارة العامة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء  
وكون الوزراء مسؤولين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية  
حقيقية لا يصدر عنها الا ما يوافق عليه غالب الامة بواسطة وكلائهم يجرى ذلك في حق  
الاشياء وعظيمة والوزراء ينتخبون من تلقى هم اغلبية المجلس لكي يامن المجلس  
بتصرفاتهم لان المباشرة في الاجراء دخل عظيم في نجاح الافكار ولان من الامور نفوت  
بقوات وقتها فب ان الوزير مسؤول ويجرى عليه العقاب باخلاله لكن منفعة الامة  
عموما تفوت بقوات الفرصة ولذلك كان انتخاب الوزراء من نعمة المجلس عليهم  
زيادة على شروط الاهلية الذاتية وهكذا بقية الادارات على نحو ما مر في ايطاليا غير ان  
فرنسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهي تعددهم مثل ولايات فرنسا واطنائها في  
كيفية الادارة وكون مصدريها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات  
كما تفعل الدول التي لها مثل ذلك فهي من هاته الجهة تعدد مستعمراتها اجزائهم لكنها  
تصرهم مما تخوزه اهل فرنسا من الحقوق والمنح كالحرية وحق ادخال اعضاء في مجلس  
النواب واعداء في مجلس الاعيان الى غير ذلك من الامتيازات المحصلة عليهم اهل  
فرنسا فلذلك كانت مستعمراتها اسوء حالا من غيرها فقد انهم يحرمهم الاصالية  
وعوائلهم واسرة فلا لهم مع حمانهم مما للثمة اعطاهم من الخصائص (واما ادارة  
الاحكام فهي ايضا على نوع ما تقدم في ايطاليا ومن اهم ما يند كرفها راجود حكام  
الجوري وهم اعداد من مطلق الناس ينتخبهم العامة لمدة من الزمان لاجل مشاركة

مجلس

( ١١٩ )

محاسن الجزاءات الشخصية في النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرهم ثم يسألهم رئيس المجلس عما يرون في المنازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أي نوع جرمته فبمقتضى إرضون وما يستقر عليه رأيهم يعلمون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حالاً إن رأى الجوري براءته أو يعين العقوبة من القانون إن رأى ذنبه والسبب في إيجاد الجوري هو زيادة الاحتراس في المحاكم عن ميلهم إلى محاباة الأمراء والوزراء لأن وظيفة المحاكم وإن كانت عمرية وهم منتخبون بشروط العفة والاهلية ووراءهم احتساب مجلس الاعيان ومحاسن الامنة ومن ثبت ارتشاؤه يعاقب أشد العقاب ولأنهم مل العقوبة بعفو أو شفاعنة لكن ربما أغرتهم مع ذلك الدواعي بالترقى إلى الرتب العالية التي هي يد الأمراء والوزراء ويتعدوا الاحتساب بما يرتب من الخيل فدفع هذا بشاركة الجوري الذين هم ليسوا بوظائف ولا خوف ولا طمع لهم لكن في ذلك مفسدة أيضاً هذه هي الجوري كثيراً ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالأحكام ولا بعبء ولا بالتحرير فيها فيخبطون خطب عشواء ويضيع الحق بسببهم فلا تعقب البيرونة وبه يعلم مدرك الشرع الإسلامي في أناطة المحكم بالعلماء أهل العدالة وما أدراك ما العدالة ومشاورة المحاكم للعلماء وكون حكمه جهرياً ثم وراءه احتساب أهل الحل والعقد الدخول في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن المفساد الموجودة أيضاً عندهم في انتخاب أعضاء مجلس النواب أو غيرهم من تفضيحه الأهل إلى أن أفراداً ممن يعدون أنفسهم للانتخاب يعقدون مواكب ويدعون أئمة الأهل إلى في أما كن فسيحة ويلقون عليهم خطباً يمينون فيها أفعكارهم ومقاصدهم في سياسة الممالك وجدارتهم للقيام بالمناضلة عنها وانتمهم بالسامعين لأن يكونوا من خزيم حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون الرشا لمن له صوت في الانتخاب لكي يحصلوا بذلك أكثرية المنتخبين فكثيراً ما ينجح سعيهم ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد أن تقع غوغاء وتشاتم رسباب بين أخواب المنتخبين فمدخل بسبب ذلك في الوظيفة من لا ترتضيه الأهل إلى حقيقة أو من ليس جدير بها أكثره أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولأن كانوا ملو الساع لا جا وهوائه بعد التمام المجلس المنتخب ينظر في المنتخبين هل هم مستكملوا الشروط أم لا ومن كان غير مستكمل يفصل عن المجلس ويصاد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد في أغلب الأحوال لأن الذي انتخب بمبيلته ورشائه قد يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يجد المجلس

(١٢٠)

سببها للقدح فيه لئلا يكتفه غير مستكمل الشرط الاساسي وهو ارتضاء الامة حقيقة بمسألة  
السياسي فالذات كان ينبغي أن يعتبر أن طالب الولاية والامانة يحرم منها فشرعنا  
الشريف ولله الحمد مزيج عما مثل تلك المفسدة وطالب الولاية وان كان عدلا متوفرة  
فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها يحصره علمها هذا وقد تضمن كتاب أكرم المسالك في  
معرفة أحوال المسالك تفصيلا لادارة هاته المملكة بما يميز وجوده في غيره وينبغي عن  
باع صاحب التأليف وبصارت في السياسة فمن أراد تحقيق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

## مطلب

﴿في السياسة الخارجية في فرنسا﴾

(اعلم) ان فرنسا لما كانت من أعظم الدول الاوروية وفي طبيعة أهلها حب الفخر  
والوجاهة أكثر من غيرهم كانت تحب التدخل في أمر غيرهم أشد من سواهم  
يقارنوا في عباد كرهنا في أحوال نابليون الاول والثالث وأسسها بحرب سنة  
١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م شاهدنا على ما ذكرنا ذلك كانت فرنسا لما لا يطالبها  
ذكرنا في سياستها الخارجية وتزيدت طلب النفوذ في جميع الجهات اذ جعلت فيها  
مستعمرات كثيرة فكل مملكة جاورتها ولو في مستعمراتها تتطالبت النفوذ لديها  
ولو بالاعتبار فيما اذا كان الجار ذا شوكة وشأن (أما) اذا كان ضعيفا في القوة والادارة  
فانها تلتزمه مهما ساحت لها الفرصة شأن طبيعة الدول القوية ودونك ما وقع في  
تونس هاته السنة وهي سنة ١٢٩١ هـ مما يوضح هذا المقصد وهو الذيل الذي  
نبهة عليه في الباب الثاني عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

## ذيل

﴿في تساط فرنسا على تونس﴾

قد مر في المطالب الثامن من أحوال الادارة الداخلية في تونس حالة وزارة وزيرها مصطفى  
ابن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في نازلة صانسي الفرنسي التي كانت سببا في  
خوف هذا الوزير من القنصل ورام أن تبدله دولته وتقدم أيضا ما هي مقاصد فرنسا  
في تونس وانها تروم نيل الدرجة العليا فيها والمساوات سيرة الوزير المند كورلم تأمن  
وقوع ارتباكات مغايرة لما كانت راضية به بالبقاء عليه وخشيت ضياع الفرصة من  
سهولة



(١٢١)

سهولة التوصل على يد ذلك الوزير الى ما لم يكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض والعقل فلذلك بينما كانت مساعي الوزير جارية في ابدال القنصل واذا بالسياسة اليه قد غشيت مشربته حتى طمع في ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد دس يد الوالى الحالى الصادق باشا اذا تم ادخال تونس طوعا تحت فرائس افراكن حينئذ لندفساها واحكم معه المودة وصارت بظانة الوزير تأتى اليه معاملة بجمية مع اسرار الحكومة وسائر تصرفاتها واضمربان اسمعيل الشمران كن أو عزاليه بان يتشكى من القنصل الى دولته ثم تفتن بذلك التواطؤ السرى ونحج به لانه لا يتج له شيا على فرض الوفاء له بالوعد فانه لا بد ان يناله ما زال الوزير بالعاقبة في انقراض دولة بنى العباس من بغداد واتفق ذلك الوزير مع القنصل على شروط ادخال تونس تحت فرائس اغيران الوالى لم يساعف على لائحة تلك الشروط التى قدمت اليه سر بواسطة الوزير وخشى من الدول ومن الاهالى فى البنى منه على الدولة العثمانية وفى تغيير حالة السياسة وجعل الوالى يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسهى فى احداث وجه لندخل فرائسا وانفاذا مرها فاكتر من الرسل المرسلة الى الاستانة مة طلبا ان يدعى هو اليها رسما أو يرسل بعض الاسطول العثمانى الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشجيع الى الدولة العثمانية حتى لا ينقطع الى مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطالبه اذ لم يكن له من داع كما انه لم تفدى الدولة العثمانية الا بقاظات الى دسائسه وعزمه حتى تسهى فى سعة لدفع الغوائل المتوقعة اذ من المعلوم ان الدغل السيامى هو كالمرض المزمن الذى لا ينبج فيه العلاج الا تدرى بجاءه عند أول حدوده سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استعانة غيبرها من الدول القوية الى معاضدتها على قرننها القوى ومع ذلك أيضا قد عكر الوزير بان اسمعيل حالة الخلطة مع ايطاليا لعلها تعلن على تونس الحرب ومنح للفرائسا وبين هتجا لم يطاموها مما يريدى نفوذهم والشحناء معهم كما تدم ذكره فى المطالب الثامن من أحوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعي التى كان يمكن لفرائسا الاستناد عليها فى وضع جانيها على تونس أحتدوا اقاويل فى اهمال حقوق الفرائسا ودين بتونس وأظهر الوزير المذكور الاستخفاف بقنصل فرائسا ومال عنه كل الميل ظاهر اورام ان يظهر التعطل فى اجراء المنح التى أنالها الى الفرائسا ديس يارجه من الاعتذارات حتى اغريت رعيا فرائسا بتونس على ان تكتب تقرير بالتشكى من ضياع حقوقهم وطالب دولتهم للانصاف لهم فلم يرع الامم الا ان فرائسا جلبت بخيلها اورجها على حدود تونس معلنة

(١٢٢)

بان قصدها انما هو حفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها واستندت في عملها الى ما تضمنته  
 لائحة وزير خارجيتها الى سفراته وهذا نص تعريفيها باريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ أيها  
 السيد اتشرف بأن نرسل لكم جملة رسائل في شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود  
 اجمالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الاثنى عشر عن النتيجة التي نرجوا اتمامها فيكم  
 من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدواعيها ومقاصدها وانتم تذكرون ذلك خصوصا  
 ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من  
 جده وصدقه ومع هذا فاني اريد زيادة ايضاح لكم لانفعكم لدى الدولة التي انتم عندها  
 فمقول ان سياسة فرنسا في تونس ليس لها الا مقصود واحد وهذا المقصد الذي يكفي  
 لوضوح موضوع سبب تزامنا من خمسين سنة نحو الممالك التي هو الواجب علينا الحفاظ راحة  
 مستعمراتنا العظمى الجزائرية في سنة ١٨٣٠ لم تلت دولة من الدول المتتابعة  
 وتركت هذه المهمة العظيمة وانما العمل الواجب علينا الحفاظ مستعمراتنا الافريقية  
 التي لا يوجد احد من اوروبا انكر علينا ذلك فيمما لحفظها من جارد وكثير الاراحيف  
 وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومحار بين حتى فيما بينهم وقد فاق ع- الى الجميع  
 قبائل وشنة والفرانكيس ونج- يرولا تعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم- فاذلك  
 التزمنا الاثنى عشر من العساكر عشرين ألفا وهذا ما يدل على قوتهم أي اعداء  
 المتحصنين في بلاد منيعه تقر بيبا وكان الداعي الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل  
 حدودنا الشرقية ولا يمكن لافائدة في تقرير الامن والراحة واعدوا لنا الزوايا لم يدوننا  
 ونحن لانخاف من الهجوم الكبيير المنسوب لباي تونس اذا كان منه- وحده- لكن  
 النظر القليل في العواقب الوعظيمة التحري من اتحاد الباى مع غيره وه- هذه التشويشات  
 يمكن ان يأتى لها وقت وتقلنا كثيرا في الجزئ وتوصل حتى الى فرنسا فبلمنا بانه على  
 ما ذكر ان يكون لنا عند الباى محبة كبيرة راتفاق قاي ويلزمنا جاريه موضعا لمحبة  
 التي لنا عليه ولا يسمع التشويشات المخارجية لضررنا واستحقاق قوتنا الراسخة وقد  
 وضعنا من نحو أربعين سنة بانه يلزمنا لافئة فرنسا الجزائرية ان نحصل في الممالك  
 على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم يقدر ان يتوسعوا في ثبات  
 مع فوائدها والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهتهم-م لا تغبر والى هاته المدة الاخيرة  
 اتحادنا مع دولة الباى المفخم مستمر الا ما يحدث احيانا من الاختلاف في دفع تعويضات  
 لقبائنا المضربين ثم في الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتنا به- دهاته الاختلافات  
 الصغيرة

(١٢٣)

الصغيرة الاهاته المدة الاخيرة فانه باب يصعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة التونسية اليها فمرة واحدة وكانت اذذاك الحروب ساكنة ثم لازالت تزداد الى ان وضحت وتفتت وممنها ما ضد كل الامتيازات التي حصلت للفرانساويين في تونس مع شدة الارادة الرديئة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثاني لارسال العساكر الذي كنا نود التجنب منه ولكنه بسبب السيرة الرديئة التي طامس بها علمها المتزعم بها هو واقع ولواننا لم نضعنا الباعى في المطالب الحقيقية لانه لا نعرف بتونس كما كانت مستقلة وأما الحالة في الخلافة الا ان مع الباب العالي في مخالطة محبة وميل طبيعي وبودنا ان لو كنا رأينا نازلة تونس في منظر آخر غير التي هي عليه الا ان لو كان قد بان ما يجب علينا ما ذكرناه سابقا وانما نذكر ان نستفهم من الباب اذا كان باي تونس هو وال من قبلهم فلما سلمنا معواسيرته التي فعلها نحو فرانسائيه دعاء بين ولسا لم يقتضوا الجمع التخيير الموجود الا ان الذي نحن منذ زمن طويل كنا نسعى في عدم ايقاعه ويلزم لم هذا التخيير الذي نحن مجتهدون في حصره ان يذهب بشرط تؤمن حدودنا من الهرج المستمر والتشويش المغري لباردوا ما من غيره أو من نفسه فهذان هما المقصودان لارسال العساكر ولا تخف عند ما تقول ان لنا في أوروبا الرضاء العام في جميع الجهات عدا الجهات التي بها النظر القارغ المطهس للعقول وهذه هي أهم السبب التي خيمت حول الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين فنحن مشغولون بالمحبة وجميع ما نرجو من الباعى هو ان لا يكون عدو لنا ولان الملكة تنظر لفراندا فتنظر ان تحصل من اتحادها معنا فوائد لا تفضى أكثر مما تفصله نحن منها ونقدر ان تأتى لنا بكل خير من العمران المحاصل عندنا ففي سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفي ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفي سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا السكة الحديدية الذي طوله ٥٠ فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفي هذا الزمان فعلنا السكة الحديدية من جديدين أحدهما من بطون تونس بآين زرت من جهة الشمال وطوله ٢٠ فرسخا والآخر يربط تونس بسوسة من جهة الجنوب وسنة تسمى عن قريب في اية بدء عمل مرسى في تونس نفسها لتدخل المراكب من الشط ومن حلق الوادي حتى الى ذات القاعدتين تونس وان كان رأس ماله مشترك بين فرانسواي ونا كايلى وطلباى لى لكنه اذا اعبرت النسبة فيوجد ثلاثة اقسام لفرانسواي الحمايا النجيلة لادريان التي تأتى بالمياه العذبة لتونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرنسيين ولما ترجع الخلاطة الطبيعية فاننا لانزال

(١٢٤)

نفعل أشياء حسنة ومنازل على الشطوط وطرق داخلية توصل بين البلدان العسرة  
 النابحة ونسقى الأرض بالترع الكبار في البلاد التي بها أنهر كثيرة ولكن هاته  
 البلاد أهلها ليسوا معنيين بتلك الأنهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع  
 الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة في الأراضي الحسنة التي  
 للأجانب في المملكة والتي للأهل إلى أيضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التي اكتشفها  
 الرومانيون واستعملوها وبالجملة أن مملكة تونس خصبة وغناها قرطاجنة القديمة يدل  
 على ذلك وتحت الحماية الفرائسية لا يمكن أن تزال جميع المحجب عن المنافع الطبيعية  
 في هاته البلاد وتنتشر بقوة وبشدة الترتيب الجديد فقد ران نزيد أشياء أخرى وهي أنه  
 إذا كان الباي يعتمد على ما في الترتيب الداخلي في المملكة فإنا نعمل على تعدد الأقاليم  
 وهذا الخيال الذي يسهل علينا عمله منه ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب المخرج  
 وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستعمله نحن في ماليتنا ومنها أيضا خبر عظيم وهو  
 ترتيب العدلية على الأصول التي فعلتها الدول في ترتيب العدلية في مصر وفائدة هاته  
 الترتيب لا ترجع لفرانسوا وحده بل إن المملكة يرجع لها النفع وكذلك لجميع الدول  
 المقعدة التي نحن منها ومن غير فتح ولا حرب فلا شيء يمنعنا من عملنا في تونس مثل الذي  
 فعلناه في الجزائر والذي فعلناه في كلابرة في الهند إذا نحن جعلنا باي تونس متصرفا  
 بمطالمة الحقاينة فهو دليل على ما نحن به دائم من أن تونس مملكة مستقلة من غير أن  
 نراعي بعض آثار التبعية بالاسم فقط لبعض أسيا قد تروى كوهام من عدة قرون وقد تظهر  
 تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدة التي هي فيها مستقلة كانت أكثر من مدة التبعية  
 ففي سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بياربوروس خير الدين أربع أو خمس مرات  
 بانهضاره على الأسبانيول وفي العام الذي بعده أخذها شارل كين وكذلك في سنة ١٥٥٣  
 ثم أخذها داي الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم أخذها دون جوان النمساوي سنة ١٥٧٣ ثم  
 في طول القرن السابع عشر كانت تحت ظلم الإنكشارية من غير حكم ورأساؤهم  
 الموسومون بالدايات كانوا اذالك أربعين فقط وهاتقر بيا كالمالك الذين قسموا  
 مصر ثم في سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن علي الذي أصله كركي أو كركي  
 صار مسلما وكان هو أحدهم فعرف كيف يشدهم وقتل جميعهم واشتهر بالباي  
 وبعضيات العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة  
 السيادة الإسلامية والآن سنة ٢٠٠٠ تقر بياؤهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم

وبين

(١٢٥)

وبين الباب العالي هي رابطة دينية وهم يعرفون بالخليفة الانهم لم يدعوا تحت السلطان  
ومما يوضح هذا انهم لم يدفعون له اداء الا انه عن دولاية كل باي برسل هدية غنية  
تعطيه الرئيس الديانة القاطن بالقطن طنطيدية وفي باقي مدة الولاية فلا مسئلة سياسية  
يمكن ان تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لامير المؤمنين حق آخر على باي تونس  
والملك كما تقدم مر وطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتقدم معهم اتفاقات ويكون  
لهما قوة وذلك برضا الباي فقط وعلى هذا النظم وقعت معاهدة مع فرنسا في سنة ١٧٤٢  
وكذلك في العام الثالث والعام العاشر وفي سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة  
المهمة في ٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ التي تمنع ملك المبيد والصلص في البحر ولا يلزم  
التسليم على المعاهدات الباقية كالتي في حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية  
الاحكام وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه في القرن الثامن عشر لم يقبل  
تشكي دول اروبا من التلصص البحرى والسعي البربرى وليس له حكم عام - م وهو ليس  
مولاهم وهو لم يضمن السرقات التي فعلوها محلة بتجارة البحر المتوسط وان دول اروبا عملوا  
الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفي سنة ١٨١٩ كانت  
معاهدة اكس لاشيبل قد حكمت على تونس بنزع التلصص البحرى من غير ان تطالب  
من الباب التدخل على انه تمسيد على تونس وفي سنة ١٨٣٣ فملكنا مدينا  
ونابى على الحرب مع تونس من غير عمله مع الباب لانهم يرون مثل ما ترى ان تونس  
مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرنسا من وقت اخذ هاته الجزائر على النحو السابق من غير  
واسطة تركيا ولما قدم البنا احمد باي في سنة ١٨٤٣ اقبل بكل ما يلزم من التعظيم للملوك  
والباب العالي لم يتوجع اذ ذلك من عملة التعظيم للملوك المذكور وكذلك جميع اروبا  
لم تلم على ذلك لان رأيهما موافق لراى اللورد آبردين الذى يقول في تسجيله ضدا اخذنا  
الجزائر المملوكية بكتاب تاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٣١ ان الدول الاروپاوية من مدة  
طويلة يفضلون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلة ونصوصا تونس  
فانهم لا تحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذى لا ينكره أحد هو عمل القوانين  
في تونس المسماة بويورلدى وحلف عليها البساى الموجود بتونس محمد الصادق لما  
جلس على الكرسي في ٢٣ أيلول سنة ١٨٥٩ مثل ما حلف اسلافه فان قانونا واحدا  
منها وهو المسمى بالقانون النظامى للملكة تونس قد اذتوى على مائة وأربعة عشر مادة  
وانتشر بالعربى والفرنساوى في تونس وفي بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

(١٢٦)

ثقول السلطان ومالايقدردان يشك أحدمعه في استقلال البلى ماشر في الصيغة  
 الرابعة من المقدمة في ذلك القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه  
 بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف في المملكة وفي  
 ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة  
 المحسنية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمته الوزراء وترتيب خدمتهم  
 والمجلس الكبير بالمملكة والداخل والمحاسب ولاشك ان من يطالعها  
 يقدر ان يجد ذلك البيان غريباً اذا اراد ان يقدر على رأينا الاروباوى ومع هذا  
 فهو دليل واضح على استقلال المملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع  
 المعاهدات التي بين الدول الاروباوية والمملكة تونس منذ المئاة قرون الاخيرة  
 لم تقل ابد الاملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرين معاهد ماضية  
 بفرانسا فيمما ذلك القول وفي سنة ١٨٦٨ المعاهد التي وقعت مع ايطاليا منذ كور  
 فيها مملكة تونس وتونس أيضاً لم تسم نفسها في قانونها النظامى الا الاسم الذى  
 أطلقته عليها جميع الدنيا وهى ارادت ان توضح المزية التي لها بالاستقلال والقدرة  
 الموافقة له فمناه على ما سبق من الادلة القطعية والمتعددة فالباب العالى لا يقدر ان  
 يتعجب من انكار فرانسسا سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الان ونحن  
 نقر بان الباب شدد في طابعه منذ خمسين سنة وفي سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته  
 طرابلس بعد ما ضبط التخيير لها ثل هناك وأراد ان يعيدهم سيادته على تونس الان قوة  
 فرانسسا المضادة لمعنته من مقصده وبعد عشر سنين أى في سنة ١٨٤٥ انما ينبغي  
 السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقاد البلى منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت  
 عشرون سنة من غير تجربة جديدة ولا كن في اواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التجهيزات  
 القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هى التي طالبت التقليل ولو كان هذا  
 كان من الغريب اذ وقع من الامير الذى هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة  
 عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التي خوفت البلى من حالته امام  
 الباب فارسى لذلك أمير الامراء خير الدين الى القسطة طينية ليعرض ويأتى بالفرمان  
 وهاته المرة أيضاً فرانسسا عارضت في ذلك وعوضا عن الفرمان السلطاني فالبلى  
 ومستشاريته التزموا بالرضا بكتوب وزيرى متضمن لما فى الفرمان ثم اغتنموا الفرصة  
 وقت مصيبتنا في سنة ١٨٧١ وتموا ما كانوا ممنوعين منه سواء كان في مدة الوى فليب  
 الذى

(١٢٧)

الذى كان غالباً استطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أو في مدة  
الامر برأى الذي لم يقل من العزم المشار اليه وفورمان ١٥ تشرين أول سنة  
١٨٧١ الذي اتخذوه تحت طلمصية يمتدنا اشتهر في ١٧ تشرين ثاني في باردو  
واعان به خبير الدين باسم السلطان وقيب له الباي الذي كان طابعه له مع شيء من الغضب  
وفرا ناسا على كل حال سيجات بقوة وحسب الفرمان باطلاً وكأنه لم يقع ومن مدة عشر  
سنين لم تبطل شيئاً من عملها عندما يقتضى الحال ومع فجاج الباب هو بنفسه له شك في  
اجراء حق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذي ضرب اسطولاً مما كذا تونس المتقادم  
وهذا الفرمان انتمى لثمة قايلاً الا انه عند الغالب لا يعرف ما عند بعض الدول الذين لهم فوائد  
نوافي ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون جزئية تحت الباب مع ان حكم باي تونس  
باق كما كان يعرف من منذ مائتي سنة غير ان باي تونس صاروا اليأى والبا عا على اياالة  
تونس وعلى موجب ذلك فالوراء في الحقيقة لم تكن مستمرة في العائلة الحسينية خلافاً  
لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباي ضربه  
وضر ما كره وحرية وحياته التي هي غاطة كبيرة حسبما اشاروا عليه بها ونحو المصادق  
ليس له خوف من جهة فرانساً ولو مع ما عمل من الاشياء او مع هذا فهو ليس بضد  
لا لذكرته ولا لذاته ولا لدولته وأما من جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه  
لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت لاشعة فوزير فرانساً واذا تأملها المتبحر وتقدر  
مع انهم يجدها مخالفة للواقع في كثير من الامور سيما بعض الاحوال النارية كذا  
يتبين من مقابلة كلامه بما ذكرناه في تاريخ تونس وسياستها وصالها مع الدولة مع  
المسكا تيب الرسمية التي نقلناها حرفياً حتى من متوفى فرانساً ويؤكد ذلك ما تراه في لوائح  
الباب العالى الآتى بيانهما فان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود  
تظاهروا الى تونس بان أرسل اذ ذلك الى الباب العالى مسكا تيب في التمشيكي من فعل فرانساً  
وأرسل الى نواب الدول تهيلاً على ذلك أيضاً ولما تحقق الباب العالى الاحوال الرسمية  
أرسل عدة لوائح الى سفراته مستجداً بالدول لمحافظةهم على معاهد باردو بارس التي أمرنا  
اليها سابقاً وعلى معاهد باردو بارس ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق الاشعة التي  
أرسلها وزير الخارجية بالدولة العثمانية الى سفره الدولة ونص تعريبها القسطنطينية  
١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلاما في الختلفة عرفت فطانتكم الوقائع التي صارت في  
المسئلة التونسية وقد نسبت بمجوم بعض القبائل البدوية جهة الجزائر وهذا الهجوم

(١٢٨)

فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنسية  
حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية  
ولم يعدوا عن المركز الا بعض فراسخ فن غير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة  
الباشا الأخذ بالتدابير اللازمة لتمهيد الراحة في المواضع الماثرة فدولة الجمهوريّة  
لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة  
جزءا منها للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادي معها القطع  
الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرانس في ذلك المحل وترتيب  
الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا تقدر أن تزيد في ايضاها كما يلزم وهي سيادة  
السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تذكرها ولا دولة عموما  
وهذا الحق بقي الى الآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذاك سنة ١٥٣٤ بخير  
الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ تغلب على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت  
الى تلك المواضع قوة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التي فعلها الباب  
العالي هي ان جميع ولاية تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي الاول المسمى من  
السلطان ويتقادون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى في خزنة الديوان  
وكذلك جميع المكاتب التي تأتي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن مخالطتهم  
مع الدول الاروبية وتارة تكون في شأن احوالهم الداخلية والتي لها صلة المدة  
الاخيرة فان الباب العالي من استخفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالي العام  
فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا وياش كاتب الولاية ولم يكن الامن ترحم  
الدولة العلية ان منحت الوالي ان يسمى هو بنفسه هذين المتوظفين وأيضافا بما عايناه  
وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالته ويضرب على السكة أيضا  
وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتي الى  
القسطنطينية دائما أناس رعيون ليقدموا تعظيمات الوالي وخضوعه لاعتبار  
السلطنة وليقبلوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالي لامور عظيمة في الولاية ثم ان الباشا  
الموجود الآن والاهالي التونسيون ملابوا في زيادة في التفضيل وأعطى ذلك لحضرت  
السامية بالفرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث  
الوالي بجهد سيده الحق ليعينه على الحالة الرديئة التي وقعت فيها تونس الآن وهاته  
الاشياء التحقيقية لا يذكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ  
وبالمكاتبات



(١٢٩)

و بالمكتبات الرسمية هو سهل لكن نقتصر على المهم منها الثلاث بطول الكلام في هذا  
التعريف في المعاهدات القديمة التي بين تركيا وفرنسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانية  
ويكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤  
هـ ١٦٦٨ م وفي هاته المعاهدات أيضا وجوب بيان كل المعاهدات التي بين  
الدولتين تجري أيضا في تونس وفي نصف القرن السابع عشر رأى في ١٥ صفر سنة  
١١٦٦ أرسل السلطان فرمانا للباي والحاكم الكبير بالولاية في رضاء الباب العالي  
بان قنصل فرنسا يجب مع خدمات قنصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذلك نواب  
بالقسطنطينية كالبرتقال وكثا الوفي واسبانيا وفينيسيا وفرنسا وغيرهم والقنصل وكالته  
هي حماية السفن تحت الراية الفرنسية في المراسي المشهورة بالولاية والفرمان يمنع  
تدخل قنصل الانكليز والهولندي وغيرهم من التدخل في خدمة نائب فرنسا وذلك  
سند منع التدخل بين الباب العالي والنمسا المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ  
المنقرر بمعاهدة ستوتغا في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ فانه يأذن بحكم الجزائر  
وتونس وطرابلس الغرب بان يحو على اسم السلطان السفن المتجربة لسلطنة الرومان  
الفخمية وأيضا فان الاتفاق الذي تقدم هذا السند وتم في ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ  
بالاذن من السلطان وكان بهذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة  
المذكورة فان الرأى العام بتونس وهو اذ ذلك في رتبة بكار بيك ونال اسم على باشا  
يند كفي مقدمة كل مكتوب محض عليه منه هاته الكلمات بعينها وهي (مولانا السلطان  
الغازي محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان استطرادكم الاذن الصادر من الباب  
العالي في ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٧ م بحكم الجرائر  
وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم ان لا يتدخلوا في الخلاف الواقع بين سلطنة  
النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالى تونس في ١٤  
صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسكرية النظامي بالولاية  
على نمط الترتيب العسكري النظامي العثماني وأيضا قد أتى مكتوب معين بالطاعة من  
الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان  
واليا طامو قد انتشر هذا المكتوب في جميع صحف اوروبا من غير ان يعارض ولا من جهة  
واحدة ونريدكم شيئا آخر وهو انه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرص التونسي الذي  
وقع في باريس من غير رضاء الباب العالي كان رسيودوار واندولويس وزير خارجية

(١٣٠)

الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بنونس أو المصرف الذي يريد عقد القرض معه أن يطلب رضا الباب العالي ليصح هذا القرض ولما دافعت عن حقوق الباب العالي فان الوزير الفرنساوى أرسل يقول هذا الكلام للمصرف المشار اليه وهما نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذي للدول الممضين على معاهدة برلين وانا المتحققون بان فلكر الدول محبط بدلائل كثيرة في الواجبات العمومية التي يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم يريدون أن يفسلوا بالعدل قولنا الذي قدمناه وانهم يتحفظون على حقوق الباب العالي الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون المحال بين الدولتين فرانساً وتركياً في علاقتها التي لها في هاته الولاية المروء بها التونسية المتمعة بالسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلم مع وزير الخارجية في مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماترانا فاعاؤكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا الجواب الوزير اذا طلبكم ام (الامضا مصطفى عاصم) ومن تأمل هذه اللائحة مع ما قررناه في سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرنسا فيها لا يشك في أن فرنسا لم تكن تنازع قط في أن تونس من ممالك الدولة العثمانية وانما غاية دعواها هو ان تلك الولاية لها امتيازات جارية تحافظ هي على الاجل من منافعها ويصدق ذلك تصريح وزير فرنسا دواروان دولويس في مجمع فيينا اثر حجب القرض لماسأل وزير روسيا عن تعيين الممالك العثمانية للجهل ببعضها ومثل بتونس وانه يتراعى فيها نزاع فأجابه الوزير الفرنساوى بان لا شك ولا نزاع في كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرنسا وتونس حتى التي وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر لمدة طويلة يصرح فيها بان سائر المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجراء في تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يفد اداسه تصريح الدول لان فرنسا لم تعلم بان معاهداها الاربعة افسد كارا غالب الدول الكبيرة فوجدتهم غير معارضين اليها لان دولة انكلترا متول زمامها حزب الاطلاق الذي لا يرى نفع دولة في الحفاظ على الدولة العثمانية بعد ان طال تجربتهم لها في الحث على الجربان على مقتضى نصائحهم ولم يكن لهم ليروا العمل ودونك ما نشر في الكتاب الازرق من الخطابات التي وقعت من الحضرة السلطانية ونيس وزرائها ومع سفير انكلترا بالاستانة حسبا

انخير

(١٣١)

أخبر بها وزيره بعدة التفارقات التي بما تقدم فيها التفارقات من موسيو غوشن (سفير  
انكلترة الى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨٩ هاته ترجمته اني وجدت  
جلالته (أي السلطان) مشغول الفكر بهذه الأفعال وبناء على ما عندي من الاذن أعلنت  
له بان الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة في تونس والنائب الانكليزي بتونس  
له الاذن ليرشد الباي اذا استشاره بان يعين فرانسافي تقوير راحة المحمد ودواني أرجو  
ان جلالته يشير على الباي أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه  
الغضب وقال انه فهم من كلامي ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ما هي عليه  
في تونس ولها نفع في ذلك وفهم أيضا اننا أشرنا على محمد الصادق بان يعين العساكر  
الفرنساوية فنهت عظمته باني ما قلت ان الدولة الانكليزية تنفع ببقاء الحالة  
الموجودة ولكنها تطهرتني ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نأسف كثرا من دفع  
مسئلة جديدة في الشرق واننا لا نفتكر أنه توجد فوائد خصوصية لانكلترة مربوطة  
باي كيفية كانت في أحوال تونس فعندهذا أجاب السلطان بانه لم يركب كيف يجمع بين  
وجائنا في ابقاء حالة تونس على ما هي عليه ومع ذلك يشير على الباي بان يعين العساكر  
الفرنساوية فهذان الشيطان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنسية  
الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفي التفارقات آخرون موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان  
المجاسة التي وقعت بيني وبين باش وكيل كان يطلب فيها صحة انكلترة وقال ان الدولة  
الانكليزية تقدر أن تجعل مع الدولة العثمانية المعروف وان الباب العثماني يكون  
ممنونا اذا كانت انكلترة تريد أن تفعل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع  
والذي كنت تقوله دائما هو انه بأي زمن تكون فيه تركيا منذ كره بان صحة انكلترة  
لها لازمة وقد تكلم على الحاجة الى كيد الان وتكلم أيضا على رد مودة انكلترة  
فتبعته وقات ما هو دليل المودة الذي أطهرته تركيا لانكلترة منذ بعض سنين وفي أي  
وقت اتبعتم اشاراته وفي أي وقت قبلت استشاراته النافعة للسلطنة التركية ثم ان الترك  
قد عملوا غاية جهدهم ليتركوا المودة التي في رأي العموم في انكلترة ورجوعها الان  
ليس سهلا فخصمته العلية أجابت بان جميع الاشياء الآن تتغير من غير ان يظهر على  
وجهه الغضب من الكلام الذي قلته له قصدوا استرقط به الاعانة وانما شمرحت له بان  
نازلة تونس مثل النوازل الاخر الشرقية ولا تقدر انكلترة على اتمامها وحدها ومع هذا  
فليس لنا فائدة خصوصية وسياسة متماثلة بالموافقة الاوروبية ولا دولة ترك بدوية سام

(١٣٢)

عمر جديد قبل ان تتم الاعمار القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تفتش كل  
 واسطة لحصر النازلة التونسية في حدود ضيقة أقل ما يمكن لئلا تقوم نازلة تدخل فيها  
 الدول برأى مختلف فجنابه العالي يقدر يفهم من جملة كلامي بان ليس لي اذن لتقرر  
 الرجاء بان تكون الدول العظام الاروباوية يظهر انهم مختلفين على نازلة مخاطبة  
 بين الباب العثماني وتونس والطلب المص - وصي من انكثرة ليس بموافق لحالة الباب  
 العثماني منه مذ بعض سنين مع الدولة المشار اليها فهذه المخطاب كاف في بيان الحال مع  
 انكثرة وهي وان أظهر بعض أهل شوراها التنديد على سياستها وطلب المحافظة على  
 تونس وبقائها للدولة العثمانية وبين ما ينشأ لانكثرة من المضرة عند استيلاء  
 فرانس على مري ابن زرت وعلى قريها من خليج السويس ورجحان كفتها في البحر  
 الأبيض لكنه لم ينفذ كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ  
 واحتج عليه الوزارة بان خوبه هو الذي فتح الباب لفرانسا فان اللورد صبري الذي  
 كان وزير الخارجية عند ذلك قد موثر برلين لما شأخته وزير فرانس على استيلاء انكثرة  
 على قبرص أجابه بأنه لا يعارض فرانس اذا أردت الاستيلاء على تونس فاذا يكون  
 استيلاء فرانس بوعدا انكثرة وقد غفل المستند لذلك عن كون الوعد من صلبه  
 كان في سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اغتيال  
 ومع ذلك فلانكثرة مقاصد على تونس مخفية في مصر فرأت ان تساعد فرانس على  
 تونس ثلاثتها في مقاصدها هي في مصر - الحاجة اذا ساعدتها فرانس اولها  
 لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانس الاول أعلن في  
 مجلس النواب بان انكثرة وافقت على معاهدة مابها استنادا من مصادرها بينهم  
 من الكلام فيها فاعلان وزير خارجية انكثرة حالاً بكذب ذلك الادعاء وما ذلك  
 الا تحفظ على ما يريد لدولته حتى اذا لم تساعده فرانس في مصر وآل بينهم الامم  
 الى المشاهدة الحقيقية كان لانكثرة وجهه في نقض ما حل بتونس وأما دولة روسيا  
 فلا شك ان لها يسرها كلما يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاهدة  
 فرانس اول ذلك كان جوابها على محصل جواب سابقها وأما دولة المانيا فاجابت  
 خصوصاً بان الاولى للدولة العثمانية الاضرار عن هاته النازلة وانها هي لا تتعرض  
 لفرانس بشئ والباعث لها على ذلك وجوه (اولها) اظهار عدم التجاني عن فرانس  
 التي لها عليها حقد أخذ النار (وثانيها) جذب أعداء ومضادين الى فرانس كالدولة  
 العثمانية

(١٣٣)

العثمانية وايطاليماحتى اذا أعلنت الحرب يوما ما بين المانيا وفرنسا اتحد المانيا والظهير على قريها بما لذلك الظهير من المباحث الذاتي (وثالثها) اشغال فرنسا بفتوحات جديدة في اراضي فسيحة وخلق كثير في افرقيقيار بساطال اشتغالها بهم حتى يبردهيب أخذ الثمار (ورابعها) اضعاف قوة فرنسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التساط عليهم وان لم يكونوا كقوة المحاربة فرنسا الخلوهم عن آلات الحرب والاسلحة امدادها اليهم كما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة ومثاقفة للحرب لا يلبثون دائما أن يحدوا عليها ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينهم وبين أجنبي فتضطرب فرنسا في وقت الحرب الى أن تبقى قسمها عظيم من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يقيد المانيا به نقصان قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل اليها في ما تريد المعاض به بينهم وبين النمسا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الا يمين عن وقت يبقى من جنس الالمان تحت المساعدة ملايين حول الجهات التي يقرب مرسى ترست ولو أخذت المانيا ذلك الباقي من الالمان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية أمانها ولكن ذلك لا يحصل الا بحرب مع النمسا وقهرها أو بمعاوضة ذلك لها بشئ يرضيها من ممالك الدولة العثمانية مثل أخذها ولايات مقدونية ومرسى سلافيك الموازي ذلك لما يؤخذ منها حسبما أشيع ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا أول من بادر لامرئها في تونس باتباع سياسة فرنسا فيها وتبعتهما على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لها مع المانيا عقد محالفة اتحاد على الذب والاقدام ثم انها لها مطامح في جهة ببحر الجزائر لثمة كن فيه بمواقف مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا حليفها حيث لم يكن لها مرسى في البحر الا يمين كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرنسا عند العمل وأما ايطاليما فاتها تخرجت من ذلك الغصص وطوت على الضغائن التي لا تزال ولا تكن المانيا كانت في مكره بانفرادها لمعارضة فرنسا واتحادها مع الدولة العثمانية أيضا لا يجدي لاحتياج كل الى المال مع ما فيه الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبتها الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتجهل عرق القرية مع عظم الضغينة في عموم الاهالي والدولة اذهى حريصة على ابقائها ما كان على ما كان في تونس وكما كانت عند ملاحظتها مبادئ الشر عرضت بالسعي السياسي مع الدولة العلية فلم يكن من المقدر قبول الانتباه لما أرادت حتى أنكر الوزير العثماني على الأمور الطليما في التسكام معه

(١٣٤)

في تونس وقال لها انها تابعة لنا ولا تدخل فيها الا بدعوة - دهجوم فرانساصار يتناق الى ذلك المأمور لكي تبدأ يطالبها اليه فيقال له مصداق المثل الصيف ضيعت اللين وبما تمهد عبرت عساكر فرانساصار ودون تونس معلنة بانها تريد تأديب قبيلة خج - يرمن أعراب الجبال الشهابية عنه - دحدود الجزائر ولم يتعرض لها أحد - دبالصادمة لان حكومة تونس قد تقدمت حالتها الباطنية من التوافق مع فرانساصار مع ذلك فليس عندها تحت السلاح الفناء - كرى ولا اقتدار لها على معارضة فرانساصار بالقوة واسعة منذت ظاهرا الى أمر الدولة العلنية بارتكابها سبيل الملاينة وأظهر الوزير التونسي اذ ذلك التزام العمل برأي مجلس الشورى حيث فات الابان مع ان جميع ما يتفاوض فيه يقرره الى تابعه على ابن الزمى لا وهو يقرره الى نائب فرانساف - كما غزل المجلس غزلا نقضه لهم من هو بالمصاد منهم حتى تهجموا من اطلاعه على جميع أحوالهم وتمكنت عساكر فرانساصار من بلاد الكاف وباجة وابن زرت وفي انشاء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لا تزال تسجل وتنشكي وانها مستعدة لتربية قبائلها الذين هم في نفس الامور انما اتخذوا وسيلة فقط ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة نائبه - المشار اليه الى نائب فرانساصار لا واسطة مفيدة في الدخول تحت فرانساصار الا قدم شريطة من العساكر الى قصر الوالى والا حاطة به اذ النسوة لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالى الى الامضاء على الشرط ويحسد العذر عنه - الاها الى ومع ذلك أرسل خج - برابا - لك الكهر باقى الى الباب العالى يقول انه قد علم ان فرانساصار تطلب عقد شرط ولا يعلم ما هي فسادا يعمل فأجيب من الباب بان يحيل كلاما يطلب منه على الباب العالى ولا يمضى شيئا وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار ان في حزم الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معقد فى حسم المنازلة المعروفة بأحوالها وسياسة الاها الى والاجانب وليكى يكون عوننا على ابقاء الحالة المعروفة فأرسل الوالى تلغرافا الى الباب يطالب أن يكون المرسل غير المشار اليه وتجهيب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك الطالب اذ تلك الحالة لا تدع مجالاً للشخصيات سيما وقد سبق من خير الدين الى الوالى المشار اليه المجاملة وعدم الاكثر انما فعل معه عند حلوله بالاستئانة وترقيته فيه - لكن المطلاع على الباطن زاده ذلك يثقنا فى المواطنين على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين في تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره ممن لم ينافق طبائع الشقين ومع مجازاة الباب العالى وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان - ان لنا من الوالى حيث أظهر الميل الى الدولة فانه

( ١٣٥ )

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشرط مع فرنسا والحوال ان مداد الحـ بر من الباب  
العالى بنهيه عن الامضاء لم يحف ولم يخبر الباب بهـ بذلك بشئ حتى سألته عما شاع من  
امضاءه فاجابه بانه مكره عليه وكلما ورد به ذلك من الباب سلمه الى نائب فرنسا مدعيا  
ان الشرط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرنسا ودولة  
باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة التعبير الخرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى  
شـطوط تونس وأرادوا أن يرضوا بخالطتهم القديمة التى هى مخالطة مودة وجوار  
حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمةين فعلى موجب ذلك  
رئيس الجمهورية الفرنسية سمي وكيله موسيو الجنرال بربار الذى يتفق مع حضرة  
البابى السامية على الشرط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية  
والبحارية وغيرهـ يبرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية والحضرة البابى يتحتهم  
تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية انتماء الطرق للوصول الى  
المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة البابى ترضى بان الحكم العسكرى  
الفرنساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتتقرر وترجع الراحة والامان  
فى الحدود والشطوط ونروج العساكر يكون عند ما يتوافق الحكم العسكرى  
الفرنساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرير الراحة (ثالثا) دولة  
الجمهورية تنعهم فحضرة البابى بان يستند عليها وانما هى تدافع عن جميع ما يتخوف  
منه لضررها ما فى نفسه أو فى عائلته أو فيما يحبر دولتهـ (رابعا) دولة الجمهورية  
الفرنساوية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة  
الاروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرنسية تحضر فحضرة البابى وزير  
مقيما لينظر فى اجراءاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرنسية  
وذوى الاموال والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان  
النواب السياسيين والقناصل الفرنسية يبين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا  
أشغال تونس وأشغال رعيتهـ وفى مقابلة هذا فحضرة البابى تنعهم بان لا تقدم معاهدة  
عمومية من غير أن تعلم بهادولة الجمهورية ومن غير أن يجعل على موافقتها من قبل (سابعا)  
دولة الجمهورية الفرنسية به ودولة حضرة البابى أبغوا لانفسهم الحق فى أن يؤسسوا  
ترتيبا فى المسألة التونسية ليتمكن لهم ادفع ما يلزم الدين التونسي العام وهـ هذا الترتيب

(١٣٦)

يضمن في حقوق أصحاب الدين التونسي (نامنا) ان غرامة الحرب ينصب عليها  
القبائل العصاة بالحدود والشطوط وفعل دولة الجمهورية مع حضرة الباي فيما بعد  
شروطا على كبتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا)  
للسدافة على منع ادخال السلاح والالات الحربية الى المملكة الجزائرية الفرنسية  
فدولة باي تونس تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومصرى  
قابس وسائر المرسى الجنوبية في المملكة (عاشرا) ان هاتاه المعاهدة توضع لدى  
رضاء دولة الجمهورية الفرنسية وترجع في اقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية  
حرر في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر الشريف الامضا محمد الصادق باي والجنرال  
بريار والذى يؤكده صدق التواطى من قبل ان الوالى طالب ظاهرا من نواب فرنسا وهما  
اميرالساكرو والقنصل ان يمهلا مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعى  
الى ذلك حيث ان الشروط عند وزيرك من مدة وتأتاها أنت وهو لم يبق الا الامضاء  
ويؤيده ايضا ان رئيس المجلس البلدى السيد محمد العربى زروق أحد أعضاء مجلس  
الشورى أصدر على عدم الموافقة على امضاء الشروط وطمح على الوالى بذلك عند جمعه للمجلس  
واميرالساكرو فرانسوا منتظرا لانبرامها ونهجه بان ما يخشى منه بعد امضاء سيقع لالحالة  
بعيد الامضاء فالتجسس بالبراءة الاصايبه اسلم وأشرف وعورض بانه قد علم ان الوالى  
اذالم يصحح يولى الفرانسيس عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم أكدوا ان له  
اتفاقا مع الفرانسيس فاجاب بان جميع الاهالى لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم  
يكون الوالى على شرفه وربما اضطرت الدول الى التدخل بوجه يحسن المحال فلم يلتفت  
الى كلامه وعزل اثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره ومجرا عليه مخالطة  
الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان انتهى بقدر لاثوانه كاتره وسافر عن وطنه  
وأقام بالاسبانية ويشهد صراحة للتواطى ما صرح به البارون بيانك الفرنسية  
في نشرين لود سنة ١٨٨١ بما وقع في هاتاه المسئلة وانه كانت أرسائه دولته حيث كان  
أحد أموري الوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك في كانون ثانى سنة ١٨٨١  
وان الوالى اجاب اذ ذلك فرانسى بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فردينا ندلس  
لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط اوفق له وان الشروط اذ ذلك  
كانت غير السخى قدرت الآن وم ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ وبه يعلم

صدق



(١٣٧)

صدق الكلام في اضمحار الوزير التونسي الثمالي بالادولى بالخصوص حيث دافعت عن الحق ونهضته بجاية قنصلية الدين والامانة ثم كانت فاشحة أعمال نائب فرانسا عند امضاء المعاهدة أن طالب من الوالى نفى على ابن الوالى حاله الى لا ييجع بواقع من الاسرار التي اطاع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سنة ١٨١٥ فرانساوية بحريية شاكر الانعام فرانسا بتلك المعاهدة ومعاناه الحسابات بصدق في خدمتها أزيد مما كان يبدله سابقا كذلك في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية المنشورة في الصحيفة الرسمية فقلدته فرانسا بكبريتان لها مع الشريط الكبير ورجع الى تونس ولم يلبث بضع أشهر حتى ورد الامر على الوالى من وزير فرانسا بهزل وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته فيما يسلكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوينة أعلنوا بان الوالى لما بقي على الدولة العثمانية بدخوله تحت حماية فرانسا فهم لا يطيعونه لانهم يابعدوا أمير المؤمنين سلطان الدولة العثمانية قديما وحديثا فلا يحل لهم الخروج عليه وهرب على الوالى جميع عساكره فاضطرت فرانسا لتعميم المجيوش لتطويع الاعراب وكان من جملة التدابير عزل ذلك الوزير الذى توقعوا منه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلاد التي وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير بما ضرب من المثل بوزارة العاقبة وان كان هذا أي ابن اسماعيل قد احتار بجميع خرائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي للوالى من مقائق الجواهر عقد لولو منظم سجد بهامائة حبة مع حامية زمرد مخاضها الباقوت الايض فاعطاهم اليه عند سفره لباريس بعد العزل المذكور ورأى به غيره ارضاء فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب وذهبات العساكر الفرنساوية الى قصبة المحاضرة والى منازل العساكر في المدينة وأمام قنصلاتو فرانسا وسكن رئيس العساكر الفرنساوية بدار المملكة في بطحاء القصبه وصارت الحكومة لا تنصرف في شئ الا بالامر الوزير الفرنساوى سواء كان في الداخله او في الخارجية وتفاقم الضرر بولايات غير الاهل في الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم الكرب على القبائل والبلدان بما حصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بالقبير وان وسوسة وهدموا صغافس ونحو جوانم قابس بعد دخوله وعاذوا اليها ونال الله ان بتداركنا بالطافه ويجسن العاقبة ومما ينبغي التنبيه اليه هنا ان الاحوال السياسية التي أشرفنا اليها مع الدول سبما مقاصد الماسانية لا يمكن ان تخفى على أمة عاقلة مثل

(١٣٨)

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تبوء تونس مع كون الفائدة التي تحصل لهم منها لا توازي ما ذكر سببها اذا كانت المعاهدة مع تونس التي ذكرناها تجري حقيقة على ظاهرها فالجواب ان كثير من عقلاء الفرنسيين قد قدوا على دوائهم ولا زالوا في الاعتراض عليهم لكن بعد الوقوع في الامر المتسبب عن تهورهم بيدهم مقابله السياسة حتى اتهمهم مضادوهم من نفس الفرنسيين بان لهم في ذلك أرباح ذاتية من التجارة في الرقاع الدولية وموهوا على العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانسا فبعد ذلك صعب على الدولة اهمال سعيهم مع ما خسروته من الاموال المتجاوزة مائة مليون ومن الرجال الذين ما قوا بالحرب مع الاعراب وبالامراض المتجاوزين خمسة وثلاثين الف افراأت فرانسا التحفظ على ما وقع مع السعي في حسن السلوك الذي يخفف أو يرفع عنها الغوائل المنتظرة ثم واعد ذلك أمرهم جدد الفرنسيين وهو طوطمها في احداث مملكة عظيمة في أفريقيا مثل ماللانيسكيز في الهند فتريد ان تمد من الجزائر الى ماجاورها شيئا فشيئا الى ان تصل الى دواخل أفريقيا والسودان وتصل بين شاطئ أفريقيا الغربي في سانيغال والشرقي في الجزائر وتونس حتى رسمت جمعية فرانساوية رسمها لحفظ الحديد في ذلك ولو يتم هذا يكون افرانسا شأن عظيم غير ان القياس على الهند الانكليزية هو قياس مع الفارق لادن جهة سياسة الفرنسيين في مستعمراتهم من حيث قلبها الى عوائد الفرنسيين واناظرتهم الادارة في السكيات والجزائريات بباريس ولان من حيث أخلاق الامم المستوطنين بافريقية والمستوطنين بالهندوان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر ما حرناه في أحوال الجزائر وفي أحوال الهند وسياسة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة الحال وبما ذكرناه هنا يدفع الاعتراض على ما ذكرناه في سياسة تونس الخارجية من كون فرانسا لا تريد الاستيلاء عليها مع كون أعمالها ناقضت ذلك وشرح الدفع يؤول الى ان الحابل لدولة فرانسا على مخالفة ما سبق من مقاصدها في تونس شيئا من أحدهما سياسي ظاهري والآخر خصوصي باطنى فالباطنى هو المشار اليه بما وقع من التهمة في نفع الافراد الذي يأتي له مزيد شرح في مجتبع الاحكام والظاهر هو ان الدول قد تغيرت أفكارهم بالنسبة لحفاظة الدولة العنمانية منذ عقد معاهدة برلين فدللت أعمالهم على ان من ناسبه شئ منها وكان له قدرة على حوزة بادراليه وغض عنه النظرية يتهم اذا كان المحوزا أكثر مناسبة بالخائن وقد علمت مقاصد فرانسا في تونس ورأت ان ابطالها من المقاصد والمناسبات ما يبرأها من رأت سيرة ابن السباعي لوانه غير أمين

(١٣٩)

أمين فلا يبعد ان يفعل مع ايطاليا أو غيرها من الدول ما فعه - ل معها الخوف أو طمع مع  
تيسر اجراء الامور بواسطة قانتها تفرصة خوفاء - الى درجة نفوذها فبادرت قبل  
ان تبادروا من المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال المحاضرة ولله عاقبة الامور

## الفصل الخامس

في عوائد اهل الى فرنسا ووصف قائمهم

(اعلم) ان الاله الى اصلهم - م القديم مجهول غير انهم لما هجرت القبائل الشمالية  
الشرقية من آسياء الى اورو با نساطت منهم قبيلة الا فرنج على فرنسا بعد ان اناخت في  
البحرين ولا زالت تنقوى الى ان ملكت جميع فرنسا واتحدت القبائل الانومعها  
بالفسل والاسم كما تقدمت الاشارة اليه في بحث التاريخ وكان لهم - اذ ذلك شهرة  
بالشجاعة والتقدم بالحربية حتى كانوا اول من كثرت خلعهم من الاروبا وبين بالعرب  
واهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الا فرنج يطاق على جميع اهل اورو با فاع - د جميع  
المشرقيين والعرب وذلك بابل الالسين جميعا لان اصل الال اسم افرنج فقلبت الالكاف  
سديا عند نفس الامة ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاش - تار  
كاف فيما كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والتجارة ولا زالوا على ذلك الى الآن  
لكنهم يثرون الإقامة في وطنهم عن الإقامة الدائمة بغيره ولهذا تراه - م اقل اهل اورو با  
اسميطا نافي سائر الممالك اذ امر يكا التي هي ذات ثروة وأمن وقبيلة السكان بالذمة  
لاتساع الارض بها جراح اسموبان الانكبار والامان والطلبان وغيرهم خلق كثير  
يتجاوز مئات الالوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرانساويون بل ان ذلك حاصل ولو  
في مائة مائة منهم في الاقاليم اذ الجزائر الاكن تحت ساطتهم نيفا وخمسين سنة ومع ذلك  
لا يوجد منهم فيها الا نحو مائتي ألف أو ينة قصون وانما بلغوا ذلك العدد بعد اس - تبلاء  
المنايا على اللجاس والورين فرغبت دولة فرنسا الى ذينك الاقليمين للاتحاد بها  
بان تعطيه جميع حاجتهم مع الاراضى الخصبة الموسمية في الجزائر وحيث كان في ذينك  
الاقليمين كثير من لا يريد الانفصال عن فرنسا الى المنايا هاجر والى الجزائر ومكتهم - م  
الدولة بارزاق العرب الذين استأصات أموالهم بدعوى الخروج عنهم والعصيان عليهم  
ومع هذا الترغيب فانما كان عددهم ما اشير اليه لولوع القوم بوطنهم - م في السكنى وان  
كانوا متشربين في سائر الافطار للتجارة والسياحة كما انهم لهم ولوع زائد بالتجارة بدنة

(١٤٠)

باريس التي يحق لها الفخرو يسر كل فرانسواوى مدحها وان لم يكن من أهلها وهـ ذاك  
الطبع وهو حب التعاخر وان كان طبيعيا في البشر لكن بعض الامم فيه ازيد من بعض كما  
هو في الافراد فالفرانسواويون ذروا غفرا ونشاطا الى الاعمال وسرعـة الى تبديل الاراء  
والافعال حتى اورت ذلك فيهم كثرة الانقسامات في الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة  
الديمارية مدد احزابهم في السياسة فاذا هي أربعة عشر حزبا احدها طرافها حزب  
الاشتراكيين اى الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات السائمة شـة تركين في  
جميع ما يديهم ولولا النساء ولا يستأمر احد عن احد بشئ والطرف الثاني الاستعداد التام  
لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه في الاثاث والمتاع وما بين ذلك درجات اقواها الا ان  
حزب الجمهورية المضـبوط على فهو ما تقدم في السياسة الداخلية وولاية حزب الملكية  
القانونية وان كن في ذاته له عدة اقسام من اتباع عائلته بونابارتي واتباع عائلته أورليان  
أو البريون الى غير ذلك ولا تعتبر ايم المطالع بكثرة أولئك الاحزاب في ضعفهم مع من ناوهم  
من الخارج فانهم اذ ارامهم احنى يكونون عليه يدا واحدة فاذا انفصلوا منه طادوا الى  
الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ونفوذ اذ طباعهم مهذبة ومعرفهم متزايدة  
وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة للغاية حتى اقر لهم بذلك اصدا دهم وهـ لم يمتوا الجانب  
بشوشون في الملاقاة غـيرانهم يتجبر قسم منهم على من تسلطه الفرانسواويون عليه  
وفيهـم كثر من المؤتمنين الناصحين العقلاء مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا موظفين  
وأحسنوا السيرة والانصاف والتصح الى وانما من الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجليل  
فمن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فيليب الذي قدم الى تونس بصـفة محاسب عام مالى  
عندما انشئ الكرومـيون المالى فابدى من نصح الوطن والوقوف على حقوقه  
ودفع الغوائل عنه مالم يصـ له كثير من اعيان ابناء الوطن مع العفة والصـدق وسعة  
المعرفة وعلى قدمه من اثنى بعدة بتلك الوظيفة وهو لبلان ومثله كلبي الذين شهد لهم  
كل ابناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان يقال ان دولة فرانسوا انما تتحـرر  
لوظيفة الاحتساب المالى من هو جـديربها ولا مطعن فيه اذ كل من الثلاثة هم من  
موظفي دولة فرانسوا في الاحتساب العام المالى وعلى نحوهم هؤلاء صاحب رتبة  
الوزارة فالانصاف الذي قدم الى تونس بوظيفة نائب سـيامى سنة ١٢٩٠ فابدى من  
أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالى على حقوقهم ما لمجت به السن الثناء عليه  
من جميع ابناء الوطن ولما بردهم لـ هؤلاء لـلوطنة التحساميهم عن المقاصد السيئة

واتباعهم

(١٤١)

واقبهم للأصاف فدولتهم تنقص بهم على وظائف داخلية ومن مشاهير رجال  
سياستهم في عصرنا ممن اجتمعت به وله صيت بين الامة الفروانية كنيبتارقيس  
محاسن النواب وعن أدركناه أيضا زيادة على فابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة  
والمعارف تيرس وقلمنا تحدث أفرادهم له وان كانت المعارف والتقدم حاصله الى العموم  
ومع ذلك فلا يزال في فرنسا خلق كثير على السذاجة والجهل ودونك حكاية طريفة  
✱ قديس عالم اما يقرب منها في سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل  
باليد مشغلا لجهة باريس وكان له ابن مشغول جهة برودفلم يوفرا لابن من كسبه ما يشترى  
به حذاء فأرسل الى أبيه يشتري له القل ويطلب منه شراء حذاء له فاشتراه له وحمله في  
الطريق وهو مغمى كوفي كيفية اتصاله اليه فبينما هو ماش اذ مر محاذ بالسلك الكهربي في  
فقال هـذا السر طريق اني اجمعه له الحذاء وهو يوصله لابني فجاء الى عود السلك وعاق  
فيه الحذاء وأسرى الى العود بقوله أوصـل هذا الابن فلان في المكان الفـلاني وذهب  
مسرورا باطلاعه على مسلك سهل بلا مصروف ثم مر من غدم متقدما فاعل السلك بالحذاء  
فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقا فافسأه اللبس ففرح وقال ان ابني لعافل حيث أرسل  
لي الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر لهالة البلاءة التي لو صدرت من أحد  
المشرقيين لاشنعوا بجميع الجنبس بانه وحشي بعيد عن المعارف وتهديب الاخلاق واعلم  
ان مثل ذلك الرجل كثير سيماني القرى الصغيرة والنجبال بل وفي أهل المدن كثير من  
يعتقد بالحرفات الباطلة ويعتقد التأمير لا بحجج وجاهدات ويتشائم بالافات فقد رأيت  
✱ في كثير من بلادهم وبلدان اطليلان وكذلك الانكليز طافات في حيطان فيها منارات  
توقد ليل بالازيت أو بالشمع العسل على تقربا الى بعض أوليائهم أو الجبن معتقدين حلول  
المتقرب اليه بتلك الطاقة ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم  
ان شمع الشمع أو الغاز من البـدع التي لا يتقرب بها وكذلك يطلمون البخت وقضاء  
الحاجات من جسادات أو اما كن اعتقاد حلول ارواح فيم اوقد ذكر من هـذا النوع في  
كشف الخبايا عن فنون أوروبا ما يتعجب منه المسماع مما تری الاروبا وبين ومن تشكك  
بشكهم وتباهى بتقليد هـم يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها  
مضربة وينزهون أوروبا عن مملها مع انها حافية لشبهها ولا شدة منها بل رجسا لذلك  
الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد مثل ذلك بل انها  
هي المذهبة والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحائنة على العلم وفقح البصائر وقد

(١٤٢)

أفردنا لهذا تأليفاً خاصاً واعلم أننا لا نقصد من ذكر ما مر من نسبة الجهل بالمعارف الدينية أو إلى عموم الغرائس أو بين أو ترجيح كفتنا على كفتهم كلاب الحق أن الناس على ثلاثة طمعات فاهل الرفعة وأشرف القوم من ذوى البيوت العالية بالتوارث في الوظائف أو كثرة المال والترف تجدد أغابهم مقتصرين على معرفة مبادئ العلوم ومحبين إلى انفاذ الأغراض وزيادة علو الصيت والرعاع من أهالي الجبال والقرى والبدو أى أغابهم أيضاً جهلاء ولا ذكركم إلا فيما ينفع كل فرد في خوصة نفسه والطبقة الوسطى هي مجال التمدن والمعارف والصنائع والتقدم وهم أيضاً أصحاب الترجيح السبيل في فرائس وهاته الطبقة هي المقتدمة بالنسبة لمشايخهم فافهم فيهم أريج ميزاننا وأهالها كثيرون بالنسبة لأهلها عندنا وبالنسبة إلى نفس أهاليهم أيضاً فترى عدد أهل المعارف يزداد ويترقى يوماً وأهل هاته الطبقة عندنا مشايخنا كآون في الصفات لأهل الطبقتين الأخريتين كما أن أهل الطبقة العليا عندنا أوسع تبصراً ومعرفة منهم عندنا (وأما بقية) عوائد الأهالي فهي على نحو من عوائد الطالبانيين في السلام والحياء والسماع والرماية والفروسية وغير ذلك وقد كانت فيهم تربية حسنة من التواضع بينهم وبين القول لا يمكن من دراستهم الحكومة الجمهورية تظاهروا فيهم التهور شيئاً فشيئاً حتى أنى أدركت ذلك ما بين سنة ١٢٩٢ وسنة ١٣٩٥ فقد درأيت من اخلاق الطبقة السفلى من الناس كالكرازية والمجاليين والسائلين ما لم نعرفه منهم في السنة السابقة وفات السائلين مع انهم يمنعون السؤال للفقراء لوجود أماكن المرجحة للعاجزين ومن يباح له السؤال تجب على له غلامه تؤذن بباحته ولا يكون إلا ناقص عضو أو حاسية وغيرهم يتحيلون على السؤال بعرف آل تطرب أو أهاده باقة زهر أو نحو ذلك من غير الخاف في السؤال حتى إذا رأت الضابطية واحد المالحمة منه أو سجنته وفي السنة الثمانية رأيت تغاضى الضابطية عن ذلك وعن سوء معاملة الكرازية للركاب حتى يكون بعضهم سكراناً ويتهكم الكلام الفاحش ولا يتعرض له أحد كما رأيت في هاته السنة عدة مواطن للتشاك والتلاكم وبعضها وقع فيه الضرب بالمحديد ومات فيه المضروب وفي بعض الاوقات يركض الكرازي ركضاً شديداً يمكن أن ينشأ منه الضرب بالمسار وكل هاته الاشياء ممنوعة ولم نر منه شيئاً في المرة الاولى لكن الدعوى بزيادة الحرية التي تتبع الجمهورية أورت ذلك الإهمال المفوض إلى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا وأحد احزاب الجمهورية بطالب المصير لمساعدته الحيوانات الجعم من الاشتراك وقد ذكر لي انه كان وقع مثل ذلك

الحزب

(١٤٣)

الحزب في إحدى مدن أوروبا العظيمة وتنازل على الحكومة واقفهم منازل الناس وكان في تلك البلاد أحد الأغنياء المشهورين بالثروة حاذقاً فطناً فأخذ عدة أكياس بالسكة الفضة وجاس عنده باب داره وكلما مر عليه إنسان أعطاه فرنسكا فجاءه جمع من الثائرين فقال لهم أفي منكم وقد حسبتم مالي فاذا هو هكذا كذا مليوناً وأهل المملكة مسارون إلى هذا العدد فيصيح لكل واحد فرنسكا فكل من أتى أعطيت له حصته ولا يسوغ أن أعطي لأحد من باب غيره فلم يسعهم إلا الرضا وتخلص من ثوب أمواله وتشتيتها ومن قتله ببعض آلاف فرنك دفعها لأولئك الثائرين إلى أن قهرتهم الحكومة واضعهم محل أمرهم ومن تفاخر الأهلالي اتقان الأغنياء للكراريس وبعضهم يجركروستة أربعة أوشمانية من الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتجد بعض هاته الكراريس تركب اثني عشر ركاباً فاربعة داخلها مثل المعتاد وأربعة على سطحها على كراسي لازمة كل اثنين على كرسي مثل الأسفل غير أن ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسي السائق واثنان على كرسي الخسمة من وراء وفي قعر الكروسة محمل لرفع ما خف من الماء كول واللوازم فيركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته وأحبابه وما يلزمهم لتغزه يوم ويذهبون لأحد المنزهات خارج البلد ومن عادتهم أيضاً أنهم يتأفقون في طرافة اللبس والاثاث والبناء وتنظيمه وترتيبه وينشعون المنزهات وأما كن الارتياح ليشتري في قائمتها الحبيب والعظيم وإن كان لكل جهة كالفهاوى فما كان منها الأعظم فزاد في سعريما يعطيه واثقن آلاته حتى لا يراحم الفقير الغني لكثرة المصروف من غير تحبير حكى بحيث يصح أن يقال إن الملاذ والفزعة عند الفرائس ما بين ينال منها الحبيب برحطه وهي مشهورة بعرفها الوافد باد في مملكة مع كثرتها وتنهيتها إلى قبول كل أحد

## م طلب

﴿في التجارة﴾

(اعلم) ان تجارة فرنسا لها الرتبة الاولى في سائر أقسام المسكونة ولهم براءة تامة في إدارة الاشغال ولكن الاصول في ذلك هي ما قررناه في ابطال الباغيراتها في فرنسا أقوى وأروج ونسب عنها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركات تجارتهم لا يخلو عنها اقليم من العالم وبوانر بريدهم تتخرق سائر البحور ودونك أغودجاء على ما لفرنسا من الغنى فان دولتها اعدات المسكونة التي لا تحصى فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

(١٤٤)

فكانت كما ترى

فرنسات

صرف قطع فضة بمجموعة فرنسات	٢١٠٩٤٧١٩٠
صرف قطع ذهب الواحد عشرة فرنسات	٩٦٥٠٠١٢٩٠
صرف قطع ذهب الواحد بعشرين فرنسات	٦٩٦٤٠٠٨٠٣٦٠
صرف قطع ذهب الواحد بأربعين فرنسات	٢٠٤٢٣٣٦٠
صرف قطع ذهب بمجموعة من فرنسات	٢٠٤٦٥٦٨٧٠٠
صرف قطع ذهب بمائة فرنك	٢٠٤٤٣٤٦٧٤٠٠
صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة	٥٣٦٧٤٧٧١٩٠
فرنسات وقطع نحاس لانتظام الكسور	

١٣٨٠٣٨٩٣٤٩٠

فذلك من عين السكة خاصة عدداً لاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضاً عن السكة من بنك الدولة وهاته الاوراق لها اعتباراً أحسن من السكة لخفة مؤتمتها فتريد في الصرف نصفاً في الالف وتزوج في سائر الاقطار مرغوباً فيها لدى الصرافين وفي خصوص فرنسا وايطاليا والباوس فيسرا والبلجيكا يرغب فيها حتى غير الصرافين أما غير هاته من الممالك فانها تعتبر عند الصرافين فقط ويؤيد اعتبارها ما ذكرناه في غرامة حرب عام المانيا وكذلك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م طلبت دولة فرنسا استعراض ألف مائون فرنكا فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما اكتفت به عما طلب به باخذها خمسة عشر فقط من كل مائة أحضرت لها وأساس ذلك الغنى هو الامن الذي سوغ لالهالي عقد الشركات باظهار أموالهم وترويضها والشركات هي الاساس الثافي مع حسن الادارة فاورث ذلك ما أشرنا اليه من أغودج الغنى وتبته ثروة الدولة التي هي بيت مال الاهالي بهـ وان كانت من مذممة ليست بطويلة في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية قد كرت ان من مذمومة بهـ عين سنة كان لرجل منهم من اوراق دين دولتهـ م ما قدره عشرون مليونا فرنكا واحتاج ان يفطرو ولو يبيضا وخبزاً فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين مليونا التي معهـ مع ان دين الدولة الا ان الذي يدفع فائدة خمسة في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقداً فانظر بحسب الفرق بين المالين في المدة القريبة وأحوال البريدي في أول درجة من الانتظام في هاته المملكة

برا



(١٤٥)

براو بحرا و مواصله الطرق الحديدية والصناعية مع عجالات حمل الاثقال المختلفة الاشكال مع المتانة والحسن زادت التجارة و اجابحت ان السلع وغيرها الاتحـمل الاعلى العجلات وفي المدن العظيمة لا تجبرها الا الخيل السليمة او البغال بقله وسفن البريد تصل الى أقصى ممالك المشرق والمغرب و مما يحسن ايراده عنوانا عمادهم من الغنى ان الحكومة المصرية مدة ولاية خديويها اسمعيل باشا باعت سهامها من خراج السويس لدولة انكلتيرة بمائة مليون فرنك كفا كثيرا في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفا من استيلاء انكلتيرة على الخليج المذكور و اهتزت لذلك فرنسا از يد ماسواها فذكرت احدى صحفهم يوما ان رويشيلد احد الصرافين الكبار المتهور بالغنى قد اعطى لصهره اذ ذلك مائة مليون فرنك وخمسة وعشرين مليوناً مهوراً بنته ثم ذكرت على وجه التعمس والدعاية بان المائع لو خطبها انه البنت لولد له وزوجها به لانه لمائة مليون لاجته وزاد بها خمسة وعشرين مليوناً مع بقاء السهام على ملكه وراحة العالم من التشويش والاضطراب

## مطلب

﴿ في الاحكام ﴾

(الاحكام) في فرنسا اصولها هي المذكورة في ايطاليا لان القانون الاصلى في ذلك هو قانون نابليون الاول امبراطور فرنسا ليس وانما بينهم بعض خلافات مبنية على اختلاف العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية ولا سلطة لها على المارة ودونك \* مثلاً لذلك وهو ان رستمان الذي كان قنصل فرنسا في روسيا في الانقلابات التي حدثت في تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرنسا كثير من رجالهم في المجمع العامة وكذلك تكلمت ضدهم مجلة صحف خبرية فرنساوية وغيرها واشد الصحف مضادة الى رستمان واعماله صحيفة لانتراسيجان التي يطبع منها يومياً ١٥٠٠٠٣١ نسخة وصاحبها هو الرجل الشهير رشفورالفرنساوى وقدح في عرض رستمان في المسال والسياسة وصار لـكلالة مة رنة عظيمة حيث جعل استيلاء فرنسا على تونس كان لفوائد خصوصية مالية ان سعى في ذلك ولمن اغان وكان رستمان اشد تمهية فاراد رستمان تبرئة نفسه باقامة الدعوى على صاحب الصحيفة لدى مجلس المحكم وترافعوا وادلى كل منهم بما توصل اليه من التجميع وكانت عذرة رجال من الدولة الفرنسية في الانتهصار الى رستمان حتى الوزراء السابقون

(١٤٦)

في الخسارة شهودا له بأنه منفذ لأوامرهم ولم يتحقق عنه ذمهم ما يدعى به عليه ومثلهم  
المنتصبون في الوزارة وحاولوا استطاعهم في نصرته لكن الحق بدا وغلب وأبطل مجلس  
الحكم لاهواء أحد وحكم على رستان وألزمه بأداء مصاريق التكاليف وبذلك صحت  
مقالات الخصيفة المشار اليها وخرج صاحبها صادقا من مصورا وقد ترجت جميع جاسات  
مجلس الحكم المشار اليه وأفردت بالطبع حتى باللسان العربي وبالاطلاع على ذلك  
الكتاب يتأيد جميع ما ذكرناه في الاحوال التونسية وأسباب انقلابها ويتأيد ما ذكرناه  
في السياسة الخارجية لفرنسا وفي السياسة الخارجية لتونس وما ذكرناه هنا من انفراد  
ادارة الاحكام عن ادارة السياسة سيما بعد ارجاع رستان المذكور لوطيفته في تونس  
بعد تلك المحاكمات مما يشهد ما قلناه في مباحث السياسة من أن سياستهم الخارجية ليست  
هي كاصنافهم فيما بينهم في داخلهم وهو مما يحقق أن الرجال المنتخبين للاحكام انما  
يكونون من أعف الموجودين وأنصفهم لا تمل بهم الاهواء عن الاستقامة غير ان هذا هو  
الغالب لا سيما في المدن العظيمة وفي المجالس الانتهاية (وأما غيرهم فالارتشاء بينهم  
فاحش يكاد أن يكون مثل ما يصفونهم به حكم المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم  
أسر بما لهم من اباحة خلطة النساء فامعطي للرشا يجعل الوسائل للوصول الى احدى  
النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشها قبله بقصد به فوذهما بسبب قرابة أو وداد  
أو غير ذلك لدى الحاكم وربما أوصات اليه حصص من الرشا وعلى تقدير الاكتفاء بما  
أخذته هي فهو أيضا رشا للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انتفعت منها من يريد نفعها  
وبهاية الوسيلة تكون خصلة الرشا عندهم مستورة نوعا ما لان ظهورها يوجب العقاب  
الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشفاعة عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء أيضا كثير  
متعففين وقد حضرت يوما في مجلس الحكم لوزبة هيممة الاحكام والحكم في باريس فاذا  
هو بيت كبير مستطيل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للموظفين وباب للخصوم وفي  
صدره مسطبة عالية عليها ثلاث كراسي وأمامها مائدة مستطيلة عليها الكل كرسى دواة  
وأقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسى طويل يجلس عليه أزيد من عشرين شخصا  
وعن شمالها باب وأمامها في نحو نصف البيت درابزين حائل بين المتفرجين والخصوم  
ولانفرجين كراسي يجلسون عليها ويقرب الكراسي التي في الصدر كراسي سفلية  
أحد الرئيس الكتاب والناسي لو قيل ان في العمومي الذي رتبته رتبة محاسب عام  
على الحقوق وله اعتبار كاهنار رئيس المجلس وبعد هيممة من دخول المتفرجين خرج من

الباب

(١٤٧)

الباب الذى على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لباس جبة طويلة  
بأكمام واسعة جراء وعلى أكتافهم منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعر أبيض عارية  
له ذنب معقود على قذلم فوقهم المحاضرون وأمام الرئيس بالسلام لهم ثم جلس  
الرئيس على الكرسي الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل  
الحقوق والكتاب على مرتبة ولكل منهم أعضاى خاص يشبه زى الرئيس والاعضاء  
ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الذى تم دخل  
من باب خاص جمع من الناس باللباس المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسي الطويل وهم  
المجورى فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد فأحضر واقفا خلف أمامهم ثم أدى  
شهادته وبعد سكوته تسار الرئيس والاعضاء ثم خاطبه الرئيس لئلا ساعن عدم حضوره  
فى اليوم المعين له وعلمه بالى يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بالوحدة فأعلمه  
يلزم الحىم فيه فوقف وكيله وقال ان الشاهد مسكنه فى المحل الفلانى وهو غريب وفقير  
خارج عن اكراء من يستعين به فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم المحكم عن  
مخالفة القانون ثم سار العضو الذى عن يمينه ثم الذى عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف  
وانه ان عاد لمثلها أجرى عليه الحىم وانصرف ثم قام الرئيس والاعضاء ودخلوا من ذلك  
الباب الخاص ولحق بهم وكيل المحق العام وبعد ثحور ربع ساعة خرجوا وأحضر  
الحكموم عليه مع أحد معاون الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجاني ثم  
التفت الى الجماعة المجالسين عن يمينه وهم المجورى وسألهم عما ظهر لهم فوافقوه وانصرفوا  
جميعا وخرج المتفرجون اذ لم يكن ذلك اليوم الا تلك النازلة وقد أفهني وكيل المحق  
العام أن الحكم كان مهيا من قبل لتسام النصاب بدون ذلك الشاهد غير أنه لما حضر  
تم شهادته والحكموم عليه جاني بتزوير السكة وكان جميع من حضر سكوته بغاية التوقير  
للمجلس وذلك الشعر الذى يضعونه عارية على رؤسهم الاصل فيه ان الملك لويس الرابع  
عنه كان ردى الشعر فاختذله عارية وكان اذ ذاك شيخا فاقتدت به أمائل البلاد وسبرت  
منهم الى غيرهم من الامم وان قل استعملها الا سن الا فى المواقب والمقضاة ومن  
أهم ما يذكروا فى احوال الادارة الحكيمه تذيبه الضابطية وهم المحارسون للبلدان وشدة  
تنقيزهم ومجتههم ومراقبتهم حتى يتم كمنوا بهولة على الجناة ومعها تيك المراقبة  
والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البليغ من الجناة لكي يتوصلوا الى غاياتهم وكثيرا  
ما يبلغون اليها لكنهم ايضا كثير امارات تكشف أمرهم الضابطية وتتمدكن منهم فقد ذكر ان

(١٤٨)

أحد الصبارفة الكبار في باريس كان جالسا يوم ما في محله واذا برئيس ضابطية باريس قد جاءه فأكرمه قدمه ورحب به فاخبره الرئيس انه محتاج لمبلغ وافر من المال لبعض المصالح غير انه لا يريد افشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليقرضه المدة قصيرة اما الضرورة المصلحة عاجلا مع رجوعها المتعاقبات وظيفته فاقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الاجل ولم يأت المال اصاحبه فبعد ثلث يوم ذهب الصيرفي بنفسه الى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره الرئيس فيما يقول لانه من العادات المتأكدة عندهم ان الزائر لا يؤخر الكلام في مقصد زيارته ولا يخوض في الفضول سيما الاححاب الوظائف لان الزمان مقسم كما انه لا يدخل عليهم اثنان معا ليس بينهم علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس فيما هو مطلوب فيه ولم يذكر له شيئا فلما مضت بعض دقائق سأله الرئيس ما هي حاجتك فنحب الصيرفي وقال انها ذلك المال الذي أتيت اليه بنفسك ولذا لم أرسل لك غيري فاستغرب الرئيس في سره وتلطف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لانه علم ان الصيرفي من كبار الاغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراءو يعلم من نفسه انه لم يذهب اليه فعلم أنه لا بد لار من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه الى ان قاله وكتبت خط يدل فذكر مليا وطالب منه التمهيل بعض ايام ان من غير كشف للسر الى ان يقع الخلل اصنفرج الصيرفي ايضا فذكر ما رأى من الرئيس وفي نفس الجواب لان ذلك مخالف لعادة الاقراضات ثم ان الرئيس اعلم فذكره بان النازلة لا بد انها وقعت فيها احتيال على الرجل من انسان مشابه للرئيس ثم دسا ضابط مركز الضابطية الذي يقرب دار الصيرفي وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت الى ناحيةكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له الوقت وهيئة الركوب بانها على الوجه الرسمي من الابهة والملابس والجملة فازداد تحققا لارتكاب الجريمة ثم سأله والي اين ذهبت فاجابه بانه ذهب لدار الصيرفي الفلاني وبقي عنده حصصه كذا ثم خرج من عنده متوجها الى الجهة الفلانية فدعا الرئيس ضابط الجهة التي فيها الضابط الاول وأخبره بمثل ذلك وانه ذهب الى جهة كذا فدسا ضابطها أيضا وهكذا تتبع الحال الى ان أخبره الاخير بانك دعات الدار الفلاني ثم رجعت البجلة خاوية وبقيت أنت هناك ولم تخرج باللباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لان كل محل سكن فيه انسان لا بد وان يقيده اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل المسافرين وأحضرت الناس الذي سكنوا في الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه

(١٤٩)

يشبه الرئيس في الذات والوجه فدعا منه فردا وقال له أين المال الذي أخذته باسمي  
وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك عن غير ارادتك كما أظهرتك أنت فلم يسعه الا  
الافراجه ورجع الرئيس المال الى صاحبه مع العلم انه بانه لم يسعه مقرر من منه وانه احتيل  
عليه في ذلك ولهم من امثال هاته الاحتمالات في السرقات أمور كثيرة وساعدتهم على ذلك  
تيسر احضار الوسائل مما مر في كون السارق تيسر له لبس مثل لبس رئيس الضابطية  
ووجد ايضا عجلة ذات اربعة وعقدمة مثل عجلة الرئيس الى غير ذلك لان تلك الامور موجودة  
بسهولة كراه وشراء ولا منع من استعمالها الا ما كان منها من مشاركات الحكومة  
الهامة او غيرها فانها اذا كشف على المزور يعاقب ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو  
ما ذكرناه فانك لا تجد تجدد جلابيل وكثير من النساء يخرج بدون حمل سلاح صغير خفي  
كالحديد في وسط عصا الاتكاء كالطباخية ذات الطلقات المتعددة موضوعة في الجيب  
الى غير ذلك وهذا جارح في نفس باريس وقد كنت مارا ليلية في عجلة مع احد الوجوه  
ومع زوجه ذاهبين لندوة عند فردينا فلدي لبس فاتح خالص السوييس فسألتني المرأة عن  
نوع السلاح الذي هي فاجبتها تهجبا بانى لبس مهي سلاح وما الحاجة اليه وانافى وسط  
باريس فقالت هي وزوجها لا يبدن حمل شيء فان الوقائع في باريس تحير الافكار  
ولذلك لا يخلو اسبوع بل وأقل منه بدون وجود مقبولين سيما في نهر السين فانهم يجدون  
في الشباك الموضوع في أسفل النهر خارج باريس كثير من جنث المقتولين اما يقتل  
غيرهم أو يقتل أنفسهم وذلك لان كثير من الالهالي من يقتل نفسه لتنهض من أمر  
دينوى غير ان هذا الخوف في باريس لا يقع في الطرق الشهيرة كالشانزلى والبلغار  
لكثرة المارة بها ومن عوائد حكمهم اغصاء النظر عن الزنى بحيث ان المومسات ينهجن  
جبهة بلا معارض ولهن ديار تجمع اعدادا وافرة وديار لبقاء الزنى الذين تلقى منهم امهاتهم  
وأكثر التجاهر به في باريس وورثك شاهد على تعاضده فقد حرر عدد النفوس سنة  
١٢٩٧ ١٨٨٠ م فكان المتزايد في سائر فرنسا ١١٧ ٩٢٠ مولوداتهم  
ابناء وبنات ٦٨٢٢٠ مولودا

## م طلب

﴿ في المعارف ﴾

(اعلم) أن المعارف الدنيوية في فرنسا قد تنهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

(١٥٠)

وما تقدم في أحوال باريس وما فيها من المكتبات والكتب وجعبيات الفنون والحث عليها كاف في بيان ارتقاء تلك الفنون في فرنسا حتى أقر لها بذلك سائر الأمم في أوروبا وصاروا عابداً عليها في كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومقتدمااته فإن المعالجة بالمعادن بمجرد اللبس التي ذكرنا طرفاً منها في الباب الأول عند ذكر معالجة مرضى كان اطلع عليها أحد الأطباء الكيمياء وبين من النساء ولاكنه لم يقبل منه حتى قدم إلى باريس واطلع عليها الحكيم شاركو وبعد تجريبته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر أمرها وتعاظمها الأطباء في سائر الاقطار ومن أسباب الترقى في المعارف عموماً صناعة الطب وقد تقدم فيها الفرنسيون إلى الذروة القصوى وعندهم من الصحف الخبيرة السياسية فقط مما يطبع في مدينة باريس وحدها يومياً ستة وخمسون صحيفة يخرج من مجموعها يومياً ١١٠ ١٩٤٣ نسخة وهي منقسمة إلى أبواب السياسة فن صحيفة واحدة تسمى البتي جرنال يطبع يومياً ٨٢٠ ٨٣٠ نسخة وما عداها أقل كل على قدر رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون ان تكون عنده صحيفة يومية يقرأها وقد أطنب الاطناب الحسن في بيان تقسيم العلوم وترتيب أقرائها وافادتها العلامة رفاعة بك رحمه الله ونعمه فن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور إلى أوروبا والحاصل ان الفرنسيين يحصلون على الدرجة العليا في المعارف الدنياوية ولهم اعتناء بسائر الفنون فيترجمون إلى لغتهم كل كتاب في فن غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات الأجنبية واللغات القديمة التي لم يبق من يعرفها أو توصلوا إلى معرفة خطوطها بوسائل جيدة لكن مما ينبغي في علمه أن مدرسيهم في الفنون التي يقصرون فيها يستمعون قصورهم بما لهم براعة فيه فترى مدرس العربية مثلاً يخرج بادي مناسبة لفظة إلى علم الجغرافية ثم إلى علم الاقتصاد السياسي ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيمياء ثم وثم إلى أن ينقضي الزمان من غير ان يفيد حقيقة المقصود من البلاغة يدت شعراً أو مثل مما هو موضوع البحث وتخرج تلامذته مجيئين من براعة شيعتهم وأنه علامة العربية مع أنه لا يعرف عزية تقدم المسند أو المسند إليه بل معادات الضمائر لا يحسنها فضلاء عن الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغاظم من العموم بظن تحصيلهم حقيقة للغة العربية وقل جداً من يحسنها مع أن فيهم المتفانين بعلم الترجمة بل والمدعين بالتأليف فيها ثم ان التعليل لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى وانتهائية وعليا ف الطبقة (الاولى) لا تكاد تجد قربة خالية عنها والثانية والثالثة انما توجد في المدن

الكبيرة

(١٥١)

الكبيرة كرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد إلا في باريس واليهما تأوى التلامذة بعد استكمال معارفهم على أن المثرين يؤثرون التعليم من البداية في باريس بل ولا يختص هذا بأهل فرنسا فان الكثير من عمال المشرق وبعض غيرهم يرسلون أبناءهم للتعلم بها وفضلا من الفخر بالعلم يفخر بالتمه بها وهي جذيرة بذلك لولا طيش في اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم عن الطور والادب الداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاعة والاطلاق والغفوس مائلة الى الخبيثات نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترقى المعارف كثرة الكتب وسهولة التوصل اليها في فرنسا ٥٠٠ مكتبة تحتوى على ٥٩٨٠٠٠ كتابا من الكتب المطبوعة و ١٣٥٠٠٠ من كتب المخطوط ومكتبة الامه في باريس هي أكبر الجميع ففيها ٣٠٧٨٠٠٠ مجلدا

## م طلب

﴿في الصنائع﴾

(الصنائع) في فرنسا مضاهية لما فهم من المعارف والفلاحة فمقدمة للغاية علميا وعمليا بحيث ان لها مدارس عديدة تأوى اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علمها بالتدريس والمشاورة وكل مدرسة تحوى من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة كالطابعات جميع ما يحتاج اليه وهكذا اسائر الصنائع بحيث أن مصدروها تمامة مقيمة ظريفة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار نظرها وتحسدها ورؤفها وان كانت بعض الاقطار أمثنت صناعه وفرنسا جامعة لكل الصنائع المعروفة في العالم حتى الخزف الصيني والمنسوجات والكشيرية يقد علمها في فرنسا ويؤتى بالمصنوع مشابهة للأصل وقد برعوا في الآلات بأنواعها سيما الكهر بائية وقد خصوا لها معرضا سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م لامتحان ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م آلات غريبة كهربية بائية منها آلة يمكن بهارؤبة ما في داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من الصطيك وطرفها زجاج وتدخل في الحاق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحلق مقابل المعدة مرة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلها ثم يدخل في القناة سلك معدني لين الى ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج أسلاك الكهر باه المضيفة فبضئ السلك في المعدة من غير احراق ويرتم خيال المعدة بما فيها في المرة

(١٥٢)

العلماء يرسمون مثلها مثل المرأة التي على اللسان وينظر الطبيب بالمرآة المكسبة ما يرى  
وذلك ينظر في الرحم ويدخل الاذن والحق ورأيتهم يصعدون تجربة جوالا فقال  
بالكهر باو أروني آلة صغيرة تغلب قوة الانسان الجهيء اذا كان قابضاً يديه تقفهما  
والعكس بأسرع وقت فلا يبعد ان تطال تلك الآلة على طريق مناسب وينقل بها  
الاشياء من مكان الى آخر وان بعد ما يتدبر في حفظ الجسم من خرق الهواء في السرعة المحركة  
وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سير رتل صغير للتجربة بالكهر باو على وجه آخر كما  
ذكرنا في أحوال ايطاليا ورأيت في باريس أيضاً ساسك مصورة باشكال حيوانات  
تتحرك أعضاؤها وعيونها بالكهر باو صغيرة جداً حتى يوضع المسالك من الذهب في  
رأس المرأة والآلة الكهر باوية تخفى في الشعر ويرى الحيوان متحركاً ومنه صورة فراش  
بالوانه البديعة من أحجار الزمرد والياقوت الاحمر والايض وغير ذلك من الاجحار الكريمة  
المطابقة لالوان أجنحة الفراش وهو يخفق بأجنحته الاربع فوق رأس بالكهر باو وهو  
ضريب بديع جداً

## م طلب

### في هيئة المساكن والطرق

قد تقدم في ايطاليا الهيئة العامة في المساكن وهاتيك الهيئة بنفسها هي التي علمها  
العلم في فرنسا غير أن باريس وحدها تزيد ونقصاً احتوت عليه من كثرة الطرق  
المتبعة جداً وبكثرة التنظيف والتنوير في الليل كما أنها تختص بان بعض طرقها  
مستعوض عن تليطه أو تخصيبه بطايبه بنوع صمغ يسمى اسفالت بحيث يكون  
بعد الجفاف رخوفاً إذا مرت عليه الجملات لا تسمع لها الا همساً وتسمع قرع حوافر الخيل  
على الارض كالنصف فيق المغطوط مع مزيد الهدول للركاب حتى كأن الجملة لا تحرك فذلك  
الطرق مروحة جداً غير أنها لم تهم لانها في الصيف تفسد ومنها رائحة كريهة ولا نهاني  
الطرق الكثيرة المروية تعطب فيها الجملات المارة بسبب عدم سماع حركتها وامكان  
الغفلة من الجهل هذه (وأما) عموم البلاد والقرى فإن لكل منها محاسناً بالديار به  
التحسين والتنوير في الليل بالبخار الغازي أو زيت النفط وهو قليل الاستعمال أو  
بالكهر باو هي أيضاً لم يزل التنوير بها قليلاً ولا يمكنه لا تجدية غير منورة الطرق  
أو غير منورة ما على حسب اقتدار الاهالي فضلاً عن المدن والامصار وكل طريق يسمى

باسم



(١٠٣)

باسم مكتوب على مبدئه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان حارق الحديد يوجد منها كثير حتى صارت فرانساس مرتبطة بجميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافى الطريق اخشاب شاحصة مربوط بها اسلاك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يختارها الناس ولا حيواناتهم ولا زواجعتهم في تكثيرها الطرق الحديدية ثم ان هناك الجهات الشمالية احكم استعداد البرد من الجهات الجنوبية وان كان لها ثياب ايضا انصبت وافر منها بحيث لا تحتاج دية في الجميع بدون موقدا ما للعطب او للشمع المعدي او البخور الغازي بل وبعضهم يطبخون هذا البخار وقد مر ان في باريس اخترعوا التدفئة للديار من مركز طام في البلد ثم ان سائر الديار لا يباط منها بالرخام او غيره من الاجار الا المدرج والمجازات الخارجية (وأما) بقية البيوت والمقاصير فانها مبطنة بالخشب المتين ونحسب فيه وزخرفته تسع لمجال الدار وكل الطواقي التي هي مثل الابواب في الارتفاع والانتباه الى الارض لها ابواب من خشب منخور ولها ابواب صغيرة الاسفل خشب رثلتها العلويين ذوى طباق من الزجاج واكثر الطواقي لها مع ذلك ايضا ابواب من اضلاع الخشب المنجور مقصبة يتحرك تقصيدها وكل تلك الابواب ذودفتين يفتحان بميزة او بمسالا (وأما الحمامات) فهي عبارة عن ديار ذات مجازات طويلة بها عدة مقاصير صغيرة كل منها يستوى على حوض من معدن او حجر له منفذ من اسفل يخرج منه الماء الوسخ وله أنبوب للماء الحار والبارد وتحتوى على كوسى ومسطبة ومرآة ومسط وارضها مفروشة بزرابي والاعتناء سال انما هو في الحوض وكل الاهالي يعتنى بتنظيف مفروشات بيته على قدر سعته والاغنياء لهم ترف زائد في الاثاث والتحف وفي المدن الكبيرة يقيمون اسواقا في يوم خاص من كل اسبوع في الحارات المنطرفة وحوايته من خشب او كتان تنصب في الطرق الوسيعة وترفع في يومها يباع بها انواع الاكل من لحم وبقول وفواكه وبعض تحف وثياب يشترى منها اهل تلك الحارات كما يتهم للاسبوع

## مطلب

﴿في اللبس﴾

اللبس في فرانسوا في ايطاليا اسواه عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمي والعسكري الالبعض شاربات والوان في الملبوسات تختلف بينهم (أما اصل) الهيئة فواحدة وحيث كانت الرفاهية في الفرانسوا بين ازيد فتجد نساءهم أكثر تديلا في اللون اللباس وشكله

(١٥٤)

ورفعته على الجملة كما انهم ازيد ايضا في وضع دقيق ابيض وأدهان أخوة على وجوههم  
قصدا للتعزين وان كان ذلك يورث فسادا في البشرة وأكثرت ذلك العمل في نساء باريس  
وتراهن يتفانن بالتحول واصفرار اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر أو العشق  
وكلاهما مدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يسعد مدعى  
المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائل كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة  
البيتونات في المحافل يذرون على رؤسهم غبارا ابيض والاصل فيه ان بعض المغنمين كانوا  
يقفون في موسم صان جمان بخارج باريس وهم قارع فيضوار رؤسهم ليضحكوا الناس  
فتدرجت العادة شيئا فشيئا الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم في سنة ١٧٩٥ جعلت عليه  
ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

## م طلب

﴿ في الاكل ﴾

هيمية الاكل في فرنسا هي الموجودة في ايطاليا على السواء وكذلك المأكولات  
سواء غيران طعام الفرائس أكثر أشكالا والذطعم المجمع لهم الانزرة في الطبخ أحسن  
من الطبايان ولذلك تجد لطعامهم راحة لذينة مثل راحة طعام العرب (وفي المدن)  
توجد انواع الخبز على مراتب شتى ولهم نوع يؤكل صبا حامع اللبن والزبدة جيد جدا صنعة  
وصفاء وطبخا وفي خصوص باريس جميع انواع الاطعمة المتداولة بين الامم الشهيرة وان  
كانت بأثمان غالية فقد أخبرني فيما هو جود مطبخ خاص باطعمة الترك والعرب وأوتيت  
منه بسخن كبـ يرموا كسكسوا بلحم الدجاج وصحن آخر بالبامية المعروفة في تونس  
بالقناوية وثمنها مع أجرة الحمل اثنان وأربعون فرنكا وكوهما يكفيان لشبع ستة أنفس  
طبخهم الذي يذوق في الاصل كما انك تجد في جميع الغلال من جميع الاقطار لاى وقت  
كان بل قد أتوا بعشوش نوع من الخفاف في الهند والصين يصنع عشه بنبات بحرى  
ويطبخونه ويأكلونه أعني ذات العش بما احتوى عليه من زرق افراخ الخفاف  
ويستأذونه ويمدحونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستأذونها ايضا بحيث  
يصح ان يقال انهم يأكلون كل ما يؤكل ولا يكون قتالا أو مضرا عاجلا غير ان الاكل العام  
هو الدقيق من القمح ولحم البقر وللفقراء لحم الخيل أيضا والضأن أقل استعمالا من البقر  
وفي القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء أكثر استعمالا للخبز

(١٥٥)

من الأغنياء والا كل في القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالمخاط  
للأشياء المضرة كالقهوة مثلاً لا تسكاد تجده قهوة في باريس مطبوخة غير مخلوطة  
بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخنزير بيوتهم ولا يدخرون  
الاقوات وكل شيء يشتري من السوق يومياً الا قليلاً من السكر ونحوه ويشتري أسبوعياً  
أو شهر ياء واللحم المشوية أو المقالية يجعلون في نوع منها قطعة صلبة برة من شحم الخنزير  
بحيث يشاهد عياناً كالماء يرفى اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عظامها خورداً من  
الشحم المذكور كما يجعلونه أحياناً في بعض أنواع المرق في ألوان الطعام الذي يكون مع  
اللحم شيء من المرق وكيفية الذكاة في أوررو باعموماً سمعنا ان البقر بعد ان يربط  
من قرنيه يميناً وشمالاً ومن ارجله أيضاً حتى لا يستطيع الحركة وهو واقف يضرب على  
جميعه بطرقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يغشى عليه فيذبح ويجمع دمه  
ليعمل منه نوع من الاكل في المصارين وبعضهم يكتفي بالقتل بالضرب على الرأس  
لكنه نادر وقد أبطل في إيطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع  
غير المذبح (وأما الغنم) وشبهها فتمذبح ابتداءً (وأما الطيور) فالأوز والدجاج  
الهندية وأشباهها مما هو طويل العنق فيذبح ذبحاً (وأما الدجاج) فيجب ذبح عنقه  
الى ان ينقطع النخاع فيموت وينحصر الدم نحو الدماغ فيجهد ويؤكل على حدة (وأما  
الحمام) فالأكثر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت وإذا تقرر  
هذا فليذبح كرحم طعامهم شرعاً فطعامهم إما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات  
الحرة عنه - إما ان يكون من الحيوانات المذكاة أي التي هي حلال عندنا  
وانما يتوقف أكلها على التذكية وإما ان يكون من غير ذلك من الماء كولات كالتيهات  
والمعادن والسمك وكل منها إما ان يتخذ لعادة كسائر المساكين كل المعادة أو يتخذ لعادة  
كالتي تتخذ لخصوص أعياد أو تتخذ لخصوص هدية لمسلم فهي - أنه تسع صوراً حاصلة من ضرب  
ثلاث في ثلاث وكل منها إما ان يكون محققاً الع - ين أو مشكوكاً فيه فتصير ثمانية عشرة  
صورة وهذا أنا ذكرها لاجتماع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

(١٥٦)

٤ مشكوك فيه لعبادة مكروه ١ --هـ	٣ هو لهدية محققا حرام ٣ --م	٢ هو لعبادة محققا حرام ٢ --م	١ الخنزير وشبهه محققا للعبادة حرام ١ --م
٨ هي محقة لهدية مباحة ٣ --هـ	٧ المأكولات غير المذكورة محقة للعادة مباحة ٢ --ح	٦ مشكوك فيه لعبادة مباح ١ --ح	٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ --هـ
١٢ هي مشكوك فيها للعبادة مكروهة ٤ --هـ	١١ هي مشكوك فيها لهدية مباحة ٥ --ح	١٠ هي مشكوك فيها للعبادة مباحة ٤ --ح	٩ هي محقة لعبادة مكروهة ٣ --هـ
١٦ هي مشكوك للعادة مباحة ٧ --ح	١٥ هي محقة لهدية مكروهة ٦ --هـ	١٤ هي محقة لعبادة مكروهة ٥ --هـ	١٣ البحر والمد كاة محقة للعبادة مباحة ٦ --ح
١ ٢	١٨ هي مشكوك لهدية مكروهة ٨ --هـ	١٧ هي مشكوك لعبادة مكروهة ٧ --هـ	١ ٢

فاما

(١٥٧)

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الأولى فهو واضح لحرمة تلك الأعيان بالنص ولا حاجة إلى بسطها لمعلوميته للجميع ولما كانت أحكام الشرع كلها مناطة بحكمة فسادركناه قلنا الله مع قول وما لا قلنا الله تعجب مدى مع العلم بأنه فيه مصلحة لنا لأنه المارى تعالى عن الاحتياج وإنما قصور عقولنا أوجب عدم الإدراك ومهما بحثنا ودققنا النظر الأزدينا خيرة وبصارة بحكم الشرع فمن ذلك القبيح ما اكتشف بالنظارات المكبرة والتجليات الكيماوية من أن في لحم الخنزير حيوانات مضرّة قورث أمراضا مضعفة لجسمه وأولئك الحيوانات متزوجة في لحمه لآدم وبناطنج ولا يغيره فإذا أكل لحم الخنزير مرت تلك الحيوانات في دم آكله وأضرته وأهالى أوروا اكتشافا ذلك واحتج كثير منهم عن آكله (فحمد الله) على شرعنا القويم الأبعد لم من خاف وهو اللطيف المحيّر (وأما دليل) مسائل الكراهة الثمانية وهى ٤ و ٥ و ٩ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الخلية أما باصل الإباحة في غير المذكي أو بإباحة طعامهم في المذكي على ما سيأتى وإنما أتت الكراهة من حيث الأشعار بالنظم لشعائر الكفر في المتخذ للاعياد وكذا أشعر بذلك مكروه (أما) إذا قصد التعظيم فبذلك نقل الحكم إلى الكفر والعياذ بالله والمشكوك داخل في ذلك كما سنوضحه والكراهة في المذكي المتخذ للهدية جاءت من الخلاف في حليتها حيث قال بعض العلماء النص دال على حلية طعامهم وما يتخذ للهدية لم ليس بطعام لاهل التكيب فلا يشمله النص وهذا القول وإن لم يكن هو المعتبر عند غالب العلماء لكن مراعاته توجب كراهة التنزيه على أن نقائل أن يقول أن كل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة التي أهدتها لهم ودية دليل على الإباحة وشمول النص للهدية فتنتفى الكراهة وهو مقتضى الملاقاة النصوص الفقهية عندنا كما يأتى (وأما دليل) الإباحة للمسائل السبعة وهى ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان منها من غير ما يذكي فهو مباح باصل الإباحة العامة لأن كل ما لا تذكيه لا يتوقف على شئ مبيح سواء عدم المضرّة والطهارة فهو من المسلم وغيره على السواء والاصل الطهارة حتى يتحق النجاسة والشك في كونه لا يتحررون من النجاسة غير عامل كما صرح به شيخ الإسلام بريم الرابع في جواب سؤال عن جواز التيمم في بلاد الحرب للشك في مياههم وأوانهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله مبنى على نجاسة مياه أولئك القوم وأنى لنا بذلك وبحر احتمال عدم التوقى غير مفض

(١٥٨)

الى الحزم بالنجاسة بل لا بد من تحققها أو غلبة الغالب بها ومن ثم جاز تناول طعام أهل الكتاب  
 واستعمال أو انعيم ولبس الثياب المخلوبة من بلاد الكفر بل المشتركة منهم بعد لبسهم  
 لها كل ذلك على الأصل الذي هو الطهارة حتى يثبت ضدّها المخ وفي حواشي  
 الدرر للسيد ابن عابدين (رضي الله عنه) من كتاب الذبايح ما نصه أقول وفي بلاد الدرور  
 كثير من النصاري فاذا جئنا بالقرينة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها  
 معمولّة بأنفة ذبيحة درزي والافقد تجعل بغير أنفة وقد يذبح الذبيحة نصري تأمل  
 المخ والأصل في هذاما صرح به في قواعد الأشباه من قاعدة اليقين لا نزول بالشك  
 والمؤمنين في أصل الأشياء الطهارة فلا نزول بالشك في المطعومات التي ليست بحمل للتذكية  
 ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضي الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذي  
 يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل أنه يعمل بأنفة الخنازير فقال أما أنا فلا أحرّم حلّالا  
 (وأما) إن كرهه الإنسان في نفسه فلا أرى بذلك بأسا فأنت ترى تصرّجه بالحليّة وتبريه من  
 التحريم وانما جعل اجتنابه من الورع وهذا في المذكي فما بالك بغيره ولا يرد على هذا  
 قاعدة إذا اختلط الحرام والحلال غلب الحرام المحلل المذكي كورقة الاشتباه لأن ذلك  
 فيما إذا اتقن وجود الحرام كاختلاط أشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود  
 غير أنه ليس معلوما بعينه واستويا أو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة للجميع أما إذا  
 كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها  
 كون الذات المعينة التي أصلها الطهارة وقع الشك فيها هل طرأت عليها نجاسة أم لا (وأما  
 ما كان) من مسائل الإباحة مما لا يحل أكله إلا بالتذكية (فالدليل) على الحليّة فيه  
 ما ذكر في الدرر في كتاب الذبايح حيث قال وشرط كون الذبايح مسلّا لا لا خارج الحزم  
 إن كان مسلّا أو كنايةا ذميا أو سبيّا إلا إذا سمع منه عند الذبيح ذكر المسيح المخ فاق  
 محشيه السيد ابن عابدين قوله إلا إذا سمع المخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عني به  
 المسيح قالوا بولكل إلا إذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة حاشا له لله هدبة وأفاد  
 أنه يؤكل إذا جاء به مذبحا عنابة كما إذا ذبح بالحضور وذكرا سم الله وحده والذي  
 علمنا من حالهم الآن أنهم لا يسمون شيئا بل واللحم يوجد في بلاد أغلب أهلها متدينون  
 بالنصرانية سيما فقراهم كالقصابين وفي مثل ذلك يحتمل على حالة الجوارز أقال في الدرر  
 في آخر الخطر والإباحة من قوله فعلم أن العلم بكون الذبايح أهلا للتذكية ليس بشرط  
 المخ ويؤيده تصرّح محشيه فيما نقلناه سابقا في مسألة القرينة والجبن بل وسبأني  
 النقل

(١٥٩)

النفق ليجوز ما لم يسم عليه أو سمي غير الله تعالى إذا كان الذابح كناية أو في تنقيح  
الحامدية أول الذابح ما نصه سئل في ذبيحة الذمي السكابي هل تحل مطاقاً أولاً (الجواب)  
تحل ذبيحة السكابي لأن من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو  
دعوى كالمكابي ولأنه مؤثر بكتاب من كتب الله تعالى وتحل منا كتحته فصار كالمسلم في  
ذلك ولا فرق في السكابي بين أن يكون ذمياً يهودياً أو نصرانياً أو حوياً أو غيرهم أو ثعلبياً  
لا طلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكهم (قال  
البخاري رحمه الله) في صحيحه (قال ابن عباس) رضى الله عنهم ما طعمهم ذبائحهم ولأن  
مطاق الطعام غير المذكي يحل من أى كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالذكي وهذا  
إذا لم يسمع من السكابي أنه سمي غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته  
لقوله تعالى وما أهل به غير الله وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودى أن يكون  
اسرائيلياً وفي النصراني أن لا يعتقد أن المسيح اله مقتضى إطلاق الهداية ونسبها عدم  
الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرائيلي وشرط في المستنفي محل منّا كحتمهم عدم اعتقاد  
النصراني ذلك وكذا في المبدسوط فانه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب أن  
اعتقدوا أن المسيح اله وأن عزيراً اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن في مبدسوط شمس الأئمة  
وتحل ذبيحة النصراني مطاقاً سواء قال ثالث ثلاثة أو لا ومقتضى الدلائل وإطلاق الآية  
المجوز كما ذكره الترمذى في فتاواه والأولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا ضرورة  
كما حقه السكال قال العلامة قاسم في رسائله قال الإمام من دان دين اليهود والنصارى  
من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نسائه (وقد حكى) عن عمر رضى الله تعالى عنه  
أنه كتب إليه فيهم أوفى أحدهم فكتب مثل ما قلنا فإذا كانوا يترفعون باليهودية  
والنصرانية فقد علمنا أن النصارى فرق فلا يجوز إذا جعت النصرانية بينهم أن تزعم  
أن بعضهم تحل ذبيحته ونسائه وبعضهم يحرم إلا بخبر ملزم ولا نعلم في هذا خبراً من جهة  
اليهودية والنصرانية في حكمه حكم واحد اهـ وعلى هذا النحو ما ذكر في الهندية  
وغيرها والسند للفقهاء في هذا الحكم وهو قوت تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم  
والذى رأيت في الكشف والبيضاوى وروح البيان وتفسير أبي السعود والرازى في  
ما ذكر في تفسير فتح البيان أساطين بهو بال مع زيادات مفيدة في هذا فائدة تصر على ما ذكر  
فيه قال والمحصل أن حل الذبيحة تابع محل المذكية والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذابح  
وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذابح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل

(١٢٠)

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هاتاه الآية مخصوصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهره - هذا ان ذبايح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودى على ذبيحة اسم العزيز واليه ذهب أبو الدرر وأبو عباد ابن الصامت وابن عباس والزهرى وربيعة والشعبي ومكحول وقال على وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكفاي يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاووس والحنن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضا وما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم وسئل الشعبي وعطاء عنه فقال لا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم - غير اسم الله وأمام عدم العلم فقد حكى الطبري وابن كثير الاجماع على حلالها لهذه الآية ولم يورد في السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة المصاية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذ به بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان قال وقال القرطبي وجهور الاثمنة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو غيره - وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام يجوز أكله الخ فتحصل مما رحلية المسائل السبعة المذكورة من الطعام وان الشك في مؤثر فيها فان قد ذكرت ان بعض الطيور يخفقونها ويأكلونها بلا ذبح وان بعض الاطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف الحكم في ذلك (فالجواب) أما الطعام الذي يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو حرام بالنص على نجاسة ذاته كما مر وطريق الوصول الى التحقق اما برؤية ذاته من الآكل فيمينا نذيين فيه أو بغلبة الظن في الألوان التي جرت العادة بوضعه فيها أو بانخبار الطابخ أو المناول بان يستله الآكل كل هل في هذا شيء من لحم الخنزير أو شحمه فان أخبره بالوجود امتنع والاحل لان خبره مقبول في المعام - لا وان كان كافرا كما نص على ذلك في كتاب المحظور والاباحة من دواوين الفقه وصورها بقول الكافرا بشرية اللحم من كذا في فهل أو من مجوسى فيحرم رصحو ابانه وان آل خبره الى ديانته يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أو لاعن حكم ديني كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال أو حرام لجهله بذلك بخلاف المعام - لا وهو - هذا السؤال انما هو على وجه الورع والا فالاصل فيما لم يتحقق فيه شيء من النجاسة هو الطهارة كما مر وينبغي ان يعلم انهم لا يقصدون الآكل غش المسلم بأكله المحرم عليه كما يتوهم بعض العامة اذ عندهم الاخبار بذلك



(١٦١)

بذلك كفولهم هو محم دجاج أو لحم أوز ولا يعنهم أمر المحرمة والحل عند المسلم بل جهه وزهم لا يدري شأن ذلك (وأما) مسألة الخنزير فان كان لجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وان كان لتحقيق فلم أر حكم المسألة مصر جابه عنه دنا وقيل له ما على تحقيق تسمية غير الله انه المحرمة عند الخنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جع عظم من الصهابه والتابعين والائمة المجتهدين فالقياس عليها في مسألة الحلية حيث خصصوا الآية وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما أهل به لغير الله وكذلك تكون محصنة لآية المنخقة ويكون حكم الآية بين خاصا بفعل المسلمين والباحة عامة في طعام أهل الكتاب اذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا أبج الأول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني وقد كنت رأيت رسالة لـ أحد أفاضل المالكية نس فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبهم بما ينال به الصدور سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما خبر به كثير من علماء شهم وان المقصود النوصل الى قتل الحيوان بأهل قلة للنوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مزية في الحلية على هاته المذاهب فان قامت كيف يسوغ تقليد الخنفي لغير مذهبهم قلت أما ان كان المقاد من أهل النظر في الأدلة وقد الخنفي عن ترجيح برهان فهدار بما يقال انه لا يسوغ له ذلك وأما اذا كان من أهل التقليد البحث كما هو في أهل زمانة فقد نصوا على جميع الاثمة بالنسبة اليه سواء والعامى لا مذهب له وانما مذهبهم مذهب مفتيه وقوله أنا خنفي أو المالكي كقول الجاهل أنا نحوى لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأي العلماء اقتدى فهو ناج على ان الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوف بالفعل في تقليد المجتهدين لغيره والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود في شرح الاربعين حديثاً النووية وألف في ذلك رسالة عبد الرحيم المالكي فليراجعهم ما من اراد الوقوف على التفصيل فان قيل قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا يجعل محصنا بالحلية أيضا بهاته الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريره محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأى مرجع لذلك (فالجواب) ان المأكلات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شابهه من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع الحوارها وحالاتها (وأما) متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخقة فان التحريم أتى فيه اعماض وهو ذلك الفحل

(١٦٢)

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب وأنه حلال فخرج منه محرم العين ضرورة  
وبالاجتماع أيضا وبقي المحرم لغیره وهو مسملتان احديهما مسألة التسمية والثانية  
مسألة المنخفة فبقينا في محل الشك التجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا  
احدهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الحساب وغيرهم  
وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسألة المنخفة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما  
لهم مسكوتاً عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لاتحاد الالة (وأما قياسها)  
على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرطا القياس المساواة وإنما اطلنا  
الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق  
وهو يهدي السبيل

## م طلب

﴿في المواكب﴾

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أروبا عمومها متشابهة وقد تقدم ذكر حالتها في إيطاليا  
فلا داعي لاعادتها هنا غير انه ربما يشكك على القارى شيء وهو ان فرانسا ليس لها  
الآن ملك فمن هو من المراكب الرسمية فاعلم ان دعواهم في الجمهورية انها خالية  
عن الملك هو امر وهمي لان وظيفة الملك كانتا أمر ضروري لا مندوحة عنه حتى وقع  
الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعدل أو السمع فقط واحتج القائلون بانه  
واجب بسماعه بان نجد أمما عاشون على وجه ما من الاستقامة بدون ملك وكل ذلك أمر  
وهي ولا مجال للخلاف في المسئلة اذ اقامة الملك أمر طبيعي لا يمكن الاستقامة بدونه  
وما ذكره المنهج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لانه معترف بان تلك الامم أو  
القبايل تنقاد الى رؤسائها منساقا لخلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو  
اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الآن لان من يقيمونه رئيسا لها  
ما هو في الحقيقة إلا ملك عليهم لمدة معينة وتصرفه متقيد بحدود معينة فلا مندوحة لهم  
حينئذ عن الاقرار بجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة  
الاهبة والعظمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكله موجود عندهم  
فرييس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه الى الملك من مراسم المواكب وغيرها غير انه  
أذل بهة وضخامة من الملوك في اللبس والاعوان وأما بقية المراكب الاعتيادية فهي

كما

(١٦٣)

كحمار ذكراه في ايطاليا وقد دعوني في سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من  
الجنرالان ماناسنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب الكرومون أي الاشتراكيين في  
باريس وكانت جثثهما موصولة في صناديق بكنيسة ليزان فالبلد المدفون بها بونا باري  
الاول وأعدوا لهما موكبا حافلا باحضار جم غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبعية  
بمدافعهم ثم وقوا في البطحاء الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والمبادين  
بالخلائق المتفرجين وامتلاء داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوانيسها  
موقودة والشموع الكهيرة مسرجة وكبار القسوس حول المعبدين يترنمون بالحنان  
ونغمات تمديدية تميل الى الحزن يتغنون واحد اذ فواحد اولهم سكنات في الوسط يضح  
فيما يقوم من صغار القسوس جالسين في رواشن عالية مهيطة بداخل الكنيسة  
ويلحنون ترنياتهم بانغام ايضا شبيهة بالساقين وهكذا الى ختام ادعيتهم ثم خرجوا  
الجنارين الممسكون بتابوتهم بايديهم الى الساحة ووضعوا في محلات معدة لذلك  
مزينة بالازهار وقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر بمدافعهم في المقدمة ومن  
ورايتهم الجناريتان ومن ورايتهم بقية المشيدين ركوباً في كرايس سودود وخرج الخيول  
أسود والخيل سودولباس الركاب أسود وذهبوا الى المقبرة وكانت المدافع تطاق بعد  
كل خمس دقائق كل ذلك اظهارا لالعناية بمن نفع وطنه منهم ترغيباً لمن يسللك ذلك المسلك  
وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملأ الهانوفر الذي  
أدخلت ملكته دولة البروسيا في ملكتها وافر هو وسكن في باريس وهو شيخ مسن  
ولساعات حضرت جنازته امرأه ووزراء المانيا وجملة له دولة فرانسا اليه على نحو  
ما تقدم فغير انه أخرج من داره لا من الكنيسة ولفه تدكرت في تلك الكنيسة عفة  
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتتبعن سنن  
من قبلكم شبرا شبرا وذرا ذرا حتى لو دخلوا حجر ضرب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى  
يا رسول الله قال ومن اه كما ورد ذلك في الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلا في  
الجوامع وتغنى المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالخان متباعدة وتلحين الخطباء  
والائمة في القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي  
الا ضلالة وفساد وزيادة ونقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم  
وحيث كان أعظم المواقب الاعتبارية عندهم هو رأس السنة فكذا كرموا في باريس  
في رأس السنة الايجمية الموافق لذي القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزاور عندهم

(١٦٤)

ففيها انهم يكتبون عن اتعاب الزيادة بارسال أوراق الاسماء فيما بين المعارف وترسل بواسطة البريد أوجالين مع مدين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحدة قطعة من نحاس عليها عدد وسامان الحكومة بأنه أمين مجازله في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسة مائة وستون ألف ورقة عندما وزع بواسطة المجالين وأرسلت الى أهالي باريس مكانيب ثم ثمة من الخارج مليون وخمسة مائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتب المضممة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبتهم الغير المضممة من نسبة واحد من مائة

## م طلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرنسية اوية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا لم يزلوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضها مجرد مراعاة الاصل بدون فائدة أخرى ولا زالت في التمدد والاعتناء بها ولهذا جمعيات علمية تعنى بتوضيحها وقد اشتهرت اشتهارا كبيرا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونا باري الى الامبراطورية فرانس حتى وقع الاتفاق بين الدول الأوروبية على ان تكون هي اللغة المستعملة في الماورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة تلك الكلام بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على الفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محرومة من تصرفات تحتاج في غيرها الى تطويل وإهمام وذلك الاتفاق على اجرائها في الخطابات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان الماسا غلبت فرانس سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هاتيك المزية الى لسانها فلم توافقها انكلا تيره وقالت (اما) ان تبقى على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرنسية (واما) ان كل دولة تختاطب لسانها فابقى الوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة ما لا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستعانة على اللغة الفرنسية اوية التي مر ما وقع فيها من الخروبر ومن اعتنائهم بلغتهم - اعتنائهم بالفصاحة فيها وارتجال الخطب المستطيلة أعني الخطب على النحو العربي الاصلي بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجابه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظهم ما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ منشآت غيرهم أو سردها من ورقة اذهبها ذاك لاف الاسلوب

العربي

(١٦٥)

العربي الاصلى وانما هو اى الاصلى الى استحضار معان مرتبة في فكرة الخطيب والقائما  
عند الحاجة بالفاظ منسجمة فصيحة بلغة وذلك هو شأن كل أمة تترقت في سبيلها الفخار  
فالفرانساويون توجهوا لهذا المقصد ايضا وبلغوا فيه على حسب اصطلاح لغتهم الى  
المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف أحدهم خطيبا بة يكلم ساعتين وثلاثا بدون تلغثم  
أو مراجعة سوى البطاقة أحيانا مكتوب بها اروس الزوازل التي يريد ان يوضح فيها أو ينقل  
من واحدة الى أخرى بربط المناسبات الى انتهاء مقصوده وقد يعترض له بعض اضداده  
أفراد ومجتهدين بالاستهزاء منه والسخريه من كلامه والرد عليه ولو بالضجيج وهو مثبت  
في مسلكه ويحبب الراد عليه بالناسبة لان أغلب ما تكون خطبهم في السياسة مع تنازع  
الاحزاب فيهم اسميا في مجلس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المنصة أمام  
منبره كاس بالماء والسكر والزهر لعله يجف لسانه من كثرة الكلام أو ليلفظ هذا الصل  
لكنني رأيت من يخطب هذا الشرب منه آلة للتفكير ومهلة للتدبير فبما يقول حتى أكثر من  
ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عليه والمحاصل ان خطبهم الآن  
شبه خطب أسلافنا العرب في الصورة ونشبهه الدروس المنقذة في ادائهم من علمائنا  
المقول الآن مثلما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد النيفر الا كبر قدس الله  
روحه اذ يستطيع الكتاب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيرا ليعاجيد او خطباء القوم  
الآن يحضر مواظمتهم كتاب عارفون باصطلاح مختصر في الكتابة حتى يحبطوا بجميع  
ما يقول الخطيب وأكثرا لاسيما باب في طول خطبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها  
سيعلم التاريخ فبأدنى مناسبة يذكر تاريخ أدنى شيء يبحث عنه وما وقع فيه من قديم  
الزمان وحديثه فذلك كان فن التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعقول لان  
الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علميا بالتاريخ عرف الاسباب والدواعي  
والنتائج والخصائص والغلطات فيتبع في الحال الحسن ويجتنب المضر ويحترز بالشاور  
واجتماع الآراء وذلك هو مقدر البشر والله يفعله ما يريد وانما أجرى سبحانه عادته  
بالاصلاح اذا جرى العمل على حسب التدبير والامر الالهى باتخاذ الاسباب على مقتضى  
حكيمته لا رب سواه ومن قواعدهم في اللغة ان يخاطبوا الانسان بدون تلقيه بالسيادة  
الا لزوجة مع زوجها أو العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان الخاطب  
ذا وظيفة الوزارة يزدله لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خطة الامانة يزدله لفظ بمعنى العظيم أو  
كان مأكبرا يزدله لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يثرون في ذلالتهم ويكثرون من

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريج أوائل صفراء الحبر سنة ثلاث وثلاثمائة وألف في المطبعة الاعلامية بأولافه الامثل الاكرم الشيخ محمد أفندي بزم وتحريره على يد الفقيه قيرالى الله تعالى مصطفى قشيشة الازهرى وبليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس في قطر الجزائر  
طبع بالمطبعة الاعلامية بصر سنة ١٣٠٣ هـ

(١)

فهرست الجزوالثالث من صفة الاعتبار

صفحة	
٢	الباب الثالث في ايطاليا
٢	فصل في سفر المؤلف اليها وما رآه بها
٣	موسى كالارى التى هى تابعة لاطاليا
٤	بيان هيئة هاته البلدة
٤	كيفية ملابس اهلها
٥	توجه المؤلف الى نابلى
٦	كيفية المنازل بهاته البلدة
٧	ذكر اشهر طرقها الحسنة البهجة
٨	ذكر المسمى الكبير
٩	ذكر اكبر مدارسهم
٩	بيان الاشياء التى استخرجت من البلدة بونباى
١٠	دارالفنون التى يعلم بها فنون الطب وغيره
١١	ذكر كثرة ضخامة بامانة وثلاثون ألف مجلد
١١	ذكر بلدة بونباى وكيفية اهلها
١٣	بيان هيئة بناتها
١٤	بيان قصد المؤلف الى بلدرومه
١٤	ذكر قصر الملك فى بيتان كورتنا
١٥	بيان كيفية وصوله الى بلدرومه واخماسه بازم اجاتها
١٧	ذكر منزهها العمومى
١٧	ذكر بحاس النواب واعضائه
١٨	كيفية توجه المؤلف الى بلدياته ورنو
١٩	بيان هيئة او طرقها
٢٠	بيان مروره على بلدياته ورنو وكيفية اهلها
٢٠	بيان وصوله الى بلدياته بنصاود وكيفية اهلها

(٢)

لصيفة

- ٢١ قصر القلرية وبجائبه
- ٢٢ ترجمة الوزير حسين التونسي
- ٢٣ توجه المؤلف الى باريس
- ٢٤ ذكر بلاد بولونيا
- ٢٤ بلاد تورين
- ٢٤ بيان صفة الترموي
- ٢٥ ذكر المنزلة العمومي وبجائبه
- ٢٥ وصول المؤلف الى فرنسا
- ٢٧ بقية الكلام على ايطاليا
- ٢٨ فصل في تعريف ايطاليا وجرافيتها
- ٣٠ الكلام على ما يوردها وحيواتها ومعادنها
- ٣١ ذكر ولاياتها الكبرى
- ٣٢ فصل في اجمال تاريخ ايطاليا
- ٣٣ مطلب في تاريخها القديم ودول الرومان وانقسام السلطنة الى شرقية وغربية
- ٣٤ مطلب في تاريخها الجديد واسباب الحرية والفرمانون
- ٣٧ ذكر وزارة الامير يزمرك
- ٣٧ بيان الاسلات الحرية التي اهدتها بروسيا لفرنسا
- ٣٩ ذكر ما معه المؤلف من فرائب علوم المحدثان
- ٣٩ مطلب في الادارة الداخلية بايطاليا
- ٤١ كيفية الادارة في الولايات
- ٤٢ كيفية الادارة المحكمية
- ٤٣ مطلب في معنى الملكية والقانونية
- ٤٤ مطلب في السياسة الخارجية لايطاليا
- ٤٥ فصل في بعض عوائد اهل ايطاليا وبعض صفاتهم
- ٤٦ صفة اهل القرى والوادي
- ٤٦ صفة رقص الاعيان مع النساء



(٢)

مصحفة

- ٤٧ بيان غلط من ادعى ان ديانا تنسج النظر لوجه المرأة  
٤٧ كيفية استعمال أهالي إيطاليا للموسيقى ذات آلات النغم  
٤٨ مطلب في التجارة  
٤٩ أحوال البنوك بإيطاليا  
٥٠ السكك الحديدية وأنظمتها  
٥١ البواخر البحرية  
٥٢ الأسلاك الكهربائية  
٥٣ مطلب في الصنائع الفلاحية  
٥٤ تقاسيم الأرض ومنظرها البهيح  
٥٤ الصنائع الضرورية والتحسينية  
٥٤ دخول ملك إيطاليا المعرض مع رجال الامة  
٥٥ مطلب في المعارف  
٥٥ مطلب في هيئة المساكن والطرق  
٥٧ مطلب في اللبس  
٥٨ هيئة شعور رؤسهم ولحاهم وشواربهم  
٥٨ كيفية لبس نساثن  
٥٨ اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف  
٥٩ مطلب في الاكل  
٦٠ مطلب في المواكب الرسمية  
٦٠ المواكب الاهلية  
٦١ موكب الماء ثم عندهم  
٦٢ هيئة تكفين مرتاهم  
٦٢ مطلب في اللغة  
٦٣ مطلب في القوة المالية والحربية  
٦٣ الباب الرابع في مملكة فرانسوا ومارآه المؤلف فيها  
٦٣ الفصل الاول في سفره اليها

(٤)

صهيفة

- ٦٤ وصوله الى باريس  
٦٥ اجتماعه بأشهر الأطباء  
٦٥ ما حصل له من الخطر بسبب غلط المترجم  
٦٦ الفصل الثاني في باريس وصفاتها  
٦٧ اجمال وصف مائة البادية  
٦٧ محيط دائرة دورها وتقسيمها الى عشرين قسما  
٦٧ طرق البلاد وانما تزيد على ثلاثة آلاف طريق  
٦٨ ذكر اهل الطرق الذي هو الباغار  
٦٨ ذكر اما كن اخرائيقه  
٦٩ حديقة شانزلى  
٦٩ ذكر قوس النهر  
٦٩ جردان مايل الذي يقع ابلا  
٧٠ حديقة التولى  
٧١ ابلان فندوم  
٧٠ افندوى لوبيرة  
٧٠ الاسواق المستقفة بالزجاج  
٧٠ غيضة أبوا دى ولونيا  
٧١ قدمبرسا كراما نيا وفرنسا الهسانة الغيضة  
٧١ ذكر غيضة أبوا دى قفسن  
٧١ جردان دى كايما نيون  
٧٢ ذكر الحيوانات الغريبة  
٧٢ أسد البحر  
٧٢ جردان دى بلانت  
٧٢ ذكر الثعابين الهائلة المنظر  
٧٢ قصر معرض سنة ١٨٥٧  
٧٢ قصر اللوفر الضخم المتقن البناء

(٥)

مجمعة

- ٧٣ قصر التولى  
٧٣ ماهى كران لوبرة  
٧٣ قصر الكسورغ  
٧٣ دار الرصد البحيمية  
٧٣ قصر معرض سنة ١٢٩٥  
٧٤ بيان عدد القاديين من الانكايه كل يوم  
٧٥ هيئة المساءب التي دعى اليها المؤلف من قبل الوزراء  
٧٥ ماعية الدولة لمصاريف المواكب  
٧٥ مركز الالعب  
٧٦ القصيدة التي ترجمها رفاعة باشا  
٧٨ الاحتمال الذي صنف بعرض الجيش  
٧٩ احتماله الطرق واشتباها الكراريس على أهمها  
٨٠ احتمال يوم السباق  
٨١ الدار التي أرسلها سلطان المغرب وكلمها من خشت  
٨١ الشهر الثاني من المعرض  
٨٢ بقية أماكن وبنات باريس  
٨٢ بيان انهم لا يتصدون بالملاهي مجرد التلهي  
٨٣ طاب مجلس الامه لعزل ولاية البلدان وما قبل فيه بأحد الملاهي  
٨٣ بيان ان ملاهيهم كما لا يتخلوا عن فائدة ولا يتخلوا عن مفسدة  
٨٢ ذكر أنظم هاته الملاهي  
٨٤ ماهي ليدروم الذي يلعب فيه بالخيول ألعابا عجيبه  
٨٤ الثعالب الهائل الذي آراء المؤلف هناك  
٨٤ ذكر معامل باريس  
٨٥ جامات باريس  
٨٥ أحوال المعارف وترقي العلوم  
٨٥ خزانة الكتب وبيان ما فيها

(٦)

مصحفة

- ٨٦ بواعث آخر للاجتهاد والتقدم في العلوم  
 ٨٦ ذكر المطابع وما فيها من أنواع أحرف اللغات  
 ٨٦ أما كن المرجحة كالمستشفيات  
 ٨٧ بيان طرق المواصلة  
 ٨٧ البعثات والمخيل بباريس  
 ٨٧ رواج التجارة والسامع  
 ٨٧ مخزن اللوفر الكبير  
 ٨٨ مخزن بومرشي ومخازن آخر  
 ٨٨ الدهاليز التي تحت الأرض  
 ٨٩ الفصل الثالث في بقية البلدان التي شاهدها المؤلف  
 ٨٩ بلد فرسال وموقفها من باريس  
 ٨٩ القصور الملوكية التي بها  
 ٨٩ محاسن النواصب بها أيضا  
 ٩٠ بلد السين  
 ٩٠ بلد صان اكاو  
 ٩٠ بلدة فونتين ابلو  
 ٩١ بلدة اليون والنفق المسمى تونيل  
 ٩١ بلدة مارسيليا  
 ٩١ قصرها التزييه  
 ٩٢ مرساها البهيجه  
 ٩٢ بلدة طلون  
 ٩٢ سفير الصين الذي قدم للمعرض  
 ٩٢ بلدة ندس  
 ٩٣ بلدة آيا نشو  
 ٩٤ الايبات التي سردها الفاضل محمد السنوسي على المواقف عند رجوعه  
 ٩٤ سفر المؤلف الى فرانسا مرة ثانية وثالثة

(٧)

مهيضة

- ٩٥ ما حدث في الوطن في سفرته الاولى ومسألة الاجتهاد وانقطاعه  
 ٩٦ الفصل الرابع في النهر يقب بفرانسا وجغرافيتها  
 ٩٦ ذكر جبالها  
 ٩٧ الانهر التي بها  
 ٩٧ الترع التي بها  
 ٩٧ بحيراتنا  
 ٩٧ هواؤها  
 ٩٨ بردها  
 ٩٨ نباتاتها  
 ٩٨ حيواناتها  
 ٩٨ الحيوانات التي تربي في الامصار  
 ٩٨ قبايلها وحياتها  
 ٩٩ طيورها  
 ٩٩ ذكر مدن فرانسا وقاعدتها باريس  
 ٩٩ ذكر المعادن  
 ٩٩ بيان مراسمها  
 ٩٩ بيان سكانها  
 ١٠٠ مستعمراتها  
 ١٠٠ الفصل الخامس في احوال تاريخ فرانسا  
 ١٠٠ مطلب في تاريخها القديم  
 ١٠٠ تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الالهالي وسبب اطلاق اسم الافرنج  
 على جميع اهل اورويا في المشرق  
 ١٠١ ذكر فايب الثانی الذي اتحد مع ملك الانكليز في حرب الصليب  
 ١٠١ فايب الثالث  
 ١٠١ بذت لاحد الفلاحين ادهت علم الفيب لتخليص فرانسا من الانكليز  
 ١٠٢ انتقال النفوذ لفرانسا

(٨)

مصحفة

- ١٠٢ مطلب في تاريخ فرنسا الجديد
- ١٠٣ تعرض امبراطور النمسا المقاصد الفرانسيديس
- ١٠٣ تعرض الحكومة بحكومة الدركتوار وترجة نابليون بوناپار في الاول
- ١٠٣ ثميج انككتره دول اوروباعلى فرنسا
- ١٠٤ ذكر تأليف قانون الاحكام من نابليون الاول
- ١٠٤ دخول النمسا كالى باريس وتعليكهم لويس الثامن عشر
- ١٠٥ تولية لويس فليب
- ١٠٥ رئاسة لويس نابليون على الجمهورية
- ١٠٥ تلقيبه بنابليون الثالث
- ١٠٦ قوانين الملكية التي رسم بها
- ١١٠ ذكر المشاحنة الزائدة بين فرنسا وبروسيا وحرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م
- ١١١ تعرض ما كتبه نابليون الى ملك بروسيا في خضوعه
- ١١٥ انعة ادا الصلح بين فرنسا وبروسيا
- ١١٥ بيان ما دفعته فرنسا لبروسيا
- ١١٦ مطلب في السياسة الداخلية
- ١١٨ بقية تفصيل الادارة
- ١١٨ انتخاب الوزراء من تعقد المجالس عليهم
- ١١٨ كيفية ادارة الاحكام
- ١١٩ اناطة النمرع الاسلامي المحكم بالعلماء أهل العدالة
- ١١٩ المفايد الموجودة في انتخاب أعضاء مجالس النواب
- ١٢٠ مطلب في السياسة الخارجية في فرنسا
- ١٢٠ ذيل في تساط فرنسا على تونس
- ١٢١ ذكر أسباب ذلك
- ١٢٢ لائحة فرنسا في أسباب جماعتها على تونس
- ١٢٧ لائحة الدولة العثمانية في اثبات حقوقها
- ١٣٠ اثبات اقرار فرنسا بان تونس عثمانية

(١)

مصفحة

- ١٣٠ أسباب تفاؤل الدول عن فرنسا  
١٣١ تلفراف سفيرة كتيرة في عدم معاضدة الدولة العثمانية  
١٣٥ نص المعاهدة بين فرنسا وتونس في الحماية  
١٣٧ الحامل الباطني لفرنسا وترجيحه على مكائد الدول بها  
١٣٩ الفصل الخامس في عوائد أهالي فرنسا وصفاتهم  
١٤١ حكاية نظريفة  
١٤١ مآراء المؤلف من اعتقادهم الهذيانة  
١٤٣ بقية عوائد الأهلالي  
١٤٣ مطلب في التجارة  
١٤٥ مطلب في الأحكام  
١٤٦ الارشاه في غير المجالس الانتهاية  
١٤٦ صفة محل الحكم بباريس  
١٤٧ فادرة عجيبة وهي من أهم ما يذكر في أحوال الادارة الحسكية  
١٤٩ مطلب في المعارف  
١٥١ مطلب في الصنائع  
١٥٣ مطلب في هيئة المساكن والطرق  
١٥٣ مطلب في اللبس  
١٥٤ مطلب في الأكل  
١٥٥ ذكر أحكام طعامهم شرعاً وهو مفيد  
١٦٣ مطلب في المراكب  
١٦٤ مطلب في اللغة  
١٦٦ مطلب في القوة الحربية المالية والتجارية في فرنسا سنة ١٨٨٠

﴿وقت﴾

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾



















